ذات يوم

يوميات ألف عام ... وأكثر

١٩٧٣
١٩٨٢
١٩٥٣
١٨٦٩
١٩٧٥
٢٠١١
١٩٥٦
١١٧٦
١٩٧١
١٩٧٩
١٩٧٠
١٩٥٢

المجلد الأول

سعيد الشحات

هذا الكتاب تدوين يومي لأحداث تاريخية وقع بعضها منذ ألف عام وأكثر، وينقب عن المسكوت عنه في كل حادثة، وكتابتها بأسلوب صحفي سهل، وسرد درامي جذاب .. هو ليس جرعة أكاديمية خالصة، لكن في نفس الوقت يدون أحداثا ربما نسيناها، أو مازالت حاضرة لكن يتم تأويلها لأغراض خبيثة.

هدى جمعة الصياد

ISBN# 9789779104799

6 221149 038936



الهيئة المصرية العامة للكتاب

ذات يوم

يوميات ألف عام .. وأكثر

المجلد الأول

سعيد الشحات



الهيئة المصرية العامة للكتاب

٢٠١٥


mohamed khatab

الشحات، سعيد.

ذات يوم: يوميات ألف عام... وأكثر/ سعيد الشحات. ـ القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٥.

٨٢٠ص مج١؛ ٢٤ سم.

تدمك ٩ ٠٤٧٩٩ ٩١ ٩٧٧ ٩٧٨

١ ـ التاريخ.

أ ـ العنوان

رقم الإيداع بدار الكتب ١٧٧٨٠/ ٢٠١٥

I. S. B. N 978 - 977 - 92 - 04799 - 9

ديوى ٩٠٧.٢

وزارة الثقافة
الهيئة المصرية العامة للكتاب
رئيس مجلس الإدارة
أ. حلمى النمنم

اسم الكتاب : ذات يوم
يوميات ألف عام.. وأكثر
المجلد الأول
تأليف : سعيد الشحات

الإخراج الفنى : مادلين أيوب فرج

الهيئة المصرية العامة للكتاب
ص. ب : ٢٣٥ الرقم البريدى : ١١٧٩٤ رمسيس
www.gebo.gov.eg
email:info@gebo.gov.eg

إهداء

إلى قريتى.. كوم الأطرون، طوخ، قليوبية،
التى تلقَّيت بها أول حصة فى التاريخ.

مقدمة

لا يستطيع الإنسان أن يعرف التاريخ إلا إذا قرأ، ولا يستطيع الحكم على حاضره إلا إذا عرف قصته من بدايتها، والبداية تعني الماضي، والماضي قصة ممتدة صنعها أشخاص.

وبعض من هؤلاء الأشخاص عاشوا في الظل ورحلوا دون أن نعرف ما فيه الكفاية عما فعلوه سلبًا أو إيجابًا، وبعضهم وقف على المسرح يقدم دوره أمام الدنيا كلها فشاهده الجميع، والحصيلة هي حكايات يتم تدوينها، غير أن التدوين نفسه قد يخضع لأهواء تؤدي إلى إخفاء هذا، وإبراز ذاك.

وبين الحالتين قد يتوه جزء من الحقيقة، أو تتوه الحقيقة كلها، وتأتي المأساة حين يكون حاضرنا قائمًا على تلك الحقيقة التائهة أو الضائعة، ولأن الضحية هي نحن، ونحن تعني بلدًا يتطلع إلى المستقبل، فإنني أزعم أن ذكر وقائع التاريخ الصحيحة فرض عين على كل من يحمل القلم ليسخره في كتابة التاريخ، وإخفاء تلك الوقائع ذنب يتحمله كل من يعرفه ويخفيه، أو يعرفه لكنه يطوّعه لمصالح خبيثة.

في لقاء لي منذ سنوات مع الأديب الكبير بهاء طاهر، قال لي: «مصر بلد لا يموت التاريخ فيه»، وحين تصديت بدءًا من أول يناير ٢٠١٤ لكتابة زاوية «ذات يوم» على صفحات جريدتي «اليوم السابع» التي أتشرف بالعمل فيها، تأكدت أكثر من أن مقولة أديبنا الكبير، حقيقة واضحة، وشمس ساطعة، فما قرأته من أحداث وقعت منذ قرون مضت، مازال الكثير منه حاضرًا وبقوة.

«ذات يوم» تقوم على اختيار حادثة تاريخية حدثت في يوم مماثل لنشرها، وتقديمها بطريقة صحفية سهلة، وصياغة تقترب من السرد الدرامي، وبالتالي هي ليست جرعة أكاديمية خالصة، لكنها في الوقت نفسه تلخيص لحدث قد نكون نسيناه، أو يكون مازال حاضرا في الذاكرة الجماعية.

واهتديت من البداية إلى أن أعطي الأفضلية في أن تغطي أحداث «ذات يوم» ما حدث في مصر والمنطقة العربية، فهذا تاريخنا الذي لابد أن نعرفه، وجرى الكثير من عمليات التجريف في سرده.

وفضلت التركيز على أحداث ليست معروفة، وأخرى شائعة لكن يتم المرور عليها مرور الكرام ،وبالطبع فإن هذا التفضيل وضعني أمام عملية بحث متواصلة في المراجع التاريخية والمذكرات السياسية وغيرها من الدراسات المعنية، وكثيرًا ما كنت أضع يدي على حكايات في الماضي، فأجدها موجودة في الحاضر، بأشخاص آخرين وتفاصيل مختلفة، لكن الجوهر واحد، ومن هنا اكتشفت أن «ذات يوم» تخاطب الحاضر بامتياز، على الرغم من أنها تتحدث عن حكايات تمت في الماضي، وأنها تترجم مقولة «بهاء طاهر»: «مصر بلد لا يموت التاريخ فيه»، غير أن هناك أشياء واجهتني في هذه المهمة أرى من الواجب الإشارة إليها.

في عملية «البحث التاريخي» للوصول إلى تاريخ كل حدث واجهتني صعوبات متعددة، فوقائع التاريخ موجودة في المراجع، غير أن الخلاف يأتي أحيانا حول توقيت حدوثها، فمن الممكن أن نرى الحدث الواحد يتم تدوينه في كتاب على أنه حدث في يوم محدد، في حين تتم روايته في كتاب آخر على أنه وقع في يوم مختلف، ورتب ذلك بالنسبة إليَّ جهدًا كبيرًا في البحث والتدقيق للخروج من هذا الاختلاف بطريقة آمنة والتوصل إلى التاريخ الصحيح.

وفي هذا السياق، اكتشفت كارثة الاعتماد على البحث في وسائل الاتصال الحديثة من مواقع إلكترونية مثل «جوجل» وغيره، فعدم إحالة الحدث إلى تاريخه الصحيح والمنضبط شائع إلى حد كبير على هذه المواقع، فالحدث الذي يكون تمامه مثلًا يوم كذا في شهر كذا في سنة كذا، قد نراه في تاريخ مختلف

تمامًا، وللأسف تقع القنوات الفضائية المهتمة بتقديم «حدث فى مثل هذا اليوم» فى هذا الخطأ، فترتب هى الأخرى كارثة إضافية.

وبقدر ما تُعد المذكرات التى يكتبها أصحابها الذين كان لهم فعل مؤثر فى مواقعهم، مصدرًا مهمًا فى كتابة التاريخ، فإن الشائع فيها أن وقائعها كلما استندت إلى الذاكرة كانت إحالتها إلى أيام محددة بتواريخ محددة مفقودة، ومن هنا تشيع حوادث تاريخية كثيرة في المذكرات دون تحديد تاريخها بدقة.

وعلى الرغم من هذه الصعوبات فإن غرقى فيها هو تجربة ممتعة فى عملية البحث التاريخى، وزادنى من الاستمتاع بها تشجيع أصوات كثيرة من سياسيين ومفكرين ومؤرخين وأدباء ومثقفين، والأهم من ذلك مواطنون عاديون تفاعلوا مع «ذات يوم» عبر اتصالات بجريدة «اليوم السابع»، ووصل التفاعل إلى درجة أننى تلقيت اتصالات تقترح حوادث تاريخية يسمع الناس عنها، ولا يعرفون تفاصيلها وحقيقتها الكاملة.

حدث ذلك وسط تشجيع قوى من الصديق الأستاذ خالد صلاح، رئيس تحرير «اليوم السابع»، الذى احتضن الفكرة منذ بدايتها بحماس كبير، ولم يدخر جهدًا فى تذليل كل الصعاب، ولهذا فهو أول من يستحق الشكر عن هذا العمل، بالإضافة إلى شكر أسرتى الصغيرة: زوجتى وأبنائى الذين يغفرون لى كثيرًا انصرافى عنهم أحيانًا كثيرة إلى مكتبتى فى بيتى من أجل البحث عن المادة الخاصة بـ«ذات يوم».

ويشمل الكتاب كل الحلقات التى نشرتها فى «اليوم السابع» عام ٢٠١٤، غير أننى قمت بإضافات على بعض الحلقات بعد أن رأيت أن الاقتصار على المساحة المتاحة فى النشر على صفحات الجريدة ليس كافيًا، وحتى أكون دقيقًا فى سردى لكل حدث وضعت اسم المراجع، التى اعتمدت عليها فى نسيج الكتابة، ومن يُرد الاستزادة فليعُد إليها.

ومن الضروري التنويه إلى أن التواريخ المتعلقة بحدث واحد سنجدها متفرقة، وقد تفصلها أيام وأسابيع وشهور، بمعنى أننا سنجد تاريخًا لحدث

من الحملة الفرنسية في شهر ما، ثم نجد تاريخًا عن «الحملة» أيضًا في شهر آخر وهكذا، لكن منهج الكتاب يقوم طبقًا لاختيار يوم الحدث، وليس وحدة الموضوع.

«ذات يوم» ليست تأريخًا بالمعنى الأكاديمى، فهذا أمر له أهله المتخصصون، لكنها سباحة لقراءتى فى التاريخ، فالتقطت منه بعضًا من ذخائره، وإذا كان هناك من قصور فى شىء فهو مسئوليتى.

سعيد الشحات

١ يناير عام ١٩٥٦
عَلَم السودان المستقلة عن مصر
يرفرف فى التاسعة صباحًا

«ليس أسعد فى تاريخ السودان وشعبه من اليوم الذى تتم فيه حريته ويستكمل فيه استقلاله، وتتهيأ له جميع مقومات الدولة ذات السيادة، ففى هذه اللحظة الساعة التاسعة تمامًا من اليوم الموافق أول يناير ١٩٥٦ ميلادية، ١٨ جمادى الآخرة سنة ١٢٧٥ هجرية، نعلن جمهورية السودان الأولى الديمقراطية المستقلة، ويرتفع علمها المثلث الألوان ليخفق على رقعته، وليكون رمزًا لسيادته وعزته، وإذا انتهى بهذا اليوم واجبنا فى كفاحنا التحريرى فقد بدأ واجبنا فى حماية الاستقلال وصيانة الحرية وبناء نهضتنا الشاملة، التى تستهدف خير الأمة ورفعة شأنها، ولا سبيل إلى ذلك إلا بنسيان الماضى وطرح المخاوف وعدم الثقة، وأن نواجه المستقبل كأبناء أمة واحدة».

تلك هى الكلمات التى استهل بها إسماعيل الأزهرى، رئيس الوزراء السودانى، خطابه أمام البرلمان السودانى فى مثل هذا اليوم عام ١٩٥٦، وفيما كان السودانيون يخرجون إلى الشوارع للتعبير عن فرحتهم بالاستقلال، كانت مصر بهذه الخطوة تودع سنوات طويلة من السيطرة المصرية الإنجليزية على السودان الذى كان اسمه من عام ١٨٩٩ «السودان الإنجليزى المصرى»، وفى خلال هذه الفترة كان الحكم فى حقيقته إنجليزيًّا خالصًا وليس ثنائيًّا،

حيث تختار إنجلترا الحاكم العام للسودان، وهو إنجليزى، ويأمر خديو مصر بتعيينه، وعلى الرغم من أن الاستقلال كان اختيارًا شعبيًّا سودانيًّا تم عبر استفتاء لتقرير المصير، فإن هناك فى مصر من لا يزال يرى أن ما حدث تفريط من جمال عبد الناصر وثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ لأحد الثوابت التى تمسكت بها الحركة الوطنية المصرية قبل الثورة.

فى صراع الثنائية المتضادة بين السودانيين الذين صمموا على استقلال بلادهم، وبين أطياف وطنية مصرية تمسكت بالوحدة، تقودك وقائع التاريخ إلى أن الاستقلال كان آتيًا لا محالة حتى لو طالت السنون، ففى عام ١٨٢٠ قام محمد على باشا، والى مصر، بحملة استمرت عامين انتهت بضم كل السودان الشمالى ماعدا دارفور، ثم قام الخديوِ إسماعيل باستكمال فتوحات جده فى السودان وضم المناطق الاستوائية حتى أوغندا بحلول عام ١٨٧٥، وقام «الزبير باشا ود رحمة» بغزو دارفور وضمها إلى أملاك الخديو.

وإذا كان الأمر قد تم على هذا النحو، فمن الطبيعى القول بأن اليوم الذى سيقول فيه السودانيون كلمتهم كان سيأتى، والوقوف ضده كان سيتم بمنطق «الفتح» من مصر مما يحتمُّ مقابلته بمقاومة سودانية.

ويقترب من هذا الرأى «صلاح سالم» عضو مجلس قيادة ثورة يوليو ١٩٥٢، الذى تولى ملف السودان بعد الثورة، حيث يقول فى مذكراته الصادرة عن «الهيئة العامة للكتاب- مصر»: «أمر الاتحاد بين السودان ومصر لم يكن فى يد مصر أو أية قوة فى العالم أن تقرره، لقد كان بيد السودان، وبيدهم وحدهم، أن يقرروا شكل الصلة بينهم وبين مصر».

٢ يناير عام ١٤٩٢
سقوط الأندلس وأبو عبد الله
يصف نفسه بـ«معدن العيوب وجبل الذنوب»

«لم يدخل الإسلام فى بلد وخرج منه إلا فى بلاد الأندلس»، تلك حقيقة لا يزال الباحثون حتى يومنا هذا يشغلهم سبب وقوعها.. فى الأسباب هناك من يرى أن طبيعة الحضارة الغربية لم تساعد على بقاء الإسلام فيها، وهناك من يرى مثل المفكر الجزائرى «مالك بن نبى» أن زوال الأندلس يعود إلى قابلية الاستعمار، بمعنى قبول الشعوب المسلمة نمط الاستعمار ثقافيًا وحضاريًا.. فى كل الأحوال تظل الحقيقة أن البلاد الفتية تحمل أسباب زوالها إن تحولت إلى حكم الطوائف.

فى مثل هذا اليوم من عام ١٤٩٢ قام السلطان أبو عبد الله محمد بتسليم غرناطة إلى «فرناندو» ملك «قشتالة»، ويروى الدكتور السيد محمود عبد العزيز سالم فى دراسة له بعنوان «السلطان أبوعبد الله» منشورة فى سلسلة كتاب الشعب- مصر ١٩٥٩ أن تقديم غرناطة أو التنازل عنها تم طبقًا لاتفاق تم إبرامه بين الاثنين يوم ٢٥ نوفمبر عام ١٤٩١.

وشمل الاتفاق سبعة وستين شرطًا، منها، تأمين الصغير والكبير فى النفس والأهل والمال، وإبقاء الناس فى أماكنهم ودُورهم وربوعهم وعقارهم، وإقامة شريعتهم على ما كانت عليه، ولا يحكم على أحد منهم إلا بشريعتهم، وأن تبقى المساجد كما كانت، وألا يدخل النصارى دار مسلم ولا يغصبوا أحدًا،

وأن يطلق سراح جميع أسرى المسلمين فى غرناطة، وخصوصًا بعض الأعيان، وألا يقهر مسلم على التنصرُّ، ومن تنصرَّ من المسلمين يوقف أياما حتى يقرر بنفسه، ولا يعاتب من قتل نصرانيًا أيام الحرب، ولا يؤخذ منه ما سلب من النصارى أيام العداء، وألا يكلف المسلم بضيافة أجناد النصارى، وألا تفرض على المسلمين ضرائب جديدة، وأن ترفع عنهم جميع المظالم والمغارم المحدثة، وأن يسير المسلم فى بلاد النصارى آمنًا فى نفسه وماله، ولا تجعل للمسلمين علامة كما هو الحال مع اليهود وأهل الدجن، ولا يمنع مؤذن ولا مُصلٍّ ولا صائم ولا غيره من أمور دينه، ومن ضحك من النصارى استهزاءً يعاقب.

أما الشروط الخاصة بسلطان غرناطة، فشملت مغادرته لها إلى منطقة «البشرات» وخضوعه لملك قشتالة الذى اشترط أن يتسلم ٥٠٠ من أعيان المدينة كرهائن، خشية الغدر بجيشه وقت دخوله إليها.

تُليت هذه الشروط على أهل غرناطة، فعم الحزن واليأس قلوب الناس، وضجوا بالبكاء والنحيب، ودخلتها جيوش قشتالة يتقدمها موكب دينى، ودقت الكنائس أجراسها معلنة سقوط المدينة، وسقوط دولة الأندلس بعد حكم دام ٨٠٠ عام، ونُكثت هذه الشروط بعد سنوات قليلة، وتم تنصير مسلمين بالإرهاب والتعذيب وعرفوا باسم «الموريسكيين»، ومن بقى على إسلامه تعرض للقتل وأُخذت النساء سبايا.

انطوت بسقوط غرناطة آخر صفحة من تاريخ الأندلس المجيد، غادر «أبو عبد الله» مدينته وقصره ومعه أفراد أسرته وبعض حاشيته، كان موكبه حزينًا صامتًا، ونكس أفراده رءوسهم وأرسلوا دموعهم، وقبل أن يغادر باب المدينة ضج بالبكاء، فقالت له أمه قولتها الشهيرة: «ابكِ كالنساء مُلكًا مضاعًا لم تحافظ عليه كالرجال»، لم يتحمل العيش فى «البشرات» أكثر من عام، فكتب إلى سلطان فاس «أبى عبد الله محمد الشيخ» مستجيرًا فى بكائية طويلة: «لا أنكر عيوبى فأنا معدن العيوب، ولا أجحد ذنوبى فأنا جبل الذنوب، وقعنا فى أوجال وأوحال، فثُل عرشنا، وطويت فرشنا، ونكس لوانا، ومُلُك مثوانا».

سمح له سلطان فاس بالانتقال إليها، وفيها ظل يستعيد ذكريات غرناطة، فجسدها في بناء قصور على غرار قصوره في غرناطة، ومات عام ٩٤٠ ميلادية تاركًا ولديه يوسف وأحمد، وحسب قول سالم: «عَـدَت على أخفاده وذريته عوادى الدهر، فعاشوا يستجدون الناس».

٣ يناير عام ١٨٨١
بدء الأهرام اليومى
والصحافة لم تعد مهنة «دنيئة»

« نتعهد بعدم الخوض فى «الشئون البولوتيكية».. بالطبع فإن المقصود بهذا العهد هو عدم الخوض فى السياسة.

كان هذا هو العهد الذى قطعه الأَخَوان «سليم وبشارة تقلا» على نفسيهما حين قررا إصدار جريدة الأهرام من الإسكندرية، التى بدأت يوم ٥ أغسطس عام ١٨٧٦، وكانت تصدر كل يوم سبت، وبعد ٥ سنوات من صدورها وفى مثل هذا اليوم (٣ يناير عام ١٨٨١) تحولت إلى جريدة يومية من مقرها فى ميدان القناصل أمام بنك «الرهونات» بالإسكندرية، وظلت فى «عروس البحر المتوسط» حتى كان يوم ٣ نوفمبر عام ١٩٠٠ لتنتقل إلى القاهرة فى شارع مظلوم، ثم إلى مقرها الحالى فى شارع الجلاء منذ يوم ١ نوفمبر عام ١٩٦٨.

بالطبع لم يصمد عهد الأخوين «تقلا» بعدم الخوض فى «البولوتيكا»، غير أن السؤال: لماذا كانت الأهرام من الإسكندرية؟ ولماذا كان مؤسساها من «الشوام»؟ وما النكهة الصحفية التى حملتها هذه الصحيفة التى تحولت فيما بعد إلى صحيفة كبرى فى المنطقة العربية؟

يمكن القول بأن عهد الخديو إسماعيل باشا الذى أعطى الرخصة لجريدة الأهرام، كان الميلاد الحقيقى للصحافة المصرية، وللصحافة المملوكة للأفراد، ووصل عدد الصحف الصادرة فى عهده ٤٠ صحيفة بمختلف اللغات؛ منها ٢٣ باللغة العربية.

وطبقًا لما يذكره الدكتور لويس عوض فى كتابه «تاريخ الفكر المصرى الحديث من عهد إسماعيل حتى ثورة ١٩١٩»: «كانت هجرة عدد كبير من المثقفين والكُتّاب والفنانين الشوام إلى مصر نتيجة للمذابح الدينية التى دبرها «الباب العالى العثمانى» فى لبنان وسوريا عام ١٨٦٠ سببًا فى ازدهار الصحافة فى مصر، حيث تبنى «إسماعيل» هؤلاء اللاجئين كجزء من سياسته العامة فى مناوأة الباب العالى والتعبير عن استقلال الإرادة المصرية، وفى هذا السياق أُنشئت جريدة الأهرام، وأدى نشوب الحرب بين روسيا وتركيا إلى انقسام الصحافة بين مؤيد لـ«الباب العالى» صاحب السيادة الرسمية على مصر، وفريق يجاهر بالعداء له وكانت جريدة «الأهرام» من هؤلاء.

وعلى الرغم من أن «القاهرة» هى العاصمة فإن «الشوام» فضلوا الهجرة إلى الإسكندرية؛ لأنها كانت مركزًا تجاريًا مهمًا على البحر المتوسط، وتعج بالأجانب خاصة الأوربيين، وهو ما جعلها مدينة عالمية «الكوزموبوليتانية»، وبوجود «الشوام» فيها جاءت صحيفة الأهرام التى اهتمت فى بدايتها بالعالم أكثر من اهتمامها بمصر.

ليس من الطبيعى أن نقيس ما كانت عليه الصحافة وقت بداية «الأهرام» بتقدم الفن الصحفى الآن، وعلى الرغم من ذلك استحدثت فن الحوار الصحفى، ففى عام ١٨٩٧ أجرى بشارة تقلا حوارًا صحفيًا مع الخديو إسماعيل، وكانت قيمته الكبرى فى أنه غيّر النظرة إلى الصحافة بوصفها مهنة «دنيئة»، لكن هذه الخطوة لم تمنع مثلًا أن تظل الجريدة بلا صور للمصادر، ولذلك اعتُبر العدد ١٥٢ عددًا فريدًا إذ خرج وعلى صفحاته صورة كبيرة للخديو توفيق، ولم يتكرر ذلك إلا بعد عامين بعد أن تم كسر قاعدة أن نشر الصورة يخرج الجريدة عن وقارها.

٤ يناير عام ١٩٥٤
طرد السفير التركى من القاهرة
بعد وصفه لمصر بـ«البلد القذر»

«تصرفاتكم ليست تصرفات جنتلمان، ولن تكون هناك أى صداقة بيننا وبينكم»، وجه هذه العبارة السفير التركى فى مصر «فؤاد طوغاى» إلى جمال عبد الناصر، نائب رئيس مجلس الوزراء، وذلك أثناء افتتاح وزارة الإرشاد القومى لموسم دار الأوبرا، فقررت الحكومة المصرية طرد «طوغاى» من القاهرة فى مثل هذا اليوم «٤ يناير ١٩٥٤»، بعد رفع الحصانة الدبلوماسية عنه واعتباره شخصًا عاديًا.

أوردت صحيفة الأهرام القصة كاملة فى عددها الصادر يوم «٥ يناير ١٩٥٤»، وأفردتها على ٨ أعمدة فى الصفحة الأولى، وأرجعت الطرد إلى حملات «طوغاى» المستمرة على ساسة قادة ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢، وتوجيهه ألفاظا نابية إلى جمال عبد الناصر، وكان وقتها نائب رئيس الوزراء فى حكومة يترأسها اللواء محمد نجيب.

ذكرت «الأهرام» أن قرار طرد «طوغاى» تم اتخاذه فى اجتماع لمجلس الوزراء يوم ٢ يناير، وشرحت تفاصيل ما حدث، قائلة: «إنه لمناسبة افتتاح وزارة الإرشاد لموسم دار الأوبرا، دخل البكباشى جمال عبد الناصر فصافح السفير الهندى، ثم أبصر السيد طوغاى فى أحد أركان الغرفة، فحيّاه: «هالو»، لكن «طوغاى» بدلا من رد التحية، وجه إلى البكباشى جمال بصوت عالٍ،

عبارات أقل ما توصف به أنها لا يمكن أن تصدر من شخص مسئول، فضلا عن ممثل دبلوماسى مفروض فيه الكياسة التامة فى الحديث، وأول واجباته التزام الحدود».

وذكرت «الأهرام»: «السفير قال لجمال عبد الناصر: «تصرفاتكم ليست تصرفات جنتلمان، ولن تكون هناك أية صداقة بيننا وبينكم»، فلم يشأ عبد الناصر الرد عليه، بل اكتفى بأن أدار ظهره فى هدوء، وواصل حديثه مع سفير الهند ووزير السويد المفوض»، وكشفت «الأهرام» أن «طوغاى» لم يكتفِ بذلك، بل زاد بوصف لمصر بأنها «بلد قذر» أيضا، فاحتدمت الأحوال وتوترت أكثر .

أخذت المسألة بعدًا شعبيًا، وفى دلالات الغضب الشعبى على ما حدث من «طوغاى»، نشرت «الأهرام» أن مواطنًا مصريًا بعث برقية إلى «السفير» الطريد يطالبه فيها بمبارزته ردا على الألفاظ النابية التى وجِّهت إلى مصر ورجال الحكومة فيها، وفى نفس العدد الذى نقل رسالة المواطن المصرى، كتب الكاتب الصحفى «أحمد الصاوى محمد» مقالا يقارن فيه بين مصر وتركيا قائلا: «نظرة واحدة على شوارع إسطنبول وأنقرة حيث البؤس والفقر المُدقِع لتدلك على الفرق الشاسع بين ما بلغته مصر فى سنوات قليلة، وما لا تزال ترزح تحته تركيا من أثر التعصب والجمود والفاقة»، ووصف «الصاوى» الدبلوماسية التركية بـ«الكسيحة العرجاء»، و«الدبلوماسية التى تجهل الدبلوماسية».

تداخلت العوامل السياسية بالشخصية كأسباب لما فعله «طوغاى»، وفى الجانب الشخصى كان هو زوجًا للأميرة «أمينة مختار» حفيدة الخديو إسماعيل، وابنة الأميرة نعمت الله أخت الملك فؤاد، وعمة الملك فاروق، أى كان صهر العائلة المالكة التى اقتلعتها ثورة يوليو من حكم مصر، وكان يعيش فى القاهرة بقصر حماته على مساحة ٢٢ ألف فدان فى منطقة المرج.

٥ يناير عام ١٨٥٦
الفرمان الثانى لحفر القناة
وأربعة أخماس العمال من المصريين بالسُّخْرة

أوكل محمد على باشا والى مصر منذ عام ١٨٠٥ إلى الفرنسى «ديليسبس» مهمة تدريب ابنه سعيد على ركوب الخيل، وممارسة الرياضة حتى ينقص وزنه، فكانت النتيجة حصول ديليسبس من سعيد على حق حفر قناة السويس.

فى رحلة من الإسكندرية إلى القاهرة، وحسب المجلد الثانى من «مواقف حاسمة فى تاريخ القومية العربية» لـ«محمد صبيح»: صحب «الخديو» صديقه «الفرنسى» الذى استعرض أمامه بعض ألعاب الخيل، وفى الطريق استراح الركب، فسرح «سعيد» بخياله مع ضوء القمر، وبينما هو على هذه الحال عرض عليه ديليسبس مشروع حفر القناة».

كانت أقوى وسيلة إقناع لـ«سعيد» ابن الـ(٣٢ عامًا) هى: «الفوائد التى ستعود عليك سيدى الوالى كثيرة، سيدر عليك المشروع أموالا لا تعرف كيف تنفقها»، كان حديث المال تحديدًا هو الأكثر جاذبية لـ«سعيد»، وتحت تأثيره قال: «نعطيكم الموافقة على الحفر».

كان ذلك فى شهر نوفمبر عام ١٩٥٤، وفى اليوم الـ٣٠ منه وقّع سعيد فرمان التنفيذ، واستهل بمدخل جاء فيه: «حيث إن صديقنا مسيو فرديناند

ديليسبس قد لفت نظرنا إلى الفوائد التى قد تعود على مصر من توصيل البحر المتوسط بالبحر الأحمر بوساطة طريق ملاحى للبواخر الكبرى، فقد أعطيناه تفويضًا خاصًا لإنشاء وإدارة شركة عالمية لحفر برزخ السويس واستغلال قناة بين البحرين، وله أن يباشر أو يسند إلى غيره جميع الأشغال والمبانى اللازمة لذلك».

فى كتاب «قناة السويس ومشكلاتها المعاصرة» للدكتور مصطفى الحفناوى، وهو الرجل الذى استعان به وبكتابه جمال عبد الناصر عند صدور قراره بتأميم القناة يوم ٢٣ يوليو عام ١٩٥٦، يقول الحفناوى: «إنه لمن أسباب الألم ودواعى الحسرة أنه أُجيز لرجل مثل سعيد باشا، أن يتصرف فى مصير أجيال متلاحقة من مواطنيه على ذلك النحو المهين، لأنه أراد أن يحابى صديق صباه، ورجلا أفاقًا استطاع أن يتسلط على هواه، لما كان فتىً ناشئًا، بل استطاع أن ينتزع منه رضاه وتوقيعه لعقد الامتياز الذى فنيت جهود أوروبا بملوكها وساستها ودهاتها، بل قواتها المسلحة دون أن تحصل عليه، وذلك لأمر تافه رواه ديليسبس فى كتابه لحياته، وهو أنه استهوى الوالى وبطانته بألعاب بهلوانية فوق صهوة جواده».

وفى مثل هذا اليوم (٥ يناير عام ١٨٥٦) صدر فرمان ثانٍ كان له أكبر الأثر فى مشروع الحفر، حيث نص على أن يكون قوام الحفر أربعة أخماس من العمال المصريين، وهو ما عرف بالسخرة، وتعهدت الحكومة ببذل مساعداتها للشركة، وتكليف جميع دوائر المصالح أن تمد الشركة بالمساعدات.

بمقتضى الفرمان الثانى بدأ العمل فى المشروع يوم ٢٥ أبريل عام ١٩٥٩، فى موقع بورسعيد الحالى برفع العلم المصرى، وألقى ديليسبس كلمة، وبعد الانتهاء منها أمسك بمعول وضرب به الأرض فى إحدى الحفر وكان ذلك إيذانا ببدء الحفر، ويقول أمين سامى فى «تقويم النيل»: «فى ٢١ رمضان سنة ١٢٧٥ هجرية بُدئ فى حفر قناة السويس ابتداء من بورسعيد، وأعدت الحكومة المصرية ٢٧ ألفًا بدون أجر لهذا العمل، وأما عدد الشغالة الموجودين والمستخدمين فبلغ ٥ آلاف تقريبًا».

٦ يناير عام ١٩٨٦
موت سليمان خاطر فى السجن
بعد قتله وإصابة ٧ جنود إسرائيليين

كانت الحركة الوطنية المصرية المناهضة للتطبيع مع إسرائيل، تبحث منذ ولادتها بعد استئناف العلاقات الدبلوماسية بين القاهرة وتل أبيب يوم ٢٦ يناير ١٩٨٠، عن مَدَد يزيدها حركة وتأثيرًا شعبيًّا حتى جاءها خبر وفاة سليمان خاطر فى مثل هذا اليوم من ٦ يناير عام ١٩٨٦، ومن قبله عمليته الجريئة بقتل وإصابة ٧ جنود إسرائيليين، تسللوا إلى نقطة كان مرابطًا فيها يوم ٥ أكتوبر عام ١٩٨٥.

كانت عملية سليمان خاطر بمثابة الرد العملى على اختصار الرئيس أنور السادات بأن رفض العلاقة الشعبية للمصريين مع إسرائيل يعود إلى ما سماه «الحاجز النفسى»، فخمس سنوات مضت على بدء العلاقات، لكن ما قام به «سليمان» كان تعبيرا عن أن القضية أعمق بكثير من مفهوم «الحاجز النفسى»، فـ«سليمان» كان جنديا وقتها فى الأمن المركزى على الحدود، وكان فى الوقت نفسه طالبًا متسبًا فى كلية الحقوق بجامعة الزقازيق، والأهم أنه شاهد وهو طفل اعتداء إسرائيل الوحشى بالطائرات على مدرسة بحر البقر الابتدائية يوم ٨ أبريل عام ١٩٧٠ الذى أدى إلى نسف المدرسة وقتل ٣٠ طفلا أثناء تلقّيهم دروسهم.

كان بيت «سليمان» فى قرية إكياد بمحافظة الشرقية يفصله عن المدرسة أمتارٌ قليلة، وذهب مسرعا إلى موقع الجريمة ليرى هول ما حدث.

المؤكد أن جريمة «بحر البقر» شكلت وجدان «سليمان»، وحضرت معه كلما وقف فى خدمته «العسكرية» ويشاهد الإسرائيليين، وكانت تلك ورقة استخدمتها هيئة الدفاع عنه أمام المحكمة العسكرية التى حاكمته وقضت بسجنه ٢٥ عامًا.

أشاعت الصحف المصرية الرسمية فور تنفيذ «سليمان» عمليته بأنه يعانى «خلل نفسى»، وتلك كانت عادة متبعة وقتها فى مثل هذه القضايا، يقابلها سخرية المصريين، خاصة أنها قيلت عن «سعد إدريس حلاوة» الذى دخل فى اعتصام مسلح بقريته أجهور الكبرى محافظة القليوبية، احتجاجا على بدء العلاقات مع إسرائيل، كما كانت أقوال سليمان فى التحقيقات نموذجا على وطنية شاب عاقل ناضج، فحين سأله المحقق: «لماذا يا سليمان تصر على تعمير سلاحك؟»، أجاب فى بساطة: «لأن اللى يحب سلاحه يحب وطنه، ودى حاجة معروفة، واللى يهمل سلاحه يهمل وطنه»، ولما سأله: «بماذا تبرر حفظ رقم سلاحك؟»، أجاب: «لأنى بحبه زى كلمة مصر تماما».

بعد أيام من الحكم على «سليمان»، فوجئ المصريون بخبر وفاته، وحسب الرواية الرسمية أنه انتحر بشنق نفسه على نافذة ترتفع عن الأرض بثلاثة أمتار باستخدامه «البطاطين»، ولاقت هذه الرواية تشكيكًا ممن شاهدوا الجثة قائلين إن بها آثار خنق بآلة تشبه سلكا رفيعا، وكدمات على الساق تشبه آثار جرجرة أو ضرب، وطلبت أسرته إعادة تشريح الجثة عبر لجنة طبية محايدة، وقوبل طلبها بالرفض.

اشتعلت جامعات مصر خاصة فى عين شمس والقاهرة والزقازيق بالمظاهرات، احتجاجًا على ما حدث، ونزلت شخصيات سياسية كبيرة فى المظاهرات أمام جامعة القاهرة يتقدمهم فتحى رضوان، إبراهيم شكرى، الدكتور خالد جمال عبد الناصر، حمدين صباحى، كمال أبو عيطة، أمين إسكندر، عزازى على عزازى، وآخرون.. وحتى الآن يُعد موت سليمان خاطر مفتوحًا على روايتين، رسمية هى انتحاره، وأخرى شعبية هى قتله.

٧ يناير عام ١٨٩٢
وفاة «الخديو توفيق»
ووالده إسماعيل يتلقى الخبر ببرود

أصيب الخديو توفيق بنزلة برد استمرت ثمانية أيام، واشتدت وطأة الحمى عليه يوم ٦ يناير، وعانى فيها الأرق وضيق التنفس، وأصيب باحتباس فى البول لمدة يومين أدى إلى وفاته بالتسمم فى مثل هذا اليوم (٧ يناير عام ١٨٩٢)، بعد فترة حكم استمرت ١٣ عامًا.

حدثت الوفاة فى حلوان حيث يقيم، ويقول «أحمد شفيق باشا»، رئيس الديوان للخديو عباس حلمى الثانى فى الجزء الأول من مذكراته «مذكراتى فى نصف قرن» الصادرة عن «قصور الثقافة، القاهرة»: «وصل النعش محطة قطار باب اللوق إلى سراى عابدين، وتقرر أن تكون الجنازة بالملابس الرسمية، وضم موكب جنازته النظار وممثلى الدول والعلماء والأمراء والرؤساء الروحانيين، وكثيرًا من وفود الأقاليم والجموع الكثيرة من الشعب، وجماعة الماسونيين؛ لأن المتوفىّ كان ماسونيًّا».

وفيها يتحدث «شفيق» عن أن موت توفيق البالغ من العمر ٤٠ عامًا أدى إلى «الحزن العميق بين الطبقات» و«لبست البلاد كلها ثوب الحداد وحزن الشعب كله على أمير كان يحبه» ويتحدث عنه بوصفه حاكمًا وطنيًّا عادلاً، يصفه «أحمد عرابى» فى مذكراته بـ«الخائن»، ويقول محمد عودة فى كتابه «ليبراليون وشموليون وقصة الديمقراطية والحزبية فى مصر» الصادر عن «دار

الهلال، القاهرة»: «لم يبالِ أحد بنهاية حكمه ولم يذرف أحد من أسرته أو من شعبه دمعة حزن عليه»، ويضيف عودة أن والده «إسماعيل» الذى كان يعيش فى إسطنبول بتركيا بعد عزله، تلقى خبر وفاته ببرود وصمت، فهو الذى قال عنه: «أمير يحمل نفسية العبد ويفتقر إلى العقل والقلب والشجاعة، وكان يتآمر مع القناصل ضدى، رغم أننى امتهنت نفسى وركعت تحت أقدام السلطان العثمانى وملأت جيوبه بالذهب لكى أغير قانون الوراثة حتى يصبح «خديو» من بعدى».

وينقل «عودة» فى «ليبراليون وشموليون» آراء ذكرتها الصحف البريطانية فيه، ومنها صحيفة «ڤارايتى»: «كان كائنا أليفا لطيفا محدود المواهب دائم الشك فى كل شىء وكل أحد، ويفتقد الثقة فى نفسه، وكل ما كان يعرفه وما يقتنع به عن يقين أنه لا بقاء له على العرش الذى يجلس عليه إلا فى حماية بريطانيا».

وكتبت «المانشستر جارديان»: «يكفى أن يطوف الزائر بمصر أسبوعا واحدا متجولا فى أرجائها، لكى يدرك أن أبغض شخصية إلى الأهالى وأحقرها هو الخديو، وهناك إجماع على ذلك من كل الفئات والطبقات، وأقرب شخصية إليه هى مشعوذة يبدأ يومه بالاستماع إلى تنبؤاتها، وذلك قبل أن يتلقى تقارير الجواسيس الذين يستقبلهم كل صباح، وليس للخديو من يعتمد عليه فى مصر سوى بريطانيا»، وقالت صحيفة «الكرونيكل»: «لم يكن أكثر من دُمْية مطيعة فى يد بريطانيا، استمر بوسيلة وحيدة فقط هى قدرته الخارقة على الدس والتآمر».

وكتب المستر بيمان من كبار موظفى الوكالة البريطانية فى مصر قائلا فى رثائه: «لا يكره المصريون أحدا ويمقتون ويحقدون عليه مثل توفيق، بل إنهم أكثر كراهية له من كراهيتهم لنا، لأنه هو الذى جاء بالاحتلال وخان شعبه وبلاده».

كان هو الابن الأكبر لـ«إسماعيل» وأمه الجارية لوالده «نور هانم شفق» ولم يعترف بها زوجة شرعية إلا قرب الاحتفال بافتتاح قناة السويس، فبسطت سلطتها على القصر بالتآمر، وهى التى أوحت لابنها بأن يمنع كل إخوته غير الأشقاء حسين وحسن وإبراهيم من العودة إلى مصر.

٨ يناير عام ١٨٩٢
العلماء يرفعون سن البرنس
«عباس حلمى» إلى ١٨ عامًا ليحكم مصر

تسلم البرنس عباس حلمى ابن الخديو توفيق رسالة عاجلة من الحكومة: «احضر فورًا على أول باخرة».

كان هو فى العاصمة النمساوية فيينا يتلقى تعليمه، بينما تشهد القاهرة تشييع جنازة والده فى مثل هذا اليوم (٨ يناير ١٨٩٢)، وبوفاته أصبحت مصر بلا حاكم، وتوجهت الأنظار إلى «عباس»، فهو أكبر أبناء «توفيق» لكن كانت هناك مشكلة وهى أن عمره ١٧ عاما وبضعة شهور ميلادية، أى لم يبلغ الـ ١٨ عامًا، وهى السن القانونية لمن يشغل منصب الخديو، فكيف تم العبور فوق هذا الحائل؟

يروى «أحمد شفيق باشا» فى مذكراته الصادرة عن «قصور الثقافة، القاهرة» القصة من بدايتها، ففى أول يناير اشتدت وطأة المرض على توفيق، فاجتمع السير أفلين بارنج، عميد الاحتلال الإنجليزى فى مصر، ومصطفى فهمى باشا رئيس النظار «الوزراء»، وتيجران باشا، ناظر الخارجية، والسير ألوين بالمر، المستشار المالى، وتباحثوا فيما يجب اتخاذه عند وفاة الخديو، واتفقوا على وجوب إعلان الأمة المصرية والسلطان فى الحال بارتقاء البرنس عباس (ولى العهد الشرعى)، خشية تدخل السلطان العثمانى فى الأمر.

على أثر تشييع جنازة توفيق اجتمع النظار ومعهم «بارنج»، وبحثوا فى مسألة أن البرنس عباس لم يبلغ من العمر ١٨ عامًا، وبناء عليه، هل يصلح للحكم بنفسه، أم يجب تعيين نائب له؟

تناقش الجميع فى المشكلة، وكان الحل عند العلماء، والعلماء هم رجال الدين، قالوا: التاريخ الهجرى هو الذى يجب أن تعمل به البلاد، فمصر إسلامية، والتاريخ الهجرى هو التقويم الصحيح لها، وبمتابعة سن عباس بهذا التقويم سيكون بلغ الـ ١٨ عاما، ليس هذا فحسب بل إنه سبق أن تم الإعلان عن بلوغ عباس سن الرشد فى يوم ١٤ يونيه١٨٩١، واحتفلت مصر بهذا اليوم.

أخرج هذا الحل الجميع من المشكلة، وترتب عليه أن البرنس عباس سيكون حاكما كامل الأهلية، ولن يحتاج إلى نائب لفترة مؤقتة، وبناء على ذلك أرسلت الحكومة إليه رسالتها: «أحضر إلى مصر على أول باخرة».

فى الساعات الأولى من صباح يوم ١٦ يناير، وصل إلى ميناء الإسكندرية اليخت «فرديناند مكسيميليان» الذى أمر إمبراطور النمسا فرنسوا جوزيف بإعداده لنقل الخديو ومعه شقيقه البرنس محمد على وأستاذه فى الحقوق المسيو روليه، وزميله فى المدرسة اسمه «فليشهيكر».

استقبله عمه البرنس حسين كامل باشا والنظار والعلماء وقاضى مصر والمفتى وقائد جيش الاحتلال وقناصل الدول، ويقول شفيق: «كان الشعب السكندرى يحتشد أفواجا على جانبى الطريق وفى شرفات المنازل من رأس التين إلى المحطة، والزينات عامة على شرفات المنازل والحوانيت والمساجد ودوائر الحكومة وسواها، وفى الساعة العاشرة استقل سموه القطار فى طريقه إلى القاهرة التى وصلها فى الساعة الثانية بعد الظهر، وطوال الرحلة من القاهرة إلى الإسكندرية احتشد الأهالى فى كل المحطات التى وقف بها القطار يهتفون ويهللون للخديو الصغير الوسيم، ويقول محمد عودة فى كتابه «ليبراليون وشموليون وقصة الديمقراطية والحزبية فى مصر»: «أعلن الخديو الجديد لرجال حاشيته أنه لم يعرف بلده أو شعبه، وقضى طفولته فى القصر،

ولما شب عن الطَّوْق سافر ليدرس فى الخارج، ولهذا يريد أن يتعرف على الشعب بكل طبقاته وفئاته بلا استثناء، وأعلن أنه سيفتح أبواب القصر لكل المواطنين من أصغرهم إلى أكبرهم، ويلتقى بهم ويدعوهم إلى مائدته ويسمع منهم مباشرة».

٩ يناير عام ١٩٦٠
٣٩ جنيهًا وليرة سورية ودرهم مغربى
فى أساس السد العالى

«الحمد لله، هذا هو السد العالى الذى دارت من حوله المعارك، وحارب من أجله الأبطال، ليحققوا الأمل ولم ترهبهم النار والحديد، ولم يفعلوا ذلك كله لمجرد استخلاص مليون أو مليونَىْ فدان من براثن الصحراء، ولا لمجرد الحصول على عشرة ملايين كيلووات من الكهرباء فحسب، إنما تحقيقا لإرادتهم المستقلة التى انتزعوها انتزاعا من قبضة الطغيان والاحتلال والاستبداد والسيطرة».

ألقى جمال عبد الناصر هذه الكلمات فى مثل هذا اليوم ٩ يناير عام ١٩٦٠ فى خطابه بأسوان، احتفالا بوضع حجر أساس «السد» الذى خاضت مصر من أجله حربا شرسة، بدأت برفض أمريكا والبنك الدولى تمويله، فرد عبد الناصر بتأميم قناة السويس، فتحالفت بريطانيا وفرنسا وإسرائيل وشنوا العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦.

كان الاحتفال بوضع حجر الأساس مهيبًا حضره العاهل المغربى الملك محمد الخامس، ووفد سوفيتى برئاسة وزير القوى المحركة، ونائب عبد الناصر السورى شكرى القوتلى، حيث كانت وحدة مصر وسوريا قائمة باسم «الجمهورية العربية المتحدة».

فى الفيلم التسجيلى عن الافتتاح، يستوقفك تلقائية أفراح آلاف المحتشدين على جانبى الطريق الذى سارت عليه سيارة عبد الناصر وضيوفه، يتقدمها موتوسيكل واحد بلا قيود أمنية، أو ضجيج حراسة، فكلاهما خارج المشهد تماما.

كان يوجد ست فتحات عميقة تشبه الأنفاق فى الجبل القريب من منطقة «خوركوندى» وملأ المهندسون الفتحات بتسعة أطنان متفجرات، ومد عبد الناصر يده ومعه يد محمد الخامس، ولما لاحظ عبد الناصر أن شكرى القوتلى فى الخلف، جذبه من يده ليضغطوا الثلاثة على زر التفجير، فتزلزل الجبل وتطاير نحو ٢٠ ألف طن من الصخور.

ويذكر كتاب «السد العالى- هرم الإرادة المصرية»، الصادر عن قصور الثقافة، القاهرة لـ«محمد الشافعى ومحمد يوسف»: «احتوى حجر الأساس على صندوق خشبى بداخله مصحف شريف، ولائحة الهيئة العامة لبناء السد العالى، والصحف العربية الصادرة فى نفس اليوم، إلى جانب ٣٩ جنيهًا و٢٤ قرشًا كانت فى جيب عبد الناصر، وعُمْلة مغربية واحدة كانت فى جيب محمد الخامس وعملة سورية وضعها شكرى القوتلى».

بعد وضع حجر الأساس، انتقل الجميع إلى سرادق كبير فيه نموذج مجسم لمشروع السد، ووسط حضور العمال تحدث الدكتور حسن عباس زكى، رئيس لجنة بناء السد العالى، عن محطة كهرباء السد بوصفها الكبرى فى العالم، فسأله عبد الناصر: «هل هى الكبرى على الإطلاق؟»، فرد: «هى أكبر محطة تحت الأرض»، فسأله عبد الناصر: «أليس فى العالم محطة أخرى إنتاجها أكبر؟»، فقال: «محطة كنيهات فى كندا هى الكبرى وقوتها ١,١ مليون كيلووات، أما محطة السد فقوتها ٢,٢ مليون»، ثم تحدث زكى عن بحيرة ناصر قائلا: «ستكون أكبر بحيرة صناعية فى العالم، وأرجو من سيادتكم الموافقة على تسميتها بـ«بحيرة ناصر»، فأسرع الملك محمد الخامس بالقول: «هذا أقل واجب».

وفى يوم ١١ يناير، وطبقا لكتاب «السد العالى- هرم الإرادة المصرية»، استقل عبد الناصر طائرة هليكوبتر وطار فى جولة فوق بلاد النوبة، حيث شاهد البلاد والأراضى التى ستغمرها مياه السد العالى، وما يحيط بها من جبال وصحارى تمتد إلى مئات الكيلومترات، وبعد هذه الجولة الجوية هبطت الطائرة فى إحدى المناطق النائية بالنوبة، وقام وفد من مختلف البلاد والقرى النوبية باستقباله، وكان استقبالا حافلا، وطمأن عبد الناصر النوبيين، وقال لهم إن السد العالى لن يعطى الخيرات لسكان الشمال ويحرم سكان الجنوب منها، إنما السد العالى للجميع، ولم شمل أبناء النوبة سيقوم على أسس صحيحة يتطلبها مجتمع قوى سليم.

١٠ يناير عام ١٩٠٤
رفض استقالة محمد عبده
والشيوخ يهاجمونه فى فتوى لبس البرنيطة

وافق الخديو عباس حلمى الثانى على نصح الشيخ محمد عبده بإصلاح الأزهر، وفوض «الشيخ» بالسير فى حركة الإصلاح، معتقدًا، حسب مذكرات «أحمد شفيق باشا» الصادرة عن قصور الثقافة، القاهرة، أن الشيخ فى مقابل ذلك لن يعارضه فى تصرفاته ورغباته، لكن الخديو خاب ظنه، فتوترت العلاقة بينهما، ويرصد «شفيق» بداية التوتر، قائلا:

« انحلت كسوة من الدرجة الأولى من «كساوى» التشريف العلمية بموت أحد كبار العلماء، فأرسل الخديو لشيخ الأزهر يبلغه أمر سموه الشفوى، بتوجيه هذه الكسوة إلى الشيخ محمد راشد مفتى المعيَّة، فلم ينفذ الأمر وأُسندت الكسوة إلى شخص آخر، فلما اجتمع العلماء عند سموه فى التشريفات نصف الشهرية، قال الخديو لشيخ الأزهر غاضبا: «ألم آمرك بتوجيه كسوة فلان إلى فلان؟ فتلعثم شيخ الأزهر معتذرا، ولم يستطع الرد.

رد الشيخ محمد عبده (كان مفتيًا وعضو مجلس إدارة الأزهر): «الذى قرره مجلس إدارة الأزهر إنما هو التنفيذ لأمر أفندينا، وهو ما نص عليه القانون المتوَّج باسم سموكم، وأما الأوامر الشفوية فلا يعتمد عليها المجلس، فإذا شاء أفندينا أن تكون «كساوى» التشريف العلمية بمقتضى إرادته الشخصية فليصدر قانونا آخر ينسخ الحالى، أو مادة قانونية نصها: كساوى التشريف للعلماء توجه بأمر منا».

احمر وجه الخديو،واستدعى شفيق ليسأله محتدًّا: «تعرف إيه اللى حصل النهارده؟»، ثم أخبره بما حصل ملوحا بالانتقام، ويرصد شفيق وساطته بين الطرفين ودسائس الخديو ضد الشيخ، ويقول إن محمد عبده رأى تقديم استقالته إراحة لخاطر الخديو، وذهب إليه فى مثل هذا اليوم (١٠ يناير ١٩٠٤) بالمنتزة فى الإسكندرية وقدم استقالته فرفضها الخديو، لكنه نفذ خطة ضده يتحدث عنها شفيق قائلا: «أثار الخديو على الشيخ جريدتى اللواء والظاهر، وعلى الأخص فى فتوى صدرت منه ردا على سؤالين من بعض مسلمى الترنسفال؛ وهما:

١ - بقر يضرب على رأسه بالبلطة حتى تضعف مقاومته ثم يذبح قبل أن يموت بدون تسمية.. هل يجوز أكل لحمه؟

٢ - يوجد أفراد فى هذه البلاد (الترنسفال) يلبسون البرانيط لقضاء مصالحهم وعود الفوائد إليهم، فهل يجوز ذلك أم لا ؟».

أفتى محمد عبده بالإباحة فى الحالتين، لكن، وكما يقول «شفيق»: «قام العلماء وقعدوا بخصوص الفتوى الأولى على الأخص، وقالوا إنه لا يجوز أكل لحوم هذه الأبقار لأنها موقوذة، وطعنوا على الشيخ، فرد عليهم بأن الموقوذة هى ما ضرب بغير محدد كالخشب والحجارة حتى انحلَّت قواه ومات».

لم يكتفِ «الخديو» بذلك، بل حرض العلماء على «الشيخ»، فرموه بأنه وهابى وزنديق لعدم أخذه بآراء شيوخ المذاهب، فرد عليهم محمد عبده بما يدحض فريتهم، وزاد خصومه بأن لفقوا صورة شمسية له مع نساء الإفرنج وحملوها إلى المندوب السامى البريطانى اللورد كرومر، وأفهموه أن هذا فى عرف المسلمين إزدراء بالشيخ ومنصبه، وينبغى إقالته مراعاة لشعورهم.

أبدى كرومر ريبة فى صحة الصورة، وقال ساخرًا: «الأستاذ يزورنا هنا وتحضر مجلسه ليدى كرومر وغيرها من عقائلنا، فهل يصح أن نعد هذا إهانة له أو لنا؟».

١١ يناير عام ١٩٩٠
وفاة إحسان عبد القدوس
الذى كافأته أمه بـ«رئاسة تحرير وسيجارة»

الأم: «أنا التى أتحمل مسئولية المقال».

الابن: «أنا الذى كتبته وأتحمل مسئوليته».

استمر الجدل بين الاثنين، الابن «إحسان عبد القدوس» الذى تُوفى فى مثل هذا اليوم ١١ يناير عام ١٩٩٠، والأم «فاطمة اليوسف»، التركية الأصل، اللبنانية المولد، المصرية الجنسية والمنشأ.

كان الجدل فى مكتب وكيل النيابة عام ١٩٤٥، ومناسبته التحقيق حول مقال كتبه إحسان فى مجلة روزاليوسف (تحمل اسم أمه) ضد السفير البريطانى بعنوان: «هذا الرجل يجب أن يذهب». كانت مصر تحت الاحتلال، وكان سفيرها هو الحاكم الفعلى، وكانت ديمقراطيتها حسب تعبير الكاتب الكبير الراحل محمود عوض أحد تلاميذ إحسان، «ديمقراطية الـ٢ كيلومتر»، أى أن هندستها تتم فقط فى «جغرافية» تمتد من السفارة الإنجليزية فى جاردن سيتى، وقصر الملك فى عابدين، وبينهما تقع مقار بعض الأحزاب أهمها بالطبع حزب الوفد.

قاد مقال «هذا الرجل يجب أن يرحل» كاتبه «إحسان» إلى قرار من محمود فهمى النقراشى، رئيس الوزراء، بمصادرة «المجلة» واعتقال إحسان وإيداعه سجن «الأجانب»، وفى تحقيقات وكيل النيابة التى حضرتها الأم «روزاليوسف»

استمر الجدل مع الابن حول من يتحمل مسئولية المقال.

تم الإفراج عن «إحسان» فقررت «الأم»، حسبما جاء فى مذكراتها التى حملت عنوان «ذكريات» الصادرة عن «الهيئة العامة للكتاب، القاهرة»، منح ولدها مكافأتين، هما تعيينه رئيسا لتحرير مجلة «روز اليوسف» عام ١٩٤٥، واستمر فى منصبه حتى عام ١٩٦٤، وكان عمر «إحسان» ٢٦ عاما فقط (مواليد ١ يناير عام ١٩١٩)، أما المكافأة الثانية فكانت سماحها له بتدخين السجائر أمامها، وذلك كسرًا للتقاليد المتبعة وقتئذ بعدم تدخين الابن أمام والديه، كنوع من الاحترام والحفاظ على الهيبة.

بين مساحة الكتابة «السياسية» و«الروائية» تواصلت مسيرة «إحسان»، كان ذروتها فى الكتابة السياسية تفجيره لقضية الأسلحة الفاسدة للجيش المصرى فى حرب فلسطين ١٩٤٨، وعلى الرغم من أن التحقيقات حولها لم تصل إلى شيء، فإنها مازالت لغزًا.

من رواياته: «صانع الحب، لم يكن أبدا لها، النظارة السوداء، فى بيتنا رجل، لا أنام، الطريق المسدود، لا تطفئ الشمس، لن أعيش فى جلباب أبى، سنوات الشقاء والحب»، واقتحم فيها العلاقات الاجتماعية فى الطبقة الوسطى، وعلاقة أبناء هذه الطبقة، بالطبقة الأرستقراطية، وبقدر ما كانت هذه الأعمال مادة ثرية للأفلام السينمائية والمسلسلات التليفزيونية، لاقت تجاهلا من النقاد، ووقت وفاته قيل: «مات إحسان عبد القدوس الذى ظلمه النقاد وأنصفه النساء»، فى إشارة لانحياز أعماله للمرأة المصرية فى قضية البحث عن ذاتها، وفى تفسير هذا التجاهل النقدى يمكن القول إن إنتاجه الأدبى الغزير كان فى الستينيات التى ساد فيها تيار الواقعية فى الأدب والفن إبداعًا ونقدًا.

مسيرة إحسان الفنية والأدبية لخصها كاتب بقامة كامل زهيرى: «عملت مع إحسان فى روز اليوسف، وأهم ما اكتشفته فيه وأحببته إيمانه بالحرية الفكرية والفنية ولم يفرض رأيًا، فمدرسته هى «مدرسة الكتابة فى الهواء الطلق».

١٢ يناير عام ١٩٥٤
حل «الإخوان» ونجيب يرفض
ومعركة لطلاب الجماعة بالعِصِيّ والكرابيج

«لـن تسـمح الثـورة بـأن تتكـرر فى مـصر مأسـاة رجعيـة باسـم الديـن، ولـن نسـمح لأحـد أن يتلاعـب بمصائـر هـذا البلـد بشـهوات خاصـة، مهـما كانـت دعواهـا، ولا أن يسـتغل الديـن فى خدمـة الأغـراض والشـهوات، وسـتكون إجـراءات الثـورة حاسـمة وفى ضـوء النهـار، وأمـام المصريـين جميعـا».

كان هـذا جـزءًا مـن بيـان مجلـس قيـادة ثـورة ٢٣ يوليـو ١٩٥٢، وشـمل قـرارا بحـل جماعـة الإخـوان فى مثـل هـذا اليـوم (١٢ ينايـر ١٩٥٤)، وجـاء بعـد اجتـماع لمجلـس قيـادة الثـورة، واتخـذ بالإجمـاع، فيـما عـدا اللـواء محمـد نجيـب رئيـس المجلـس (الـذى اعـترض مـن حيـث المبـدأ) وتضمـن القـرار تطبيـق أمـر سـابق للمجلـس بحـل الأحـزاب السياسـية عـلى الجماعـة، بعـد أن كانـت مسـتثناة منـه.

شـمل قـرار الحـل اعتقـال مرشـدها العـام حسـن الهضيبـى، وأعضـاء القسـم الخـاص، ونحـو ٤٥٠ مـن الأعضـاء، وأُفـرج عـن نحـو ١١٢ منهـم، ثـم أفـرج عن آخريـن تدريجيـا، وفصـل بعـض الطـلاب والموظفـين المنتمـين لهـا، وإحالـة ضبـاط الشرطـة الإخـوان إلى التقاعـد، وعددهـم لا يتجـاوز ٢٠ ضابطـا، حسـب كتـاب «عبـد النـاصر وزيـرا للداخليـة» للكاتـب الصحفـى محمـد صـلاح الزهـار.

تضمـن البيـان، سـير الأحـداث وتطورهـا مـع الجماعـة منـذ قيـام الثـورة وحتـى صـدور قـرار الحـل وأجملهـا فى ١٣ بنـدا، يحمـل كل بنـد تفاصيـل عـن حـدث مـا، يؤكـد تصميـم الجماعـة عـلى أن تكـون دولـة داخـل الدولـة، حيـث يتحـدث البنـد السـابع عـن أنـه، حـين علـم مرشـد الجماعـة بتكويـن «هيئـة التحريـر (وهـو أول تنظيـم أسسـته الثـورة) ذهـب إلى جمـال عبـد النـاصر فى مبنـى القيـادة بكوبـرى القبـة، وقـال لـه: إنـه لا لـزوم لإنشـاء هيئـة التحريـر مـا دام الإخـوان قائمـين، فـرد عليـه جمـال: إن فى البـلاد مـن لا يرغـب فى الإخـوان، وأن مجـال الإصـلاح متسـع أمـام الهيئتـين، فقـال المرشـد: إننـى لـن أؤيـد هـذه الهيئـة، ويـدأ مـن ذلـك اليـوم فى محاربتهـا وإصـدار أوامـره بإثـارة الشـغب، واختـلاق المناسـبات لإيجـاد جـو مـن الخصومـة بـين أبنـاء الوطـن الواحـد، وبلغـت المواجهـة ذروتهـا بـين الطرفـين فى مثـل هـذا اليـوم (١٢ ينايـر ١٩٥٤) وهـو اليـوم الـذى انتهـى أيضـا بقـرار حـل الجماعـة، ففـى صباحـه شـهدت جامعتـا القاهـرة والإسـكندرية مؤتمـرا بذكـرى الطالبـين الشـهيدين «المنيسـى» و«شـاهين»، واتفقـت الجماعـة عـلى أن تظهـر بـكل قوتهـا فيهـا، فتكتلـوا فى حـرم جامعـة القاهـرة، وسـيطروا عـلى الميكروفـون، ووصـل إلى الجامعـة أفـراد منظـمات الشـباب مـن طـلاب المـدارس الثانويـة ومعهـم ميكروفـون مثبـت عـلى عربـة للاحتفـال بذكـرى الشـهداء، فتحـرش بهـم بعـض الطلبـة الإخـوان، وطلبـوا إخـراج ميكروفـون منظـمات الشـباب، وانتظـم الحفـل، وأُلقيـت كلـمات مـن مديـر الجامعـة والطلبـة، وفجـأة دخـل بعـض طـلاب الإخـوان إلى المؤتمـر، يحملـون «نـواب صفـوى» وهـو زعيم منظمـة (فدائيان إسـلام الإيرانيـة)، وصعـدوا بـه إلى المنصـة، وألقـى كلمـة، وسـط هتافهـم التقليـدى: «الله أكـبر ولله الحمـد»، فـرد طـلاب منظمـة الشـباب: «الله أكـبر والعـزة لمـصر».

غضـب طـلاب الإخـوان، فهاجـموا الآخريـن بالكرابيـج والعِـصِىّ وقلبـوا العربـة التـى تحمـل الميكروفـون وأحرقوهـا، وأصيـب البعـض بإصابـات مختلفـة ثـم تفـرق الجميـع إلى منازلهـم.

قـال البيـان: «حـدث كل هـذا فى الظـلام وظـن المرشـد وأعوانـه أن المسـئولين غافلـون عـن أمرهـم».

١٣ يناير عام ١٩٤٩
شفيق إبراهيم أنيس عضو الإخوان
يفشل فى نسف «استئناف القاهرة»

- وكيل النيابة: ما اسمك؟

ـ المتهم: شفيق إبراهيم أنيس.

ـ وكيل النيابة: ما قولك فيما هو منسوب إليك بمحاولة نسف محكمة استئناف القاهرة؟.

ـ المتهم: لم يحدث ولم أحضر إلى النيابة.

ـ وكيل النيابة: لكن الشهود قالوا إنك حضرت ومعك حقيبة تركتها فيها متفجرات.

ـ المتهم: لم يحدث.

هكذا دارت التحقيقات بين المتهم شفيق إبراهيم أنيس ووكيل النيابة الذى كان يحقق معه فى محاولة نسف محكمة الاستئناف فى مثل هذا اليوم (١٣ يناير عام ١٩٤٩) ؛ حتى يتم التخلص من ملفات قضايا جماعة الإخوان الموجودة فى المحكمة، ومن بينها ملف «السيارة الجيب»، فما قصة هذه السيارة ؟

فى ٢٨ ديسمبر عام ١٩٤٨، وقَّع رئيس الوزراء محمود فهمى النقراشى باشا قرارا بحل جمعية الإخوان، وتصفية كل تنظيماتها وشُعَبها وفروعها وكل

مؤسساتها وشركاتها، وإغلاق صحفها ودُور النشر التابعة لها ومصادرة كل أملاكها وأموالها، ثم اعتقال كل قادتها وأعضائها، ما عدا شخص واحد هو مؤسس الجماعة «حسن البنا».

كان عام ١٩٤٨ هو عام اللهب، هو العام الذى شهد اغتيال القاضى «أحمد باشا الخازندار» يوم ٢٢ مارس، وتفجيرات لمحلات اليهود التجارية الكبرى، (شيكوريل وشملا وبنزايون وجاتينو، وشركة الإعلانات الشرقية)، وامتدت لتشمل حارة اليهود، وكان المتهم فى كل ذلك «مجهولا»، حتى ساقت الصدفة أجهزة الأمن إلى ضبط سيارة چيب تكدست بأسلحة وذخيرة ومتفجرات وخطط وقوائم بأسماء أشخاص ومؤسسات وهيئات تقرر القضاء عليها، وحسب ما يقوله الكاتب والمؤرخ الراحل محمد عودة فى كتابه (فاروق.. بداية ونهاية): «كان الركاب أهم ما حملته سيارة الچيب».

وصفت أجهزة الأمن السيارة بأنها «أثمن كنز»، وكان الدستور السرى لجماعة الإخوان، الذى نص فى مادته الأولى: «مصر جمهورية إسلامية، من بين الكنوز التى تحملها «الجيب»، وكنز آخر هو رسوم قصر القبة ومنافذ اقتحامه والهجوم عليه».

بعد قرار الحل بنحو ثلاثة أسابيع تم اغتيال النقراشى باشا، وعلى الرغم من الوساطات التى تمت بين حسن البنا، ورئيس الوزراء الجديد إبراهيم عبد الهادى، التى أسفرت عن إصدار البنا «بيان للناس» يستنكر فيه الجريمة، إلا أنه فى يوم ١٣ يناير ١٩٤٩، وقع ما نسف كل ذلك، حيث دخل شفيق إبراهيم أنيس غرفة أرشيف القضايا (بوصفه محاميا يسأل عن أحد الملفات)، ثم خرج وترك حقيبته وطربوشه على أحد المكاتب، بحجة أنه سيتناول إفطاره ثم يعود، لكن أحد السعاه اشتبه فى الحقيبة، وحملها إلى الشارع، فانفجرت انفجارا مدويا، وجرى البحث عن صاحب الحقيبة حتى تم القبض عليه، ونفى أن يكون قد حضر إلى النيابة أو ترك «حقيبة وطربوش»، لكن الطربوش تطابق ومقاسه، وشم كلب بوليسى الطربوش، وكان ذلك دليلا دامغا على جريمته.

اعترف «شفيق» بجريمته، وأنه عضو التنظيم الخاص، وكان هدفه تدمير ملفات ووثائق قضية السيارة الجيب وقضايا الإخوان الأخرى، ووقع هذا الاعتراف كالصاعقة على المرشد العام حسن البنا.

١٤ يناير عام ١٩٥٢
استشهاد الطيار أحمد عصمت بعد عملية فدائية

«إن حبى لوطنى هو الذى حبب إلىّ سفك الدماء، دماء الغاصب المستعمر البغيض، فذهبت إليهم غير منتمٍ إلى هيئة أو جماعة، ذهبت إليهم مسرورًا فرحًا، وكأنى ذاهب إلى رحلة صيد مثل الرحلات التى كنا نقوم بها، فإن مت فأعلن إلى كل مصرى أنى شاب متزوج، ولى ثلاثة أطفال ولى أمى وإخوتى، ومع هذا فقد ضحيت بنفسى ليعيشوا هم أحرارا فى بلدهم، فالحرية لا تُمنح ولكنها تؤخذ بأعز التضحيات، فإلى اللقاء فى كلتا الحالتين إن مت أو عدت».

تلك هى الرسالة الوصية المؤثرة التى كتبها بحروف من نور الشهيد الضابط طيار أحمد عصمت إلى صهره حسن (قبل أن يشق طريقه إلى استشهاده بإرادته) فى مثل هذا اليوم (١٤ يناير ١٩٥٢)، وقصته تأتى فى كتاب «نضال شعب مصر - ١٧٩٨ - ١٩٥٦» للمؤلف «محمد عبد الرحمن حسين»، وتبدأ من صباح يوم استشهاده، حيث قرأ فى الصحف أخبار المجازر التى ارتكبها الإنجليز فى التل الكبير يومَىْ ١٢ و١٣ يناير، والتى أدت إلى استشهاد الكثير من الأهالى و٧ من الفدائيين، بينهم الطالب بكلية الطب أحمد فهمى المنسى، والطالب بكلية الآداب عمر شاهين، بالإضافة إلى أسر نحو ٣٠٠ جندى وضابط من البوليس.

حـرق الحـزن قلـب «عصمـت»، وأكلـه الألم حـين قـرأ أخبـار مجـازر «التـل»، فـودع زوجتـه وأطفالـه الثلاثـة، وحمـل مسدسـين معبأيـن بالرصـاص، واسـتقل عربتـه متوجهـا إلى «التـل» لينضـم إلى الفدائيـين، وفى الطريـق وبالقـرب مـن «أبوحمـاد» محافظـة الشرقيـة، شـاهد رتـلا مـن عربـات تنتظـر دورهـا فى التفتيـش، ولمـا جـاء الـدور عليـه رفـض أن يفتشـه عـدوه.

دعـا الجنـدى البريطانـى قائـده (وكان برتبـة بريجاديـر) كـى يواجـه الأمر بنفسـه، فحـضر ومعـه يـاوره الـذى هجـم عـلى «عصمـت» بألفـاظ جارحـة، فأطلـق هـذا التـصرف المتعجـرف شرارة حـدث كبـير، حيـث اختمـر فى ذهـن «عصمـت» فكـرة الانتقـام الفـورى لمـا حـدث فى التـل الكبـير، واستشـهاد الفدائيـين السـبعة الذيـن تـم تشـييع جثمانهـم فى الزقازيـق ثـم القاهـرة، وكانـت الكتـل البشريـة تمـلأ الطريـق الطويـل مـن مبنـى مديريـة الشرقيـة حتـى محطـة القطـار ونعـوش الفدائيـين السـبعة تتقدمهـم لشـحنهم إلى القاهـرة.

كان فى حافظـة «أحمـد عصمـت» عـشرة جنيهـات قذفهـا إلى ركاب سـيارة لنقـل الـركاب، كـما أعطاهـم كل مـا كان معـه مـن ملبـس ومـأكل صائحـا فى عجلـة: «أرجـو أن تعطـوا هـذه الأشـياء لمـن يسـتحقها»، وأخـرج مسدسـه الـذى كان يخفيـه فى ملابسـه، وفى لمـح البـصر بـدأ فى إطـلاق الرصاصـات كلهـا عـلى كل الذيـن تجمعـوا لتفتيشـه، القائـد، ويـاوره، والجنـدى، ليسـقطوا الثلاثـة قتـلى وسـط ذهـول الجميـع.

نفـذ «عصمـت» عمليتـه بسرعـة مذهلـة حتـى إن باقـى الجنـود شـلهم التفكـير فلـم يـردوا إلا بعـد سـقوط زملائهـم، واستُشـهد البطـل تـاركا أطفالـه الثلاثـة وزوجتـه وأمـه وثلاثـين عامـا، هـى عمـره الطاهـر، ورسـالته الوصيـة إلى صهـره حسـن. لم يكـن استشـهاد «أحمـد عصمـت» وليـد الصدفـة، وإنـما كان فى طريقـه إلى الانضـمام للفدائيـين فى القنـاة أمـلا فى الحصـول عليـه، لكنـه جـاءه فى «أبـو حمـاد».

١٥ يناير عام ١٩٧١
السادات وبودجرنى يفتتحان السد العالى

كانت مصر بعد نكسة ٥ يونيه ١٩٦٧ تبعث برسائل صمودها وإرادتها الوطنية، وكان التحدى الأكبر أمامها أن تمضى بطريقها فى إنجاز مشروعاتها القومية الكبرى، التى بدأت فيها قبل وقوع النكسة، وكان مشروع السد العالى هو العنوان الأكبر فى هذا المسار.

فى مثل هذا اليوم ١٥ يناير عام ١٩٧١،كانت مصر على موعدها بافتتاح مشروع السد العالى رسميا، بعد أن تم الانتهاء من بنائه كاملا فى نهاية عام ١٩٧٠، وكان جمال عبد الناصر هو الحاضر الغائب فى هذا الافتتاح، خاصة أن الحدث جاء بعد رحيله بثلاثة شهور (٢٨ سبتمبر ١٩٧٠)

شهد حفل الافتتاح الرئيس محمد أنور السادات، والرئيس السوفيتى نيكولاى بودجرنى، كان الافتتاح رسالة كبيرة للخارج والداخل، وفى إحصاء جاء به كتاب «السد العالى - هرم الإرادة المصرية»، الصادر عن «قصور الثقافة، القاهرة » لـ « محمد الشافعى، ومحمد يوسف»، بلغ عدد العاملين فى مشروع السد ٣٢٤٨٧ عاملا فى خلال ذروة العمل فى عام ١٩٦٤، ثم بدأ العدد فى الانخفاض (تبعا لانخفاض حجم الأعمال وانتهاء بعضها) حتى بلغ عددهم ١٣٨١٣ فى أكتوبر ١٩٧٠، وبلغ الحد الأقصى من الخبراء السوفيت العاملين فى المشروع ١٨٨٠ خلال عام ١٩٦٤ وانخفض إلى ٩٧ فى أكتوبر ١٩٧٠، وتُوفِّى ٤٢٠ شخصا من العاملين المصريين بسبب حوادث العمل

خلال فترة العمل من ١٩٦٠ حتى عام ١٩٧٠، ولأسباب طبيعية ٥٢٠، ومن السوفيت ٧ لحوادث العمل، و٢ لأسباب طبيعية، ويعد ذلك ضئيلا جدا.

فى حسابات المكاسب أصبح المشروع يوفر مياه الرى لأكثر من مليون فدان جديدة، وحوَّل نحو ٧٠٠ ألف فدان إلى الرى المستديم، مما زاد المساحة المنزرعة إلى ٢٥ ٪ قبل بنائه، هذا بخلاف توفيره للطاقة الكهربائية، كما حول مدينة أسوان من مجرد مدينة صغيرة لا يزيد عدد سكانها على ٣٠ ألف نسمة إلى محافظة سياحية تزدان بالعمران، ومع بداية بناء السد زحف إليها المصريون من كل المحافظات، حتى بلغ عدد سكانها ١٥٠ ألفا عام ١٩٦٣.

وحين اشتدت الحملة الضارية عليه فى سياق الحملة ضد جمال عبد الناصر فى سبعينيات القرن الماضى، والتى شاركت فيها جماعة الإخوان بنشاط كبير، كان الرد عمليا، حيث أنقذ السد مصر أكثر من مرة من الجفاف الذى حل بأفريقيا فى سبعينيات وثمانينيات القرن الماضى، فلولا السد لكانت مصر من الدول التى تضررت من ذلك.

فى مزاعم السلبيات وصل البعض إلى حد القول إن السد قضى على إنتاج «السردين»، وكأن الحفاظ على إنتاج «السردين» أهم من إنقاذ مصر من هيجان «النيل» الذى لم يقف خطره على الزراعة فى مصر، وإنما امتد إلى زَهْق الأرواح فى القرى التى كانت تتعرض إلى خطر الفيضان!

وفى المزاعم الأخرى قيل إنه مُعرَّض للشروخ، فجاء الرد قاطعا باختياره أعظم مشروع هندسى فى القرن العشرين.

قصة بناء السد العالى كانت نموذجا عمليا للإرادة المصرية حين تخرج من قمقمها.

١٦ يناير عام ١٩٥٢
«فاروق» ينجب «ولى العهد» قائلًا للجيش: «أهديكم أعز ما عندى»

حكم الملك فاروق مصر ١٦ عاما (١٩٣٦ - ١٩٥٢)، بينما كان الشعب المصرى يعيش محنته الكبيرة تحت حكمه، كان هو يعيش محنة من نوع خاص، فزواجه من الملكة فريدة أسفر عن ولادة ثلاث بنات و«طلاق»، وكان همُّه أن يعثر على زوجة جديدة تضع له الولد حتى يرث عرشه، فكانت «ناريمان» الزوجة الثانية التى أنجبت له الولد «أحمد فؤاد» فى مثل هذا اليوم (١٦ يناير ١٩٥٢).

كانت حسابات فاروق أن لا يخرج العرش من فرع جده «الخديو إسماعيل» الذى توارث أبناؤه وأحفاده الحكم، ولهذا لم يكن يطيق التفكير لحظة واحدة فى أن يكون مولوده القادم بنتا، والشاهد على ذلك ما أورده الكاتب الصحفى جميل عارف فى كتابه: «كانت ملكة - ناريمان آخر ملكات مصر»، الذى جاء «على لسان عمها مصطفى صادق».

فى سرد «العم» يقول: «دخلت مرة على الملك فوجدته يعد أمامه كشفا يحتوى على أسماء غالبية أفراد أسرة ناريمان، وأخذ الملك يراجع هذه الأسماء قائلا: «شوف يا سيدى أبو ناريمان جاب بنت، وأخوك محمد راخر مخلّفش إلا بنت، وأنت كمان جايب ولد وبقية خلفتك بنات، والله أنا خايف تكون الحكاية دى وراثية»، لوَّح فاروق فى وجه عم ناريمان قائلا: «تعرف لو عملتها وجابت بنت حولع فيكم كلكلم نار».

تحقق حلم فاروق، وأنجب ولى العهد، لكن حسابات الشعب المصرى كانت على النقيض من حساباته، فالمظاهرات تتواصل والغضب يتصاعد، والاستقبال الشعبى لخبر المولود الجديد كان باهتا، وطبقا لشهادة «عم ناريمان»: «كان الملك يتوقع أن تخرج جماهير الشعب فى مظاهرات ضخمة لتهنئته، وجاء بعضها إلى الميدان، واستمع الملك إلى هتافاتهم، كانت باهتة، ولا تعبر عن الفرحة بمولد ولى العهد، كما لم تكن تدل على أى حب أو ولاء، وحملنا ناريمان على كرسى ثم قربناها من النافذة التى تطل على الميدان، ووقف الملك إلى جوارها يراقب هذه الجماهير (التى لم تعبر أبدا عن أى حماسة لمولد ابنه)، وقالت ناريمان: الميدان فاضى.

أما الملك فكان منفعلا، ولم يبقَ طويلا أمام النافذة، وانسحب إلى داخل الحجرة قائلا لعم ناريمان: «يخلصك كده يا سى مصطفى، الميدان فاضى خالص»، فرد مصطفى: «أمال فين الجيش يا مولانا، يمكن الجيش منتظر أوامر»، فرد الملك: «هو اللى عايز يظهر شعوره يستنى أوامر».

وجاء استعراض الجيش فى ميدان عابدين مظاهرة مفتعلة لإنقاذ الموقف، وعندما وقف «فاروق» فى شرفة القصر مرتديا ملابس المشير العسكرية، حاملا ابنه فى يديه، التفت ناحية قادة الجيش الملتفين حوله ثم قال لهم: «إنى أهديكم أعز ما عندى وهو ابنى»، وعن هذه الكلمة قال له «عم ناريمان»: «لو واحد عصر مخه عشر سنين مش هيجيب كلمة زى كلمتك للجيش»، فرد: «هو أنا جبت حاجة من عندى أنا كنت إمبارح بقلب كتاب قديم لقيت واحد من جدودى قال نفس الكلمتين دول»، ولم يتذكر هذا الجد، ولم يبقَ الجيش على ولائه، ففى يوم ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ قام بثورته.

١٧ يناير عام ١٩٦١
اغتيال لومومبا والمخابرات المصرية تنقل أبناءه سرًا للقاهرة

اقتادت قافلة من الجنود ثلاثة أشخاص وسط الغابة، كانت وجوه الثلاثة منتفخة من أثر الضرب والتعذيب، توقفت القافلة وأوقفت الثلاثة أمام شجرة ثم أطلقت الرصاص عليهم ليسقطوا قتلى، وتم وضعهم في حفرة وأهال الجنود عليهم التراب لإخفاء معالم الجريمة التي وقعت في مثل هذا اليوم ١٧ يناير عام ١٩٦١.. انصرف الجنود بعد ارتكاب الجريمة، وحينما عاد آخرون لإخفاء معالمها كانت المفاجأة في ذراع مرفوعة من تحت التراب إلى أعلى.

كانت الذراع للزعيم الأفريقي «باتريس لومومبا» رئيس وزراء الكونغو وقائد حركتها الوطنية ضد الاستعمار البلجيكي، التي بدأت نضالها من أجل الاستقلال عام ١٩٥٨، وكانت الذراع شاهدة على فضح الجريمة التي ارتكبها قائد قواته ورئيس الكونغو فيما بعد «موبوتو» بالتنسيق التام مع البلجيكيين.

كانت مصر حاضرة بقوة في هذه القضية التي هزت العالم وأثارت خيال شعراء وأدباء في بقاع الأرض، والحضور لم يكن لمساندة نضال لومومبا وحركته الوطنية فقط، وإنما في عملية مخابراتية معقدة لتهريب أطفاله إلى مصر، نفذها عبد العزيز إسحق، رجل المخابرات المصرية الفذ في أفريقيا، ولعب الفريق سعد الدين الشاذلي، رئيس أركان حرب القوات المسلحة المصرية، دورا بارزا

فيهـا، وكان وقتهـا برتبـة «عقيـد» وقائـدا للقـوات المصريـة المشـاركة ضمـن قـوات حفـظ السـلام التابعـة للأمـم المتحـدة فى الكونغـو.

اسـتمعت لقصـة التهريـب مباشرة مـن ابـن لومومبـا «باتريـس»، وذلـك فى منـزل المرحـوم الدكتـور خالـد جمـال عبـد النـاصر عـام ٢٠٠٠، وكان «باتريس» ضيفـا عليـه، وفى مـصر عـاش أبنـاء لومومبـا تحـت رعايـة جمـال عبـد النـاصر، ولعـب ابنـه الأكـبر «فرانسـو» كـرة القـدم ضمـن فريـق «الزمالـك» فى بدايـات جيـل فـاروق جعفـر مطلـع سـبعينيات القـرن العشريـن، وظلـوا فى مـصر حتـى نهايـات السـبعينيات، ثـم عـادوا إلى بلادهـم مرة ثانيـة.

قـال «باتريـس» (كان عبـد النـاصر يناديـه بـ«عتريس»): «كنـا أطفـالا لا نعـرف مـاذا يحـدث، احتضننـا والـدى فى البيـت المحـاصر قبـل خروجنـا خلسـة قائـلا لنـا: «خلـوا بالكـم مـن بعضكـم وأنتـم رايحـين لأبوكـم جمـال عبـد النـاصر وهـو هيشـوف مصلحتكـم كويـس»، وأضـاف «باتريـس»: « كان هنـاك اقـتراح أن يتـم توزيعنـا إلى «نكرومـا» فى غانـا، و«سـيكوتورى» فى غينيـا، لكـن والـدى رفـض وقـرر أن نذهـب جميعـا إلى بلدنـا مـصر ووالدنـا جمـال عبـد النـاصر ».

فى تفاصيـل العمليـة المخابراتيـة المصريـة المعقـدة، «حمـل عبـد العزيـز إسـحق جـواز سـفر دبلوماسـيا بزوجـة لـه أفريقيـة، ووضعنـا عليـه بوصفنـا أولاده، وأطلق علينـا أسـماء عربيـة، وفى المطـار قـاد سـعد الديـن الشـاذلى فرقتَـىْ صاعقـة فى مَهمَّـة تابعـة للأمـم المتحـدة لتأمـين المطـار، لكـن السـر كان حمايـة عمليـة التهريـب»، وكادت أن تنكشـف فى المطـار لشـك أحـد الموظفـين فى صـور الأطفـال الـذى طلب رؤيتهـم، لكـن إسـحق رد بثقـة: «الأطفـال نائمـون»، وكانـت التنبيهـات لهـم بـأن ينامـوا حتـى لـو كان تمثيـلا، تكلـم إسـحق بحـزم للموظـف: «كيـف تتـصرف عـلى هـذا النحـو مـع شـخصية دبلوماسـية؟»، وكان هنـاك ضبـاط مصريـون سريـون حولـه أسـهموا فى إربـاك الموظـف الـذى خـاف مـن وقـوع أزمـة.

أقلعـت الطائـرة، وفى الجزائـر هبطـت سـاعتين ترانزيـت، ثـم فى برشـلونة يومـا، وسـويسرا يومـين ومنهـا إلى مـصر، وطـوال هـذه الفـترة ظلـت العمليـة سريـة، وفى مـصر تـم الإعـلان عـن وصـول أسرة لومومبـا.

١٨ يناير عام ١٨٦٣
إسماعيل يبدأ حكمه .. وعمه سعيد يحذر :
«وريثى تاجر متلهف »

تلقى «إسماعيل» وهو فى القاهرة تلغرافا من الإسكندرية: «مات ولى النعم سعيد، ونسألك التعليمات»، أجاب الموظفين الذين أرسلوا التلغراف: «احضروا جميعا إلى القاهرة»، فهرولوا إلى أول قطار دون ترك أى أوامر أو إجراءات بخصوص مراسم الدفن التى حضرها محافظ الإسكندرية كمسئول، ولم يشترك فيها أحد من الموظفين.

تم دفن «سعيد» فى مسجد «النبى دانيال»، فى مشهد وصفه «نوبار باشا» فى مذكراته، الصادرة عن «دار الشروق، القاهرة» بقوله: «صاحب النسيان واللامبالاة الكاملة سعيد إلى القبر».

أصبح «إسماعيل» حاكما لمصر فى مثل هذا اليوم (١٨ يناير عام ١٨٦٣)، وارثا من عمه شيئين، الأول، ديون على مصر قيمتها «٣٦٧» مليون فرنك، والثانى رأيه فى إسماعيل. وحسب مذكرات «نوبار»، فإن سعيد كان يعامل إسماعيل كأنه بقال وكان يقول عنه: «سوف تفتقدوننى عندما يصبح واليا عليكم، ووريثى تاجر متلهف على الأرباح الصغيرة»، وربما يكون هذا الرأى هو أحد مفاتيح فهم شخصية «إسماعيل» كحاكم، عرفت مصر فى عهده العظمة والبؤس بصورة تقارب الحال فى عهد جده محمد على.

قبل أن يتولى الحكم كان واحدا من أغنى وأكبر ملاك الأراضى الزراعية فى مصر، وأدار ثروته بمهارة شديدة، واستخدم ريع الأرض فى مضاعفة ثروته ثلاثة أضعاف، يقول نوبار: «كنا نعرف فقط أن إسماعيل يقصر اهتمامه الجاد على أراضيه ومزارعه التى اتسعت مساحتها وامتدت، كما اقتصرت علاقاته مع الأوروبيين على بيع منتجات أراضيه وتبادل بعض الأعمال معهم، وكان الجميع يتحدثون عما يسود دائرته من نظام».

فى كتاب «الإمبراطورية المصرية فى عهد إسماعيل» للمؤرخ الدكتور محمد صبرى السوربونى يقول: «لم تكن لديه دائما عقلية تاجر التجزئة المغرم بالأشياء العظيمة والمتناهية الصغر على حد سواء، ويشهد على ذلك مشروعه الإمبراطورى الذى تابع تنفيذه طوال فترة ولايته، ولكن حجر العثرة لسياسته المالية كان يكمن فى ولعه الغريزى بالمضاربات المالية»، ومما يروى فى ذلك أنه زار مبنى البورصة فى باريس، وشرحوا له المجالات التى تعمل فيها، وتؤدى بالمضاربات إلى خلق ثروات وتدميرها، فصاح قائلا: «لو لم أكن خديويا لوددت أن أكون صرافا».

ويعطى «نوبار باشا» دليلا آخر على رأى «السوربونى» بسرد واقعة حدثت فى نفس اليوم الذى تسلم فيه إسماعيل السلطة، يقول نوبار: «عندما سافرت إلى القاهرة لتقديم فروض الولاء والطاعة للوالى الجديد مساء نفس اليوم الذى تسلم فيه السلطة، صرح لى إسماعيل بفكرة كانت تراوده منذ عهد سعيد، ألا وهى تقسيم الأزبكية وبيعها، كانت الأزبكية حديقة كبيرة فى القاهرة أصلها بحيرة قديمة تم تجفيفها وحمايتها من مياه الفيضان، وكانت تصطف على جانبيها الأشجار الرائعة التى زرعها محمد على، وكانت جموع غفيرة من الشعب تتجمع فى هذه الحديقة مساء كل يوم لتتنزه وتشرب القهوة أو البوظة على أنغام الموسيقى الشرقية التى قد تكون بالنسبة للأذن الأوروبية نشازا، لكنها مع تأثير القهوة والبوظة والأشجار تحت سماء القاهرة بنجومها كانت تعكس دائما الجو الشرقى فى مشهد حالم يأخذ بالألباب بعيدا عن الواقع».

يضيف نوبار: «بدت لى فكرة قطع الأشجار التى زرعها محمد على وراقب نموها بكل حب لتحل محلها العمائر والمنازل القبيحة من أجل جمع المال أمرا غريبا لم يكن من الممكن توقعه».

١٩ يناير عام ١٩٧٧
اليوم الثانى لـ«انتفاضة الخبز»..
والسادات: «دى انتفاضة الحرامية»

«أنت لا تعرف يا أحمد كل ما حدث، حاولوا مهاجمة بيتى فى الجيزة وكادوا يصلون إليه، كانت زوجات الوزراء والكبراء يصرخن فى بيوتهن فزعا ويحاولن الاستغاثة بأى مخلوق، خوفا من اقتحام الغوغاء البيوت على العائلات، هتافات الغوغاء فى الشوارع كانت غاية فى البذاءة».

هكذا تكلم الرئيس أنور السادات للكاتب الصحفى أحمد بهاء الدين فى كتابه «محاوراتى مع السادات»، الصادر عن «دار الهلال، القاهرة» حول انتفاضة الخبز التى انفجرت فى ١٨ يناير عام ١٩٧٧ واستمرت لليوم الثانى فى مثل هذا اليوم (١٩ يناير)، وجاءت بسبب قرار مفاجئ برفع الأسعار، فعمت مظاهرات العمال والطلاب والموظفين أرجاء مصر، وعُرفت تاريخيا بـ«انتفاضة الخبز»، لكن «السادات» أطلق عليها «انتفاضة الحرامية»، وحمَّل مسئوليتها لقوى اليسار قائلا: «دى انتفاضة الحرامية بتاع شوية العيال الشيوعيين»، وفى «محاوراتى مع السادات»، يكشف «بهاء الدين» الحالة التى كان عليها السادات يومَى المظاهرات من واقع اعترافات السادات له.

كان السادات وبعد حرب ٦ أكتوبر عام ١٩٧٣ يستمد شعبيته من انتصار مصر على إسرائيل، ولم يكن يتصور أبدا انتفاضة شعبه ضده، لكنها حدثت فى تلك المظاهرات الحاشدة التى رددت هتافات مثل: «سيد مرعى يا سيد

بيه.. كيلو اللحمة بقى بجنيه»، فى إشارة تجمع بين السعر الجنونى للحوم، وسيد مرعى صهر السادات وأحد مهندسى نظامه، الذى اشتهر بثرائه، والتندر عليه بأنه يملك مزرعة «ثعالب» لإنتاج الفرو الذى تتزين به النساء فى سهراتهن، هذا بالإضافة إلى مصاهرته لـ«السادات».

أتت سياسة «الانفتاح الاقتصادى» التى قررها «السادات» عام ١٩٧٤ بما سُمى وقتها بـ«القطط السمان»، كرمز لثراء قلة احترفت استثمار حالة الانفتاح لمصالحها الخاصة، فى مقابل جمود دخول الطبقة المتوسطة والفقراء، حتى جاء الاحتجاج الكبير على رفع الأسعار بقرار من حكومة ممدوح سالم، والدكتور عبد المنعم القيسونى، رئيس المجموعة الاقتصادية فيها.

يقول «بهاء الدين»: «اندلعت المظاهرات من الإسكندرية إلى أسوان، وكان السادات فيها ينتظر وصول العاهل الأردنى الملك حسين، بعد أن ودع الرئيس اليوغسلافى «تيتو»، ومن استراحته رأى مدينة أسوان وكأنها تحترق، فالنيران تتصاعد من أقواس النصر التى تغطى كورنيش أسوان، ومكبرات الصوت تزلزل المدينة بالهتافات».

كان المشهد فى أرجاء مصر يؤكد انسحاب الدولة واقعيا من الشارع، حيث هوجمت أقسام الشرطة وبيوت بعض المحافظين، وشركات ومحالّ، وكازينوهات شارع الهرم، ولما طلب ممدوح سالم من المشير عبد الغنى الجمسى وزير الدفاع النزول للشارع، رد: «لابد أن أتلقى أمرا بذلك من القائد الأعلى للقوات المسلحة».

اضطر السادات إلى سحب قرارات رفع الأسعار، وبعدها نزلت قوات الجيش بدون ذخيرة، بهدف استرداد هيبة الدولة وتهدئة الجماهير ونصحها بالانصراف.

كان لهذه المظاهرات أكبر الأثر فى نهج السادات السياسى داخليا وخارجيا، وكانت الحدث الذى شهد طلاقا بائنا بينه وبين قوى اليسار، وأكثر ما يلفت الانتباه فيها ما ذكره «بهاء الدين»: «أصبح السادات من يومها يكره

مدينــة القاهــرة، مدينــة الذيــن كان يصفهــم بـ«الأفنديــات» و«الأراذل» قاصــدا بذلـك المدينـة التـى تعـجُّ بالمثقفـين والطلبـة والعـمال والموظفـين وكل المتحذلقـين وطِـوال الألسـنة، فصـار يقـضى حياتـه متنقـلا بـين الاسـتراحات المختلفـة خـارج القاهـرة، حتـى بيتـه فى الجيـزة لم يعـد يـتردد عليـه إلا لمامـا».

٢٠ يناير عام ١٩٣٨
زواج فاروق وفريدة لتأليب الشعب ضد النحاس باشا

ازدان قصر القبة فى المساء زينةً بهرت السيدات اللائى دعين وحدهن إلى حفلة زفاف الملك فاروق وصافيناز ذى الفقار التى صار اسمها «فريدة».

لم يكن زواجا عاديا من الملك فاروق ابن الـ ١٨ عاما لعروس تصغره بأكثر من عام (مواليد ٥ سبتمبر عام ١٩٢١)، فهو الزواج الذى حلم أن ينجب له ولى العهد، والزواج الذى يكمل به هيئته الاجتماعية لدى المصريين، ويستخدمه كورقة للانتصار على غريمه مصطفى النحاس باشا زعيم حزب الوفد ورئيس الوزراء الذى أقال «الملك» حكومته الوفدية (يوم ٣٠ ديسمبر عام ١٩٣٧)، فالشعبية التى بلغت ذروتها بهذا الزواج، سدت أى ثغرة ينفذ منها «النحاس باشا» لتأليب الشعب ضد تلك الإقالة.

كان موعد الزواج محددًا له يوم ١١ فبراير (يوم مولد فاروق)، لكن تم تقديمه إلى يوم ٢٠ يناير عام ١٩٢٠ لتوظيفه فى صراع «القصر» ضد «الوفد»، فبدلا من ترك المصريين يتحدثون عن إقالة حكومة النحاس باشا، جاء زواج «الملك» لينشغل الجميع به.

نمت علاقة حب بين «فاروق» و«صافيناز» فى رحلة ملكية قام بها فاروق وأمه الملكة نازلى وإخواته إلى أوروبا فى عام ١٩٣٧، وكانت «صافيناز» معهم فى الرحلة، وبعد العودة تم الإعلان عن الخطبة، وعقد القران، ثم الزواج، وأصدر الملك أمرا بتغيير اسم عروسه إلى «الملكة فريدة»، وجاء الاختيار

لاسم يبدأ بحرف الفاء حتى يكون منسجما مع اسم الملك شخصيا، وأسماء إخواته التى تبدأ بحرف الفاء مصدر تفاؤل الملك فؤاد والد فاروق.

بعد انتهاء عقد القران ركب العروسان سيارة مكشوفة، وسار الموكب الملكى فى شوارع القاهرة، وحسبما تقول الدكتورة لطيفة سالم فى كتابها «فاروق الأول وعرش مَصر، الصادر عن دار الشروق، القاهرة»: «أراد فاروق أن يقدم فريدته الحسناء للشعب الذى أحبها وقدَّرها واحترمها، وفى الحين ذاته قدر أيضا المليكه كيف يحمى نفسه بزواجه فى هذه السن المبكرة مما يدل على إيمانه وتقواه، وبطبيعة الحال فإن ذلك رفع من رصيد توهجه، وشعبيته».

حالة الأفراح التى عمت بسبب هذا الزواج يصل الدكتور محمد حسنين هيكل باشا فى وصفه لها بأنها «الفرح القومى الشامل»، ويقول: «أُقيمت حفلة الزفاف يا للجلال والبهجة والجمال، لست أذكر يوما أبدى فيه الشعب المصرى كله الفرح والمسرة الصادرين من أعماق القلب، ما أبدى فى ذلك اليوم، حضر عشرات الآلاف بل مئات الألوف من بلاد الدولة كلها من أقصاها إلى أقصاها، يشاركون هذا الفرح القومى الشامل، وازدانت العاصمة بالأنوار فى أحيائها جميعا زينة كسف فيها الليل والنهار، وظهرت الزوارق والفلايك والذهبيات والبواخر النيلية على صفحات النهر مضيئة كلها، وكأن كل وحدة منها فرح يتلألأ بالضياء، مبتهج بآلات الطرب، يستخف راكبيه جذلا، وتنتشر من أرجائه أصداء تتردد فى كل الأرجاء، أحيا الفرح فى النفوس صورة من ليالى ألف ليلة، أو من عهد الخديو إسماعيل، وأطلق الألسن كلها بالدعاء أن يجعل الله عقد القران سعيدا ميمونا، وأن يتمتع صاحبا الجلالة بالسعادة والعافية، وأن يرزقهما بولىّ عهد يكون قرة عين لهما وللأمة المصرية جميعا».

٢١ يناير عام ١٧٩٣
إعدام «لويس السادس عشر»
بعد نبوءة جده: « سيقضي على فرنسا ونفسه»

التفت الملك لويس السادس عشر ملك فرنسا إلى «الغوغاء» الذين جاءوا لمشاهدة لحظة تنفيذ حكم إعدامه قائلا: «أيها السادة إننى أموت بريئا»، ثم قال للجلادين: «أبرئ نفسى من كل شىء اتُّهمت به، وآمل أن يعزز دمى سعادة فرنسا».

فى وصف الحالة التى كان عليها «لويس السادس عشر» لحظة إعدامه التى وقعت فى مثل هذا اليوم ٢١ يناير عام ١٧٩٣، قال كبير الجلادين فى باريس أثناء الثورة الفرنسية «هنرى سانسون»: «رفض لويس عندما وصل إلى دَرَج المقصلة وضع عصابة على عينيه كما رفض خلع معطفه من باب اللياقة، ولكنه خلعه بنفسه بعد ذلك، كما طلب عدم ربط يديه لكنه اقتنع بضرورة ذلك».

شهادة كبير الجلادين جاءت فى رسالة تم الكشف عنها فى معرض «دار كريستى» بلندن بعد مائتى عام من الثورة التى اندلعت عام ١٧٨٩، فوضع ما جاء فيها فى مواجهة معلومات ظلت شائعة، عن انهيار أعصاب «الملك» حين وقف على درج المقصلة.

انفجرت الثورة الفرنسية ضد طبقة النبلاء، وسيطرة الإقطاع والكنيسة، وضد بؤس عامة الشعب الفرنسى الجائع الموصوف من أعداء الثورة بـ«الغوغاء». زحف من يسمون بـ«الغوغاء» إلى ساحة الإعدام، ليشاهدوا دراما نهاية ملكهم المولود يوم ٢٣ أغسطس عام ١٧٥٤، وتولى الحكم فى ١٠ أيار ١٧٧٤، وتزوج من مارى أنطوانيت وهو فى عمر ١٥ عاما، و حاولا الهرب لكن تم القبض عليهما قبل إعدامهما فى تاريخين متفرقين، وقال عنه جده «لويس الخامس عشر»: «ذلك الولد الكبير سيقضى على فرنسا وعلى نفسه، ولكنى على أية حال لن أعيش حتى أرى ذلك اليوم».

فى دراما قصة الإعدام تطل مأساة الطفل الوحيد لـ«لويس وأنطوانيت»، بعد موت طفلهما الأكبر قبل اندلاع الثورة الفرنسية بأربعين يوما، وكان عمر الطفل عشرة أعوام فقط، وتحفظه كتب التاريخ بلقب «الدوق دى نورماندى»، ولقب «لويس السابع عشر» بوصفه ولى العهد الذى كان سيرث والده، وتكمن المأساة فى بقائه بالسجن وحيدا، مريضا بسل العظام، ومات عام ١٧٩٥، ودفن فى اليوم التالى لوفاته بطريقة سرية، مما جعل الشائعات تنطلق عن أنه مازال حيا، وأن حارسه قام بوضع طفل آخر مكانه فى السجن، وأدى ذلك بالبعض إلى انتحال شخصيته، والادعاء بأنه «لويس السابع عشر» ومن هؤلاء تاجر مجوهرات نمساوى اسمه «كارل وليم نوندورف».

وفى يوم ١٩ أبريل عام ٢٠٠٠، وضعت فرنسا حدا لهذه المسألة، حيث أعلن الأمير «لوى دى بوربون» وريث ملوك فرنسا فى مؤتمر صحفى أن التحاليل الطبية المتخصصة التى أُجريت على جثة الطفل، أثبتت أن الطفل الذى مات فى سجن «المعبد» فى يونيه ١٧٩٥ عند الثالثة ظهرا هو حقا «الملك لويس السابع عشر»، وأن التاجر النمساوى الذى كتب على قبره: «هنا يرقد لويس السابع عشر ملك فرنسا»، هو واحد من مئات انتحلوا صفة ملك فرنسا بالكذب والخداع والباطل وتزوير التاريخ.

٢٢ يناير عام ١٩٧٠
موسكو ترضخ لتهديدات جمال عبد الناصر فى زيارته السرية

جلس جمال عبد الناصر فى مواجهة القادة «السوفييت» الكبار. كانت موسكو تحتضن الزيارة سرية، وعلى مائدة الاجتماع طرح «عبد الناصر» مطالبه، مشددا على أنه يريد ردا فوريا عليها خلال زيارته التى بدأت فى مثل هذا اليوم ٢٢ يناير عام ١٩٧٠، وتعمَّد تصعيد المباحثات وتوتيرها إلى حد أنه قال: «إما تلبية المطالب أو ترك الحكم لزميل آخر يمكنه التفاهم مع أمريكا، إذ إن الشعب المصرى يمر بمرحلة حرجة، فإما أن نسلم بطلبات إسرائيل، وإما أن نستمر فى القتال».

حدد «عبد الناصر» مطالبه فى: «إن دفاعنا الجوى فى الوقت الحاضر لا يتمكن من منع غارات إسرائيل على العمق المصرى، ونطلب وحدات كاملة من الصواريخ «سام ٣» بأفرادها السوفييت، وأسرابا كاملة من طائرات الميج ٢١ المعدلة، بطيارين سوفييت، وأجهزة رادار متطورة للإنذار والتتبُّع بأطقم سوفيتية»، وبرر مطالبه بأن الزمن ليس فى صالحنا لأن تدريب الأطقم المصرية والطيارين المصريين على الأسلحة الجديدة سوف يستغرق وقتا طويلا، كما أن مدى عمل الطائرات القاذفة المقاتلة الموجودة لدينا لا يمكّنها من الوصول إلى عمق إسرائيل مثل طائرات «سكاى هوك» و«الفانتوم» التى تضرب عمق مصر حاليا.

كانت هـذه الزيـارة السريـة، فى تقديـر محمـود عـوض فى كتابـه «اليـوم السـابع- الحـرب المنسـية.. حـرب الاسـتنزاف» الصـادر عـن «دار المعـارف، القاهـرة»، «نقطة التحـول الفاصلـة فى الـشرق الأوسـط، وليـس الاعتقـاد الإسرائيـلى الأمريكـى، بأن هنـاك نقطـة تحول حصلـت لصالحهـا، وهـى اسـتمرار الغـارات الجويـة الإسرائيلية عـلى مواقـع مصريـة بكثافـة، جعلـت مـن أمريـكا تتحـرر تدريجيـا مـن الشـعور بالاكتئـاب؛ لأنهـا تسـاند الطـرف الخـاسر «إسرائيـل» فى حـرب الاسـتنزاف ممـا يعـرض مكانتهـا للخسـارة فى المنطقـة، واعتقـاد إسرائيـلى بـأن المصريـين شـبه عـراة مـن وجـود نظـام دفـاع جـوى فعـال».

سـبق الزيـارة ثلاثـة اجتماعـات سريـة بـين «عبـد النـاصر» وقـادة القـوات المسـلحة، ووجـه عبـد النـاصر سـؤالا صريحـا للقـادة: «هـل فى الإمـكان الاسـتمرار فى حـرب الاسـتنزاف، أو أنهـا أصبحـت سـلاحا ذا حديـن بعـد التصعيـد الـذى تسـتغل فيـه إسرائيـل تفوقهـا الجـوى؟»، وكانـت الإجابـة: «القـوات المسـلحة عـلى اسـتعداد فى تصعيـد العمليـات العسـكرية بـروح قتاليـة عاليـة؛ لأن الظـروف قـد تضطرنـا إلى العبـور الشـامل هـذا العـام».

طبقـا للاجتـماع، فـإن مـا ينقصنـا مـن اسـتعدادات للعبـور الشـامل هـو اسـتكمال النقـص المزمـن فى الدفـاع الجـوى ووسـائله ومعداتـه، خاصـة الصواريخ، واسـتكمال عـدد الطياريـن والطائـرات المتطـورة وطائـرات الـردع، وانتهـى جمـال عبـد النـاصر إلى ضرورة الضغـط عـلى الاتحـاد السـوفيتى لسـد هـذا النقـص، ومـن هنـا قـرر السـفر سرًّا إلى موسـكو.

كانـت مطالـب «عبـد النـاصر» خطـيرة إلى حـد أن القيـادة السـوفيتية رأت أثنـاء الاجتـماع، أنهـا سـتؤدى إلى تداعيـات دوليـة خطـيرة أهمهـا احتـمال وقـوع مواجهـة حـادة بـين «موسـكو» و«واشـنطن»، لكـن تهديـد عبـد النـاصر بـترك الحكـم دفـع القيـادة السـوفيتية إلى طلـب مهلـة ٢٤ سـاعة، جـرى فيهـا عقـد اجتـماع لم يحـدث مـن قبـل لمناقشـة مثـل هـذا الطلـب، حيـث تـم اسـتدعاء مجلس السـوفييت الأعلى واللجنـة المركزيـة للحـزب الشـيوعى السـوفيتى لاجتـماع طـارئ، وفى صبـاح يـوم ٢٥ ينايـر أعلـن «بريجنيـف» سـكرتير الحـزب الشـيوعى أمـام الوفـد المـصرى تلبيـة مطالـب مـصر، وقـال: «هـى المـرة الأولى التـى يخـرج فيهـا جنـدى سـوفيتى إلى دولـة صديقـة منـذ الحـرب العالميـة الثانيـة».

٢٣ يناير عام ١٩١١

محمد فريد يبدأ فترة السجن بسبب ديوان «الغاياتى»

خرج الزعيم الوطنى محمد فريد من السجن فى الساعات الأولى من النهار حتى لا يشعر الناس به، لكن المفاجأة كانت فى مظاهرة حاشدة تحمله على الأعناق وتهتف ضد الاحتلال الإنجليزى لمصر.

كان يقضى عقوبة السجن ستة أشهر التى بدأت فى مثل هذا اليوم ٢٣ يناير عام ١٩١١، لاتهامه بكتابة مقدمة ديوان شعر «وطنيتى» ومؤلفه «على الغاياتى». احتوى الديوان (صدر عام ١٩١٠) على قصائد تهاجم الاحتلال والخديو «عباس حلمى الثانى» والحكومة، وجاء فى مقدمة «فريد»: «كان من نتيجة استبداد حكومة الفرد سواء فى الغرب أو الشرق، إماتة الشعر الحماسى، وحمل الشعراء بالعطايا والمنَح على وضع قصائد المدح البارد، والإطراء الفارغ فى الملوك والأمراء والوزراء».

اعتبرت السلطات أن الديوان تحريضىٌّ يستوجب محاكمة مؤلفه، وكاتب المقدمة، ومحاكمة الشيخ عبد العزيز جاويش لكتابته مقدمة ثانية، وبينما كان «جاويش» فى مصر وحصل على حكم بالسجن ثلاثة أشهر، كان «فريد» رئيس الحزب الوطنى أكبر الأحزاب وقتئذ، فى جولة أوروبية استمرت ٨ أشهر.

لم تكن جولة «فريد» هروبا، بل كانت فى صلب القضية الوطنية، ففى أوروبا كان يعرض «مسألة استقلال مصر»، ولما قضت المحكمة بسجن «جاويش»، تلقَّى «فريد» خطابا من ابنته الكبرى «فريدة» يأتى عبد الرحمن

الرافعى بنصه فى كتابه «محمد فريد، رمز الإخلاص والتضحية»، الصادر عن «دار المعارف، القاهرة»: «ولنفرض أنهم يحكمون عليك بمثل ما حكموا على عبد العزيز جاويش، فذلك أشرف من أن يقال بأنكم هربتم، وما تحملتم الهوان فى سبيل وطنكم، أتوسل إليكم باسم الوطنية والحرية التى تضحون بكل عزيز فى سبيل نصرتها أن تعودوا، وتتحملوا آلام السجن»، وعاد «فريد».

كان «فريد» صُلْبًا فى مواقفه الوطنية، استقال من القضاء ليعمل فى المحاماه بعد نقله إلى الصعيد لتعبيره عن فرحه ببراءة الشيخ على يوسف وتوفيق أفندى كيرلس فى اتهامهما بإفشاء أسرار حربية، وحضر المحاكمة ضمن الجمهور، ومما يرويه أحمد لطفى السيد فى كتابه: «قصة حياتى» أن أحمد فريد باشا والد محمد قابله فى سويسرا وظل يبكى نادبا حظه فى ولده الذى فتح «دكان أفوكاتو»، وعن صلابته أيضا، يصفه فتحى رضوان فى كتابه «مشهورون منسيون»: «فريدًا فى الثبات والاستمساك بالعقيدة التى استحالت منقذا فى يد المتشبث بها».

يذكر «فريد» فى مذكراته الشخصية التى تأتى ضمن المجلد الثانى «مواقف حاسمة فى تاريخ القومية العربية»، تأليف محمد صبيح: «إسماعيل أباظة من رجال الخديو (عباس حلمى الثانى)، وكثيرا ما سعى عندى للتوفيق بينى وبينه، وتردد علىَّ مرارا بمصر خصوصا قبل محاكمتى، ووعدنى بحفظ القضية إذا رضيت بمقابلة الخديو وسرت كما يريد، أى أتبع سياسة الخديو وهى التقرب للإنجليز من جهة والكتابة والخطابة بما يوحَى إلىَّ به من السراى، فرفضت طبعا».

رفض كل المساومات للإفراج عنه قبل انتهاء فترة سجنه، ولما خرج كتب: «مضى علىَّ ستة أشهر فى غيابات السجن، ولم أشعر أبدا بالضيق إلا عند اقتراب خروجى، لعلمى أنى خارج إلى سجن آخر، وهو سجن الأمة المصرية الذى تحدُّه سلطة الفرد وبحراسة الاحتلال».

٢٤ يناير عام ٢٠٠٤

رحيل عبد الرحمن منيف« المعلَّق بين السماء والأرض»

« عشت كالطير المعلق فى الهواء بين السماء والأرض، وجذرى غير ثابت وغير قوى، لا أستطيع ضمان البقاء على أرض ثابتة»، بهذه الكلمات بادرنى الروائى الكبير عبد الرحمن منيف، حين سألته عن رحلة حياته التى عاشها منفيا من عاصمة عربية وأوروبية إلى أخرى.

كان لقائى به فى منزله بالعاصمة السورية دمشق عام ١٩٩٦، أى قبل وفاته بنحو ثمانى سنوات، حيث رحل فى مثل هذا اليوم ٢٤ يناير عام ٢٠٠٤.

هو، من أهم الروائيين العرب فى القرن العشرين، وأنا، ذهبت إليه مسلحا بقراءاتى لمعظم رواياته ومنها: «مدن الملح، الأشجار واغتيال مرزوق، سباق المسافات الطويلة، النهايات، شرق المتوسط، الآن هنا أو شرق المتوسط مرة أخرى، قصة حب مجوسية».

سألته عن إبداعه، وعالمه الروائى، ورائعته «مدن الملح» بأجزائها الخمسة، التى تعد فتحا رائدا لـ«أدب الصحراء» عربيا، وسألته عن علاقة المثقف بالسلطة، وحين انتهيت من الحوار، قال لى: «كنت أتمنى أن يكون حوارنا عن الديمقراطية، هل تصدق أننى لا أملك بطاقة انتخابية وعمرى الآن ٦٢ عاما، وتلك واحدة من الحقوق التى تمنيتها طوال حياتى، وسلبها منى هؤلاء الحكام الذين يتلذذون بقمع الإنسان العربى؟»، نظرت إلى شعره الأبيض وأنا أقول له: «ربما يأتى اليوم الذى تحصل فيه على حقك الانتخابى»، فتنهد بعمق: «أتمنى.. لا أظن».

كانت «دمشق» هي محطة منفاه الأخيرة، التي بدأت معه منذ وعيه بقضية وطنه العربي وحريته، فهو من مواليد العاصمة الأردنية عمان يوم ٢٩ مايو ١٩٣٣، لأب سعودي وأم عراقية، ووالده من منطقة «القصيم» وسط السعودية، وكان من كبار التجار الذين اشتهروا برحلات التجارة بين «القصيم» والشام.

درس في «عمان» حتى مرحلة الثانوية وكتب عن هذه المرحلة كتابه «سيرة مدينة»، ثم انتقل إلى «بغداد» للالتحاق بكلية الحقوق، وانضم إلى حزب البعث، وطُرد من العراق مع طلاب آخرين لاعتراضهم على حلف بغداد ١٩٥٥ الذي قاومه جمال عبد الناصر، وجاء إلى القاهرة لإكمال دراسته حتى عام ١٩٥٨، ثم سافر إلى بلجراد للحصول على الدكتوراه، وعاد إلى سوريا ثم بيروت عام ١٩٧٣، فالعراق ١٩٧٥، ثم فرنسا ١٩٨١، ومنها إلى سوريا عام ١٩٨٦، وظل بها حتى رحيله.

لم يكن ترحال «منيف» اختياريا في معظمه، وإنما كان بالطرد نتيجة المواقف السياسية التي ينحاز إليها، لكن أقساها عليه كان قرار السعودية بسحب جنسيتها منه بسبب روايته «مدن الملح» التي تتناول كيف جعل النفط من حكام المنطقة أدوات في يد أمريكا.

أما الفترة التي عاشها في مصر فيؤكد أنها أخصب فترات حياته وحسب قوله لي: «في القاهرة اندمجت في الجو المصري، وكان عندي لهفة لإقامة علاقات واسعة، وكان لنا روابط مع عدد من المثقفين مثل أحمد بهاء الدين، محمود أمين العالم، محمد عودة، عبد العظيم أنيس، فتحي غانم، أحمد عبد المعطي حجازي، رجاء النقاش، ومحمد حسنين هيكل، وترددت على مجلة روزاليوسف، والمسارح حيث كانت مصر تعيش نهضتها المسرحية الكبيرة».

٢٥ يناير عام ١٩٥٢
٥٤ شهيدًا للشرطة فى قتال «بلا أمل» ضد الاحتلال

طلبت مكبرات صوت القوات البريطانية من قوات الشرطة المصرية المحاصَرة، أن يخرج الضباط والجنود المحاصرون فرادى، وخرج بالفعل ٧٩٠ ضابطا وجنديا معظمهم من قوات «بلوك النظام» وقرابة مائة من جنود البوليس، الجنود العاديين.

كان ذلك فى مثل هذا اليوم ٢٥ يناير عام ١٩٥٢، الذى يخلده التاريخ المصرى بـ«عيد الشرطة»، وكان الحدث هو اشتباكات بين القوات البريطانية بقيادة الجنرال «جورج أرسكين»، وقوات «بلوك النظام» و«البوليس النظامى» الذى بدأ بإنذار بريطانى إلى محافظ الإسماعيلية بخروج جنود «بلوك النظام» من المنطقة بدون سلاحهم، وإلا فإن قواته ستتولى إخراجهم بالقوة، وتنزع الأسلحة من يد كل عناصر قوات البوليس وتجردها، ثم تتحفظ على سلاح جنود «بلوك النظام» وتعيد سلاح جنود البوليس العاديين لتأدية وظيفتهم فى حفظ الأمن العام.

كانت مهلة الجنرال «١٢ ساعة»، بعدها سينفذ تهديده، وكان بحوزته أمر من «لندن» باعتقال جنود «بلوك النظام»، خشية عودتهم إلى القاهرة بعد نزع سلاحهم مما قد يدفع زملاءهم فى القاهرة إلى الغضب.

فى القاهرة تلقَّى فؤاد سراج الدين باشا، برقية عاجلة بما يحدث، وكان عليه اتخاذ القرار أمام هذه التهديدات، فأرسل أمرا برفض التهديد والتمسك

بـ«المقاومـة» حتـى آخـر رجـل، وطبقـا لذلـك كان نحـو ثمانمائـة أو تسـعمائة عليهـم المقاومـة بـما لديهـم مـن سـلاح لا يناسـب المواجهـة، وأدى عـدم التكافؤ فى التسـليح إلى سـقوط نحـو عشريـن شـهيدا حتـى السـاعة العـاشرة والنصـف صباحـا، ولمـا شـاهد محافـظ الإسـماعيلية نزيـف الخسـائر اتصـل بـ«فـؤاد باشـا سراج الديـن» وزير الداخليـة.

– المحافظ: «يا باشا، المعركة ميئوس منها».

– وزيـر الداخليـة: «أوامـرى لم تتغـير ومازالـت هـى المقاومـة إلى آخـر رجـل وآخـر طلقـة».

اسـتمرت المعركـة، وفى تمـام السـاعة الثانيـة عـشرة والربـع بلـغ الضحايـا ٥٤ شـهيدا، مقابـل ثلاثـة بريطانيـين فقـط، وكان أمـام قائـد القـوة المصريـة مواصلـة القتـال حتـى «آخـر رجـل وآخـر طلقـة» تنفيـذا لأوامـر «فـؤاد باشـا»، أو طلـب وقـف القتـال حتـى لا يتـم إبـادة الجميـع، فجـاء قـراره عـلى مسـئوليته كقائـد ميدانـى، بوقـف القتـال.

طلـب قائـد القـوات المصريـة، وقـف القتـال، فأعلـن الجنـرال البريطانـى «جـورج أرسـكين» شروطـه عـبر مكـبر الصـوت: «اخرجـوا فـرادى واتركـوا أسـلحتكم»، وقـد كان.

أصبحـت هـذه المعركـة رمـزا تاريخيـا للشرطـة المصريـة بشـهدائها، غـير أن هنـاك مـن يطـرح حولهـا أسـئلة، وفى كتابـه «سـقوط نظـام، دار الـشروق، القاهـرة» يقـول الكاتـب الكبـير محمـد حسـنين هيـكل: «لم تكـن معركـة متكافئـة، وإنـما كانـت درجـة مـن البطولـة بـلا أمـل، وهـى وقفـة تسـتحق الاحـترام وتسـتحق التكريـم، لكـن السـؤال الـذى لم يكـن فى مقـدور أحـد أن يطرحـه وقتهـا، مـا إذا كان الأمـر بمواصلـة المقاومـة حتـى آخـر طلقـة وآخـر رجـل قـرارا سـليما، أم أنـه جـاء ضمـن سـياق سياسـى أفلـت مـن يـده السـيطرة عـلى الحـوادث، أم أن وزيـر الداخليـة كانـت لديـه اعتبـارات أخـرى؟».

٢٦ يناير عام ١٩٥٢
النار تحرق قلب القاهرة و«النحّاس» يقلم أظافره والملك يحتفل

بدأ هجوم عنيف بالحجارة على «كازينو أوبرا»، ثم اقتحام سريع لشرفة المبنى ومدخله، وتصاعدت من داخله ألسنة اللهب، وانتشرت عدوى العنف بعد دقائق حول ميدان الأوبرا، وامتدت إلى الشوارع المحيطة لتحترق القاهرة فى مثل هذا اليوم (٢٦ يناير ١٩٥٢).

بين الساعة الثانية عشرة والنصف ظهرا والحادية عشرة مساء، وحسب كتاب «حريق القاهرة- اتهام جديد» للكاتب جمال الشرقاوى، التهمت النار ٧٠٠ محل وسينما وكازينو وفندق ومكتب ونادٍ وشركة، موزعة إلى ٣٠٠ محل تجارى، ٣٠ إدارة ومكتبا لشركات كبرى، ١١٧ مكتب أعمال وشققا سكنية، ١٣ فندقا كبيرا منها «شبرد»، ٤٠ دار سينما بينها ريفولى وراديو ومترو وديانا وميامى، ٨ محلات ومعارض كبرى لسيارات، ١٠ متاجر للسلاح، ٧٣ مقهى ومطعما وصالة منها «جروبى» و«الأمريكين» وجميع المطاعم والملاهى الممتازة، ٩٢ حانة، ١٦ ناديا، وبنك باركليز، ومقتل ٣٦ شخصا، وإصابة ٥٥٢ بجروح، وتشرد عدة آلاف من العاملين فى المنشآت التى احترقت قُدِّر عددهم بمن يعولون من أسر بـ«٢٠ ألفا».

• لم تكن هذه الخسائر مجرد انهيار جدران، وأرواح تموت، بل وفاة لثلاثى حكم مصر، الملك، الاحتلال الإنجليزى، الأحزاب، فبينما كانت ألسنة النيران تتصاعد، كان الملك فاروق يقيم مأدبة غداء واحتفالا ضخما فى قصر

عابدين، دعا فيه تليفونيا أكثر من ألفَىْ ضابط بمناسبة بلوغ طفله «أحمد فؤاد» يومه الأربعين، ولما انتشر الحريق استدعى السفير الأمريكي «كافرى» ليبحث له عن وسيلة تأمين في حال امتداد النيران إلى القصر الذي نُصبت المدافع حوله، وأحيط بنحو ٨٠٠ من سلاح الهجانة.

طلب فاروق تجهيز طائرة هليكوبتر لنقل زوجته ناريمان وطفلها إلى قصر القبة، ولكن طبيبها حذر من خطر تحركها، ولم يكن الوضع الأمنى أحسن حالا، فحسب كتاب «سقوط نظام» للكاتب الصحفى الكبير محمد حسنين هيكل: «كان القرار الأمنى معطلا، فبين الساعة الواحدة والثانية ظهرا، انشغل فؤاد سراج الدين وزير الداخلية بمسألة خاصة جدا، وأمر بإشعال النور الأحمر على باب مكتبه من ناحية السكرتارية تحذيرا، وأوقف تحويل أى اتصالات تليفونية تطلبه، واختلى طبقا لوثيقة مسجلة في الشهر العقارى مسجلة برقم (٢٣٤٥) بخمسة رجال لتوقيع عقد بيع العمارة رقم ٢٣ شارع عبد الخالق ثروت التي يملكها «جورج عريضة» لفؤاد باشا بمبلغ ٨٠ ألف جنيه».

أما فى ساعات الصباح ومع ازدياد المظاهرات في القاهرة، فلم يستطع فؤاد باشا الإبلاغ عنها لمصطفى النحاس رئيس الوزراء؛ لأن «رفعة الباشا» كان مع مدام «جورجينا» السيدة الأرمنية المتخصصة في قص الأظافر، وكانت تذهب إليه كل عشرة أيام، لأن ظفر إصبعه الكبرى مُعرَّض دائما للغرز في الجلد.

احترق قلب القاهرة، ورغم أن المناخ السياسى هو المتهم الرئيس، لكن الفاعل بقى مجهولا، وفى كتاب «حريق القاهرة في الوثائق السرية البريطانية» لـ«مجدى نصيف»، تؤكد الوثائق: «الحريق كان مدبرا، وتلقى منفذوه تدريبات خاصة على أسرع وسائل إشعال الحرائق».

على الرغم من أن الحادث مازال لغزًا، وغير معروف الجهة التي ارتكبته فإن هناك أطرافا تؤكد أن «فاروق» يقف وراءه، ويدلل «مرتضى المراغى» آخر وزير داخلية قبل ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ على ذلك فى مذكراته «شاهد

على حكم فاروق الصادرة عن دار المعارف، القاهرة» بذكر عدة وقائع، من بينها واقعة يؤكد أنه استمع إليها شخصيًا، وهى أن السلطانة مَلَك زوجة السلطان حسين كامل، وكان فاروق يعتبرها بمثابة أمه ويستشيرها فى كثير من الأمور، أزعجها ما حدث فى الإسماعيلية بين الإنجليز والشرطة المصرية، فاتصلت بالملك فاروق تسأله عن تفاصيل الحادث، ولما شرح لها ما حدث، حذرته من أن هذا حادث خطير يعرض البلد إلى منزلق خطير، فرد فاروق: «لابد من إيصال البلد إلى أى أخطر منزلق حتى يمكن إصلاحه بعد ذلك».

٢٧ يناير عام ١٩٥٢
مهاترات فى «القصر» تنتهى بإقالة «فاروق» لحكومة النحاس

ارتفعت الأصوات، تحول النقاش إلى «مهاترات»، فطلب الملك فاروق من الجميع الانصراف، والعودة إليه فى اليوم التالى للاجتماع.

كان الاجتماع مساء نفس يوم «حريق القاهرة»، وبعد قرار الحكومة بفرض الأحكام العرفية، ودار النقاش حول ما يمكن فعله بعد الكارثة التى دمرت القاهرة، ورغبة الملك فى إقالة حكومة مصطفى النحاس «الوفدية»، وكان أطراف النقاش مع «فاروق» فى القصر، «حافظ عفيفى» رئيس الديوان الملكى، و«إلياس أندراوس» المستشار الاقتصادى للملك، والفريق محمد حيدر القائد العام للقوات المسلحة.

جاء الاجتماع بعد انصراف «فؤاد سراج الدين باشا» وزير الداخلية، وفيما كان «أندراوس» و«عفيفى» متحمسين لإقالة الحكومة، رفضها حيدر باشا لأن «الشعب يؤيدها، ومن الخطأ إقالتها من الناحية الوطنية ومن ناحية مصلحة الملك الشخصية». وفى كتاب «حزب الوفد ١٩٣٦ - ١٩٥٢» للدكتور محمد فريد حشيش، كان السؤال لحيدر باشا: «هل تضمن بصفتك القائد العام موقف الجيش إزاء الملك إذا أقال الوزارة؟» فثار حيدر: «ما دخل الجيش فى هذا؟ الإقالة عمل سياسى والجيش بعيد عن السياسة».

احتدم النقاش ودخل «حيدر» و«أندراوس» فى مهاترة، طلب الملك على أثرها فض الاجتماع، فغادر «حيدر» القصر، لينفرد «أندراوس» و«عفيفى» بـ«الملك»، وأخبراه بأن الحكومة علمت باحتمال إقالتها، وهناك خشية من أن تجهز فعلا يخرج الملك، ولا بديل عن سرعة إقالتها ومفاجأتها بهذه الخطوة، وجرى التباحث حول الرجل الذى يمكنه تشكيل الحكومة، فكان اقتراح نجيب الهلالى، لكنه رفض، فكان اختيار على ماهر باشا الذى وافق، فأصدر الملك قراره بإقالة الحكومة فى مثل هذا اليوم (٢٧ يناير عام ١٩٥٢)، وتم تكليف على ماهر بتشكيل حكومة جديدة.

فى المراحل التى تلى الكوارث الكبرى يكون الاتجاه نحو ما يُسمى «برجال الإنقاذ»، أى هؤلاء الذين يتحملون المسئولية فى ظرف استثنائى، فهل كان على ماهر هو الرجل الاستثنائى الذى يتحمل المسئولية فى ظروف استثنائية؟

فى كتابه «سقوط نظام، الصادر عن دار الشروق، القاهرة»، يقدم محمد حسنين هيكل جانبا من الإجابة عن هذا السؤال: «كان على ماهر يعتبر نفسه طبيبا سياسيا، كما نقل عنه واحد من المقربين إليه هو الأستاذ «إبراهيم عبد الوهاب» سكرتير عام مجلس الشيوخ الذى اختاره ماهر وزيرا للدولة، وأن مهمته ليست مجرد «إنقاذ الموقف»، وإنما هى «بعث مقدس» تتحدى الأيام والرجال، ومن الإشارات التى لمسها من حوله، أن هناك من يريدونه رجل مطافئ أو رجل إسعاف، أى لمدة مؤقتة، ولم يكن ذلك ما يريده بالقطع».

كان «على ماهر»، حسب «هيكل»، يدرك أن مهمة إنقاذ الموقف فى عهدة الجيش، والجيش أمره فى القصر الملكى وليس فى رئاسة الوزراء، أى أن ما حسبه فى اختصاصه اكتشف أنه عزيز المنال، أما مهمة الأوضاع الاقتصادية فتحتاج إلى طمأنة رأس المال الأجنبى والمصرى، وأدرك أن ذلك يحتاج إلى معجزة ليس بمقدوره أن يفعلها، فدخان حريق القاهرة كان يملأ الأجواء.

٢٨ يناير عام ١٨٧٣
بوشكين.. عبقرى الشعر الروسى يموت ثأرًا لكرامته

كان «بوشكين» أعظم شاعر روسى على مر العصور فى الثلاثين من عمره، حينما وقع نظره لأول مرة على «ناتاليا جونتشارف» فاتنة الجمال وابنة الستة عشر عامًا فقط.

كان ذلك عام ١٨٢٩ أثناء حفل راقص بحضور قيصر روسيا «نيقولا الأول»، كانت مولعة بالحفلات، وكان مولعا بإبداع الشعر للإنسانية، ولما رآها سأل نفسه: «كيف أستحوذ على هذا الجمال الكامل؟ كيف تكون هذه الفاتنة ملكى وحدى؟ هى فتنت «القيصر» لكنها ستكون لى».

طلب يدها فى اليوم التالى للحفل، ترددت أمها فى الموافقة؛ لأنها حلمت بتزويجها من «ثرى نبيل»، لكنها بعد عام أعطت الموافقة فتم الزواج، وبعد ثمانى سنوات قاده الزواج إلى موت درامى، تواصلت الخطوات إليه طوال فترة زواجه، لتخسر الإنسانية واحدا من أعظم شعرائها، وفى كتاب «جوانب أخرى من حياتهم»، الصادر عن المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ترجمة وتقديم أشرف الصباغ، نقرأ القصة كاملة.

فى حياة «بوشكين» مع «ناتاليا»، تستوقفنا معانٍ كثيرة، منها، كرامة الإنسان، التفكير غير المألوف من المبدع، توهج الإبداع فى حياة قصيرة، وإلهام الإبداع الذى يأتى من الذوبان فى حب امرأة، وبهذه القسمات تواصلت حياة «بوشكين»، فالزواج الذى تمنى أن يوفر له العش الهادئ

حتى ينتج أدبا عظيما، جلب لـه تعاسة من حماته التى لم تكفَّ عن نقده، ومن «القيصر» الذى لم يكن يحبه لنزعته التحررية، وتفننه فى إبقاء «ناتاليا» بقربه، وترددها على حفلات القصر الراقصة، ولهذا منح «بوشكين» وظيفة «ضابط فى البلاط» وهو فى عمر الـ«٣٥»، رغم أن «القيصر» يمنحها فقط لأبناء النبلاء بين (١٧ و٢٢ عاما).

المفارقة أن «بوشكين» كان على دراية بأسباب منحه هذه الوظيفة وعن ذلك يقول: «انقضت ثلاثة أيام وأنا ضابط فى البلاط، وهذه الوظيفة لا تليق بسنى، لكن ما العمل إذا كان القيصر يريد أن يشاهد «ناتاليا» وهى ترقص فى قصر «أنيتشكوف»؟، ورغم كل ذلك لم يجفَّ نبع إبداع «بوشكين».

أطل فى هذه الدراما الإنسانية شاب جديد، فرنسى الأصل هو «جورج دانتس» الابن بالتبنِّى للسفير الهولندى «هيكرن» فى روسيا، أعجب «دانتس» بـ«ناتاليا»، وتودد إليها وراقصها، فدبت الشائعات، وتلقى «بوشكين» رسائل دون توقيع تتهمه بالغفلة، وثأرا لكرامته دعا «هيكرن» إلى مبارزة بالسلاح يوم ٢٧ يناير ١٨٧٣.

أوقعته المبارزة مُضرَّجًا فى دمائه، لكنه صمم على مواصلتها فى اليوم التالى (مثل هذا اليوم)، ولما تم نقله إلى منزله، كانت «ناتاليا» تطرز رداء لها، فسقطت فاقدة الوعى حين شاهدته والدماء تسيل منه، وحسب كتاب «الساعات الأخيرة»، الصادر عن دار الهلال، القاهرة، للكاتب طاهر الطناحى، ظل يعانى آلامًا مبرحة، وفى يوم ٢٩ يناير طبع قبلة الوداع على جبين زوجته، وودع أطفاله، ثم فاضت روحه الساعة الثانية عشرة وخمس وأربعين دقيقة، وظل جثمانه معروضا فى بيته ثلاثة أيام، واحتشد أمامه ما يزيد على مائتى ألف شخص لإلقاء نظرة الوداع عليه، ولما بلغ الخبر إلى «القيصر» قال شامتا: «كنت أتوقع له هذه النهاية».

٢٩ يناير عام ٨٠٣هـ
هارون يقتل البرامكة
ومؤرخون يختلفون حول دور «العَبَّاسة»

هل قتل الخليفة العباسي هارون الرشيد البرامكة (الفرس) بسبب أخته «العباسة»؟ هل قتلهم لأنه كان لا يمر ببلد ولا إقليم ولا قرية ولا مزرعة ولا بستان إلا قيل هذا لجعفر؟ وهل قتلهم لأنهم كانوا يريدون إبطال خلافته وإظهار الزندقة؟ هي أسئلة يذكرها «ابن كثير» في الجزء العاشر من مؤلفه الضخم «البداية والنهاية»، ويدور حول واقعة قيام «هارون» بقتل جعفر بن يحيى البرمكي و« البرامكة» في مثل هذا اليوم (٢٩ يناير ٨٠٣هـ) التي تحفظها مراجع التاريخ بـ«نكبة البرامكة»، ويقول ابن كثير عنها: «دمر ديارهم، واندثرت آثارهم، وذهب صغيرهم وكبيرهم».

هي قصة في عمق تاريخنا الإسلامي يصفها مؤرخون بصراع «العرب والعجم» فالبرامكة الفرس هم عجم، وإذا كان القتل هو المشهد الختامي للعلاقة بين «هارون» و«البرامكة»، فإن العلاقة التي ربطت بينهم لم تكن تبشر بختام دموي على نحو ما حدث، فالأب «يحيى» كان هو المسئول عن تربية «هارون» وأرضعته زوجته، ولهذا كان يعدُّ الزوجة في مرتبة الأم، ويحيى في مرتبة «الخال»، كما أن «يحيى» هو الذي حافظ على حق هارون في العرش، عندما أفسد مخطط «الهادى» بخلع شقيقه هارون من «ولاية العهد»، ونتيجة لذلك تولى أمر وزارة الرشيد وحمل خاتم الدولة، أما أبناء يحيى فكانوا

بمثابـة الأشـقاء لهـارون، كان «الفضـل» شـقيقه فى الرضاعـة والمسـئول عـن تربيـة «المأمـون بـن هـارون»، وكان جعفـر نديـم الرشـيد وخليلـه فى المجالـس وحاكـم ولايـات خراسـان والشـام ومـصر.

مما راج فى روايـات التاريـخ ربـط تخلـص «هـارون» مـن «البرامكـة» بعلاقـة قامـت بـين «العباسـة» شـقيقة هـارون وأحـب أهلـه إليـه، و«جعفـر بـن يحيـى البرمكـى»، ويقـال إنهـا كانـت تحـضر مجلسـه وجعفـر أيضـا، فزوّجهـا ليحـل نظـر جعفـر إليهـا، لكنـه اشـترط عليـه ألا يطأهـا، وينقـل ابـن كثـير «عـن ابـن خلـكان»، أنـه بعـد الـزواج «راودت العباسـة جعفـر فامتنـع أشـد الامتنـاع خوفـا مـن الرشـيد، فاحتالـت عليـه، وكانـت أمـه تهـدى لـه فى كل ليلـة جمعـة جاريـة حسـناء بكـرا، فقالـت لأمـه: أدخلينـى عليـه بصفـة جاريـة، فهابـت ذلـك فتهددتهـا حتـى فعلـت، فلـما دخلـت عليـه لم يتحقـق وجههـا فواقعهـا، فقالـت لـه: كيـف رأيـت خديعـة بنـات الملـوك؟ وحملـت مـن تلـك الليلـة، فدخـل عـلى أمـه فقـال: بعتنـى والله برخيـص، وأفشـت زبيـدة السـر لزوجهـا هـارون».

غـير أن ابـن خلـدون فى مقدمتـه «تحقيـق عبـد السـلام الشـدادى، بيـت الفنـون والآداب، الـدار البيضـاء» يرفـض هـذه الروايـة، ويعدُّهـا مـن «الحكايـات المدخولة للمؤرخـين»، ويقـول: «لـو نظـر المتأمـل فى نظـر المنصـف وقـاس العباسـة بابنـة ملـك مـن عظـماء ملـوك زمانـه لاسـتنكف لهـا عـن مثلـه مـع مـولى مـن مـوالى دولتهـا، وفى سـلطان قومهـا، واسـتنكره ولَـجَّ فى تكذيبـه»، ويعيـد ابـن خلـدون نكبـة البرامكـة إلى «اسـتبدادهم عـلى الدولـة واجتحافهـم أمـوال الجبايـة، حتـى كان الرشـيد يطلـب اليسـير مـن المـال فـلا يصـل إليـه فغلبـوه عـلى أمـره وشـاركوه فى سـلطانه، ولم يكـن لـه منهـم تـصرف فى أمـور ملكـه، فعظمـت آثارهـم، وبعُـد صيتهـم وعمـروا مراتـب الدولـة وخططهـا بالرؤسـاء مـن ولدهـم وصنائعهـم، واحتازوهـا عمـن سـواهم مـن وزارة وكتابـة وقيـادة وحجابـة وسـيف وقلـم».

٣٠ يناير عام ١٩٨٢

* وفاة چاك بيتون..
وزوجته الألمانية تكتشف أنه رفعت الجمَّال

«هناك مسألة أساسية.. لا أريد أن أُدفن فى مدافن اليهود»، طرح «چاك بيتون» الذى هو فى الأصل «رفعت الجمال» وتليفزيونيا «رأفت الهجان» هذا المطلب على زوجته الألمانية «فالتراود بيتون»، وهو على فراش المرض وقبل موته بأيام، وعلى الرغم من استغراب الزوجة فإنها أجابته بتلقائية: «وهو كذلك.. لك ما طلبت، مادامت هذه رغبتك».

لم تكن الزوجة تعلم ما السر وراء طلب الزوج، كانت الآلام المبرحة لزوجها من مرض سرطان الرئة هو شاغلها، وذلك حسبما تذكره فى كتاب «١٨ عاما خداعا لإسرائيل - قصة الجاسوس المصرى رفعت الجمال» الصادر عن «مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة»، وتكشف فيه أنه فى صباح مثل هذا اليوم (٣٠ يناير ١٩٨٢) ذهبت إلى المستشفى فرأت زوجها أشبه بطفل صغير من حيث الحجم: «هذا الجسم النحيل الضئيل الذى لا يكاد يُرى من تحت الملاءة لا يشبه الرجل الذى جاب بى العالم كله، لم يبقَ منه الكثير».

أمرها الطبيب بالانصراف فعادت إلى البيت، وفى الساعة الواحدة إلا ربعًا ظهرًا دق جرس التليفون فسارعت إلى السماعة لتسمع صوتا نسائيا باردا: «أود أن أخبرك أن زوجك مات ميتة هادئة، أنا آسفة»، وبعد أن تلقت «فالتراود» الخبر بدأت الاتصالات التليفونية، وكانت آخر مكالمة لها مع محمد الجمَّال

الـذى حـضر عـلى الفـور إلى المستشـفى ومـع زيارتـه بـدأت العاصفـة، تقـول: «فـور وصولـه سـألنى إذا كان بالإمـكان أن ينفـرد بـى بضـع دقائـق ليخبرنـى بشـىء مـا، وسـألته بـدورى مـا إذا كان يسـتطيع الانتظـار، غـير أنـه أصر مؤكـدا أنه مـن الأهمية بمـكان أن أعـرف مـا يريـد أن يقولـه لى، وأن مـن الـضرورى أن أعرفـه الآن، وقـص علىَّ قصـة لا يمكـن تصديقهـا، إذ قـال إن زوجـك ليـس اسـمه «چـاك بيتـون» بـل «رفعـت عـلى سـليمان الجـمال» وهـو عمـى، شـقيق أبـى سـامى وليـس يهوديـا بـل مسـلما، وعميـل سرى لجهـاز المخابـرات المصريـة الـذى زرعـه فى إسرائيـل».

لم تَـذْرِ «فالـتر واد» كيـف تحملـت سـماع كل مـا سـبق، وطلبـت مـن «محمـد» تأجيـل الحديـث فى هــذا الموضــوع، فمحمــد الــذى يتحــدث معهــا بحقيقتــه الجديـدة، كان بالنسـبة إليهـا الشـخص الـذى جـاء إلى ألمانيـا، وقدمـه «چـاك» إلى زوجتـه عـلى أنـه ابـن أسـتاذه ومدرسـه السـابق فى مـصر، وعـاش معهـم لفـترة حتـى وفـروا لـه وظيفـة فى مستشـفى «ماينـز» الجامعـى.

تذكـرت «فالـتر واد» لحظـة تقديـم جـاك لنفسـه إليهـا وإلى كل مـن عرفتـه باعتبـاره يهوديـا فرنسـيا، ولـد فى المنصـورة عاصمـة إحـدى محافظـات مـصر فى يـوم ٢٣ أغسـطس ١٩١٩، وأن أبـاه كان رجـل أعـمال فرنسـيا عمـل فى مـصر، وتـزوج مـن مصريـة ولـدت لـه ابنـين، وكان هـو الأكـبر، أمـا روبـرت الأخ الأصغـر فانتحـر، وبعـد وفـاة أم چـاك تـزوج أبـوه للمـرة الثانيـة مـن امرأة فرنسـية، وأصبحـت حياتـه غـير مريحـة مـع أختيـه مـن زوجـة أبيـه، وآثـر الهـرب، تقـول فالـتر واد: «تلـك هـى القصـة التـى صدقناهـا دائـما، لكنـى اكتشـفت فـور وفاتـه أن كل ذلـك لم يكـن حقيقيـا».

٣١ يناير عام ١٥١٧
سليم الأول يستعيد القاهرة ..
والسيف العثمانى يلعب فى رقاب المصريين

أسرع خطباء المساجد بالدعاء للسلطان العثمانى سليم الأول فى صلاة الجمعة، كان ذلك فى اليوم التالى مباشرة لانتصار العثمانيين على المماليك فى موقعة «الريدانية»، يوم الخميس ٢٢ يناير عام ١٥١٧.

بدأ توافد الجنود العثمانيين إلى القاهرة، وبدا للمصريين زوال دولة المماليك، وكما جرت العادة فى مثل هذه الأحوال، يختتم خطباء المساجد خطبة الجمعة بالدعاء للحاكم الجديد، وهذا ما حدث مع «سليم الأول»: «انصر اللهم السلطان ابن السلطان ملك البرين والبحرين، وكاسر الجيشين، وخادم الحرمين الشريفين، الملك المظفر سليم شاه، اللهم انصره نصرا عزيزا وافتح له فتحا مبينا، يا مالك الدنيا والآخرة يا رب العالمين».

دخل العثمانيون مصر، وكان يوم الحساب والزلزال، ويصف ابن إياس فى «بدائع الزهور» الصادر عن مكتبة الأسرة، القاهرة: «صاروا- أى العثمانيين- ينهبون بيوت الناس حتى بيوت الأرباع فى حجة أنهم يفتشون على المماليك الجراكسة، فاستمر النهب والهجم عَمَّالًا فى البيوت ثلاثة أيام متوالية وهم ينهبون القماش والخيول والبغال من بيوت الأمراء والعسكر فما أبقوا فى ذلك ممكنا».

وحسب كتاب «أيام سليم الأول فى مصر» للكاتب والمؤرخ حلمى النمنم: «لعب السيف العثمانى فى رقاب المصريين بشكل عشوائى بهدف العقاب والرغبة فى الانتقام، وانتشر القتل فى معظم مناطق القاهرة، وامتلأت الشوارع والطرقات بالجثث والرقاب، فصارت جثثهم مرمية من الطرقات على باب زويلة إلى الرملة، ومن الرملة إلى الصليبية إلى قناطر السابع إلى الناصرية الصليبية، وزاد عددها على عشرة آلاف فى مدة أربعة أيام انتهت فى ٣١ يناير ١٥١٧».

لم تكن معركة الريدانية هى نهاية المطاف بالنسبة لـ«طومان باى»، ويقول الدكتور عماد أبوغازى فى كتابه «طومان باى السلطان الشهيد» الصادر عن دار ميريت، القاهرة: استمرت مقاومته للعثمانيين دون كلل، فبعد أربعة أيام من دخولهم القاهرة فوجئوا بطومان باى على رأس سبعة آلاف مقاتل يقتحمون المدينة ليلة الأربعاء ٥ محرم ٩٢٣ هجرية، ٢٨ يناير ١٥١٧، ونجح طومان باى وجنوده فى الاستيلاء على القاهرة بعد أن انضم إليهم الشعب فى المعركة، وعادت خطبة الجمعة باسمه يوم ٧ محرم بعد أن كانت الخطبة السابقة لـ«سليم».

لكن هذا الانتصار السريع لم يدُم، فسرعان ما استعاد العثمانيون سيطرتهم على المدينة بفضل تفوق أسلحتهم، عندما نجحوا فى اعتلاء بعض المساجد وأسطح بعض المنازل، وأخذوا فى ضرب المماليك والمصريين بالرصاص من أعلى فنجحوا فى القضاء على المقاومة فى القاهرة، واستعادوا سيطرتهم عليها فى مثل هذا اليوم (٣١ يناير ١٥١٧)، حسبما يؤكد حلمى النمنم فى كتابه «أيام سليم الأول فى مصر».

فر طومان باى إلى البهنسا فى الصعيد، ويقول «أبو غازى»: «من هناك بدأ يعيد تنظيم صفوفه من جديد، ويعد العدة لخوض معركة أخرى مع العثمانيين».

أمام ذلك تتجدد الأسئلة، هل كان دخول «العثمانيين» مصر، فتحا أم غزوا؟ وهل جاءوا لغرض حماية ديار الإسلام حقا؟ أم أنهم جاءوا كأحد أطياف الاستعمار حتى لو تستروا وراء «الخلافة الإسلامية»؟.

١ فبراير عام ١٨٨١
تحرير «عرابى» وزملائه من السجن

تلقَّى «أحمد عرابى» دعوة للحضور إلى ديوان «الجهادية» للاحتفال بزفاف «جميلة هانم» شقيقة الخديو توفيق، كما تلقى الضابطان «على بك فهمى» و«عبد العال حلمى» نفس الدعوة التى وجهها ناظر الجهادية «عثمان باشا رفقى»، ويصفه عرابى فى مذكراته بـ«الجاهل المتعصب لجنسه».

كانت هذه الدعوة تالية لحدث مهم هو رفع «عرابى» و«فهمى» و«عبد العال» عريضة إلى رئيس الوزراء رياض باشا، تتضمن أربعة مطالب، هى عزل ناظر الجهادية، وتعيين غيره من أبناء مصر، تأليف مجلس نواب من نبهاء الأمة، رفع عدد قوات الجيش إلى ١٨ ألف جندى، وتعديل القوانين العسكرية بحيث تكون كفيلة بتحقيق العدل والمساواة بين جميع الموظفين بصرف النظر عن اختلاف الأجناس والمذاهب.

أغضبت هذه المطالب الخديو توفيق، أما رياض باشا فزاد على غضبه منها قوله لـ«عرابى»: ليس فى البلاد من هو أهل لأن يكون عوضًا فى مجلس النواب، فرد عرابى: «إنك مصرى وباقى النظار مصريون، والخديو أيضًا مصرى، أتظن أن مصر ولدتكم ثم عقمت»، ولم يقتصر الموقف على ذلك، بل تم عقد اجتماع مجلس تحت رئاسة الخديو حضره جميع الباشوات المستخدمين والمتقاعدين من الترك والجركس، وقرروا: «عرابى وعلى فهمى وعبد العال حلمى مفسدون، ويقتضى إيقافهم من الخدمة ومحاكمتهم على فسادهم».

كانت دعوة الضباط الثلاثة للحضور إلى حفل زفاف شقيقة الخديو توفيق حيلة للإيقاع بهم فى غفلة، و فى مذكرات أحمد عرابى الصادرة عن «قصور الثقافة، القاهرة» يروى وقائعها كما حدثت فى مثل هذا اليوم (١ فبراير ٨٨٢): «أدركنا أن ناظر الجهادية يريد أن يخدعنا ويبطش بنا كما فعل محمد على باشا بأمراء المماليك، إذ لم يكن زمن الزفاف المحكى عنه قد حان بعد، فكانت تلك الحيلة سابقة لأوانها، ولذلك أخذنا حذرنا وهيأنا ما يلزم لنجاتنا، وذهبنا فى الوقت المعين إلى ديوان الجهادية بقصر النيل ووجدناه غاصًا بجميع الجراكسة من رتبة الملازم فما فوقها إلى رتبة الفريق، وكانت فى أيدى شبابهم الطبنجات وكلهم فرح فى فرح».

فى «ديوان الجهادية» تُلى أمر الخديو بإيقاف عرابى وزملائه ومحاكمتهم، وبعد أن نزعوا سيوفهم ساقوهم إلى السجن وكان قاعة فى قصر النيل، وعلى بابه مر «خسرو باشا» كبير الجراكسة، وهزأ بالضباط الثلاثة قائلا: «إيه زمبلل هرف لر»، وتعنى: «فلاحين شغالين بالمقاطف».

وحسب مذكرات عرابى: «لما أُقفل علينا باب الغرفة تأوه رفيقى على بك فهمى وقال: لا نجاة لنا من الموت وأولادنا صغار، ثم اشتد جزعه حتى كاد يرمى بنفسه من النافذة فى النيل، فشجعته متمثلا قول الإمام الشافعى:

ولرُبَّ نازلةٍ يضيق بها الفتى ذرعا وعند الله منها المخَرجُ
ضاقت فلما استحكمت حلقاتها فرجت وكنت أظنها لا تُفرجُ»

ولم تمض ساعات قليلة، حتى تحركت قوة من الضباط والجنود لتقتحم السجن وتحرر الثلاثة، وقاد هذه العملية محمد أفندى عبيد، والبكباشى على أفندى عيسى، والبكباشى أحمد أفندى فرج، والبكباشى خضر أفندى خضر.

٢ فبراير عام ١٩٤٢
السفير البريطانى للملك فاروق:
«أمامك ساعة واحدة»

لـو كان هنـاك دليـل عمـلى واحـد وعميـق عـلى زيـف الحديـث عـن اسـتقلال حقيقـى لمـصر قبـل ثـورة ٢٣ يوليـو عـام ١٩٥٢، لـكان حـادث ٤ فبرايـر عـام ١٩٤٢ الـذى توجهـت فيـه دبابـات القـوات البريطانيـة لحصـار قـصر عابديـن، وإجبـار الملـك فـاروق عـلى التوقيـع عـلى أمـر بتشـكيل حكومـة جديـدة برئاسـة مصطفـى النحـاس.

أكـد هـذا الحـدث عـلى أن مـصر بـلا سـلطة، وأن الملـك مجـرد ألعوبـة فى يـد الاحتـلال الإنجليـزى، وأن الأحـزاب عـلى نفـس حـال «الملـك»، وأن الطريـق إلى حصـار الدبابـات البريطانيـة لقـصر عابديـن بـدأ قبـل يـوم ٤ فبرايـر بأيـام، كما يسـجلها السيـر «مـايلز لامبسـون» السـفير البريطانى فى مصـر فى مـذكـراته الشخصيـة، الـذى صـار اسمـه «اللـورد كيلـرن»، وهـى تـرجمة الـدكتور عبـد الـرءوف أحمـد عمـر، وصـادرة عـن الهيئـة العامـة للكتـاب، القاهـرة».

فى هـذه المذكـرات نتوقـف أمـام الوقائـع التـى حدثـت فى مثـل هـذا اليـوم (٢ فبرايـر ١٩٤٢)، وقـادت إلى الحـدث الكبيـر بعـد يومـين، فى الوقائـع مـا يؤكـد أن بوصلـة الجميـع كانـت مضبوطـة عـلى حركـة وإيقـاع «لامبسـون»، وأنـه ليـس بمقـدور أحـد أن يتخـذ قـراره دون أن يمـر عليـه، فرئيـس الـوزراء «حسـين سرى باشـا» يبلغـه أنـه مضطـر إلى تقديـم اسـتقالته، وسـيذهب إلى القـصر لتقديمهـا فى

تمـام السـاعة الثانيـة عـشرة والنصـف، ولنلاحـظ هنـا أن رئيـس الـوزراء يبلـغ السـفير البريطانـى عزمـه الاسـتقالة، فـاذا كان رد فعـل «السـفير»؟

يذكـر «لامبسـون»: «اتصلـت تليفونيـا بأحمـد حسـنين باشـا، رئيـس الديـوان الملكـى، لأطلـب منـه مقابلـة مـع الملـك لا تزيـد عـلى نصـف سـاعة، وبـدا «حسـنين» مراوغـا، فكلمتـه بخشـونة، وعـاد «حسـنين» فاتصـل بـى وحـاول أن يعاتبنـى عـلى الطريقـة التـى تكلمـت معـه بهـا، ولم أتجـاوب وتركتـه يفهـم أننـى أعنـى مـا قلـت، ثـم كـررت عليـه أننـى أريـد مقابلـة عاجلـة مـع الملـك اليـوم وفى أسرع وقـت، وسـوف أكـون فى القـصر بنفسـى فى السـاعة الواحـدة بعـد الظهـر بالضبـط»، فـماذا فعـل فى القـصر؟

كانـت السـاعة الواحـدة ظهـرًا، وكان الملـك فـاروق وحـده فى المقابلـة، وبينـما حـاول أن يكـون ودودا فـوق مـا هـو ضرورى، كان «السـفير» حاسـما أكثـر ممـا ينبغـى.

قـال لامبسـون للملـك: «علمـت أن رئيـس الـوزراء قـدم اسـتقالته، وبصفتـى ممثـلا لـدول الحلفـاء فى مـصر أريـد أن أعـرف، مـن هـو رئيـس الـوزراء الـذى سـيخلفه؟ وهـل هـو سـيكون مؤهـلا بـما فيـه الكفايـة لتنفيـذ معاهـدة ١٩٣٦؟.

بعـد أن طـرح «لامبسـون» السـؤالين، قـرأ إملاءاتـه: «جلالـة الملـك، نريـد حكومـة مواليـة لنـا، نريـد حكومـة قويـة تسـتطيع أن تحكـم، هـذا يعنـى أن عليـك اسـتدعاء مصطفـى النحـاس رئيـس الوفـد وهـو زعيـم الأغلبيـة وتتشـاور معـه فى شـأن تأليفـه للحكومـة الجديـدة، أطلـب منـك أن يتـم ذلـك فى موعـد أقصـاه ظهـر غـد، وسـتتحمل المسـئولية الشـخصية لوقـوع أى اضطرابـات أو إخـلال بالأمـن فى هـذه الفـترة».

كانت هذه هى مطالب «السفير البريطانى» فماذا كان رد فعل «الملك»؟

رد الملـك بأنـه يخشـى مـن أن تفسـير العجلـة فى اسـتدعاء «النحـاس» قـد يعطـى انطباعـا خاطئـا، فـرد لامبسـون بحسـم: «أريـدك أن تخطرنـى فى ظـرف سـاعة واحـدة مـن الآن باسـتدعائك لـ«النحـاس»».

٣ فبراير عام ١٩٤٢
فاروق عابس الوجه..
ورسائل سرية بين النحاس والسفير البريطانى

يفصلنا الآن ونحن فى مثل هذا اليوم (٣ فبراير ١٩٤٢)، ساعات قليلة عن (يوم ٤ فبراير)، الذى شهد زلزال حصار الدبابات البريطانية لقصر عابدين، وإجبار السفير البريطانى فى مصر «مايلز لامبسون» لـ«الملك فاروق» على توقيع أمر باستدعاء مصطفى النحاس باشا لتشكيل حكومة وفدية، أى أن تشكيل حكومة مصرية يتم تحت تهديد الدبابات البريطانية.

دارت العجلة فى الساعات السابقة على تنفيذ «حصار القصر»، وكان «لامبسون» يدير الأزمة بعضلات القوة، فى مقابل ضعف إرادة المسئولين المصريين. كان «فاروق» عابس الوجه، كئيب النفس، مسلوب الإرادة، وكان «النحاس» ينتظر الإشارة، وفى مذكرات «لامبسون» تقرأ تفاصيل فاضحة ومدهشة وقعت فى يوم ٣ فبراير، فيها مثلا كشف لقنوات سرية بين «لامبسون» و«النحاس باشا»، وكان «أمين عثمان»، المشهور تاريخيا بأنه رجل الإنجليز فى مصر، هو أهم هذه القنوات، وفى لقاء له مع «لامبسون» صباح (٣ فبراير)، دار حوار يكشف حقيقة كل الأدوار.

أمين: جئت باسم «النحاس باشا»، وهو يؤكد استعداده التام ليلعب دوره معكم، ما دمتم سوف تمضون إلى النهاية.

لامبسون: أريد أن يعرف بعض المسائل المهمة التى طرحتها على وزارة الخارجية فى لندن، وهى نقاط سوف أثيرها معه عندما يصبح رئيسا للوزراء، وسأذكر لك هذه النقاط حتى يعرفها، ويكون مستعدا لها عندما أطلبها رسميا منه.

أمين: «النحاس» لن يثير أى مشكلة عن أى مسألة يمكن أن تطرحها عليه، لكن ما نصيحتك له، وكيف يتصرف بعد ظهر غد عندما يدعوه جلالة الملك للمشاورات؟

لامبسون: النحاس يستطيع أكثر من غيره أن يكيف موقفه، وعليه أن يرفض الحكومة الانتقالية، إذا أراد أن يقبل رئاسة وزارة ائتلافية فليكن، وإن كنت أعرف أنها مسألة صعبة.

أمين: سوف أعود الآن إلى «النحاس باشا» لأرى ما عنده.

بعد الظهر حمل «أمين عثمان» رسالة من «النحاس» إلى «لامبسون»، خلاصتها أن العلاقة بين الطرفين ستكون أكثر تعاونا من أى وقت مضى، لكن «النحاس» طلب أن تكون يده مطلقة بالكامل فى التعامل مع القصر، ومرة ثانية دار الحوار بينهما على النحو التالى:

أمين: «النحاس» مستعد لقبول حكومة محايدة إذا كنت تريد ذلك، وحكومة ائتلافية إذا كانت تلك نصيحتك، لكنه يريد تذكيرك بأن الحكومات الائتلافية لا تنجح.

لامبسون: اكتب النقاط التى سأمليها عليك لإبلاغها إلى النحاس:

«عليه أن يقول للملك إن الموقف فى غاية السوء، ولا يستطيع الثقة فى ولاء الأحزاب الأخرى التى يمكن أن تشارك فى حكومة ائتلافية، وأن الحل الوحيد لتفادى تلك المشكلات والمؤامرات هو تأليف وزارة وفدية خالصة، ويستطيع أن يطرح على الملك اقتراحين، هما تخصيص بعض الدوائر الانتخابية للأحزاب الأخرى، وإمكانية إنشاء مجلس استشارى من زعماء الأحزاب، ويكون بديلا لفكرة الائتلاف».

٤ فبراير عام ١٩٤٢
السفير البريطانى يذل الملك فاروق ويقول:
«هذا الغلام تحت سيطرتنا»

تأخر الملك فاروق ثلاث ساعات فى استدعاء مصطفى النحاس لتكليفه تشكيلَ وزارة جديدة، تنفيذا لإنذار السفير البريطانى السير «مايلز لامبسون»؛ فغطت دبابات الاحتلال البريطانى وعرباته المصفحة ساحة قصر عابدين.

كانت مهلة الإنذار تنتهى فى «السادسة» مساء فى مثل هذا اليوم ٤ فبراير ١٩٤٢، وعندما تلقَّاه الملك فاروق فى الصباح، دعا سياسيين إلى القصر، وعرض عليهم الأمر، واتفقوا على رفض الإنذار، وتم إبلاغ «لامبسون» برسالة تحمل هذا الرفض.

فى التاسعة مساء وصل «لامبسون» إلى قصر عابدين، وتقدمت الدبابات لحصاره، فتوجه إلى مكتب «الملك» بالدور الثانى قائلا له بازدراء شديد: «توقعت منك ردا بلا أو نعم فى الساعة السادسة على الرسالة التى بعثت بها صباح اليوم، وبمقتضى السلطات المخوَّلة لى أطلب منك توقيع وثيقة بالتنازل عن العرش، وليس أمامك غير أن توقع عليها فورًا، وإلا فإننى سوف أتخذ إجراءات أخرى للتصرف معك قد لا تكون مُرْضية لك».

كان نص التنازل: «نحن فاروق الأول ملك مصر، تقديرا منا لمصالح بلدنا فإننا هنا نتنازل عن العرش ونتخلى عن أى حق فيه لأنفسنا ولذريتنا،

ونتنازل أيضا عن كل الحقوق والامتيازات والصلاحيات التى كانت عندنا بحكم الجلوس على العرش، ونحن هنا أيضا نحلُّ رعايانا من يمين الولاء لشخصنا».

نظر «فاروق» إلى الوثيقة، كاد أن يمسك القلم للتوقيع، همس له «أحمد حسنين باشا» رئيس الديوان، بكلمات باللغة العربية لم يفهمها «لامبسون»، لكنها أصابت «الملك» بالهلع، نظر إلى «لامبسون» منكسرا: «هل يمكن أن تعطينى فرصة أخرى وأخيرة؟».

رد «لامبسون» بصلف: «لابد أن أعرف فورا وبدون مراوغة ما الذى تنوى عمله»، فأجاب فاروق: «سوف أستدعى النحاس على الفور، وإذا أردت أستدعيه فى وجودك وأكلفه على مسمع منك بتشكيل الوزارة الجديدة».

زاد «لامبسون» من صلفه: «هل تفهم بوضوح أنها يجب أن تكون وزارة من اختيار النحاس وحده؟»، فرد فاروق: «أفهم»، وعند هذه الكلمة بدا «لامبسون» أنه لا يعطى فرصة لـ«الملك» المذعور، بقدر ما يقوم بإذلاله، قال لـ«الملك»: «أنا على استعداد لأن أعطيك فرصة أخيرة لأنى أريد أن أجنِّب بلادك تعقيدات قد لا تكون سهلة فى هذه الظروف، وعليك أن تدرك أن تصرفك لابد أن يكون فوريا».

خرج «لامبسون» مارًّا بالبهو الطويل، ويصف الحالة التى كان عليها طريق خروجه: «كان البهو مزدحما على الآخر بعدد من الضباط البريطانيين ومن تشريفات القصر، وعند آخر الممر من الناحية الأخرى كان هناك عدد من السيدات ظهرن لى وكأنهن قطعان من الدجاج المذعور».

بعد نصف ساعة، وكما يؤكد «لامبسون» فى مذكراته، كان مصطفى النحاس فى السفارة البريطانية لإبلاغ «السفير» بأن الملك استدعاه وكلفه تشكيلَ الوزارة، فأبلغه لامبسون: «سوف أتراجع من الآن إلى خلفية المسرح، وأترك لك أن تقف فى الواجهة وتتصرف وتؤلف الوزارة».

يؤكـد لا مبسـون: «حقيقـة لقـد كان هـذا الغـلام (يقصـد الملـك فـاروق) تحت سـيطرتنا تمامـا، وقـد صُـدم أكـبر صدمـة فى حياتـه، فى إجبـاره عـلى قبـول النحـاس. وإنـى آمـل، بـل أعتقـد، بأننـا سـوف نكـون قادريـن عـلى قصقصـة جناحـه، وتقليـم أظافـره، بالإضافـة إلى القضـاء عـلى المؤثـرات السـيئة، وبهـذا نسـتطيع تطويعـه لصالحنـا فى المسـتقبل».

٥ فبراير عام ١٩٥٧
عبد الناصر محذرًا وزراءه:
«الثقة الزائدة غرور يودِّى فى داهية»

استمر اجتماع مجلس الوزراء بحضور جمال عبد الناصر من الساعة الخامسة مساء فى مثل هذا اليوم (٥ فبراير ١٩٥٧) حتى منتصف الليل.

كانت مصر تعيش أجواء من الثقة بعد انتصارها على العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ الذى شنته فرنسا وبريطانيا وإسرائيل، وكانت أمريكا تواصل سياسة «الغزو من الداخل» التى وضعها وهندس لها ورفع شعارها وزير الخارجية الأمريكى «فوستر دالاس»، وتعنى ببساطة خلق الوسائل التى تؤدى إلى انفجار الوضع من الداخل بديلا عن الغزو أو التدخل الخارجى المباشر.

فى اجتماع مجلس الوزراء تحدث جمال عبد الناصر، وطبقا لمحضر الاجتماع، نتأكد أننا مازلنا نعيش الكثير مما تحدث فيه، من ضغوط خارجية إلى المبالغة فى التعبير عن أفراحنا لنصر نحققه، ونسيان التوقف أمام دروسه.

قال عبد الناصر: «لابد أن ننتبه إلى أن هناك حملة مضادة موجهة إلينا تركز على تخويف الناس، وهدفها ضرب الوحدة الوطنية، وأنا طلبت أن توزع عليكم تقارير عن الاستماع السياسى لما تقوله الإذاعات العلنية للدول المعادية سواء من محطات إذاعتها العلنية، أو من محطات الإذاعة السرية التى تمولها، لتتم قراءتها ونناقشها فى الاجتماع المقبل، بعد أن تكونوا قد اطلعتم

على هذه التقارير، وهناك بعض الملاحظات تأخذونها فى اعتباركم ونحن نناقشها، وهى:

- هناك تركيز على وصفنا بالشيوعية، وطبعا هم يستغلون حقيقة أن سلاحنا الذى حاربنا به والذى يجىء إلينا الآن لتعويض خسائرنا هو بأكمله من الكتلة الشرقية، وطبعا يستغلون مساندة الاتحاد السوفيتى لنا.

- تلاحظون أنهم يحاولون وصف مركزنا فى العالم العربى على أساس أنها إمبراطورية فرعونية جديدة يبنيها جمال عبد الناصر لحساب نفسه.

- بالجمع بين الشيوعية والفرعونية يحاولون التشكيك فى عقيدتنا الإسلامية، فإذا كنا فراعنة، فنحن عبدة أصنام، وإذا أصبحنا شيوعيين فنحن ملحدون، وهذا نوع من الحملات لابد أن نأخذه جدا.

يضيف عبد الناصر، أنا لاحظت بعض الإذاعات، خصوصا الموجهة من فرنسا تخاطب إخواننا الأقباط، وتحاول أن تستدل من أناشيد المعركة مثل نشيد «الله أكبر» على أننا ناس متعصبون، وأننا قاتلنا فى المعركة بـ«الدروشة»، وكلها كما ترون «نغمات» تؤدى إلى النيل من الوحدة الوطنية، وهذه مسألة لا تنفع فى علاجها أوامر أو قوانين، وإنما هى مسألة يعالجها العمل السياسى، ولابد لنا جميعا أن نفهم واجب العمل السياسى وهو خلق وتعميق التفاهم بين قوى المجتمع؛ لأن قوى المجتمع إذا تصادمت مع بعضها لجأت فئات منها إلى الاتصال بدول أو جهات أجنبية، وهذا يسهل الاختراق فى الداخل ويفتح له الباب.

ويختتم عبد الناصر ملاحظاته بقوله: «لست من أنصار أن نستهين الآن بشىء، وإلا أخطأنا فى حق البلد وحق الثورة، أنا أعرف أن انتصارنا فى المعركة (١٩٥٦) أعطانا جميعا ثقة زائدة فى أنفسنا، وأصبحنا نتصور أننا نستطيع أن نواجه أى تحدٍّ، وأنا أحذر من هذه الثقة الزائدة بالنفس، وأنا أوافق على الثقة بالنفس فهذا ضرورى، ولكن الثقة الزائدة غرور «يودِّى فى داهية»».

كذا تحدث جمال عبد الناصر فى مثل هذا اليوم قبل ٥٧ عامًا.

٦ فبراير عام ١٨٨٢
مجلس النظار يقر الدستور
ومائة جنيه مصاريف نائب البرلمان

حضر رئيس الحكومة محمود سامى البارودى محاطا بوزرائه، اجتماعَ مجلس النواب يوم ٨ فبراير ١٨٨٢، ليقدم الدستور «اللائحة» الذى ناقشه مجلس النظار «الوزراء» فى جلسته فى مثل هذا اليوم (٦ فبراير ١٨٨٢)، وفى يوم ٧ فبراير وفد على مجلس النواب ناظر المعارف وناظر الأوقاف وقدماء، وطبقا لمذكرات «أحمد عرابى» الذى كان وزير الجهادية والبحرية: «قبلها (اللائحة) النواب قبولا جماعيا وصدر قرارهم بذلك»، لنكون أمام وثيقة عرفت تاريخيا باسم «دستور ٧ فبراير ١٨٨٢».

تحدث «البارودى» عن مبادئ الديمقراطية أمام «النواب» وضرورة الأخذ بها فى حياة مصر السياسية، وشكره النواب على إقرار الدستور، وحسب أحمد شفيق باشا، رئيس ديوان الخديو عباس حلمى الثانى، فى مذكراته الصادرة عن قصور الثقافة، القاهرة: «ابتهج الأعضاء ابتهاجا عظيما وشكروا الحكومة على إجابة مطالبهم».

توجه الجميع بعد ذلك إلى الخديو توفيق لتقديم الشكر، وأُقيمت بهذه المناسبة الاحتفالات. يقول أحمد عرابى فى مذكراته: «انطلق النواب برئاسة سلطان باشا رئيس المجلس فشكروه على تشكيل الوزارة التى لبت الأمة

إلى مـا طلبـت، ثـم آبـوا إلى رئاسـة النظـار فشـكروا أيضـا للـوزارة اهتمامهـا بأمـر مجلسـهم، ثـم زاروا كل ناظـر فى نظارتـه، وبعـد ذلـك انصرفـوا مسـتبشرين».

أمـا الاحتفـالات التـى سـادت تعبيـرا عـن الفـرح بإصـدار الدسـتور، فيتحـدث عنهـا عرابـى: «احتفلـت جمعيـة المقاصـد الخيريـة احتفـالا اجتمـع فيـه النظـار والأمـراء والعلـماء وضبـاط الجهاديـة وأعيـان مـصر وشـبابها حتـى ضاقـت قاعـة الحفلـة بالحضـور، فقـام السـيد عبـد الله أفنـدى النديـم وافتتـح الخطابـة، فاقتـدى بـه كل مـن أديـب أفنـدى إسـحق اللبنانـى، وإبراهيـم أفنـدى اللقانـى، ومصطفـى أفنـدى ماهـر، والشـيخ محمـد عبـده، والسـيد حسـن أفنـدى الشمسـى، وفتـح الله أفنـدى صـبرى، واسـتمرت الخطـب تُتـلى فى تلـك الحفلـة إلى السـاعة الثالثـة بعـد منتصـف الليـل، وأُقيمـت عـدة حفـلات أخـرى فى مـدن القطـر».

كانـت الحكومـة التـى أقـرت الدسـتور حكومـة «عرابيـة» نسـبة إلى الثـورة العرابيـة التـى قادهـا الزعيـم الوطنـى أحمـد عرابـى الـذى كان وزيـرا للحربيـة فيهـا، بالإضافـة إلى محمـود فهمـى باشـا وزيـرا للأشـغال، وحسـن الشريعـى باشـا وزيـرا للأوقـاف.

شـمل الدسـتور الـذى يُعـرف تاريخيـا بـ«دسـتور ٧ فبرايـر ١٨٨٢» ٥٣ مـادة أبرزهـا، كـما يأتـى فى كتـاب «قصـة الدسـتور المـصرى، الصـادر عـن دار جزيـرة الـورد، القاهـرة، تأليـف محمـد حمـاد، «أن يكـون عضـو مجلـس النـواب بالانتخـاب لمـدة خمـس سـنوات، ويحصـل عـلى مائـة جنيـه مـصرى فى السـنة مقابـل مصاريفه، وللنـواب مطلـق الحريـة فى إجـراء وظائفهـم وليسـوا مرتبطـين بأوامـر أو تعليـمات تصـدر لهـم تخـل باسـتقلال آرائهـم، ولا يجـوز التعـرض للنـواب بوجـه مـا، وإذا وقعـت مـن أحدهـم جنايـة أو جنحـة مـدة اجتـماع المجلـس فـلا يجـوز القبـض عليه إلا بمقتـضى إذن مـن المجلـس، وإذا حصـل خـلاف بـين مجلـس النـواب والنظـار، وأصر كلٌ عـلى رأيـه بعـد تكـرار المخابـرة وبيـان الأسـباب ولم تسـتعفِ النظـارة؛ فللحـضرة الخديويـة أن تأمـر بفـض مجلـس النـواب وتحديـد الانتخـاب عـلى شرط ألا تتجـاوز الفـترة ثلاثـة أشـهر مـن تاريـخ يـوم الانفضـاض إلى يـوم الاجتـماع، ويجـوز لأربـاب الانتخـاب أن ينتخبـوا نفـس النـواب السـالفين أو بعضهـم».

كان هـذا الدسـتور حصيلـة مطالـب سـابقة رفعهـا عرابـى وزمـلاؤه إلى الخديـو توفيـق، فى الوقفـة الشـهيرة أمـام قـصر عابديـن يـوم ٩ سـبتمبر عـام ١٨٨١، وشـملت أربعـة مطالـب، هـى، إسـقاط الـوزارة المسـتبدة، وتأليـف مجلـس نـواب عـلى النسـق الأوروبـى، ورفـع عـدد الجيـش، والتصديـق عـلى القوانـين العسـكرية التـى أمـر بهـا الخديـو.

٧ فبراير عام ١٩٢٨
الملك فؤاد يوقع بقلم ذهب على محضر تخصيص بناء الجامعة

أمسك الملك فؤاد بقلم حبر من الذهب فى الساعة الثانية عشرة، ووقَّع على ثلاث كراسات تحتوى محضر التخصيص والبناء لجامعة «فؤاد الأول» التى صارت فيما بعد «جامعة القاهرة»، وذلك فى المكان الجديد الذى نُقلت إليه الجامعة وهو نفس المكان الذى توجد فيه الآن أمام حديقتَى الحيوان والأورمان، وطبقا لسلسلة «أيام مصرية» فى أعدادها الخاصة بذكرى مئوية جامعة القاهرة احتوى محضر التخصيص والبناء الذى وقع عليه الملك على:

« بقوة الله تعالى قد وضع حضرة صاحب الجلالة الملك فؤاد الأول ملك مصر المعظم الحجر الأساسى فى بناء الجامعة المصرية يوم الثلاثاء ١٥ شعبان، ٧ فبراير ١٩٢٨، أما هذه الكراسات فستُدفن مع حجر الأساس واحدة، والاثنتان الأخريان يُحتفظ بهما فى الجامعة».

تقدم الملك فؤاد بعدها إلى مكان حجر الأساس، فقدم له وزير المعارف العمومية والرئيس الأعلى للجامعة على الشمسى باشا (مسطرين) من الذهب، ليقوم بوضع إحدى الكراسات ومعها الصحف اليومية، ومجموعة من الطوابع والنقود فى جوف حجر الأساس ثم يغطيه بقطعة رخامية، وبعدها ألقى على الشمسى باشا كلمة قال فيها: «إن الأمل معقود فى الجامعة الآن أن تربى فى شبيبة المتعلمين فيها ملكات حب العلم والتعمق فيه، وحب البحث العلمى لتخرج فى مصر طوائف من العلماء الباحثين المتحرِّين فى طلب

الحقائق العلمية، وأولئكم الذى يستطيعون أن يثبتوا لبلادهم العظمة العلمية والفنية الجديرة باسمها القديم، وحينئذ يتهيأ لمصر أن تتحمل هى الأخرى قسطا فى بناء الحضارة العالمية».

تقدم «أحمد لطفى السيد» مدير الجامعة والملقب بـ«أستاذ الجيل» ليلقى كلمته، وكما يذكر فى مذكراته «قصة حياتى»، الصادرة عن مكتبة الأسرة، القاهرة: «سجلت فيها (كلمته) الأدوار التى مر بها التعليم فى مصر، وهى ثلاثة أدوار، يذكرها على النحو التالى:

دور الدعاية، ودور البدء فى التنفيذ، ودور التمام، فأما دور الدعاية فيبتدئ من يوم ١٢ أكتوبر سنة ١٩٠٦، إذ اجتمع نخبة من أهل الغيرة على التربية فى دار المرحوم سعد زغلول باشا وتعاقدوا على الدعوة لإنشاء الجامعة، وقرروا فيها قرروا أن تكون الجامعة بمعزل عن السياسة، وقد أقبل الناس على الاكتتاب فيها والتبرع لها، واجتمعت جمعية المكتتبين فى ديوان الأوقاف فى ٢٠ مايو ١٩٠٨ تحت رئاسة الأمير أحمد فؤاد (الملك فؤاد) وسموها الجامعة المصرية، ونفحتها الحكومة إعانة سنوية، كما نفحتها الأوقاف خمسمائة جنيه إعانة سنوية أيضا.

أما دور التمهيد، فكان بمحاضرات الثقافة العامة التى كان يشرف عليها يوميا رئيس الجامعة، وبإرسال بعثات علمية للجامعة بلغ عددها أربعة وعشرين للتخرج فى العلوم، وليحضروا أنفسهم ليكونوا معلمين فيها.

أما دور التمام، فكان بنقل الجامعة الجديدة، وبلغ عدد طلابها فى سنة ١٩٢٨ ويوم تأسيس مبانيها ٢٣٤١ طالبًا».

٨ فبراير عام ١٩٦٣
جثة «الزعيم الأوحد»
عبد الكريم قاسم فى التليفزيون العراقى

بعد محاكمة عاجلة بدار الإذاعة العراقية فى بغداد، تم إعدام عبد الكريم قاسم رئيس الوزراء وعرض جثته على شاشة التليفزيون.

كان مشهد الإعدام يوم ٩ فبراير ١٩٦٣ ختاما لمشاهد أخرى بلغت ذروتها فى مثل هذا اليوم (٨ فبراير)، حيث تمت إذاعة بيان عن نجاح «الثورة» على حكم «قاسم» وختاما لصراع كان الشيوعيون طرفه فى جانب، والقوميون والبعثيون على الجانب الآخر، وكان لمصر حضورها الخاص فى مجموع المشاهد التى بدأت قبل سنوات من مشهد إعدام «قاسم».

فى التراث السياسى للعراق تقرأ مئات الحكايات عن تصفيات الدم، وللغة السلاح بين الخصوم السياسيين، وتختلف التفسيرات حول ذلك، بعضها يجنح إلى الاختلاف العرقى والمذهبى، وآخرون يرجعونها إلى استبداد الحكم.

كان حضور مصر طاغيا منذ الإطاحة بالحكم الملكى العراقى، والتحول إلى النظام الجمهورى عام ١٩٥٨، متزامنًا مع إعلان الوحدة بين مصر وسوريا تحت اسم «الجمهورية العربية المتحدة»، وكان طرف التحول قوميين بزعامة عبدالسلام عارف وبعثيين وشيوعيين، وفيما طالب القوميون والبعثيون

بسرعة الانضمام إلى الوحدة المصرية السورية، رأى الشيوعيون العكس، وتم دفع «قاسم» إلى أحضانهم ليصبح رمزا لمعركتهم على الرغم من أنه لم يكن شيوعيا، وكان لهم حضور جماهيرى مؤثر، تمثل فى مظاهرات تهتف: «عاش الزعيم عبد الكريم.. حزب الشيوعى بالحكم مطلب عظيم».

بلغت الخلافات ذروتها بقرار لـ«قاسم» بإقالة «عارف» كنائب عام للقوات المسلحة وتحمل قصة هذه الإقالة طرافة وغرابة فى آنٍ واحد، فأثناء اجتماع لمجلس الوزراء، استأذن خلاله «عارف» نصف ساعة، ثم عاد ليتواصل الاجتماع إلى منتصف الليل، وبعده خرج إلى سيارته متوجها إلى منزله، ففوجئ بسائقه يسأله عن سبب استقالته حسبما جاء فى التليفزيون، فعاد إلى قاسم ليسأله، فبكى قائلاً: «كانت هناك ضغوط علىّ من قادة الأسلحة لم أستطع مقاومتها»، ولما سأله عارف: «لماذا لم تبلغنى وتبلغ مجلس الوزراء ونحن فى الاجتماع؟»، رد قاسم: «قلبى لم يطاوعنى»، وتبينت الحقيقة بأن ما حدث كان أثناء نصف الساعة التى قضاها عارف خارج الاجتماع.

فى تناول طبيعة شخصية «قاسم» هناك من يصفه من معاصريه بـ«نصف مجنون» الذى وصل فى ذلك إلى حد إطلاقه لقب «الزعيم الأوحد» على نفسه؛ فى حين يصفون عبد السلام عارف بـ«نصف عاقل».

وبين الوصفين لرجلين فى ذمة التاريخ، دارت عجلة المواجهات، وفيما كان الشيوعيون يهاجمون عبد الناصر، كان هو يفتح نار الهجوم عليهم أيضا لكنه يبعث فى البداية برسالة إلى «قاسم»، يطمئنه فيها على أنه ليس للجمهورية العربية المتحدة حزب ولا رجال يحسبون عليها فى العراق، وأن كل ما يهمها هو تثبيت الحكم الوطنى فى بغداد وتدعيم قوته، فرد قاسم شفويا، وحسب كتاب «سنوات الغليان» لمحمد حسنين هيكل: «مشكلتى أن عبد السلام عارف ينسب الثورة لنفسه، لأنه هو الذى قام بتنفيذها فى بغداد، وأنا كنت خارجها، وكون عارف قام بالتنفيذ لا ينفى أنى قائد الثورة الفعلى».

٩ فبراير عام ١٩٧١
الشاعر محمود درويش
يفاجئ العالم بوصوله إلى القاهرة

وصل الشاعر الفلسطيني محمود درويش إلى القاهرة في مثل هذا اليوم (٩ فبراير ١٩٧١) قادما من موسكو، فكانت أول مدينة عربية تطؤها قدماه خارج وطنه الفلسطيني، صحيح أنه خرج طفلا في السابعة من عمره إلى لبنان، لكنه خروج الغدر والأسى يتذكره في حوار له مع مجلة الآداب البيروتية أبريل ١٩٧٠، وينقله «رجاء النقاش» في كتابه «محمود درويش شاعر الأرض المحتلة»، الصادر عن دار الهلال، القاهرة:

«عندما بلغت السابعة توقفت ألعاب الطفولة (مواليد ٢٤ مارس ١٩٤١) أذكر كيف حدث ذلك، في إحدى ليالي الصيف التي اعتاد فيها القرويون أن يناموا على سطوح المنازل، أيقظتني أمي من نومي فجأة، فوجدت نفسي مع مئات من سكان القرية أعدو في الغابة، كان الرصاص يتطاير فوق رءُوسنا، ولم أفهم شيئا مما يجري، بعد ليلة من التشرد والهروب وصلت مع أحد أقاربي الضائعين في كل الجهات إلى قرية غريبة ذات أطفال آخرين، تساءلت بسذاجة أين أنا؟ وسمعت لأول مرة كلمة لبنان، ويُخيل إليَّ أن تلك الليلة وضعت حدا لطفولتي بمنتهى العنف، فالطفولة الخالية من المتاعب انتهت، وأحسست فجأة أنني أنتمي إلى الكبار، توقفت مطالبي وفُرضت عليَّ المتاعب».

لا يحسب «درويش» رحلة الطرد إلى بيروت فى عداد رؤيته لعواصم عربية، وعليه كانت «القاهرة» حدثا افتتاحيا كبيرا فى رحلة غربته الطويلة والحزينة عن وطنه الذى تغنى به فى أشعاره العظيمة.

كان الاحتفاء به رسميا وشعبيا كبيرا، ففى يوم الخميس ١١ فبراير عقد مؤتمرا حضره كُتَّاب، وفنانون، وشعراء، وصحفيون، ومراسلون (عرب وأجانب)، وقدمه محمد فائق، وزير الإعلام وقتئذ، وتلا درويش بيانا قال فيه: «أصبحت أحس أننى أقترب يوما بعد يوم من نقطة العجز عن القيام بواجبى كمواطن أولا، وكشاعر ثانيا، لقد أصبحت تماما مشلول الحركة والحرية تماما فى بلادى من ضراوة الكبت والتعصب، وأصبحت لقمة سهلة فى فك العنصرية الإسرائيلية، وأصبحت معلقا على مطاط الصيغ الدبلوماسية لكى أنجو من القانون الإسرائيلى، إننى لا أشكو ولكن شعرة معاوية بينى وبين القانون الإسرائيلى قد انقطعت وطاقتى على الاحتمال قد نفدت».

وطبقا لرصد الشاعر أحمد الشهاوى لـ«سنوات محمود درويش فى مصر»، فإنه فى يوم ١٤ فبراير قرر «فائق» تعيين «درويش» مستشارا ثقافيا لإذاعة صوت العرب، كما ضمه محمد حسنين هيكل رئيس مجلس إدارة وتحرير الأهرام إلى «كتاب» الأهرام، فأصبح له مكتب جنبا إلى جنب مع قامات، مثل نجيب محفوظ، يوسف إدريس، لويس عوض، صلاح جاهين، وتوفيق الحكيم، كما أصبح كاتبًا فى مجلة المصور.

أحدثت خطوة «درويش» ضجة كبيرة، يرصدها رجاء النقاش فى كتابه، حيث نشطت صحف لبنان ضده، ونشرت مجلة الحوادث صورة محمود على غلاف أحد أعدادها وكتبت فوق الصورة عنوانا كبيرا يقول: «ليته يعود إلى إسرائيل»، وتضمن العدد مقالا بتوقيع «ربيع مطر» يتوقع «النقاش» أنه اسم مستعار للكاتب والروائى الفلسطينى «غسان كنفانى» يقول فيه: «يامحمود يا أحلى ابن تفتح له الأمة العربية ذراعيها، نحن فى مرحلة العودة والإصرار على البقاء، انتهت إلى الأبد مرحلة الهجرة فليتك تعود إلى إسرائيل».

فى لقاء لى بـ«درويش» عام ١٩٨٨، قال إنه يتمنى أن يكتب نصا عن البيوت التى عاش فيها ومن بينها بيته فى القاهرة، لكنه لم يحقق أمنيته.

١٠ فبراير عام ١٩٠٨
قلب مصر يخفق بوفاة زعيمها مصطفى كامل

«تُوفِّى إلى رحمة الله مديرنا العزيز مصطفى كامل باشا، رئيس الحزب الوطنى المصرى فى تمام الساعة الرابعة من بعد ظهر أمس، مثل هذا اليوم (١٠ فبراير ١٩٠٨)، وقد أُصيب مديرنا بإغماء فى الصباح أقلق بالنا، وقرابة الظهر لاح لنا أنه تحسن قليلا، فاستأنفنا أعمالنا، وقد كنا قطعناها، فأنهيناها، ولكن سرعان ما انتكس وخارت قواه تدريجيا، ولفظ أنفاسه الأخيرة عندما كانت تدق الساعة الرابعة».

هكذا نشرت جريدة اللواء يوم ١١ فبراير خبر وفاة الزعيم الوطنى مصطفى كامل المولود فى ١٤ أغسطس ١٨٧٤، فيكون ما عاشه فى عالمنا أقل من ٣٤ سنة، لكنها - وحسب فتحى رضوان فى كتابه «مصطفى كامل»، الصادر عن سلسلة اقرأ، دار المعارف، القاهرة: «هذه السنوات القليلة فى حساب الأرقام، كانت طويلة وعميقة فى حساب الآثار الباقية، وفى حساب الأعمال العظيمة، وفى حساب الحركة الفياضة بالخير والبركة»، أما «عبد الرحمن الرافعى» فيذكر فى كتابه «مصطفى كامل باعث النهضة الوطنية»، الصادر عن دار المعارف، القاهرة: «هو أعظم خطيب أنجبته مصر الحديثة، وأول خطيب سياسى جهر بالاستقلال فى عهد الاحتلال، وأول زعيم اتخذ الخطابة وسيلة لبعث الحركة الوطنية».

بعد عشرة أيام من الوفاة، كشف شقيقه علىّ اللحظات الأخيرة فى حياته، وذلك فى رسالة بعث بها إلى مدام «جوليت آدم» وهى السيدة الفرنسية التى ساعدته فى نشر مقالاته فى الصحف الأوروبية التى تفضح سياسة الاحتلال الإنجليزى لمصر، يقول «على» فى الرسالة التى نشرها «رضوان» فى كتابه: «صعدت لأراه، فوجدته فى صحة جيدة، وشددت على يده، وأنا أسأله كيف قضى ليلته، فأجابنى جوابًا مُرْضيًا، ولكنى لاحظت فى أثناء الحديث أن لونه أخذ يتغير وعينيه تغيبان، فمُلئت رعبًا، وسألته عما يؤلمه، فأجابنى: تشجع واستمر فى عملك بحكمة».

شُيعت جنازته يوم ١١ فبراير، وكانت صورة أخرى من صور وفاء الشعب المصرى لزعيمه النادر، وشارك فى الجنازة ما يزيد على ربع مليون، عدا الآلاف التى كانت تقف على جانبى طريق الجنازة، وينقل فتحى رضوان وصف قاسم أمين لمشهد الجنازة: «يوم الاحتفال بجنازة مصطفى كامل هى المرة الثانية التى رأيت فيها قلب مصر يخفق، المرة الأولى كانت يوم تنفيذ حكم دنشواى فى ١٨ يونيه ١٩٠٦، أما فى يوم الاحتفال بجنازة صاحب «اللواء» فقد ظهر ذلك الشعور ساطعا فى قوة جماله، وانفجرت فرقعة هائلة سُمع دويُّها فى العاصمة، ووصل صدى دويها إلى جميع أنحاء القطر، هذا الإحساس الجديد، هذا المولود الذى يبتسم فى وجوهنا البائسة، هو الشعاع الذى تسيل حرارته إلى قلوبنا الجائعة الباردة، هو المستقبل».

١١ فبراير عام ١٩٥١

فاروق يخطب ناريمان والسفير البريطانى:

«مستواها بلدى»

فى الساعة الخامسة وعشر دقائق، رأى الملك فاروق، الآنسة ناريمان من نافذة بيت يطل على محل الجواهرجى «أحمد نجيب»، وفى (الخامسة و١٢ دقيقة) كان يقف إلى جوارها، وفى (الخامسة والربع) قرر أن يتزوجها.

هى قصة تحتوى على: دراما، سياسة، حب، اختطاف، فتاة صغيرة، ملك خرج من تجربة طلاق، والقصة بكل ما فيها من دراما تأتى فى كتاب «كانت مكلة- ناريمان آخر ملكات مصر»، الصادر عن المكتب المصرى الحديث، القاهرة لـ«جميل عارف»، والكتاب عبارة عن حوار طويل مع مصطفى صادق «عم» ناريمان، الذى لعب الدور الرئيس فى إتمام الزواج.

تبدأ الحكاية من شروط وضعها«الملك» لعروسه الثانية، بعد طلاق زوجته الأولى «فريدة»، الشروط: فتاة صغيرة لا يتجاوز عمرها السادسة عشرة، وحيدة أهلها، لا أخ ولا أخت، تشبه «فاطمة طوسون» الأميرة السابقة التى احتقرت حب «فاروق»، وتركت مصر هربا من مطارداته، لكنه لم ينسَ حبه لها.

أبلغ «فاروق» شروطه للجواهرجى الخاص به «أحمد نجيب»، أوكل له مهمة البحث، ولما شاهد «ناريمان» مع خطيبها «زكى هاشم» فى محله لشراء

خاتم الخطوبة تنفس فرحا: «وجدتها، وجدتها»، تلقى «الملك» خبره السعيد من الجواهرجى، وسَوّيا وضع خطة الإيقاع بها.

أقنعها «الجواهرجى» بالعودة فى اليوم التالى حتى تتفرج على «خاتم» أفضل، على أن يراقبها «الملك» سرّا من «نافذة علوية» من البيت المواجه، لم يستغرق تنفيذ الخطة أكثر من دقائق، وانتهت بقرار «فاروق» بالزواج من «ناريمان»، وإعلان الخطوبة فى مثل هذا اليوم (١١ فبراير ١٩٥١) والزواج فى ٦ مايو، وبلغت تكاليف الزفاف ٧٣ ألفا و٤٨٣ جنيها، وهو مبلغ كبير جدا وقتئذ، أما الضحية «زكى هاشم» فكان نصيبه الطرد من جنة حبه، قبل أيام من تتويجه بالزواج.

زواج «الملك» لم يكن وقتئذ حدثا عاديا، كان يعنى اهتمام الأحزاب، الاحتلال البريطانى، الشعب، الجيش، الأسرة المالكة، أما «فاروق» فيريد الرد على طليقته «فريدة»، ويريد ولدا من «ناريمان» كى يضمن أن يبقى «العرش» فى فرع والده العائلى.

فى قياس ردود الفعل على «الحدث»، كانت السفارة البريطانية فى القاهرة تنقل إلى حكومتها فى لندن كل التطورات المتعلقة به، تحدثت عن طريقة استقبال المصريين له، وتنقل الدكتورة لطيفة سالم جانبا من هذا فى كتابها «فاروق الأول وعرش مصر»، قائلة: «لم يلقَ مشروع الزواج أى استقبال طيب من المصريين كما كان متوقعا، وذلك للطريقة التى تم بها اختيار العروس، والأقوال الدائرة عنه يؤسف لها، ومكانة الملك انخفضت أكثر مما هى عليه، يقول المصريون إن الزواج من فتاة مخطوبة لشخص آخر يعد اعتداء على ملك الغير، والمبادئ الإسلامية لا تقر ما يتبعه (فاروق) فسلوكه فى هذا الشأن مشين». السفير البريطانى أضاف عن العروس: «ما يتردد عن مستواها بأنها وفقا للاصطلاح المصرى (بلدى) أى غير أرستقراطية».

امتد الاستياء إلى العائلة الملكية، فالعروس من وجهة نظرها: «ابنة حسين فهمى صادق سكرتير عام وزارة النقل وسيرته ليست عطرة، وأمها شخصية طاغية».

١٢ فبراير عام ١٩٤٩
اغتيال حسن البنَّا والملك فاروق ليوسف رشاد:
«اتْلهِى على عينك»

دوى الرصاص فى القاهرة، وسقط الشيخ حسن البنا «مؤسس جماعة الإخوان ومرشدها العام» غارقا فى دمه على حافة سيارة تاكسى استوقفها أمام جمعية الشبان المسلمين، لتأخذه إلى بيته، وطبقا لـ«محمد حسنين هيكل» فى كتابه «سقوط نظام»، الصادر عن دار الشروق، القاهرة، فإن سيارة التاكسى هرعت به إلى «قصر العينى»، وهناك تبين أن الرجل لم يفارق الحياة بعد، لكن المشرف على عملية الاغتيال وهو القائمقام «محمد وصفى بك» قائد حرس الوزارات أمر بتعقبه والتخليص عليه، حيث هو تنفيذ لأوامر الملك فاروق ورئيس الوزراء إبراهيم عبد الهادى.

المثير أن «وصفى» أطلق على نفسه رصاص مسدسه وانتحر، بعد قيام ثورة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢م، وحسب «هيكل» فإنه أقدم على هذه الخطوة عندما عرف أن دوره فى عملية الاغتيال انكشف، وأن هناك أمرا صدر بالتحقيق معه، بعد ضبط «الثورة» وثائق فى القسم المخصوص للبوليس السياسى، فيها اسمه ودوره فى العملية.

ومن يعُد إلى الصحف الصادرة وقتئذ، فسيشاهد صورة لوفد من ضباط الثورة يتقدمهم اللواء محمد نجيب، والبكباشى جمال عبد الناصر أمام قبر حسن البنا، وكان والده فى استقبالهم، أما المناسبة فكانت التوصل إلى المتهمين فى القضية.

فى وقائع عمليـة الاغتيـال التـى جـرت فى مثـل هـذا اليـوم ١٢ فبرايـر ١٩٤٩، أن هنـاك مـن أبلـغ الملـك فـاروق بـما حـدث، وأنـه فـرح، واعَـدَّ التخلـص مـن «البنـا» بمثابـة الهديـة الثمينـة لـه فى عيـد مـيلاده التاسـع والعشريـن (مواليـد ١١ فبرايـر ١٩٢٠)، وفى التفاصيـل أيضـا، تسـلُّم الجثـة ليـلا سرا طبقـا لتعليـمات عليـا تمنـع أيضـا نـشر نعـى أو عـزاء أو إقامـة جنـازة، وعـدم الاسـتعانة بـأى «حانوتـى» للتكفـين والدفـن.

ويـروى «مرتـضى المراغـى» آخـر وزيـر للداخليـة قبـل ثـورة ٢٣ يوليـو ١٩٥٢ قصـة لهـا دلالـة فى هـذا الأمـر، وجـاءت فى مذكراتـه «شـاهد عـلى حكـم فـاروق» الصـادرة عـن دار المعـارف، القاهـرة: «حدثـت ليلـة قتـل الشـيخ البنـا قصـة طريفـة، فقـد كان يوسـف رشـاد رئيـس الحـرس الحديـدى يسـمع الراديـو فى آخـر نشراتـه الإخباريـة فسـمع خـبر الاعتـداء عـلى «البنـا»، فذهـب إلى التليفـون وطلـب جنـاح الملـك فى القـصر، فـرد عليـه أحـد أتبـاع الملـك، فأخـبره أنـه يريـد التحـدث إلى الملـك، وعـاد رجـل الحاشـية يقـول:

- قل لى ماذا تريد لأن الملك مشغول.

فقال له: أرجو أن يكون جلالته مسرورا منا.

رجل الحاشية: مسرور على ماذا؟

قال يوسف: على قتل حسن البنا.

فضحـك رجـل الحاشـية وذهـب وأخـبر الملـك، وعـاد يقـول: «مولانـا يقـول لـك اتْلِهِـى عـلى عينـك مـا شـأنك أنـت؟ إنهـم غـيرك».

انتهـت حيـاة «البنـا» بهـذه الخاتمـة، بعـد ٢١ عامـا مـن تأسـيس جماعـة الإخوان، وبعـد ٤٦ عامـا مـن عمـره، وبعـد أن كتـب عـلى صفحـات جريـدة «الإخـوان المسـلمين» عـن «الملـك المسـلم» الـذى هـو حامـى المصحـف الشريـف، وكيـف أنـه ينبـذ المعتقـدات الباليـة، ويتسـلح بالقـرآن الكريـم الـذى ضمـه إلى قلبـه ومـزج بـه روحـه.

١٤ فبراير عام ١٩٦١
وفاة عبقرى الحكايات والموسيقىّ وكاره القراءة «زكريا أحمد»

«ذهبت إلى ملجأ العميان فى الزيتون لأسمع صوتا جديدا قيل إنه معجزة، كانت الليلة ليلة الأربعين للمرحوم بيرم التونسى، رحمه الله وغفر لنا جميعا».

كانت هذه الكلمات هى آخر ما كتبه الموسيقار زكريا أحمد فى مذكراته اليومية، يوم ١٣ فبراير ١٩٦١، وفى اليوم التالى مثل هذا اليوم (١٤ فبراير) مات بعد أن خلد اسمه فى تاريخ الموسيقى العربية كأحد مجدديها العظام، وحسب كتاب «السبعة الكبار فى الموسيقى العربية، دار العلم للملايين بيروت» للمؤرخ الموسيقى اللبنانى ڤيكتور سحاب: «زكريا أحمد يمتاز دون غيره من الموسيقيين العرب الكبار بمزاجه الخاص ذى المقومات المركبة، وأول ما يخطر ببال معتنقيه أنه محافظ يعاند التطور والتبديل، وهذا تصنيف غير دقيق؛ لأنه طور شكلين من أهم أشكال الغناء العربى «الدور والطقطوقة»، وأسهم فى تطوير أشكال أخرى، دون أن يمس آلات الموسيقى العربية».

عبقرية «زكريا أحمد» الموسيقية نتعجب منها حين نعرف طبيعته الشخصية التى يكشف عنها صديقه نجيب محفوظ، وفى كتاب «صفحات من مذكرات نجيب محفوظ» لـ«رجاء النقاش»، يحدثنا نجيب عن «زكريا» كأظرف الشخصيات التى قابلها فى حياته: «ابن بلد، لطيف، «حَبُّوب»، «ابن نكتة»، حكاياته لا تنتهى، حكاية تجرك إلى حكاية أخرى فى تسلسل عجيب، وترابط

مذهـل، قـد يبـدأ فى سرد حكايتـه الأولى فى التاسـعة مسـاء، ويعـود إلى نفس الحكاية فى الثالثـة صباحـا، ومـا بينهـما عبـارة عـن اسـتدراك وملاحظـات».

يقـول نجيـب محفـوظ: «مـن الأسـباب التـى تجعـل أصدقـاء الشـيخ زكريـا يتحملـون سـطوته وسـيطرته عـلى الجلسـة إلى جانـب حبهـم لـه، أنـه يمثـل الحكايـات التـى يرويهـا بخفـة دم ليس لهـا مثيـل، وكل مـن يحـضر مجلسـه لم يكـن يتمالـك نفسـه مـن الضحـك وهـو ينظـر إليـه أثنـاء تمثيـل حكاياتـه، وربـما تكـون الحكايـة بسـيطة وسـطحية ولا معنـى لهـا مـن نـوع، أن جـارة لـه مـرت بـه، وقالـت لـه: صبـاح الخـير يازكريـا يابْنِـى، فيقلـد صـوت السـيدة، وطريقـة سـيرها وحركاتها ورد فعلـه عـلى «صبـاح الخـير» هـذه بشـكل «كاريكاتـيرى» سـاخر ومثير للضحك الشـديد، وكثـيرا مـا كنـا نُفاجـأ بـه وهـو يـسرد الحكايـة مندمجـا ومنفعـلا، وفى منتهـى التركيـز، فـإذا بـه يـترك حكايتـه بـدون مقدمـات ويمسـك عـوده ويغنـى، وكنـا نحـب هـذا أيضـا، فصـوت الشـيخ زكريـا يتميـز بقـوة ورخامـة لا نظـير لهـا، وقـد يـترك العـود ويعـود لحكايتـه مـن النقطـة التـى توقـف عندهـا».

يضيـف نجيـب محفـوظ: «عندمـا كان الشـيخ زكريـا يتحـدث لا تشـعر أبـدا فى كلامـه أى محاولـة مـن جانبـه لاسـتخدام مصطلحـات ثقافيـة أو فكريـة، ولكنـك تشـعر أنـك أمـام رجـل شـعبى وابـن بلـد، ورأسـه مـلىء بالموسـيقى، وكنـت أسـأل نفسـى: متـى يعمـل الشـيخ زكريـا، ويتـم ألحانـه وهـو يـداوم عـلى سـهراته اليوميـة، واكتشـفت أن لديـه قـدرة التلحـين فى أى وقـت، وأذكـر أنـه لحـنَّ أغنيـة «حبيبـى يسـعد أوقاتـه» لـ«أم كلثـوم»، وهـو يجلـس معنـا، وفى مـرات عديـدة كان يضـع لحنـين مختلفـين لأغنيـة واحـدة ويعرضهـما علينـا لنختـار الأفضـل. لم يكـن الشـيخ زكريـا يحـب القـراءة، وربـما كانـت روايتـى «زقـاق المـدق» هـى روايتـى الوحيـدة التـى قرأهـا، وأُعجـب بهـا للدرجـة التـى جعلتـه يعيـد صياغتهـا ويحكيهـا أمامنـا كأنـه المؤلـف».

١٥ فبراير عام ١٥١٧
سليم الأول يصعد إلى القلعة
ويأمر بتنظيف الشوارع من الجثث

مما يُروى عن السلطان العثمانى «سليم الأول» أنه كان فى الشام بينما جنوده يقتلون المصريين لدخول القاهرة لحكم مصر، ولما جاءته شكاوى من مصريين عن عمليات القتل والنهب والسفح التى يتعرضون لها على أيدى جنوده رد قائلا: «إذا دخلت إلى مصر أحرق بيوتها قاطبة وألعب فى أهلها بالسيف».

هى عبارة كاشفة لما يخططه سليم الأول ضد المصريين، فالقتل أداته، والإرهاب عالمه، والقضية برمَّتها ليس فيها شىء مما صدّره عن أنه يسعى لـ«خلافة إسلامية» هو حاكمها ورمزها.

فى وقائع ما حصل منذ انتصارهم فى موقعة «الريدانية» يوم الخميس (٢٢ يناير عام ١٥١٧)، دارت عجلة النهب والسلب والقتل على أشدها ويصف ابن إياس فى «بدائع الزهور»: «اتجهوا إلى المطاحن، أخذوا ما فيها من البغال والأكاديش، وعدة جمال من جمال السقايين، فتوقفت المطاحن عن العمل، وفقد السقاءون جمالهم التى تحمل قرب الماء، ثم توجهوا إلى شون القمح التى بمصر وبولاق ونهبوا ما فيها، وفى «الخانكة» التى كان يقطنها فلاحون ومزارعون بسطاء، نهبوا مزروعاتهم وحقولهم».

ووفقا للمؤرخ التركى «جلال زادة قوجه تشانجى مصطفى» الذى عاصر تلك المرحلة: «دخل الجيش العثمانى مصر وكان يوم الحساب والزلزال والانتقام للمعركة السابقة «الريدانية» وما حاق فيها من خسائر فادحة»، ويذكر الكاتب والمؤرخ حلمى النمنم فى كتابه «أيام سليم الأول فى مصر»: «انطلق العثمانيون يحرقون البيوت بخيولهم ينهبونها ويعبثون بها فيها، الأمر الذى دفع الأهالى إلى أن يغلقوا الأبواب بالطين ويصنعون بدلا منها «خوخة صغيرة»، و«الخوخة» تعنى بابا صغيرا فى إطار بوابة كبيرة يسمح للفرد الواحد فقط أن يعبر منه، ولجأ المصريون إلى فكرة البوابات الكبيرة المغلقة خوفا من أن يقتحم العثمانيون بيوتهم بخيولهم».

كان «سيلم» سعيدًا بما تحقق، أرسل خطابًا إلى «كافل» أمير دمشق يقول فيه: «فى هذه الأيام الثلاثة- يقصد فترة القتال أثناء موقعة الريدانية- يستمر القتال من الصبح إلى العشاء، وبعون الله تعالى قتلنا جميع الجراكسة، ومن انضم إليهم من العُرْبان، جعلنا دماءهم مسفوحة، وأبدانهم مطروحة، ونهب عساكرنا قماشهم، وأثاثهم وديارهم وأموالهم، ثم صارت أبدانهم للهوام».

استعد «سليم» للصعود إلى القلعة، للجلوس رسميا على عرش الحكم، كان ذلك بعد انتصاره النهائى فى «الريدانية»، فأمر بتنظيف الشوارع والطرقات من الجثث التى تعفنت، وتم إلقاؤها فى النيل ولم يتم تكفينها وتغسيلها طبقا للتعاليم الإسلامية، فماذا حدث بعد ذلك؟

«نادى السلطان سليم شاه فى الصليبية وقناطر السباع بأن أصحاب الأملاك التى فى الصليبية وجامع ابن طولون يخلون من بيوتهم، فإن السلطان سليم شاه طالع إلى القلعة ليقيم بها، وصار يكرر المناداة فى كل يوم بذلك المعنى، فخرج الناس من بيوتهم على وجههم، وانطلق فيهم جمة نار».

فى مثل هذا اليوم (١٥ فبراير ١٥١٧) دخل سليم بموكبه من «باب النصر» متوجها إلى القلعة، ويصفه ابن إياس: «قيل إن صفته ذرىّ اللون، حليق الذقن، وافى الأنف، واسع العينين، قصير القامة، فى ظهره حنية، وعلى رأسه عمامة صغيرة، يلبس قفطانا مخملا، وعنده خفة ورهج، كثير التلفت،

إذا ركب الفرس، وقيل إن له من العمر نحو أربعين سنة أو دون ذلك، وليس له نظام يُعرف مثل نظام الملوك السالفة، غير أنه سيئ الخلق، سفاك للدماء، شديد الغضب، لا يراجع فى القول».

١٦ فبراير عام ١٩٤٦
مصطفى عبد الرازق شيخًا للأزهر
بتدخل من الملك فاروق

حين يقفز اسم الشيخ مصطفى عبد الرازق إلى الذاكرة، فأنت أمام علامة فى طريق التنوير، كان شيخًا معممًا لكنه تنويرى كبير كأستاذه الشيخ محمد عبده، وظل سندًا كبيرًا لـ«كوكب الشرق» أم كلثوم فى بداية حياتها الفنية، ومشجعها على تطوير الغناء المصرى، وكان مجرد ذكر اسمه كواحد من كبار رموز مصر المعجبين بغنائها كفيلاً بحمايتها ممن يضعون العراقيل أمام مسيرتها الفنية، ورغم ذلك لم تكن فترة تولِّيه منصب شيخ الأزهر جيدة بالنسبة إليه.

اللافت أن تاريخ اليوم الذى تولى فيه الشيخ مصطفى عبد الرازق مشيخة الأزهر (١٦ فبراير ١٩٤٦) هو نفسه تاريخ اليوم الذى تُوفِّى فيه بعد عام بالضبط (١٦ فبراير ١٩٤٧)، وقصة ترشيحه لـ«المشيخة» فيها صراعات حزبية، وتدخل ملكى، بما يعطى فى النهاية شكا قويا حول ما يقال بأن «الأزهر» كان مستقلا وبعيدا عن التدخلات السياسية وقتئذ.

فى قصة تولِّيه شيخًا للأزهر، التى يأتى بها الكاتب والمؤرخ حلمى النمنم فى كتابه «الأزهر.. الشيخ والمشيخة»، ومذكرات حسن يوسف، وكيل الديوان الملكى، سنجد الخلاف بين الديوان الملكى والملك فاروق، وسنجد تغييرًا من مجلس النواب لشروط المنصب حتى تتوافق مع رغبة الملك فاروق.

القصة تبدأ بعد وفاة الشيخ مصطفى المراغى، شيخ الأزهر، فى أغسطس ١٩٤٥، التى واكبها ترشيح الديوان الملكى للشيخ عبد المجيد سليم للمنصب، وكانت الشروط كلها منطبقة عليه، فهو عالم وورع وتقى، وعضو بهيئة كبار علماء الأزهر، وكان صاحب ولاء للقصر الملكى، حيث عمل فيه إمامًا للملك «فؤاد» والد «فاروق»، لكن الملك «فاروق» فاجأ الجميع بالرفض، وأمر بترشيح مصطفى عبد الرازق الذى كان وزيرًا للأوقاف.

رغبة الملك فاروق اصطدمت بمشكلة تتمثل فى أن «عبد الرازق» لم يكن عضوًا فى هيئة كبار علماء الأزهر، ولا ينطبق عليه شرط أن يكون مرشح للمشيخة مضى عليه ١٠ سنوات فى التدريس بالأزهر، و«عبد الرازق» لم يمارس التدريس فى الأزهر، وقام بتدريس الفلسفة فى جامعة القاهرة «فؤاد الأول وقتئذ» فقط، التى تطورت معه لأن يكون مؤسسًا لقسم (الفلسفة الإسلامية) فى الجامعة.

تنفيذ الأمر الملكى أدى بحكومة «النقراشى» إلى أن تتقدم بتعديلات إلى مجلس النواب على شروط تولى منصب «شيخ الأزهر»، ورغم معارضة «الوفد» فإن «النواب» قرر إلغاء شرط عضوية هيئة كبار العلماء، وتعديل شرط التدريس فى الأزهر عشر سنوات إلى أن يشمل التدريس أيضًا فى «جامعة فؤاد» أو «جامعة فاروق» لمدة خمس سنوات.

من قلب الأزهر، جاءت معارضة الشيخ عبد المجيد سليم، مرشح الديوان الملكى الذى تنطبق عليه الشروط، والشيخ مأمون الشناوى، وكيل الأزهر، الذى تقدم باستقالته من منصبه احتجاجًا على تخطِّيه من قِبل الملك وديوانه.

شغل مصطفى عبد الرازق منصب شيخ الأزهر، وظل مدة عام لم يحقق فيه شيئًا، وعانى الفشل الكبير، وشكا كثيرًا مما يتعرض له من الأزهريين، وأعلن ندمه على قبول المنصب.

١٧ فبراير عام ١٩١٥
طلاب مدرسة «الحقوق»
يرفضون استقبال السلطان حسين كامل

فى زمن الاحتلال البريطانى لمصر (١٨٨٢-١٩٥٤) يحتفظ التاريخ فى صفحاته، بممارسات الاحتلال السوداء التى كانت تبدأ وتنتهى عند معنى واحد، هو أن فى مصر شعبا لا يستحق الحياة، غير أن هذا الشعب العظيم كان يرد بدروس فى المقاومة من أجل الحرية والاستقلال.

فى واحدة من هذه الصفحات نقف أمام اللحظة التى تم فيها عزل الخديو «عباس حلمى الثانى»، وتنصيب «حسين كامل» سلطانا على مصر. كان القرار صادرا من حكومة الاحتلال البريطانى فى شهر ديسمبر ١٩١٤، وكان ضمن قرار أشمل وهو إعلان الحماية البريطانية على مصر، سبقه فرض الأحكام العرفية، وكان إعلان الحرب العالمية الأولى السبب فى هذه الإجراءات الاستثنائية.

شهدت مصر أثناء هذه الحرب طوفانا من جنود الإمبراطورية البريطانية من كل لون، وصدرت أوامر بجمع متطوعين من شباب مصر بالإكراه، كأيدٍ عاملة تمهد الطرق، وتحفر الخنادق، وتجهيز المنطقة الواقعة من شرق قناة السويس حتى نهر الأردن.

كانت جموع الشباب تُساق من القرى مربوطة فى الخيول إلى المعسكرات والقطارات التى تنقلهم إلى أماكن العمل، وتشهد كوكب الشرق أم كلثوم

فى مذكراتها المنشورة بصحيفة الجمهورية عام ١٩٧٠، أنها رأت قوافل رجال مربوطة بالحبال تجرهم الخيول فى طريقهم إلى المعسكرات، وذلك أثناء تنقلها مع والدها لإحياء الموالد فى القرى المجاورة لقريتها «طماى الزهايرة» بـ«السنبلاوين»، محافظة الدقهلية.

وطبقًا لتقديرات جاءت فى كتاب «مواقف حاسمة فى تاريخ القومية العربية» للكاتب والمؤرخ محمد صبيح، بلغ عدد الذين سيقوا للتطوع تحت فحيح السياط «مليونا ومائة وسبعين ألف مصرى، كما أضيف ١٢ ألفا من احتياطى الجيش المصرى لدعم الجيش البريطانى».

أمام هذه المظالم، يأتى السؤال: «هل قاوم الشعب المصرى؟»، والإجابة تأتى فى أكثر من رد فعل، منها محاولة لجموع من المجندين بالسير من معسكراتهم إلى ميدان عابدين احتجاجًا، وخشى «السلطان» أن يكون هناك «عرابى» جديد، فقوبل الاحتجاج بقمع عنيف.

كان للطلاب صوت مقاوم فى هذا الحراك الوطنى، ففى مثل هذا اليوم (١٧ فبراير ١٩١٥)، وكما يقول «صبيح»: «كان حسين كامل على موعد للذهاب إلى مدرسة الحقوق بعد أقل من شهرين على تنصيبه حاكما، لكن الطلاب قرروا الامتناع عن حضور المناسبة فغابوا عن الدراسة حتى لا يقابلوا السلطان الجديد الذى ارتضى أن يأتى إلى الحكم بإرادة الاحتلال، ويحدث فى حكمه كل هذا الإذلال للمصريين».

يضيف «صبيح» : «قامت الإدارة بالتحقيق مع ٥٤ طالبا، وصدرت ضدهم أحكام بالفصل والحرمان النهائى من الامتحانات، غير أن هناك واقعة مقابلة تحمل طرفة وسياسة فى آنٍ واحد، ففى نهاية هذا العام استقبل «السلطان» طلاب البعثات، ومنح كل طالب ٥٠ جنيها، فشكره فى خطبة الطالب «طه حسين» الذى سيصبح فيما بعد عميدا للأدب العربى، وفى أول صلاة جمعة تالية للحدث، كانت المقابلة حديث خطيب المسجد الذى كان يصلى فيه «السلطان»، وأشاد «الخطيب» بحسن استقبال السلطان للطلبة، خصوصا عندما جاءه «الأعمى» فأكرمه، وما عبس فى وجهه وما تولى، وغضب العلماء من هذا التعريض ونسبوا لإمام المسجد أنه مرتد».

١٨ فبراير عام ١٨٥٦
السلطان العثمانى يُصْدر الخط الهمايونى «للمسيحيين» ومحمد على يسبقه

فى علاقة المسلمين بالمسيحيين فى مصر حكايات تعكس طبيعة الحالة السياسية والحضارية لزمنها، ولأن مصر ظلت قرونًا تحت حكم الدولة العثمانية، فلم تكن استثناء من الوضع السيئ للمسيحيين فى البلاد التى تقع تحت حكمها.

فى مثل هذا اليوم (١٨ فبراير ١٨٥٦)، حدث انقلاب فى الحالة التى ظل المسيحيون عليها، حيث أصدر السلطان عبد المجيد الأول قانون تنظيم بناء دُور العبادة فى الولايات التابعة للدولة العثمانية، ويطبق على كل الملل والأديان غير الإسلامية، وعرف بـ«إصلاح الخط همايونى»، وينص على: المساواة بين كل المواطنين فى الدولة العثمانية، وينتخب بطاركة رؤساء الكنائس من كل الملل، وتكون فترة انتخابهم حتى مماتهم، ولا يحق لأحد نزع سلطان البابا إلا من كنيسته على وجوب إبلاغ فقط من الباب العالى باسم البابا الجديد فى كل مرة، كما ينص القانون على أن السلطان شخصيا وفقط له الحق فى ترخيص بناء وترميم الكنائس والمقابر الخاصة لغير المسلمين، وإعفاء الكنائس من الضرائب والمصروفات، وتشكيل مجلس مكون من رجال الكنيسة (كهنة أو رهبان) ورجال من خارج الكنيسة (مسيحيين غير الرهبان والكهنة) لإدارة شئون الملة والمعروف باسم المجلس المِلِّى العام.

ونــص القانــون عــلى عــدم إجبــار أى شــخص عــلى تــرك دينــه، ومحــو كل الألفــاظ التــى تمــسُّ فئــة مــن النــاس مثــل الديــن والملــة، ويكــون حــق التعيــن فى مناصــب الدولــة المدنيــة والعســكرية بالكفــاءة مــن دون تمييــز فى الديــن، وإلــزام كل مواطنــى الدولــة بالخدمــة العســكرية، وتكــون الدعــاوى القضائيــة بــين المســيحيين والمســلمين فى دواويــن عبــارة عــن محاكــم خاصــة يرأســها قضــاة مــن الطرفــين.

كانــت مــصر قبــل صــدور هــذا القانــون قــد قطعــت شــوطا فى تقــدم العلاقــة بــين المســلمين والمســيحيين، فمنــذ لحظــة اعتــماد محمــد عــلى باشــا عــلى المصريــين فى حكمــه لمــصر، ســعى إلى القضــاء عــلى التفرقــة بــين المســلم والمســيحى التــى كان مــن أبــرز مظاهرهــا ارتــداء المســيحيين والأروام للــزى الأزرق والأســود، ولا يتعممــون بالشــيلان الكشــميرى الملونــة غاليــة الثمــن.

يذكــر «نوبــار باشــا»- عمــل وزيــرا «لمحمــد عــلى»- فى مذكراتــه: «لم يكــن مســموحًا للرعيــة بــأن يبقــى عــلى ظهــر دابتــه إذا التقــى بتركــى أو مســلم، حيــث كان يتحتــم عليــه الترجُّــل كرمــز للاحــترام والخضــوع، ثــم يمــر أمامــه حامــلا نعليــه فى يديــه».

وفى قصــة تحمــل دلالات عميقــة يحكــى نوبــار: «حدثــت جريمــة فى الإســكندرية ارتكبهــا مركبــى عربــى، وكان الضحيــة شــابا مســيحيا قتــل، وألقيــت جثتــه فى المــاء، وتــم القبــض عــلى القاتــل وإيداعــه فى الســجن لحــين تنفيــذ حكــم الإعــدام فيــه، ونُصبــت المشــنقة بالقــرب مــن عمــود بطليمــوس، فســارت جمــوع غفــيرة مــن النــاس خلــف المحكــوم عليــه بالإعــدام أثنــاء اقتيــاده لتنفيــذ الحكــم، وتــردد همســا: «كيــف يشــنق مســلم لأنــه قتــل كافــرا؟ ألم يعلمنــا أســاتذتنا فى القانــون أن حيــاة مســلم تســاوى حيــاة عــشرة مــن الكفــرة، وإذا تــم شــنق هــذا الرجــل فعلينــا قتــل تســعة مــن هــؤلاء المســيحيين، وبمجــرد أن أعلــن طاهــر بــك رئيــس البوليــس أن الــوالى أمــر بشــنق أى شــخص تســوّل لــه نفســه بإبــداء أى ملاحظــة، ووضــع الجثــة بجــوار القاتــل، انــصرفــت الجمــوع فجــأة واختفــت».

١٩ فبراير عام ١٩٤٦
مقتل حسنين باشا.. ونازلى لابنها فاروق:
«ده اللى عملك راجل»

أمضى أحمد حسنين باشا، رئيس ديوان الملك فاروق، سهرته يوم الأحد ١٧ فبراير ١٩٤٦ فى منزل الكاتب الصحفى محمد التابعى، وكانت كوكب الشرق «أم كلثوم» بين الحاضرين، وغنت قصيدة «سلوا قلبى» لأمير الشعراء أحمد شوقى، وألحان رياض السنباطى، جلس أحمد حسنين منصتا بكل جوارحه إلى الأغنية.

امتدت السهرة حتى فجر يوم الإثنين، وفى يوم الثلاثاء، ١٩ فبراير، وبينما كان فى سيارته يجتاز كوبرى قصر النيل فى طريقه إلى مسكنه «ڤيلا بالدقى»، أقبلت سيارة لورى بريطانية من الجهة المضادة، وبفعل الأمطار التى كانت تتساقط، انزلقت عجلة «اللورى» فلفّت نصف لفة لتصدم سيارة «حسنين باشا»، سمع السائق صوت حسنين باشا: «ياساتر، ياساتر، يارب»، سال الدم من فمه، وبالمصادفة كان «أحمد عبد الغفار» يسير بسيارته، وهو صديقه وزميله من أيام دراستهما فى جامعة أُكسفورد فى بريطانيا، فنزل ليحمل صديقه إلى مستشفى «الأنجلو أمريكان»، وفيها أسلم الروح، ونقلوه إلى داره.

فى حياة «الملك فاروق» يظل «أحمد حسنين» هو لغزها الأكبر، فلم يكن مجرد رئيس ديوانه، وإنما معلمه ومرشده ومهندس سياساته، وهناك من يتهمه بمسئوليته عن إغراق «فاروق» فى حياة اللهو والعبث، وفوق هذا هو

بطـل قصـة الغـرام مـع الملكـة «نـازلى» أُمّ فـاروق التـى هامـت بـه عشـقا فتزوجتـه، وطلـق زوجتـه وأم أبنائـه «لطيفـة هانـم»، وجـاء موتـه ليلقـى بأثـره الكبـير عليهـا ويؤكـد ذلـك الكاتـب الصحفـى «محمـد التابعـى» فى كتابـه «مـن أسرار الساسـة والسياسـة»، قائـلا: «لسـوف يقـول التاريـخ الحـق عـن نـازلى ملكـة مـصر لم تنفجـر، و«تفجُـر» إلا بعـد مـوت مروضهـا أحمـد محمـد حسـنين باشـا».

«التابعـى» لايقـول ذلـك إلا مـن موقـع المعرفـة الوثيقـة والشـخصية بـكل الأطـراف، نـازلى، فـاروق، حسـنين، وكل مـا يـدور فى كواليـس القـصر، يكتـب عـن شـخصية «حسـنين باشـا»، قائـلا:

«موضـع إعجـاب النسـاء، فيـه كل مـا يعجـب المـرأة، كان ممشـوق القامـة، حلـو الحديـث، حسـن الهنـدام، جذابـا، مؤدبـا، إذا أقبـل عـلى سـيدة يتحـدث معهـا خُيِّـل إليهـا أنـه لا يـرى سـواها ولا يهتـم بسـواها، وكان إلى جانـب هـذا رياضيـا ممتـازا، وبطـلا مـبرزا مـن أبطـال السـيف، ورحَّالـة مشـهورا جـاب مجاهـل الصحـراء وجابـه أخطارهـا، واكتشـف واحـة أو واحتـين، ودوى نبـأ اكتشـافه فى جوانـب العـالم، ونـال مـن الأوسـمة والنياشـين الأجنبيـة مـا لم ينَـلْ مـصرى فى مثـل سـنه».

يزيـد «التابعـى» فى وصـف «حسـنين باشـا»: «ثقافتـه واسـعة متعـددة الألـوان، كان يسـتطيع أن يتحـدث بسـهولة وانطـلاق فى الشـعر العربـى القديـم والحديـث، وفى المسـرح، والفـرق بـين المدرسـة الإنجليزيـة فى التمثيـل والمدرسـة الفرنسـية، وفى الصيـد والقنـص، وفى الطـيران، وكان يتحـدث فى الموضـة وتطوراتهـا، وكان يمكنـه أن يناقـش وعـلى قـدم المسـاواة أيـة سـيدة خبـيرة فى الأزيـاء».

وأخـيرا، كان حسـنين باشـا، والـكلام للتابعـى: «يجـب أن يعتقـد فيـه النـاس الغبـاء بـل «الهبـل» وأنـه رجـل لا يخشـى أحـد شره، أو طرطـور أو سـاعى بريـد ينقـل إليهـم الأوامـر السـامية مـن جلالـة الملـك، أو يرفـع آراءهـم ونصائحهـم إلى «السُـدَّة العليـا الكريمـة»، ومـن غـير أن يكـون لـه هـو رأى أو مشـورة فى الموضـوع، وصدقـه بعضهـم فى أول الأمـر، ثـم اكتشـفوا الحقيقـة وعرفـوه، وكرهـوه».

من هذه الخلفية يمكن فهم، لماذا وقعت الملكة «نازلى» فى غرامه، وانطلقت نحوه بكل جوارحها بعد وفاة زوجها الملك «فؤاد».

يلقى «التابعى» الضوء على شخصية «حسنين باشا»، فى كتابه «من أسرار الساسة والسياسة، أحمد حسنين باشا حياته العامة والخاصة»: «تلقَّى «فاروق» خبر مقتل «رائده» و«وزوج أمه»، فكان انشغاله بشىء آخر، طار إلى ڤيلا «حسنين»»، ويقول كريم ثابت مستشار الملك فى مذكراته «عشر سنوات مع فاروق»، الصادرة عن «دار الشروق، القاهرة»: «قال لى لقد جمعت بنفسى كل أوراقه الخصوصية هنا وفى عابدين قبل أن تمتد إليها يد، لم يذرف دمعة واحدة عليه».

ويذكر «التابعى» هذا الموقف تفصيلا: «طار الخبر إلى القصر، وأسرع فاروق وكان يرتدى (روب دى شامبر) وفى قدميه شبشب، وأسرع بملابسه هذه واستقل إحدى سياراته إلى دار حسنين بالدقى، ووقف فاروق لحظة أمام جثمان حسنين، رائده وأستاذه ومربيه ثم رئيس ديوانه، ثم قال: «مسكين ياحسنين».

سأل «فاروق» بعدها عن مفاتيح مكتب حسنين، وتناولها ودخل غرفة المكتب، وأغلق وراءه الباب، وكان يبحث عن أية مذكرات كتبها حسنين، وعن عقد زواجه بأمه، وأى أوراق مهمة أخرى قد يكون تركها وراءه».

يواصل «التابعى»: «بعد وفاة «حسنين» بأسبوعين أو ثلاثة، ذهب «فاروق» ليزور أمه نازلى فى قصرها بالدقى، وتسمرت قدماه أمام صدر قاعة القصر، حيث وجد صورة بالحجم الطبيعى لـ«حسنين» وقد جُلِّلت بالسواد، وأمام الصورة جلست «نازلى» وسيدات القصر وخادماته وجميعهن متشحات بالسواد، وعلى جانبى القاعة الكبيرة جلس نحو عشرين شيخا يتلون الأوراد ويدعون بالرحمة للراحل الكريم، توقف «فاروق» لحظة عند باب القاعة، وعقدت الدهشة لسانه، ثم مشى حيث كانت أمه وقال لها وهو يشير بيده إلى الصورة وإلى السيدات والمشايخ: «إيه ده كله؟ وعلشان إيه ده كله، مات، خلاص مات، لزوم ده إيه؟»».

انتفضت نـازلى واقفـة عـلى قدميهـا وانفجـرت فى ابنهـا تصيـح: «ده، ده الـلى عملـك راجـل، ده الـلى حافـظ لـك عـلى عرشـك، بكـره راح تشـوف يجـرى لـك إيـه، بعـد مـوت حسـنين»، وهـز فـاروق كتفـه سـاخرا وانـصرف.

٢٠ فبراير عام ١٩١٠
اغتيال بطرس غالى باشا.. و«الوردانى»:
«قتلته بعقلى وقلبى»

كانت الساعة الواحدة ظهرا فى مثل هذا اليوم (٢٠ فبراير ١٩١٠)، حين خرج بطرس باشا غالى، رئيس الوزراء، من وزارة الخارجية، وبينما يهم بركوب سيارته، اقترب شاب منه متظاهرا برفع عريضة له، لكن المفاجأة كانت فى رصاصتين أطلقهما «الشاب» عليه، وما كاد يلتفت حتى واصل «الشاب» إطلاق رصاصاته، وكان مجموعها ستًّا، لينتقل إلى المستشفى ثم يموت فيها بعد نحو ٢٤ ساعة، ويذكر «أحمد شفيق باشا» فى مذكراته الصادرة عن قصور الثقافة، القاهرة، أن الخديو عباس حلمى الثانى، ذهب إلى بطرس باشا فى غرفته بالمستشفى، ثم دنا منه والدموع تنسكب من عينيه ودعا له بالشفاء، وكان الجريح أثناء ذلك يقول: «العفو يا أفندينا، ميرسى، ميرسى».

«كانت الرصاصات الست أول ما فرق الهدوء المصرى» وهذا التعبير البليغ لـ«فتحى رضوان» فى كتابه: «نصف قرن من السياسة والأدب»، وكان القاتل «إبراهيم الوردانى» شابا يبلغ من العمر (٢٤ عامًا)، درس الصيدلة، والتحق بالحزب الوطنى بزعامة محمد فريد، يصفه رضوان: «كان نحيلا قمحى اللون، تشوب وجهه سمرة مصرية، هادئا فى الظاهر، شديد العصبية والحساسية فى الباطن».

حتـى يـوم «الاغتيـال» كان الخصـام بـين «بطـرس غـالى» والحركـة الوطنيـة المصريـة قـد بلـغ مبلغـه، لم يكـن لـ«الخصـام» علاقـة بأبعـاد دينيـة، أى وضعـه فى خانـة أن بطـرس غـالى «مسيحى» يشـغل رئاسـة حكومـة مـصر بأغلبيتهـا المسـلمة، وقبلهـا تـولى «نظـارة الخارجيـة ١٣ عامـا متصلـة مـن ١٢ نوفمـبر ١٨٨٥ حتـى ١٩٠٨»، ولمـا أبلـغ الخديـو عبـاس حلمـى الثانـى المعتمـدَ البريطانـى فى مـصر «ألـدن جوسـت» عـن اختيـاره لـ«غـالى» رئيسـا للـوزراء، سـأله «جوسـت»: ألا يحصـل انتقـاد مـن الأهـالى بتعيـين قبطـى رئيسـا؟، فـرد الخديـو: «إنـه قبطـى ولكنـه مـصرى».

كان خصـام الحركـة الوطنيـة لـه يقـف عـلى أرضيـة وطنيـة تمامًـا مـن خـلال دوره فى أربـع قضايـا، الأولى، توقيعـه اتفاقيـة اقتسـام حكـم السـودان مـع الاحتلال الإنجليـزى فى يـوم ١٩ ينايـر ١٨٩٩، أمـا الثانيـة فكانـت رئاسـته لمحاكمـة «دنشـواى» يـوم ٢٣ نوفمـبر ١٩٠٦ التـى انتهـت بإعـدام أربعـة مـن أهـالى القريـة، والأشـغال الشـاقة عـلى ١٢ وجلدهـم ٥٠ جلـدة، لاتهامهـم بقتـل ضابـط بريطانـى مـات متأثـرا بضربـة شـمس، أثنـاء قيـام مجموعـة مـن الجنـود البريطانيـين بصيـد الحمام داخـل حقـول الفلاحـين بـ«دنشـواى»، وهـى القضيـة التـى ألهبـت المشـاعر الوطنيـة.

وأمـا الثالثـة، فكانـت إعـداده لقانـون المطبوعـات يـوم ٢٥ مـارس ١٩٠٩، الـذى وضـع قيـودًا عـلى الأقـلام والصحـف المعارضـة لسياسـة «عبـاس حلمـى الثانـى» المهادنـة للاحتـلال. وتبقـى القضيـة الرابعـة، وهـى موافقتـه عـلى مـشروع مـد امتيـاز قنـاة السـويس لبريطانيـا ٤٠ عامـا جديـدة، وكان «الامتيـاز» المعمـول بـه ينتهـى فى عـام ١٩٦٨، ومـده يـؤدى إلى اسـتمراره حتـى عـام ٢٠٠٨.

وضعـت هـذه القضايـا الأربـع «بطـرس باشـا غـالى»، فى مواجهـة الحركـة الوطنيـة المصريـة، ودفعـت «الوردانـى» لاغتيالـه «دون نـدم»، وحسـب مـا يذكـره فتحـى رضـوان فى كتابـه «نصـف قـرن مـن السياسـة والأدب»: «لمـا دخـل الوردانى إلى غرفـة النائـب العـام، لم ينكـر فعلتـه، ولم ينـدم عليهـا، وأكـد أنـه نفذهـا دون شريـك، ولا محـرض، ولا معـين إلا عقلـه وقلبـه».

ويقـول «أحمـد شـفيق باشـا»: «قبـل أن يُفتـح محـضر التحقيـق الرسـمى مـع «الوردانـى»، سـأله وكيـل الحقانيـة: «لمـاذا فعلـت فعلتـك بالباشـا؟، فأجـاب غاضبـا: لأنـه خائـن للوطـن، فـرد عليـه بقولـه: «يامسـكين لوعرفـت أنـه أكـبر وأصـدق وطنـى فى خدمـة البـلاد مـا فعلـت فعلتـك».

٢١ فبراير عام ١٩٤٦
طلاب مصر يهدون العالم فى«يوم الطالب العالمى»..
بـ«٢٤ شهيدًا»

«أضربت القاهرة إضرابا تاما. أضرب الطلبة فى الجامعة والأزهر والمدارس الثانوية والابتدائية والمتوسطة، وتعطلت المواصلات والمحلات التجارية والصناعية، والصيدليات والمشارب، ومحلات المأكولات بعد أن فتحت فترة فى الصباح لتزويد الأهالى بالأطعمة، كما اشتركت الطالبات كذلك، واستعد لذلك اليوم البوليس وقوات الجيش، كما طاف صدقى، رئيس الحكومة، بأقسام الشرطة للاطلاع على حالة الأمن».

هكذا كان مشهد القاهرة فى مثل هذا اليوم (٢١ فبراير ١٩٤٦)، والذى يسجله كتاب: «الطلبة والحركة الوطنية فى مصر ١٩٢٢-١٩٥٢»، الصادر عن دار الكتب والوثائق القومية للدكتور عاصم محروس عبد المطلب، وجاء استجابة لأول بيان لـ«اللجنة الوطنية العليا للعمال والطلبة» الذى نادى باعتبار يوم ٢١ فبراير يوما للجلاء.

كان هذا المطلب رسالة احتجاج قوية على ما حدث يوم ٩ فبراير، الذى شهد مظاهرات ضخمة خرجت من جامعة «فؤاد الأول» وتم فتح كوبرى قصر النيل عليها؛ فسقط البعض فى النيل وقتل وجرح نحو ٢٠٠.

تحركت المظاهرات من الجيزة والأزهر والسيدة زينب والعباسية وشبرا الخيمة، تضم قرابة ١٥٠ ألفًا من الشباب، كما تحركت مظاهرة كلية الطب تردد النشيد الذى وضعه ولحنه أعضاء اللجنة ويقول:

«ياشعب قم خض بحار الدماء/ لا تبكِ فالآن وقت الفداء/ هيا نحطم قيود الخضوع/ هيا سويا لنيل الجلاء/ من خاف بالصف يُرمى بعار/ من خاننا سوف يلقى بالدمار/ لن نستجيب لصوت الهدوء/ إن الكفاح هو الانتصار».

تدفقت الجموع على ميدان الأوبرا، حيث كانت الترتيبات لعقد المؤتمر الوطنى العام، واجتمعت كل المظاهرات فيه، وألقى ممثلو الهيئات المختلفة كلماتهم، وقرر المؤتمر ضرورة قطع المفاوضات مع الإنجليز باعتبارها طريق المساومة والمهادنة، والتمسك بالجلاء التام عن وادى النيل. ويسجل كتاب «الطلبة والحركة الوطنية فى مصر»، أن القوى الرجعية والاستعمار بذلت جهودها لإفساد عظمة اليوم، فنزل صدقى باشا (رئيس الحكومة) إلى الشارع بسيارته وبجانبه حسن البنا، المرشد العام لجماعة الإخوان، محاولين إثناء الجماهير عن الاستمرار فى مظاهراتهم.

اشتعلت المظاهرات بسقوط أول شهيد، وقام المتظاهرون بلفِّه بالعلم المصرى، وطافوا به شوارع القاهرة، وبلغ عدد الذين استُشهدوا حتى الغروب ٢٤ شهيدا و١٣٠ جريحا، ومن بين الذين استشهدوا، محمد فؤاد أحمد الطالب بالدواوين الثانوية، وهو ابن بائع صحف قاطع صحافة الاستعمار، محمد فهمى أبوالنصر خريج معهد التربية، محمد حسن سيد العاصى من المنوفية ومن أبناء الطبقة العاملة، إمام محمد سليمان، كمال محمد سرور، أحمد سيد أبو العزم، أنسى أبوضيف عبد الرحمن، حسين حسن عبد الباقى، يوسف زكى، مصطفى عبد الدايم، وحسب الله رمضان.

امتدت المظاهرات إلى الإسكندرية، بنها، طنطا، زُفْتى، الإسماعيلية، الزقازيق، السويس، شبين الكوم، المنصورة، دكرنس، المحلة، كفر الشيخ، المنزلة، كفر الزيات، السنبلاوين، قويسنا، وأضربت بعض القرى.

فـرض الحـدث المصرى نفسـه عـلى العـالم، وتناقلـت الصحـف العالميـة تفاصيله، وانتقلـت العـدوى إلى دول مجـاورة منهـا سـوريا والسـودان والأردن ولبنـان، وفيهـا تـم الإعـلان عـن إضرابـات عامـة تضامنـا مـع طـلاب مـصر، وتضامنـت حـركات طلابيـة أخـرى مـن دول العـالم، وفى الاجتـماع التأسيسـى لاتحـاد الطلبـة العالمـى فى أغسـطس ١٩٤٦، اتخـذ قـرار بجعـل يـوم ٢١ فبرايـر يومـا للطالـب العالمـى.

٢٢ فبراير عام ١٩٥٨
الوحدة بين مصر وسوريا وجمال عبد الناصر رئيسًا

عمت المظاهرات المدن السورية، وأطلق المتظاهرون شعار: «عايزين وحدة باكر باكر.. ويَّا الأسمر عبد الناصر»، كان ذلك فى شهر يناير عام ١٩٥٨، ولم يكن فى سوريا مطلب يعلو على مطلب «الوحدة مع مصر»، وفى هذه الأجواء سادت قناعة بأن تحرير فلسطين لن يأتى إلا من باب وحدة مصر وسوريا، واستدعى السوريون أيام صلاح الدين الأيوبى وهزيمة الصليبيين بفضل هذه الوحدة.

كان الحلم العربى يحلق فى الفضاء، وكان الإيمان قويا بأننا أمة تناطح السحاب. كانت معارك الاستقلال من الاحتلال الأجنبى تدور على قدم وساق فى كل البلاد العربية، وكانت مصر هى العون والملاذ، وفى هذا المناخ كان حلم الوحدة العربية يسكن الجميع، فجاءت قصة الوحدة بين مصر وسوريا التى تم الإعلان عنها رسميا فى مثل هذا اليوم (٢٢ فبراير ١٩٥٨)، فأحدثت زلزالا إقليميا ودوليا، وتحالفت قوى الشر من أجل إجهاضها.

الطريق إلى «الوحدة»، مر بمحطات بدأت من أواخر عام ١٩٥٦ حيث طرح الرئيس شكرى القوتلى مشروعا لاتحاد فيدرالى تحت اسم «الدول العربية المتحدة»، ويضم مصر وسوريا كنواة، وفى فبراير ١٩٥٨ طرح صبرى العسلى، رئيس وزراء سوريا، على جمال عبد الناصر إقامة الوحدة، وفى شهر يوليو ١٩٥٧ طلب مجلس الوزراء السورى إقامة اتحاد فيدرالى مع مصر، وفى

زيارة لوفد برلمانى برئاسة أنور السادات إلى سوريا فى نوفمبر ١٩٥٧، أعلن البرلمان السورى إرادته فى الوحدة بين البلدين.

أخذ المطلب السورى تطورا لافتا وتصعيدا جديدا، وحسب محمد حسنين هيكل فى «سنوات الغليان»، أنه فى الساعة الثانية من ليل ١١ يناير، فوجئت «القاهرة» بوصول طائرة قادمة من سوريا وعليها ١٤ ضابطا من أعضاء المجلس العسكرى السورى يمثلون الكتل السياسية السورية، والمعروف أن الجيش السورى وقتئذ كان بؤرة للتصارع السياسى والحزبى، أى لم يكن الجيش بعيدا عن السياسة، بل كان فى قلبها.

حمل الضباط مذكرة بطلب الوحدة الفورية الشاملة، والتحق بهم صلاح البيطار وزير الخارجية ممثلا عن الحكومة السورية، وفى يوم ١٦ يناير أقام عبد اللطيف بغدادى، رئيس مجلس الأمة، احتفالا بذكرى إصدار دستور ١٦ يناير، وتمت دعوة الضباط السوريين إليه، وحين دخل عبد الناصر لحضور الاحتفال تحول المبنى لمظاهرة تطالبه بالوحدة، وقال «البيطار»: «جئت ممثلا للحكومة السورية أحمل طلبا رسميا منها بإقامة الوحدة»، وأجهش الحاضرون فى احتفال مجلس الأمة بالبكاء وعلت هتافاتهم.

انتقل الوفد السورى إلى منزل عبد الناصر فى منشية البكرى للاجتماع، وأبلغهم جمال عبد الناصر بموافقته المبدئية، لكنه اشترط إجراء استفتاء شعبى على الوحدة، ووقف النشاط الحزبى فى سوريا، وتوقف تدخل الجيش فى السياسة.

فى ٣٠ يناير اجتمع مجلس الوزراء السورى بالقصر الجمهورى برئاسة الرئيس شكرى القوتلى الذى راح يردد آية: «قضُى الأمر الذى فيه تستفيان»، ووافق الجميع على مطالب عبد الناصر، وأُجرى الاستفتاء يوم ٢١ فبراير، وكانت النتيجة كاسحة فى الموافقة على الوحدة، وانتخاب جمال عبد الناصر رئيسًا للجمهورية العربية المتحدة.

٢٣ فبراير عام ١٩٦٣

إسرائيل تفشل فى اغتيال عالم الصواريخ الألمانى «هانز» بسبب عمله فى مصر

فى حرب مصر مع إسرائيل، هناك حروب «علنية (وأخرى) سرية.. قتال الجيوش هو شكلها المكشوف، وعمليات المخابرات هى سرها المدفون وفيه تقوم إسرائيل بعملياتها القذرة، ومنها على سبيل المثال قيام جهاز «الموساد» بمطاردات العلماء الألمان الذين اجتذبتهم مصر فى خمسينيات القرن العشرين لتشييد صناعة الصواريخ.

تحتاج هذه القصة إلى فصول طويلة فى روايتها، تبدأ من هزيمة ألمانيا فى الحرب العالمية الثانية، وتقسيمها إلى «شرقية» و«غربية» ثم توقف تصنيعها للصواريخ الذى تفوقت فيه أثناء الحرب، مما أدى إلى تعطل قاعدة واسعة من العلماء والخبراء، فأصبحت ملعبا لأجهزة المخابرات، ومجالاً لصراع دولى تمثل فى جذب هؤلاء العلماء للعمل خارج ألمانيا.

فى طريق طموح مصر إلى القوة والعلم، قررت الاستعانة بعدد من هؤلاء العلماء والخبراء، ووصل سرا مجموعة منهم فى عام ١٩٥٧، وكان من بينهم العالم «وولفجانج بيلز» وهو الساعد اليمنى لـ«براون» أب الصواريخ الألمانية الذى اجتذبته أمريكا، ومع استقدام هؤلاء لمصر نشطت حركة مجالات البحث العلمى المصرى، فتوسعت الدراسات العلمية وتم إيفاد بعثات

متخصصة للخارج، وإنشاء مراكز وهيئات البحث العلمى ومنها المركز القومى للبحث العلمى.

أدى هذا التعاون إلى إطلاق مصر لصاروخَى «الظافر» و«القاهر»، فقررت إسرائيل خوض حربها القذرة ضد مصر، لإخراج العلماء الألمان منها بأى طريقة، وكان إرسال الطرود المفخخة إليهم وسيلة، واغتيالهم وسيلة أخرى، وكان منها ما حدث فى مثل هذا اليوم (٢٣ فبراير ١٩٦٣) ضد واحد منهم هو العالم الألمانى دكتور «هانز كلاينفختر»، ويتحدث عنه الكاتب الصحفى محمود مراد فى كتابه: «الحرب الخفية- قصة العلماء الألمان فى مصر».

كان «هانز» فى مدينة «لوراخ» الألمانية، وبينما كان يسير بسيارته فى شوارع المدينة، فوجئ بمن ينزل من سيارة قطعت الطريق أمامه، ليطلق الرصاص عليه وفر مسرعا، فى الوقت الذى نزل فيه «هانز» من باب السيارة الأيسر مسرعا إلى بيته القريب من مكان الحادث، وبفحص البوليس للسيارة، فوجئ بجواز سفر مصرى فيها باسم مقدم طيار «سمير أحمد على»، وذلك فى مخطط يستهدف اتهام الأجهزة الأمنية بتدبيرها لهذه الجريمة.

أفشل هذا المخطط مواطن ألمانى آخر، حيث تقدم إلى الشرطة الألمانية بجواز سفر يؤكد أنه كان فى مصر، وكان مع صديقه الضابط «سمير أحمد على» وقت الحادث فى كازينو «الأوبرج» بشارع الهرم، وقدم صورا فوتوغرافية للقاء، وعليها توقيع بالإهداء من الضابط «سمير»، وبذلك فشلت خطة «الموساد» الإسرائيلى فى إنجاح مزاعمه بأن مصر هى التى تقف وراء محاولة قتل «هانز».

فى اليوم التالى لمحاولة الاغتيال تلقى «هانز» ورقة صغيرة مكتوبا عليها باللغة الفرنسية: «من يأكل اليهود جزاؤه الموت»، وفى اليوم الرابع تلقى رسالة أخرى: «إذا كنت قد أفلَتَّ من الموت فلابد أنك ستموت، من الصعب الوقوف ضدنا، إنك الآن تنتظر مصيرك.. نحن من القوة بحيث لا يصعب علينا أى هدف.. لن تنجو منا».

بعد تلقِّى «هانز» هذه الرسالة ركب أول طائرة متجهة إلى القاهرة.

٢٤ فبراير عام ١٩٥٨
السوريون يحملون سيارة عبد الناصر ويخطب ٢٠ مرة

تلقت دمشق رسالة من القاهرة تفيد بزيارة عبد الحكيم عامر إلى سوريا للإعداد لزيارة جمال عبد الناصر إليها، كان ذلك بعد إعلان الوحدة رسميا بيومين، وبمقتضى الاستفتاء الذى أُجرى لذلك، أصبح «عبد الناصر» رئيسا لـ«الجمهورية العربية المتحدة»، وأصبحت مصر الإقليم الجنوبى لدولة الوحدة، وسوريا إقليمها الشمالى.

توجه رئيس الأركان السورى عفيف البزرى على رأس وفد كبير إلى مطار «المزة» فى دمشق لاستقبال «عامر»، فى مثل هذا اليوم (٢٤ فبراير ١٩٥٨) وكانت المفاجأة الكبرى فى أن «عبد الناصر» هو الذى ينزل من الطائرة، كانت مفاجأة لأنه لم يتم إخبار أحد فى سوريا بالزيارة خوفا من محاولة اغتيال «عبد الناصر»، بعد الغضب الذى أصاب أطرافا إقليمية ودولية من خطوة الوحدة.

فى دقائق قليلة قطع موكب «عبد الناصر» المسافة إلى منزل نائبه «السورى» شكرى القوتلى فى شارع «أبورماية»، كان «القوتلى» نائما فتم إيقاظه، وإخباره بأن عبد الناصر والوفد المرافق له فى صالون المنزل، وجاء «أكرم الحورانى» رئيس المجلس النيابى وكبار المسئولين السوريين، بعد إبلاغهم بأن «عبد الناصر» فى منزل «القوتلى».

وحسب متابعات الصحف المصرية الصادرة فى الأيام التالية للزيارة، وكتاب «سنوات الغليان» للكاتب الصحفى محمد حسنين هيكل، فإنه بعد دقائق قليلة من وصول «عبد الناصر» إلى منزل «القوتلى»، عم الخبر مدينة دمشق كلها، فخرجت المدينة عن بكرة أبيها زاحفة إلى شارع «أبورمانة»، وأحاطت الجماهير بمنزل «القوتلى» وهى تهتف لـ«عبد الناصر»، وتطلب منه الخروج إلى الشرفة لإلقاء التحية عليها.

كانت مئات الأمتار فقط تفصل بين منزل «القوتلى» وقصر الضيافة الذى سيحلُّ فيه عبد الناصر، لكن موكب الرئيس استغرق عدة ساعات بسبب مئات الآلاف المحتشدة، وبلغ الترحيب مبلغه برفع الجماهير للسيارة الـ«كاديلاك» التى تقل عبد الناصر من فوق الأرض، فى مشهد لم يحدث لأى رئيس فى أية دولة.

دخل «عبد الناصر» قصر الضيافة، لكن الجماهير لم تنصرف، وبين فترة وأخرى كان يطل من الشرفة لتحية الجماهير والتحدث إليها، وبلغ عدد المرات التى خطب فيها ٢٠ مرة.

تدفق الملايين من المدن السورية إلى دمشق فى اليوم التالى للزيارة، وزحف مئات الآلاف من لبنان فى مواكب لا تنقطع بالسيارات، وصممت وفود لبنانية على عدم الانصراف قبل مقابلتها «عبد الناصر» والتحدث معه ومبايعته، وكان التسابق على من يأتى أسرع من الآخر، حتى يفوز بمكان قريب من القصر يستطيع من خلاله رؤية عبد الناصر بطريقة أوضح.

بات الناس فى العراء أمام قصر الضيافة والشوارع المحيطة به، ينتظرون طَلَّة زعيمهم وكلماته التى يُلْهب بها حماسهم، حتى كان خروجه من الشرفة للتحية والتحدث بمثابة إذن انصراف لجماهير محتشدة، لإحلال جماهير أخرى محلها، وفى المساء صعد «عبد الناصر» إلى الدور العلوى للنوم، غير أن مفاجأة كبيرة كانت فى انتظاره أعلن عنها فى اليوم التالى.

٢٥ فبراير عام ١٩٥٨

عبد الناصر يكشف خطة الانقلاب على الوحدة و«القوتلى»: «لاحول ولاقوة إلا بالله»

أشعل جمال عبد الناصر المنطقة كلها بخطابه الذى ألقاه فى مثل هذا اليوم (٢٥ فبراير ١٩٥٨) فى العاصمة السورية دمشق، كان الخطاب بعد ثلاثة أيام فقط من إعلان الوحدة بين مصر وسوريا، وفى اليوم التالى لزيارته المفاجئة إلى سوريا، والقصة دارت على النحو التالى.

مساء يوم (٢٤ فبراير) صعد عبد الناصر إلى غرفة نومه فى قصر الضيافة، وجاءه رجل سوريا القوى «عبد الحميد السرَّاج»، الذى أصبح نائبا لعبد الناصر فى دولة الوحدة، ليبلغه بتلقِّيه عرضا من العاهل السعودى الملك «سعود» بمائة مليون جنيه إسترلينى مقابل قيادته لانقلاب يحول دون قيام الوحدة، وكان «أسعد إبراهيم» صهر «الملك» هو الوسيط، على أن يقع الانقلاب قبل إعلان نتيجة الاستفتاء (٢١ فبراير)، ويتم دفع ٢٠ مليون جنيه مقدما، والباقى بعد نجاح الانقلاب، وقدم «السراج» وثائقه ومستنداته إلى «عبد الناصر».

القصة بكاملها تأتى فى كتاب «سنوات الغليان»، الصادر عن مؤسسة الأهرام، القاهرة لـ«هيكل»، بالإضافة إلى الصحف المصرية والعالمية الصادرة وقتئذ، وفى سرد «هيكل» لها، أن الوسيط قال لـ«السراج»: «السفير الأمريكى

سيقدم لنا اعترافه بنظامنا فور إعلان الانقلاب، وكذلك اعتراف الدول الصديقة لأمريكا».

واصل «السراج» مفاجآته لـ«عبد الناصر»: سلمنى أسعد إبراهيم شيكا بمليون جنيه إسترليني مسحوبا من البنك العربى المحدود فى الرياض على بنك «ميدلاند» فى لندن، وكان مدفوعا لحامله «شيك رقم ٥٢-٨٥٩٠٢»، ثم عاد بعد ذلك بشيك بمبلغ ٧٠٠ ألف جنيه إسترلينى مسحوب من البنك العربى المحدود فى الرياض على بنك «ميدلاند» فى لندن «شيك رقم ٥٨-٨٥٩٠٣»، وشيك آخر بمبلغ ٢٠٠ ألف إسترلينى مسحوب بنفس الطريقة برقم «٥٢-٨٥٩٠٤»، لتصل قيمة هذه الشيكات مليونا و٩٠٠ ألف جنيه إسترلينى كمبلغ مبدئى.

سلم «السراج» لـ«عبد الناصر» صور الشيكات وأذون الدفع المتعلقة بها، وإيصالات بإتمام عملية الإيداع باسمه فى حساب تم فتحه فى البنك العربى المحدود فى سوريا تحت رمز «ع. س»، أى عبد الحميد السراج»، ومجموعة من إشارات تحركات الطائرة الملكية السعودية الخاصة التى وضعت تحت تصرف «أسعد إبراهيم»، وكانت تتنقل من دمشق إلى الرياض وبالعكس عدة مرات كل يوم.

يوم (٢٥ فبراير) صباحا، حضر «شكرى القوتلى» إلى عبد الناصر وعرف بالقصة فضرب كفا على كف قائلاً: «لا حول ولا قوة إلا بالله»، وفى ظهر اليوم نفسه قدم «السراج» إلى «عبد الناصر» نص برقية مرسلة من السفارة السعودية فى دمشق إلى الديوان الملكى فى الرياض، نصها: «تأكد أن البناية مفشوشة»، وكانت تعنى أن العملية فشلت لأن «البناية» كانت هى اسمها الرمزى، وكان «القوتلى» هو الذى أبلغ السفارة مسألة اكتشاف القصة كلها، وبعد ساعة خرج عبد الناصر من شرفة الضيافة ليتحدث عن القضية كلها أمام الحشود الموجودة أمام القصر حتى سفوح جبل «قاسيون».

٢٦ فبراير عام ١٨١٥

نابليون يهرب من منفاه ويصيح فى جيش لويس: «هأنذا فاقتلونى»

فى حياة نابليون بونابرت ثراء الحكايات صراعات السياسة فى فرنسا بعد قيام ثورتها الكبيرة عام ١٧٨٩، وحروبه الكبيرة وتأثيره الطاغى على جنود جيشه، حكايات عن لوعته فى الحب والعشق، ودماء الفرنسيين التى كانت تسيل كل يوم فى صراع أجنحة الثورة الفرنسية، وصراع الثورة مع أنصار الملكية.

حكايات عن محاولات انتحاره، وقسوة نهاياته، وصرامة بداياته، فبعد مولده فى ١٥ أغسطس ١٧٦٩، خضع لتربية صارمة من والدته لضبط جموحه، ولما أصبح منفيًا فى جزيرة «سانت هيلانة» عاش سنواته الأخيرة ينتظر نهايته:

قبل نفيه الأخير سبقه نفى «قصير» فى جزيرة «ألبا»، بعد إرغام بريطانيا والدول الحليفة لها له على التنحّى يوم ١١ أبريل ١٨١٤، لهزيمته ودخول جيوش الحلفاء إلى باريس. رفض الحلفاء أن يتنازل عن العرش لصالح ابنه «نابليون الثانى»، فانصاع وتنازل عن العرش دون قيد أو شرط، قالوا له: «أنت العائق الوحيد فى وجه إحلال السلام فى أوروبا، أنت لست مستعدا للتضحية، لستَ مستعدا أن تبذل الصالح فرنسا»، لم يقاوم الاتهامات، فهو المهزوم الذى لا طريق أمامه غير تجرع المر.

قرر الحلفاء نفيه إلى جزيرة «ألبا» فى البحر المتوسط، وأعطوه السيادة الكاملة عليها، قالوا له: «فلتبقَ إمبراطورًا كما كنت ولكن على هذه الجزيرة

الصغيرة فقط»، كان ذلك قاسيا عليه، فبعد أن كان إمبراطور فرنسا وإيطاليا ومحرك الأحداث فى أوروبا كلها، سيصبح إمبراطورا على جزيرة يسكنها ١٢ ألفا فقط، كاد عقله يطير، أصيب بإحباط كبير، ابتلع قرصا ساما احتفظ به منذ أن كاد الروس يقبضون عليه أثناء انسحابه فى معركته السابقة ضدهم، لكن السم لم يؤثر لتحلُّل مفعوله بعد احتفاظه به لفترة طويلة.

هربت زوجته «مارى لويز» ابنة إمبراطور النمسا مع طفله إلى «ڤيينا»، فذهب إلى المنفى وحيدا. كانت «مارى» زوجته الثانية بعد تطليقه «چوزفين» التى هجرته إلى عشيق آخر، فخطابات عشقه وغرامه من أماكن القتال إليها لم تؤثر فيها، كما لم تؤثر نجاحاته العسكرية التى جعلته إمبراطورا، وأدى تطليقه «چوزفين» إلى أزمة مع الكنيسة أثناء زواجه من «مارى» عام ١٨١٠، حيث رفض ١٣ كاردينالا حضور حفل زفافه فأمر بسجنهم جميعا.

فى «ألبا» مارس «نابليون» حكمه الإمبراطورى، أظهر الجانب الآخر من حكمه، أنشأ جيشا وأسطولا صغيرا خلال أشهر قليلة، طور مناجم الحديد، وطرق الزراعة فى الجزيرة وفق الأساليب الحديثة، فعل كل ذلك لكن كابده الشوق لزوجته وطفله الموجودين فى النمسا، فهرب من منفاه «ألبا» فى مثل هذا اليوم (٢٦ فبراير ١٨١٥)، ووصل إلى باريس بعدها بيومين، فأطلق الملك «لويس الثامن عشر» جيشا للقبض عليه، فاقترب «نابليون» منه بمفرده، ونزل عن حصانه صائحا: «هأنذا، فلتقتلوا إمبراطوركم إذا شئتم»؛ فصاح الجنود: «يحيا الإمبراطور»، ثم ساروا وراءه نحو باريس ليدخلها.

٢٧ فبراير عام ٢٠١٢
وفاة ثروت عكاشة الذى عمل بمبدأ: «مصر كالحقل البِكْر»

فى سيرة الدكتور ثروت عكاشة ظلال من علاقة المثقف بالسلطة التى لم ينتهِ الجدل بشأنها فى دول العالم الثالث ومنها مصر، وفى حمى هذا الجدل تقفز أسئلة من نوع، متى يكون المثقف صوتا للسلطة؟ ومتى يكون صوتا للمعارضة؟ وما طبيعة السلطة التى يتحدث باسمها؟ وما طبيعة المعارضة التى يندمج بين صفوفها ؟ وبين الاثنين، هل من الصحيح أن ينأى المثقف بنفسه بعيدا عن معترك السياسة (سلطة ومعارضة) ويتفرغ للفكر وتجلياته؟ هى قصة طويلة، ولكل سؤال مما سبق إجابة بحيثيات لها.

«ثروت عكاشة» الذى رحل فى مثل هذا اليوم (٢٧ فبراير ٢٠١٢)، تجتمع عنده كل الأسئلة السابقة، فهو فى الأصل «عسكرى» خريج الكلية الحربية فى أبريل ١٩٣٩، وكان ترتيبه الخامس بين دفعة عددها ١٢٠ دارسا، وهو من جيل «عسكرى» لم يكن يفصل فى اكتساب معارفه ومواقفه الوطنية بين الحياتين: العسكرية والسياسية، ومن هذا التمازج ولد تنظيم «الضباط الأحرار» الذى أسَّسه جمال عبد الناصر وقاد ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢، وكان «عكاشة» من قيادات التنظيم والثورة.

«عكاشة» الضابط، كان مثقفا موسوعيا بامتياز، وفى سيرة حياته التى كتبها بعنوان «مذكراتى فى السياسة والثقافة»، عمل ملحقا عسكريا فى باريس عام ١٩٥٤، وخلال شغله هذا المنصب حصل بطريقة سرية على خطة العدوان

الثلاثى (بريطانيا وفرنسا وإسرائيل) ضد مصر وسلمها إلى جمال عبد الناصر، وفى ٣٠ مارس ١٩٦٠ حصل على الدكتوراه فى الأدب من جامعة باريس، وكان موضوع رسالته عن الأديب المؤرخ «ابن قتيبة الدينورى» و«صدى مدرسة التصوير الانطباعية بفرنسا»، وفى رحلة حياته قدم للإبداع مؤلَّفات موسوعية مهمة فى الأدب والفن.

فى ٢٠ أكتوبر ١٩٥٧ بدأ العمل سفيرا لمصر فى روما، وفى ٨ أكتوبر ١٩٥٨ استمع فى الراديو خبر تعيينه وزيرا للثقافة والإرشاد القومى، ولما عاد إلى القاهرة وقابل جمال عبد الناصر ليبلغه اعتذاره عن الوزارة، دار بينهما حوار رفيع يكتبه عكاشة فى مذكراته الصادرة عن «دار الهلال، القاهرة»، قال له عبد الناصر: «أنت تعرف أن مصر الآن كالحقل البكر، وعلينا أن نعزق تربتها ونقلبها ونسويها ونغرس فيها بذورا جديدة لتنبت لنا أجيالا تؤمن بحقها فى الحياة والحرية والمساواة، مهمتك هى تمهيد المناخ اللازم لإعادة صياغة الوجدان المصرى، وأعترف أن هذا أشق المهام وأصعبها، وأن بناء المصانع أمر يهون إلى جانب الإسهام فى بناء الإنسان نفسه».

بدأ «عكاشة» مشروعه فى وزارة الثقافة الذى يُعد الأكبر فى تاريخها منذ نشأتها لأول مرة فى ٢٢ فبراير ١٩٥٨، وتولاها فتحى رضوان لعدة شهور.

استمر «عكاشة»، فى منصبه حتى ١٩٦٢، ثم خرج منها ليتولى رئاسة مجلس إدارة البنك الأهلى، وعاد مرة ثانية وزيرا للثقافة من عام ١٩٦٦ حتى عام ١٩٧٠، ومع كَمِّ الإنجازات الهائلة التى قدمها، فإن نجاحه، حسبما جاء فى مذكراته، يعيده إلى توافر عامل سياسى يحدده قائلا: «لحسن الحظ كان جمال عبد الناصر معنيا بمسائل الثقافة، حريصا على دعم المشروعات الثقافية، مؤمنا بأن ازدهار الثقافة يؤدى فى مجال الفكر ما يؤديه التصنيع الثقيل فى قطاع الصناعة»، فهل يغطى هذا الرأى من عكاشة جانبا من علاقة المثقف بالسلطة؟

٢٨ فبراير عام ١٩٥٥
استشهاد ٣٩ مصريًا فى غزة يدفع عبد الناصر لطلب السلاح من روسيا

فى الساعة الثامنة والنصف من مساء مثل هذا اليوم (٢٨ فبراير عام ١٩٥٥)، أطلقت إسرائيل غارة «السهم الأسود» على غزة، وكانت حجتها أنها ترد على هجمات الفدائيين المصريين، وكانت غزة وقتئذ تحت حكم مصر.

فى اليوم التالى مباشرة سافر جمال عبد الناصر إلى غزة ليرى بنفسه آثار العدوان الإسرائيلى، وبات ليلته فى العريش، بعد أن قضى النهار فى غزة، وأثناء ذلك قامت إسرائيل بغارة ثانية على مركز مصرى بـ«القطاع».

انتهت الغارتان باستشهاد ٣٩ جنديا مصريا، ومقتل ٨ جنود إسرائيليين، كان «شارون» رئيس وزراء إسرائيل الراحل هو الضابط الذى قاد فرقة المظلات فى هذه الغارة، وكتب عنها فى مذكراته، ترجمة وتحقيق أنطوان عبيد: «بعد انتهاء العملية عدنا من حيث أتينا، نحمل ٨ قتلى و١٤ جريحا، وكان موشى ديان فى انتظارنا وسأل بلهجة جافة: كيف جرت الأمور؟ أجبته: «أنجزنا مهمتنا ولكن بخسائر فادحة، فرد بلا مبالاة: «الأحياء أحياء والأموات أموات».

كانت هذه الكلمات تبدو فى ظاهرها أشبه بحالة الترقب لما سوف تخلفه الغارة من آثار تمتد إلى مستقبل العلاقة بين إسرائيل التى لم يكن مر على

تأسيسها أكثر من سبع سنوات، ومصر التى مر على ثورتها ثلاث سنوات، وأصبح على رأس سلطتها «ضباط»، ثاروا على صيغة الحكم القديمة.

تأمل وإعادة قراءة ما حدث فى لقاء «عبد الناصر» بالسفير الأمريكى فى القاهرة «هنرى بايرود» يوم ١٠ مارس «بعد الغارة بعشرة أيام»، يقود إلى الاعتقاد بأن هذه الغارة تحديدا، كانت الباب الذى خرجت منه التحولات الكبيرة فى منطقة الشرق الأوسط، وصاغت شكل الصراع العربى الإسرائيلى، قال عبد الناصر للسفير الأمريكى، والنص موجود كاملا فى كتاب «ملفات السويس» لمحمد حسنين هيكل: «صوتى بُحَّ حتى الآن فى طلب أسلحة للجيش المصرى، والولايات المتحدة حتى الآن عطلت كل الصفقات فى حين أنها عقدت صفقات مع إسرائيل والعراق».

أضاف عبد الناصر فى شبه تحذير نهائى: «حتى الآن كنا نطلب السلاح لمجرد تسليح الجيش المصرى، وأما الآن فإن السلاح بالنسبة إلينا أصبح قضية حياة، وإنكم تعرفون أننى بعد الثورة قمت بتخفيض ميزانية القوات المسلحة بمقدار ٥ ملايين جنيه عما كانت عليه قبل الثورة، وأما الآن وبعد الغارات المتكررة على قواتنا فإن الأمر أصبح لا يُحتمل، لقد كنت كما شرحت لوزير الخارجية «دالاس» أعتبر أن الخطر الإسرائيلى يكمن فى تخلفنا عن التنمية، وأنا الآن لا أستطيع أن أقنع نفسى بشىء من ذلك، فنحن لا نريد أن نبنى المصانع والمستشفيات والمدارس لكى نسلمها لإسرائيل، ويتحول الشعب المصرى بدوره إلى شعب من اللاجئين».

وزاد عبد الناصر فى حسمه: «أنا مصمم على أن يكون فى يد الجيش المصرى ما يحتاجه من السلاح للنهوض بمسئولياته، وإذا لم تكن الولايات المتحدة على استعداد لبيع السلاح لنا فلتقُل ذلك مرة واحدة وإلى الأبد حتى نعرف كيف نتصرف».

بعد ذلك أقدم عبد الناصر على قراره الشهير بـ«كسر احتكار السلاح» والذهاب شرقا إلى روسيا لاستيراد السلاح.

١ مارس عام ١٨١١
محمد علىّ يذبح المماليك فى القلعة ويشرب جَرْعة طويلة من الماء

هل كانت مذبحة المماليك فى القلعة عملا عظيما لـ«محمد على باشا»؟

هى حدث دموى بكل المقاييس، لكن هناك من يراه تحقيقا لعزة مصر وكرامتها التى حلمت بها منذ زمن بعيد امتد لسبعة قرون، ويذهب إلى ذلك كتاب: «محمد على - رؤية لحادثة القلعة»، الصادر عن الهيئة العامة للكتاب، القاهرة لمؤلفه «حسين كفافى».

هى دراما النهايات لـ«المماليك» الذين دخلوا مصر بشرائهم من دول آسيا الوسطى، وعاشوا فيها وحكموها قرونا، وتختلف الآراء حول أسباب المذبحة، ويذكر الدكتور خالد فهمى فى كتابه «كل رجال الباشا»، الصادر عن دار الشروق، القاهرة، أن رغبة محمد على فى تكوين جيش مصرى قوى وحديث كانت سببا، فهو كان يعلم أن أى محاولة منه لإدخال التكتيكات والتدريبات الحديثة سوف يقاومها المماليك باستماتة، لأنهم سيعدُّون هذه التقنيات العسكرية الجديدة محاولة لإلغاء النظام القديم الذى كانوا يحتكرون مزاياه لقرون مضت، واستبدال نظام جديد به يعرض أوضاعهم المتميزة لتَحدٍّ خطير.

عن تفاصيل المذبحة تقرأ فى كتاب «عصر محمد على»، الصادر عن دار المعارف، القاهرة للمؤرخ عبد الرحمن الرافعى، أن محمد على دعا أعيان المماليك إلى احتفال كبير بمناسبة تنصيب ابنه «طوسون» قائدا لحملة تتوجه

إلى الحجاز لمحاربة الوهابيين، ولبى المماليك الدعوة وتوجهوا فى أبهى زينة وأفخم هيئة، وبلغ عدد المدعوين نحو ١٠ آلاف شخص منهم ٤٧٠ من المماليك وأتباعهم، وكبار القوم، ومختلف الطوائف، وتناولوا الغداء، وأطلقوا الغناء، حتى نادى المنادى برحيل الموكب، فعزفت الموسيقى وانتظم قرع الطبول وبدأ الموكب فى السير منحدرا من القلعة، ومنحدرا إلى «باب العزب».

لم يكد الجنود يصلون إلى هذا الباب حتى ارتجَّ الباب الكبير بإغلاقه من الخارج فى وجه المماليك، وتحول الجنود بسرعة عن الطريق ليتسلقوا الصخور على الجانبين وأمطروا المماليك بالرصاص، الذين حاولوا الفرار لكن بنادق جنود محمد على كانت تحصدهم من كل مكان بلا رحمة، حتى بلغ ارتفاع الجثث فى بعض الأمكنة إلى أمتار، وتمكن بعضهم من الوصول إلى «طوسون باشا» راكبا جواده منتظرا أن تنتهى تلك المأساة، فتراموا على أقدامه طالبين الأمان، ولكنه وقف جامدا لا يُبْدى حركة، وعاجَلهم الجنود بالقتل.

يقول «الرافعى»، إنه لم يعلم بالمؤامرة إلا أربعة من خاصة رجال محمد على، وهم حسن باشا قائد الجنود الأرناؤود، والكتخدا بك محمد لاظوغلى، وإبراهيم أغا حارس الباب، وصالح قوش أحد ضباط الجند، وهو الذى أمر بإقفال باب العزب، وأعطى إشارة القتل، وبينما كان يتأهب لتنفيذ المؤامرة، كان محمد على باشا جالسا فى قاعة الاستقبال ومعه أمناؤه الثلاثة، وظل فى مكانه هادئا إلى أن بدأ الموكب يتحرك، واقتربت اللحظة الرهيبة فساوره القلق والاضطراب، وساد القاعة صمت عميق إلى أن سمع إطلاق أول رصاصة، وكانت إيذانا ببدء المذبحة، فوقف وامتقع لونه، وعلا وجهه الاصفرار وتنازعته الانفعالات المختلفة، وأخذ يسمع دوى الرصاص، وصيحات الذعر والاستغاثة، وهو صامت لا ينبس بكلمة.

تضاءل صوت الرصاص فاطمأن «الباشا»، وعندئذ دخل عليه المسيو «ماندريشى» طبيبه الإيطالى وقال له: «لقد قضُى الأمر واليوم يوم سعيد لسموكم»، فلم يُجِب عليه بشىء، وطلب قدحا من الماء فشربه جرعة طويلة.

لم ينجُ من المذبحة إلا اثنان، الأول هو «أمين بك»، وتختلف الآراء حول طريقة هروبه، فبينما يقول البعض إنه كان فى مؤخرة الركب، ولما شعر ببداية

إطلاق النار قفز بفرسه من فوق سور القلعة، وتركه يلقَى مصيره وفر هاربا إلى الشام، وهناك من يقول إنه جاء متأخرا إلى الحفل، ولما وجد الباب مغلقا شعر بالمكيدة ففر إلى الشام، أما المملوك الثانى الذى نجا فيُدعى «على بك السلانكلى» فلم يحضر الاحتفال لانشغاله فى إحدى القرى.

على مدى ثلاثة أيام انتشر جنود محمد على يفتكون بكل من يلقونه من المماليك وأتباعهم ويقتحمون بيوتهم فينهبون ما تصل إليه أيديهم، وبلغ عدد القتلى نحو ألف مملوك ونهب خمسمائة بيت، ولم يتوقف هذا إلا بنزول محمد على باشا إلى شوارع القاهرة ليسيطر على جنوده، وهكذا حقق الانفراد بالحكم.

٢ مارس عام ١٧٩٩

«مينو» يتزوج «زُبَيْدة» بعد إشهار إسلامه ويقول: «للمسلمات شهوة عنيفة»

«زوجتى طويلة القامة، مبسوطة الجسم، حسنة الصورة من جميع الوجوه، لها عينان رائعتان، ولون بشرتها هو اللون المصرى المألوف، وشعرها طويل فاحم، وهى لطيفة الطبع، وجدتها تتقبل كثيرا من العادات الفرنسية بنفور أقل مما توقعت، وأنا لم ألحَّ عليها بعد فى الخروج سافرة على الرجال، فهذا سيأتى شيئا فشيئا، ولن أنتفع بما أباحه النبى من الزواج بأربع نساء خلاف السرارى، فإن فى النساء المسلمات شهوة حارة عنيفة، وفى زوجة واحدة أكثر من الكفاية لى».

الكلمات السابقة للجنرال الفرنسى «مينو» القائد الثالث للحملة الفرنسية على مصر (١٧٩٨)، (خَلَف نابليون وكليبر)، وكتبها فى رسالة إلى أحد جنرالات الحملة، ردا على سؤاله حول زواجه من «زبيدة» ابنة «السيد محمد البواب» أحد أعيان «رشيد». ويؤكد عبد الرحمن الرافعى فى كتابه «تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم فى مصر - الجزء الثانى» أن «مينو» لم يقصد «زبيدة» بالذات، وإنما كانت لديه الرغبة فى مصاهرة عائلة تتصل بالسلالة النبوية، مثل عائلة الشيخ الجارم العريقة فى الشرف والعلم، لكن الشيخ تورع من هذه المصاهرة، وأراد أن يسد الطريق، فزوَّج ابنتيه من اثنين من أقاربه.

أقـدم «مينـو» عـلى الـزواج مـن «زبيـدة» فى مثـل هـذا اليـوم (٢ مـارس ١٧٩٩)، بعـد أن أشـهر إسـلامه وأعطـى لنفسـه اسـم «عبـد الله باشـا مينـو»، وتـم عقـد القـران فى وثيقـة شرعيـة تضمنـت اعتناقـه الإسـلام. وفيـها يؤكـد «الرافعـى»، أن «زبيـدة» هـى ابنـة «أحـد أعيـان رشـيد»، يشـير «ج. كرسـتوفر هيرولـد» فى كتابـه «بونابـرت فى مـصر» إلى تضـارب الشـهادات عـن «زبيـدة»: «فمـن قائـل إنهـا شـابة مغربيـة، وإن مفاتنهـا أيقظـت شـهوات «مينـو» المكتهـل حتـى عبثـت بعقلـه، ومـن قائـل إنـه لم يرَهـا قـط قبـل العـرس، ثـم تبـين أنهـا لم تكـن عـلى مـا زُيـن لـه مـن شـباب وجمـال وثـراء، أمـا «مينـو» نفسـه فـأذاع عـلى المـلأ أنهـا سـليلة أسرة مـن الأشراف؛ لأن أباهـا وأمهـا منحـدران مـن سـلالة الرسـول».

حصـل «مينـو» عـلى إعفـاء مـن الختـان، وتهنئـة مـن نابليـون بونابـرت عـلى مـا عـدَّه تضحيـة فى سـبيل القضيـة الوطنيـة، وأن عملـه أضفـى قـدرا مـن المعقوليـة عـلى وعـد بقـرب تحـول الجيـش الفرنسـى إلى الإسـلام.

وعـلى الرغـم مـن أن «مينـو» كان يـمارس شـعائر الديـن الإسـلامى، بدراسـته للقـرآن الكريـم، وتأديـة الصلـوات الخمـس فى تعبُّـد ظاهـر، وتأديـة صـلاة التراويـح فى شـهر رمضـان المعظـم فى مسـاجد رشـيد، فـإن «كرسـتوفر» ينقـل وصـف «الجبرتـى» لذلـك بأنـه «تظاهـر لأسـباب سياسـية».

فى وثيقـة الـزواج التـى يأتـى «الرافعـى» بنصهـا كامـلًا، بعـد أن اكتشـفها العلامة عـلى بهجـت فى دفترخانـة محكمـة رشـيد الشرعيـة، يتبـين أن محـضر عقـد القـران تـم بحضـور كل مـن مولانـا العلامـة السـيد أحمـد الخـضرى، المفتـى الشـافعى، ومولانـا الشـيخ محمـد صديـق النائـب والمفتـى الحنبـلى، ومولانـا السـيد محمـد غـرا النائـب والمفتـى المالكـى، والسـيد أحمـد بـدوى نقيـب الأشراف، وأن «مينـو» أقـر واعـترف بصريـح لفظـه وفصيـح نطقـه بكلمتَـى الشـهادتين، أشـهد أن لا إلـه إلا الله وأشـهد أن محمـدًا رسـول الله، تـاركا لديـن النصرانيـة والأديـان الرديئـة عـلى الترتيـب والـولاء، وشـمل العقـد شروطـا منهـا أنـه دفـع «مائـة محبـوب» كل واحـد منهـا بمائـة وثمانـين نصفـا فضـة نظـير صـداق زوجتـه المذكـورة.

يؤكد «الرافعي» أن «مينو وزبيدة» أنجبا ولدا سمياه بـ«سليمان مراد چاك مينو»، وبعد جلاء الحملة الفرنسية عن مصر عام ١٨٠١، سافرت وابنها على سفينة إلى فرنسا، ثم لحق بها «مينو»، وظلت في عصمته، لكنه تنكر لها وهجرها في «تورينو» بإيطاليا، وأبدل بها بعض الراقصات واتخذهن خليلاته، وتركها تعاني غُصَص العيش وغصاصة الهجر إلى أن تُوفِّيت بها.

٣ مارس عام ١٩٢٤
إلغاء الخلافة الإسلامية ولُعَاب الملك فؤاد يسيل عليها

حمل قائد الشرطة القرار فى يده، وتوجه إلى قصر السلطان عبد الحميد الثانى، وأمر «الخدم» بإيقاظ «الخليفة النائم»، وبعد لحظات سلمه قائد الشرطة قرار خلعه، وطرده من تركيا، و«إلغاء الخلافة الإسلامية».

الجهة التى أصدرت القرار كانت «الثورة التركية» بقيادة مصطفى كمال أتاتورك، والوقت كان فى مثل هذا اليوم (٣ مارس ١٩٢٤)، والحالة كانت بمثابة إطلاق الرصاص على الدولة العثمانية «المريضة».

وعلى الرغم مما يتحدث به البعض حتى الآن عن «نكبة إلغاء الخلافة»، و«نكبة إلغاء الدولة العثمانية»، فإن الوهن والضعف الذى أدى إلى دراما النهاية، لا يخفيه السلطان المخلوع «عبد الحميد» فى مذكراته الصادرة عن مؤسسة الرسالة، بيروت، قائلا: «الارتخاء والكسل عَمَّ كل مكان، لم تُعد الطبقة المثقفة تهتم بأمر، ولم يعد الموظفون والعسكريون يثقون حتى بأنفسهم، ليس هناك من يريد أن يعمل ولا أن يعلم».

كان «العامل الداخلى» سببًا رئيسًا فى انهيار الدولة العثمانية التى تأسست عام ١٢٩٩، وقاد إلى أن إلغاء الخلافة الإسلامية كان بمثابة قرار تم إبلاغ «السلطان» به، وبعدها انتهى أمرها، غير أن «عبد الحميد الثانى» فى مذكراته يعيد الأمر كله إلى فلسطين، فهو يؤكد أنه لم يتخلَّ عن الخلافة لسبب ما، سوى ضيقه من رؤساء جمعية الاتحاد المعروفة باسم «جون تورك» وتهديدهم،

ويقول إن هؤلاء الاتحاديين أصروا على أن أصادق على تأسيس وطن قومى لليهود فى الأرض المقدسة فلسطين.

ويضيف: رغم إصرارهم فلم أقبل بصورة قطعية هذا التكليف، ووعدونى بتقديم ١٥٠ مليون ليرة إنجليزية ذهبا فرفضت، وقلت لهم: لو دفعتم ملء الدنيا ذهبا، فضلا عن ١٥٠ مليون ليرة إنجليزية ذهبا، فلن أقبل بتكليفكم هذا، وبعد جوابى القطعى اتفقوا على خلعى وأبلغونى أنهم سيبعدوننى إلى «أسلانيك».

سقطت الدولة العثمانية، ومعها حكايات «الدم» بين السلاطين، فمنذ السلطان «محمد الفاتح» كان هناك قانون ثابت يذكره «حلمى النمنم» فى كتابه «أيام سليم الأول فى مصر»، وهو السماح للسلطان فور أن يتولى العرش بقتل الأمراء المنافسين له، وذلك بالاتفاق مع هيئة العلماء الذين يعطونه الفتوى الشرعية، وبناءً عليها يقتل السلطان إخوته وأبناءهم بيقين منه أن ذلك يعفيه من الدسائس والمؤامرات ضده.

لا يتحدث السلطان «عبدالحميد الثانى» عن دراما «الخلع» و«الطرد» فى مذكراته السياسية، لكن الكاتب الراحل محمود عوض يكتبها بإبداع فى كتابه «أفكار ضد الرصاص»، مشيرا إلى أن الشرطة حملت الخليفة المخلوع وحريمه فى سيارة، وتوجهوا به إلى محطة السكة الحديد ليقلَّ القطار المتجه إلى سويسرا، وعند الحدود توقف القطار، وأخبروه بأنه ممنوع دخوله؛ لأنه متعدد الزوجات، والقانون السويسرى يمنع دخول متعددى الزوجات، وطالبوه بالعودة إلى بلده، ولما أخبرهم بطرده منها، قالوا له إنهم سيعطونه تصريحا مؤقتا بالدخول حتى الاستعلام عن حالته الاجتماعية، وعدد زوجاته بالضبط.

كان للقصة وجه آخر فى مصر، فالملك فؤاد سال لُعَابه إلى أن يصبح خليفة المسلمين، ولما علم «السلطان المخلوع» علق: «أراه يوشك أن يكون من الكافرين».

٤ مارس عام ١٩٢٨
الحكومة ترفض معاهدة رئيسها «ثروت باشا» مع الاحتلال

ألحَّ مصطفى النحاس باشا على رئيس الوزراء عبد الخالق ثروت باشا، أن يفضى إليه بما أسفرت عنه مباحثاته مع الحكومة البريطانية أثناء زيارته إلى لندن من ٣٠ أكتوبر حتى منتصف نوفمبر ١٩٢٧.

كان النحاس باشا وقتئذ رئيسًا لحزب الوفد من يوم ٢٦ سبتمبر خلفًا للزعيم سعد زغلول الذى تُوفِّى يوم ٢٣ أغسطس ١٩٢٧، وكان ثروت باشا رئيسا لحكومة ائتلافية، ولما بلغه وهو فى أوروبا نبأ وفاة «سعد» عاد يوم ١٠ سبتمبر، وظل بالقاهرة وشارك فى حفل «الأربعين»، وفى ٣٠ أكتوبر بلغ لندن، ليواصل المفاوضات التى سأله عنها «النحاس» باشا، وأبقاها سرا مكتوما لا يريد أن يطَّلع عليه أحد، لا برلمان، ولا حكومة، ولا صحافة، ولا أصدقاء، لكنه أخيرا خضع لإلحاح «النحاس» وتكلم.

كشف «ثروت» لـ«النحاس»، عن أن المفاوضات التى أجراها مع وزير الخارجية البريطانى «السير أوستن تشمبرلن»، انتهت لمشروع معاهدة، وزاد «ثروت»: «أنا قبلت معظم بنودها الجوهرية يا مصطفى باشا»، سأله «النحاس» عن قواعد هذه المعاهدة، فرد «ثروت» بإطلاعه على نصوصها كاملة.

يتحدث عبد الرحمن الرافعى فى كتابه: «فى أعقاب الثورة المصرية- ثورة ١٩١٩» عن هذه القصة، ويأتى فيها ببنود المعاهدة وتبلغ ١٤ بندًا، تعزز

جيعها الاحتلال البريطانى على مصر، ومنها، ألا تتخذ الحكومة المصرية أى موقف فى البلاد الأخرى يفضى إلى إثارة صعوبات لبريطانيا، وألا تعقد مع أى دولة اتفاقا يضر المصالح البريطانية، وتخوّل مصر لبريطانيا الحق فى إبقاء قواتها العسكرية فى أى مكان فيها، ولزمن غير محدود، وحظر الطيران المصرى فوق شُقَّة من الأراضى عرضها ٢٠ كم على جانبَى قناة السويس، ويكون للرعايا البريطانيين الأفضلية لو احتاجت الحكومة لموظفين أجانب.

قراءة المعاهدة لأول وهلة تؤكد أنها لا تعزز بقاء الاحتلال فحسب، وإنما تمنع التنفس لمصر، وبعد مناقشة حزب الوفد لها، قرر رفضها، وقال «النحاس» لـ«ثروت»: «إنه لا لزوم لعرضها على البرلمان، بل يكفى أن ترفضها الحكومة، فالمشاريع التى تعرض على البرلمان هى التى تقبلها الحكومة مبدئيا».

عقد مجلس الوزراء اجتماعه فى مثل هذا اليوم (٤ مارس ١٩٢٨)، ووجد أمامه المعاهدة، فناقشها ليقرر فى النهاية: «مشروع المعاهدة لا يتفق فى أساسه ونصوصه مع استقلال البلاد وسيادتها، ويجعل الاحتلال العسكرى البريطانى شرعيًّا».

كان الرفض صدمة لبريطانيا دفعتها إلى التهديد والوعيد، وكان مثيرا لـ«ثروت باشا» الذى لم يكن مع رأى زملائه الوزراء فى رفضها، فقدم استقالته من رئاسة الوزراء إلى الملك فؤاد فى نفس اليوم، متعللا بظروفه الصحية، لكن رفض المعاهدة كان هو الأساس.

طوت قصة هذه المعاهدة حياة عبد الخالق ثروت باشا السياسية، حيث تُوفِّى بعد رفضها بشهور قليلة (٢٢ سبتمبر) تاركا إرثا سياسيا وطنيا وآراء طيبة فيه، منها ما ذكره الدكتور طه حسين عميد الأدب العربى: «كان عظيم مصر، رجاحة حلم، نفاذ صبر، ذكاء فؤاد، وسَعَة حيلة وتفوقا فى السياسة».

٥ مارس عام ١٩٦٥
«لوتز».. جاسوس الشمبانيا فى قبضة المخابرات

وصل إلى ميناء الإسكندرية يوم ٧ يناير ١٩٦١، حاملا جواز سفر باسم «وولفجانج سيجموند لوتز»، المهنة «مدرب خيول» والجنسية «ألمانيا الغربية»، وفى سيرته المصطنعة، أنه كان ضابطا فى جيش النازى الألمانى، واختفى بعد هزيمته فى الحرب العالمية الثانية، وعمل مدربا للخيول وجمع ثروة طائلة، ويريد أن يجرب حظه فى حياة جديدة.

أما سيرته الأصلية فهى، ولد من أب ألمانى وأم يهودية ممثلة درجة ثانية، لكن الأب هجرها وعمر الابن ١١ عاما، فهاجرت إلى إسرائيل ومعها ابنها، وفيها بعد التحق بالجيش الإسرائيلى وأصبح ضابطا فى حرب ١٩٤٨، وانتقل إلى المخابرات الإسرائيلية «الموساد»، وبين الأصل والتزييف جاء «لوتز» إلى مصر جاسوسا.

كانت مصر تشق طريقها وقتئذ نحو الصناعة العسكرية، وجلبت إليها علماء وخبراء ألمانا فى مجال صناعة الصواريخ والطائرات عام ١٩٥٧ (أشرنا إلى جانب منها يوم ٢٣ فبراير الماضى)، ونتج عنها صناعة صواريخ «الظافر» و«القاهر» و«الرائد» وتم تجريبها، مما أزعج إسرائيل فخططت لتطفيش العلماء الألمان بأى وسيلة، وكان «لوتز» ضمن وسائلها، والقصة بتفاصيلها فى كتاب «الحرب القذرة- قصة العلماء الألمان فى مصر» للكاتب الصحفى محمود مراد، وتأتى أيضا فى كتاب «سنوات الغليان» لمحمد حسنين هيكل.

دربت المخابرات الألمانية «لوتز» بالاتفاق مع «الموساد» على كيفية الحياة باعتباره مواطنًا ألمانيًا، وزودته بخبرة الحياة الألمانية بعد أن تعرضت للتآكل، لهجرته إلى إسرائيل وعمره ١١ عاما، وتزوج منها وحارب فى جيشها، ولما أتقن «ألمانيته» الجديدة جاء إلى القاهرة، ليستقر فى فيلا بشارع الهرم مع زوجته «مارتا» التى اقترن بها لأغراض «جاسوسية» وبموافقة من «الموساد».

تردد «لوتز» على نادى الفروسية بالجزيرة، وتعرف إلى الكثير من الجالية الألمانية وعلى مصريين محبين للخيول ليصبح من نجوم هذه المجتمعات، واشترى ٥ خيول بـ ١٥٠٠ جنيه من السيدة وجدان البربرى، على الشريعى، أحمد حمزة، ومن مزاد علنى.

استأجر مساحة من عزبة يربى فيها خيوله، أما مَهمَّته السرية طبقا لتكليف الموساد فكانت: من هم العلماء الألمان فى مصر، وأين يقيمون؟ ما مفاتيح شخصياتهم، وهل لديهم نقاط ضعف لاستغلالها؟ وما تحركاتهم ومتى؟ وأين يعملون؟

كانت الحفلات الكثيرة التى يقيمها وسيلة للحصول على المعلومات، خاصة تحت تأثير الخمور، وأطلقوا عليه فى إسرائيل لقب «جاسوس الشمبانيا»، وفى عملياته أرسل طرودا مفخخة إلى العلماء الألمان بمقر إقامتهم بالقاهرة من مكاتب بريدية مختلفة، لكنها لم تُصِبْ أيا منهم لشكهم فيها وإبلاغ أجهزة الأمن بها، وأصابت مصريين.

فى مثل هذا اليوم (٥ مارس ١٩٦٥) تم القبض عليه، وأعلن المتحدث الرسمى باسم جهاز المخابرات إبراهيم البغدادى، خبر القبض عليه فى مؤتمر صحفى، وانتهت محاكمته فى ٢١ أغسطس ١٩٦٥ بمعاقبته بالأشغال الشاقة المؤبدة، وأفرجت مصر عنه ضمن تبادل أسرى فى ٤ فبراير ١٩٦٨، وسافر إلى إسرائيل مع زوجته «مارتا» التى اعتنقت اليهودية حسب طقوس حاخامات إسرائيل، وأعيد زواجها دينيا من «لوتز».

٦ مارس عام ١٩٢٠
لجنة «ملنر» تغادر القاهرة بعد ثلاثة شهور وعشرات الشهداء

أعدت المصالح الحكومية تقارير وإحصائيات مفصلة عن الأوضاع فى مصر، وتلقَّى الأعيان أسئلة حول أسباب قيام ثورة ١٩١٩.

انشغلت الحكومة البريطانية بالبحث عن حل لهذا «الزلزال» المفاجئ الذى أحدثه الشعب المصرى من أجل الاستقلال، لم يتوقع الاستعمار الإنجليزى الحدث، وتحت وقع المفاجأة تعامل بنفس أسلوبه منذ بدء احتلاله لمصر عام ١٨٨٢، وذلك بمزيد من مناورات التفاوض التى تنتهى بخطوات شكلية لا تنفذ إلى مطلب الاستقلال.

كانت التقارير والإحصائيات الحكومية، والأسئلة الموجهة إلى الأعيان، هى بمثابة العمود الذى تصورت الحكومة البريطانية، أنه سيهديها مفتاح إنهاء الثورة، والعودة إلى الأوضاع كما كانت، وتأسيسًا على هذا التصور قررت إيفاد لجنة إلى مصر برئاسة اللورد «ألفريد ملنر» وزير المستعمرات، وتُعرف هذه اللجنة تاريخيا باسم «لجنة ملنر».

حضرت اللجنة إلى القاهرة، وقضت نحو ثلاثة شهور متواصلة، تدرس أسباب الثورة، وتبحث عن علاج لها، وغادرتها فى مثل هذا اليوم (٦ مارس ١٩٢٠)، ومن لندن دعا «ملنر» الوفد المصرى الموجود فى باريس للذهاب إلى لندن للتفاوض معه حول ما توصلت إليه لجنته، وأسفرت هذه المفاوضات

عـن تقديـم «ملنـر» مشروعـا للمعاهـدة بـين مـصر وبريطانيـا لا يحقـق الاسـتقلال، وهـو مـا رفضـه الوفـد المكـون مـن محمـد محمـود وعبـد العزيـز فهمـى وعـلى ماهر.

فى مسـألة الرفـض ورد فعـل الاحتـلال البريطانـى، تفاصيـل كثـيرة، غـير أن مشـهد نضـال المصريـين أثنـاء وجـود «اللجنـة» فى مـصر يُعـد مصـدر فخـر للمصريـين فى تصميمهـم عـلى الحريـة والاسـتقلال، وحسـب كتـاب «مواقـف حاسـمة فى تاريـخ اليقظـة القوميـة- المجلـد الثانـى» فإنـه فى (٢٤ أكتوبـر) ١٩١٩ وفـور قـدوم «ملنـر» إلى القاهـرة اندلعـت المظاهـرات احتجاجًـا عليهـا، وفى الإسـكندرية خـرج المصلـون مـن مسـجد «المرسـى أبوالعبـاس» فى مظاهـرات ضخمـة، وانتهـت إلى مقتـل ٥ وجـرح نحـو ٤٠ شـخصًا، وفى ٣١ أكتوبـر تكـرر نفـس الأمـر.

وفى يومَـىْ ١٥ و١٦ نوفمـبر خرجـت مظاهـرات فى الإسـكندرية، وفى القاهـرة توجهـت مظاهـرة ضخمـة إلى ميـدان عابديـن تهتـف بالاسـتقلال وسـقوط لجنـة ملنـر، وحاولـت قـوة مـن الجيـش تفريـق المتظاهريـن، فهاجـم المتظاهـرون قسـم شرطـة عابديـن والموسـكى، فاسـتدعت الحكومـة قـوة مـن الجيـش البريطانـى، ووقعـت معركـة داميـة راح ضحيتهـا ١٣ قتيـلا و٧٩ مصابًـا.

امتـدت المظاهـرات إلى طنطـا والمنصـورة وشـبين الكـوم، وقـدم محمـد سـعيد، رئيـس الـوزراء، اسـتقالته، بسـبب عـدم موافقتـه عـلى حضـور اللجنـة، وفى يـوم ١٢ نوفمـبر شُـكِّلت وزارة برئاسـة يوسـف باشـا وهبـة، مسـيحى الديانـة، وتوجـه آلاف المسـيحيين إلى الكنيسـة المرقسـية الكـبرى للإعـلان عـن سـخطهم عـلى «يوسـف وهبة باشـا»، وعقـدت الجمعيـة العموميـة للمحامـين إضرابـا احتجاجـا عـلى اللجنـة.

فى ١١ ديسـمبر تظاهـر طـلاب الأزهـر، وهاجمتهـم قـوة إنجليزيـة فتفـرق الطـلاب وعـادوا إلى ميـدان الأزهـر، لكـن بعضهـم دخـل المسـجد فدخـل الجنـود الإنجليـز وراءهـم بالأسـلحة، واعتـدوا عـلى المتظاهريـن، وأمـام هـذه التطـورات وقّـع علـماء الأزهـر عـلى رسـائل احتجاجيـة تـم إرسـالها إلى السـلطان فـؤاد، ويوسـف وهبـة، واللـورد اللنبـى، وفى ١٥ ديسـمبر فشـلت محاولـة لاغتيـال رئيـس الـوزراء «يوسـف وهبـة».

٧ مارس عام ١٩٦٤
نفاثة مقاتلة مصرية هندية.. ونهرو وعبد الناصر:
«كسرنا احتكار العلم»

وصلت مصر إلى مرحلة تصنيع الطائرات، هذه حقيقة لا خيال، وواقع لا مبالغة فيه، لكن هناك محاولات لخلعها من تاريخ مصر.

القصة تبدأ من عام ١٩٥٧ بإنشاء ما يُسمى بـ«مكتب المشروعات الحربية الخاصة» بقيادة المقدم عصام خليل، وإنشاء جهاز «مخابرات الأبحاث العلمية والصناعية العسكرية»، ويشمل «الطاقة الذرية»، وكان من أهم أفرع أجهزة المخابرات فى العالم، وتولاه أيضا المقدم «عصام خليل» الذى صار «لواء» فيما بعد، وراح ضحية الخلاف بين جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر، حيث كان محسوبا ضمن رجال المشير «عامر».

كان الهدف هو وضع مصر على طريق الصناعة العسكرية، وبدأ باستقدام علماء وخبراء ألمان بعد توقف هذه الصناعة فى ألمانيا على أثر هزيمتها فى الحرب العالمية الثانية، وتم حشد عدد كبير من العلماء والمهندسين والفنيين المصريين حتى أصبح لمصر قاعدة علمية هائلة فى هذا المجال.

فى ٩ يوليو ١٩٦٠؛ أعلن عبد الناصر عن صناعة أول طائرة نفاثة «القاهرة- ٢٠٠» فى مصر، وقال: «إنها طارت بالفعل فى الجو العربى منذ ١٠ أيام، وأثبتت صلاحيتها الممتازة للتدريب»، وبعد هذه الخطوة جاء ما هو

أكثر تقدما، حيث تم تطوير محرك الطائرة ليصبح محركا نفاثا مقاتلا وليس مجرد طائرة تدريب، وأُعلن عن ذلك في مثل هذا اليوم (٧ مارس ١٩٦٤).

القصة بتفاصيلها في كتابين مهمين «الفضاء الخارجي واستخداماته السلمية»، الصادر عن سلسلة عالم المعرفة، الكويت للدكتور «محمد بهي الدين عرجون»، وهو واحد ممن عملوا في هذا المجال، وكتاب «الحرب القذرة- قصة العلماء الألمان في مصر» للكاتب الصحفي محمود مراد.

كان ذلك ثمرة اتفاق «مصري هندي»، تتولى فيه مصر صناعة المحرك النفاث المقاتل، وتصنع الهند جسم الطائرة الملائم للمحرك، وفي ٢٣ مارس ١٩٦٤، أعلن «شافان» وزير الدفاع الهندي أمام برلمان بلاده عن تخصيص جزء من ميزانيته لإنتاج الطائرات المقاتلة مع مصر، وفي لقاء الزعيم الهندي «نهرو» بوفد مصر برئاسة عصام خليل، قال: «هذا الإنتاج يضيء بدء حقبة جديدة لبلادنا التي أراها مستضعفة، وأتفق مع رأي صديقنا ناصر الذي سمعته منه في لقاءاتنا: «إذا كان إنتاج السلاح مهما، فالمهم أن نكسر احتكار العلم كما كُسر احتكار السلاح».

كانت مصانع «هندوستان» في الهند تنتج جسم الطائرة، بينما تنتج مصانع حلوان المحرك بمصر، والحصيلة كانت صناعة ٨٠ طائرة كاملة من النفاثة «القاهرة ٢٠٠»، وأجزاء لأكثر من ٢٠٠ طائرة، وثلاث طائرات مقاتلة «القاهرة ٣٠٠» للاختبار، وطار النموذج الأول. وفي ٢٤ مارس عام ١٩٧٥، تلقى اللواء عصام خليل خطابا من مصمم الطائرات الألماني الأشهر «ويلي مسر شميت»، يخبره باختيار المتحف الألماني في ميونيخ «رائد المتاحف الأوروبية في عرض أحدث أنواع الطائرات» لعرض محرك النفاث المصري «القاهرة ٣٠٠» باعتباره أحد أحسن المحركات الحديثة المتقدمة في العالم، وذلك في العيد المئوي للمتحف.

٨ مارس عام ١٩١٨
سعد زغلول بـ«الفرنسية» بعد القبض عليه:
«تشجعوا.. تشجعوا»

ألقت قوات الاحتلال البريطانى القبض على سعد زغلول ومحمد محمود وإسماعيل صدقى وحمد الباسل، وفى اليوم التالى تم نقلهم إلى بورسعيد، ثم إلى جزيرة مالطا، وأثناء القبض على سعد وقبل أن يدخل السيارة العسكرية، قال للمجتمعين فى بيته باللغة الفرنسية: «تشجعوا، تشجعوا» وكررها بالفرنسية أكثر من مرة.

كان الحدث فى مثل هذا اليوم (٨ مارس عام ١٩١٩)، ونقل نضال المصريين من حال إلى حال، وكان طرح فكرة «توكيل» يوقِّع عليه أبناء الشعب من إبداع هذا النضال، ونص التوكيل على: «نحن الموقعين على هذا، قد أنبنا عنا حضرات.. فى أن يسعوا بالطرق السلمية المشروعة، حيثما وجدوا للسعى سبيلا فى استقلال مصر استقلالا تاما».

فكرة التوكيل جاءت بعد لقاء جمع بين المندوب السامى البريطانى السير «ريجنالد ونجت»، ورشدى باشا رئيس الوزراء، وسأل «ونجت» عن الصفة التى يتحدث بها ثلاثة أفراد عن المصريين كافة؟ فاستفز هذا السؤال سعد زغلول، فدعا إلى العمل على تأليف هيئة تُسمى «الوفد المصرى» تجمع له توكيلات تخوِّله حق التحدث باسم البلاد، وتألف هذا الوفد فعلا من سعد

زغلول «رئيسا» وعلى شعراوى، وعبد العزيز فهمى، ومحمد محمود، وأحمد لطفى السيد، وعبد اللطيف المكباتى، ومحمد على علوبة.

شهد بيت سعد زغلول مناقشات حول فكرة التوكيل، وكان الحزب الوطنى ممن شاركوا فيها، حيث اقترح صيغته النهائية، وكما يقول محمد صبيح، فى كتابه «مواقف حاسمة فى تاريخ القومية العربية»، احتدمت المناقشات، فقال سعد إنه يُهان فى بيته، فرد عليه «محمد زكى على» عضو الحزب الوطنى: «نحن فى بيت الأمة»، فسُرَّ سعد بهذه التسمية، وأصبحت بعد ذلك مثلا واسما لهذا البيت التاريخى.

التف المصريون حول فكرة التوكيلات، ومن كل محافظات مصر كان يتم جمعها، وكتب سعد إلى المندوب السامى البريطانى يطلب الترخيص للوفد كى يسافر إلى بريطانيا للتفاوض، لكن طلبه قوبل بالرفض، وأبلغوه بأن يتقدم بمقترحات لنظام الحكم فى مصر، على أن يكون فى نطاق الحماية، فكثرت الاجتماعات والخطب، وبدأ الشعور الوطنى فى الفوران، يتقدمه حماس بالغ من سعد زغلول.

وحسبما يذكر عبد الرحمن الرافعى فى كتابه عن ثورة ١٩١٩، اجتمع الوفد وحدد ستة مطالب باسم الأمة؛ وهى: الاستقلال التام، الدستور، احترام امتيازات الأجانب، قيام صندوق الدين العمومى بالمراقبة المالية، حياد قناة السويس، وضع استقلال مصر تحت ضمانة جمعية الأمم.

تصاعد غضب الاحتلال البريطانى تدريجيا، وفى ٦ مارس أنذر المعتمد البريطانى سعد زغلول وزملاءه «كتابيا»، وهددهم بمعاملة شديدة بموجب الأحكام العرفية، فخرج «سعد» إلى بيت الأمة، لتداول الأمر، وتم رفض الإنذار وكتابة برقية إلى «لويد جورج» رئيس الوزراء البريطانى، وبعد يومين تم القبض على أربعة من أعضاء الوفد ونفيهم إلى مالطا، واجتمع باقى «الوفد» برئاسة على شعراوى، وأرسلوا احتجاجات إلى الملك فؤاد، وأخرى إلى ملك بريطانيا، لكن الاحتجاج الأهم هو انطلاق شرارة ثورة ١٩١٩ يوم ١٠ مارس.

٩ مارس عام ١٧٩٦
نابليون يتزوج عشيقته چوزفين ثم يخاطبها: « ما أحببتِ قَطّ يا قاسية»

«إن صورتك تملأ علىَّ حياتى، وذكريات الليلة الماضية تسكرنى، ولا تترك لى ثانية واحدة من الراحة، أيتها الحبيبة الحلوة والوحيدة، أية آثار غريبة تتركينها فى قلبى؟ هل أضايقك؟ هل أغضبك؟ هل تزايلك الراحة؟ قلبى يحطمه الأسى، ويتملكه القلق، وكيف تكون لى راحة وقد تسلطت على عواطفك الجياشة التى ترسل إلىَّ من شفتيك وقلبك أشعتها التى تحركنى، آه، لقد كشف لى الليل عن أن صورتك فى مخيلتى ليست هى أنت، وسوف آراك بعد ثلاث ساعات، فيا حبيبتى الجميلة تقبلى منى ألوف القبل، ولكن لا ترديها إلىَّ لأنها تحرق قلبى بنارها».

هذه الرسالة التى تنبض بالمشاعر والرقة والأحاسيس، لم يكتبها شاعر ولا روائى، ولكن كتبها قائد عسكرى وإمبراطور هو نابليون بونابرت إلى حبيبته «چوزفين»، هى تعطينا مفتاحا للجانب الآخر من حياة هؤلاء، الذين شغلوا العالم، وخلدوا أسماءهم فى صفحات التاريخ بأمجاد سياسية وعسكرية.

كانت «چوزفين» الأرستقراطية هى عشق نابليون، لكنه لم يكن عشقها، وكانت تكبره بسبعة أعوام، لكنه قال عنها: «هى أول امرأة تبعث الثقة فى نفسى غير المجربة، أسكرنى مديحها فى صفاتى العسكرية، فقصرت الحديث عليها من دون الآخرين»، وقصتهما معا فى عشقه وخيانتها، وغرامه وانصرافها،

وولعـه بـكل شـيء فيهـا، وضجرهـا مـن تفاصيلـه، نقرؤهـا فى كتـاب «المـرأة فى حيـاة نابليـون» تأليـف كرسـتوفر هيـبرت، ترجمـة عمـر سـعيد الأيوبـى.

أعدمـت الثـورة الفرنسـية زوجهـا الجنـرال «ألكسـندر ديـه بورهانيـه» عـام ١٧٩٤، ثـم سرقـت قلـب نابليـون مـن أول لقـاء بينهـما، وكان لتقديـم الشـكر إليـه بسـبب إعادتـه لابنهـا سـيف زوجهـا المصـادر، وكان عمـره وقتـذ ٢٧ عامـا (مواليـد ١٧٦٩) حـين تعـرف إليهـا، وحسـب كتـاب «نابليـون بونابـرت» لمؤلفيـه «فيلكـس ماركـوم وإميـل لودڤيـج»: «كان يتعجـل عـلى الـدوام قـدره لبلـوغ مصيره المحتـوم، وطفولتـه لم تكـن بالمرفهـة أو السـعيدة، حتـى إنـه لم يكـن يحـب بعـد أن أصبـح إمبراطـورا أن يتحـدث عنهـا، وكان ذلـك سـببا فى تفسـير البعـض لانجذابـه لجوزفـين، بأنهـا تعـود إلى عواطـف مكبوتـة سـببتها لـه قسـوة والدتـه».

تزوجـا فى مثـل هـذا اليـوم (٩ مـارس ١٧٩٦)، وقـدم لهـا صداقـا مقـداره (١٥٠٠ فرنـك)، واتفقـا عـلى أن يحتفـظ كل منهـما بأموالـه مسـتقلا. كان الـزواج قبـل أن يذهـب عـلى رأس جيشـه الـذى سـيغزو إيطاليـا، ولمـا بـدأ رحلـة الغـزو انتظـر أن تلحقـه، لكنهـا تعللـت بسـوء حالتهـا الصحيـة، وظـن أن سـوء حالتهـا بسـبب حملهـا منـه، لكـن الحقيقـة أن علاقـة عشـق جديـدة بدأتهـا مـع ضابـط برتبـة مـلازم اسـمه «هيبوليـت تشـارلز»، وأمـام الشـائعات التـى وصلتـه عـن مسـلكها الجديـد، كتـب لهـا قائـلا: «إن السـعادة كانـت تداعـب روحـى، وهـى الآن مليئـة بالأسـى، إنـك مـا أحببـتِ قـط يـا قاسـية، يلـوح لى أنـك قـد اتخـذتِ قـرارك، وتيقنـتِ مـن الطريـق الـذى سـتمضين فيـه بعـد تركـى لـك، وأنـا لا أتمنـى لـك إلا السـعادة، حتـى إذا كانـت وسـيلتك للحصـول عليهـا، هـى عـدم إخلاصـك لى، ولا أقـول الخيانـة».

قـررت «جوزفـين» السـفر إليـه فى إيطاليـا، وفى كتـاب «المـرأة فى حيـاة نابليـون» تأليـف كرسـتوفر هيـبرت، ترجمـة عمـر سـعيد الأيوبـى، هيئـة أبوظبـى للسـياحة والثقافـة: «اصطحبـت معهـا إلى إيطاليـا عشـيقها الـذى اسـتمرت عـلى علاقـة بـه حتـى عـودة نابليـون مـن مـصر عـام ١٧٩٩».

١٠ مارس عام ١٩٦٩
جنازة مليونية لعبد المنعم رياض..
وعبد الناصر يذوب بين الجموع

لم يكن يوم ١٠ مارس ١٩٦٩ عاديا فى تاريخ مصر، هو يوم احتشد فيه ما يقرب من مليون شخص لتشييع جثمان الشهيد الفريق عبد المنعم رياض، رئيس أركان الجيش المصرى، الذى استُشهد فى اليوم السابق، أثناء وجوده فى الخطوط الأمامية لجبهات القتال مع العدو الإسرائيلى.

لم يكن استشهاد «رياض» حدثا عاديا، فهو القائد الذى أوكل إليه جمال عبد الناصر مسئولية إعادة بناء الجيش المصرى من الناحية القتالية بعد نكسة يونيه ١٩٦٧، وكان قائدا عسكريا فذا من طراز قيادات الجيوش التى تجمع بين العلم والتواجد بين الجنود فى ميادين القتال.

فى كتاب «نسر مصر - عبد المنعم رياض حيا وشهيدا»، الصادر عن دار الهلال، القاهرة لمؤلفه «عبد التواب عبد الحى»، وهو سيرة ذاتية لـ«رياض» نتأكد أننا أمام رجل لم يهدأ من البحث عن المعرفة، ليس فى مجاله العسكرى وفقط، وإنما فى شتى علوم المعرفة، كان قارئا للفلسفة والتاريخ والأدب والشعر، وكان يهوى الاستماع للموسيقى، ويتحدث الإنجليزية والفرنسية بإجادة، ويتعلم حتى الإجادة الألمانية والروسية، ويلِمُّ بالإسبانية والإيطالية.

لم يكن «رياض» من جنرالات المكاتب، ولأنه كذلك كان يتنقل باستمرار بين وحدات الجيش، ليتعرَّف على الطبيعة أحْوال جنوده الذين كانوا يستعدون

على قدم وساق لمعركة تحرير الأرض، وفى يوم ٩ مارس سافر إلى خطوط الجبهة الأمامية، ليزور عدة مواقع عسكرية كان من بينها «الموقع نمرة ٦»، ومن خلاله راح بمنظاره يلاحظ حركة العدو على الشاطئ الآخر من القناة، وفجأة انهالت دانات المدفعية الإسرائيلية على الموقع، لتطوله إحداها كما طالت الضابط الذى كان يرافقه، وبعد خمس دقائق ناداه الضابط: «إزى الحال يافندم؟»، لكنه لم يتلقَّ ردًا، وتلقى عبد الناصر خبر استشهاده أثناء اجتماعه بالحكومة، فكان زلزالا كبيرا ظهر عليه أثناء الجنازة فى اليوم التالى.

«رياض» كما يصفه محمود عوض فى كتابه «اليوم السابع، الحرب المستحيلة حرب الاستنزاف»: «لم يكن منذ بدايته ضابطا عاديا، كان عاشقا للعسكرية المصرية مؤمنا بأنه لا حياة لمصر بغير جيش قوى يحميها، والجيش القوى يعنى الجيش الذى يستعد لحرب قادمة، وليس لحرب سابقة، يعنى التبحر فى العلم العسكرى».

يحتوى كتاب «اليوم السابع» على شهادة من العماد مصطفى طلاس، وزير الدفاع السورى، قالها لـ«محمود عوض» عن مشهد جنازة «الشهيد» وكان مشاركًا فيها: «مع أننى عشت فى القاهرة من قبل إلا أننى فى ذلك اليوم فوجئت بأن شوارع القاهرة وميادينها اتسعت فجأة لكى تضم مئات الآلاف من المصريين خرجوا بعفوية يشاركون فى الجنازة»، ويضيف طلاس: «فى إحدى النقاط ذاب عبد الناصر من بيننا وسط الناس، وهم جميعا يتدافعون إليه، كل واحد حريص على الاقتراب منه ليقول له: البقية فى حياتك ياريس، ولا يهمك ياريس، الثأر ياريس، معك ثلاثين مليون عبد المنعم رياض ياريس».

يواصل طلاس: «تطلعت حولى فوجدت أن طاقم الحراسة الخاص بالرئيس جمال عبد الناصر ذاب هو الآخر وسط الناس، تطلعت من جديد فوجدت رؤساء أركان الحرب القادمين من الدول العربية للمشاركة تحولوا هم أيضا إلى مواطنين يغمرهم الانفعال، ومددت يدى يمينا وشمالا لأقول لهم، فلتتشابك أيدينا معا لنصبح طاقم حراسة للرئيس، نحيط بالرئيس،

نحمـــى الرئيـــس، وفى المســـاء ذهبنـــا إلى الرئيـــس نســـتأذنه فى العـــودة، واقتربـــت منـه لأقـول لـه: سـيادة الرئيـس هـذا التفاعـل الـذى شـهدناه اليـوم مـن الشـعب المـصرى هـو أكـبر عـزاء لـك فى استشـهاد عبـد المنعـم ريـاض، فقاطعنـى قائـلا: «لا ياطـلاس، أنـا ذهبـت الجنـازة لمشـاركة النـاس وليـس لتقبُّـل العـزاء فى ريـاض، العـزاء الوحيـد عنـدى وعنـد كل العسـكريين المصريـين هـو تحريـر الأرض، كل الأرض».

١١ مارس عام ١٩١٩

«محمد عزت البيومى» أول شهداء ثورة ١٩١٩

والمظاهرات تطوف القاهرة

«استمر إضراب الطلاب، تعطل سير الترام وأضرب سائقوه وسائقو سيارات الأجرة التاكسى، اضطرب سير مركبات «الأمينبوس»، فتعطلت المواصلات فى جميع أنحاء العاصمة، وأقفل معظم التجار متاجرهم، وأقفلت البيوت المالية أبوابها، وتجددت المظاهرات تطوف أنحاء المدينة حتى صارت فى شبه مظاهرة عامة، وأصدر القائد العام أمرا بمنع المظاهرات وإنذار من يخالفون هذا الأمر بالمحاكمة العسكرية، وتم إلصاق هذا الإنذار على الجدران فى الشوارع والميادين».. هكذا رسم عبد الرحمن الرافعى فى كتابه عن ثورة ١٩١٩ صورة اليوم الثالث من أحداث الثورة التى بدأت يوم الأحد ٩ مارس.

بدأت أحداث الثورة بإضراب طلاب مدرسة الحقوق عن تلقّى الدروس، وانضم إليهم طلاب مدارس «المهندسخانة» و«الزراعة» و«التجارة» و«الطب»، وتم اعتقال ٣٠٠ طالب، وتواصلت المظاهرات فى اليوم التالى (الإثنين ١٠ مارس)، حيث أعلن طلاب المدارس الأميرية والأزهر الإضراب.

شهد اليوم الثالث من أيام الثورة أول مصادمات بين القوات البريطانية والمتظاهرين، بميدان باب الحديد «رمسيس»، ثم شارع عماد الدين، كما شهد

هـذا اليـوم سـقوط أول شـهيد للثـورة، وتحقـق عبـد الرحـمن الرافعـى مـن اسـمه، حيـث أُشـيع أنـه مصطفـى ماهـر أمـين، لكـن «الرافعـى» ومـن واقـع دفـتر وفيـات قسـم السـيدة زينـب توصـل إلى أن أول الشـهداء هـو محمـد عـزت البيومـى، ابـن عبـد المجيـد البيومـى المحامـى الشرعـى بالمنصـورة، أمـا مصطفـى ماهـر أمـين فكان استشـهاده يـوم ١٩ مـارس، وكان طالبـا فى المدرسـة الثانويـة السـعيدية وعمـره ١٦ عامـا، وأصيـب فى مظاهـرة بجهـة الأزهـر، وشُـيعت جنازتـه فى موكـب رهيـب.

فى ثـورة ١٩١٩ الكثـير ممـا يقـال، وأهمـه عـلى الإطـلاق هـو: هـل كان لهـا قيـادة خططـت لهـا وفجرتهـا، أم أنهـا انطلقـت بـإرادة شـعبية خالصـة ودون توجيـه مـن أحـد، وهـل توقعهـا الاحتـلال البريطانـى لمـصر؟

عـن هـذه الأسـئلة، يجيـب الكاتـب والمفكـر عبـاس محمـود العقـاد فى كتابـه «سـعد زغلـول.. سـيرة وتحيـة» مكتبـة حجـازى القاهـرة، قائـلا: «إن أناسـا كثيريـن ومنهـم بعـض المصريـين، ليعجبـون إذا عرفـوا أن هـذه الثـورة المفاجئـة، لم يقـع فيهـا تنظيـم، ولم يكـن فيهـا رأس مدبـر عـلى الإطـلاق، وأن مظاهـرة الطلبـة الأولى وقعـت عـلى غـير علـم سـابق مـن الوفـد، بـل عـلى خـلاف النصيحـة التـى سـمعها الطلبـة مـن بعـض أعضائـه الذيـن بقـوا فى القاهـرة بعـد اعتقـال سـعد وأصحابـه الثلاثـة، لكنهـا هـى الحقيقـة التـى نؤكدهـا بعـد اسـتقرائها مـن مصـادر عديـدة».

ويضيـف العقـاد: «الطلبـة أصبحـوا مضربـين فى مدارسـهم يـوم المظاهـرة، وهـم مختلفـون فى الخـروج أو البقـاء، ثـم خطـر لفريـق منهـم أن الخـروج ربـما خالـف مشـيئة الوفـد، وأفسـد عليـه رأيـا يفكـر فيـه، أو خطـة يتوخاهـا، فبعثـوا إلى «بيـت الأمـة» أفـرادا منهـم يسـتفسرون ويعـودون بـما يسـتقر عليـه رأى الأعضـاء، وهنـاك التقـوا «عبـد العزيـز فهمـى» فأفضـوا إليـه بقصدهـم، وأبلغـوه بهيـاج الطلبـة، وتحفزهـم للخـروج والتظاهـر فى أحيـاء العاصمـة، فثـار بهـم وانتهرهـم انتهـارا شـديدا، وهـو يقـول لهـم مـا معنـاه: «المسـألة ليسـت لعـب أطفـال، دعونـا نعمـل فى هـدوء، ولا تزيـدوا نـار الغضـب اشـتعالا عنـد القـوم».

١٢ مارس عام ١٩١٩
ثورة ١٩١٩ تشتعل بقطع السكك الحديدية و المواصلات

تنوعت وسائل تعبير المصريين عن غضبهم أثناء ثورة ١٩١٩، فبينما كانت المظاهرات تعمُّ البلاد منذ أن تفجرت الثورة يوم ٩ مارس، حدث تطور نوعى فى مثل هذا اليوم (١٢ مارس)، تمثل فى قطع المواصلات بجميع أنواعها.

كانت المظاهرات قد امتدت من القاهرة إلى الإسكندرية وطنطا ودمنهور والمنصورة وشبين الكوم والزقازيق والفيوم وبنى سويف والمنيا وأسيوط، ومع اتساع نطاقها كانت تتسع وسائل التعبير عن الغضب، حتى بلغت ذروتها بوسيلة قطع المواصلات لتشمل خطوط السكك الحديدية وأسلاك البرق والتليفون، وكان خط القطار الواصل بين طنطا وتلاَ، هو أول الخطوط التى تم قطعها، وامتدت إلى مختلف الخطوط لتنقطع المواصلات بين القاهرة والأقاليم، وبين البلاد بعضها وبعض، وتعذر على الناس أن يتقلوا من جهة إلى أخرى إلا بطريق المراكب فى النيل والترع.

يستفيض المؤرخ «عبد الرحمن الرافعى» فى كتابه عن ثورة ١٩١٩، فى ذكر مسألة قطع المواصلات بجميع أنواعها، ويذكر تجربة شخصية له فيها تتمثل فى سفره من القاهرة إلى المنصورة عبر مركب من النيل، بعد قطع كل وسائل المواصلات بين القاهرة والأقاليم.

وفى تقريره عن الأحداث، قال اللورد ملنر يوم ١٦ مارس: «قُطعت سكك الحديد والأسلاك التلغرافية فى القاهرة وبين الوجهين القبلى والبحرى،

وقطعت المواصلات ما بين القاهرة والوجه القبلى، ولم يأتِ يوم ١٨ مارس حتى كانت مديريات البحيرة والغربية والمنوفية والدقهلية قد جاهرت بالثورة».

ولما وصلت الأنباء إلى العاصمة عن قطع السكك الحديدية، أصدر القائد العام للقوات البريطانية بلاغا، يتوعد فيه كل من يتلف أو يشرع فى إتلاف خطوط المواصلات الحديدية أو البرقية أو التليفونية بالإعدام رميا بالرصاص، وعلى الرغم من إرسال هذا الإنذار إلى المحافظين والمديرين لتعليقه فى المدن والبنادر والقرى، فإنه لم يؤدِّ إلى شىء.

وفى محاولة أخرى لوقف هذا الخطر، قررت السلطة العسكرية تحميل القرى التى تتلف بالقرب منها السكك الحديدية نفقات إصلاحها، وكذلك المحطات المحترقة بالقرب منها، وتصاعدت حدة التهديد بإعلان السلطات أنها ستحرق القرية التى هى أقرب من غيرها لمكان التدمير، واستهدف هذا التهديد تحديدا إنزال العقوبة الجماعية للقرى لتحفيزها على أن يقوم أهلها بحراسة خطوط السكك الحديدية، والقبض على الذين يقومون بتخريبها وتسليمهم إلى السلطات.

واستدعى الجنرال «بلفن» القائد العسكرى العام بالنيابة، بعض الأعيان والوزراء السابقين إلى مركز القيادة البريطانية لمناقشة هذه القضية، وأبلغهم بأنه إذا استمرت هذه الحوادث فسيقوم بتدمير العمائر والبيوت وإحراق القرى، وقال لهم: «استدعيتكم إلى هنا لأنذركم هذا الإنذار، واعلموا أنه آخر ما أوجهه من الإنذارات، فاعملوا كل ما فى وسعكم لتهدئة الأهالى، ومنعهم من إحداث القلاقل، وإلا فإننى منفذ خطتى».

استخدمت السلطات العسكرية عدة إجراءات؛ منها استخدام الطائرات الحربية فى بعض النواحى للسهر على حماية خطوط السكك الحديدية، وحدث أن أُطلقت النيران على بعض الطائرات وهى تقوم بأعمال دورية، فردت الطائرات بقاذفات مدفعية فوقع قتلى وجرحى، ومنعت السلطات خروج الناس من منازلهم من التاسعة مساء حتى الرابعة صباحا، كما قررت منع انتقال سكان القرى من قرية إلى أخرى من غروب الشمس حتى شروقها.

١٣ مارس عام ١٨٤١
تحديد توريث الحكم فى أسرة محمد علىّ..
والباشا يصفه بـ«السخيف»

استشاط محمد علىّ باشا غضبا من الرسالة التى تلقاها من السلطان العثمانى، وكتبها فى مثل هذا اليوم (١٣ مارس ١٨٤١)، والمعروفة تاريخيا باسم «خَطّى شريف». كانت الرسالة تتعلق بتحديد نظام وراثة الحكم فى أسرة محمد على، وحسب كتاب «الفرعون الأخير.. محمد على»، الصادر عن منشورات الجمل، تأليف جيلبرت سينويه، فإن الرسالة كان تحمل بصمات إنجلترا وفرنسا، وترى أنه من الضرورى تضييق هذه الوراثة بشروط خاصة تسجن مصر فى حدود ضيقة من الاستقلال الداخلى والخارجى، ومجمل القول أن الأمر تم تصوره على قياس عنق محمد على، فماذا احتوى هذا النظام الذى تقرأ قصته ونصوصه فى «الفرعون الأخير»؟

- عندما يفرغ عرش مصر، يصعد إليه أحد الأبناء الذكور الذى يفضله ويختاره السلطان، ويحسب مبدأ الخلافة يُطبق أبدًا، وفى حال عدم وجود خلفاء ذكور، فإن الباب العالى يمنح حكومة مصر لمن يشاء.

- لا يعطى امتياز وراثة الحكم الممنوح لحاكم مصر أىَّ حق من حقوق غير ما للباشوات الآخرين، ومعاهدات وقوانين الإمبراطورية تطبق فى مصر كما فى باقى الباشويات، فالشكل واللقب والقيمة النقدية هى نفسها كما فى تركيا.

- يعود ربع دخل مصر الخام من الآن فصاعدًا إلى السلطان من أجل الحاجات العامة للإمبراطورية، أما الأرباع الثلاثة المتبقية فتبقى لسد نفقات التحصيل والإدارة، إضافة إلى دفع قيمة القمح الذى يتعين على مصر إرساله كل سنة إلى المدينتين المقدستين: مكة والمدينة، وتُجبى كل الضرائب باسم السلطان حتى لا يتعرض الأهالى للابتزاز وإلى جبايات غير نظامية.

- لا يمكن لمصر بناء منشآت حربية إلا بإذن السلطان، ولا ينبغى لجيشها أن يتجاوز عشرين ألف رجل، يقيم ألفان منهم فى إسطنبول، أما اللباس الموحد والشارات فإنها مطابقة تمامًا لمثيلاتها لدى قوات الإمبراطورية، فى حين أن تعيين ضباط البر والبحر حتى درجة مقدم يعود إلى الحكومة المصرية، أما الضباط الأعلى رتبة فيكونون من اختيار السلطان.

- مادام امتياز التوريث لحكومة مصر خاضعا للشروط المعلن عنها أعلاه، فإن عدم تنفيذ أى منها يدفع إلى سحب هذا الامتياز.

حمل مبعوث الباب العالى ويدعى «سعيد مهيب أفندى» وثيقة «خَطِّى شريف» إلى محمد على، فغضب منها أشد الغضب قائلا: «هل يريدون إنكار ابنى إبراهيم، هو رجل ممن يطالبون بحقوقهم والسلاح فى أيديهم، ومهما كانت تربية أبنائى لامعة، فلن يرضوا أبدًا الامتثال لغير أكبرهم سنا، فسعيد بحار ممتاز، ويتحدث العديد من اللغات، وله مواهب متميزة، لكن ما من أحد من إخوته سيمتثل له على حساب إبراهيم، وبدون هذا ليس هناك من توريث ممكن، أما بخصوص انتزاع حقى فى اختيار ضباط جيشى وشكل ولون الزى الموحد فإنه سخيف، وسأصير محتقرًا من أتباعى لو قبلت به، وكيف يمكن حكم مصر بعشرين ألف رجل، أتساءل كيف يمكن حكم مصر بمثل هذا العدد القليل ؟ ألا يرون أن هذا البلد هو مفتاح أفريقيا ولربما مفتاح إسطنبول؟».

استمر خلاف محمد على والسلطان الباب العالى أربعة أشهر؛ حتى تم تعديل النظام إلى «أن يعود العرش للذكر الأكبر سنا»، وحق تعيين «الباشا» لضباط الجيش حتى رتبة عقيد، وتحديد الضريبة بمبلغ نهائى قدره ٤٠ مليون قرش.

١٤ مارس عام ١٩٢٢
مصر من «السلطنة» إلى «المملكة» ـ«فؤاد» ملكها الأول

«باشـا، خديـو، سـلطان، ملـك»، لـكل لقـب مـن هـذه الألقـاب قصـة فى تاريخ أسرة محمـد عـلى التـى حكمـت مـصر مـن عـام ١٨٠٥ حتـى قيـام ثـورة يوليـو ١٩٥٢، فهـو اللقـب الـذى كان يسـبق كل حاكـم لمـصر مـن هـذه الأسرة، غـير أن الانتقـال مـن لقـب إلى آخـر كان يحمـل قصـة، ومنهـا قصـة الانتقـال مـن حكـم «السـلطنة» إلى حكـم «المملكـة»، ففـى مثـل هـذا اليـوم ١٤ مـارس ١٩٢٢، نـشرت «الوقائـع المصريـة» آخـر أمـر سـلطانى مـن «السـلطان أحمـد فـؤاد»، لتصبـح مـصر فى اليـوم التـالى مبـاشرة «مملكـة مـصر».

فى كتابـه «فـؤاد الأول- المعلـوم والمجهـول»، الصـادر عـن دار الـشروق، القاهـرة للدكتـور يونـان لبيـب رزق، يتحـدث عـن قصـة حكـم مـصر مـع ألقـاب «الباشـا، الخديـو، السـطان، الملـك»، مشـيرا إلى أن أمـر السـلطان أحمـد فـؤاد كان نهايـة لقصـة طويلـة وبدايـة لقصـة قصـيرة، القصـة الطويلـة بـدأت فى عـام ١٨٠٥، بعـد أن تـولى محمـد غـلى حكـم مـصر، ونجـح مـن خـلال صراعـات دمويـة مـع السـلطان العثمانـى، فى أن يجعـل الحكـم وراثيـا فى أسرتـه، بمقتـضى تسـوية ١٨٤٠/ ١٨٤١.

اللقـب الأول «الباشـا» تمتـع بـه كل مـن: محمـد عـلى وإبراهيـم وعبـاس الأول وسـعيد وإسـماعيل لفـترة اسـتمرت أربـع سـنوات مـن حكمـه، وكان هـو اللقـب الـذى يتمتـع بـه سـائر ولاة الإمبراطوريـة العثمانيـة، حيـث انتـشر الباشـوات فى العديـد مـن أرجـاء الإمبراطوريـة.

أما اللقب الثاني «الخديو»، فحصل إسماعيل عليه من «الباب العالى» بعد أربع سنوات من اعتلائه الحكم (١٨٦٣)، ولم يمنحه «الباب العالى» هذا اللقب مجانا بل دفع فيه أموالا باهظة، وحسب تعبير «يونان لبيب رزق»: «دفع فيه دم قلبه»، مما أدى إلى زيادة أعباء الديون على مصر، التى قادت فى النهاية إلى التدخل الأجنبى وخلع «إسماعيل» من الحكم.

أما اللقب الثالث «السلطان»، فجاء أواخر عام ١٩١٤ نتيجة إعلان الحماية البريطانية على مصر، وقطع علاقة التبعية القانونية التى ربطت بينها وبين حكومة الآستانة «الدولة العثمانية»، وجاءت تسمية «السلطان» بعد قرار حكومة الاحتلال البريطانى بخلع الخديو عباس حلمى الثانى، كما جاءت بعد مشاورات بين بريطانيا والأمير حسين كامل بن إسماعيل وعم الخديو المخلوع، والمرشح ليكون خليفة له.

وحتى يكون هناك فرق بين لقب «السلطان» لحاكم مصر، ولقب «السلطان» لحاكم «الباب العالى» فى الآستانة، جرى وصف «صاحب جلالة» لحاكم الآستانة، أما سلطان مصر فكان نصيبه وصف «صاحب العظمة».

كان لقب «صاحب العظمة السلطان» هو الأقصر عمرا فى تاريخ ألقاب حكام مصر، حيث دام ٨ سنوات فقط، وانتهى فى مثل هذا اليوم ١٩٢٢ ليكون لقب «الملك» هو السائد وحمله «فؤاد» ثم ابنه فاروق، حتى أصبحت مصر جمهورية مع ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢.

١٥ مارس عام ١٨٩٥
ورثة الخديو إسماعيل يختلفون على تقسيم التركة

علت جبين الخديو عباس حلمى الثانى سحابةٌ من الحزن، وخفتت الأصوات فلا تسمع إلا همسا، وذلك بعد تلقيه برقية من الآستانة بتركيا تفيد وفاة جده الخديو المعزول «إسماعيل» يوم ٢ مارس ١٨٩٥، هكذا يصف «أحمد شفيق باشا» رئيس ديوان «عباس حلمى الثانى» الحالة فى مذكراته الصادرة عن هيئة قصور الثقافة، القاهرة، ويقول: «ورد البرق بنعيه فى صباح يوم ٢ مارس، وإنه أوصى قُبَيل وفاته بجميع أملاكه وأمواله إلى قريناته الثلاث، واختار البرنس إبراهيم حلمى باشا، ومحمد راتب باشا للوصاية عليهن».

كان الحزن كبيرا، فالفقيد يحتل مكانة خاصة عند «الحفيد»، ورغم ذلك فشل الحفيد فى أن يحقق رغبة «الجد» فى العودة إلى مصر فى فترة مرضه الأخيرة التى انتهت بموته، ورغم محاولاته أكثر من مرة لتلبية رغبة جده، مستندا إلى أن الأطباء هم الذين أشاروا إلى إسماعيل بأن مناخ مصر هو الأنسب له فى مرضه، فإنه اصطدم بمجلس النظار الذى رفض حتى تم إغلاق هذا الملف نهائيا، فسلم «إسماعيل» بقدره الذى يحتم عليه الموت خارج مصر، وبعد سنوات العزل التى عاشها فى إيطاليا ثم تركيا، واستمرت من ١٨٧٩ وحتى موته.

فور تلقى الخديو عباس الثانى الخبر، سافر إلى الإسكندرية ونزل بقصر المنتزه انتظارا لوصول الجثمان، ولحق به عمه البرنس حسين كامل ابن الفقيد، وفى يوم ٧ مارس تلقى برقية بتحرك الباخرة التى تقل الجثمان.

وفى يوم ٩ مارس وصلت باخرتان إلى الإسكندرية، واحدة منهما تقل الجثمان، وبقيت الجثة فى الحَجْر الصحى مدة يومين حتى تم نقلها إلى القاهرة فى قطار خاص، ويذكر «شفيق باشا» مراسم تشييع الجثمان التى تمت يوم ١٢ مارس، حتى اجتمع أصحاب الشأن فى ميراث الفقيد فى مثل هذا اليوم (١٥ مارس) لتوزيع التركة حسب الوصية التى تركها إسماعيل باشا.

تجمع المشيعون من جميع طبقات الأمة يغدون بملابسهم الرسمية، وتحرك موكب الجنازة يتقدمه الخديو «عباس الثانى» والبرنسيسات وكبار المعِيَّة وخلفهم النظار والقناصل، وأُطلقت المدافع تحية للجثمان، وكان رجال الجيش على الجانبين منكسى بنادقهم، وسار الموكب حتى وصل إلى ميدان الأوبرا، فتخلف الخديو وأحمد مختار باشا، وقناصل الدول، وظل الباقون حتى مسجد الرفاعى حيث صُلى على الجثة، ووقفت البرنسيسات يتقبلن العزاء من المشيعين، وأطلق مائة مدفع فى القاهرة والإسكندرية عند الدفن، وأضيئت المدينتان بمصابيح الغاز.

ترأس الخديو «عباس الثانى» مجلسا مخصوصا من البرنسيسات أصحاب الشأن فى الميراث، وحضر الاجتماع مفتى الديار المصرية وقاضى الإسكندرية، وبحث المجلس فيما قرره الفقيد قبل وفاته، وهو أن سراى القصر العالى وقصر الزعفران وإن كانا باسمه، إلا أنهما فى الحقيقة ملك زوجاته الثلاث، شهرت هانم أفندى، وجنانير هانم، وجشت أفندى هانم أفندى، وكان يملك كذلك حق التصرف فى تفتيش حلوان فوقفه أثناء مرضه عليهن.

ووافق أكثر الورثة فى هذه الجلسة على ما قرره الفقيد قبل وفاته، إلا أن البرنس فؤاد باشا والبرنسيس جميلة هانم أفندى، عارضا الوقفية والإقرار، ولم تكن البرنسيسات زوجات الفقيد يرغبن فى الوقفية، لأن زوجهن الراحل ترك دينًا يزيد على المائتى ألف جنيه، واشترط عليهن تسديده من ريع وقف حلوان وأملاكهن الخصوصية.

١٦ مارس عام ١٩١٩
أول مظاهرة نسائية فى مصر بعد يومين من استشهاد «حميدة خليل»

بـدأ السيدات مسـيرتهن سـيرًا عـلى الأقـدام، حملـت النسـاء المحجبات أعلامًـا يتعانـق عـلى صفحاتهـا الهـلال والصليـب، حـدث ذلـك فى مثـل هـذا اليـوم (١٦ مـارس ١٩١٩).. كان الشـعب المـصرى يكتـب ملحمتـه العظيمـة بثـورة ١٩١٩ التـى تفجـرت يـوم ٩ مـارس.

كـسرت المـرأة المصريـة الطـوق المفـروض عليهـا، وخرجـت للمـرة الأولى فى تاريـخ مـصر فى مظاهـرة يقـول عنهـا المفكـر الكبـير أحمـد أمـين فى مذكراتـه، الصـادرة عـن مكتبـة الأسرة، القاهـرة: «كان منظـرًا جريئًـا مدهشًـا لم يـروِ التاريـخ مثلـه فى مـصر»، وفيـما كان قـوام المظاهـرة- حسـب وصـف «أمـين»- لفيـف مـن الآنسـات والسـيدات الراقيـات، فإنهـا جـاءت بعـد يومـين مـن سـقوط أول شـهيدة مصريـة مـن عامـة الشـعب اسـمها «حميـدة خليـل»، وسـقطت بطلـق نـارى مـن جنـدى بريطانـى أمـام مسـجد الحسـين، وتبعتهـا شـهيدات أخريـات، تذكـر هـدى شـعراوى فى مذكراتهـا، الصـادرة عـن دار المـدى، دمشـق، أسماءهن: «عائشـة عمر، فاطمـة ريـاض، نجيبـة سـعيد إسـماعيل، سـعدية حسـن، شـفيقة محمـد عشـماوى»، وشُـيعت فى جنـازة شـعبية مهيبـة، سـار المشـاركون فيهـا صامتـين خلـف نعشـها الملفـوف بعلـم مـصر.

مـن مذكـرات هـدى شـعراوى، وكتـاب «رائـدات الحركـة النسـوية المصريـة»، الصـادر عـن المجلـس الأعـلى للثقافـة، القاهـرة، تأليـف مارجـو بـدران، نعـرف

أن المظاهـرة كان عددهـا بـين ١٥٠ و ٣٠٠ سـيدة، تجمعـن فى بيـت حـرم «أحمـد أبوإصبـع باشـا» فى جـاردن سـيتى، وتركـن سـياراتهن وعرباتهـن التـى تجرهـا الخيـول، وبـدأن السـير عـلى الأقـدام، يرفعـن لافتـاتٍ مكتوبًـا عليهـا باللغتـين الإنجليزيـة والفرنسـية: «يحيـا المدافعـون عـن العدالـة والحريـة»، و«يسـقط الظالمون المسـتبدون وليسـقط الاحتـلال».

توجهـت المظاهـرة إلى بيـت الأمـة، فحاصرهـا الجنـود الإنجليـز، وأحاطوهـا بالسـلاح، وسـدوا الشـوارع، وكان صفـوف مـن الطـلاب تتبعهـا لحمايتهـا، وفى رسـالة مـن قائـد الشرطـة البريطانيـة، تومـاس رسـل، إلى ابنـه، يذكرهـا فى مذكراته، يـشرح فيهـا مـا حـدث فى هـذه المظاهـرة التـى لم يتوقعهـا: «كانـت مشـكلتى هـى مظاهـرة قامـت بهـا السـيدات الأهليـات فى القاهـرة، وأرعبتنـى هـذه المظاهـرة إذ إن تركهـا تمـر فى الشـوارع سـتجمع جمهـورًا كبـيرًا حولهـا بـلا شـك، وكانـت التعليـمات التـى سـأصدرها هـى أن توقـف، وإيقـاف مسـيرة يعنـى اسـتخدام القـوة، واسـتخدام القـوة ضـد النسـاء يوقعـك فى الخطـأ، حسـنًا، لقـد تجمعـن فى سـيارات وغيرهـا، ثـم ترجَّلـن منهـا وبـدأن المشـى فى مسـيرة، تركتهـن يمضـين قليـلا، ثـم سـددت عليهـن الطريـق بقـوات الشرطـة المدعمـة بالجيـش، وعنـد ذاك اضطـرت تلـك الكائنـات العزيـزات أن يبقـين فى حـر الشـمس سـاعة ونصفًـا، وليـس أمامهـن مـا يجلسـن عليـه إلا حجـر الرصيـف».

يضيـف «رسـل»: «تحركـت ضدهـن قـوة ضاربـة كبيرة مـع عـدم اسـتعمالها، إذ كان اسـتعمال القـوة مخصصًـا للطبقـات الدنيـا، وعنـد إشـارة أعطيتهـا أغلقـت نطاق الشرطـة حولهـن، ووجـد السـيدات طريقهـن مسـدودًا بطابـور مرعـب مـن رجـال الشرطـة المصريـين المجنديـن إلزاميًـا نبهـت عليهـم مـن قبـل عـدم اسـتعمال العنف، ولكـنّ رؤسـاءهم الضبـاط أعطوهـم ترخيصًـا كبـيرًا لاسـتخدام سـخريتهم الريفيـة التـى يتمتعـون بهـا ضـد السـيدات المتكلفـات فى الأناقـة».

كان حـدث المظاهـرة جلـلًا، فهـو الأول مـن نوعـه فى تاريـخ مـصر، ولهـذا وكـما تقـول هـدى شـعراوى: «انتظرنـا الأجانـب أمـام السـفارات حتـى يلقـوا الـورود تحـت أقدامنـا».

١٧ مارس عام ١٧٩٩
نابليون يستولى على «حيفا»
والطاعون يتمكن من جنوده فى «يافا»

أمر نابليون بونابرت قوات جيشه الفرنسى باحتلال «حيفا»، فكان له ما أراد فى مثل هذا اليوم (١٧ مارس١٧٩٩).

أقام قيادته على جبل الكرمل، فاستطاع، بحسب ما جاء فى كتاب «بونابرت فى مصر» لمؤلفه «كرستوفر هيرولد»، «أن يشرف على الخليج الجميل كله، ولكنه لم يبْدُ فى عينيه جيلا، ذلك أنه رأى أمام عكا بارجتين إنجليزيتين وعدة زوارق إنجليزية، وبعض السفن التركية، فأرسل لضابطه الكابتن «ستاندليه»، الذى كان مقررًا أن يأتى بالأسطول حاملا مدفعية الحصار من دمياط إلى عكا، طالبا إليه إما ألا يبرح دمياط، وإما أن يبقى فى يافا إن كان بارحها فعلا».

يضيف «هيرولد»: «فى ذات اليوم الذى أملى فيه بونابرت هذا الأمر (١٨ مارس) كان الكابتن «ستاندليه» وأسطوله يدنوان من رأس الكرمل، أى أنه وصل فى الموعد الذى سيكون ضده تماما، وضد خطط نابليون الحربية، وصل ولم يفطن إلى السفن الإنجليزية إلا وهى واقفة على رأسه تماما، واستولى الإنجليز على سِتٍّ من ناقلاته، وفرت ثلاث بينها سفينة «ستاندليه»».

كان ذلـك مقدمـة لفشـل نابليـون فى الاسـتيلاء عـلى «عـكا»، لكـن اسـتيلاءه عـلى «حيفـا» دون مقاومـة كان بمثابـة اسـتكمال مسـاره الـذى بـدأ باسـتيلائه عـلى «يافـا» (٧ مـارس ١٧٩٩)، والمسـار كلـه كان حلمـه بالاسـتيلاء عـلى عـكا.

اسـتولى «نابليـون» عـلى «حيفـا»، بعـد عـشرة أيـام من اسـتيلائه عـلى «يافـا»، وفى خـلال هـذه الأيـام العـشرة، وحسـب مـا كتبـه «عبـد الرحمـن الرافعـى» فى الجـزء الثانـى مـن كتـاب «تاريـخ الحركـة القوميـة وتطـور نظـام الحكـم فى مـصر»: «نهـب الجنـود الفرنسـية يافـا وارتكبـوا فيهـا مـن الفظائـع ما تقشـعر منـه الأبـدان باعتراف المؤرخـين الفرنسـيين واسـتمر النهـب والقتـل يومـين متوالـين، ويؤكـد هـؤلاء المؤرخـون أن أشـلاء الجثـث التـى تركـت بهـا عـدة أيـام كانـت مـن أسـباب انتشـار وبـاء الطاعـون الـذى كان مـن عوامـل فشـل الحملـة الفرنسـية عـلى سـوريا».

دخـل «نابليـون» حيفـا، تسـبقه مأسـاة أخـرى فى معركـة «يافـا»، وكـما يقـول الرافعـى: «بعـد انتهـاء المعركـة، كان فى المدينـة نحـو ثلاثـة آلاف مقاتـل مـن الجنـود العثمانيـة، آثـروا التسـليم وإلقـاء السـلاح فى يـد الفرنسـيين بـشروط اتفقـوا عليهـا مـع اثنـين مـن يـاوران نابليـون، ومنهـا ضـمان أرواحهـم بعـد استسـلامهم، ومعاملتهـم كأسرى حـرب، لكـن نابليـون بعـد أن فكـر طويـلا فى أمرهـم، أمـر بإعدامهـم جميعـا رميـا بالرصـاص، بحجـة أنـه عاجـز عـن إطعامهـم وحراسـتهم فى بـلاد نائيـة لم يسـتتبَّ لـه فيهـا الأمـر».

اسـتثنى «نابليـون» مـن مذبحـة الــ٣ آلاف جنـدى «عثمانـى» أربعمائـة مـصرى؛ بينهـم عمـر مكـرم الـذى هاجـر إليهـا مـن مـصر بعـد معركـة «الأهـرام»، وأمـر بإعادتهـم إلى مـصر بعـد أن رفضـوا الالتحـاق بجنـود الجيـش الفرنسـى، ويقـول «الجبرتـى» كـما ينقـل الرافعـى: «عاتبهـم نابليـون عـلى نقلهـم وخروجهـم مـن مـصر، وأنزلهـم فى مركـب وأرسـلهم إلى دميـاط مـن البحـر».

١٨ مارس عام ١٩٦٥
الملك فاروق يموت بعد كيلو لحم ونصف تورتة!

هل مات الملك فاروق مسمومًا بمؤامرة دبرتها المخابرات المصرية؟

مات «فاروق» فى مثل هذا اليوم (١٨ مارس ١٩٦٥) فى إيطاليا التى عاش فيها منذ خرج من مصر يوم ٢٦ يوليو ١٩٥٢.

عاصفة طبيعة موت «فاروق» هبت منذ سنوات، حين قيل على لسان إبراهيم البغدادى الذى شغل منصب محافظ القاهرة أيام الرئيس السادات، بأنه دس السم له فى عصير «الجوافة» فى المطعم الذى كان يتردد عليه، وكان البغدادى يشغل أيامها منصب قنصل مصر فى أمريكا، وسافر خصيصا لهذه المهمة لمدة شهر عمل فيه «جرسون» فى المطعم حتى يتم مهمته.

وعلى الرغم من أن الأطباء الإيطاليين قالوا إن فاروق رجل بدين يعانى ضغط الدم المرتفع، وضيق الشرايين، ومثله لابد أن يقتله الطعام، فإن الجدل تواصل بشأن ما ذكره «البغدادى»، حتى جاءت شهادة «مرتضى المراغى»، آخر وزير داخلية فى عهد الملك فاروق (شغل منصبه من يوم ٢٧ يناير ١٩٥٢)؛ لتؤكد ما ذكره الأطباء الإيطاليون.

فى مذكرات المراغى بعنوان «شاهد على حكم فاروق»، الصادرة عن دار المعارف، القاهرة يقول نصا: «بسبب الحكايات الكثيرة التى ترددت عن وفاة فاروق، ومن بينها اتهام أحد ضباط الثورة بأنه دس السم لفاروق فى

طعامـه، فقـد مارسـت فضـولى وظللـت أتـردد طويـلا عـلى المطعـم الـذى مـات فيـه إلى أن كسـبت صداقـة صاحبـه، والمطعـم موجـود فى شـمال إيطاليـا، وعندمـا عـرف صاحـب المطعـم- بعـد أن كسـبت صداقتـه- أننـى مـصرى، أخـذ يحدثنـى عـن فـاروق وتـردده الطويـل عـلى مطعمـه، وقلـت لـه إنـه كان غريبـا أن يمـوت فـاروق فى سـن ٤٥ عامـا هكـذا فجـأة وهـو يـأكل.

يضيـف «المراغـى»: «نظـر إلىَّ «صاحـب المطعـم» وقـال لى سـاخرا: يـأكل.. وأضـاف مـا معنـاه بالإيطاليـة بـل قـل كان «يحشـى»، سـأل «المراغـى» صاحـب المطعـم: «هـو أكل إيـه؟»، فأجابـه بقائمـة غريبـة قائـلاً: بـدأ فـاروق طعامـه بتنـاول سـلطانية إسـباجتى كبـيرة عليهـا كـوم مـن المحـار، وهـو طبـق معـروف فى إيطاليـا اسـمه «إسـباجيتى الأجانـدولا»، والمفـروض فيمـن يأكلـه ألا يـأكل غـيره، ولكـن فـاروق أكل كميـة تُقـدم تقريبـا لثلاثـة زبائـن، ثـم أتبـع هـذا الطبـق بقطعـة لحـم خاصـة زنـة قرابـة كيلـو مـن نـوع مميـز اسـمه «فوليرانتينـا»، وهـو يعـد مـن أحسـن أنـواع اللحـوم ويحضرونـه خصيصـا مـن فلورنسـا، والمفـروض أن يشـترك أربعـة فى أكل مثـل هـذه القطعـة التـى أكلهـا فـاروق، ولكـن فـاروق التهمهـا وحـده ومعهـا بـدون مبالغـة صينيـة بطاطـس.

يضيـف «المراغـى» أن صاحـب المطعـم أكـد لـه أن «الحلـو» الـذى اختتـم بـه فـاروق كان «خفيفـا» وعبـارة عـن ٥ أصابـع مـوز، وخمـس تفاحـات، ونصـف تورتـة، ويقـول: «لم يكـن سرا أن فـاروق كان مريضـا بالقلـب، ونصحـه الأطبـاء بتخفيـف وزنـه، ولكنـه كان قـد انجـرف إلى حـب الطعـام بصـورة مذهلـة، وعندمـا التهـم هـذه الوجبـة الغريبـة كتمـت عـلى أنفاسـه ومـات فيهـا».

قيمـة هـذه الشـهادة، أنهـا تأتـى مـن رجـل كان مـن المحكـوم عليهـم بالسِّجنْ فى زمـن «جمـال عبـد النـاصر» وكان يعيـش فى إيطاليـا ودول أوروبيـة أخـرى.

١٩ مارس عام ١٧٩٩
«أحمد باشا الجزار» يدفن أحلام نابليون تحت أسوار عكا

«لم أكن أعلم عندما أقلعت بى السفينة إلى مصر ما إذا كان وداعى لفرنسا سيكون أبديا، لكنى ما شككت لحظة فى أنها ستدعونى يوما ما إليها، على أن آمالى قد اتجهت إلى الشرق واستهوتنى فتوحاته العظيمة وصرفتنى عن التفكير فى أوروبا، لكن هذه الأحلام والآمال قد دُفنت تحت أسوار عكا»، هكذا قال نابليون بونابرت عن هزيمته فى هذه المدينة التى بدأ حصاره لها فى مثل هذا اليوم (١٩ مارس ١٧٩٩)، واستمر ٦٢ يوما.

هى هزيمة يخلدها التاريخ لأنها أجهضت حلم نابليون فى بناء «دولة شرقية» يحكمها، كان سيزحف إلى سوريا بعد عكا، ويجبر تركيا على الإذعان لشروطه، مما يمكّنه من الزحف برا إلى الهند أو الوصول إلى القسطنطينية، وبذلك يقع هذا الامتداد الجغرافى تحت الاحتلال الفرنسى.

فى هذا الفصل من التاريخ يقفز اسم حاكم عكا «أحمد باشا الجزار»، المولود فى البوسنة، ثم نزح منها لينخرط فى سلك البحرية التركية وتركها ليبيع نفسه إلى تاجر رقيق فى أسواق الآستانة، فحمله التاجر إلى القاهرة، واشتراه على بك الكبير فكان ذراعه فى التخلص من بعض بكوات المماليك، فحمل لقب «الجزار»، وبعد بضع سنوات تشاجر مع على بك، فرحل من مصر إلى القسطنطينية ومنها إلى سوريا ليحتمى بيوسف أمير الدروز، وعمل ضابطا تحت قيادة والى دمشق، وبعدها عُين حاكما لبيروت، واختلف مع

الأمير يوسف بعد أن سرقه، وبعد مناورات منه استطاع الفوز بحكم ولاية عكا.

فى القصص التى تم تداولها عن «الجزار» ويتحدث عنها كتاب بونابرت فى مصر، الصادر عن مكتبة الأسرة، القاهرة، تأليف ج. كرستوفر هيرولد: «كان رجلا ذا طبيعة مشاغبة، مزهوا على الطريقة البوسنية، دفن فى الجدران عددا كبيرا من المسيحيين اليونانيين حين أعاد بناء أسوار بيروت ليدفع عنها غزو الروس، وعلى الرغم من ذلك كان يبدو أن له جوانب طيبة، فكان يطعم الفقراء، ويوظف من شوَّه أجسادهم، ويوظف أرامل الرجال الذين قتلهم، ومهما يكن من شيء فإن الجزار كان ذا خلق قوى».

كان «الجزار» بين الستين والسبعين من العمر وقت حصار «نابليون» لعكا، ويقول «هيرولد»، إن السنوات أكسبته حسا سياسيا مرهفا أنبأه بأن «بونابرت» لا يمكن الوثوق به حليفا، وأن مقاومته له ستعنى أنه لن يحتمل الاحتفاظ طويلا بسلطانه على مصر، ومن هنا كانت رسائل «نابليون» إليه سواء أكانت تتملقه أم تهدده ما هى إلا وسيلة لإضحاكه أو إثارة غضبه الشديد.

كان التحالف الإنجليزى العثمانى ورقة كبيرة ساعدت «الجزار» على مقاومة حصار نابليون لعكا، وفى تفاصيل قيادته للمعركة التى استمرت نحو شهرين نعرف مثلا، أنه شاهد جنوده يتركون أماكنهم بمجرد رؤيتهم للفرنسيين يهاجمون، فساقهم «الجزار» كالأنعام إلى أماكنهم وأطلق رصاصتين من مسدسه على المهاجمين، ثم صاح لجنوده: مِمَّ تخافون، ألا ترون أنهم يهربون؟ فعاد جنوده إلى أماكنهم، وبعد دقائق كان الفرنسيون يهربون بالفعل.

٢٠ مارس عام ١٨٠٠
ثورة القاهرة الثانية ضد الفرنسيين من بولاق.. و«البشتيلى» بطلها

كانت النفوس متحفزة لمقاومة الفرنسيين، فلاقت الدعوات التى انتشرت فى مختلف أنحاء مصر بالثورة، تجاوبًا كبيرًا.

فى مثل هذا اليوم (٢٠ مارس ١٨٠٠) شبت نار الثورة ضد الفرنسيين الذين جاءوا لاحتلال مصر وسوريا ١٧٩٨.. يخلد تاريخنا المصرى هذه الثورة باسم «ثورة القاهرة الثانية» التى بدأت من «بولاق»، وواصلت شعلتها حتى يوم ٢١ أبريل ١٨٠٠، أما ثورتها الأولى فكانت فى أكتوبر ١٧٩٨.

كانت «الثورة الثانية» أوسع وأشمل وقادها عمر مكرم، نقيب الأشراف، وأحمد المحروقى، كبير التجار، والشيخ الجوهرى، ابن الشيخ محمد الجوهرى.. تصدرت هذه «النخبة» صفحات التاريخ باعتبارها قائدة الثورة، غير أن هناك شخصية أخرى اسمها «مصطفى البشتيلى» يذكرها عبد الرحمن الجبرتى باعتبارها من أبرز دعاة ثورة القاهرة الثانية.

يقول «الجبرتى»: «أما بولاق فإنها قامت على ساق واحدة، وتحزم الحاج مصطفى البشتيلى وأمثاله من دعاة الثورة، وهيجوا العامة وهيّئوا عصيهم وأسلحتهم، ورمّحوا وصفّحوا، وأول ما بدءُوا به أنهم ذهبوا إلى وطاق الفرنسيس الذى تركوه بساحل البحر «النيل»، وعنده حرس منهم فقتلوا من

أدركوه منهم ونهبوا جميع ما به من خيام ومتاع وغيره، ورجعوا إلى البلد وفتحوا مخازن الغلال والودائع التى للفرنساوية، وأخذوا ما أحبوا منها وعملوا كرانك حوالى البلد ومتاريس».

كان «البشتيلى» من أعيان بولاق، وسُمى نسبة إلى «بشتيل» التابعة لمحافظة الجيزة، واعتقله الفرنسيون قبل الثورة بعدة أشهر، بعد أن أبلغهم وشاة أن فى وكالته قدورًا مملوءة بالبارود، ففتشوا الوكالة ووجدوا فيها بالفعل القدور المملوءة بالبارود.

فى وقائع الثورة كما يرويها «الجبرتى» أن أهل بولاق حملوا ما وصل إليهم من السيوف والبنادق والرماح والعصِىّ، واتجهوا بجموع صوب قلعة قنطرة الليمون «قلعة كامان» لاقتحامها، فرد الفرنسيون عليهم بنيران المدافع والبنادق، ما أوقع ثلاثمائة من الثوار، فأثار ذلك ثائرة الأهالى فى باقى القاهرة.

عمت الثورة أنحاء المدينة، واتجه نحو عشرة آلاف إلى معسكر القيادة العامة للجيش الفرنسى، ومقره فى الأزبكية، ثم ازدادت الأعداد إلى نحو ٥٠ ألفًا امتلأت بهم الشوارع والميادين والأسطح، وحملوا البنادق والأسلحة والعصى، واندفع الجميع تتقدمهم طائفة من المماليك والانكشارية، وانضم إليهم النساء والأطفال، فكان لهم نداءات وصيحات تصمّ الآذان، وهبت عاصفة الثورة على أحياء العاصمة كلها.

وعلى الرغم من الحالة الشعبية التى كانت عليها ثورة القاهرة الثانية، فإن ضمن وقائعها السلبية وقوع بعض الاعتداءات ضد مسيحيين فى المدينة، وإن كان الأمر امتد إلى مسلمين أيضًا متهمين بالموالاة للفرنسيين، ومنهم محافظ المدينة «مصطفى أغا»، و«خليل البكرى» الذى تم الاعتداء عليه والسير به فى الشارع عارى الرأس تتبعه الشتائم والسباب.

فى مقارنة بين ثورتَى القاهرة الأولى والثانية، يتحدث المؤرخ عبد الرحمن الرافعى فى الجزء الثانى من كتابه «تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم

فى مصر»، بأن الثورة الأولى لم تشهد اعتداءات ضد المسيحيين؛ لأن قيادتها كانت مصرية خالصة، أما الثورة الثانية فكان فى قيادتها أتراك ومماليك، مما أدى إلى وقوع هذه الاعتداءات السافرة.

٢١ مارس عام ١٩٦٨
هزيمة إسرائيل فى «الكرامة» والملك حسين على دبابة محترقة

وقف العاهل الأردنى، الملك حسين بن طلال، على ظهر دبابة إسرائيلية محترقة، وقبلها كان ياسر عرفات يحمل بندقيته مارًّا بين الفدائيين الذين تحصنوا فى مواقعهم لخوض معركة «الكرامة» ضد العدو الإسرائيلى.

كان الحدث كبيرا وموقعه فى بلدة «الكرامة» الأردنية التى تجمعت بها قوات الفدائيين الفلسطينيين بعد نكسة ٥ يونيه ١٩٦٧ لجعلها قاعدة انطلاق للعمليات الفدائية ضد الاحتلال الإسرائيلى، ومع ازدياد العمليات، قررت إسرائيل شن هجوم شامل على البلدة، وبدأته فى الساعة الخامسة والنصف بعد فجر مثل هذا اليوم ٢١ مارس ١٩٦٨.

حملت المعركة للطرفين معانى كبيرة، فهى لـ«الأردن» ومنظمة التحرير الفلسطينية تأتى بعد نكسة يونيه ١٩٦٧، وكانت هناك حاجة عربية لتأكيد أن تلك الهزيمة ليست إلا جولة فى الصراع العربى الصهيونى، وأن المقاومة هى السبيل لاستعادة الأرض، أما بالنسبة إلى إسرائيل فكانت تعبيرا عن غرور القوة الذى يستهدف فكرة أن الهزيمة من إسرائيل قدر للمنطقة العربية.

حشدت إسرائيل للمعركة أربعة ألوية عبارة عن لواءين مدرعين ولواء المظليين ٣٥ ولواء المشاة ٨٠، تدعمها وحدات من المدفعية الميدانية ووحدات هندسة عسكرية، وتغطية جوية بأربعة أسراب ناقلة، بالإضافة إلى عدد من الحوامات كافٍ لنقل كتيبتى مشاة مع معداتها، وبلغ عدد هذه القوات ١٥ ألف جندى على جبهة امتدت نحو ٨٠ كيلومترًا على طول نهر الأردن.

في مواجهة القوة الإسرائيلية الكبيرة، كانت قوة فلسطينية قوامها ٣٠٠ فدائى، تتقدمها منظمة فتح بقيادة ياسر عرفات وصلاح خلف «أبو إياد» وفاروق قدومى، ومعهم بالطبع الجيش الأردنى، وانتشر الفدائيون على الجبال والأماكن القريبة، بما يعنى فرضهم لأسلوب حرب العصابات التى تتم فى الشوارع بتكتيكات قتالية مفاجئة، ويشكل هذا النوع من القتال إزعاجا كبيرا لإسرائيل التى تعتمد على حروب الجيوش النظامية.

كان لسلاح المدفعية الأردنى مهام قتالية كبيرة عظيمة، ومع الفدائيين تكامل الاثنان على خط المواجهة ضد القوات الإسرائيلية، وظهر أسلوب حرب العصابات باستخدام الفدائيين لسلاح الـ«آربى جى» والقنابل اليدوية والسلاح الأبيض، وحزم فدائى نفسه بحزام ناسف، وألقى جسده على دبابة ففجرها ليطول التفجير دبابات أخرى.

استمرت المعركة نحو ١٦ ساعة، وتناقلتها وسائل الإعلام العالمية، ودمرت خلالها القوات الإسرائيلية نحو ١٤٧ منزلا، و١٠ دبابات و١٠ آليات مختلفة، وأسرت نحو ١٤٧ عربيا، واستُشهد نحو ١٧ فدائيا و٢٠ أردنيا و٦٥ جريحا بينهم ٤ ضباط.

لكن الخسائر الإسرائيلية كانت فادحة، حيث سقط نحو ٧٠ قتيلا، وجُرح أكثر من مائة، وتم تدمير ٤٥ دبابة و٢٥ عربة مجنزرة و٢٧ آلية مختلفة، وسقط ٥ طائرات، واستغاثت إسرائيل لوقف القتال الذى تم بتدخلات دولية بعد ١٦ ساعة من المعارك فى شوارع «الكرامة».

كانت المعركة درسا قاسيا من الجيش الأردنى والفدائيين الفلسطينيين لإسرائيل، عبَّر عنه حاييم بارليف رئيس أركان الجيش الإسرائيلى بقوله: «إن إسرائيل فقدت فى هجومها على الأردن آليات عسكرية تعادل ثلاثة أضعاف ما فقدته إسرائيل فى حرب حزيران «يونيه»».

تبقى معركة «الكرامة» صفحة ناصعة فى تاريخ الصراع العربى الصهيونى، وتخلدها الأردن بوصفها انتصارا مستحقا لجيشها العربى.

٢٢ مارس عام ١٩٤٨
جماعة الإخوان تقتل الخازندار.. وزوجته:
«مش قلت لك يا أحمد»

صرخت الزوجة بأعلى صوتها: «أنا مش قلت لك، أنا مش قلت لك يا أحمد بك، أنا مش قلت لك».

كانت الصرخة من زوجة المستشار أحمد الخازندار الرئيس بمحكمة استئناف القاهرة، لسماعها طلقات رصاص على بعد ٥٠ مترا من بيتها فى حلوان، فخرجت حافية القدمين وقلبها يخفق، لتشاهد شخصا مُضرَّجًا فى دمائه ويلتف آخرون حوله لمساعدته، فوجئت «الزوجة» بأن القتيل زوجها، فأخذته فى أحضانها وصوتها يشق السماء: «أنا مش قلت لك.. أنا مش قلت لك يا أحمد بك».

تدافعت الدماء على صدر الزوجة الذى ودعها قبل دقائق، وطبع قبلتين على طفليه، ومع النَّزيف تناثرت من حقيبته أوراق قضايا كان يحملها متوجها بها إلى المحكمة فى «باب الخلق».

كان الحدث فى مثل هذا اليوم (٢٢ مارس ١٩٤٨)، وأطلقت الزوجة صرختها، لأنها عاشت مع زوجها أياما من التهديدات التى تلقاها لإجباره على التخلى عن نظر قضية محاكمة عناصر من جماعة الإخوان، ضُبطوا فى الإسكندرية أمام نادى الجيش الإنجليزى ومعهم قنابل لم تنفجر، وتخلت

دائـرة أخـرى عـن نظرهـا بسـبب التهديـدات، فأُحيلـت إلى دائـرة «الخازنـدار» الـذى صمـم عـلى مواصلتهـا، وحكـم عـلى المتهمـين بالأشـغال الشـاقة، فـكان الحكـم عليـه مـن «التنظيـم الخـاص» للجماعـة بالقتـل، ونفـذ الجريمـة شـابان بتخطيـط مـن «عبـد الرحمـن السـندى»، قائـد التنظيـم.

انتقـل إلى مـكان الحـادث رئيـس الـوزراء محمـود فهمـى النقراشـى، ومحمـد محمـود باشـا رئيـس محكمـة الاسـتئناف، وعبـد الرحمـن عـمار وكيـل الداخليـة، ومرتـضى المراغـى مديـر الأمـن العـام الـذى يحكـى القصـة كاملـة فى مذكراتـه «شـاهد عـلى حكـم فـاروق» قائـلا: «قبضـت الشرطـة عـلى الشـابين وبـدأ التحقيـق معهـما فى قسـم حلـوان، وأسرعـت بحكـم وظيفتـى إلى القسـم لحضور اسـتجوابهما، فرأيتهـما هادئـين باسـمين، أحدهمـا ضخـم الجثـة طويـل، والآخـر قصـير نحيـف، وسـأل وكيـل النيابـة أولهما عـن اسـمه، فأجـاب: «ولمـاذا تريـد معرفـة اسـمى؟»، وسـأل الثانـى، فأجـاب: «اسـأل زميـلى يقـول لـك اسـمى وضحـك، فنهرهمـا وكيـل النيابـة وأعـاد سـؤاله، فذكـرا اسميهما»، فسـألهما: «هـل أطلقتـما الرصـاص عـلى المستشـار الخازنـدار؟»، فـردا بـكل بـرود: «ومـن هـو الخازنـدار؟»، ثـم امتنعـا عـن الإجابـة عـلى أى سـؤال».

القاتـل الأول اسـمه «محمـود سـعيد زينهـم» وعمـره ١٩، مـن الجيـزة، وكان طالبـا فى مدرسـة الصناعـات الميكانيكيـة، وبطـل مصارعـة فى وزنـه وفـاز ببطـولات عديـدة، وتـرك التعليـم الثانـوى عـدة مـرات لتكـرار رسـوبه والتحـق بالمدرسـة الصناعيـة، أمـا القاتـل الثانـى فهـو حسـن محمـود عبـد الحافـظ (١٨ عامًـا) أحـد أبطـال لعبـة الهوكـى بالنـادى الأهـلى، وكان يسـكن بالمنـزل رقـم ١٢ شـارع نافـع ابـن زايـد بالجيـزة.

اسـتدعت النيابـة حسـن البنـا مرشـد «الإخـوان» وأنكـر صلـة المتهمـيْن بالجماعـة، لكـن التحقيقـات كشـفت عـن أن المتهمـين راقبـا «الخازنـدار» عـدة أيـام، وتبـين لهـما أنـه يذهـب إلى عملـه صبـاح كل يـوم بالمواصـلات العامـة، ويقطـع الطريـق مـن بيتـه إلى محطـة القطـار فى حلـوان عـلى قدميـه، وفى ليلـة الحـادث باتـا فى منـزل عبـد الرحمـن السـندى قائـد التنظيـم الخـاص.

٢٣ مارس عام ١٩١٩
« جمهورية زُفْتى » بقيادة الأخوين يوسف وعوض الجندى

«هنا جمهورية زُفْتى المستقلة».. لم يكن هذا الشعار خيالًا ليس له ظل على الأرض، إنما حقيقة واقعة فى قرية زفتى بمحافظة الغربية التى أعلنت فى مثل هذا اليوم ٢٢ مارس ١٩١٩، «جمهورية زفتى المستقلة».

كان الحدث من تجليات نضال الشعب المصرى فى ثورة ١٩١٩، وأبطاله شقيقان هما «يوسف الجندى» و«عوض الجندى»، والقصة يحكيها الكاتب الصحفى الكبير أحمد بهاء الدين فى كتابه «أيام لها تاريخ»، الصادر عن دار الهلال، القاهرة، وكتاب المؤرخ عبد الرحمن الرافعى «ثورة ١٩١٩»، الصادر عن دار المعارف، القاهرة.

كان لـ«يوسف» مكتب محاماه فى «ميت غمر» بمحافظة الدقهلية، بينما كان لـ«عوض» مكتب فى «زفتى»، ويفصل النيل بينهما، وكان الشقيقان معروفين بين صفوف الحركة الوطنية فى القاهرة، ففى سنة ١٩١٣ اشتبك «عوض الجندى» مع عضو من مؤيدى الحكومة فى قاعة الجمعية التشريعية لأنه كان يقاطع سعد زغلول بكثرة فقبضوا عليه، ووجهوا إليه تهمة تعليق منشورات على أسوار البرلمان، أما «يوسف» ففصلوه فى سنة ١٩١٤ من كلية الحقوق، لتحريضه الطلاب على الإضراب، احتجاجًا على إعلان الحماية الإنجليزية على مصر عقب الحرب العالمية الأولى.

انفجرت الثورة و«يوسف الجندى» فى قريته زفتى، ويقول «بهاء» إن أنظار القرويين اتجهت إليه، ينتظرون منه أن يفعل شيئًا، فقرر أن تعلن «زفتى» و«ميت غمر» استقلالها، وبدأ فى إجراءات عملية تكرس هذا الاستقلال، فأعلن عن تشكيل لجنة للثورة من بعض الأعيان والأفندية والتجار الصغار، من بينهم عوض الكفراوى، والشيخ مصطفى عمايم، وإبراهيم خير الدين، وأدمون بردا، ومحمد السيد، ومحمود حسن، واتخذت لجنة الثورة مقرًا لها فى الدور الثانى من مقهى يملكها يونانى عجوز اسمها «قهوة مستوكلى».

قاد «يوسف الجندى» مظاهرة ضخمة استولت على قسم البوليس، وعرض المأمور «إسماعيل حمد» أن يكون مستشارًا للدولة الجديدة، ثم استولت على محطة السكة الحديدية، ومكتب التلغراف، وتقرر جمع التبرعات من الأعيان حتى تكون هناك ميزانية للدولة، وتوجهت هذه الأموال إلى ردم البرك والمستنقعات والشوارع، وإصلاح الجسور، وتم تشييد «كشك» على ضفة النيل لعزف الموسيقى، وتوزع تلاميذ المدارس إلى فرق لحفظ الأمن، ومراقبة توزيع مواد التموين، والإشراف على رى الأراضى، وكان فى القرية مطبعة خاصة يملكها «محمد أفندى عجينة» فطبعت قرارات لجنة الثورة لتوزيعها إلى الأهالى.

طارت الأنباء إلى القاهرة، ومنها إلى لندن، فتقرر إرسال قوة عسكرية من الجنود الأستراليين، وفى الوقت نفسه نشط الخونة الذين أرادوا أن يتنصلوا مما يحدث، فحرروا خطابات إلى السلطات فى القاهرة، لكن المأمور «إسماعيل حمد» وبخبرته الأمنية كان يتوقع ذلك، فكان يسهر الليل ليفض الخطابات، ويتخلص مما تحمل من وشايات ضد «دولة زفتى». وتجلى ذكاء «إسماعيل حمد» مرة أخرى حين طلب الأستراليون تسليم ٢٠ من الأهالى «العصاة» لجلدهم، فاقترح تسليم «الخونة»، وقد كان، ولما طلبوا تسليم «يوسف الجندى»، تم تهريبه ليظهر بعد ١٥ يومًا وهو يخطب للثورة فى «جروبى» بالقاهرة.

٢٤ مارس عام ٨٠٩
«الأمين» خليفة للمسلمين بعد وفاة والده هارون الرشيد

بلغ الخليفة العباسى هارون الرشيد، من القوة مبلغا عظيما، لكن ولديه «الأمين والمأمون» كانا دراما حياته، فبقدر ما كان يمسك دولة العباسيين من أطرافها إلى قلبها بكل قوة، لم يكن يشعر بالاطمئنان إلى بقائها فتيّة بعد وفاته، فولداه يضمران الشر لبعضهما البعض. ومما يُروى أن «الرشيد» فى أواخر أيامه كشف عن بطنه لأحد أصدقائه، فإذا عليها عصابة من حرير، ثم قال له: «هذه علة أكتمها عن الناس كلهم، وكل واحد من ولدى على رقيب، وما منهم أحد إلا وهو يحصى أنفاسى ويستطيل دهرى».

اشتدت العلة على هارون الرشيد وهو فى طريقه إلى خراسان للقضاء على ثورة «رافع بن الليث» وتُوفِّى فى مثل هذا اليوم (٢٤ مارس ٨٠٩)، وبمقتضى هذه الوفاة، أصبح فى نفس اليوم ابنه «الأمين» خليفة المسلمين الجديد.

بدأ الطريق إلى «الأمين» من اللحظة التى خضع فيها «هارون» لتأثير زوجته «زبيدة» ابنة عمه «جعفر المنصور»، والتى أقنعته بأن يعطى ولاية العهد لابنه «الأمين» لأنه هاشمى خالص، وتقاطعت هذه الرغبة فى البداية مع رغبة «هارون»، الذى كان يميل إلى إعطاء ولاية العهد لـ«المأمون» باعتباره الأكبر، والأكثر رجاحة فى العقل والتفكير والأدب والتزامه بأدب السلاطين والخلفاء، بينما كان «الأمين» مستهترا، غير أن نقطة ضعف «المأمون» ظلت

فى أمـه «مراجـل» التـى كانـت جاريـة فارسـية، وماتـت بعـد ولادتـه بأيـام قليلـة، لكنهـا تركـت لـ«المأمـون» مسـألة أن نصفـه «أعجمـى».

لبـى «هـارون» رغبـة زوجتـه «زبيـدة» وأعطـى ولايـة العهـد لـ«الأمـين» وعمره ٥ سـنوات، عـلى أن يخلفـه شـقيقه «المأمـون»، وكانـت هـذه القسـمة الطريـق إلى الفتنـة بـين الشـقيقين، ويحفظهـا تاريخنـا الإسـلامى باسـم: «الفتنـة الثالثـة» بعـد فتنتَـىْ قتـل عثـمان بـن عفـان، ثـم قتـل عـلى بـن أبـى طالـب (رضى الله عنهـما).

أعطـى المأمـون «البيعـة» لأخيـه «الأمـين»، وأقـام فى خراسـان وأهـدى لأخيـه تحفـا ونفائـس، غـير أن الشـك بينهـما كان قائـما فى النفـوس، ومـن وراء السـتار كانـت «زبيـدة» أم «الأمـين» تواصـل مخططهـا للمسـتقبل بإقنـاع ولدهـا بـأن يخلـع ولايـة العهـد مـن شـقيقه «المأمـون» عكـس مـا قـرر والـده.

أمـر «الأمـين» بالدعـاء لابنـه موسـى بولايـة العهـد، بعـد ولى العهـد «المأمـون» والقاسـم، فانطلقـت شرارة الفتنـة بـين الشـقيقين، لتتحـول إلى حـروب، وسـاعد عليهـا سـوء حكـم «الأمـين» ممـا صرف عنـه الكثـير مـن الأتبـاع والقـادة.

فى الجولـة الأخـيرة مـن صراع الاثنـين، كان نصيـب «الأمـين» القتـل، ولمـا بلـغ «زبيـدة» هـذا الخـبر بعثـت برسـالة إلى «المأمـون» تقـول فيهـا: «أهنئـك بخلافـة قـد هنـأت نفسـى بهـا عنـك قبـل أن أراك، ولئـن كنـت قـد فقـدت ابنـا خليفـة، فقـد عُوِّضـت ابنـا خليفـة لم ألـده وأسـأل الله أجـرا عـلى مـا أخـذ، وإمتاعـا بـما عـوض» وأكرمهـا المأمـون حتـى ماتـت.

٢٥ مارس عام ١٩٦٦
وفاة «القصبجى».. المجدد الأعظم فى الموسيقى العربية

قال لى الموسيقار الكبير الراحل كمال الطويل فى لقاء بمنزله بحى «الزمالك» عام ١٩٩٦، إنه سأل الموسيقار محمد القصبجى: «لماذا تكتفى بأن تكون عازفا للعود فى الفرقة الموسيقية التى تصاحب أم كلثوم فى حفلاتها الغنائية، وأنت المجدد الأعظم فى الموسيقى العربية؟»، فأجابه القصبجى: «مش عارف يا كمال كل ما أنوى أعمل لحن جديد لأم كلثوم يطلع لى عفريت».

قال لى كمال الطويل هذه الكلمات، وأنا أحصل منه على شهادة حول علاقته بأم كلثوم، وضمَّنتها فى كتابى «أم كلثوم وحكام مصر»، الصادر عن جزيرة الورد، القاهرة، وامتد الحديث إلى الكبار الذين سبقوه، ومنهم محمد القصبجى الذى رحل فى مثل هذا اليوم (٢٥ مارس ١٩٦٦).

لم تكن شهادة «الطويل» هى الوحيدة فى حق «القصبجى» فالموسيقىّ اللبنانى توفيق الباشا يصفه بـ«أستاذ النغم بكل تعقيداته»، وفى كتابه «السبعة الكبار فى الموسيقى العربية المعاصرة» يقول المؤرخ الفنى والموسيقى اللبنانى ڤيكتور سحاب: «القصبجى هو المؤلف الموسيقى الكبير المكتمل الشروط».

محمد القصبجى المولود يوم ١٥ أبريل ١٨٩٢ (بعد مولد سيد درويش بـ٢٩ يوما)، فى قصة حياته الشخصية والفنية دراما كبيرة اسمها «أم كلثوم»، فهو الأب الفنى الحقيقى لها منذ انتقالها من قريتها «طماى الزهايرة» محافظة

الدقهلية إلى القاهرة، وقدم لها فى بدايتها أعظم الألحان التى نقلت الغناء العربى إلى عصر جديد، وبلغ ذروة تألقه مع أغنية «رق الحبيب» عام ١٩٤٤، ولم تكتمل المسيرة بينهما بنفس المستوى، واعتقدت «أم كلثوم» حسب رأى المؤرخ الموسيقى محمود كامل: «أن إلهامه نضب»، غير أن ڤيكتور سحاب يطرح سؤالا: «ليس من وسيلة للتيقن بأيهما السبب، وأيهما النتيجة، أهو النضوب فى إلهامه أدى إلى عزوفها، أم عزوفها أدى إلى نضوبه حقا؟».

لم يكن هذا النضوب وليد الصدفة، وإنما كان حبه الملتهب لأم كلثوم وصدها له بمثابة العامل الذى قهره إبداعيا معها، بعد أن فشل فى الوصول إلى الصيغة الإنسانية التى توصل لها الشاعر أحمد رامى لحسم مسألة حبه لها، حيث قرر أن يضع لوعة حبه الضائع فى أشعار غنائية تتغنى بها.

قدم القصبجى عشرات الألحان من الألوان الغنائية المختلفة لـ«منيرة المهدية، أم كلثوم، أسمهان، سعاد محمد، ليلى مراد، كارم محمود، شهرزاد، عبد الغنى السيد، فتحية أحمد، نجاة على، نور الهدى»، وغيرهم، وشملت «المونولوج، والطقطوقة، والقصيدة».

فى كتابها «محمد القصبجى- الموسيقى العاشق»، الصادر عن دار الشروق، القاهرة، تتحدث الدكتور رتيبة الحفنى، عن سنواته الأخيرة التى عاش فيها وحيدا خاصة بعد أن طلبت منه أم كلثوم الراحة، فلم يُعد يظهر معها فى فرقتها الغنائية، وأدى ذلك إلى اكتئابه، وظل فى منزله نحو عامين يعانى العزلة وعدم سؤال الناس، مما زاده مرضا وقلة رغبته فى الحياة، وفى يوم ١٠ ديسمبر ١٩٦٥ أُصيب بجلطة فى المخ وشلل نصفى أيسر، ونجا منها وطالبه الأطباء بالراحة، إلا أنه لم يستسلم بل حضر اجتماع لجنة الموسيقى الذى كان مقررا أن يناقش ترشيحه للحصول على جائزة الدولة التقديرية، ولم يحصل عليها.

٢٦ مارس عام ١٩٣٨
منع قبول «مومسات» جديدات والاكتفاء بـ« المرخصة»

كان فى مصر نشاط شرعى ورسمى اسمه «البِغَاء»، له قوانينه ولوائحه ورجاله وسيداته، ومر بمراحل نشاط وانكماش، ومن أيامه التى تحفظها كتب التاريخ، يوم (٢٦ مارس ١٩٣٨) الذى قرر فيه وزير الصحة «عدم قبول مومسات جديدات، وعدم الترخيص بفتح بيوت دعارة جديدة غير الموجودة فعلا».. كان هذا هو نص القرار الذى يحمل وراءه حكاية طويلة عن تاريخ البغاء فى مصر.

هى قصة قديمة، لكننا نبدؤها من عصرنا الحديث، منذ وقت اعتراف الحكومة به ووضع لائحة بيوت العاهرات فى ١٥ يوليو ١٨٩٦، ولائحة ثانية فى ١٦ نوفمبر ١٩٠٥، والتى قالت شروطها: أن يكون للبيت باب واحد فقط، ولا يجوز وجود اتصال بينه وبين مساكن أخرى أو محلات عمومية، وبيت العاهرات هو البيت الذى تجتمع فيه امرأتان أو أكثر من المتعاطيات عادة فعل الفحشاء، ولو كانت كل منهن ساكنة فى حجرة منفردة منه، أو كان اجتماعهن فيه وقتيًا.

والراغبون فى فتح بيت للعاهرات يتقدمون بطلب للمحافظة قبل فتحه بـ ١٥ يومًا، ويُحدد فيه الاسم والسن ومحل الميلاد، وأن يكون بالغًا وغير محكوم عليه بعقوبة جنائية لارتكابه جناية عادية، أو سرقة أو تزوير أو نصب أو خيانة أمانة، ولا يجوز للبوليس دخول هذه البيوت نهارًا لضبط المخالفات،

ولا يجوز لهم الدخول ليلًا إلا عند حدوث ما يخل بالأمن العام، أو عند حدوث استغاثة.

فى كتاب «البغايا فى مصر» لمؤلفه عماد هلال، وكتاب «مجتمع القاهرة السرى ١٩٠١-١٩٥١» للدكتور عبد الوهاب بكر، الصادرين عن «العربى للنشر والتوزيع، القاهرة» نعرف حدود هذا النشاط الآثم الذى عرفته مصر، وتم تقنينه فى القرن التاسع عشر والقرن العشرين، ونعرف أماكنه وطبيعة رجاله ونسائه، ومن أشهر مناطقه، الأزبكية، باب الشعرية، العباسية، السيدة زينب، بولاق، الخليفة، الوايلى، هذا بخلاف الأقاليم.

جاء قرار وزير الصحة بعدم قبول مومسات جديدات فى يوم ٢٦ مارس ١٩٣٨، على خلفية حملة ضارية قادها الشيخ محمود إبراهيم أبوالعيون، انتهت إلى تجريم هذا النشاط عام ١٩٤٩، وذلك من خلال سلسلة من المقالات فى الصحف، ومع انعقاد أول برلمان مصرى عام ١٩٢٤ أرسل «أبوالعيون» طلبًا يقترح فيه العمل على إلغاء البغاء رسميًا فى مصر، ولاقت الحملة تجاوبا فى المحافظات، وكان مجلس محلى بنها أول من قرر إلغاءه، لكن الداخلية رفضت، وتلته بعد ذلك محافظات أخرى.

المثير فى هذه القضية، المعركة التى نشبت بين «أبوالعيون» وبعض الأحزاب ورموز السياسة والفكر، خاصة حزب «الأحرار الدستوريين»، وجريدة «السياسة» برئاسة الدكتور محمد حسين هيكل، حيث شنت هجومًا ضاريًا على «أبوالعيون» وصل إلى حد وصف محرر «السياسة» له بـ«الشيخ الباغى البذىء الأحمق»، و«الشيخ الدجال»، كما قال فكرى أباظة الكاتب الصحفى والنائب البرلمانى: «إلغاء البغاء جريمة»؛ غير أن الدكتور إبراهيم الدسوقى أباظة قال: «من العار أن يبقى البغاء رسميًا فى مصر»، وكانت حجة الرافضين أن إلغاءه سيعنى انتشاره سريًا، وبالتالى ستصعب الرقابة عليه!

٢٧ مارس عام ١٩٣٤
رحيل «مختار» الذى رد لمصر بعض حظها من المجد الفنى

«كان يرى أن أيام مرضه الطويل هى هذا الحائط الذى هيأه لاستقبال مرحلة جديدة، أُصيب فى يده التى هى أداة إبداعه، لكنه رغم ذلك أبقى على أمل الشفاء، ومعه آمال واسعة بإنجاز مشروعات أخرى عظيمة، كان رغم المرض يتحدث عن تمثاله لـ«الإسكندر الأكبر» الذى سيقيمه بمدخل الإسكندرية، وتمثاله لـ«أحمد عرابى»، وعن معانى الثورة التى يود أن يعبر عنها من خلاله، لكن المرض كان يحيله يوميًا إلى هزال حتى عجّل به فى مثل هذا اليوم، ٢٧ مارس ١٩٣٤».

هكذا يتحدث بدر الدين أبوغازى، الناقد الفنى الراحل، وزير الثقافة عام ١٩٧٠، عن معجزة مصر الفنية «مختار»، والحديث فى كتابه «المثّال مختار» الصادر عن الهيئة العامة للكتاب، القاهرة.

كانت رحلة محمود مختار فى الحياة قصيرة، لكنه كان باعثًا للنهضة الفنية الحديثة فى مصر.. عاش ٤٣ عامًا (مواليد ١٠ مايو ١٨٩١)، لكنه وكما يقول «أبوغازى»: «أثر مختار فى مجال الفنون كأثر محمد عبده فى مجال الإصلاح الاجتماعى، وأثر سعد زغلول فى مجال الزعامة القومية والسياسية، وأثر طلعت حرب فى المجال المالى والاقتصادى، وحياته كحياتهم خلقت الظروف وصنعت الحوادث، وخطت بإرادة الإصرار أثرًا كبيرًا».

«مختار» ابن الجيل الذى كان يبحث لمصر عن ذاتها، الجيل الذى وضع أسسًا لنهضة مصر الحديثة بكل تجلياتها الفكرية والسياسية التى مهدت لثورة ١٩١٩، وتواصلت بعد الثورة.

أبدع «مختار» تماثيل «نهضة مصر»، و«سعد زغلول»، و«أم كلثوم»، وتراثًا ضخمًا من تماثيل الميدان، وتكمن معجزته الفنية، كما يقول «أبوغازى»، فى قدرته على التعبير عن شخصية بلده، وفى إبداع أسلوب فنى خاص به، رغم تيارات العصر المتعارضة.. وبرغم انقطاع تجربة مصر فى النحت منذ آلاف السنين لم يقتصر تراث «مختار» على تماثيل الأشخاص، وإنما «أخذ من حياة القرية قصائد منحوتة صاغ منها أجزاءها ومشاعرها وأفراحها».

خرج «مختار» من قريته بمحافظة الدقهلية فلاحًا مجهولًا إلى القاهرة للدراسة، واستكملها فى باريس عام ١٩١١، فيصبح هناك «حدوتة فرنسا».. وكدليل على اعتراف الحكومة الفرنسية بنبوغه اقتنت منه تمثال «عروس النيل»، ووضعته فى مقدمة تحفها بمتحف «چى دى بوم» الذى أنشأته خصيصًا لتحفظ فيه ما تقتنيه من أعمال مشاهير الفنانين فى بلاد العالم.

وعلى الرغم من أنه قضى حياته فى فرنسا، فإنه ظل ابن مصر المعجون بتفاصيل حواريها وقراها وبسطاء شعبها، ومن هذه الروح امتلك طبيعة الثائر وروح التمرد على الأوضاع، وصاحب الأفكار التى يودعها فى تماثيله، يؤكد فيها سيادة الشعب وقيمه.

ويحكى «أبوغازى» أنه عندما بدأ عمل تمثال للملك فؤاد، وأبدى الملك ملاحظة رأى فيها «مختار» أنها مساس بكرامته الفنية، لم يتردد فى أن يتوقف عن العمل، ويحطم التمثال، وصنع تمثالًا كاريكاتوريًا للملك، وكاد هذا الموقف يطيح به، لولا أن تداركه بعض الأصدقاء، وألقوا ظلالًا حجبت معالم الحدث.

بعد أيام من وفاته كتب عميد الأدب العربى الدكتور طه حسين: «مختار رد إلى مصر بعض حظها من المجد الفنى».

٢٨ مارس عام ١٩٤١
السفير البريطانى يخاطب حكومته: القاهرة مقلب عام للاجئين

كان لـ«القاهرة» وجه آخر فى الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩-١٩٤٥)، منه ما سمته «أرتيميس كوبر» بـ«الوافدين الجدد»، وذلك فى كتابها «القاهرة فى الحرب العالمية الثانية»، الصادر عن دار الموقف العربى، ترجمه الكاتب محمد الخولى.

نقرأ فى الكتاب عن تدفق اللاجئين من دول «البلقان» على مصر بعد اجتياح الجيش النازى لها، وفى تلخيص بليغ لمشهدهم، تقول المؤلفة: «كان منهم أفراد بغير اسم وبغير وطن، يتشبثون بأحمالهم وأطفالهم، ولكن كان من بينهم أيضا موكب صغير من الرءُوس المتوَّجة فى البلقان».

تقصد المؤلفة بـ«الرؤوس المتوجة» الملوك وأسرهم الذين تركوا بلادهم، ولأن مصر كانت تحت الاحتلال البريطانى والقرار قراره، جهزت السلطات البريطانية كل شىء لمجىء هؤلاء «الوافدين» حتى تكتب الحرب كلمتها الأخيرة.

يتحدث الكتاب عن أن أول مجموعة ملكية تصل إلى القاهرة خلال هذه الفترة تألفت من الوصى السابق على عرش يوغسلافيا، الأمير «بول» مع زوجته الأميرة «أولجا» وأبنائهما الثلاثة، واللافت-كما يقول الكتاب- أن رئيس الوزراء المصرى حسين سرى باشا لم يكن تم إخطاره بوصول هذه الأسرة الملكية، مما أثار ثائرته، حسبما يذكر السفير البريطانى فى مصر «مايلز لامبسون»أو «اللورد كليرن» فى مذكراته.

لم يكـن تجاهـل بريطانيـا للحكومـة المصريـة فى ذلـك أمـرا اسـتثنائيا، وإنـما صـار عـلى نفـس النهـج باسـتمرار، وكتـب «مايلـز» فى مثل هـذا اليـوم ٢٨ مـارس ١٩٤١ يصـف الطريقـة التـى تتعامـل بهـا لنـدن مـع القاهـرة فى ذلـك عـلى أنهـا: «مقلـب عـام تلقـى فيهـا باللاجئين السياسـيين».

تكـرر غضـب «حسـين سرى» مـرة ثانيـة بعـد أن وصـل إلى مـصر مجموعـة مـن أعيـان الـصرب قوامهـا ثلاثـون، وكانـت الترتيبـات التـى تمـت بشـأن وصولهـم وإقامتهـم تتـم بعيـدا عـن الحكومـة المصريـة التـى كان الاحتـلال يعاملهـا بتجاهـل تـام، ولا يعيرهـا أى نـوع مـن الاحـترام، وأوصى هـؤلاء بالإبقـاء عـلى الأمـير «بـول» تحـت رقابـة مشـددة، حتـى لا يتآمـر ضدهـم، وفى هـذا الشـأن الرقابـى لم يكـن الأمـر مصريـا، وإنـما شـأن بريطانـى يـدور عـلى أرض مـصر.

فى هـذا الجانـب تأتـى قصـة الملـك جـورج، ملـك اليونـان، وحسـبما يأتـى فى الكتـاب: «هـرب مـن أثينـا مثـل يسـوع المسـيح عـلى ظهـر حمـار، وإن كان يرتـدى قبعـة مـن الخـوص وكان معـه رئيـس وزرائـه «عمانويـل سـوديروس» وعـدد مـن أعضـاء العائلـة المالكـة، وطـاروا جميعـا إلى «كريـت» لأن الملـك أراد البقـاء عـلى أرض يونانيـة حتـى آخـر لحظـة ممكنـة، ثـم فى منتصـف مايـو تـم إجلاؤهـم إلى القاهـرة، وذلـك دون معرفـة أيضـا مـن الحكومـة المصريـة.

كان للملـك اليونانـى جـورج عشـيقة تدعـى «جويـس بريتـين جونـز» وطلـب أن تلحـق بـه، وكانـت وزارة الخارجيـة البريطانيـة تـرى أن تأثيرهـا عـلى الملـك جـورج أمـرا مفيـدا مـن جميـع النواحـى، ولهـذا لبـت مطلبـه، وأرسـل «أنتونـى إيـدن» وزيـر الخارجيـة البريطانـى رسـالة إلى السـفير البريطانـى فى مـصر «مايلـز لامبسـون» يطلـب فيهـا العنايـة بـ«جويـس»، واعتبـار زيارتهـا إلى القاهـرة أمـرا فى طـى الكتـمان الشـديد.

٢٩ مارس عام ١٩١٠
مظاهرات ضد خطاب «روزڤلت» فى الجامعة المصرية

«إن بعض الجهلاء يعتقدون أن منح الأمة دستورًا على الورق، خاصة إذا كان مفتتحًا بعبارات فخيمة، من شأنه أن يمنح الأمة قوة الحكم الذاتى، مع أن شيئًا من ذلك لا يكون بتاتًا».

كانت الكلمات السابقة للرئيس الأمريكى «تيودور روزڤلت» الذى شغل منصبه منذ عام ١٩٠١ إلى عام ١٩٠٩، وألقاها فى الجامعة المصرية «جامعة القاهرة» فى مثل هذا اليوم (٢٩ مارس ١٩١٠)، بعد ترك منصبه بنحو عام وثلاثة أشهر، وكان ضيفًا على مصر بعد جولة صيد له فى أفريقيا استمرت شهرين، زار فى نهايتها السودان، وألقى فيها خطابًا أشاد فيه بالاحتلال البريطانى لمصر.

توجه «روزڤلت» إلى الجامعة المصرية بدعوة من رئيسها الأمير فؤاد (الملك فؤاد فيما بعد) ليلقى فيها خطابه الذى فاجأ المصريين به.

أشعل الخطاب غضب الحركة الوطنية المصرية، خاصة أنه جاء فى توقيت كانت تطالب فيه بالاستقلال عن الاستعمار البريطانى، بالإضافة إلى نضالها من أجل وضع دستور وطنى، ولأن الخطاب سار عكس هذه المطالب تمامًا، عَدَّته الحركة الوطنية طعنًا فى ظهرها، وتشجيعًا لبقاء الاحتلال فى مصر.

وحين نتأمل هذا الخطاب الآن، سنجده يعبر عن طبيعة استعمارية خالصة، تحمل نظرة استعلائية حملتها دول الاستعمار الغربى للمنطقة، كما أنه يفتقد أى

روح دبلوماسية، حيث وصف صراحة مطالب الحصول على الدستور لبلد فى ظروف مصر بـ«الجهل».

كانت ردود الفعل قوية على ما ذكره «روزفلت»، ويسجلها المؤرخ عبد الرحمن الرافعى فى كتابه «محمد فريد»، مشيرًا إلى أنه فى مساء نفس اليوم اجتمعت اللجنة التنفيذية للحزب الوطنى، وكان أكبر الأحزاب المصرية وقتئذ، وكتبت اللجنة ردًا قويًا تؤكد فيه رفضها الخطاب، وأرسلته إلى «الضيف الأمريكى»، وأرسلته إلى إدارة الجامعة المصرية، معلنة احتجاجها على السماح بإلقاء الخطاب فى دارها، ومنحها «الخطيب» لقب الدكتوراه بعده، وأرسلته إلى الصحف الأوروبية والأمريكية الكبرى.

وأقام الحزب مؤتمرًا بمسرح «بيلوت باسك» بشارع عماد الدين، ألقى فيه «على فهمى كامل»، شقيق الزعيم مصطفى كامل، خطابًا ناريًا، خرج الحاضرون بعده فى مظاهرة هائلة تحمل علم مصر، وسارت حتى فندق «شبرد»، مقر إقامة «روزفلت»، وهتفوا بسقوطه وبالاستقلال والدستور.

ولم تقتصر الاحتجاجات والمظاهرات على القاهرة، بل امتدت إلى الإسكندرية، فعندما وصل «روزفلت» إلى الميناء ليستقل الباخرة إلى أوروبا، فوجئ بمظاهرة حاشدة تستقبله فى الميناء تهتف بنفس الهتافات التى استمع إليها فى القاهرة.

وعمّ الغضب الصحافة المصرية، حيث أفردت صحيفة «اللواء»، لسان حال الحزب الوطنى، صفحاتها للتنديد بما ذكره الضيف الأمريكى، وفى صحيفة «المؤيد» كتب صاحبها الشيخ على يوسف مقالًا ناريًا يرفض الخطاب، وانتقل الغضب إلى ميدان الشعر، حيث كتب الشاعر «حافظ إبراهيم» قصيدة قال فيها:

أى خطيب الدنيا الجديدة شنف سمع مصر بقولك المأثور

إنما شوقها لقولك يا «روزفلت» شوق الأسير للتحرير

٣٠ مارس عام ١٩٥٩
معركة بين عبد الناصر وخروشوف..
ومصر تنقل طلابها من موسكو لواشنطن

وقف جمال عبد الناصر أمام مئات من ضباط الجيش يخطب قائلاً: «إننا نريد صداقة الاتحاد السوفيتى ونرفض سيطرته»، ثم أضاف: «الشيوعيون يشنون حربا مسعورة ضدنا، تساندهم فى ذلك قيادة الاتحاد السوفيتى، وبذلك فإن هذه الأحزاب أثبتت أنها ليست إلا عميلًا لقوة كبرى».

قال «عبد الناصر» الكلمات السابقة فى مثل هذا اليوم (٣٠ مارس ١٩٥٩)، فى سياق هجوم كاسح ومتبادل مع القيادة السوفيتية بزعامة «خروشوف»، وتابعها العالم أجمع لأسباب كثيرة، أهمها دفء العلاقة بين مصر والاتحاد السوفيتى، فى مقابل برودتها بين مصر وأمريكا.

كان الخلاف عقائديًا وسياسيًا فى آنٍ واحد، لكن الأهم فيه أن مصر وقتئذ لم تسلم إرادتها لقوة كبرى بحجم الاتحاد السوفيتى، القطب الثانى المهيمن على العالم، وجاء هجوم «عبد الناصر» فى فصل من الهجوم المتبادل بين الطرفين بسبب الاشتباكات الدامية بين الشيوعيين والقوميين العرب فى العراق، وتدخل فيها الاتحاد السوفيتى علنًا لصالح الشيوعيين، ولما حدثت المشادات بين «عبد الناصر» و«خروشوف»، أعلنت تنظيمات شيوعية مصرية تأييدها للقيادة السوفيتية، فرد «عبد الناصر» باعتقال عدد كبير من أبناء هذه التنظيمات.

غـير أن هـذا الفصـل مـن التاريـخ يشـمل قصـة مـن المفيـد التوقـف أمامهـا كثـيرًا، لأنهـا تتعلـق بمسـألة اسـتقلالية القـرار الوطنـي، ويرويهـا محمـد حسـنين هيـكل في كتابـه «سـنوات الغليـان»، وتبـدأ بتلقّـي «عبـد النـاصر» بعـض الرسـائل مـن طلبـة البعثـات الدراسـية المصريـة في الجامعـات السـوفيتية، يشـتكون فيهـا مـن سـوء المعاملـة التـي بـدءُوا يتلقونهـا فجـأة، وكان أشـد مـا أثـاره خطـاب مـن طالبـة تـدرس العلـوم الطبيعيـة النوويـة، قالـت فيـه إنهـا تجـد نفسـها مرغمـة عـلى النـوم في غـرف تضـم ثـلاث طالبـات مـن جنسـيات مختلفـة، وعـن شـيوعيات مقاتـلات، ويتحدثـن معهـا بإهانـة، بدعـوى أن مـصر غـيرت سياسـتها، وتخلـت عـن المعسـكر التحـررى، ثـم شـكت مـن أن غـرف النـوم تقـع فى عنابـر مختلطـة للجنسـين.

يقـول «هيـكل» إن «عبـد النـاصر» أطلعـه عـلى هـذه الخطابـات، وقـال لـه إنـه يريـد ردًا موجعًـا فى هـذا الموضـوع بالـذات، وطلـب منـه أن يتوجـه إلى السـفير الأمريكـى، ريمونـد هـير، ليسـأله إن كان باسـتطاعة أمريـكا توفـير أماكـن في جامعاتهـا لهـؤلاء الدارسـين المصريـين، حتـى يفهـم السـوفييت أن مـصر ليسـت رهينـة لأحـد.

يضيـف «هيـكل»، أنـه قابـل السـفير الأمريكـى وناقـش معـه الموضـوع، فسـأله السـفير عـن عـدد الدارسـين المطلـوب توفـير فـرص لهـم للدراسـة، ونبهـه إلى أن الفـترة الدراسـية للربيـع بـدأت في الجامعـات الأمريكيـة، فأجابـه «هيـكل» أن عـدد الدارسـين قرابـة مائتـين، فأمسـك «هـير» رأسـه بيديـه مفزوعًـا مـن العـدد، وقـال، إن الأمـر يحتـاج إلى قـرار عـلى أعـلى مسـتوى في الولايـات المتحـدة، وإنـه سـيكتب فيـه ليـس فقـط إلى وزارة الخارجيـة، وإنـما إلى البيـت الأبيـض. ويقـول «هيـكل» إنـه عنـد منتصـف الليـل اتصـل بـه «هـير» ليقـول لـه إنـه تلقـى قبـل دقيقـة واحـدة ردًا إيجابيًـا عـلى الطلـب، وإن كل القواعـد سـوف يجـرى كسرهـا، وإن نفـوذ الرئيـس «إيزنهـاور» سـوف يجـرى اسـتعماله لـدى الجامعـات الأمريكيـة لتقبـل هـذه الأعـداد، وتـم نقلهـم بالفعـل.

٣١ مارس عام ١٩٧٥
رحيل يوسف صِدِّيق بطل ثورة يوليو وعدو فلسفة «امشى جنب الحيط»

يحكى يوسف صديق البطل التاريخى فى قصة ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢، أنه كان طالبا صغيرا فى بداية المرحلة الثانوية، وكان يعيش فى القاهرة تحت ولاية قريب له، وهو موظف صغير يعيش على فلسفة «امشى جنب الحيط»، وتصور يوسف صديق أن تلك الفلسفة هى طوق النجاة لمواصلة الحياة، غير أنه وفى يوم من أيام عام ١٩٢٤ كان عائدا من المدرسة «الخديوية» إلى المنزل، فشاهد جمعا من الطلاب يخطب فيهم طالب من «البكالوريا»، وبعد متابعته انتهى به الأمر إلى مشاركته فى مظاهرة زحفت إلى بيت سعد زغلول «بيت الأمة»، لتنضم إلى آلاف الطلاب، ولما خطب فيهم «سعد» انفعل «صديق» بحماس كبير، ثم توصل إلى فساد فلسفة «امشى جنب الحيط»، ليتحول إلى نقيضها تماما حتى رحيله فى مثل هذا اليوم (٣١ مارس ١٩٧٥)، بعد حياة بدأت يوم ٣ يناير ١٩١٠ بقرية «زاوية المصلوب» مركز الواسطى محافظة بنى سويف.

فى مذكراته التى تأتى مع شهادات أخرى فى كتاب «من أوراق يوسف صديق»، الصادرة عن الهيئة العامة للكتاب، القاهرة نعرف بعضا من سيرة هذا الرجل العظيم، الذى لولاه لما نجح خروج تنظيم الضباط الأحرار ليلة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ضد الملك فاروق، فهو الذى ترك المستشفى حيث كان يُعالج من نزُف فى الرئة، ليقود كتيبته ويقتحم مقر القيادة العامة للقوات

المسلحة ويعتقل العديد من قادتها، وعلى رأسهم قائد الجيش الفريق «حسين فريد».

أنقذ تحركه الثورة، على الرغم من أنه جاء قبل ساعة الصفر المتفق عليها بنحو ساعة، والسبب أن مخطط الضباط الأحرار كان قد انكشف لـ«الملك فاروق» الموجود فى الإسكندرية، وكانت قيادة القوات المسلحة تعقد اجتماعا فى القاهرة لاتخاذ إجراء مضاد لإجهاض مخطط الانقلاب على «الملك»، والإجراء المضاد بالطبع هو اعتقال أعضاء التنظيم.

وحين نرد تصرف «يوسف صديق» لأصوله سنجد فيه تطبيقا عمليا لرفضه لفلسفة «امشى جنب الحيط»، نجد فيها قلب «الفارس» الذى سيظل متوهجا بالتمسك بما يؤمن به، فيختلف باحتدام مع مجلس قيادة ثورة يوليو، وينحاز إلى محمد نجيب ضد جمال عبد الناصر، ويحكمه فى ذلك يساريته التى اهتدى إليها وآمن بها فكرا منذ أن كان ضابطا فى الجيش.

خلافاته مع جمال عبد الناصر هى الآن فى ذمة التاريخ وفى عهدة المؤرخين للحكم عليها، مع الأخذ فى الاعتبار أنها قادته إلى السجن تارة، والسفر إلى الخارج تارة أخرى، وتحديد إقامته أحيانا، غير أننا أمام ثائر يجمع بين الرومانسية الحالمة، والواقعية الصلبة، فى الرومانسية الحالمة هو يكتب الشعر، وفى الواقعية الصلبة يسعى لأن يجعل من صفاء الشعر حقيقة فى الواقع.

فى وفاة جمال عبد الناصر يوم ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠، كتب قصيدة رثاء بعنوان «دمعة على البطل»، قال فيها:

«بكتك عيون أهل الأرض حولى

فكيف أصون بين الناس دمعى

رسمت لنا الطريق وسوف نمضى

على هذا الطريق بغير رجع»

١ أبريل عام ١٩٨٧
وفاة «القِدِّيس الصعلوك» عبد الرحمن الخميسى فى موسكو

يلخص الكاتب الكبير محمود السعدنى حياة وشخصية عبد الرحمن الخميسى، قائلا: «يكفى الخميسى أنه هو الذى مهد الطريق أمام يوسف إدريس وسعاد حسنى ومحرم فؤاد والشاعر الشرنوبى الذى مات فى ريعان الشباب تحت عجلات قطار فى طريقه إلى دمنهور، صحيح أن الخميسى نام فى حدائق القاهرة ولكنه نام فى أفخر أحيائها وفى أفخم شققها، وعاش حياته كلها فى قصص حب متصلة، وصادق الأثرياء وصادق الفقراء، واشتغل بالسياسة وعاملها معاملة الأدب».

عبد الرحمن الخميسى، هو قصة إنسانية فريدة، كان شاعرا، مؤلفا موسيقيا، مؤلفا، مخرجا، مذيعا، صحفيا، مناضلا، ممثلا، ومن أشهر أدواره دور الشيخ يوسف فى فيلم «الأرض» لـ«يوسف شاهين»، ورغم كل ذلك فإنه وحسب تعبير الكاتب «كامل زهيرى»: «كانت حياته أروع أشعاره».

كتب عنه أحمد بهاء الدين: «دهشت عندما قرأت فى نعيه أنه تُوفِّى عن سبعة وستين عاما فقط، لا لشيخوخته، فقد كان أكثر من عرفت شبابا ونشاطا وحركة، ولكن لكثرة ما أنتج، وكثرة ما عاش، وكثرة ما سُجن، وكثرة ما سافر فى أنحاء الدنيا، وكثرة ما ترك من الأبناء والبنات فى شتى عواصم العالم».

أما الشاعر والكاتب «كامل الشناوى» فقال: «تمنيت أن أكون على شاكلة الخميسى، ألوى ذراع الحياة كلما عاندتنى، الخميسى فى الحقيقة هو التجسيد الحى لواقع أحلامى التى لم تتحقق أبدا».

فى قرية «منية النصر» بمحافظة الدقهلية كان ميلاده (١٣ نوفمبر ١٩٧٠)، وفى مثل هذا اليوم (١ أبريل ١٩٨٧) كانت وفاته فى موسكو التى عاش فيها ١٣ عاما متصلة، وبين الحياة والموت عاش عمره الذى يمكن تلخيصه فى قوله: «آمنت بأن الإنسان على ضوء محبته للناس والأشياء، يستطيع بذلك أن يمتلك النور الذى يكشف به أسرار الحياة، وأن يرى أجزاء المثل الأعلى بادية أو خافية داخل كل ظاهرة»، وحين تطالع سيرته يستوقفك فيها معنى وقيمة فضيلة الاستغناء التى تعطى للإنسان قوة وكرامة، ويستوقفك جمال الحياة حين تزخر بهؤلاء الموهوبين بالعطاء بلا حدود.

فى سيرة «الخميسى» التى يستعرضها يوسف الشريف فى كتابه «القديس الصعلوك»، الصادر عن الهيئة العامة للكتاب، يحكى قصة اكتشافه لسندريلا السينما المصرية سعاد حسنى، وجعلها بطلة فيلم حسن ونعيمة الذى كتب قصته، وجاء ذلك بعد أن شاهدها لأول مرة: «واقفة لصق حوض مياه فى الممر، تغسل بعض ملابسها، وتدعكها دعكا بيديها، وخصلات شعرها تغطى جبينها، وأجزاء من وجهها، ولم أكن أدرى لحظتها أن جدائل شعرها المنسكبة، تختزن وراءها تلك اللؤلؤة النادرة المثال والتى أصبحت تخلب بالفن قلوب الملايين».

ترك «الخميسى» مصر لرفضه قرار الرئيس أنور السادات بطرد الخبراء السوفيت من مصر قبل حرب أكتوبر ١٩٧٣، وكان السادات وقوى اليسار كلها قد دخلا فى حالة طلاق بائن، بعد الحرب، وهاجر «الخميسى» إلى لبنان ثم العراق، حتى حط فى موسكو عام ١٩٧٤، وفيها حصل على وسام «لينين للسلام»؛ تقديرا لدوره كواحد من أبرز المناضلين والمبدعين فى العالم الثالث.

٢ أبريل عام ١٩٦٨
البابا كيرلُّس يؤكد ظهور العذراء في كنيسة الزيتون والآلاف يحتشدون

ظهرت فتاة فى ملابس بيضاء تقف على أعلى القبة البحرية لكنيسة العذراء بـ«الزيتون»، فظن المارة أنها ترغب فى الانتحار، فتجمعوا صارخين: «حاسبى يا ست»، وبعد لحظات رأى الناس شعاع نور باهرا يأتى من فوق القبة الكبرى للكنيسة، وتشكَّل النور إلى فتاة متشحة بثياب بيضاء بجوار الصليب الذى يعلو القبة الوسطى.

كانت القصة يوم ٢ أبريل ١٩٦٨، وفور إثارتها شغلت مصر كلها، ليبدأ الحديث عن أن هذا الظهور هو للسيدة مريم العذراء التى تجلت فى مناظر «نورانية روحانية». ولم يتوقف الأمر على هذا اليوم بل كان مفتتحا لنفس الحدث طوال الأيام التالية، حتى أصدر البابا كيرلس يوم ٤ مايو بيانا رسميا قال فيه: «إن ظهور العذراء فى كنيسة الزيتون حقيقة»، وأضاف البيان: آلاف المواطنين من مختلف الطوائف قرروا بيقين رؤية العذراء، واتفق وصفهم بشهادات جماعية، وأن العذراء ظهرت فى ليالٍ مختلفة وبأشكال مختلفة، وكانت تتحرك وتمشى وتواجه المشاهدين وتباركهم وتشفيهم.

ظهرت الصحف المصرية بـ«مانشيتات» يوم ٥ مايو ١٩٦٨ عن بيان «البابا»، وأجرت تحقيقات ميدانية من موقع الحدث، وجمعت شهادات لِمَنْ وصفتهم بـ«شهود العيان»، ومنها شهادة «فاروق محمد عطوة سائق بهيئة النقل العام»،

قال فيها: «سمعت صياح بعض المارة فخرجت مسرعا لأعرف ما الأمر، فوجدت الناس متجمهرين أمام الكنيسة، يشيرون إلى القبة، فرأيت سيدة تلبس ملابس بيضاء وتقف فوق القبة البحرية، وكأنها تنوى الانتحار ولكنها لم تتحرك، ودققت النظر فوجدتها على شكل راهبة، وفجأة طار فوقها حمام أبيض»، وقال مأمون عفيفى ويعمل مدربا لسائقى النقل العام: سمعت خفير الجراج يصيح بصوتٍ عالٍ «نور فوق القبة»، فخرجت بسرعة وشاهدت بعينى سيدة تتحرك فوق القبة ويشع منها نور غير عادى، فأضاء ظلمة المكان المحيط بالقبة، ودققت النظر إليها وظل بصري متعلقا بها، فتبينت أنها العذراء، ورأيتها تمشى فوق القبة الملساء، جسمها شعلة من النور وكانت تسير فى هدوء».

توافقت شهادات رؤساء الطوائف المسيحية فى مصر مع شهادات المواطنين، كما زادت الصحف بالحديث عن معجزات الشفاء لمواطنين مسلمين ومسيحيين من أمراض مستعصية، وأخذت القضية اهتماما بالغا على المستوى الرسمى للدولة، وفى كتاب «البابا كيرلس وعبد الناصر»، الصادر عن دار الإسراء، القاهرة لـ«محمود فوزى»، قال إن الرئيس جمال عبد الناصر رآها بنفسه ومعه حسين الشافعى سكرتير المجلس الإسلامى الأعلى، وذلك من شرفة فيلا أحمد زيدان كبير تجار الفاكهة المواجهة للكنيسة.

وقالت وزارة السياحة، إنها أرسلت تقريرا عن ظهور «العذراء» إلى سفارات مصر والمكاتب السياحية بالخارج.. استمر الحدث طوال شهر ونصف الشهر، وبلغ زواره مئات الآلاف، غير أن الحديث عن السياق السياسى الذى وقع فيه، كان ينقل الموضوع إلى رؤية أخرى، فهو جاء بعد نكسة ٥ يونيه ١٩٦٧، التى أدت إلى بدء تدريجى فى ظهور التيارات الدينية المتطرفة، ردا على هزيمة «المشروع القومى»، وتزامن معه ميل «اجتماعى» إلى تصديق حديث الخوارق التى كانت فى وجهة نظر البعض أنها «خرافات».

٣٠ أبريل عام ١٩٦٠
عبد الناصر يزور آثار الهند ونهرو «يداعبه»:
«لا تزال فى عنفوان الشباب»

فى ألبوم صور الزعيم الخالد جمال عبد الناصر صورة شهيرة له، وهو ينظر باهتمام وتأثر للزعيمة الهندية الراحلة «أنديرا غاندى»، وهى تضع يديها على وجهها لتخفى بكاءها، الذى جاء بعد أن قال لها عبد الناصر: إن والدها «نهرو» كان زعيما عظيما، وإنه استفاد منه كثيرا. كانت الصورة بعد سنوات من وفاة نهرو الذى ورثت ابنته زعامته، وبعد سنوات من بدء علاقة صداقة متينة مع مصر، كان الزعيمان الكبيران عنوانها، ووجدت عمقها العالمى فى قيام الاثنين مع الزعيم اليوغسلافى «تيتو» بتأسيس كتلة عدم الانحياز، التى شهدت مجدها فى الخمسينيات والستينيات من القرن الماضى.

فى يوم ٢٩ مارس ١٩٦٠ بدأ عبد الناصر زيارة للهند، وسط ظروف تشهد تعاظما فى دور البلدين، وطموحا كبيرا لهما للحاق بركب التقدم وسجل تعاونهما تصنيع طائرة مشتركة، صنعت مصر محركها، وصنعت الهند غطاءها الخارجى، وتلك قصة طويلة سجلت نفسها بحروف من نور، ووقت استكمالها قال نهرو للوفد المصرى فى زيارته إلى الهند للتباحث حولها: «أتفق مع صديقى ناصر فى أنه لابد أن نكسر احتكار العلم»، وذلك فى إشارة إلى تصميم «الغرب» على أن يكون العلم بحوزته وحده.

فى اليــوم الســادس للزيــارة، وكان فى مثــل هــذا اليــوم (٣ أبريــل ١٩٦٠)، وحسبما ذكـرت صحيفـة الأهـرام فى عددهـا الصـادر يـوم (٤ أبريـل)، قـضى «عبـد النـاصر» يومـه بـين الآثـار القديمـة والمدينـة التـى كانـت عاصمـة الهنـد منـذ ٤٠٠ سـنة، وزار ضريـح «الشـيخ سـالم» الـذى يعتـز بـه المسـلمون هنـاك، وزار «البـاب العـالى» و«منصـة الشـطرنج»، و«تـاج محـل» إحـدى عجائـب الدنيـا السـبع، ولمـا أبـدى رغبتـه فى زيـارة قـبر الإمبراطـور «اكيـار»، قـال لـه مرافقـوه: إنهـم لم يتخـذوا التدابـير الأمنيـة اللازمـة، فـرد: «لا لـزوم للترتيبـات»، وفوجـئ السـياح بـه بينهـم يحمـل الكامـيرا ويلتقـط الصـور، ويـدور حـول القـبر متأمـلا بنـاءه.

كان برنامـج الزيـارة حافـلا، وهـو مـا عـبر عنـه «نهـرو» فى رسـالة قصـيرة تركها لـ«عبـد النـاصر» فى آخـر يـوم للزيـارة ويأتـى بنصهـا محمـد حسـنين هيـكل فى كتابه «سـنوات الغليـان»: «كان أمامكـم برنامـج حافـل بالزيـارات، وأرجـو ألا يكـون ذلـك قـد أرهقكـم، وعلى أى حـال فأنتـم لا تزالـون فى عنفـوان الشـباب ومعتادون عـلى العمـل الشـاق، لكننـا لم نفـرغ مـن كل مـا كنـا نعتـزم بحثـه»، وأنتـم تعلمـون أننـى سـوف أحـضر فى الشـهر المقبـل مؤتمـرا لرؤسـاء حكومـات «الكومنولـث» فى لنـدن، وأتمنـى أن أسـتطيع قضـاء يومـين أو ثلاثـة فى مـصر فى طريـق عودتـى، فـإذا اسـتطعت أن تعطينـى وقتـا كافيـا يومَـىْ ١٥ و١٦ مايـو، وإذا كان ذلـك يناسـبكم، فإننـى أقـترح أن أتوقـف فى القاهـرة لنسـتكمل فيهـا مـا بدأنـاه هنـا، وإذا أذنـت لى، فإننـى أريـد أن أقـضى ثلاثـة أيـام فى مـصر يومـين منهـا معـك فى القاهـرة، ويـوم ثالـث أتمنـى أن أزور فيـه السـد العـالى، وربـما معابـد الأقـصر، فـإن ذلـك يجعلنـى أشـعر بنبـض كل مـن مـصر التـى تتطـور بسرعـة ومـصر القديمـة العريقـة.

٤ أبريل عام ١٩٧٩
إعدام الزعيم الباكستانى «بوتو» بعد سنوات من قول عبد الناصر له: «المستقبل أمامك»

بحث الزعيم الباكستانى «ذو الفقار على بوتو»، عن قائد للجيش بلا ميول سياسية، فاختار «ضياء الحق» رئيسا للأركان يوم (١ أبريل ١٩٧٦)، ومنحه رتبة «الفريق» متخطيا أقدمية خمسة ضباط. رأى «بوتو» فى «ضياء» أنه ضابط محترف ويلعب «الجولف» لكن فى «يوم ٥ يونيه ١٩٧٧»، قاد «ضياء الحق» انقلابا ضد «بوتو»، ثم أحاله إلى المحكمة متهما باغتيال نائب برلمانى معارض، وقضت المحكمة بإعدامه، وصم ضياء الحق أذنه أمام النداءات الدولية بعدم تنفيذ الحكم، ونفذه فى مثل هذا اليوم (٤ أبريل ١٩٧٩).

شغل «بوتو» المولود فى عام ١٩٢٨ مناصب عديدة فى بلاده بعد استقلالها عن الهند، كان وزيرا للتجارة ثم الخارجية، وأسس حزب الشعب عام ١٩٦٧، وأصبح رئيسا للبلاد بعد هزيمتها من الهند ١٩٧١، ثم رئيسا للوزراء بعد وضع دستور جديد جعل نظام الحكم برلمانيا.

كان لـ«بوتو» صفحة مشرفة فى علاقته مع مصر أثناء حكم جمال عبد الناصر، يذكرها الكاتب الصحفى محمد حسنين هيكل فى كتابه «حرب الثلاثين سنة- الانفجار»، فبعد أن ترك منصب وزير الخارجية، وسافر إلى جنيف للإقامة فيها لاجئا، راودته فكرة أن يقابل «عبد الناصر»، وبعث إلى

مصر طلبا بذلك فأجابته، وحدث اللقاء يوم ٢٠ يوليو ١٩٦٦، واستمر أكثر من ساعة ونصف الساعة.

قال «بوتو» لـ«عبد الناصر»، إنه أحس أن من واجبه أن يجيء ليضع تحت تصرفه كل ما يعرفه عن الأوضاع التي ستؤثر في مصائر كل المعتقدين بإمكانية الحرية والتنمية في آسيا وأفريقيا، وأضاف: «أنت الوحيد الباقي من الزعماء الكبار لحركة التحرر الآسيوي الأفريقي، وأرجوك أن تعرف أنهم خارجون لاصطيادك يا سيدي»، وواصل «بوتو» حديثه و«عبد الناصر» يستمع إليه باهتمام بالغ: «السياسة الأمريكية بدأت تدخل في مرحلة نشيطة جدا في آسيا وأفريقيا، وأخذت وكالة المخابرات الأمريكية توجيهات من الرئيس جونسون باتباع سياسة هجومية في كل مكان، ورغم مأزقهم العسكري في فيتنام فقد أصبحوا يعتقدون أن الموقف الدولي ملائم، فهناك من وجهة نظرهم كما استنتج من مقابلات عديدة مع الساسة الأمريكيين، خصوصا في اجتماعات الحلف المركزي، فرصٌ سانحة في أكثر من موقع من العالم».

تعرض «بوتو» إلى علاقته بالرئيس الباكستاني «محمد أيوب خان»، وسفره للإقامة المؤقتة في «جنيف» وسأله عبد الناصر عن عمره، فأجابه: «٣٧ عاما» فعلق عبد الناصر: «مازال مستقبلك أمامك»، وواصل «بوتو»: مشكلتي الشخصية مؤجلة، ولكن ما يقلقني هو موقفكم أنتم، واستوضحه «عبد الناصر» متسائلا: «تقصد سياسة الجمهورية العربية المتحدة؟»، ورد بوتو فورا: «لا بل أقصدك أنت شخصيا، وما يحيرني هو كيف أن يتصرفوا معك؟».

طال الحديث، واختتم «بوتو» كلامه قائلاً: «أردت أن أضع ما لديَّ تحت علمك تاركا لك الباقي»، وبعد نحو عام وقعت نكسة ٥ يونيه ١٩٦٧.

٥ أبريل عام ١٨٠٠
المملوك «مراد بك» يخون ثورة القاهرة الثانية
ويمد «كليبر» بحطب لحرق العاصمة

كانت ثورة القاهرة الثانية (٢٠ مارس ١٨٠٠) تواصل شعلتها ضد الحملة الفرنسية، وكان قادة المماليك الذين شاركوا فيها يبحثون عن أى مغنم لهم من الحملة التى كان «كليبر» قائدها وقتئذ بعد سفر نابليون إلى فرنسا، كانت مقاومتهم للفرنسيين من أجل مصالحهم الخاصة ليس أكثر، ويشير «كليبر» فى مذكراته كما يجىء فى كتاب «بونابرت فى مصر» إلى واحد من أكبر قادتهم قائلا: «أرسل لى مراد بك عدة قطعان من المواشى ليبرهن على إخلاصه، لكنه فى الوقت نفسه كان يكتب إلى الصدر الأعظم بأنه مقيم فى طرة خصيصًا ليمنعنا من جلب المؤونة من الصعيد».

أثناء ثورة القاهرة الثانية، ظل «مراد بك» مقيمًا فى طرة بعيدًا عن حركات القتال، وتمت مفاوضات الصلح بينه وبين «كليبر»، وحدث التوقيع عليها فى مثل هذا اليوم (٥ أبريل ١٨٠٠)، بينما كانت مدافع الفرنسيين تمطر قنابلها على سكان القاهرة، وكان الهدف منها بالطبع هو انسحاب اتباع «مراد بك» من الثورة، مقابل مكسب يحصل عليه، وبالتالى إعطاء مدد من الزمن يطيل بقاء الفرنسيين فى مصر، وتدل نصوص المعاهدة على ذلك.

تألفت نصوص المعاهدة من عشر مواد، ويأتى بها عبد الرحمن الرافعى فى كتابه «تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم فى مصر - الجزء الثانى»، وتنص على:

اعـتراف القائـد العـام للجيـش الفرنسـى بصفتـه ممثـلًا للحكومـة الفرنسـية بمـراد بـك أمـيرًا وحاكـمًا للوجـه القبـلى، ويخولـه بنـاء عـلى ذلـك السـلطة عـلى تلـك البـلاد ابتـداء مـن «بلصفـورة» الكائنـة بمديريـة «جرجـا» إلى أسـوان، فى مقابـل أن يـؤدى للجمهوريـة الفرنسـية الخـراج الواجـب دفعـه لصاحـب الولايـة عـلى مـصر، وحـدد الخـراج فى الاتفاقيـة بـ ٢٥٠ كيسًـا، عـلاوة على ١٥ ألـف أردب مـن القمـح، و٢٠ ألـف إردب مـن الشـعير والحبـوب، ويُخصـص لـ«مـراد بـك» إيـراد جمـرك القصـير وإسـنا.

يحـل الجيش الفرنسـى فى «القصـير» عـلى أن يكـون لـ«مـراد بـك» الحـق فى إبقـاء فصيلـة مـن الجنـود المماليـك فيهـا، وعليـه دفـع نفقـات الحاميـة الفرنسـية فيهـا، وألا يقـل عـدد جنـود هـذه الحاميـة عـن مائتـى جنـدى، وعـلى كل مـن الطرفـين أن يسـلم الطـرف الآخـر الجنـود اللاجئـة إليـه، ولا يجـوز لـكل منهـما قبـول الفلاحـين الذيـن يمتنعـون عـن دفـع الضرائـب، ويفـرون إلى منطقـة الطـرف الآخـر.

تكـون إقامـة «مـراد بـك» فى «بنـدر جرجـا»، وعليـه أن يوفـد إلى القاهـرة أحـد البكـوات مـن أتباعـه مندوبًـا عنـه لـدى القائـد العـام يقيـم بالقاهـرة، ويضمـن القائـد العـام لـ«مـراد بـك» تمتعـه بإيـراد المنطقـة التـى يحكمهـا، ويتعهـد بحمايتـه فى حالـة مهاجمتـه، وإذا حصـل هجـوم عـلى المنطقـة التـى يحتلهـا الجيـش الفرنسـى فعـلى «مـراد بـك» أن يرسـل إليهـا قـوة مـن جنـوده، تـوازى عـلى الأكثـر نصـف قواتـه، ويتعهـد القائـم العـام بـألا يقبـل أى اتفـاق فيـه مسـاس بالمزايـا المخولـة لـ«مراد بـك» فى هـذه المعاهـدة.

سـلم «مـراد بـك» العثمانيـين اللاجئـين إليـه إلى القـوات الفرنسـية، وسـعى إلى أعوانـه فى القاهـرة إلى تسـليم المدينـة، ولمـا فشـل أشـار إلى «كليـبر» بإحـراق القاهـرة، وبالفعـل سـلمه مراكـب محملـة أحطابًـا.

٦ أبريل عام ١٢٥٠
لويس التاسع ملك فرنسا أسيرًا فى المنصورة
بعد هزيمة الصليبيين

أُصيب لويس التاسع، ملك فرنسا، بمرض عُضَال شارف به على الموت، وعندما شفى منه قطع عهدًا على نفسه بأن ينجز شيئًا كبيرًا يعترف من خلاله بفضل الله عليه، فقرر تجهيز حملة صليبية لتنفيذ ما سموه بـ«تحرير بيت المقدس»، وكانت الحملة هى السابعة (عام ١٢٤٨) فى مسلسل الحملات الصليبية، وأولها كان عام ١٠٩٥.

كانت الحملات الصليبية فى جوهرها استعمارًا استيطانيًا يفعل فى الأرض العربية مثلما فعلت إسرائيل بفلسطين، وجاءت إلى المنطقة حلًا لأزمات سياسية فى بلادها، كما حدث فى «الحملة السابعة»، ويقول عنها المؤرخ الدكتور محمود سعيد عمران فى كتابه «الحروب الصليبية»: «لعبت البابوية دورًا فى هذه الحملة للتخلص من مضايقات الملوك والأمراء، حتى تخلو الساحة بابتعاد لويس الذى كان له موقف حازم نحو رجال الدين».

حكم لويس التاسع فرنسا منذ ١٢٢٦ حتى ١٢٧٠، ولم يتوقع يومًا أنه سيقع أسيرًا فى مدينة المنصورة فى مثل هذا اليوم (٦ أبريل ١٢٥٠)، بعد هزيمة منكرة لجيشه على أيدى المماليك.

فى كتابه «عصر سلاطين المماليك»، الصادر عن دار العين للدراسات الإنسانية والاجتماعية، القاهرة للمؤرخ الدكتور قاسم عبده قاسم، يتحدث

عن معركة المنصورة التى تواصلت جولاتها لأسابيع حتى انتهت بأسر لويس التاسع، ويشير إلى أن الظاهر بيبرس هو الذى أعد الخطة الماكرة لقتال «الفرنج»، ووافقت عليها شجرة الدر، صاحبة النفوذ الفعلى، حيث مات زوجها الملك الصالح نجم الدين أيوب أثناء المعركة، لكنها أخفت الخبر حتى لا يرتب آثارًا سلبية.

قامت خطة «بيبرس» على تشييد عدة كمائن من الفرسان داخل المدينة، وبقاء الأهالى فى منازلهم دون حركة، مع الاستعداد للانقضاض على فرسان العدو فى اللحظة المناسبة، ودخلت القوات الصليبية إلى المدينة فوجدوها صامتة، ولما تجولوا فى شوارعها ظنوا أن الحامية والأهالى فروا منها، وبينما هم يبحثون عن الغنائم، فتح عليهم فرسان المماليك وأهالى المنصورة والمتطوعون أبواب الجحيم من كل ناحية، فتبعثرت القوات الصليبية فى كل ثنايا المدينة، ووضع الأهالى المتاريس أمامها وقذفوها بـ«القذائف المنزلية» من فوق أسطح المنازل، وكان عدد القتلى كبيرًا، من بينهم شقيق الملك «الكونت أرتوا»، وعدد كبير من النبلاء، والذين نجوا فروا على أقدامهم ليلقوا بأنفسهم فى النيل، بعد أن طاردهم الأهالى بالسهام والحراب والسيوف.

فى اليوم التالى لمعركة المنصورة عقد فارس الدين أقطاى الصالحى، القائد العام للجيوش المصرية، مجلس حرب عرض فيه معطفًا قصيرًا عليه شارة البيت الملكى الفرنسى كان يرتديه شقيق لويس التاسع «أرتوا» الذى قُتل فى المنصورة، ظنًا منه أنه معطف الملك نفسه، وأعلن أن مقتل الملك يستوجب مهاجمة الجيش الفرنجى بلا تردد، وبدأ هجومًا جديدًا تمكن الفرنج من صده، ليتكرر مرة أخرى حتى ساءت أحوال الفرنج، فطلب لويس التاسع الهدنة، وعرض تسليم مدينة دمياط التى احتلها من قبل مقابل تسليمه «بيت المقدس»، وقوبل طلبه بالرفض، وتجدد القتال حتى وقعت الهزيمة كاملة لجيش «لويس»، وتم أسره فى قرية مِنْية عبد الله، ونُقل إلى دار «ابن لقمان».

٧ أبريل عام ١٩٦٦
أم كلثوم تغنى الأطلال للسنباطى.. وعبد الوهاب: أعظم ما سيبقى من غناء

فى عام ١٩٦٤، غنت أم كلثوم للمرة الأولى من ألحان محمد عبدالوهاب أغنية «إنت عمرى»، تأليف الشاعر الغنائى أحمد شفيق كامل، كان الحدث كبيرا، ورسم المبدع صلاح جاهين كاريكاتيرا فى صحيفة الأهرام لـ«أم كلثوم» كفتاة صغيرة تلعب «نط الحبل»، وكان ذلك تعبيرا عن كسر النمط «السنباطى» لغنائها، ومن هذه الخلفية كان التحدى كبيرا أمام «رياض السنباطى» لإعادة «أم كلثوم» إلى حظيرته الموسيقية، فجاءت قصيدة «الأطلال» التى قدمتها للمرة الأولى فى مثل هذا اليوم (٧ أبريل ١٩٦٦).

«الأطلال» ألفها الشاعر «الطبيب» إبراهيم ناجى، وأضافت إليها «أم كلثوم» عددا من الأبيات من قصيدة «وداع» لنفس الشاعر، وكان ذلك بعد وفاته بنحو ١٣ عاما، ومما قاله لى الموسيقار عمار الشريعى، أن أم كلثوم كانت خائفة من عدم تجاوب الجمهور بقوة مع لحن الأغنية وكلماتها، خاصة أنها من نوع القصائد الصعبة، كما أنها جاءت بعد سنوات بدأت من مطلع الستينيات، دخلت فيها تجارب مع «بليغ حمدى» الذى كان فى مطلع الثلاثينيات من العمر، بالإضافة إلى «محمد عبد الوهاب»، وأضفى الاثنان عليها طابعا موسيقيا مختلفا، يعتمد على الإيقاع الموسيقى الأكثر سهولة، فى مواجهة «البناء الموسيقى المشابه للبناء المعمارى هندسيا للسنباطى»، حسب

تعبير عمار الشريعى، الذى ضمّنته فى كتابى «أم كلثوم وحكام مصر» الصادر عن دار «جزيرة الورد».

شجعها السنباطى بقوة على غناء «الأطلال»، مؤكدا لها نجاحها الجماهيرى، وقد كان، ولما فاجأها جمهور حفلها فى «قصر النيل» بالتجاوب، خرجت من الحفل متجهة إلى «السنباطى» بمنزله فى ساعة متأخرة من الليل، وكان من عادته عدم حضور حفلاتها، ووجدته يعيد مع أسرته الاستماع إلى الأغنية على تسجيل «كاسيت»، فدخلت معه فى عناق تعبيرا عن سعادتها.

فى سهرة تليفزيونية على القناة المصرية الثانية للإعلامية فريال صالح عام ١٩٩٨، روى الشاعر فاروق شوشة، قصة ذات مغزًى، قال فيها: إنه كان وآخرون فى ضيافة الموسيقار محمد عبد الوهاب فى منزله، وسأل «عبد الوهاب» الحاضرين عن أفضل لحن غنائى قدمته «أم كلثوم»، فتبارى الجميع فى الحديث، وكانت «الأطلال» هى محل الاتفاق، وبينما انشغل الجميع بطرح مبرراتهم، كان «عبد الوهاب» يستمع بصمت.

يضيف «شوشة» أن الجميع لم ينتبهوا إلى أنهم فى حضرة «عبد الوهاب» الذى قدم لـ«أم كلثوم» ألحانا جميلة، وعلى أثر ذلك تحدثوا براحتهم تماما، دون التعرض منهم إلى لحن واحد من ألحانه لها، ولما أفاقوا انتبهوا إليه، فوجدوا دموعه تسيل، مما أوقعهم فى حرج بالغ، وحاول البعض استدراك ما فعلوه، بالتوجه إلى عبد الوهاب: «أنت الأستاذ الكبير»، لكنه سرعان ما أعفى الجميع من الحرج قائلاً: «أتفق معكم على أن الأطلال هى أروع ما غنت أم كلثوم، وأعظم ما سيبقى من أغنيات أم كلثوم».

٨ أبريل عام ١٩٧٠
استشهاد ٣٠ طفلًا فى غارة جوية إسرائيلية على مدرسة بحر البقر

كانت الساعة التاسعة وعشرين دقيقة من صباح الأربعاء يوم ٨ أبريل ١٩٧٠، حين أطلقت الطائرات الإسرائيلية صواريخها وقنابلها على مدرسة بحر البقر بقرية أكياد محافظة الشرقية.

كانت المدرسة عبارة عن دور واحد يضم ثلاثة فصول تضم كل يوم ١٣٠ تلميذا أعمارهم من السادسة إلى الثانية عشرة، وفى يوم الغارة حضر ٨٦ تلميذا يرتدون المرايل، ويحملون حقائبهم المدرسية.

علا الصراخ، وسالت الدماء على الكراريس، واستشهد ٣٠ طفلا ومدرسا، وأصيب ٣٦ طفلاً، و١١ عاملا، ورغم هذا الجرم قالت إسرائيل عنهم: «كانوا أطفالا فى منظمة تخريبية»، وقال المتحدث العسكرى الإسرائيلى: «إن الطيارين الإسرائيليين التزموا الدقة فى ضرب الأهداف العسكرية وحدها».

هكذا رأت إسرائيل أن المدرسة بأطفالها هدفٌ عسكرى، وهو ما قاله موشى ديان، وزير الدفاع الإسرائيلى، لراديو إسرائيل: «المدرسة التى ضربتها إسرائيل هدف عسكرى»، وإلى الأمم المتحدة أرسل «يوسف نكواه» مندوب إسرائيل رسالة قال فيها: «تلاميذ المدرسة الابتدائى كانوا يرتدون الزى الكاكى اللون، ويتلقون التدريب العسكرى»، هكذا واجهت إسرائيل المجتمع الدولى بالكذب، لتدارى جريمتها البشعة التى جاءت بعد جريمتها

بغارة لطائراتها على عمال مصنع أبى زعبل يوم ١٢ فبراير ١٩٧٠، واستُشهد فيها ٧٠ عاملا، وأُصيب ٦٩.

وكى تبقى هذه الجريمة حية وشاهدة على الجرم الصهيونى، تم جمع الكراريس، وبعض متعلقات الأطفال من مرايل وأقلام وكتب وأحذية، وما تبقى من ملفات، فضلا عن بقايا لأجزاء من القنابل التى قصفت المدرسة، وتم وضعها جميعا فى متحف عبارة عن حجرة أو فصل، وتعلو حجرة المتحف عبارة مكتوبة بخط اليد: «متحف شهداء بحر البقر».

جاءت هذه الجريمة فى سياق سياسى، كانت مصر تعيد فيه بناء قواتها المسلحة بعد نكسة ٥ يونيه ١٩٦٧، وذلك من أجل الاستعداد لحرب تحرير الأرض التى سلبتها إسرائيل فى «النكسة»، كما جاءت والجيش المصرى يخوض حربه الباسلة «حرب الاستنزاف»، وبينما كانت الجهود المصرية تسير يوما بعد يوم نحو العهد الذى قطعته على نفسها، عهد الإصرار على استعادة الأرض، كانت إسرائيل تسعى من غاراتها ضد الأهداف المدنية المصرية إلى كسر الإرادة المصرية، وعبر عن ذلك موشى ديان بقوله: «هدفنا من هذه الغارات، بعيدا عن جبهة المواجهة الفعلية فى قناة السويس، هو أن نحافظ على معنويات الشعب الإسرائيلى، وتقويض الزعامات السياسية والعسكرية فى مصر».

شملت معركة إعادة بناء القوات المسلحة، شحن أسلحة جديدة من الاتحاد السوفيتى، تشمل صواريخ جديدة، وبناء حائط صد الصواريخ لتحمى سماء مصر من أى غارات إسرائيلية فى العمق المصرى، وحسب ما ذكره الكاتب الصحفى «محمود عوض» فى كتابه «اليوم السابع.. الحرب المستحيلة حرب الاستنزاف»، الصادر عن دار المعارف، القاهرة: «بمجرد أن بدأت المخابرات الإسرائيلية تسجل دلالات شحنات السلاح الجديدة إلى مصر، بدأت إسرائيل تتصاعد بغاراتها ضد المدنيين فى العمق المصرى، لتتخذ طابعا هيستيريا ومحموما، وفى سباقها مع الوقت لمنع الصواريخ الجديدة من اتخاذ مواقعها طبقا للخطة المصرية، زادت من توحشها ضد المدنيين داخل مصر».

٩ أبريل عام ١٩٤٨
إبادة «دير ياسين» الفلسطينية.. و«بيجن»:
لولاها ما قامت إسرائيل

كان الوقت فجرًا، وقرية «دير ياسين» الفلسطينية نائمة، والعصابات الصهيونية تدخلها من شرقها وجنوبها وشمالها حتى يفاجئوا السكان وهم نائمون فى مثل هذا اليوم (٩ أبريل ١٩٤٨)، كان كل شيء معدًا لمذبحة كبيرة، لا تزال وقائعها ماثلة فى الذاكرة العربية، كدليل على بشاعة الدولة الصهيونية، وإقامتها عبر حرب إبادة شنتها ضد الفلسطينيين.

يقشعر البدن كلما عدنا إلى مراجع التاريخ لقراءة وقائع المذبحة، وفى موسوعة «الصهيونية» للمفكر الراحل الدكتور عبد الوهاب المسيرى، نقرأ جانبًا من تفاصيلها التى تقول إن العصابات الصهيونية دخلت القرية فجرًا والسكان نائمون، وقوبل الهجوم بالمقاومة فى بادئ الأمر، مما أدى إلى مصرع ٤ وجرح ٤٠ من الصهاينة.

ويقول «المسيرى» نقلًا عن شهادة للكاتب الفرنسى باتريك ميرسيون، إن المهاجمين لم يستطيعوا التقدم أمام القتال العنيف، ولمواجهة صمود أهل القرية استعان المهاجمون بدعم من قوات «البالماخ»، وهى «الاشتراكية اليسارية» الموجودة فى أحد المعسكرات القريبة من القدس، حيث قامت بقصف القرية بمدافع الهاون لتسهيل مهمة المهاجمين، ومع حلول الظهيرة أصبحت القرية خالية تمامًا من أى مقاومة، ليبدأ استخدام الديناميت، وذلك بتفجير بيوت

القريـة بيتًـا بيتًـا، وبعـد أن انتهـت المتفجـرات لديهـم قامـوا بتنظيـف المكان مـن آخـر عنـاصر المقاومـة عـن طريـق القنابـل والمدافـع الرشاشـة، حيـث كانـوا يطلقـون النيران عـلى كل مـن يتحـرك داخـل المنـزل مـن رجـال ونسـاء وأطفـال وشيوخ، وأوقفـوا العـشرات مـن أهـل القريـة إلى الحوائـط، وأطلقـوا النـار عليهم، واسـتمرت أعـمال القتـل عـلى مـدى يومـين.

كانـت عمليـات الإبـادة تتـم بـدم بـارد، حيـث قامـت القـوات الصهيونيـة بعمليـات تشـويه سـادية شـملت التعذيـب وبـتر الأعضـاء، وذبـح الحوامـل، والمراهنـة عـلى نـوع الأجنـة، وتـم إلقـاء ٥٣ مـن الأطفـال الأحيـاء وراء أسـوار المدينـة القديمـة، واقتيـد ٢٥ مـن الرجـال الأحيـاء فى حافـلات ليطوفـوا بهـم داخـل القـدس طـواف النـصر عـلى غـرار الجيـوش الرومانيـة القديمـة، ثـم تـم إعدامهـم رميًـا بالرصـاص، وأُلقيـت الجثـث فى بئـر القريـة، وأُغلـق بابهـا بإحـكام لإخفـاء معـالم الجريمـة، وكان الهـدف مـن كل ذلـك هـو إرسـال رسـالة إلى القـرى الفلسـطينية الأخـرى.

كانـت القريـة صغـيرة وعـدد سـكانها نحـو ٤٠٠ نسـمة، قتـل منهـم فى المذبحـة ٢٦٠ مـن الشـباب والشـيوخ والأطفـال والنسـاء، وعـلى الرغـم مـن بشـاعة المجـزرة، فـإن قـادة الكيـان الصهيونـى عَدُّوهـا مفخـرة لهـم، ورأوا فيهـا جسـرًا نحـو تحقيـق حلـم إقامـة دولـة إسرائيـل، وعـبر عـن ذلـك مناحـم بيجـن، رئيـس وزراء إسرائيـل فى السـبعينيات مـن القـرن المـاضى وحتـى السـنوات الأولى مـن الثمانينيـات، وكان رئيسًـا لعصابـة «الإرجـون» التـى نفـذت المذبحـة، ففـى رسـالة بعـث بهـا إلى «رعنـان»، قائـد المنظمـة المحلى للعصابـة قـال: «تهنئتـى لكـم لهـذا الانتصـار العظيـم، وقـل لجنـودك إنهـم صنعـوا التاريـخ».

وفى كتابـه «الثـورة» قـال «بيجـن»، إن مذبحـة ديـر ياسـين أسـهمت مـع غيرهـا مـن المجـازر الأخـرى فى تفريـغ البـلاد مـن ٦٥٠ ألـف عربـى، وأضـاف قائـلًا: «لـولا ديـر ياسـين لمـا قامـت إسرائيـل».

١٠ أبريل عام ١٩٦٠
مانشيت «الأخبار» يربط مقتل «السفاح» بعبد الناصر فى «باكستان»

انتهت زيارة جمال عبد الناصر إلى الهند ليتوجه منها إلى باكستان يوم (٩ أبريل ١٩٦٠)، وحسب رأى الكاتب الكبير محمد حسنين هيكل فى كتابه «سنوات الغليان-١٩٦٧»: «كان عبد الناصر حريصا فى كل مرة يزور فيها الهند بروابط عدم الانحياز، على أن يزور باكستان بدواعى رابطة الإسلام، وفى هذه الزيارة كان يعرف مقدما أنه ليس لديه الكثير مما يناقشه مع حكومة باكستان، لكنه كان يقصد لقاء شعبها».

كان احتفاء الشعب الباكستانى بـ«عبد الناصر» كبيرا، وانشغل المصريون بحدث آخر وقع فى نفس اليوم الذى بدأ فيه عبد الناصر زيارته إلى باكستان، حيث استطاعت الشرطة قتل السفاح «محمود أمين سليمان» الذى استوحى نجيب محفوظ قصته فى رواية «اللص والكلاب». كان مقتل «محمود» نهاية لقصة «سفاح»، لم يكن له علاقة مبكرة بعالم الإجرام، فهو جاء إلى الإسكندرية من محافظة المنيا فى بداية الخمسينيات من القرن الماضى، ثم سافر إلى لبنان وعمل فيها عدة سنوات، وعاد بمال وفير، وإتقان للكلام باللهجة اللبنانية، ووقع فى حب «بطة» وتزوجها، ولما قلت أمواله، كان هَمُّه هو الإبقاء على حالة السعادة التى وفرها لـ«بطة»، فاحترف سرقة الفيلات والشقق الفاخرة،

وبلـغ عـدد سرقاتـه ٢٧ فى الأحيـاء الراقيـة بالقاهـرة والإسـكندرية، واسـتعان فى ذلـك بشـقيق «بطـة» الـذى أبلـغ عنـه.

شـاعت قصـة «محمـود سـليمان» غـير أنهـا اكتسـبت شـهرتها الكـبرى بعـد هروبـه مـن السـجن، الـذى جـاء بعـد أن تكـرر غيـاب زوجتـه عـن زيارتـه فى السـجن، وشـغله ذلـك حتـى عـرف أنهـا دخلـت فى علاقـة مـع محاميـه وحرمـاه مـن طفلتـه، فقـرر الهـرب للانتقـام منهـما، ومـع تغطيـات الصحـف لقصـة الهـروب ونـشر صورتـه للاسـتدلال عليـه، أصبـح «سـليمان» حديـث المصريين، ونسـج الكل شـائعات عنـه ذهبـت إلى حـد الأسـاطير، ومـن ضمنهـا أنـه سرق الفنانـين الكبـار ومنهـم فيـلا «أم كلثـوم»، وكانـت أغـرب الشـائعات أنـه عـرض عـلى جمـال عبـد النـاصر فى مكالمـة تليفونيـة، إحضـار رقبـة الزعيـم العراقـى «عبدالكريـم قاسـم»، الـذى كان وقتهـا عـلى خـلاف كبـير ومحتـدم مـع جمـال عبـد النـاصر، كـما انتحـل البعـض صـوت «سـليمان» فى مكالمـات تليفونيـة لإثـارة الذعـر.

كان «سـليمان» يتنقـل متخفيـا مـن مـكان إلى آخـر، حتـى توصلـت الشرطـة إلى مكانـه فى مغـارة بحلـوان وحاصرتـه ٧٥ دقيقـة، وطالبتـه بتسـليم نفسـه لكنـه قاومهـا بالرصـاص، حتـى تلقـى ١٧ رصاصـة أوقعتـه قتيـلا.

لم تنتـهِ القصـة عنـد هـذا الحـد، ففـى اليـوم التـالى لـ (مثـل هـذا اليـوم ١٠ أبريـل)، كتبـت صحيفـة الأخبـار المانشـيت الخـاص بهـا وشـمل السـطر الأول منـه: «مـصرع السـفاح»، أمـا السـطر الثانـى فـكان: «عبـد النـاصر فى باكسـتان»، وذلـك دون فاصـل بينهـما، ممـا فسره البعـض بأنـه بمثابـة وصـف لـ«عبـد النـاصر» بـ«السـفاح»، وقيـل إن ذلك كان سـببا مباشرا لتأميـم الصحافـة فى ٢٤ مايو ١٩٦٠، غـير أن هنـاك مـن يؤكـد أن قـرار التأميـم كان معـدا قبـل ذلـك.

١١ أبريل عام ٦٨٥
عبد الملك بن مروان خليفة للأمويين بعد مقتل أبيه على يد زوجته

•

ينقل المؤرخون إن الخليفة الأموى «مروان بن الحكم» تزوج من السيدة «فاختة بنت هاشم» بعد وفاة زوجها الخليفة يزيد بن معاوية بن أبى سفيان، الذى ترك لها من الأبناء ثلاثة، هم «معاوية» و«خالد» و«أبوسفيان».

كانت المصلحة هى أساس هذا الزواج الذى تم بعد اختيار الأمويين لـ«مروان» خليفة لدولتهم، حيث أراد السيطرة على «فاختة» من أجل إزاحة ولدها «خالد» من ولاية العهد لصالح ابنه «عبدالملك»، وكان هذا عكس ما أرادته «الزوجة» لولدها «خالد»، حيث خططت لأن يكون خليفة مثل أبيه «يزيد»، وعوضا عن ابنها «معاوية» الذى حمل اسم جده، وتولى الخلافة لوقت قصير باسم «معاوية الثانى» ثم اعتزلها قائلا: «والله إن كانت الدنيا عزا فقد نلنا حظنا منها، وإن كانت شرا فكفى ما أصابنا منها»، ولما طلبوا أن يرشح خليفة بعده بكى قائلا: «ما أصبت حلاوتها فلماذا أتحمل مرارتها».

هذه الخلفية قادت إلى قيام «فاختة» بقتل زوجها «مروان»، حين تأكدت أن ولاية العهد ستكون من نصيب «عبدالملك» وليس لابنها «خالد»، وينتمى هذا النوع من التصرف إلى «دسائس القصور» التى تلعب فيها النساء دورا بارزا.

أخذ «عبدالملك بن مروان» البيعة للخلافة فى مثل هذا اليوم «١١ أبريل ٦٨٥»، وحقق فى وفاة أبيه المفاجئة، وطبقا لما جاء فى كتب التراث، ومنها

ما ذكـره محمد بن سعد فى «الطبقات الكبرى، تحقيق وتعليق حمزة النشرتى، عبد الحميد مصطفى، عبد الحفيظ فرغلى»، توصل عبد الملك إلى أن زوجة أبيه فاختة هى التى قتلت أباه، فأراد أن يقتلها، فقالوا له إنه عار عليك أن يعلم الناس أن أباك قتلته امرأة، فنجت من عقابه بقتلها.

انصرف «عبد الملك بن مروان» إلى شئون الحكم بلَمِّ شمل دولة الأمويين، التى كانت مهددة فى ملكها، وكانت هناك بلاد خارج سيطرتها، ففى «مكة» أقام «عبد الله بن الزبير» خلافة موازية احتجاجا على قتل جيش يزيد لسيد الشهداء الحسين بن على (رضى الله عنه) فى موقعة كربلاء، وأرسل «عبدالملك بن مروان» رجله القوى «الحجاج بن يوسف» على رأس جيش إلى مكة للقضاء على تمرد «ابن الزبير»، وحاصر «الحجاج» البيت الحرام وضربه بـ«المنجنيق» بعد أن لجأ إليه «ابن الزبير»، وانتهت هذه الجولة بقتل «ابن الزبير» وقطع رأسه وأرسله إلى «عبد الملك»، وصلب باقى جسده أمام الحرم، ولم يسمح بدفنه إلا بعد تدخل والدته «أسماء بنت أبى بكر (رضى الله عنهما).

استمر حكم عبدالملك بن مروان نحو ٢١ عاما، استطاع خلالها أن يعيد للدولة الأموية قوتها، ومن إنجازاته تعريب الدواوين التى كانت بـ«القبطية» فى مصر، وبالفارسية فى «فارس»، وباليونانية فى الشام.

١٢ أبريل عام ١٩٤٥
ضبط عشيقة للملك فاروق فى القصر..
وزوجته «فريدة»: «لا يحق أن يحاسبنى»

أشيع عن الملك فاروق ملك مصر أنه زير نساء، لكن مستشاره المقرب «كريم ثابت» يطرح وجهة نظر أخرى فى مذكراته «فاروق كما عرفته» يقول فيها: «كان فاروق كـ«رجل» يشكو «مركب نقص» لا يستريح منه أبدا لنشوئه على علة جسمانية دائمة، وكانت علته المادية تُشْعره دائما بأنه أقصر من سائر الرجال باعا فى دنيا النساء، وأضعف منهم بأسا فى مباشرة أحداثها، وتلك علته، يستحيل عليه أن يكون «زير نساء»»، ويؤكد «ثابت» أن «فاروق» كان يعوض عجزه فى أن يكون «زير نساء» بشائعات عن علاقاته النسائية الكثيرة.

فى مثل هذا اليوم (١٢ أبريل ١٩٤٥)، شهد القصر الملكى قصة من قصص العلاقات النسائية لـ«الملك» نقل وقائعها السفير البريطانى فى القاهرة إلى لندن، وتأتى فى كتاب «سقوط نظام»، الصادر عن دار الشروق، القاهرة، لمحمد حسنين هيكل، وبدأت باكتشاف السيدة «نعمت مظلوم» الوصيفة المناوبة لـ«الملكة فريدة» زوجة «فاروق»، بوجود سيدة ترتدى ملابس السهرة، وتتمشى فى الصالون الملحق بجناح «الملك» فاقتربت منها وسألتها عن اسمها وسبب وجودها، ومن أين دخلت؟

ردت السيدة: «أنا دخلت من الباب»، وحاولت الانصراف مسرعة، لكن وصيفة الملكة أمسكت بها، وخرجت «الملكة» على وقع الأصوات المرتفعة،

ولما شاهدت «السيدة الغريبة»، طلبت مسدسا لتقتلها، وتحت التهديد بالقتل، قالت السيدة إن اسمها «ليلى شيرين»، وذكرت أنها جاءت إلى القصر عدة مرات من قبل عندما كان «الملك» يدعوها بنفسه، وأنها جاءت هذه المرة بواسطة مكتب الشئون الخاصة «مكتب بوللى بك»، وأبلغوها أن الملك يطلبها وأن كلمة السر فى القصر الليلة هى «المتنزه».

تحت تهديد سلاح «فريدة» «كتبت «ليلى شيرين» بخط يدها اعترافا بعلاقتها مع «الملك»، وأخذته «فريدة» فى يدها وهى تقول لوصيفتها «نعمت مظلوم»: «هذه المرأة تقول أيضا إنها حامل من فاروق»، وأضافت الملكة، أنها لمحت فى يد «ليلى شيرين» خاتما عليه صورة الملك «فاروق» واعترفت لها بأنها تلقته هدية منه.

خرجت القصة من حيز «القصر» إلى الحكومة برئاسة النقراشى باشا، وأصرت على إبلاغ النائب العام بالواقعة، وكلفت السيدة «نعمت مظلوم» إبلاغَ مأمور قسم عابدين، وأُجريت التحقيقات التى أظهرت أنَّ «الملك» أعطى «ليلى شيرين» موعدا للقاء مبكرا من أول الأسبوع وبعد عشاء يحضره مع الوفد المسافر إلى سان فرانسيسكو للمشاركة فى وضع ميثاق الأمم المتحدة، ثم حدث أن تم إلغاء العشاء، ونسى الملك أن يلغى موعده الغرامى الذى تم ترتيبه له بعد انتهاء العشاء وذهب إلى الفيوم، وهكذا جاءت «ليلى شيرين» فى موعدها ولم تجد الملك.

وبعد مشاورات بين الحكومة والقصر تقرر اعتبار «ليلى شيرين» مجنونة، وأمكن تحرير شهادة بذلك من مستشفى الدكتور «جيلات»، وبالفعل أودعت مستشفى الأمراض العقلية، أما فريدة فلم تكن مقتنعة، وأبدت رضاها؛ لأنها حصلت من «ليلى شيرين» على اعتراف كامل يثبت استهانة «فاروق» ليس فقط بكرامتها كزوجة، ولكن بقصر عابدين كمقر للعرش، ثم أضافت: «فاروق بعد ذلك لا يحق له أن يرفع عينيه فىَّ، أو يحاسبنى على شىء».

كان هذا الحدث مما زادها تمسكا بطلب الطلاق، ولم تسكت عنه إلا عندما أقنعها رئيس الوزراء «محمود فهمى النقراشى» أن المصالح العليا للبلد

لا تتحمـل الآن فضائـح، عـلى أن الأمـر الـذى نسـتغربه جميعـا هـو: لمـاذا اختـار «فـاروق» قـصره الملكـى لمواعيـده الغراميـة، وهـو القـادر عـلى إيجـاد مسـاحة لغرامياتـه فى ألـف مـكان آخـر؟!

١٣ أبريل عام ١٥١٧
إعدام طومان باى وجثته على باب زويلة ثلاثة أيام

انتهى الموكب الأخير لـ«طومان باى» عند باب زويلة، شق شوارع القاهرة من الشرق إلى الغرب، وهو يسلم على أهل القاهرة المصطفين على جانبَى الطريق، ولم يكن يعلم أنه سوف يُشنق إلا عندما وصل.

«لما تحقق أنه يشنق وقف على أقدامه على باب زويلة، قال للناس الذين حوله: اقرءُوا لى سورة الفاتحة ثلاث مرات، فبسط يده وقرأ سورة الفاتحة ثلاث مرات، وقرأت الناس معه، ثم قال للمشاعلى: «اعمل شغلك»، فلما وضعوا الخيَّة فى رقبته ورفعوا الحبل، انقطع به فسقط على عتبة باب زويلة، وقيل انقطع به الحبل مرتين وهو يقع إلى الأرض، ثم شنقوه وهو مكشوف الرأس، وعلى جسده شاياه جوخ أحمر، وفوقها ملوطة بيضاء بأكمام كبار، وفى رجله لباس جوخ أحمر».

هكذا يصف «ابن إياس» فى «المختارات من بدائع الزهور» الصادرة عن مكتبة الأسرة، القاهرة، مشهد إعدام «طومان باى» بقرار من السلطان العثمانى «سليم الأول»، الذى يستكمله بقوله: «فلما شُنق وطلعت روحه صرخت عليه الناس صرخة عظيمة وكثر عليه الحزن والأسف، فإنه كان شابا حسن الشكل سنه نحو أربعة وأربعين عاما، وكان بطلا شجاعا تصدى لقتال ابن عثمان وثبت وقت الحرب وحده بنفسه».

كان وصـول «طومـان بـاى» إلى بـاب زويلـة هـو نهايـة فـترة أسره فى أيـدى العثمانيـين، وجـاءت بعـد هزيمتـه فى المعركـة الفاصلـة التـى جمعـت جيشـه بجيـش العثمانيـين، وكانـت بعـد هزيمتـه فى المعركـة الأولى المعروفـة تاريخيًـا بموقعـة الريدانيـة (٢٢ ينايـر ١٥١٧)، وظـن العثمانيـون أن الأمـر قـد دان لهـم، غـير أن «طومـان بـاى» عـاد ليحشـد قواتـه، وظـل فى حالـة كـر وفـر مـع العثمانيـين لمدة ثلاثـة أشـهر تقريبًـا، حتـى كانـت المعركـة الفاصلـة فى الجيـزة التـى حسـمها العثمانيـون لصالحهـم بفضـل البـارود والرصـاص.

وينسـب «أحمـد بـن زنبـل» إلى «السـلطان الشـاب» أنـه كتـب قصيـدة شـعر مـن مائـة بيـت ألقاهـا أمـام الهـرم الأكـبر، وحسـبما يذكـر الدكتـور عـماد أبوغـازى فى كتابـه «طومـان بـاى السـلطان الشـهيد» فـإن القصيـدة يـروى فيهـا طومـان بـاى قصـة حربـه مـع «سـليم الأول»، ومما جـاء فيهـا:

«دمـوع العـين فاضـت مـن مـآق ... وقلبـى ذاب مـن كثـر احـتراق
فـلا نـارى طفاهـا دمـع عينـى ... ولا دمعـى يفيـض مـن اختنـاق
وبـى أسـف عـلى أسـف وحـزن ... وهـم فـوق هـم واشـتياق
عـلى زمـن تقـضى فى نعيـم ... بمـصر والعـلا والعـز راق»

بعـد أن فقـد «طومـان بـاى» جيشـه فـر متجهًـا إلى الشـمال نحـو «تروجـة» بالبحـيرة فى ضيعـة تسـمى «البوطـة» ليحتمـى عنـد الشـيخ «حسـن بـن مرعـى» وابـن أخيـه «شـكر»، وأقسـما لـه عـلى المصحـف «سـبعة أيـمان» أنهـما لا يخونانـه ولا يغـدران بـه ولا يدلسـان عليـه، فصدقهـما «طومـان بـاى»، وكان «مرعـى» أعـز أصدقـاء «السـلطان الشـاب»، وأمـده «طومـان بـاى» بمسـاعدات ماليـة كثـيرة، لكـن «مرعـى» لم يحفـظ الجميـل، ولا أثمـر فيـه الخـير، وخـان صديقـه بإبـلاغ «سـليم الأول» عنـه، والـذى أرسـل عسـاكره ليقبضـوا عـلى «طومـان بـاى».

فى قصة مقاومة «طومان باى» للعثمانيين، وأسره، وإعدامه، نضع أيدينا على هؤلاء الذين يختارون «شرف الحياة»، فتبقى سيرتهم العطرة مدى الحياة كرمز للمقاومة، وفى دراما نهايته يتحدث المؤرخون بأن الناس لم تصدق نبأ القبض عليه، ولما بلغ «سليم الأول» ذلك، طلع به من «بولاق» ليشق القاهرة إلى باب زويلة حتى يتأكد الناس من القبض عليه.

لم يكتفِ «سليم الأول» بإعدام «طومان باى»، وإنما أبقى جثته معلقة على باب زويلة لمدة ثلاثة أيام حتى جافت رائحته، وفى اليوم الثالث أنزلوه وأحضروا له تابوتًا، وتوجهوا به إلى مدرسة السلطان الغورى، حيث غُسِّل وكُفِّن وصُلِّى عليه، ثم دفن فى حوش خلف قبة الغورى، وغسله وكفنه وصلى عليه القاضى «أصيل الطويل» حسب وصية «طومان باى».

ومما يقال أن الكفن كان من ثياب أرسلها له قاتله «سليم الأول»، الذى أرسل له أيضًا ثلاثة أكياس من الفضة للتصدق بها عليه.

انتهت حياة «طومان باى»، وكما يقول «ابن إياس»: «كان ملكا حليما، قليل الأذى، وكانت مدة سلطنته بالديار المصرية ثلاثة أشهر وأربعة عشر يوما، وكانت هذه المدة فى غاية التعب والنكد وقاسى شدائد ومحنا وحروبا وشرورا وهجاجا فى البلدان».

١٤ أبريل عام ١٨٥٥م
١٠ آلاف جندى مصرى يسافرون لمحاربة روسيا على أرض القرم

طمع القيصر الروسى «نيقولا الأول» فى «الآستانة»، فقدم إنذارا نهائيا فى مايو ١٨٥٣ إلى «الباب العالى»، للاعتراف بحماية «القيصر» لجميع المسيحيين الإغريق المقيمين فى الدولة العثمانية، ولما رفض «الباب العالى» الإنذار، أصدر «القيصر» أمرا لجنوده بالزحف والإغارة على إمارتَى الدانوب (رومانيا فيما بعد).

رأى السلطان عبد المجيد، سلطان الدولة العثمانية، أن شبح الحرب يهدد سلامة الدولة، فطلب من عباس باشا والى مصر، نجدة من الجنود المصريين، فامتثل «الوالى»، وأمر بتعبئة أسطول مكون من ١٢ سفينة مزودة بـ٦٤٢ مدفعا و٦٨٥٠ جنديا بقيادة الفريق سليم فتحى رسل باشا، وقبل إبحارهم من الإسكندرية ذهب إليهم عباس باشا، وخطب فيهم حاثا على القيام بالواجب، واستمرت الرحلة ثلاثة أسابيع، ووصلت الآستانة يوم ١٤ أغسطس، وفى أثناء الطريق تُوفِّى ٢٠ شخصا، وتعرض ٣٠٠ لمخالب المرض.

قصة الحرب كلها والدور المصرى فيها تأتى فى كتاب مهم بعنوان «الجيش المصرى فى الحرب الروسية-المعروفة بحرب القرم من ١٨٥٣-١٨٥٥»، الصادر عن مكتبة مدبولى، القاهرة، للأمير «عمر طوسون».

قدم «عباس باشا» مساعدات للدولة العثمانية فى هذه الحرب، شملت تبرعا منه بـ«٨٠٠٠ كيس بـ٤٠ ألف جنيه مصرى»، وابنه إلهامى باشا تبرع بـ«٢٠٠٠ كيس قيمتها ١٠ آلاف جنيه مصرى»، وقدم حسن باشا المنسترلى ٧٠٠٠ كيس قيمتها ٣٥ ألف جنيه مصرى تبرع بها الموظفون فى مصر، وأرسل «عباس» ٥ آلاف و٦٢٤ ثوبا من الملابس إلى الآستانة برسم جنود الآلايات المصرية، وفى ١٤ أكتوبر ١٨٣٥، أرسل السلطان عبد المجيد إلى عباس باشا فرمانا بالتركية يُعْلمه فيه بإعلان تركيا الحرب على روسيا، ويأمره بالتنبيه على الأهالى بالدعاء بنصرة الدولة العلية، وعدم التعرض لرعايا الروس والدول المتحابة فى مصر، وفى ٤ نوفمبر، دارت معركة عنيفة بين الروس والجنود المصريين فى ناحية «أو لتنيزا» وأبدى فيها الجنود المصريون بسالة نادرة، وفى ١٢ يناير ١٨٥٤ اشترك عدد منهم فى مقاتلة الروس المرابطين على الأرصفة التى أمام مدينة «سلسترة»، وحاربوهم بشجاعة وبسالة حتى فروا داخل البلاد.

فى ٢٧ مارس ١٨٥٤، أعلنت فرنسا وإنجلترا الانضمام إلى جانب تركيا، وبلغ عدد الجنود المصريين فى روسيا ٢٢ ألف جندى عدا البحارة، وفى ١٤ يوليو ١٨٥٤ توفى عباس باشا، وتولى بعده سعيد باشا الحكم، وسافر إلى الآستانة ليقدم واجب الطاعة للسلطان عبد الحميد، ويتناول من يديه فرمان التولية، وأراد سعيد أن يبرهن على تفانيه فى الإخلاص للسلطان، فكتب من الآستانة إلى مدير ديوان عموم الجهادية أمرا فى ٢٤ أغسطس بتجهيز ١٠ آلاف جندى و٣٦ مدفعا لترسل مددا إلى الجيش التركى فى القرم.

فى أوائل عام ١٨٥٥، تم حشد الجنود المصريين الذين أمر سعيد باشا بإرسالهم، وأبحرت السفن بهم من الإسكندرية فى مثل هذا اليوم (١٤ أبريل ١٨٥٥)، لينضموا إلى الجنود الذين سبق وأرسلهم عباس باشا، وعلى هذه الأرض سقط شهداء مصريون ودُفنوا فيها، ومنهم سليم باشا فتحى قائد العسكر المصرية.

١٥ أبريل عام ١٨٤٨
«إبراهيم» نائبًا افتراضيًا بعد إصابة محمد على بـ«اضطراب العقل»

أُصيب محمد على باشا والى مصر بمرض «الدوسنتاريا» الحادة وترك مصر متجها إلى جزيرة «مالطا» للمثول فى الحجر الصحى، ومع استفحال المرض لجأ الأطباء إلى دواء عبارة عن محلول نترات الفضة التى نجحت فى وقف المرض، لكنها نالت من قدرته العقلية التى اضطربت.

يتحدث «نوبار باشا» وزير «محمد على» ومستشاره الكبير فى مذكراته الشخصية، الصادرة عن دار الشروق، القاهرة، عن أن نظرات «إبراهيم» لوالده كانت كلها قلقا وحيرة، ويقول «نوبار»: «لم يكن من الممكن أن أقول إن محمد علىّ فقد عقله تماما لأنه فى لحظات ما كان يدرك تماما الحالة التى هو عليها ويراقب نفسه، فما إن يشعر بأنه سوف يدخل فى نوبة هذيان أو فقدان العقل، إلا وقد كان يختلى بنفسه، فى عزلة تامة محاولا بكل قوة أن يستعيد تسلسل أفكاره، سواء أكان يستطيع هذا أم لا، إلا أن هيئته ومظهره لم يتغيرا».

يقول «نوبار» إنه لم يكن فى استطاعتهم الإعلان عن جنون محمد على، ولم يكن أيضا الاعتراف بسلامة قواه العقلية، وتقرر عدم تغيير أى شىء فى سير الأمور من الناحية الشكلية، ولجأ النظار ورؤساء الإدارات فقط إلى «إبراهيم» لتلقِّى الأوامر أو عرض مقترحاتهم عليه، وطُرحت فكرة تكوين مجلس وصاية برئاسة «إبراهيم» إلا أن الأخير رفضه.

ووفقـا لكتـاب «الفرعـون الأخـير- محمـد عـلى» للكاتـب الفرنسـى «جيلـبرت سـينويه» الصـادر عـن «منشـورات الجمـل»، فـإن تـردد إبراهيـم لم يـدُم طويـلا، فمجلـس الوصايـة شرع فى تأديـة وظائفـه بـدءا مـن مثـل هـذا اليـوم (١٥ أبريـل ١٨٤٨)، وكانـت الأوامـر والقـرارات تصـدر باسـم محمـد عـلى، لكـن إبراهيـم هـو مـن أصبـح يحكـم، وكان ذلـك يعنـى أنـه «نائـب الباشـا» افتراضًـا.

أراد «إبراهيـم» أن تكـون لـه السـلطة الفعليـة وليـس الوصايـة، ويـشرح «نوبـار باشـا» فى مذكراتـه، الدرامـا التـى عـاش فيهـا «إبراهيـم» حتـى يحقـق مـا يريـد، قائـلا إنـه كان يخشـى مـن فكـرة شـفاء والـده الـذى سـيجعله يدفـع حياتـه ثمنـا لـكل عمـل فعلـه لتدعيـم سـلطته رسـميا، لأن محمـد عـلى كان سـيعدُّه اغتصابـا للسـلطة، وفكـر «إبراهيـم» بحكمـة فوجـد أن تكويـن مجلـس وصايـة يسـتلزم تأييـد وموافقـة «البـاب العـالى» كـى يصبـح شرعيـا، ويعـترف بِـه ممثلـو القـوى العظمـى فى مـصر، كـما كان يمكنـه أيضـا اسـتغلال الموقـف وتقلُّـد السـلطة دون النظـر إلى مجلـس وصايـة أو غـيره، لكـن هـذا كان يسـتلزم أيضـا تأييـد وموافقـة البـاب العـالى.

أمـام هـذا التحـدى لم يكـن أمامـه سـوى الذهـاب إلى «القسـطنطينية» لطلـب الولايـة، لكـن كانـت أمامـه مشـكلة العثـور عـلى حجـة للسـفر، وفى أثنـاء دراسـته للبحـث عـن تبريـر لسـفره، داهمتـه إصابـة قويـة فى الرئـة، وانتـشرت «الكولـيرا» بشـكل مفاجـئ فى الإسـكندرية، واتخـذ قـراره فى الحـال، إذ وجـد فى انتشـار المـرض حجـة مُثْـلَى يبحـث عنهـا للذهـاب إلى الآسـتانة، فأصـدر أوامـره بتجهيـز السـفينة الحربيـة الوحيـدة الباقيـة مـن الأسـطول الـذى كونـه محمـد عـلى، ليبحـر إلى الجهـة التـى تمنحـه القـرار الـذى يريـده.

١٦ أبريل عام ١٩٥٧
غرام السفير كمال الدين صلاح بالصومال
ينتهي باستشهاده في مقديشيو

«كان مندوب مصر في مجلس الأمم المتحدة بالصومال يعبر الشارع أمام بيته في العاصمة (مقديشيو)، وفجأة هجم عليه رجل يحمل سكينا طويلة، وطعنه في ظهره، وظل يطعنه إلى أن سقط مُضرَّجًا بدمائه، وتمكن بعض الذين رأوا الحادث من القبض على القاتل، أما مندوب مصر فقد كانت لديه بقية من قوة مد بها يديه إلى الوراء وانتزع السكين المغروسة في ظهره، ولكنهم عندما وصلوا به إلى المستشفى، كان قد أسلم الروح».

«هكذا قرأ الناس مصرع السفير كمال الدين صلاح في الصومال، وهو يحمل اسم الأمم المتحدة، ويمثلها في إعداد شعب الصومال للاستقلال».

الكلمات السابقة كتبها الكاتب الكبير أحمد بهاء الدين في مقدمة كتابه «مؤامرة في أفريقيا»، الصادر عن الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ويحكى فيه قصة استشهاد «كمال الدين صلاح» في «مقديشيو» في مثل هذا اليوم (١٦ أبريل ١٩٥٧)، بعد أن سافر إليها في مَهمَّة سياسية دولية فوقع في غرام «الصومال»، ووقع أهلها في غرامه، وعبر هذا الغرام كتب قصة فريدة للدور المصري في أفريقيا، وصفحة مشرقة في الدبلوماسية المصرية.

ولـد كـمال الديـن صـلاح فى ٢٨ مايـو ١٩١٠، وبـدأ حياتـه مناضـلا فى الحـزب الوطنـى الـذى أسَّسـه «مصطفـى كامـل» حسـب قـول «فتحـى رضـوان» فى كتابـه «نصـف قـرن بـين السياسـة والأدب»، وفى أبريـل ١٩٥٤ كان قنصـلا لمـصر فى مرسـيليا، وعندمـا تلقـى قـرار نقلـه إلى الصومـال، لم يكـن لمـصر تمثيـلٌ دبلومـاسيٌّ فيـه، لكـن الأمـم المتحـدة كانـت شـكلت مجلسـا للوصايـة عليـه يتكـون مـن مـصر والفلبـين وكولومبيـا لمراقبـة نقلـه مـن مرحلـة الوصايـة إلى مرحلـة الاسـتقلال، وكان «كـمال صـلاح الديـن» هـو ممثـل مـصر فى هـذا المجلـس.

كان يكتـب يومياتـه فى الصومـال، ويرسـل خطابـات لزوجتـه، واعتمـد «بهـاء الديـن» عليهـا فى كتابـه، وفى واحـدة منهـا يتحـدث عـن جولتـه بسـيارته فى أنحـاء الصومـال واختلاطـه بالأهـالى، وحديثـه وصلاتـه معهـم فى المسـاجد، ويصـف أحـوال النـاس بالفقـر الشـديد، وعيـش الكثـير منهـم عـلى الفطـرة كيـوم هبـط جدنـا آدم إلى الأرض، ورؤيتـه لعـشرات الألـوف فى الغابـات والمراعـى شـبه عرايـا ليـس عـلى أبدانهـم سـوى مـا يسـتر عوراتهـم ويأكلـون ممـا يحصلـون عليـه مـن جـود الغابـة.

اكتسـب «كـمال صـلاح الديـن» ثقـة طوائـف الصوماليـين فى فـترة قصـيرة، وأصبـح مستشـارهم الأول فى كل شـىء، ووضـع لهـم خطـة اقتصاديـة لمعالجـة الفقـر، وخـاض معهـم معركـة «اللغـة»، فبينـما كانـت الأطـراف الاسـتعمارية تريـد أن تجعـل مـن اللغـة المحليـة لغـة رسـمية، كانـت الأطـراف الصوماليـة الفاعلـة تريـد «العربيـة» لغـة البـلاد الرسـمية، وسـاندها «صـلاح الديـن» فى ذلـك أمـام الأمـم المتحـدة.

أدى ذلـك وغـيره إلى أن يكـون التخلـص منـه هدفـا يسـعى إليـه ستة أطـراف؛ هـى: فرنسـا، إنجلـترا، إيطاليـا، أمريـكا، بلجيـكا، وإثيوبيـا، بهـدف إنهـاء الوجـود المـصرى، بعـد أن التـف الصوماليـون حولـه فى شـخص «كـمال صـلاح الديـن» فحدثـت عمليـة الاغتيـال، وودعـه الصوماليـون فى جنـازة مَهيبـة وصلـوا عليـه فى مبنـى البرلمـان، ورافـق جثمانـه وفـد صومـالى قابـل الرئيـس جمـال عبـد النـاصر.

١٧ أبريل عام ١٥١٧
«سليم الأول» يستعد لنقل الصفوة إلى تركيا

سرت الشائعات المخيفة فى أرجاء القاهرة، بأن السلطان «سليم الأول» قرر أن يأخذ عددًا من المصريين معه إلى «إسطنبول» عاصمة الدولة العثمانية، فانقسم الناس حول تصديقها، وهناك من أكد أن «سليم الأول» لن يُقْدم عليها، فهو حقق حلمه بالسيطرة على مصر، وهناك من صدقها لقناعتهم بأن «سليم الأول» يستطيع أن يفعل أى شىء.

كانت الشائعة غريبة، وجاءت بعد عمليات القتل والنهب والتدمير التى اتبعها السلطان «سليم الأول» حين دخل القاهرة بجيشه، فأثارت ذعرًا بين الأهالى. سرت الشائعة فى مثل هذا اليوم (١٧ أبريل ١٥١٧)، ويتحدث عنها الكاتب الصحفى والمؤرخ حلمى النمنم فى كتابه «جذور الإرهاب- أيام السلطان سليم الأول فى مصر»؛ قائلاً: «كانت الشائعة غريبة ولغرابتها لم يصدقها كثيرون»، وفى يوم الجمعة الذى جاء بعد أول يوم سرت فيه، ثبت أن الأمر حقيقى، واجتمع عدد من رجال «سليم الأول» ووزرائه فى المدرسة الغورية لتحديد المسافرين إلى «إسطنبول»، واستدعوا المطلوبين، وكانوا من الصفوة الثقافية فى مصر، المتمثلة فى «القضاة والشهود»، بالإضافة إلى الحرفيين المهرة من الحرف المختلفة، مثل «المبلطين والمرخمين والحدادين»، وهؤلاء كانوا بمثابة المعلمين والمهندسين، فى وقت لم يكن فيه تعليم للهندسة.

يقـول «النمنـم»: «هـؤلاء هـم الذيـن أجـادوا الفنـون وأتقنوهـا وعلموهـا للأجيـال التاليـة، وهـم الذيـن أنشـئوا البيـوت المملوكيـة والمساجد والمـدارس، وأبدعـوا المشربيـات والأبـواب والسـقوف والسـجاجيد وصنعـوا الصوانـي المكفتـة وغيرهـا».

اختـاروا أيضًـا رجـال الرأسـمالية المصريـة مـن كبـار التجـار الذيـن يقـودون حركـة نقـل البضائـع والتجـارة بـين مـصر ودول العـالم، ويبعثـون بالرحـلات لاستكشـاف الأسـواق والبضائـع الجديـدة، وطلبـوا جماعـة مـن أعيـان اليهـود، وكان اليهـود جـزءًا مـن نسـيج المجتمـع المـصرى، ويعملـون فى قرابـة ٢٥٠ حرفـة يدويـة، فضـلًا عـلى ممارسـتهم قرابـة ١٧٠ نمطًـا مـن النشـاط فى مجـالات الاقتصـاد والإدارة والتعليـم والتجـارة والمـال، وكان اليهـود موجوديـن فى الجهـاز الإدارى للدولـة بنسبة أعـلى مـن نسبتهم السـكانية، وربـما لهـذا السـبب كـما يقـول «النمنـم»: «لم يطلـب العثمانيـون أى يهـودى، ولكـن طلبـوا مجموعـة مـن أعيانهـم».

كان الأمـر كلـه بمثابـة تفريـغ حقيقـى لمصر مـن كوادرهـا الكبـيرة فى المجـالات المختلفـة، فى مقابـل تكويـن قاعـدة مـن الفنيـين والعلـماء تقـود النهضـة فى «إسـطنبول»، ممـا تـرك أثـره العميـق فى تراجـع مـصر وتأخرهـا.

فى المدرسـة الغوريـة التـى تـم اسـتدعاء المطلوبـين إليهـا، جـرى تحديد المسـافرين إلى «إسـطنبول»، ولم يتركوهـم للعـودة إلى بيوتهـم وأعمالهـم ثانيـة، بـل ألزمـوا كل واحـد منهـم أن يأتـى بضامـن يضمنـه، وكلـما أحـضر أحـد الضامـن لـه، يتـم إطـلاق سراحـه، وكان هـذا الأسـلوب هـو القيـد الـذى وضعـوه مـن أجـل ألا يفـر أحـد، فـإن تخلـف شـخص عـن السـفر أو امتنـع يأتـوا عـلى الفـور بالضامـن لمحاسـبته، بـما يعنـى أنـه لم يكـن هنـاك أمـام أحـد مجـال للاختيـار أو الاعـتراض عـلى السـفر، فالموضـوع كلـه مفـروض وواجـب النفـاذ، ودارت العجلـة وسـافر أول فـوج بعـد ثلاثـة أسـابيع.

١٨ أبريل عام ١٩٥٥
عبد الناصر يحضر باندونج ويرفض تحذير أمريكا باغتياله من الإخوان

جاء مسئول المخابرات الأمريكية، كيرميت روزفلت، إلى القاهرة وفى يده تقرير لجمال عبد الناصر، يحذره من مخطط لاغتياله ترتبه جماعة الإخوان فى أثناء وجوده فى إندونيسيا لحضور مؤتمر «الحياد الإيجابى» الذى عُقد فى مثل هذا اليوم (١٨ أبريل ١٩٥٥) بمدينة باندونج.

أراد «روزفلت» منع حضور «عبد الناصر» للمؤتمر بأى طريقة، وحسبما جاء فى كتاب «ملفات السويس»، الصادر عن مؤسسة الأهرام، القاهرة لمحمد حسنين هيكل، حمل التقرير تفاصيل عن نشاط «الإخوان» وقوتهم فى إندونيسيا، ومعلومات مفصلة عن اجتماعات فى العاصمة الإندونيسية «جاكارتا»، وقررت فيها جماعة الإخوان فى مصر الانتقام من «عبد الناصر» بعدما حدث لها على أثر فشل محاولاتها لاغتياله عام ١٩٥٤، والقبض على كوادرها ومحاكمة المتورطين فى هذه المحاولة، وعلى رأسهم مرشد «الجماعة» المستشار حسن الهضيبى، فماذا كان رد فعل جمال عبد الناصر، على مسؤول المخابرات الأمريكية؟

يجيب هيكل، بأن «عبد الناصر» أزاح كل هذه التقارير والمعلومات جانبًا قائلًا: «لن أتخلف عن اجتماعات باندونج».

كان المؤتمر بداية لمرحلة التعاون الجماعى لدول العالم الثالث، وطريقًا إلى بروز كتلة عالمية جديدة لا تنحاز إلى حدة الاستقطاب بين الغرب بقيادة أمريكا، والشرق بقيادة الاتحاد السوفيتى، كما كان النواة الحقيقية لحركة عدم الانحياز. وحضر المؤتمر ٢٩ دولة، وشارك زعماء أبرزهم: الزعيم الهندى «نهرو»، والإندونيسى «سوكارنو»، والصينى «شوين لاى»، وجمال عبد الناصر، وكانت مشاركته هى سفره الأول خارج مصر بعد نجاح ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢، ولعب «عبد الناصر» دورًا كبيرًا فى إنجاح المؤتمر الذى كاد أن يفشل بسبب خلافات الرؤى، كما خاض معركة ضد دعوة إسرائيل للمشاركة فيه.

قبل انعقاد المؤتمر، وجه الداعون وكانوا خمس دول آسيوية، دعوة إلى إسرائيل بصفتها الآسيوية، فاتصل «عبد الناصر» بـ«نهرو» و«أونو»، رئيس وزراء بورما، موضحًا لهما أن حضور إسرائيل سيعنى عدم حضور الدول العربية، واقتنع «نهرو»، لكن «أونو» بعث إلى «عبد الناصر» رسالة يقول له فيها، إنه لا يستطيع سحب دعوة من بلد فى آسيا وجُهت إليه الدعوة فعلًا، فكتب «عبد الناصر» رسالة إليه يشرح فيها تركيبة إسرائيل، ودورها فى خدمة الاستعمار فى المنطقة.

عاد «أونو» يكتب لـ«عبد الناصر» بأن بقية الدول الآسيوية قد تُطلب حلًا يشمل حجة مقنعة لمنع إسرائيل من الحضور، ثم أضاف أنه قد لا يكون ملائمًا للعرب أن يفرضوا صراعهم مع إسرائيل على أصدقائهم فى آسيا وأفريقيا، ثم تساءل «أونو» عن الأساس الذى يمكن أن يرتضيه العرب لحل الصراع العربى الإسرائيلى، وبعث إليه «عبد الناصر» ليقول له إن العرب على استعداد لقبول قرار التقسيم، فإذا ما قبلته إسرائيل فإن الطريق يصبح ممهدًا، ويبدو أن «أونو» اتصل بإسرائيل وعرف رفضها القاطع لقرار التقسيم، حيث اتصل «أونو» بجمال عبد الناصر ليقول له إنه تأكد الآن أن إسرائيل مصممة على العدوان، ولا تريد حلًا معقولًا، ولهذا قرر بالتشاور مع «نهرو» وبقية المجموعة التى دعت إلى المؤتمر، سحبَ الدعوة الموجهة إلى إسرائيل.

١٩ أبريل عام ١٨٠٥
محمد علىّ يستقر فى منزله بالأزبكية
ويطالب خورشيد باشا برواتب جنوده

أشار «محمد على» إلى «الباب العالى» فى تركيا باسم «خورشيد باشا» حاكم الإسكندرية ليكون حاكما لمصر، فكان الصدى طيبا،واستحسن «السلطان» الاقتراح، فأصدر قراره بتعيين «خورشيد».

كان «خورشيد» موجودا فى الإسكندرية، ينتظر على أحر من الجمر، ولما بلغه قرار «السلطان» سارع إلى الرحيل من الإسكندرية مع حرس الشرف، ونزل من مركبه الشراعية فى الثانى من أبريل إلى بولاق بالقاهرة، وأدت له المدفعية التحية، ودخل إلى العاصمة بطريقة شرعية.

وفقا لكتاب «الفرعون الأخير» لـ«جيلبرت سينويه»، الصادر عن «منشورات الجمل» ترجمة عبد السلام المودنى، فإنه بعد قرابة عشرين يوما من دخول «خورشيد باشا» القاهرة، وصل رسول من «إسطنبول» بفرمان التعيين، ولأن وسائل الاتصال لم تكن بالسرعة المعروفة الآن، فقد كانت بعض القرارات فى أغلب الأحوال يتم إصدارها على مرحلتين، مرة شفهية أو برقية سريعة، على أن يتلوها «فرمان» مكتوب بالتفصيل، وهذا ما حدث مع «خورشيد باشا».

فى «الفرمان » الثانى المكتوب، كان النص: «تُسلَّم الحكومة فى مصر إلى أحمد خورشيد باشا، وقد اهتدينا فى اختيارنا هذا إلى ما نعرفه عنه من أهلية للتصرف، ومن استقامة وذكاء وحكمة إدارته».

على الرغم مما شمله «الفرمان» من كلمات شكر وتقدير واستحسان فى حق «خورشيد باشا»، فإنه جاء على كتلة من اللهب، ومرحلة اضطراب شديدة عاشت فيها مصر منذ رحيل الحملة الفرنسية ١٨٠١، وكان «محمد على» هو الرجل الذى يدير كل شىء، فالسلطة العسكرية فى يديه، وكان يخطط للحظة صعوده للحكم، بطريقة جديدة، تتمثل فى أن يكون حاكمًا بإرادة شعبية بمقاييس هذا الزمان.

لم تنعم مصر بالهدوء، فالحكومة لا تستطيع توفير المال، والبلد موزع بين «المماليك» و«الألبان»، وأضاف «خورشيد باشا» إليهم ميليشيات جديدة تُسمى «الدلهيون» أى «المجانين» لإحداث توازن مع الآخرين، وكانت غالبيتها من الأكراد، وبمجرد دخولهم إلى القاهرة جلبوا عليهم سخط الشعب بسبب سوء نظامهم وأذيتهم للناس. أما محمد على فيبلغه «خورشيد باشا» بدعوة «الباب العالى» له وللقادة العسكريين الألبان بالرحيل عن مصر، لكن بقى هذا «حبرًا على ورق»، وظل «محمد على» فى مصر يترقب اللحظة التى يبدأ منها طريقه إلى الحكم، وللوصول إليه كان يضع كل «كرات اللهب» فى الطريق أمام خصومه وحتى حلفائه دون أن يشعروا.

كانت كرة اللهب الأولى من محمد على، هى مغادرته لمصر العليا ومعه كل الألبان الموجودين تحت إمرته، زاحفين إلى القاهرة بذريعة مطالبة «الباشا» برواتبهم المتأخرة، أما كرة «اللهب الثانية» فكانت استغلال البدو للاضطراب الذى يعصف بالعاصمة ليعيثوا فسادا فى مصر السفلى، وأما كرة «اللهب الثالثة» فكانت زيادة التجاوزات إلى حد عدم جرأة أحد حتى لو كان مسلما على الخروج إلى شوارع القاهرة، وقيام الجنود بسجن ضباطهم ورؤسائهم، ونهبهم لكل شىء موجود أمامهم فى الطرقات والبيوت، ولم يعد لـ«الباشا» أى سلطة، وبلغ الوضع مرحلة سيئة جدا، إلى حد أنه لا يمكن أن يستمر طويلا.

جاءت كرة اللهب الرابعة بـ«تَعَسْكُر» محمد على تحت أسوار طرة يوم ١٤ أبريل، وتظاهر أفراد قواته بأنهم لم يحضروا إلا للمطالبة برواتبهم، وهو ما جعل «الدلهيين» لا يقابلونهم بعداء. وفى مثل هذا اليوم (١٩ أبريل ١٨٠٥)،

يدخل «محمد على» بقواته إلى العاصمة، ويستقر فى بيته بـ«الأزبكية»، ويوجه فى اليوم نفسه إنذارا إلى «خورشيد» بتأدية رواتب الجنود الألبان التابعين له.

كان ذلك فى إطار خطة مُحكمة يديرها الباشا ليصل إلى هدفه وهو «حكم مصر».

٢٠ أبريل عام ١٩٥٦
عبد الناصر فى السعودية وحاكم اليمن يسأله عن زواج فاتن حمامة وعمر الشريف

كان اللقاء بين جمال عبد الناصر والعاهل السعودى الملك سعود والأمير فيصل فى جدة، وكان عبد الناصر هو الذى سعى إلى اللقاء بعد أن تأكد من محاولات أمريكية للتفريق بينه وبين الملك سعود، فقرر السفر إلى السعودية فى مثل هذا اليوم (٢٠ أبريل ١٩٥٦).

كان نجم «عبد الناصر» يصعد بسرعة الصاروخ، وكانت أمريكا تسعى لوقف زحف تأثيره فى المنطقة، فقامت بتخويف الملك «سعود» من «عبد الناصر» والقول بأنه ثائر متطرف، وحسب كتاب «ملفات السويس»، الصادر عن مؤسسة الأهرام، لمحمد حسنين هيكل، فإن «عبد الناصر» صارح الملك سعود والأمير فيصل فى كل شىء، وكان لمصر بعثة عسكرية فى السعودية، وقيل إن أفراد البعثة ينشرون دعايات معينة فى الجيش السعودى، فقال «عبد الناصر» لـ«سعود»: «أرجوك أن تعتبر نفسك قائدا أعلى لكل عسكرى مصرى يعمل فى السعودية، وإذا بلغك عن أحدهم شىء ولو بمجرد النظر، فلك أن تصدر أمرا بعودته إلى مصر، وثق أن ذلك لن يؤثر على علاقاتنا».

وأضاف عبد الناصر: «كل التقارير التى تصلنى تؤكد أن خطة الغرب الآن هى التفريق بيننا وعلينا ألا نعطيهم فرصة مهما كان الثمن»، ورد الملك سعود

بأنـه لم يصلـه شـىء عـن نشـاط غـير مرغـوب فيـه للبعثـة العسـكرية المصريـة، وبالعكـس فـإن لديـه مـا يؤكـد أنهـم أكثـر النـاس جـدا وإخلاصـا فى خدمـة المملكـة».

شـهدت الزيـارة حدثـا آخـر كان طرفـه حاكـم اليمـن الإمـام «أحمـد» الـذى دعتـه القيـادة السـعودية لحضـور اللقـاء، فالتقـى عبـد النـاصر لأول مـرة، وروى «الإمـام» لـ«عبـد النـاصر» كيـف تغلـب عـلى محنـة الانقـلاب عليـه الـذى قـاده ضابـط فى الجيـش هـو «أحمـد الثلايـا»، حيـث تـم القبـض عليـه وحبسـه فى إحـدى غـرف القـصر، ورفـض أن يعطيهـم خاتـم الملـك «ومـد يـده وفـرد إصبعـه لكـى يـرى عبـد النـاصر الخاتـم فى إصبعـه، وكان خاتمـا مـن الذهـب يتوسـطه حجـر مـن العقيـق حُفـر عليـه اسـمه».

وبعـد عـدة أيـام سـمع الإمـام «أحمـد» ضجـة مـن الحريـم لأن الحـرس حاولـوا منـع إحـدى زوجاتـه مـن الخـروج، وغـلى الـدم فى عروقـه وصـاح: «لا يُعتـدى على النسـاء وأحمـد فى المدينـة»، ثـم هجـم عـلى أحـد الحـراس وانتـزع منـه سـلاحه، ومـضى صائحـا وهـو يجـرى: «الله أكـبر»، ولمـا وصـل إلى سـاحة القـصر والحـرس مـن حولـه مشـدود مأخـوذ، صعـد إلى بـرج عـالٍ يتوسـط السـاحة، وأخـذ مدفعـا رشاشـا مـن أحـد الجنـود وراح يطلـق النـار فى كل اتجـاه، وهـو يكـبر ويهلـل، وظـن النـاس والحـرس خـارج القـصر أن الانقـلاب فشـل،وأن «الإمـام» عـاد إلى مُلْكـه فتدفقـوا إليـه بالتأييـد وتـم القبـض عـلى قـادة الانقـلاب، وأطـاح بـرءُوس ٣٦ منهـم، وعلقهـا عـلى شـجرة أمـام القـصر عـبرة لمـن اعتـبر.

يقـول هيـكل، إن «عبـد النـاصر» كان يسـمع القصـة ويتابـع تفاصيلهـا مسـتغربا ومسـتمتعا فى الوقـت نفسـه، وتصـور أن المناقشـة يمكـن أن تتجـه بعـد ذلـك إلى موضوعـات أكثـر أهميـة، ولكـن «إمـام اليمـن» انتقـل إلى قصـة أخـرى فاجـأ بهـا «عبـد النـاصر».

التفـت «إمـــام اليمـن» إلى الرئيـس جمـال عبـد النـاصر، وعـلى وجهـه ملامـح جـد – وسـأله: «بـــالى مشغـــول لأنـــى لم أعـــرف أخبـار مـصر»، ورد عليـه «عبـد النـاصر»: «مـصر بخـير»، لكـن شـاغل «إمـام اليمـن» كان شـيئا آخـر غـير

شـواغل «عبـد النـاصر» الـذى فوجـئ بالإمـام يسـأله: «هـل تزوجـت فاتـن حمامـة مـن عمـر الشريـف أو ليـس بعـد؟».

لم يكـن لـدى «عبـد النـاصر» جـواب علـى هـذا السـؤال المفاجـئ، فقـال لـه ضاحـكا: «الشـيخ الباقـورى ربـما يعـرف وقـد يسـتطيع أن يفتيـك فى هـذا الموضـوع»، كان الباقـورى وزيـر الأوقـاف ومرافقـا لعبـد النـاصر فى الزيـارة.

يعلـق «هيـكل» : «اتضـح أن إمـام اليمـن فى عزلتـه البعيـدة فى صنعـاء مدمـن لقـراءة المجـلات المصريـة، وأنـه يتابـع آخـر القصـص عـن حيـاة نجـوم المسرح والسـينما فى مـصر، وأن حياتهـم الخاصـة تشـغله كثـيرا».

٢١ أبريل عام ١٨٠٠
معاهدة استسلام ثورة القاهرة الثانية.. والثوار يقتلون زعيمهم « البشتيلى»

قبض الفرنسيون بقيادة «كليبر» على الحاج «مصطفى البشتيلى» زعيم ثوار ثورة القاهرة الثانية، وطلبوا من أتباعه أن يقتلوه، لأنه السبب فيما حل بهم، فضربوه بالعصى حتى مات.

كان قتل «الثوار» لزعيمهم «البشتيلى»، وبأمر من الفرنسيين الذين احتلوا مصر (١٨٩٨-١٨٠١)، حدثا دراميا ومأساويا كبيرا، فالرجل الذى لبى نداء المقاومة وقاد، وحرك، ينتهى به الأمر على هذا النحو المأسوى.

كان «الحدث» خطوة فى طريق هزيمة الثورة، حيث تم فى مثل هذا اليوم (٢١ أبريل ١٨٠٠) توقيع اتفاقية مع كليبر على الاستسلام بعد وحشية الفرنسيين فى القتل، وتدمير وحرق القاهرة منذ أن بدأت الثورة يوم ٢٠ مارس.

تعهد كليبر بأن يُصْدر عفوا عاما عن جميع أهالى القاهرة، وعن المصريين الذين اشتركوا فى الثورة، ولكنه اشترط ألا يغادر المدينة أحد من المصريين بقصد اللحاق بالجيش العثمانى.

فى سيرة «البشتيلى» ما يدلنا على رجل ثائر بمقاييس وقتئذ، فهو تاجر من أعيان بولاق، وابن لمنطقة «بشتيل» لكنه كان مقاوما عنيدا، وحسب رواية

«الجبرتي» عنه: «تحزم الحاج مصطفى البشتيلي وأمثاله من دعاة الثورة، وهيجوا العامة وهيَّئوا عصيهم وأسلحتهم ورمَّحوا وصفَّحوا، وأول ما بدءُوا به أنهم ذهبوا إلى وطاق الفرنسيين الذى تركوه بساحل البحر (النيل)، وعنده حرس منهم فقتلوا من أدركوه منهم، ونهبوا جميع ما به من خيام ومتاع وغيره، ورجعوا إلى البلد وفتحوا مخازن الغلال والودائع التى للفرنساوية وأخذوا منها، وعملوا كرانك حول البلد ومتاريس».

اعتقله الفرنسيون قبل ثورة القاهرة الثانية، بعد أن فتشوا وكالته فوجدوا فيها قدورا مملوءة بالبارود، وأفرجوا عنه بعد فترة، ولم تهمد عزيمته بسبب الاعتقال، فقد خرج منه إلى التحريض مباشرة على الثورة.

«البشتيلي» بهذا الوصف كان قائدا ميدانيا لا يقبل الحلول الوسط، ولهذا كان تحريض «كليبر» للثوار على قتله بمثابة انتقام، وتصفية لهذا النوع من القيادة التى ترى فى المقاومة سبيلا وحيدا لمقاومة الاحتلال حتى يرحل، ومن هنا رأى «كليبر» فى قتله رسالة ترويع وعبرة للآخرين لإخماد الثورة نهائيا.

بعد توقيع معاهدة الاستسلام، أعد الأتراك والمماليك العدة للرحيل من القاهرة، ويقول «الجبرتي»: إنهم ارتحلوا بطريق بلبيس وسار معهم زعماء الثورة من المصريين، أمثال عمر مكرم نقيب الأشراف، والسيد أحمد المحروقي كبير التجار، وهاجر من العاصمة آلاف ممن توقعوا انتقام الفرنسيين، فتفرقوا فى البلاد، وكانوا محقين فى مخاوفهم لأن كليبر نقض عهده.

قبل أن يجف حبر معاهدة الاستسلام، أمر «كليبر» بالاقتصاص من سكان القاهرة جميعهم بفرض غرامات جسيمة بلغت ١٢ مليون فرنك، نصفها نقدا ونصفها عَرُوضًا، وألزم سكان المدينة بتسليم ٢٠ ألف بندقية و١٠ آلاف سيف و٢٠ ألف طبنجة ومصادرة أملاك السيد أحمد المحروقي كبير التجار، وفرض على السيد محمد السادات ١٥٠ ألف ريال، والشيخ مصطفى الصاوى ٥٠ ألف ريال، والشيخ محمد الجوهرى وأخيه الشيخ فتوح ٥٠ ألف ريال، وأمر بتوزيع الباقى على سكان المدينة على اختلاف طوائفهم وطبقاتهم واعتقل خمسة عشر رجلا من كبرائهم رهينة لوفاء هذه الغرامة.

٢٢ أبريل عام ١٨٤٦
«إبراهيم باشا» فى باريس يبحث عن الصناعة والحب العُذْرىّ

وصل إبراهيم باشا ابن محمد على أخيرا إلى باريس، استقبله الشعب الفرنسى فى مثل هذا اليوم (٢٢ أبريل ١٨٤٦) بحماسة وألق تجاوزا المألوف.

استغرق موكبه من المحطة إلى قصر الإليزيه ساعتين، هكذا يصف «جيلبرت سينويه» فى كتابه «الفرعون الأخير- محمد على»، الصادر عن منشورات الجمل، ترجمة عبد السلام المودنى. زيارة إبراهيم باشا إلى باريس، التى بدأت فى مثل هذا اليوم (٢٢ أبريل ١٨٤٦)، والتفاصيل أكثر تأتى فى «مذكرات نوبار باشا»، الصادرة عن دار الشروق، القاهرة.

يقول نوبار: «فى باريس كانت الجموع تسرع نحو موكبه فى كل مرة يخرج فيها من قصر الإليزيه أو يدخل إليه».

كان «نوبار باشا» وزير ومستشار «محمد على» فى صحبة «إبراهيم» فى هذه الزيارة، وعبر أربعين يوما قضاها «إبراهيم باشا» فى فرنسا يكشف الكثير مما كان يحلم به «إبراهيم» لمصر.

خلال الأربعين يوما تعاقبت المقابلات والحفلات ودعوات العشاء دون توقف، بالإضافة إلى الزيارات الرسمية مثل زيارة مصنع «الجوبلان» للنسيج والسجاد، ثم بعض المصانع الأخرى.

يذكر نوبار، أن إبراهيم كان يبحث عن كل التفاصيل باهتمام شديد، ويناقش أدق الأمور وفى جيبه قطعة من الخبز كان يأكل منها أثناء زيارته

للمصنع، كان يعرف كل شيء يتعلق بالصناعة، وعلى علم بكل ما تحقق من تقدم في هذا المجال، لأنه درس كل هذه المعلومات من خلال التقارير التى كانت تصل إليه مع القادمين إلى مصر من ذوى المكانة الرفيعة أثناء فصل الشتاء، ليحلوا ضيوفا على الوالى محمد على حيث كان «إبراهيم» يتجاذب معهم أطراف الحديث،ويؤكد نوبار: «أستطيع القول بأنهما لم يكونا بمعزل عن أى أمر يتعلق بالسياسة والتقدم العلمى فى أوروبا».

فى وقائع الزيارة، أن ملك فرنسا استقبل «إبراهيم» رسميا، وسهر مع العائلة الملكية الفرنسية، لكن «إبراهيم»، كان مشغولا بحال مصر بالمقارنة مع أوروبا التى رآها.

يقول «نوبار»، إنه رأى هذا الرجل الذى سفك الدماء وأشعل النار فى «المورة» يبكى عندما رأى الريف فى ضواحى مدينة «أجين»، فتصور أن الدموع نتيجة آلام عضوية انتابته فجأة، لكن إبراهيم قال له: «لا.. انظر كم هى جميلة!»، وبالفعل كان نهر «الدوردونى» ينساب وسط السهول والمزارع الخضراء، وعلى شاطئيه المحصولات الغنية بالخير والرخاء، وأكمل يقول: «إنى أبكى لأنى أرى هذه البلاد تنعم بالرخاء بينما مصر تعانى من البؤس على رغم أن أرضها أكثر خصوبة، سوف أغير كل ذلك إذا أمد الله فى عمرى».

كان لأحوال المرأة الأوروبية نصيب، يحكى «نوبار» أن إبراهيم روى له أنه كان ذات يوم فى لو كوكبى: يتنزه فى الريف فقابلته امرأة أعجبته فعرض عليها صرة من الذهب، ورفضت صحبته ونهرته، وتساءل: «هل يمكن أن يكون هذا ممكنا عندنا، فى الشرق نتحدث عن الحب العذرى والأبوى؟ إننا نخدع أنفسنا، إن البحث عنهما يجب أن يكون هنا».

٢٣ أبريل عام ١٩٠٨
رحيل قاسم أمين بعد عشر سنوات من الغضب

كم من المآسى تعرض لها «قاسم أمين» بسبب كتابه «تحرير المرأة»! وصفه معارضوه بـ«الزنديق» و«الفاجر» و«الإباحى»، ثم امتد الأمر إلى ما هو أفدح، وفى كتاب «أفكار ضد الرصاص»، سلسلة اقرأ، دار المعارف، القاهرة لـ«محمود عوض»، نقرأ واحدة من تلك المآسى.

يقول عوض: «عندما عاد قاسم أمين إلى منزله فى المساء أدرك بعد خمس دقائق أنه ارتكب غلطة فظيعة، لقد توقع أشياءً كثيرة، ولكنه لم يتوقع هذا المنظر الذى يراه أمامه داخل منزله فى شارع الهرم».

كان المنظر عبارة عن رجل غريب يقول لـ«قاسم» ببساطة شديدة: «أنا عاوز الست بتاعتك»، فرد عليه بهدوء شديد: «عاوزها فى إيه؟»، رد الرجل: «عاوز أجتمع بيها، عاوز أختلط معاها، عاوزها تخرج معايا»، ومرت لحظات صمت ووقاحة قبل أن يستأنف الرجل الغريب حديثه مستفزا قاسم أمين: ألست تدعو إلى سفور المرأة، إلى اختلاطها بالرجال ومساواتها بهم؟ ألست تنادى فى كتابك بأن تنزع المرأة حجابها وتكسب حريتها كاملة؟ أليس هذا كتابك «تحرير المرأة»؟ ورد «قاسم أمين» ببساطة: نعم هذا كتابى، ولكنك أسأت فهم أفكارى فى هذا الكتاب».

صدر كتاب «تحرير المرأة» عام ١٨٩٨، وتُوفِّى «قاسم أمين» فى مثل هذا اليوم (٢٣ أبريل ١٩٠٨)، وبين إصدار الكتاب ورحيل صاحبه، مضت عشر

سنوات واجـه فيهـا معـارك كبـيرة، وكـما يقـول «عـوض» فى كتابـه: «خشـى قاسـم أن يتحمـل وحـده مسـئولية إصـدار الكتـاب فعـرض عـلى صديقـه «أحمـد شـفيق باشـا» رئيـس الديـوان الخديـو الـذى تخـرج فى مدرسـة العلـوم السياسـية والحقـوق بباريـس أن يشـاركه، ولكـن الخـوف تغلـب عـلى «شـفيق» فاعتـذر لأن «الأفـكار لم تتهيـأ بعـد لقبـول مثـل هـذه الدعـوة».

تصـدى «الكتـاب» لقضايـا تعليـم المـرأة وحجابهـا، لم يـدْعُ إلى السـفور وإنـما دعـا إلى «الحجـاب الشرعـى»، وقـال عـن تعليمهـا: «لسـت ممـن يطلبـون المسـاواة بـين الرجـل والمـرأة فى التعليـم فذلـك غـير ضرورى»، وطبقـا لذلـك كان مُصْلحًـا أكثـر منـه ثائـرا ومتمـردا، وبالرغـم مـن ذلـك كلـه لم يرحمـه أحـد، ولم يجـرؤ الكثـير مـن أصدقائـه عـلى مسـاندته، وعاقبـه الخديـو «عبـاس حلمـى الثانـى» بمنعـه مـن دخـول قـصر عابديـن عقابـا عـلى «أفـكاره الفاجـرة»، أمـا الشـيخ محمـد عبـده وسـعد زغلـول وأحمـد لطفـى السـيد فرغـم موافقتهـم عـلى الكتـاب، بـل قراءتـه قبـل طبعـه، فإنهـم التزمـوا الصمـت فى مواجهـة عاصفـة الغضـب ضـده، فلـم يجـرؤوا عـلى تأييـده علنـا، كـما كان الزعيـم مصطفـى كامـل مـن أشـد أعـداء دعـوة «قاسـم أمـين»، وأفـرد صفحـات جريدتـه «اللـواء» لعـدة أشـهر للهجـوم عليـه والتشـكيك فى وطنيتـه، أمـا جريـدة «المؤيـد» التـى تحمسـت للكتـاب فى البدايـة، فانقلبـت عليـه وفتحـت صفحاتهـا للمعارضـين وكان عـلى رأسـهم «محمـد فريـد وجـدى».

مـات «قاسـم أمـين» بالسـكتة القلبيـة وعمـره ٤٣ عامـا، وبعـد رحيلـه تحولـت أفـكاره إلى «أيقونـة» وحظـى اسـمه بشـهرة النجـوم.

٢٤ أبريل عام ١٩٠٨
أحمد حلمى يُصْدر جريدة «القطر المصرى»؛
فيصبح أول سجين رأى فى مصر

كان فى السابعة من عمره وقت عودته من «الكُتّاب»، فرأى جنود الاحتلال الإنجليزى يهاجمون بائع بطاطا جوالا، وينهبون تجارته وهو يبكى، ويحاول جمع ما يستطيع جمعه من تجارته المبعثرة، ولكنهم التهموا ما معه ولم يكتفوا بذلك، بل ضربوا البائع بالسكين، وعاد الطفل منفعلا ثم نام، وفى الصباح قص ما شاهده على خاله، فقال له: هؤلاء عساكر من الفرنجة جاء بهم الخديو ليحموه.

ألقت هذه القصة فى نفس «أحمد حلمى»- المولود فى فبراير ١٨٧٥- بغضا للإنجليز وكرها لـ«الخديو»، ولما شب أصبح ثائرًا وصحفيًّا، ويظل فى سجلات التاريخ أول مصرى يتم سجنه أربعة أشهر بتهمة العيب فى الذات الملكية «الخديوية».

جاء الحكم على أثر تزعم «حلمى» لمظاهرة قوامها ٢٥ ألف مصرى خرجت يوم (٣١ مارس ١٩٠٩) احتجاجا على العودة للعمل بقانون المطبوعات الصادر عام ١٨٨١، وقضت المحكمة فى القضية نفسها بتعطيل جريدة «القطر المصرى» التى كان يملكها ويرأس تحريرها، وصدر العدد الأول منها فى مثل هذا اليوم (٢٤ أبريل ١٩٠٨)، كما شمل الحكم إعدام كل ما ضبط ويضبط من العدد «٣٧» للجريدة.

كانـت الصحافـة لـ«أحمـد حلمـى» ثـورة يتنفـس منهـا ضـد الظلـم، وكانـت «الميادين» مجالـه المفتـوح فى الخطابـة لتعبئـة المصريـين ضـد الاحتـلال وفسـاد الحكـم، وفى كتـاب «أحمـد حلمـى- سـجين الحريـة والصحافـة»، الصـادر عـن الهيئة العامـة للكتـاب، القاهـرة، للدكتـور «إبراهيـم المسـلمى»، نتتبـع سـيرة ثائـر لم يكـن رماديـا فى نضالـه.

كان «المحـرر الأول» فى جريـدة «اللـواء» لسـبع سـنوات متصلـة بـدأت مـن العـدد الأول لهـا عـام ١٩٠٠، وارتبـط بعلاقـة وطيـدة بمؤسسـها الزعيـم الوطنـى مصطفـى كامـل، ويـوم دفنـه خطـب عـلى قـبره بلوعـة قائـلاً: «صديقـى، أخـى، أسـتاذى، إمامـى، انهـض إلى تلـك الجمـوع الهائلـة، فاخطـب بينهـا بلسـانك الفصيـح، تكلـم فينـا، لتُحْيـى نفوسـنا وتقـوى عزائمنـا».

وبعـد رحيـل مصطفـى كامـل، اسـتقال مـن «اللـواء»، ليصـدر بعـد ثلاثـة أسـابيع صحيفـة «القطـر المـصرى»، ويحـدد خطهـا السياسـى فى: السـعى بـكل الوسـائل لتقويـة الارتبـاط بـين المسـلمين والأقبـاط، وتجنـب البحـث فى كل مـا يجـر الـكلام عـلى الأديـان، أو تفضيـل واحـد منهـا عـلى الآخـر مراعـاة لعواطـف مـن يدينـون بـه، والتقليـل مـن مناقشـة الجرائـم وعـدم التعـرض لأشـخاصها بقـدر المسـتطاع، خصوصـا إذا كانـوا مـن الضعفـاء الذيـن يكتـب لهـم مـا ينـشر بأسـمائهم ممـا لا يسـتطيعون أن يقـرءُوه مصريّـا أو مُعرَّبـا.

شـقت «القطـر المـصرى» طريقهـا بنجـاح كبـير، وصـدرت فى البدايـة أسـبوعية صبـاح كل جمعـة، وبرغـم الأمطـار الشـديدة التـى صاحبـت ظهـور العـدد الأول، فإنهـا وزعـت بالكامـل فى نفـس اليـوم، وأعيـدت طباعتهـا، وكان ذلـك أول مـرة يعـاد فيهـا طبـع جريـدة مصريـة سياسـية طبعـة ثانيـة.

بعـد سـتة أشـهر، وبالتحديـد يـوم ١٦ أكتوبـر ١٩٠٨، تحولـت إلى يوميـة، وبلـغ أثرهـا حـد أن الخديـو عبـاس كان يقرؤهـا خلافـا لعاداتـه، ولم يكـن يطالـع غيرهـا مـن الصحـف المصريـة، وكان ضبـاط الجيـش مـن جمهورهـا، ولمـا منعتهـا الحكومـة السـودانية، كان الضبـاط يخفونهـا فى طيـات ملابسـهم.

٢٥ أبريل عام ١٩٢٥
أحمد لطفى السيد فى الجامعة العبرية
بدعوة من الحركة الصهيونية

كان للحركة الصهيونية نفوذ فى مصر فى عشرينيات القرن الماضى، واستمر بين صعود وهبوط حتى حرب ١٩٤٨، كان لها صحف، سياسيون، كُتّاب، مثقفون، وجالية يهودية تحتضن كل الأنشطة الصهيونية، وفى كتاب «وعليكم السلام- مصر وإسرائيل والعرب والمستقبل»، الصادر عن دار المعارف، القاهرة، للكاتب محمود عوض، يكشف الكثير من هذا الفصل الغامض فى تاريخ الصراع العربى الصهيونى، يحدثنا مثلا عن أن «حاييم وايزمان» رئيس المنظمة الصهيونية العالمية فى زيارته الثانية لمصر عام ١٩٢٥، رغب بمجرد وصوله للقاهرة فى زيارة بيت إسرائيلى، وأقامت اللجنة الإدارية لهذا البيت حفلة شاى تكريما للزائرين، ومنهم الكثير من كبار المشتغلين بالحركة الصهيونية فى مصر، وخطب «وايزمان» عن واجب يهود مصر نحو الحركة الصهيونية، مُنوِّهًا بالمساعى المشكورة التى يبذلها الحاخام الأكبر «ناحوم أفندى» فى سبيل الحصول على مؤازرة كبار الأعيان للصهيونية، ثم ألقى «الحاخام الأكبر» خطبة بليغة أعلن فيها رغبته الأكيدة فى الاشتغال للحركة الصهيونية فى مصر، وفى نشاط مماثل وصل إلى مصر وفد للمعلمين والمعلمات اليهود العاملين فى المدارس بالمستعمرات الصهيونية فى فلسطين، واهتمت الحكومة بهم اهتماما بالغا ونزل الوفد فى ضيافة وزارة المعارف.

كان النفوذ الصهيوني يحاول كسب مناطق نفوذ فى مصر كل يوم، وفى مثل هذا اليوم (٢٥ أبريل ١٩٢٥) قررت إسرائيل افتتاح الجامعة العبرية بالقدس، ورأت أن يكون مهيبا وضخما ومؤثرا ويحمل دلالات عميقة، فوجهت الدعوة إلى شخصيات عديدة فى دول العالم، وحسب ما يذكره «عوض»: «كان تركيزهم الأول فى الشرق الأوسط على مصر، حتى يُشاع وهمًا بأن مصر تقف إلى جوار الحركة الصهيونية ضد شعب فلسطين».

بذلت إسرائيل جهودا مستميتة من أجل أن تحضر شخصية مصرية بارزة، فوجهوا الدعوة إلى الشيخ محمد بخيت مفتى الديار المصرية سابقا، لكنه أهملها، ثم وجهوها إلى الدكتور «أحمد زكى باشا» الملقب بـ«شيخ العروبة فى مصر»، فاعتذر لكبر سِنّه، وعدم تحمله مشقة السفر، فعرضوا عليه تسهيلات، لكنه قال لهم: «لن أحضر حفلة تسيء لأهل فلسطين، الذين هم فى حالة حداد بسبب هذه الجامعة».

اخترقت «الحركة الصهيونية» مصر «من أعلى»، حيث قبلت الحكومة دعوة حضور افتتاح الجامعة العبرية، واختارت «أحمد لطفى السيد» مدير «الجامعة المصرية» ليمثلها.

كان الخبر صادما فى فلسطين، وفى رسالة حملت توقيع رئيس الجمعية الإسلامية فى نابلس قال: «إشراك لطفى بك السيد بافتتاح الجامعة العبرية باسم مصر، يؤلم الأمة العربية بأسرها، نرجو المحافظة على ما بيننا من حقوق اللغة والتاريخ والجوار والأخلاق والعادات».

هاجت الصحف الوطنية المصرية «لطفى السيد» وحكومة «زيور باشا» التى أوفدته، وأمام غليان الغضب الشعبى، أصدر «لطفى» بيانا بعنوان: «الأستاذ لطفى السيد يدافع ويعتذر»، قال فيه إنه قَبِل الدعوة بارتياح اعتقادا منه أنها من معهد علمى لا علاقة له بالسياسة، لكن المبالغة فى الاحتفال كانت بالقدر الذى رآه انطوى على ترويج للدعوة الصهيونية.

٢٦ أبريل عام ١٩٦٠
العمال العرب يقاطعون السفن الأمريكية ردًا على مقاطعة «كليوباترا» المصرية

لجأت إسرائيل إلى مجلس الأمن الدولى عام ١٩٥٩ تشكو مصر لفرض سيادتها على معبر قناة السويس رغم أنه معبر دولى للملاحة البحرية، وعبر هذه السيادة لا تسمح لسفن إسرائيل بالمرور فى القناة.

رد جمال عبد الناصر فى حديث للصحفى الهندى «كارانجيا»، بأنه حتى لو حصلت إسرائيل على قرار من مجلس الأمن بحقها فى المرور من القناة، فإن مصر لن تنفذ، إلا إذا نفذت إسرائيل ما يخصها من قرارات الأمم المتحدة الخاصة بالتقسيم والخاصة بحق اللاجئين الفلسطينيين فى العودة لأراضيهم أو تعويضهم.

أرادت إسرائيل أن ترد على تصميم «عبد الناصر»، بعدم استخدام إسرائيل لمعبر القناة، فقررت المواجهة فى أمريكا، وعبر علاقتها القوية مع اتحاد البحارة الأمريكيين، دفعته إلى إصدار بيان يعلن فيه مقاطعة عمليات البواخر المصرية فى الموانئ الأمريكية، وكان مخططها السرى أن تمتد عملية المقاطعة إلى دول أوروبا الغربية واليابان.

فى يوم ١٩ أبريل ١٩٦٠، دخلت الباخرة المصرية «كليوباترا» إلى ميناء نيويورك، تحمل شحنة من القطن المصرى طويل التيلة مُصدَّرة إلى أمريكا، ورفض عمال الميناء تفريغها تنفيذا للمقاطعة، وفشلت كل الجهود المصرية

لـدى الحكومـة الأمريكيـة لفـك الأزمـة، وكـما يقـول محمـد حسـنين هيـكل فى كتابـه «سـنوات الغليـان»: «ظلـت الباخـرة كليوباتـرا أيامـا طويلـة عـلى رصيـف ميناء نيويـورك يحيـط بهـا طابـور مـن أعضـاء اتحـاد البحـارة الأمريكيـين لمنـع الاقـتراب إليهـا، حتـى لا تلجـأ القنصليـة المصريـة فى نيويـورك، وهـى المكلفـة برعايـة أمرهـا، إلى أى ترتيبـات أخـرى لتفريغهـا، بغـير واسـطة أعضـاء اتحـاد البحـارة الأمريكيـين».

ارتفعـت حـرارة القضيـة، بعـد أن انتقلـت كلمتهـا إلى العـمال العـرب الذيـن سـجلوا فيهـا واحـدة مـن معاركهـم المجيـدة فى تاريـخ النضـال العربـى، ففـى مثـل هـذا اليـوم (٢٦ أبريـل ١٩٦٠) اجتمـع اتحـاد العـمال العـرب فى القاهـرة، برئاسـة «سـالم شـيتا» وهـو ليبـى الجنسـية، وأسـعد راجـح (الأمـين العـام وهـو يمنـى الجنسـية)، وقـرر الاتحـاد، حسـب جريـدة الأهـرام فى عددهـا الصـادر يـوم ٢٧ أبريـل ١٩٦٠، أن مقاطعـة السـفينة العربيـة «كليوباتـرا» عمـل عدوانـى ضـد الـدول العربيـة كلهـا، وأن الموانـئ العربيـة بـما فيهـا الـدول العربيـة غـير الممثلـة فى الاتحـاد سـتقوم بتنفيـذ قـرار المقاطعـة.

لم يكـن القـرار حـبرا عـلى ورق، ففـى مـصر قـررت النقابـات العماليـة مقاطعـة البواخـر الأمريكيـة فى موانـئ الجمهوريـة العربيـة المتحـدة، وجـرى تطبيقـه فى موانـئ الإسـكندرية وبورسـعيد واللاذقيـة والسـويس، وانضمـت إليـه موانـئ بـيروت وطرابلـس والعقبـة والكويـت والربـاط وبورسـودان وموانـئ ليبيـا وتونـس واليمـن والسـعودية، بدرجـة أصبحـت معهـا المقاطعـة العربيـة للبواخـر الأمريكيـة شـبه كاملـة.

كانـت الباخـرة «إنتربرايـز» تقـترب مـن ميناء الإسـكندرية، وتـم إبلاغهـا بـأن العـمال ينتظرونهـا عـلى الرصيـف وهـم يحملـون لافتـات تقـول: «لا مـاء، لا وقـود، لا طعـام، لا شـحن، لا تفريـغ، لا خدمـات مـن أى نـوع للبواخـر الأمريكيـة»، فغـيرت وجهتهـا لكنهـا وقعـت تحـت قبضـة العـمال فى ميناء بورسـعيد، حيـث كانـت متجهـة إلى الـشرق الأقـصى، وفى بـيروت قاطـع العـمال باخـرة «مولـين فيكتـورى» و«سـانتا لوتشـيا»، واضطـرت باخرتـان أخريـان إلى التراجـع، وفى اللاذقيـة قاطـع العـمال الباخـرة «مونتويـك».

٢٧ أبريل عام ١٩٣٥
استقالة شيخ الأزهر «الأحمدى الظواهرى» بسبب مظاهرات «الجمعة اليتيمة»

أبلغ «زكى الإبراشى» ناظر الخاصة الملكية، الشيخ «الأحمدى الظواهرى»: «جلالة الملك اختار فضيلتكم لتكون شيخ الجامع الأزهر الجديد وهو شديد الثقة فيكم».

رد «الظواهرى»: «إنى مغتبط شديد الاغتباط بثقة مولاى الملك، فطلب الإبراشى: «أرجو من فضيلتكم مقابلة عدلى يكن باشا رئيس الوزراء فإنه يريد مقابلتكم»، وتمت المقابلة.

فى مذكرات «الظواهرى» بعنوان «السياسة والأزهر»، الصادرة عن دار الاعتصام، القاهرة، يحكى «الشيخ» أنه بعد قرار التعيين، قال له الملك أثناء زيارته له لشكره: «كنت أريد أن أعينك فى المرة الأولى ولكن يظهر ربنا أراد أن يمتحنك»، فرد عليه الشيخ: «إنى أحمد الله يا مولاى أن نجحت فى الامتحان، وإنى لعاجز عن شكر مولاى على الثقة الغالية التى وضعتها فى شخصى الضعيف».

قصة تعيين «الظواهرى» التى انتهت باستقالته من منصبه فى مثل هذا اليوم (٢٧ أبريل ١٩٣٥)، واحدة من القصص التى توضح حال الأزهر حين يصبح موضع اجتذاب بين القوى السياسية، إدراكا منها بأهميته لدى المسلمين داخليا وخارجيا.

في يوليو ١٩٢٧ تُوفِّيَ شيخ الأزهر، الشيخ أبو الفضل الجيزاوي، وحسب كتاب «الأزهر - الشيخ والمشيخة»، لحلمي النمنم، أراد الملك فؤاد تعيين الشيخ الظواهري للمنصب، لكن الحكومة كانت منحازة للشيخ «مصطفى المراغي»، وتعطل الأمر عشرة شهور بسبب وفاة سعد زغلول، حتى أصدر الملك قرار تعيين «المراغي» في مايو ١٩٢٨، لكنه استقال يوم ٨ أكتوبر ١٩٢٩ بسبب رفض «الملك» مشروع قانون إصلاح الأزهر، وكان ذلك انعكاسا لرفض «فؤاد» للقانون الصادر يوم ٢٢ مايو ١٩٢٧، والذي ترك للملك حق تعيين شيخ الأزهر ولكن بناء على أمر يصدره وليس مرسوما ملكيا، ثم يصدر الأمر بناء على ترشيح رئيس الوزراء، بما يعني شراكة بين الحكومة والملك في إصدار القرار.

رد «الظواهري» الدَّيْن لـ«فؤاد» فألغى القانون سنة ١٩٣٠، مما أعاد سلطة «الملك» على الأزهر، وتزامن ذلك مع تولي إسماعيل صدقي رئاسة الوزراء، وإلغائه العمل بدستور ١٩٢٣ ووضع دستور جديد معروف تاريخيا بدستور «١٩٣٠» ضمن للملك سيطرته الكاملة على الأزهر.

اجتمعت خصومتان في توقيت واحد ضد «الظواهري» أثناء شغله منصبه، واحدة من الأزهريين التقليديين لمحاولاته الإصلاحية، والثانية مع الأحزاب المعارضة لدكتاتورية إسماعيل صدقي، حيث وقف «الظواهري» في خندق «صدقي» والملك فؤاد، فتألب عليه الجميع.

احتشد الأزهريون في مظاهرة بعد صلاة الجمعة اليتيمة أمام مسجد عمرو ابن العاص يوم ٥ يناير ١٩٣٥، وكان رئيس الوزراء إسماعيل صدقي يحضرها، هتف المتظاهرون ضد «الشيخ» يطالبون بإقالته و«إنقاذ الإسلام منه».

شعر «الظواهري» بالحرج وأراد الاستقالة، لكن الملك فؤاد طالبه بالبقاء، فوافق حبا لـ«فؤاد» الذي كان أقرب المشايخ إلى قلبه وعقله، لكن الضغوط تواصلت وبلغت ذروتها بذهاب وفد من العلماء إلى القصر الملكي يطلب استقالة «الظواهري»، وجاءت الاستقالة، ليعود المراغي شيخا للأزهر.

٢٨ أبريل عام ١٩٣٦
وفاة الملك فؤاد.. وزوجته نازلى تحطم قيودها وتنطلق

تلقى «سراى القبة» خطابا من الأمير «فاروق» الذى كان يدرس فى لندن، تسلم والده الملك «أحمد فؤاد» الخطاب وكانت سعادته به كبيرة، كان «فاروق» يبلغ من العمر وقتئذ ١٦ عاما، بينما عمر والده «فؤاد» ٦٨ عاما.

وضع «الملك» نظارته على عينيه فى الساعة الواحدة و٢٧ دقيقة، وضغط على زر الكهرباء لإضاءة المصباح المثبت بجوار مقعده، وتناول خطاب ابنه ليقرأه، ويسطه بيديه أمام عينيه، لكن تهدلت اليدان فجأة، وسقط الخطاب، فأسرع الأطباء لكنهم وجدوا أن «الملك» أُسلمت روحه فى الساعة الواحدة والنصف ظهرا فى مثل هذا اليوم (٢٨ أبريل ١٩٣٦).

خرجت صحيفة الأهرام فى اليوم التالى (٢٩ أبريل) بصورة كبيرة لـ«فؤاد» فى الصفحة الأولى وعنوان: «مات الملك» وبجوارها صورة بنفس الحجم لـ«فاروق» وعنوان: «عاش الملك».

مات «فؤاد» وابنه لم يكن بجواره فى مصر، وكان المانع سياسيا، حيث كانت بريطانيا كبلد احتلال لمصر تضبط كل شىء وفقا لمصالحها ولما تريد، وتشير إلى هذا المعنى الدكتورة لطيفة سالم فى كتابها «فاروق الأول وعرش مصر»، الصادر عن دار الشروق، القاهرة، قائلة: إن الملك والملكة أبديا رغبتيهما فى عودة الابن على وجه السرعة ليكون بجوار أبيه وقت احتضاره، ولكن لندن تمنعت فى ذلك، إذ لم تكن تضمن أن يعود إليها مرة أخرى.

كانت وفاة «فؤاد» نهاية فترة لرجل حكم مصر من عام ١٩١٧، ويمكن فهم سياساته فى ضوء ما ذكره السفير البريطانى فى مصر «اللورد كيلرن» فى مذكراته الصادرة عن الهيئة العامة للكتاب- سلسلة تاريخ المصريين، وقال فيها: «الملك فؤاد رغم أنه كان فى نظرى زبوننا سيئا أحيانا، فإنه كان عاملا مهما جدا فى الموقف، لأننا كنا نستطيع أن نجعله يتصرف كما نريد فى النهاية، والواقع أنه كان أشبه بستار أخير بيننا وبين أحزاب مصر السياسية، وأى تصرف كنا نريده كان من الممكن أن يتم عن طريقه».

يتحدث «كيلرن» عن مشاركته فى جنازة «فؤاد» حيث سار خلف النعش ساعتين، ومما كتبه عما رآه فيها: «طوال الطريق كانت تضايقنى أصوات النساء وهن يولولن وخاصة فى شارع محمد على، وقال لى صدقى باشا الذى كان يسير بجوارى إن هذا «الصُّوَات» ليس من الإسلام فى شىء، وأفزعنى أكثر من ذلك منظر الذبائح التى أحضروها وذبحوها أمامنا فى الشارع، ولم أنسَ بعد ذلك بسهولة هذه الحيوانات وهى تصارع الموت والدماء تغطى الشارع حول أقدامنا».

فى كتابه «من أسرار الساسة والسياسة»، الصادر عن دار الشروق، القاهرة يتحدث مؤلفه محمد التابعى عن جانب آخر من وفاة «فؤاد» قائلا: «لم تمض أسابيع قليلة على وفاته حتى كثر الهمس بين موظفى القصر وفى الأوساطَ الخاصة المتصلة به، بأن «السجينة» حطمت قيودها وانطلقت، وهى لا تزال بعد ترتدى ثياب الحداد»، وكانت السجينة المذكورة هى الملكة نازلى زوجة فؤاد، التى كانت تقول لكل من تقابله وتأمن جانبه: «أنا سجينة الملك فؤاد».

٢٩ أبريل عام ١٩٤٥
هتلر يتزوج من عشيقته «إيڤا» ٤٠ ساعة وينتحران

كان «هتلر» يقود ألمانيا، وكانت «إيڤا براون» تعمل فى محل للتصوير بمدينة ميونيخ يديره مصور «هتلر» الرسمى، ولما رآها سألها: «آنسة إيڤا، هل تسمحين لى بدعوتك لحضور عرض الأوبرا معى، فأنا كما ترين محاط بالرجال، وأعلم أى نوع من المتعة يمكن أن أنعم بها فى صحبة امرأة؟».

تم اللقاء ليكون بداية قصة عشق بين الاثنين دامت نحو ١٢ عاما، ولم تظهر تفاصيلها إلا بعد انتحارهما سويا، بعد زواج رسمى تم فى مثل هذا اليوم (٢٩ أبريل ١٩٤٥) واستمر ٤٠ ساعة فقط.

وضع هتلر حدا لنهايته بإرادته وحدد طريقتها بعد تأكده من أن سقوط «برلين» فى أيدى القوات الروسية عام ١٩٤٥ أصبح أمرا منتهيا، كان السقوط هو هزيمة لـ«ألمانيا» ونازية هتلر، التى دمرت العالم بالحرب العالمية الثانية.

تركت الحرب ملايين الضحايا من طرفيها «المحور والحلفاء»، لكن حكاية العشق التى جمعت «هتلر» و«إيڤا براون» كانت دراما من نوع خاص، فبينما كانت دماء الملايين تسيل حول العالم بإشارة إصبعه، لم يكن عنيفا معها مطلقا، كان طفلا وديعا معها، يداعبها، فتداعبه، يصرخ فى وجه العالم بدمويته، ويهمس فى أذنها عشقا وغراما.

وحسب كتاب «مأساة إيفا براون»، الصادر عن عز الدين للنشر، بيروت لـ«سمير شنحانى»، الذى ينقل عن القاضى سهانو فى كتابه «عشرة أيام بين هتلر والموت»: «صوته الأجش الذى يرعب الملايين لم يكن ينزل على سمعها إلا بردا وسلاما، كان يدعوها ابنتى الصغيرة (باتشرلى)، ويداعب يدها تحت المائدة، ويمنحها السيارات والسائقين والخدم، ويضع تحت تصرفها قطارا خاصا».

كان يقول إنه لن يستطيع الزواج، لأنه تزوج ألمانيا، وأقنعها بذلك، لكنه أكد لها أنها ستبقى عشيقته إلى الأبد، وفى الوقت نفسه كان حريصا على ألا يعلم الشعب الألمانى عن وجودها فى حياته، وظل هذا الوضع قائما، «يعاملها هى كطفل مدلل»، وتقوم هى بتدليله فى خلواتهما فتنادى عليه (أدى)».

دراما انتحارهما معا بدأت حينما خرجت من حجرة هتلر فى المخبأ الذى كان يجمعه وأعوانه، كانت مشيتها هادئة، وعيناها تلمعان، وأعلنت: «ستسمعون اليوم نبأ تدهشون له».

بعد لحظات استدعى هتلر أمينة سره السيدة «يونغة»، وطالبها بكتابة ما يمليه عليها، وبقى الباب مفتوحا بحيث يسمع الجميع ما يقول: «أما بعد أن انتهت سنوات النضال والكفاح التى أبعدتنى عن فكرة الزواج وتبعاته وقيوده فقد قررت الآن قبل انتهاء أجلى، أن أتزوج هذه الفتاة التى ظلت السنين الطوال الصديق الصدوق، وجاءت بملء اختيارها إلى هذه المدينة المحاصرة لتشاركنى، وبمحض إرادتها ستسير معى إلى الموت».

تناول الجميع وجبة الغداء الأخيرة، واتشحت «إيفا» بالسواد وشحبت ملامحها، وارتدى هتلر سروالا أسود وسترة رمادية، وصافحهم واحدا وحدا بعد الغداء، وإيفا من ورائه، ثم دخلا إلى حجرتهما، ووقف الحارس على الباب، ثم استمع الجميع إلى صوت الرصاص.

انكبَّ هتلر على وجهه ورأسه على منضدة صغيرة ودماؤه تسيل، أما رأس إيفا فكان مسنودا على كتفه اليسرى وعيناها نصف مغمضتين، قتل «هتلر» نفسه «وقتل «إيفا براون».

٣٠ أبريل عام ١٩٤٣
رحيل «عبد الحميد الديب».. شاعر البؤس

نذره والده وكان جزارا لتلقى التعليم الدينى فى الأزهر الشريف، حتى يصبح عالما أزهريا، فتلقى تعليمه فى «كُتّاب القرية» قبل بلوغه سن التاسعة، وبعدها أرسله إلى القاهرة لنيل الشهادة الأهلية من الأزهر، لكن حياة العاصمة خطفته إلى طريق البؤس والتشرد، ليكتسب لقب «شاعر البؤس».

ولد «عبد الحميد الديب» فى يوليو ١٨٩٨، ورحل فى مثل هذا اليوم (٣٠ أبريل ١٩٤٣)، ومن الميلاد إلى الموت عاش حياة درامية، وكتب شعرا جميلا، واقترب من قامات كبيرة كانوا شهودا على حياته، ومن أبرزهم: عبد الرحمن الخميسى، كامل الشناوى، محمود السعدنى، الفنان سيد درويش، طاهر أبوفاشا، عبد الحميد قطامش، محمد عودة، وآخرون، وعلى الرغم من كل ذلك عاش حياة بائسة، يلازمه النحس أينما كان

فى كتابه «صعاليك الزمن الجميل» الصادر عن دار الشروق، القاهرة، يكتب «يوسف الشريف» فصلا طويلا وشاملا بعنوان «عبد الحميد الديب شاعر تعقبه النحس»، يعتمد على شهادات من عرفوا هذا الرجل، الذى لم يذكره رثاء فى الصحف، باستثناء ما ذكره الشاعر كامل الشناوى: «اليوم مات شاعر تعرى، واكتست الأضرحة، جاع وشبعت الكلاب».

يحكى «أبوفاشا» أن «الديب» انكب على تراث العرب الشعرى قديمه وحديثه حتى حفظ معظمه، وعندما حاول أن يقرض الشعر لأول مرة انساب

كالشلال على شفتيه سريعا وتلقائيا من وحي اللحظة، فكان الشعر لعبته وملهاته، يهفو إليه كلما استبد به الهم والشقاء، أو تطلع إلى الحب والطعام واستفزه أحد بكلمة نابية».

يقول «الشريف»: إن حال الديب خلال فترة الدراسة والتكوين والأمل المنشود، تلتها فترة من الانحراف عن الخط المستقيم الذى قدره لنفسه كشاعر واعد، حفلت بالمواجهات الصعبة، فبينما كان ينتظر أن يهبط عليه المال والمكانة، كان حظه السيئ أن هبط عليه الفقر والضياع.

عاش «الديب» ليله ونهاره يبحث عن لقمة العيش وأى مأوى يوفر له ساعات نومه، وحسب قول كامل الشناوى لـ«يوسف الشريف»، كان إذا عثر على عمل فى مصنع أو وظيفة فى الحكومة أو صحيفة، لم يكن ذلك تكريما لشعره، ولا إعجابا بموهبته، ولكن لمجرد الشفقة على ما يعانيه من محنة الفقر والجوع والضياع، ويعبر عن ذلك فى إحدى قصائده:

يا أمة جهلتنى وهى عالمة ... أن الكواكب من نورى وإشراقى
أعيش فيكم بلا أهل ولا سكن ... كعيش منتجع المعروف أفاق
وليس لى من حبيب فى دياركمو ... إلا الحبيبين أقلامى وأوراقى
لم أدر ماذا طعمتم فى موائدكم ... لحم الذبيحة أم لحمى وأخلاقى
بين النجوم رجال قد رفعتهم ... إلى السماء فسدوا باب أرزاقى».

فى شعره الهجائى تجده لاذعا بما فيه الكفاية، وعلى سبيل المثال ألقى قصيدة فى اجتماع حاشد لحزب الوفد، وصفقوا له طويلا، لكن لم يجد أحدا منهم يعزمه على الطعام، فغير رأيه فى النحاس قائلا:

«راجع زمانك أيها الكأس.. ... فاليوم لا نحس ولا نحاس
لم يبق من مجد الزعامة كله.. ... إلا قميص أزرق ولباس».

كان «الديب» ساخرا كبيرا، وكامل الشناوى «عمدة الساخرين»، وصاحب أشهر المقالب، وكان لـ«الديب» نصيب منها، ويروى يوسف الشريف

نقلا عن «الشناوى»، أنه اصطحبه إلى الفيوم لأداء واجب العزاء فى شيخ للأعراب، وهناك كان استقبال المعزين القادمين من بعيد حول موائد العشاء وفقا للتقاليد البدوية.

انكبَّ «الديب» يعوض نهمه المكبوت للطعام، حتى شبع من أكل لحوم الخراف المشوية والفتَّة، وبعدها جلس إلى جوار «الشناوى» فى سرادق العزاء للاستماع إلى تلاوة القرآن الكريم، وتحت وطأة الشبع إلى حد التخمة غفا فى النوم.

تنبه «الشناوى» قبل أن يشرع «الشناوى» فى الشخير، وعندئذ لكزه فى جنبه يحثه على اليقظة والانتباه، ثم أشار إليه أن يلقى كلمة عزاء فى الفقيد، فقد كان خطيبا مفوها، حيث وقف على دكة خشبية مرتفعة يتطلع إلى جموع المعزين وكان معظمهم من أصحاب العمائم، ثم صاح بأعلى صوته: «أيها الناس، قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): إذا مات عزيز عليكم فحلوا عمائمكم».

خيم الصمت على السُّرادق، بينما راح المعزون يحلون شال عمائمهم صاغرين، ثم ارتفع صوته من جديد: «فإذا حللتم عمائمكم فأعيدوها كما كانت وضعوها فوق رءُوسكم»، وفعلوا.

كان فى السرادق عالم أزهرى أخذته المفاجأة فحمل عمامته هو الآخر، ومضت دقائق قبل أن يتنبه إلى أنه لا صحة للحديث الذى رواه «الديب»، ووقف يكذبه، حتى أمسك الحاضرون بتلابيب «الشاعر البائس» وأخذوا يلقنونه درسا قاسيا لزم بسببه الفراش شهرا.

١ مايو عام ١٩٤٥
«جوبلز» وزوجته يقتلان أطفالهما الستة ثم ينتحران

عندما قرر الزعيم الألمانى «هتلر» وزوجته «إيڤا براون» الانتحار، أبلغ وزير دعايته «جوبلز» بقراره، وأمره بمغادرة «برلين»، فكتب «جوبلز»: «أمرنى «الفوهرر» أى هتلر، بمغادرة برلين، كى ألعب دورا كعضو فى الحكومة الجديدة التى اختارها، ولكنى مضطر لعصيان أوامره، وتشترك معى زوجتى وأطفالى الستة فى هذا العصيان، فالإنسانية والولاء الشخصى تمنعنا من التخلى عن «الفوهرر» فى هذه الساعة من المحنة الشديدة».

«جوبلز» هو وزير دعاية هتلر، وأسطورة الحرب النفسية وصاحب مقولة: «اكذب حتى يصدقك الناس» و«كلما سمعت كلمة مثقف تحسست مسدسى».

هو صاحب الدعاية النازية الذى صور هتلر للألمانيين بأنه المنقذ، وأكدت ظاهرته أن الذى يملك وسائل الإعلام يملك القول الفصل فى الحروب وتعبئة الشعوب حتى لو كان ذلك ضد مصلحتها.

قرر «هتلر» الانتحار بعد دخول الجيش الروسى «برلين» ليكتب نهاية الحرب العالمية الثانية بهزيمة النازية فى ألمانيا، وأيضا قرر «جوبلز» مع زوجته التخلص من أطفالهما الستة قبل انتحارهما، لنكون أمام دراما إنسانية رهيبة.

فى كتاب «داخل الرايخ الثالث» لـ«ألبرت سبير» وزير تسليح هتلر، الذى عرضته بتوسع مجلة «الهلال» فى مارس ١٩٧١، يحكى تفاصيل الساعات

الأخيرة فى المخبأ الذى كان هتلر ومعاونوه فيه، ويحكى كيف كانت نهاية «جوبلز» وزوجته وأطفالها.

يقول «سبير»، إن «جوبلز» وزوجته وأطفاله الستة كانوا يعيشون وقتئذ فى حجرة محصنة تحت الأرض ضيوفا على هتلر كى ينهوا حياتهم، ويضيف: «كان جوبلز أكثر قوة من هتلر ولم يُبدِ أية إشارة على أنه كان يعلق أهمية على البقاء حيا، اصطحبنى إلى قاعة صغيرة تحت الأرض حيث كانت زوجته نائمة على فراش بسيط، وشعرت بهمها الرهيب بسبب اقتراب الساعة التى عندها سيموت أولادها الستة».

فى مثل هذا اليوم (١ مايو ١٩٤٥) وفى الثامنة مساء، جاءت الساعة التى سينفذ فيها «جوبلز» وزوجته مخطط الانتحار.

كانت هى جيلة قوية العزيمة، وكان أطفالها يمرحون فى المساحة المتسعة أمام حجرتهم بالمخبأ، كانوا بالترتيب «هيلا ١٢ سنة، هيلدا ١١ سنة، هيلموت ٩ سنوات، هولد ٧ سنوات، هيرا ٧ سنوات، هايد ٣ سنوات»، وتبدأ أسماؤهم بحرف «الهاء» تأثرا بـ«هتلر».

استدعت الأم أطفالها، فقدت أعصابها لأنهم كانوا يمرحون فرحين، لكنها نبهت على إحدى صديقاتها من العاملات معها، بأن تساعدها لو أصابها ضعف عند قتل الأطفال، وفعلت الصديقة.

أوقفت الأم أطفالها عن اللعب، ورصتهم أمامها، وأمرت طبيبا موجودا فى المخبأ بحقنهم بإبر سامة، تم تجريبها قبل يوم واحد فى «كلب» هتلر.

تساقط الأطفال، وخرج «جوبلز» وزوجته من الغرفة، وبعد أن ودعا الجميع اتجها إلى الحديقة القائمة فوق الملجأ، وتولى أحد الجنود من الحراس إطلاق النار على رأسى الاثنين، وحمل الحراس جثث الأطفال إلى حيث جثتى الأب والأم، وتم سكب أربع صفائح بنزين فوقهم واشتعلت النار فى الجميع.

٢ مايو عام ١٨٧٦
الخديو إسماعيل يقرر إنشاء «صندوق الدَّيْن»

حين تولى إسماعيل حكم مصر يوم ٢٠ يناير ١٨٦٣، أقام حفل استقبال ضخما لكبار الموظفين المصريين والقناصل، وألقى خطبة أعلن فيها أنه سيكرس كل قواه ودأبه لرخاء البلد، وقال: «إن النظام والاقتصاد فى النفقات هما أساس أية إدارة جيدة، وسأتابع بكل ما فى وسعى تطبيق هذا النظام والاقتصاد فى النفقات لكى أعطى مثالا للجميع»، فهل التزم «إسماعيل» بهذا الطرح ؟

فى كتابه «الإمبراطورية المصرية فى عهد إسماعيل»، الصادر عن مكتبة الأسرة، القاهرة، يقول مؤلفه المؤرخ «محمد صبرى السوربونى»: «لم ينفذ إسماعيل الجزء الذى يؤكد فيه أن النظام والاقتصاد فى النفقات هما أساس أية إدارة جيدة»، ويضيف: «كان ذا طبيعة مزدوجة، وكان لديه تناقض بين ملكاته، خصوصا بين الذكاء والشخصية، وبين الإدراك والتنفيذ، ولذلك سنجده فى مجال المالية يدعو إلى الاقتصاد فى النفقات والتوفير طوال فترة حكمه، ولكنه بدد أموالا جمة، وكان يرى الفخاخ التى ينصبها المصرفيون الأوروبيون، ولكنه ترك نفسه يقع فيها».

ظل حكم إسماعيل يسير بثنائية «السفه فى الإنفاق» و«إنجاز المشروعات العظيمة»، كان «سفه الإنفاق» يأتى فى سياق يقول عنه «السوربونى»: «بعد وفاة محمد علىّ شغف ولاة مصر بحياة التهتك والملذات والاحتفالات الفخمة

التى لا يتصورها عقل، وكانوا يحبون متعتهم فى الأبهة والفخامة، ويصرفون ببذخ لإشباع ملذاتهم العارضة، ففى فصل الشتاء كانوا يتهزون أية فرصة عيد ميلاد أو رجوع من سفر أو مجىء أحد الأجانب لإقامة الحفلات الراقصة وسباقات الخيل والولائم، وتغرق القصور فى الأنوار المبهرة، وكان ذلك كله يتناقض تناقضا كليا حادا مع البؤس الذى يعانى منه الشعب».

ترتب على «سفه الإنفاق» تراكم الديون على مصر فتغير مصيرها، وقاد إلى التدخل الأجنبى الذى هيأ الفرصة تماما فيما بعد لاحتلالها من بريطانيا، وكان من صور هذا التدخل السافر إنشاء «صندوق الدائنين» الذى اقترحه الوكلاء الماليون الفرنسيون، ووافق عليه «إسماعيل» وأصدر مرسوما به فى مثل هذا اليوم «٢ مايو ١٨٧٦».

وحسب كتاب «عصر إسماعيل» للمؤرخ عبد الرحمن الرافعى: «كانت مهمة الصندوق أن يكون خزانة فرعية للخزانة العامة تتولى تسلم المبالغ المخصصة للديون من المصالح المحلية، وخصص له إيراد مديريات الغربية والمنوفية والبحيرة وأسيوط، وعوايد الدخولية فى القاهرة والإسكندرية، وإيراد جمارك الإسكندرية والسويس وبورسعيد ورشيد ودمياط والعريش، وإيراد أطيان الدائرة السنية».

ونص مرسوم إنشاء الصندوق على أنه يختص بتسليم النقود المخصصة لوفاء الديون العمومية، ويتولى إدارته مندوبون أجانب تنتدبهم الدول الدائنة، ويعينهم الخديو وفقا لهذا الانتداب، ونص على أن يقوم محصلو الإيرادات بتسليمها إلى «الصندوق» وليس وزارة المالية، وألا تصدر الحكومة أى تعديلات ضريبية تؤدى إلى نقص الإيرادات، ولا تعقد أى قروض جديدة ولا تصدر أى إفادات مالية على الخزينة إلا بعد موافقة إدارة الصندوق، وأن تكون المحاكم المختلطة هى الجهة المختصة للفصل فى الدعاوى المرفوعة من «الصندوق» ضد الحكومة خدمة لأصحاب الدين.

٣ مايو عام ١٩٥٨
عبد الناصر يتوضأ فى بيت خروشوف
ويصلى الجمعة فى مسجد بـ«موسكو»

فى منزل الرئيس السوفيتى «خروشوف» استقبلت عائلته الرئيس جمال عبد الناصر الذى كان فى زيارة إلى الاتحاد السوفيتى، كان اليوم «جمعة»، وكانت زوجة «خروشوف» وأولاده وأحفاده فى سعادة بالغة للقاء «عبد الناصر»، وقبل صلاة الجمعة طلب «عبد الناصر» التوجه إلى «مسجد موسكو» للصلاة، فصحبه «خروشوف» إلى حجرته الخاصة للوضوء، وذلك حسب جريدة الأهرام «٤ مايو ١٩٥٨» وكان «الاتحاد السوفيتى» يأخذ من «الشيوعية» معتقدا سياسيا وقتئذ، واعتبرته الدوائر الغربية والإسلامية وقتها «دولة ملحدة».

كانت هذه واحدة من وقائع زيارة عبد الناصر إلى الاتحاد السوفيتى التى بدأت فى نهاية شهر أبريل ١٩٥٨، حسب ما نقلته جريدة الأهرام فى تغطيتها للحدث، وكان مثل هذا اليوم «٣ مايو» هو اليوم الخامس للزيارة، وشهد زيارة «عبد الناصر» لجامعة موسكو، واستقباله بحفاوة بالغة، وهتافات له من طلابها وأساتذتها، وفى المدرج الرئيس للجامعة وأمام ٣ آلاف طالب خطبت طالبة باللغة الروسية، متحدثة عن الأثر الكبير الذى أحدثته مقاومة مصر للعدوان الثلاثى ١٩٥٦، ثم اختتمت كلمتها بهتاف قالته باللغة العربية: «تحيا الصداقة العربية السوفيتية»، وتحدث عبد الناصر فالتهب حماس الحاضرين.

كانـت الزيـارة بعـد شـهور قليلـة مـن الوحـدة بـين مـصر وسـوريا «٢٢ فبرايـر ١٩٥٨»، وتكـون الوفـد المرافـق لـ«عبـد النـاصر» مـن مصريـين وسـوريين، أبرزهم أكـرم الحورانـى نائـب عبـد النـاصر، والمعـروف أن الاتحـاد السـوفيتى لم يكـن إيجابيـا نحـو «الوحـدة المصريـة السـورية»، وهاجمتهـا الأحـزاب الشـيوعية العربيـة، وممـا يذكـر فى ذلـك أنـه فى الوقـت الـذى أبـرزت فيـه الصحـف الغربيـة الكـبرى خـبر «الوحـدة» كمتغـير هـز منطقـة الـشرق الأوسـط، نشرتـه صحيفـة «البرافـدا» لسـان حـال الحـزب الشـيوعى السـوفيتى فى صفحـة داخليـة وبمسـاحة ١٣ سـطرا.

وفى كتابـه «سـنوات الغليـان» يتحـدث محمـد حسـنين هيـكل عـن هـذه الزيـارة، مشـيرا فيهـا إلى أن ثـلاث قضايـا تصـدَّرت المباحثـات، وهـى: إسرائيـل، والوحـدة العربيـة، والأحـزاب الشـيوعية والعـالم العربـى.

ويشـير «هيـكل» إلى أن السـوفيت حاولـوا اختبـار مـدى التماسـك بـين الأعضـاء المصريـين والأعضـاء السـوريين فى الوفـد المرافـق لـ«عبـد النـاصر»، وراحـوا يستكشـفون مـا إذا كان إلحاحهـم عـلى الوحـدة قضيـة اقتنـاع بعيـد المـدى أم أنهـا ضغـوط الظـروف.

تناولـت الزيـارة قضايـا كثـيرة، منهـا خطـة التصنيـع فى دولـة الوحـدة، وكان تعليـق السـوفيت عليهـا بأنهـا «شـديدة الطمـوح»، وتناولـت مـشروع إنشـاء السـد العـالى، ومسـألة التعـاون النـووى.

سـأل السـوفيت «عبـد النـاصر» عـن نشـاط «العلـماء الألمـان» فى مـصر فى مجـال صناعـة الطائـرات والصواريـخ، وكانـت مـصر بـدأت شـوطا قويـا فيهـا، واسـتقدمت علـماء ألمانـا كبـارا أسـهموا فى تشـييد صناعـة الصواريـخ فى بلادهـم، واسـتخدمها «هتلـر» فى الحـرب العالميـة الثانيـة.

رد «عبـد النـاصر» عـلى أسـئلة السـوفيت حـول العلـماء الألمـان: «أنتـم هنـا فى الاتحـاد السـوفيتى ومنافسـوكم هنـاك فى واشـنطن تسـابقتم عـلى العلـماء الألمـان، وإذا كنـا قـد اسـتطعنا أن نقنـع بعضهـم بالذهـاب إلى مـصر، فـإن هدفنـا الأسـاسى كان ألا نتخلـف عـن تكنولوجيـا الطـيران والصواريـخ، فهـذا هـو هدفنـا بالدرجـة الأولى».

٤ مايو عام ١٩٦٧
«مونتجُمْرى» يسأل عامر: فى أى حرب حصلت على لقب ماريشال؟

تبادل الرئيس جمال عبد الناصر مع القائد البريطانى الشهير الفيلد مارشال «مونتجمرى» ثلاث رسائل فى أواخر عام ١٩٦٦، تتعلق برغبته فى زيارة مصر فى الذكرى الـ٢٥ لمعركة «العلمين» الشهيرة التى انتصر فيها على القائد الألمانى الشهير «روميل» فى الحرب العالمية الثانية، وطلب «مونتجمرى» من «عبد الناصر أن يزور ميدان المعركة.

رحب عبد الناصر بالقائد البريطانى، ولبى مطالبه بأن يصطحب معه بعض زملاء السلاح الذين شاركوه المعركة، وأن يرتدى زيه العسكرى الذى كان يلبسه أثناء الحرب، وأن يرفع علم قيادته أثناء الحرب على السيارة التى ستقله من القاهرة إلى «العلمين».

وصل «مونتجمرى» إلى مطار القاهرة يوم ٣ مايو ١٩٦٦ بملابسه العسكرية ونياشينه رغم تقاعده وعمره الـ٧٩ عاما، واصطحبه الفريق أول عبدالمحسن مرتجى قائد القوات البرية المصرية إلى المنصة الرئيسية، حيث عزفت الموسيقى «عظيم السلام»، وتفقد حرس الشرف من طلبة الكلية الحربية، ثم توجه إلى استراحة كبار الزوار بالمطار، ومنها إلى القصر الجمهورى ليقيد اسمه فى سجل التشريفات.

فى اليوم التالى من وصوله والذى يوافق مثل هذا اليوم «٤ مايو ١٩٦٧» أى قبل نكسة ٥ يونيه بشهر، سافر «مونتجمرى» إلى «العلمين» زار خلالها مقابر الجنود البريطانيين ووضع إكليلاً من الأزهار وألقى كلمة مؤثرة.

يتحدث «محمد حسنين هيكل» عن أجواء هذه الزيارة، وحواره خلالها مع القائد البريطانى الشهير فى كتابه «زيارة جديدة للتاريخ»، ويستوقفنا فى الحوار قضيتان أثارهما «مونتجمرى»، الأولى سؤاله لـ«هيكل»: لماذا يتحول الجنرالات عندكم إلى السياسة؟ ورغم توضيح «هيكل» للظروف التى قادت إلى ذلك، رد: «قد أكون على استعداد لفهم موقف «ناصر»، لكن هناك ضمن المجموعة ضابط آخر، أصبح «ماريشال سياسيا»، وكان يقصد «عبدالحكيم عامر»، وأضاف: «الماريشالية لا تكون إلا بقيادة الجيوش فى الميدان وليس من أى سبب آخر».

وفى مقال للمؤرخ العسكرى جمال حماد بـ«المصرى اليوم»، ١ مايو ٢٠١٠ تناول هذا الحدث بتفاصيل أخرى، قال «حماد»، إنه فى لقاء «مونتجمرى» بـ«عبد الناصر» كان «عامر» موجودا ورتبة «المشير» على كتفيه، والنياشين على صدره، وقدمه عبد الناصر إليه: أعرفك بـ«فيلد مارشال عبد الحكيم عامر»، فرد «مونتجمرى»: أعرفه، ثم توجه إلى عامر بسؤال: «فى أى حرب حصلت على اللقب؟»، فساد صمت طويل لم تقطعه إلا كلمات الترحيب بالضيف.

أما القضية الثانية، فتتعلق برفض زيارة «مونتجمرى» مقابر الجنود الألمان والطليان فى «العلمين»، ويبرر ذلك بقوله: الجنود والضباط الألمان والطليان الذين تضمهم المقابر، كانوا أعدائى وكنت أحرض جنودى على قتلهم، القتال ليس لعبة رياضية، وإنما هو أن تقتل عدوك أو يقتلك، وأن أجىء الآن وأزور قبور الذين طلبت من جنودى أن يقتلوهم وأطاعونى، فمعناه أننى أتلاعب بمشاعرهم، الألمان الأحياء قبلوا سلامنا ورضخوا له، أما الآخرون هنا «ألمان هتلر» فلا مساومة معهم أحياء وأمواتا.

٥ مايو عام ١٩٤٩
محاولة فاشلة لاغتيال الإخوان رئيس الوزراء إبراهيم عبد الهادى

بعد اغتيال «محمود فهمى النقراشى باشا» رئيس الوزراء على أيدى جماعة الإخوان يوم ٢٨ ديسمبر١٩٤٨، استمرت موجة القتل والإرهاب فى عام ١٩٤٩، وكانت «الجماعة» هى التى تقف وراءها، وبدأ العام بمحاولة فاشلة لنسف محكمة استئناف القاهرة، فى يوم ١٣ يناير، والمعروف أن التنظيم الخاص للجماعة، هو الذى كان يدير وينفذ هذه المخططات الإرهابية، وفى يوم السبت ١٢ فبراير من العام نفسه، كان اغتيال حسن البنا مؤسس ومرشد الجماعة على أيدى مجهولين.

كانت رصاصات الإرهاب تتواصل من جماعة الإخوان، بما يعنى إدخال اللعبة السياسية كلها إلى منحى خطير، والمثير أن هذه الرصاصات كانت توجَّه إلى مصريين كوسيلة اختارتها «الجماعة» لتصفية خلافاتها مع خصومها.

كان مثل هذا اليوم «٥ مايو ١٩٤٩» من أيام رصاصات إرهاب الإخوان فى مصر، حيث شرع عدد من شباب «الجماعة» فى قتل رئيس الوزراء «إبراهيم عبد الهادى»، ويتحدث المؤرخ عبد الرحمن الرافعى فى الجزء الثالث من كتابه «فى أعقاب الثورة المصرية- ثورة ١٩١٩» الصادر عن دار المعارف، القاهرة، عن هذه الحادثة قائلاً: إن جماعة من شباب الإخوان استأجروا خصيصا منزلا بمصر القديمة، يقع على الطريق الموصل من القاهرة إلى حلوان.

كان منـزل «إبراهيـم عبـد الهـادى» يقـع فى المعـادى، أمـا المنـزل «المسـتأجر» فاختـاره الشـباب فى مكانـه بمـصر القديمـة، حيـث يمـر «عبد الهـادى» عليـه يوميا، فى طريقـه مـن المعـادى إلى مقـر مجلـس الـوزراء، والعـودة منـه فى مـصر.

عـاش الشـباب عـدة أيـام فى البيـت المسـتأجر، يراقبـون الحـال، ويتابعـون تحـركات رئيـس الـوزراء، حتـى حـددوا موعـد تنفيـذ عمليتهـم الإرهابيـة باغتيالـه يـوم ٥ مايـو.

كان «عبـد الهـادى» مـن القيـادات البـارزة فى حـزب «السـعديين» الـذى كان يتزعمـه «النقراشـى باشـا»، ووفقـا لمذكـرات مرتـضى المراغـى آخـر وزيـر داخليـة قبـل ثـورة يوليـو ١٩٥٢، «شـاهد عـلى حكـم فـاروق»: كان تعيـين الملـك لـ«عبـد الهـادى» خليفـة لـ«النقراشـى» فى رئاسـة الـوزراء، يعنـى أن رئيـس الـوزراء الجديـد فى عزمـه شـىء واحـد، وهـو أن ينتقـم لزعيمـه، وأن يقـضى عـلى جماعـة الإخـوان، فشـنت الحكومـة عليهـم حملـة لا هـوادة فيهـا، وقبـض عـلى عـدد كبـير منهـم وأودعوهـم السـجون، وادعـى الكثـير منهـم أنهـم لاقـوا معاملـة وحشـية تناولـت تعذيبهـم وضربهـم وحرمانهـم مـن الطعـام وزيـارة الأقـارب، ولم ترهـب الحملـة الإخـوان، فـأرادوا أن يعملـوا عمـلا يحـدث دويـا مروعـا يـدل عـلى أنهـم أقويـاء، وأن «حكومـة عبـد الهـادى لا تقـدر عـلى قـص جناحهـم».

فى اليـوم المحـدد لتنفيـذ عمليـة اغتيـال «عبـد الهـادى» راقـب «شـباب الجماعـة المكلـف بالتنفيـذ»، والمقيـم فى المنـزل المسـتأجر بـ«مـصر القديمـة»، سـيارة رئيـس الـوزراء، ومـرت سـيارة ظنوهـا سـيارته، فهاجموهـا بإلقـاء القنابـل، وإطـلاق الرصـاص عليهـا مـن مدفـع رشـاش، فبـادر سـائق السـيارة بـالإسراع بهـا، فتفـادى الرصاصـات الكثيفـة، ونجـا مـن فيهـا.

كانـت المفاجـأة أن السـيارة لم تكـن سـيارة «إبراهيـم عبـد الهـادى باشـا»، وإنـما سـيارة «حامـد جـودة» رئيـس مجلـس النـواب، الـذى لم يُصَـب بسـوء.

٦ مايو عام ١٩٥٢
نقابة الأشراف تعلن: نَسَب الملك فاروق إلى «الحسين»

«الفـاروق يجمـع بـين مجـد الملـك وشرف النسـب»، كان هـذا هـو عنـوان كبـير لموضــوع صحفـى نشرتـه صحيفـة الأهـرام فى عددهـا الصـادر فى مثـل هـذا اليـوم «٦ مايـو ١٩٥٢»، وتنـاول اكتشـافا توصلـت إليـه «نقابـة الأشراف» برئاسـة «محمـد البيـلاوى» وهـو ثبـوت نسـب الملـك فـاروق إلى «آل البيـت».

قـال نقيـب الأشراف، إنـه تـشرف بمقابلـة «مولانـا المعظـم» بقـصر القبـة الملـك «فـاروق»، ورفـع لجلالتـه تقريـرا عـن تحقيـق نسبه، وقـرار نقابـة الأشراف فى هـذا الشـأن، وأضـاف «البيـلاوى»، أن سـعادة «حسـين الجنـدى باشـا» وزيـر الأوقـاف الأسـبق أثنـاء تولِّيـه الـوزارة، لاحـظ أن اسـم المغفـور لـه محمـد شريـف باشـا الكبـير يبـدأ باسـم السـيد «محمـد شريـف»، فدعـاه ذلـك إلى الاتصـال بى، وبحـث الأسـانيد الموجـودة بالـوزارة والموضوعـات التاريخيـة، فـدل البحـث عـلى أن تلقيب «شريـف باشـا» بـ«السـيد» منشـؤه أنـه مـن سـلالة الإمـام «الحسـين بـن عـلى (رضى الله عنـه)، وثبـت لنقابـة الأشراف صحـة هـذا النسـب، وأصـدرت قـرارا بثبـوت نسـب حـضرة صاحـب الجلالـة الملـك المعظـم إلى السـلالة النبويـة الشريفـة.

قـرأ «البيـلاوى» قـرار النقابـة الـذى جـاء فيـه، أن السـيد «فـاروق الأول» ملـك مـصر والسـودان، هـو ابـن السـيدة «نـازلى» بنـت السـيدة «توفيقـة» بنـت السـيد «محمـد شريـف باشـا» الـذى ينتهـى نسـبه إلى سـيدنا «عبـد الله الحسـين السِّـبْط»، ولهـذا قـررت النقابـة صحـة نسـب حـضرة صاحب الجلالـة السـيد «فـاروق الأول»

ملك مصر والسودان ابن السيدة «نازلى» بنت السيدة «توفيقة»، بنت السيد «محمد شريف باشا»، ابن السيد أحمد سعيد، ابن السيد محمد شريف، إلى الإمام سيدنا ومولانا الإمام «عبد الله الحسين السبط»، ابن سيدتنا «فاطمة الزهراء»، بنت سيدنا ومولانا محمد رسول الله المصطفى الأمين بالشهرة والتواتر، وأعقب جلالته حضرة صاحب السمو الملكى الأمير أحمد فؤاد ولىّ عهد مصر والسودان، وأمير الصعيد وأميرنا بتسجيله بسجل الأنساب طبقا للمجتمع.

تضع الدكتورة لطيفة سالم فى كتابها «فاروق الأول وعرش مصر» الصادر عن دار الشروق، القاهرة، هذه القضية فى سياق أشمل من مجرد العثور على نسب «فاروق» إلى الأشراف، وتقول، إن «كريم ثابت» مستشار الملك شارك وزير الأوقاف الأسبق «حسين الجندى» فى هذا البحث، وتم إدخال كلمة «السيد» على الدعاء لـ«فاروق» فى المساجد، وتضيف: «كان ذلك من سخريات القدر، بأن سليل آل البيت يغوص فى الملذات».

كان «فاروق» يحاول استعادة شعبيته المفقودة، بربط نفسه بقضايا ذات طابَع دينى، مثل الحرص على حضور المناسبات الدينية، وأمره بقيام صلاة خاصة من أجل القضية الإندونيسية، حيث كانت قوات الاحتلال الهولندى تشن عمليات حربية ضد شعب إندونيسيا فى مقاومته من أجل الاستقلال، وجاءت مسألة نسبه إلى الأشراف فى هذا السياق، لكن وكما تقول الدكتورة لطيفة سالم: «جاء كل ذلك بنتيجة عكسية؛ فصورته الخاصة امتلأت بأنواع اللهو المختلفة».

٧ مايو عام ١٩٤٥
ألمانيا توقع صَكَّ استسلامها فى الحرب العالمية ظهرًا

كانت الساعة الثانية والدقيقة الواحدة والعشرين بعد الظهر، حسب التوقيت الفرنسى، فى مثل هذا اليوم «٧ مايو ١٩٤٥»، حين تم توقيع صك استسلام ألمانيا فى الحرب العالمية الثانية، أما المكان الذى شهد هذه اللحظة فكان فى دار مدرسة صغيرة، هى مركز قيادة الجنرال «إيزنهاور»، قائد القوات المشتركة لدول الحلفاء فى هذه الحرب.

كان هذا الاستسلام بمثابة انتهاء الحرب بعد ٥ سنوات و٨ أشهر و٦ أيام، سقط خلالها ما بين ٦٢ و٧٨ مليون قتيل، كما جاء بعد ٥ سنوات و٧ أشهر و١٨ يومًا من قول الزعيم النازى الألمانى هتلر: «عدد الأسرى البولنديين يزداد دقيقة بعد أخرى، فيرتفع من ٥٠ ألف أسير فى الدقيقة إلى ٧٠ ألفًا، فـ١٠٠ ألف، ويهددنا الإنجليز بأن الحرب ستطول إلى ثلاث سنوات، ولكن مهما دامت، فإن كلمة التسليم لن تخرج من فم ألمانى حتى لو استمرت الحرب أربع أو خمس أو ست أو سبع سنوات».

قال «هتلر» كلماته بفخر وخُيلَاء، كأنه يمسك النصر بيديه، وأنه لن يغادره أبدًا، لكنه وبعد حصار الجيش الروسى «الأحمر» لمدينة برلين وغزوها، لم يجد مفرًا من الاستسلام الذى وقع بعد أن أقدم على الانتحار يوم ٣٠ أبريل ١٩٤٥.

فى تفاصيل توقيع صك الاستسلام كان كل شىء معدًا لإذلال ألمانيا بجدارة، وحسب تغطية صحيفة «الأهرام» للحدث فى يوم «٨ مايو ١٩٤٥»: لم يحضر «إيزنهاور» قائد الانتصار لحظة التوقيع، لكنه استقبل القائدين الألمانيين اللذين وقَّعا عليه، وهما الجنرال «بودل»، والجنرال «هانس فريدبيرج»، وسأل الاثنين قبل توقيعهما عدة مرات عما إذا كان يدركان بدورهما أهمية شروط الاستسلام المفروضة على ألمانيا، وإذا كان فى استطاعتهما تنفيذها، فردا: «نعم، نعم»، وبعد التوقيع طلب الجنرال «بودل» أن يتكلم، فلما سمح له بهذا قال بألم وحسرة: «بتوقيعى هذا أضع مصير الشعب الألمانى والقوات المسلحة الألمانية فى أيدى الظافرين».

كان الصك الأول للاستسلام يتألف من ١٥ صفحة كبيرة، ويُعنى بكل ما يحتمل أن يخرج عن اتفاق السلاح، ويضمن صك الاستسلام الثانى تعيين المكان الذى يتم فيه تسليم البحرية الألمانية بما فى ذلك الغواصات الكبيرة بصفة رسمية إلى الحلفاء، ويشير بإسهاب وتفصيل إلى أماكن وجود القوات المسلحة الألمانية، ويجرد القوات الألمانية من الأسلحة القتالية.

كانت شروط الاستسلام تعنى إدخال ألمانيا لسنوات مقبلة من المعاناة والصعوبات الكبيرة، وهذا بالضبط ما أشار إليه وزير الخارجية الألمانى «شفيرين فون كروسيك» فى بيانه للشعب الألمانى، والذى قال فيه: «يجب ألا يخامر أحدا منا شىء من الغرور أو الوهم بشأن صرامة الشروط التى سيفرضها أعداؤنا على الشعب الألمانى، فمن واجبنا الآن أن نواجه مصيرنا مواجهة صريحة، ولا يمكن أن يشك أحد فى أن المستقبل سيكون شاقًا لكل واحد منا».

٨ مايو عام ١٩٤٣
«النحاس» باشا يلغى قرار إغلاق «شُعَب الإخوان»

فى لقاء عاجل مع مصطفى النحاس باشا، زعيم حزب الوفد ورئيس الوزراء، طلب السفير البريطانى اعتقال حسن البنا، مرشد جماعة الإخوان، ومطاردة أنصاره، لأنهم نشطون فى الدعوة للألمان ضد الإنجليز «أثناء الحرب العالمية الثانية».

عن قصة هذا اللقاء يتحدث «النحاس» فى مذكراته الصادرة عن دار العصور الجديدة، القاهرة، تحقيق أحمد عز الدين، قائلا، إنه طلب من مدير الشئون الدينية أن يستدعى «البنا»، فأبدى فؤاد سراج الدين رغبته فى أن يلتقى أولا بوكيل «الجماعة» أحمد السكرى، وتم اللقاء فى منزل فؤاد باشا، ليسفر عن لقاءٍ ثانٍ فى نفس المكان بين «النحاس» و«البنا».

يقول «النحاس» فى مذكراته: «تحدث الشيخ حديثا دينيا روحيا خرج من قلبه، فصادف هوًى فى نفسى، واسترحت إليه، وأكد أنه هو وجماعته وأنصاره لا يهتمون إلا بأن تكون بلادهم حرة، خالصة من كل غُلّ».

تأثر «النحاس» بما سمعه من «البنا» فقال له: «لن أعتقلك، ولن أمسّك بسوء، أو أقف حجر عثرة فى طريق دعوتك، وكل ما أطلبه منك أن تجعل دعوتك خالصة لوجه الله، وأن تأمر أتباعك بألا ينشطوا ضد أى جهة من الجهات، حتى إذا حان أوان الجهاد كنت معك ومؤيدك فى سبيل الكفاح لإعلاء كلمة الله، ومادمتُ على رأس الوزارة فلن يمسك سوء».

ويزيد «النحاس» بقوله: «خاطبنى السفير وألحَّ علىّ فى اعتقاله، ومصادرة أموال الجماعة، والقبض على رؤسائها فرفضت، وقلت له: «أنا مسئول عن تصرفاتها»».

هذه القصة التى يذكرها النحاس باشا فى مذكراته تدخل ضمن طبيعة العلاقة بين «الوفد» و«الإخوان» قبل ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢.. كان «الوفد» هو أكبر الأحزاب المصرية وقتئذ، وكانت «الجماعة» تثبت أقدامها بقوة، وتحاول الزحف إلى قمة المشهد السياسى الذى يتحكم فيه طرفان رئيسان، هما القصر الملكى، والسفير البريطانى، وفى عموم الحالة الحكايات بين «الوفد» و«الإخوان» فيها مناورات وتحالفات وتباعد واقتراب.

ومن صور التباعد قرار لـ«النحاس» فى فبراير ١٩٤٣ بإغلاق «شُعَب الجماعة»، والإبقاء فقط على المركز العام، وإن ظل مراقبا، ثم يلغى قراره ويسمح لـ«الإخوان» فى مثل هذا اليوم «٨ مايو ١٩٤٣» بعقد مؤتمراتهم، ويرى البعض أن هذا القرار استفادت منه «الجماعة» كثيرا فى الانتشار الذى ازداد وتواصل حتى الآن، فلماذا جاء هذا التحول؟

فى دراسة له عن «الإخوان والوفد»- منشورة بجريدة «اليوم السابع»- يضع الدكتور حمادة حسنى، أستاذ التاريخ بجامعة قناة السويس، قضية «الكتاب الأسود» الذى وضعه مكرم عبيد باشا، ويشتمل على ما وصفه بـ«فساد الوفد»، ويقول إن «النحاس» خشى أن يؤيد الإخوان مكرم عبيد، وأن يتضامنوا معه مستغلين «الكتاب الأسود»، فسعى «النحاس» إلى الحصول على تأييد الإخوان، والتحالف معهم فألغى قرار «إغلاق الشُّعب».

٩ مايو عام ١٩٦٤

«خروشوف» يبكى.. ويسخر من عبد السلام عارف

وصلت الباخرة التى تقِلُّ الزعيم السوفيتى «خروشوف» إلى ميناء الإسكندرية صباح مثل هذا اليوم «٩ مايو ١٩٦٤»، كان الوفد المرافق له كبيرا ورفيعا، وكان الحدث الذى سيشارك فيه فى مصر عظيما، وهو انتهاء المرحلة الأولى من مشروع السد العالى.

كان الكاتب الصحفى «محمد حسنين هيكل» مصاحبًا لـ«خروشوف» منذ بدأ إبحار الباخرة من «يالتا»، بوصفه رئيسًا لتحرير صحيفة الأهرام، مما أتاح له أن يتحدث فى كتابه «سنوات الغليان»، الصادر عن مؤسسة الأهرام، القاهرة، عن هذه الزيارة من زوايا متعددة، فعلى ظهر الباخرة قال «خروشوف» لـ«هيكل»، إن تقارير وصلته بأن الحكومة المصرية تقلل من أهمية وصوله إلى مصر، فنفى له هيكل ذلك.

وفى كتاب «السد العالى- هرم الإرادة المصرية»، الصادر عن الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، يذكر المؤلفان محمد الشافعى ومحمد يوسف، أن المشير عبد الحكيم عامر كان فى استقبال الباخرة على ظهر زورق حين وصلت إلى الإسكندرية، مما دفع «خروشوف» إلى القول: «من الواضح أن جمال عبد الناصر يلتزم بالبرتوكول، لأنه أرسل لاستقبالى المشير عامر، لأنه رئيس دولة وأنا رئيس وزراء»، وعندما صعد «عامر» إلى ظهر الباخرة سأله خروشوف عن عبد الناصر، فأجاب بأنه فى انتظاره على رصيف الميناء،

فابتهــج.

وصـل «خروشـوف» إلى القاهـرة بالقطـار مـن الإسـكندرية، واخـترق الشـوارع مـن السـكك الحديديـة إلى قـصر القبـة، وجماهـير غفـيرة كانـت فى اسـتقباله عـلى طـول الطريـق المـؤدى إلى «القبـة»، ممـا جعلـه يقـول لـ«هيـكل»: «لم أرَ فى حياتـى مـا رأيتـه اليـوم»، وبعـد خمسـة أيـام وفى يـوم ١٤ مايـو تحديـداً، كان الحـدث التاريخـى بتحويـل مجـرى النيـل والانتهـاء مـن بنـاء المرحلـة الأولى مـن مشروع السـد.

كانـت مدينـة أسـوان وقتـئـذ محـط أنظـار العـالم كلـه، وفيهـا تزاحـم مئـات الآلاف مـن المصريـين والوفـود الإعلاميـة العالميـة وسـفراء العـالم فى مـصر، وحـضر «خروشـوف» والرؤسـاء، العراقـى عبـد السـلام عـارف، والجزائـرى أحمـد بـن بيـلا، واليمنـى عبـد الله السـلال، وفى تمـام السـاعة الثانيـة عـشرة والنصـف ظهـرا، مـد الزعـماء أيديهـم مـع يـد عبـد النـاصر عـلى الـزر المخصـص لنسـف السـدين المؤقتـين فى مدخـل قنـاة التحويـل، لتؤكـد مـصر للعـالم انتصـار إرادتهـا فى معركـة السـد الخالـدة، حيـث رفضـت أمريـكا والبنـك الـدولى تمويلـه.

خطـب «خروشـوف» فى الاحتفـال بلغـة روسـية، وكان يتوقـف بـين جملـة وأخـرى حتـى يسـتطيع مترجمـه أن يعيـد للجماهـير مـا قالـه رئيسـه بلغـة عربيـة ركيكـة لم تكـن تثـير سـامعيه.

وخطـب «عبـد النـاصر» و«بـن بيـلا» و«عـارف»، ويحكـى «هيـكل» أنـه بعـد انتهـاء مراسـم الاحتفـال عـاد «خروشـوف» إلى فنـدق «كاتاراكـت» للاسـتراحة، واسـتدعاه ليسـأله: لم أفهـم حماسـكم الزائـد لـ«عـارف»، هـل سـتظل العنـزة معنـا طـوال الرحلـة؟ فسـأله هيـكل عـما يقصـده بـ«العنـزة»، فمد يـده إلى إحـدى صحـف الصبـاح، وفى صفحتهـا الأولى صـور الضيـوف وأشـار بيـده: «عـارف، عـارف، ألا تـراه فى هـذه الصـورة أشـبه مـا يكـون بـالعنزة».

١٠ مايو عام ١٥١٧
ترحيل أول فوج من المصريين المهرة إلى إسطنبول
وملاحقات لقضاة هاربين

خرجت جماعة من اليهود بنسائهم وأولادهم إلى ميناء بولاق، وتوجهوا منه إلى ميناء الإسكندرية، ومنه إلى «إسطنبول» عاصمة الدولة العثمانية، وذلك تنفيذا لقرار السلطان العثمانى «سليم الأول» بترحيل العمال المهرة فى كل أنواع الحرف من مصر، وامتد إلى القضاة والشيوخ، مما كان له أكبر الأثر فى وقف تطور الحياة بمصر.

لم يكن اليهود وحدهم ضمن الفوج الأول فى الترحيل الذى بدأ فى مثل هذا اليوم «١٠ مايو ١٩١٧»، وإنما شمل مسلمين ونصارى من البنائين والنجارين والحدادين والمرخمين والمبلطين، ومر هذا اليوم بهدوء لكن الأحزان والآلام كانت لدى الجميع لإخراجهم من بلادهم إلى بلد آخر لا يعرفون مصيرهم فيه، وفى اليوم التالى الذى كان سيرحل فيه فوج آخر من القاهرة إلى الإسكندرية، ومن ضمنه قضاة، حدث ما يؤكد أحزان المصريين من قرار «سليم الأول».

يتحدث الكاتب والمؤرخ «حلمى النمنم» عنه فى كتابه «جذور الإرهاب- أيام سليم الأول فى مصر»، عن أنه فى اللحظة الأخيرة اعترض اثنان من القضاة على السفر كلٌ بطريقته، وكان أحدهما شافعيا، والثانى حنفيا.

كان القاضي الشافعي اسمه «شمس الدين الحلبي»، أراد ألا يسافر فأعلن ذلك صراحة، لكن تم حمله عنوة من بيته إلى بولاق حيث السفينة التي ستقلُّه إلى الإسكندرية، لكن العثمانيين أوسعوه ضربا، وأنزلوه المركب رغم أنفه، وكان ذلك بمثابة تأديب عنيف له.

أما القاضي الثاني «الحنفي» وهو «بدر الدين بن الوقاد»، فاختار طريقا آخر وأسلوبا مختلفا في الاعتراض، حيث اختفى تماما عن الأنظار، وبحث عنه العثمانيون في كل مكان وفشلوا في الوصول إليه والإمساك به، وربما يكون هذا الرجل خرج من القاهرة كلها إلى أي مكان آخر في مصر، أو بقي فيها لكنه عاش باسم مستعار مع تغيير في هيئته.

واغتاظ العثمانيون من هروبه فقرروا معاقبة الضامن له، وكان يدعى «يونس» ويعمل «نقيب الجيش»، ويقول «ابن زنبل»: «حصل لنقيب الجيش من الدفتردار ما لا خير فيه، وبهدله، وهمّ بضربه»، وبالطبع كان هذا العقاب دافعا إلى أن يكون الضامنون وسيلة رقابة صارمة على من يضمنونهم.

قُدِّر عدد الذين تم إخراجهم من مصر بـ«١٨٠٠»، وفي تقديرات أخرى بعدة آلاف، ووفقا لتلك التقديرات، وكان عدد سكان القاهرة قرابة ٢٥٠ ألفا، وبخروج هذا العدد انهارت الصناعات والحرف في مصر، بالإضافة إلى أن هناك خمسين صنعة تعطلت وبطلت أثناء وجود «سليم الأول» في مصر.

في دراما هذه القصة هناك روايات يذكرها مؤرخو هذه المرحلة، منها أن إحدى السفن التي كانت تقلُّ المصريين غرقت بعد سفرها من الإسكندرية ولم ينجُ منها أحد من ركابها، وغرق نحو ٤٠٠ منهم جماعة من الأعيان، وهناك رواية عن أنه بعد عام أحضر شخص عثماني إلى القاهرة خطابات من المرحلين إلى أهاليهم كلها لوعة وأسى وقالوا إن الكثير منهم تُوفُّوا في إسطنبول، وفي كل الأحوال أدى هذا القرار إلى تأخر مصر كثيرا.

١١ مايو عام ١٩٦٠
«الموساد» يخطف أكبر مساعدى هتلر
بعد اختفاء ١٠ سنوات فى الأرجنتين

كان «أدولف آيخمان» المولود عام ١٩٠٦ واحدا من أبرز القادة النازيين الألمان الذين عملوا إلى جوار «هتلر»، وعَدَّته إسرائيل الوحش الذى أشرف على أفران الغاز فى محرقة اليهود أثناء الحرب العالمية الثانية.

تحمل قصة «آيخمان» مع اليهود مفارقات عدة، ففى طفولته كان الأطفال يعيرونه بـ«اليهودى» لأن بشرته تميل إلى اللون الأدْكَن عكس بياض بشرة الأوروبيين، وفى عام ١٩٣٧ حاول دخول فلسطين لدراسة جدوى ترحيل اليهود من ألمانيا إليها، لكن السلطات البريطانية رفضت منحه تأشيرة الدخول، فجاء إلى القاهرة وفيها التقى الحاج أمين الحسينى مفتى فلسطين، كما التقى أحد عناصر «الهاجاناه»، وانتهى إلى كتابة تقرير يرفض فيه فكرة الترحيل لأسباب اقتصادية، ولأن إقامة دولة يهودية تتعارض مع الفكر النازى بعد انتهاء الحرب.

وبعد هزيمة «هتلر» استطاع الهروب من معسكرات أسرى النازيين، وظل مختفيا باسم مستعار داخل ألمانيا حتى عام ١٩٥٠، ليهرب فى العام نفسه عبر إيطاليا إلى الأرجنتين، وعاش فيها باسم جديد هو «ريكاردو كلمنت»، وأنه من مواليد «بولتسانو» فى إيطاليا ومهنته «ميكانيكى» وحالته الاجتماعية «عَزَب»، وبعد استقراره كتب لزوجته فى النمسا: «عم الأطفال مازال حيا»، ففهمت المقصود، وأعدت وثائق السفر ليلتئم شمل الأسرة فى الأرجنتين.

عـاش «آيخـمان» أو «ريـكاردو» ١٠ سـنوات متخفيـا حتـى حامـت شـكوك «الموسـاد» حولـه، فقامـت بمراقبتـه، وفى كتـاب «هـذه الدنيـا» لـ«أحمد بهـاء الدين»، أخبـار اليـوم، القاهـرة، الـذى يتنـاول قصـة هـذا الرجـل يقـول، إن مراقبتـه يومـا بعـد يـوم وأسـبوعا بعـد أسـبوع، لتسـجيل كل حركـة لـه، كان منتظـما فى حياتـه جـدا، لا شـىء يتغـير أبـدا، وفى يـوم مـن الأيـام حـدث تغيـير بسـيط، لقـد اشـترى «آيخـمان» عنـد عودتـه مـن المصنـع باقـة فاخـرة مـن الـورد حملهـا معـه، وعندمـا وصـل إلى البيـت، فتحـت لـه زوجتـه وأعطاهـا باقـة الـورد فى إعـزاز كبـير، وأخـذ الذيـن يراقبـون يفكـرون فى السـبب: مـا المناسـبة التـى تجعلـه يشـترى هـذا الـورد اليـوم؟

يضيـف «بهـاء»، أن الذيـن يراقبونـه أخـذوا يراجعـون مـا لديهـم مـن أوراق تضـم كل المعلومـات، واكتشـفوا السـر، أن يـوم ٢١ مـارس هـو نفـس اليـوم الـذى تـزوج فيـه «آيخـمان» مـن زوجتـه، كان ذلـك يـوم ٢١ مـارس ١٩٣٥، فأرسـلوا فى تلـك الليلـة إلى تـل أبيـب برقيـة نصهـا: «الرجـل هـو الرجـل»، وعـلى الفـور بـدأ التفكـير فى الخطـوات التاليـة، خطـوات اختطافـه التـى تمـت فى مثـل هـذا اليـوم «١١ مايـو ١٩٦٠» وشـحنه جـوا إلى إسرائيـل، بعـد عمليـات تمويـه وخـداع قـام بـه جهـاز «الموسـاد» الإسرائيـلى.

تلقـى رئيـس الـوزراء الإسرائيـلى «بـن جوريـون» خـبر اعتقـال «آيخـمان» فلـم يصـدق فى البدايـة، وبعـد أن تيقـن ألقـى بيانـا قصـيرا أمـام الكنيسـت قـال فيـه: «يجـب عـلى أن أعلـن للكنيسـت أنـه منـذ فـترة قصـيرة اكتشـفت الأجهـزة الأمنيـة الإسرائيليـة مـكان أحـد عتـاة المجرمـين ضـد اليهـود «أدولـف آيخـمان»، المسئول هـو وكبـار زعـماء النازيـة عـما أطلقـوا عليـه الحـل النهائـى لمشـكلة اليهـود أى إبـادة سـتة ملايـين يهـودى بأوروبا، آيخـمان رهـن الاعتقـال فى البـلاد، وسـتتم محاكمتـه قريبـا فى إسرائيـل وفقـا لقانـون محاكمـة النازيـين وأعوانهـم لسـنة ١٩٥٠».

فى ١١ أبريـل ١٩٦١ بـدأت محاكمـة «آيخـمان»، وفى ١٥ ديسـمبر صـدر حكـم الإعـدام ضـده، وقبـل التنفيـذ تقـدم بالتـماس للسـماح لـه باعتنـاق اليهوديـة، ولمـا سُـئل عـن السـبب، أصر عـلى أن يتحـدث فقـط أمـام الصحفيـين فوافقـوا، وكانـت

المفاجـأة حـين قـال أمـام صحفـيّ العـالم: «أردت اعتنـاق اليهوديـة ليـس حبـا فيهـا ولا فى إسرائيـل، لقـد كنـت أكثـر إنسـانية معكـم، بينـما كنتـم أكثـر خبثـا وقـذارة، أيهـا الـكلاب إن أرض فلسـطين ليسـت إرثكـم ولا أرضكـم، فـما أنتـم إلا عصابـة مـن الإرهابيـين ومصـاصى الدمـاء، فـذات يـوم سـيأتيكم هتلـر عربـى يجتـث وجودكـم اجتثاثـا».

فى ٣١ مايـو، التـف حبـل المشـنقة حـول رقبتـه وكانـت آخـر كلماتـه: «سـوف نلتقـى قريبـا، عشـت كمؤمـن بالـرب، امتثلـت لأحـكام الحـرب وعلـم بـلادى».

١٢ مايو عام ١٩٣٢
الخديو عباس حلمى الثانى
يوقِّع وثيقة تنازله بعد ١٨ عامًا من عزله

كان الخديو عباس حلمى الثانى يعتقد فى التفاؤل والتشاؤم من بعض الأقدام والأشخاص، وحين تلقى خبر عزله عن حكم مصر بقرار من الاحتلال البريطانى، كان فى قصره المطل على خليج «البوسفور» فى «إسطنبول»، وكانت هناك سيدة التحقت بخدمته أخيرا، ولم يكن رئيس ديوانه «أحمد شفيق باشا» يستريح لها، فقال لـ«الخديو»، إن هذه السيدة شؤم عليه، فرد الخديو، لكنها ساعدتنى ماديا فى هذه الظروف الحرجة.

يروى «شفيق باشا» القصة السابقة فى مذكراته الصادرة عن قصور الثقافة، القاهرة ويقول إنها كانت محاولة منه للتخفيف والترويح عن الخديو، بعد أن تلقى خبر عزله، لكنه لم يفلح فى إزالة القلق والتوتر الذى كان عليه الخديو، فسأله شفيق عن السبب، فأجاب بأن قلقه لسببين، الأول، تخوُّفه من مصادرة الإنجليز لأملاكه، بسبب انضمامه لأعدائهم، والعمل على إرسال حملة تركية إلى مصر، أما السبب الثانى فهو عدم تحديد مدة هذه الحملة، والتصريح فيها برجوعه إلى عرشه.

قرر الاحتلال الإنجليزى تولية السلطان حسين كامل أحد أعمام «عباس حلمى الثانى» الحكم، وبعد «حسين» جاء شقيقه الملك فؤاد، ومرت سنة

وراء سنة و«المخلوع» يرفض خلعه، ولأنه ظل على هذا الوضع، كان احتمال عودته هاجسا يشغل «الملك فؤاد» تحديدا.

فى كتاب «نصف قرن بين الأدب والسياسة»، الصادر عن دار الهلال، القاهرة، يقول مؤلفه «فتحى رضوان»: «كان فؤاد يتصور فى كثير من حركات بعض الأعيان الذين يعرفون (عباس حلمى) أنها مؤامرة لخلعه، ولذلك كان لابد من أن تعمل بريطانيا، ويعمل الملك فؤاد ما فى وسعها لحمل «عباس حلمى الثانى» على الإقرار بالنظام الملكى القائم، وأن يتنازل عن كل حق له فى ميراث العرش، وعن كل ما كان يملكه من أطيان شاسعة وعمارات وعقارات فى مصر».

ظلت المفاوضات مع «عباس حلمى الثانى» سنوات طويلة حول ذلك، ولعبت بريطانيا دورا كبيرا فيها لكنه كان يرفضها، ولما تضاءل أمله، وكذلك تقدمت السن به، واستقر الملك فؤاد على عرشه، وقع على الوثيقة المطلوبة فى مثل هذا اليوم «١٢ مايو ١٩٣٢»، وكان ذلك أثناء رئاسة إسماعيل صدقى للحكومة.

بدأت الوثيقة بقوله، إنه مغتبط بما رآه من خطى مصر الثابتة فى سبيل توثيق استقلالها والتوفيق بين نظامها السياسى وبين حاجتها وأمانيها، وأنه توصل إلى ذلك من خلال متابعته لما تحرزه البلاد من تقدم فى جميع المجالات.

وشملت «وثيقة التنازل» تأكيد «عباس حلمى الثانى» على التزامه للأمر الملكى الصادر فى ١٣ أبريل بوضع نظام توريث العرش فى المملكة المصرية، والقانون الخاص بإقرار تصفية أملاكه باعتبارهما جزءا لا يتجزأ من الدستور المصرى.

وختم «الخديو» الوثيقة بإقراره بأن الملك فؤاد الأول بن إسماعيل ملك مصر الشرعى، وأنه لذلك يعلن أن تنازله عن كل مطالبه ناشئ عن أنه كان «خديوى» لمصر أيا كان وجهها سواء عن الماضى أم عن المستقبل.

وانتهى «عباس حلمى الثانى» إلى الدعاء للملك بصالح الدعوات، وأن يحيط ولى عهد المملكة الأمير فاروق بعين عنايته، وليزيد فى إسعاد مصر فى حاضرها ومستقبلها

كانت هذه الوثيقة بمثابة إسدال الستار على قضية ظلت معلقة من فترة عزل «عباس حلمى الثانى» عام ١٩١٤ حتى يوم ١٢ مايو ١٩٣٢.

١٣ مايو عام ١٨٠٥
العلماء والشيوخ يختارون محمد علىّ واليًا ..
وخورشيد : «لن يعزلنى هؤلاء الفلاحون»

لجأ القضاة والشيوخ والعلماء إلى بيت محمد علىّ، بعد أن بدا لهم أن خورشيد باشا حاكم مصر يستعد للقضاء عليهم بسبب ثورتهم ضده بقيادة عمر مكرم.

قالوا لمحمد على: «فاض الكيل نريد أن نخلع خورشيد باشا».

فرد عليهم بكثير من الحياء: «ومن تريدون أن يحل محله؟»، فيأتيه الرد بدون مواربة: «بالنظر إلى الكرم والعدل اللذين أظهرتهما أعمالكم نحو الشعب، فإننا لا نفكر فى غيركم، ستكونون الحاكم وسنخضع لشروطكم».

كان الحدث فى مثل هذا اليوم «١٣ مايو ١٨٠٥»، ويكتب مشهده وتداعياته «جيلبرت سينويه» فى كتابه «الفرعون الأخير» قائلا، إن محمد على تظاهر برفض ما عرضه عليه وفد القضاة والشيوخ والعلماء لأنه «استراتيجى محنك»، وادّعى أنه غير كفء لهذا المنصب، لكن العلماء أصروا، وبعد نحو ساعة أحضروا عباءة مبطنة بالفرو وقفطانا، وقام عمر مكرم نقيب الأشراف بمساعدة الشيخ الشرقاوى بإلباسهما لـ«الباشا» الذى سيحكم مصر.

تمت عملية تلبيس «محمد على»،«العباءة» و«القفطان» وقت العصر، ونادوا بذلك فى تلك الليلة فى المدينة، حسب قول «شفيق غربال» فى كتابه «محمد

عـلى الكبـير»، وكان هـذا عـلى الرغـم مـن معارضـة فريـق الألبانيـين، ويشـير «غربـال» إلى أن «الألبانيـين» هنـا لا يعنـى اقترانهـم بـ«محمـد عـلى»، فهـم كان لهـم كيانهـم ولهـم رياسـتهم الخاصـة بهـم.

تعهـد محمـد عـلى رسـميا بـأن يحكـم بالعـدل واحـترام حقـوق الشـعب المـصرى، وألا يأخـذ أى قـرار دون العـودة إلى العلـماء، وأضـاف أنـه إذا أخلـف شـيئا مـن وعـوده فـإن لهـؤلاء العلـماء أنفسـهم الحـق فى عزلـه.

علـم «خورشـيد باشـا» بـما حـدث فقـرر المقاومـة، قائـلاً: «عُيِّنـت مـن قِبـل السـلطان، ولـن يعزلنـى هـؤلاء الفلاحـون»، فـرد العلـماء بالكتابـة إلى السـلطان فى الآسـتانة بتركيـا للحصـول منـه عـلى موافقـة تعيـين محمـد عـلى.

يقـول «سـينويه»: كان الحـدث يشـكل اسـتثناء، فـلأول مـرة فى تاريـخ مـصر يختـار رجـال الديـن والأعيـان مـن أبنـاء البلـد قائدهـم ويتدخلـون بصفـة مباشرة لـدى مسـتعمرهم لصالحـه، هـى المـرة الأولى التـى يبـدو فيهـا أن المـصرى يملـك مصـيره.

أصبـح خـبر تعيـين «الباشـا» الجديـد لـدى الشـعب المصرى الـذى وجـد نفسـه فى لحظـة مصيريـة، فإمـا أن تتحقـق إرادتـه التـى عـبر عنهـا القضـاة والشـيوخ والعلـماء، وإمـا ينتـصر «خورشـيد باشـا» بجنـوده، ولأن المصريـين صممـوا عـلى فـرض إرادتهـم قـام بعضهـم ببيـع ثيابهـم لـشراء سـكين أو خنجـر أو بندقيـة، وجـاب عمـر مكـرم شـوارع القاهـرة لتحفيـز النـاس، فكانـت المفاجـأة بـترك جنـود «خورشـيد» رئيسـهم لوحـده يواجـه مصـيره منفـردا.

كان «خورشـيد باشـا» أثنـاء الثـورة ضـده متحصنـا فى القلعـة لا يغادرها،حسـب مـا يذكـره «عبـد الرحمـن الرافعـى» فى كتابـه «عـصر محمـد عـلى»، وكان المصريـون يواصلـون ثورتهـم مصممـين عـلى تنفيـذ إرادتهـم، واسـتمر الأمـر عـلى هـذا النحـو شـهرا تسـلح فيـه النسـاء والأطفـال بالحجـارة وأخـذوا مواقعهـم فى الشرفـات، وهاجمـوا جنـود خورشـيد حيثـما وُجـدوا، وكلـما كان الإصرار عـلى إبقـاء الوضـع عـلى مـا هـو عليـه كان حمـاس الثـورة يـزداد، حتـى جـاء فرمـان «السـلطان

العثمانـى» الـذى نـص: «يوافـق البـاب العـالى عـلى اختيـار العلـماء لشـخص محمـد عـلى، ويعلـن أحمـد خورشـيد باشـا اسـتقالته مـن مهامـه، ويتعـين عليـه السـفر إلى الإسـكندرية مـع كل الاحـترام الواجـب لـه، وهنـاك عليـه الانتظـار للتعليـمات التـى سـتُوجه لـه، وتعيينـه فى حكومـة أخـرى».

١٤ مايو عام ١٩٧٥
السادات فى الكويت وأحد كبارها يهاجمه بعنف خلال عشاء بسبب عبد الناصر

شهدت مصر بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ حملة ضارية ضد جمال عبد الناصر، ويؤكد الكاتب الصحفى الراحل أحمد بهاء الدين فى كتابه «محاوراتى مع السادات»، الصادر عن دار الهلال، القاهرة: «كان السادات هو مخطط وموجه هذه الحملة».

كان «بهاء» شاهدا على رد فعل عنيف بسبب هذه الحملة ضد السادات فى أثناء زيارته إلى الكويت، والتى بدأت فى مثل هذا اليوم «٣ مايو ١٩٧٥»، وكان يعمل وقتها رئيسا لتحرير مجلة العربى الكويتية، والمثير أن رد الفعل كان على أرض الكويت، والأكثر إثارة أنه كان من أحد كبار القوم الكويتيين.

قبل بداية زيارة السادات إلى الكويت بأيام، شهدت مصر جدلا عنيفا فجَّره الكاتب الصحفى الراحل جلال الدين الحمامصى فى كتاب له بعنوان: «حوار حول الأسوار»، يتهم فيه عبد الناصر باختلاس ١٠ ملايين دولار كانت قرضا من العاهل السعودى الملك سعود لمصر.

وأمام غضب الرأى العام من هذا الاتهام الذى تجاوز كل الحدود، قرر السادات تشكيل لجنة للتحقيق برئاسة الدكتور على الجريتلى، أحد أبرز خبراء ووزراء الاقتصاد فى تاريخ مصر، وأعلن السادات نتائجها ببراءة عبد الناصر

فى خطـاب أمـام مجلـس الشـعب، لكـن التقريـر لم يتـم نـشره للنـاس، مما دفـع «بهـاء الديـن» إلى التعليـق بقولـه: «تلـك كانـت طريقـة السـادات فى بقـاء الشـبهة تحـوم فى الفضـاء»، دار هـذا فى مـصر، فـما الـذى دار فى الكويـت؟

فى أثنـاء الزيـارة وبالمصادفـة، كان مجلـس الأمـة الكويتـى سـوف يصـدق عـلى آخـر اتفاقيـة تكمـل انسـحاب الشركـة الإنجليزيـة التـى كانـت تحتكـر بـترول الكويـت وتسـليمها آخـر مابقـى مـن نصيـب لهـا إلى حكومـة الكويـت، وانتهـز نـواب البرلمـان الكويتـى الفرصـة، ليردد كل منهـم فى تعليقـه عـلى نجـاح الكويـت فى المفاوضـات وفى امتـلاك بترولهـا كلـه، أنـه لابـد فى هـذه المناسـبة مـن ذكـر جمـال عبـد النـاصر الـذى كان أول مـن قـال: «بـترول العـرب للعـرب»، وفى وقـت كان يبـدو فيـه هـذا الـكلام حديـث خرافـة وفى كفاحـه الطويـل لتكسـير أنيـاب الأسـد البريطانـى؛ مما جعـل إنجلـترا تغير سياسـتها وتسـلم عـلى مائـدة المفاوضـات مـا لم يكـن أحـد يسـتطيع أن يحدثهـا فيـه.

يجـزم «بهـاء»: «أن جـزءا مـن خطابـات النـواب كان مقصـودا بـه أن يسـمع عنـه أنـور السـادات»، لكـن المفاجـأة الكـبرى كانـت فيـما حـدث بعـد.

أُقيمـت لـ«السـادات» مأدبـة عشـاء رسـمية، وكان «بهـاء» مدعـوا لهـا ضمـن مئـات مـن الشـخصيات الكويتيـة والمصريـة، ووقـع حـادث غريـب مفاجـئ، إذ تقـدم إلى السـادات أحـد كبـار القـوم مـن الكويتيـين، وقـال لـه عـلى مسـمع مـن الموجوديـن المحيطـين: «يـا سـيادة الرئيـس، نحـن لا نقبـل أن يقـال فى مـصر إن جمـال عبـد النـاصر قـد اختلـس عـشرة ملايـين دولار، وأنـا شـخصيا، ويشـهد كل الإخـوان الواقفـين، أننـى كنـت ضـد جمـال عبـد النـاصر، وكنـت ضـد حـرب اليمـن بالـذات، ولكـن أن يقـال إن جمـال عبـد النـاصر الـذى كانـت خزائـن مـصر كلهـا فى يديـه، وخزائـن العـرب إذا شـاء، قـد اختلـس عـشرة ملايين دولار، فهـذا عـار عـلى الأمـة العربيـة كلهـا، والتـى كان عبـد النـاصر شـئنا أم أبينـا رمـزا لهـا فى العـالم كلـه، وإننـى أطلـب مـن سـيادتك أن تقـول لنـا أى مبلـغ تـرون أنـه فى ذمـة جمـال عبـد النـاصر للخزانـة المصريـة، وسـوف ندعـو الشـعب الكويتـى للتـبرع بـه وتسـديده عنـه، وسـيجمع الشـعب الكويتـى أى مبلـغ فى أقـل مـن ٢٤ سـاعة».

كان الحدث مدويا ويستكمل «بهاء» أنه بعد انتهاء حفل العشاء، أسرع إلى قصر «دسمان»، مقر إقامة السادات، وبادره قائلاً:

«أرأيت يا ريس رد فعل حكاية العشرة ملايين دولار بتاعة عبد الناصر؟».

فرد السادات: «نعم رأيت هنا وفى الرياض بل رأيت وأنا فى القاهرة»، فالشيخ جابر الأحمد، ولى العهد الكويتى وقتها، كان يعترض على سياسة عبد الناصر الاقتصادية، لكنه ما إن قرأ هذه الحكاية حتى أرسل خطابا لى يقول فيه: «إن عبد الناصر كان رمزا للعرب جميعا وعرفنا العالم عن طريقه، ولا يجوز أن يقال عنه اليوم هذا الكلام غير القابل للتصديق».

يختتم «بهاء الدين» هذه القصة بقوله: «سألت الدكتور الجريتلى عن القضية، فأجاب: «قبلت رئاسة اللجنة لأننى كنت واثقا من النتيجة، فعبد الناصر أكثر كبرياء من أن يقبل بأى إفساد».

١٥ مايو عام ١٩٥٠
فاروق يطلب من «مجلس البلاط الملكى» الحَجْر على أمه «نازلى»

يلخص الكاتب الصحفى محمد التابعى علاقة الملك فاروق بأمه «نازلى» فى كتابه «من أسرار الساسة والسياسة» بقوله: «كان فاروق يحب أمه، ولم يكن يفوق حبه سوى احترامه لها، كانت تناديه أمامنا وأمام رجال الحاشية وخدم الفنادق «فاروق»، وكان هو يخاطبها أو يناديها دائما «ماچستيه» أى صاحبة الجلالة، وكان يخشاها ويتقى غضبها ويعمل لها حسابا، وكانت كلمتها عنده لا تُرد».

تهاوت المُثُل العليا التى كان يراها «فاروق» فى أمه، بعد أن وجدها عاشقة ملهوفة لأحد موظفى القصر الملكى، وهو أحمد حسنين باشا الذى شغل منصب رئيس الديوان الملكى لـ«فاروق».

أصبحت الأم مأساة للابن، وعلى الرغم من وفاة «حسنين باشا» فى فبراير عام ١٩٤٦، فإن المأساة امتدت لتصبح فى عام ١٩٥٠ دراما كبيرة لم يتوقعها «فاروق»، حيث سافرت نازلى وابنتاها الأميرتان «فايقة» و«فتحية» إلى أوروبا ومنها إلى أمريكا ولم تعد، وشجعت «فتحية» على الارتباط ثم الزواج بـ«رياض غالى» الشاب المسيحى الذى أعلن إسلامه من أجل إتمام الزيجة.

فشلت كل محاولات «فاروق» من أجل وقف تصرفات أمه، وعودتها إلى مصر ووقف مشروع زواج «فتحية» و«رياض»، وحسب كتاب «فاروق الأول وعرش مصر» للدكتورة لطيفة سالم: «فشلت كل محاولات «فاروق»

بما فى ذلك وسيلة الترجى والاستعطاف التى استخدمها مع أمه، كما فشل فى الضغط على السفير الأمريكى فى مصر من أجل طرد رياض غالى من أمريكا، وأمام كل ذلك لم يجد أمامه وسيلة إلا عقد مجلس البلاط فى مثل هذا اليوم «١٥ مايو ١٩٥٠»؛ ليأخذ قرارا بالحجر على الملكة وتجريدها من لقبها والتفريق بين فتحية ورياض غالى».

تقدم «الديوان الملكى» برسالة إلى «مجلس البلاط»، تشمل جميع المستندات وهى عبارة عن التحريات الخاصة التى قامت بها السفارة المصرية فى أمريكا حول شخص «رياض غالى أفندى»، والكيفية التى تعرف بها إلى جلالة الملكة نازلى، والأميرتين منذ عام ١٩٤٦، والطرق التى كان يستغل بها أموالهن.

وتقدم الملك فاروق بمذكرة إلى «المجلس» تتألف من صفحتين من الحجم الكبير وقّعها باسمه، ويأتى بنصها كاملا محمد حسنين هيكل، فى كتابه «سقوط نظام»، الصادر عن دار الشروق، القاهرة، وفيها، أن جلالة الملك أرسل إلى جلالة الملكة الوالدة برقية يوضح فيها ما يساور جلالته من الألم المرير، ويناشدها أن تكفَّ عن هذا الزواج (فتحية ورياض)، ويدعوها أن تقدر ما قد ينشأ عن إصرارها على ما اعتزمته من العواقب الوخيمة السيئة، ولكنها أصرت على موقفها.

واشتملت مذكرة «فاروق» على بيان تفصيلى بالمبالغ التى تم إرسالها إلى «نازلى» والأميرتين «فائقة وفتحية» فى الفترة من صيف سنة ١٩٤٦ حتى عقد مجلس البلاط، وتبلغ نحو أربعمائة وثلاثة وثمانين ألف جنيه، وتبين أن رياض استولى على أربعين ألف جنيه منها، واختتم «الملك» مذكرته بالقول: «لهذا كله أود أن نقف على ما يشير به المجلس من إجراءات نحو هذا الزواج، وما يصح أن يُتبع نحو جلالة الملكة».

استمر «مجلس البلاط» فى جلساته لمناقشة الموضوع، وجاءت قراراته على النحو التالى:

- من حيث إن زواج المسلمة من غير مسلم باطل بطلانا أصليا ولا يترتب عليه أى أثر من آثار الزوجية طبقا لأحكام الشريعة الإسلامية، ومن حيث إنه إذا أسلم شخص فعلا وتزوج بمسلمة عريقة فى الإسلام فإن هذا العقد إذا حصل بغير رضاء الوالىّ أو العاصب لا يصح، لذلك قرر المجلس التفريق فورا بين حضرة صاحبة السمو الملكى الأميرة فتحية، وبين رياض غالى بالحيلولة بينهما ووضعهما تحت يد حضرة صاحب الجلالة الملك للمحافظة عليها إلى أن يفصل فى الدعوى، وعلى السلطات المختصة اتخاذ الإجراءات الكفيلة بتنفيذ ذلك.

ـ قرر المجلس منع حضرة صاحب الجلالة الملكة نازلى من التصرف فى أموالها، وتعيين حضرة صاحب السعادة «نجيب سالم باشا» ناظر خاصة جلالة الملك مديرا مؤقتا على جميع أموالها إلى أن يُفصل فى طلب الحجر.

ـ قرر المجلس وقف صاحبة الجلالة الملكة «نازلى» عن أعمال الوصاية على حضرة صاحبة السمو الملكى الأميرة «فتحية»، وتعيين سعادة «نجيب سالم باشا» وصيا مؤقتا لإدارة أموالها إلى أن يفصل فى طلب عزل جلالة الملكة «نازلى» عن الوصاية.

١٦ مايو عام ١٩٣٠
محاولة اغتيال فاشلة لرئيس الحكومة صدقى باشا..
والمتهم: « جاب لى المصايب»

دار الحوار بين المحكمة والمتهم بمحاولة اغتيال إسماعيل صدقى باشا، رئيس الوزراء، على نحو غريب، وكانت وقائعه كالآتى:

المحكمة: أنت يا محمد لما سألك حضرة قاضى الإحالة عن التهمة، قلت إنك ستفصح عن شريكك أمام محكمة الجنايات.

المتهم: أنا مُصرّ على ما قلت، والشريك ده هو مخى اللى حرقه البوليس السياسى.

المحكمة: مخك هو اللى قال لك تقتل صدقى باشا؟

المتهم: مخى شريكى.

المحكمة: مادام مخك حرضك فمعنى هذا أنك كنت بتفكر فى قتل صدقى باشا.

المتهم: أفكر فى المصايب اللى جابها لى صدقى باشا، ومخى قال لى كده، وأنا قلت حرام.

كان المتهم شابًا اسمه محمد الغلال، الشهير بـ«سلطان»، ويعمل «طباخًا» ويقيم بمنطقة «باب البحر» فى «درب سعادة، عطفة الطوشى»، وكان المستهدف

هـو إسـماعيل صدقـى باشـا، رئيـس الحكومـة، وجـرت المحاولـة عـلى رصيـف محطـة القاهـرة فى مثـل هـذا اليـوم «١٦ مايـو ١٩٣٠»، حيـث كان «صدقى باشـا» فى طريقـه إلى الإسـكندرية ومنهـا إلى أوروبـا، وبينـما هـو يقـف بـين مودعيـه، اخـترق «الغـلال» نطـاق الشرطـة، وبيـده بعـض الصحـف، وتحتهـا مسـدس لاسـتخدامه فى تنفيـذ مخططـه.

كلـمات «المتهـم» أمـام المحكمـة عـبرت عـن طبيعـة مرحلـة حكـم «صدقـى باشـا»، والتـى بـدأت بصـدور أمـر ملكـى لـه بتشـكيل الـوزارة بعـد اسـتقالة وزارة الوفـد برئاسـة مصطفـى النحـاس باشـا، وعـلى الرغـم مـن مشـاركته سـعد زغلـول فى تأسـيس حـزب الوفـد، واعتقالـه معـه هـو وعـدد مـن الزعـماء عـام ١٩١٩، ونفيهـم إلى «مالطـا»، فإنـه انفصـل عـن «الوفـد» بعـد فـترة قليلـة مـن تأسيسـه، وأصبـح مـن أشـد خصومـه، وقريبًـا مـن القـصر الملكـى.

شـهدت فـترة حكومـة «صدقـى» تضييقًـا بالغًـا فى الحريـات، ويتحـدث عنهـا باسـتفاضة مصطفـى النحـاس فى مذكراتـه التـى حققهـا الكاتـب الصحفـى أحمـد عـز الديـن، فهـو الـذى ألغـى العمـل بدسـتور ١٩٢٣، وفصّـل دسـتور ١٩٣٠ عـلى مقـاس الملـك فـؤاد، ولاقـى معارضـة واسـعة لتقييـده الحريـات السياسـية، ومنحـه سـلطات أوسـع للملـك، كـما شـهدت فترتـه تزويـرًا للانتخابـات، يتحـدث عنهـا المـؤرخ عبـد الرحمـن الرافعـى قائـلا: «أوعـزت الحكومـة إلى لجـان الانتخابـات بـأن تـزوِّر محاضرهـا، بحيـث تثبـت فيهـا حضـور الناخبـين كذبًـا وزورًا، وكانـت سـابقة خطـيرة اتبعتهـا الإدارة فى العمليـة الانتخابيـة، كلـما أرادت اصطنـاع برلمـان صُـورى»، وأسـس هـذا النهـج لشـكل الانتخابـات التـى شـهدتها مـصر طويـلًا، وكان يتـم تزويرهـا بنفـس أدوات انتخابـات «حكومـة صدقـى».

أغلـق «صدقـى باشـا» عـدّة صحـف، وعلـق سـلامة موسـى عليهـا بقولـه: تـم إقفـال ثلاثـة مُصانـع مصريـة وهـى، «البـلاغ» لصاحبهـا أحمـد حافـظ عـوض، و«اليـوم» لصاحبهـا توفيـق ديـاب، و«البـلاغ» لصاحبهـا عبـد القـادر حمـزة، أمـا عـن «الأهـرام» التـى لم يَطُلْهـا ضرر فقـال عنهـا: «هـذه هـى الأهـرام الجديـدة التـى تسـير مـع كل حـزب، وتجـرى مـع كل ريـح، وتضحـك منـا جميعًـا».

١٧ مايو عام ٢٠٠٢
رحيل الفريق عبد المنعم واصل الذى قال:
«ابنى واحد من ١٤٩ ضابطًا فى اللواء»

كان العميد عبد المنعم واصل فى المستشفى يوم ٧ يونيه ١٩٦٧ للعلاج من إصابة لحقت به أثناء القتال عند جبل لبنى بوسط سيناء، أثناء حرب ٥ يونيه ١٩٦٧، وحضر إليه اللواء سعد عثمان قائد الفرقة التاسعة «المجموعة الخاصة»، وطلب منه تشكيل سرية دبابات للهجوم المضاد على منطقة «جلبانة» شرق القناة، لنجدة كتيبة الصاعقة التى كانت لا تزال تدافع عن القنطرة شرق ضد هجوم إسرائيلى، وبالفعل تم تشكيل سرية من ١٢ دبابة، وعيَّن «واصل» ابنه النقيب «طارق» لقيادتها.

عبرت «السرية» القناة، واشتركت مع عناصر الصاعقة فى قتالٍ ضارٍ، ضد الدبابات الإسرائيلية التى انسحبت بعد أن مُنيت بخسائر، ولما دخل الطيران الإسرائيلى المعركة دمر سرية الدبابات، وشتت عناصر الصاعقة، ولم ينقذها إلا العقيد إبراهيم الرفاعى.

بعد هذه المعركة وكما يقول «واصل» فى كتابه «مذكرات وذكريات»، عاتبه اللواء أحمد إسماعيل قائد الجيش وقتئذ على تعريض ابنه للخطر فى تلك الظروف، فرد عليه «واصل»: «ابنى واحد من ١٤٩ ضابطا فى اللواء، وأى ضابط منهم كان سيتعرض لنفس الخطر، فلماذا لا يكون ابنى هو ذلك الضابط؟».

تعطى هذه القصة ملمحا عن سمات شخصية «واصل» الذى رحل عن عالمنا فى مثل هذا اليوم «١٧ مايو ٢٠٠٢»، وموقعه الفريد فى تاريخ العسكرية المصرية، فهو واحد من أبطال الجيش المصرى، ومنذ تخرُّجه فى الكلية الحربية عام ١٩٤٠ خاض حروبا منها، «العالمية الثانية، ١٩٤٨، ١٩٥٦، حرب الاستنزاف، أكتوبر ١٩٧٣».

فى حرب ١٩٦٧ رفض الاستسلام للهزيمة، وقاد اللواء مدرع فى معركة رهيبة فى منطقة «أم القطف» و«جبل لبنى» بوسط سيناء، وكبد القوات الإسرائيلية خسائر بلغت ٤٧ دبابة و٦ عربات مجنزرة، اعترف بها موشى ديان وزير الدفاع الإسرائيلى وقتئذ، ولعب دورا كبيرا فى إعادة بناء القوات المسلحة بعد نكسة ٥ يونيه ١٩٦٧، مع الفريق أول محمد فوزى وزير الحربية، والفريق عبدالمنعم رياض رئيس أركان حرب القوات المسلحة، وكان من قيادات حرب الاستنزاف التى يقول عنها فى مذكراته: «هى الأب الشرعى لنصر أكتوبر ١٩٧٣».

تولى «واصل» قيادة الجيش الثالث فى يوم ١٨ نوفمبر ١٩٧٠، واستمر قائده حتى حرب أكتوبر ١٩٧٣، ليحصل بعدها على رتبة «فريق»، وكان لقيادته الفذة أثر كبير فى النصر الكبير على إسرائيل.

فى مذكراته بعنوان «الصراع العربى الإسرائيلى»، الصادرة عن مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، يؤكد أنه كتبها بإلحاح من زوجته وابنيه، «طارق» الذى رحل عن دنيانا منذ سنوات، و«طلال» العالم الكبير الذى هاجر إلى أمريكا عام ١٩٦٨، لكنه لم ينقطع عن خدمة مصر فى مجالات مهمة ومؤثرة.

يتحدث «واصل» فى المذكرات عن أهم الدروس التى يستخلصها من مشاركته فى حروب مصر، وأكثر ما يلفت فيها، إشارته المهمة إلى عدم تدخل القيادة السياسية فى قرارات القيادات العسكرية، مشيرا فى ذلك إلى الخسائر التى نتجت من موقف جمال عبد الناصر فى حرب ١٩٦٧ لدعم سوريا فى مواجهة الحشود الإسرائيلية على حدودها، أما السادات فأدى قراره بتطوير الهجوم شرقا إلى ثغرة الدفرسوار أثناء حرب أكتوبر ١٩٧٣.

١٨ مايو عام ١٩٦٥
إعدام الجاسوس «إيلى كوهين»
صديق الرئيس السورى أمين الحافظ

ذهب الرئيس السورى أمين الحافظ بنفسه إلى السجن العسكرى ليلتقى صديقه الذى تم اكتشافه جاسوسا لإسرائيل، لم تستغرق المقابلة أكثر من دقيقة، سأله فيها: «من أنت؟»، فأجاب: «إيلى كوهين من تل أبيب».

استرجع الرئيس سنوات الصداقة التى جمعتهما وقت أن كان إيلى كوهين هو «كامل أمين ثابت»، وبين الأصل والحقيقة دارت قصة هذا الجاسوس فى أربع دول، مصر التى ولد فيها بالحى اليهودى بالإسكندرية يوم ١٨ ديسمبر ١٩٢٤، وإسرائيل التى هاجر إليها فى ديسمبر ١٩٥٦، والأرجنتين التى سافر إليها فى مارس ١٩٦١، وسوريا التى أعدم فيها فى مثل هذا اليوم «١٨ مايو ١٩٦٥».

فى كتابه «سنوات الانفجار» يأتى الكاتب الصحفى «محمد حسنين هيكل» بالقصة فى سياق حديثه عن حرب الجواسيس بين العرب وإسرائيل، والتى شهدت ذروتها فى الخمسينيات والستينيات من القرن الماضى.

كان «إيلى كوهين» ابنا لأبوين هاجرا من حلب إلى مصر، ودرس فى مدرسة «الليسيه الفرنسية»، وتعلم الفرنسية والعبرية، واقترب من النشاط الصهيونى السياسى فى مصر التى غادرها نهائيا بتأشيرة «سفر بلا عودة» فى ديسمبر ١٩٥٦، فى أعقاب العدوان الثلاثى على مصر.

وصل إلى نابولى بإيطاليا، ومنها إلى «حيفا» فى فلسطين المحتلة، وفيها التقطه جهاز الموساد، وأعد خطة لزرعه فى سوريا، وتم تأهيله لكى يصبح مليونيرا مغتربا من أصل سورى على أن يعود إلى وطنه.

سافر إلى الأرجنتين بجواز سفر سورى وباسم «كامل أمين ثابت»، وهناك اندمج فى الجاليتين السورية واللبنانية، وأصبحت له شركة ملاحة وحسابات متعددة فى بنوك سويسرا والأرجنتين، وتكونت صداقة بينه وبين العقيد «أمين حافظ» الملحق العسكرى لسوريا فى الأرجنتين، والذى أصبح فيها بعد رئيسا لسوريا على أثر انقلاب عسكرى، وبعد أن تولى الرئاسة جاءه من الأرجنتين ليهنئه، وعرض «الحافظ» عليه أن يعود إلى سوريا ليستثمر فيها، ونصحه «الموساد» أن يُبْدى تردده قبل موافقته، وخلال فترة تردده كان يزور سوريا بانتظام،وعبر علاقته بـ«أمين الحافظ» كانت كل الأبواب المغلقة تُفتح له، وزار مع الرئيس السورى الجبهة الأمامية.

ويرى سوريون أن الكشف عن كوهين تم بالمصادفة، ويذهب إلى هذا الاعتقاد «عبد الهادى البكار» المذيع السورى ذائع الصيت فى الخمسينيات والستينيات من القرن العشرين، وذلك فى مذكراته «أسرار سياسية عربية»، الصادرة عن دار الخيال، القاهرة، غير أن القصة الحقيقية يكتبها «هيكل» ورواها لى «فتحى الديب»، أحد مؤسسى جهاز المخابرات المصرية، فى لقاء معه فى منزله بمصر الجديدة عام ٢٠٠٠.

يقول «هيكل»، ويتفق معه «الديب»، إن المخابرات المصرية وصلتها صور لزيارة أمين الحافظ إلى الجبهة، ولفت نظرَ ضابط مخابرات وجهُ شخص غريب فيها، وتم البحث عن حقيقته حتى توصل ضابط مخابرات فى مجال مكافحة الصهيونية إلى أنه «إيلى كوهين» الذى كان مُراقبًا فى مصر قبل خروجه منها.

على الفور سافر ضابط مخابرات مصرى رفيع إلى دمشق ومعه ملف كامل بالموضوع، وعرض القصة كلها على العميد «أحمد سويدانى» قائد الأمن

الداخل بسوريا، ليتم القبض على الجاسوس والحكم عليه بالإعدام علنا في ساحة «المرجة» بدمشق، وظلت جثته متدلية من الفجر حتى العاشرة صباحًا.

عَدَّته إسرائيل بطلا قوميا، وحاولت الحصول على رُفاته لكن سوريا رفضت.

١٩ مايو عام ١٩١٧
«عز الدين يكن» يحبس «أم كلثوم».. وزوجته تتوسط

ذهبت أم كلثوم لإحياء ليلة فى قصر «عز الدين يكن بيك» بحلوان بمناسبة ليلة «الإسراء والمعراج»، ولما رآها جُنَّ جنونه ورفض أن تغنى.

كان ذلك فى مثل هذا اليوم «١٩ مايو ١٩١٧»، قبل انتقالها نهائيا إلى القاهرة من قريتها «طماى الزهايرة» بمحافظة الدقهلية، وظلت حتى سنواتها الأخيرة، تذكر ما حدث لها فى هذه الليلة كعلامة على معاناتها الكبيرة فى بداياتها، وفى مذكراتها بجريدة «الجمهورية» يناير ١٩٧٠ تسرد تفاصيلها، مؤكدة أنها فتحت لها عالما آخر لم تعرفه من قبل، فبعد أن رآها «عز الدين يكن»، أمر أن تبقى فى بدروم القصر، ومن معها، حتى لا يراها أحد، واستدعى الشيخ إسماعيل سكر لإحياء الليلة.

قضت «أم كلثوم» ليلة رهيبة فى البدروم تبكى دون انقطاع، فرقَّ قلب «الخدم» وأبلغوا زوجة «عز الدين»، فنزلت إليها لترتمى «أم كلثوم» فى أحضانها قائلة: «حرام كده نتحبس هنا، طيب سيبونا نروَّح مادام مفيش ليلة، أعمل إيه حظى كُده، وأنا ياست كنت واضعة أمل على الليلة بتاعتكم دى، أنا قلت لأبويا وأنا فى الطريق إن السعد موعدنا بعد المعازيم الكبار ما يسمعونى، لكن ربنا يمكن له حكمة فى اللى حصل».

ربَّتت «زوجة البيك» على أكتاف «أم كلثوم» وأحاطتها بذراعيها هامسة: «أنت صعبانة علىَّ خالص والنبى، أصل عز «بيه» يا بنتى كان فاكرك

مبهرجـة زى الـستات الـلى بيغنـوا فى مـصر»، فـردت أم كلثـوم: «أنـا يـا سـت عايشـة فى الفلاحين، مـا أقـدرش أتبهـرج وألبـس غـير الحشـمة، إحنـا نـاس بتـوع ربنـا بنـدوَّر عـلى لقمـة العيش بعرقنـا، والـلى جـاى يـدوب عـلى قـد الـلى رايـح».

رق قلـب الزوجـة لـ«أم كلثـوم»، فطلبـت منهـا الغنـاء، فغنـت: «سـبحان مـن أرسـله رحمة لـكل مـن يـسمع ويـبصر»، وخرجـت زوجـة «البيـه» والدمـوع تبلـل خديهـا وصعـدت إلى زوجهـا لتقنعـه بسـماع هـذا الصـوت النـادر، فاسـتمع إليهـا وحيـدا، ثـم قـال لهـا: «حقـك عـلىَّ يـا بنتـى، سـامحينى علشـان خاطـر النبـى، أنـا هاعـوض لـك كل الـلى حصـل، هاديكـى زى مـا أنـت عايـزة، إنـت تسـتاهلى مـال قـارون».

وطلـب منهـا الغنـاء أمـام المدعويـن فغنـت ليهتـز الحـاضرون لهـا بمـن فيهـم الشـيخ إسـماعيل سـكر، الـذى اشـترك مـع بطانـة «المطربـة المفاجـأة»، بعـد أن شـاهد «البيـه» يخلـع طربوشـه، وكان هـذا التـصرف دليـل الإعجـاب فى مثـل هـذه الحـالات.

كان أجـر «أم كلثـوم» لهـذه الليلـة طبقًـا للعقـد الموقَّـع ثلاثـة جنيهـات، وهـو مبلـغ مُجـزٍ وكبـير وقتئـذ، وذلـك خـلاف مصاريـف الانتقـال، وكان مـن ضمـن بنـود العقـد أنـه فى حالـة تأخرهـا يدفـع والدهـا الـذى وقـع عـلى عقـد الاتفـاق عـشرة جنيهـات غرامـة، فقـرر «البيـه» أن يمنحهـا أكثـر ممـا نـص عليـه العقـد.

كانـت تجربـة بمثابـة تعبيـد الأرض للسـيدة التـى شـقت طريقهـا لتكـون «كوكـب الـشرق» بجـدارة.

٢٠ مايو عام ١٩٢٨
إزاحة الستار عن تمثال نهضة مصر..
والملك يبحث عن مبدعه «مختار»

هى امرأة مصرية فلاحة واقفة رافعة الرأس، وعلامات الأنفة والأمل بادية على وجهها، وتحت قدميها تمثال أبى الهول، هذه الفلاحة واقفة يدها اليمنى على رأسه تدعوه إلى النهوض من رقاده، وسمع هذا النداء فرفع رأسه نحوها، وأخرج صدره من الرمل، وأذناه تصغيان لنداء من تستنهضه.

هذا هو تمثال «نهضة مصر» حسب وصف «واصف بطرس غالى» فى جريدة «الأخبار» المصرية فى مايو ١٩٣٠.

احتشد الآلاف فى الساعة السادسة والنصف من محافظات مصر، لمشاهدة لحظة رفع الستار عن «التمثال» الذى أبدعه محمود مختار فى مثل هذا اليوم «٢٠ مايو ١٩٢٨» أمام محطة السكك الحديدية بالقاهرة ليكون فى استقبال الداخلين للعاصمة، ثم انتقل إلى مكانه الحالى أمام جامعة القاهرة.

تمت إزاحة الستار فى احتفال رسمى، ألقى فيه رئيس الوزراء كلمة الحكومة، كما ألقى الشاعر على الجارم قصيدة لأمير الشعراء أحمد شوقى، وفى كتاب «المثَّال مختار»، الصادر عن الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، لـ«بدر الدين أبو غازى»، يتحدث عن خطوات بدء عمل هذا التمثال منذ أن بدأ كفكرة فى باريس بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، بعد أن تعرف «مختار» إلى

الوفد المصرى الذى سافر إلى العاصمة الفرنسية برئاسة سعد زغلول لعرض القضية المصرية، وكان «مختار» يقيم فيها، وشقت سمعته عنان السماء فى مجال النحت فى «عاصمة الفن».

بدأت حملة اكتتاب لتنفيذ «التمثال»، ولاقت تجاوبا كبيرا من المصريين، وبلغت قيمة الاكتتاب ستة آلاف وخمسمائة جنيه، واعتمدت الحكومة له ١٢ ألف جنيه، ثم ثمانية آلاف أخرى، وتشكلت لجنة له برئاسة حسين رشدى وعضوية ويصا واصف، واصف غالى، الدكتور حافظ عفيفى، محمد محمود خليل، عبد الخالق مدكور، فؤاد سلطان، عبد القوى أحمد، وأمين الرافعى.

يتحدث «أبوغازى» عن طبيعة «مختار» الثائر على الأوضاع، مشيرا إلى أنه يوم إزاحة الستار وفى لحظة الاحتفال الباهر، انعزل مختار بعيدا عن مظاهر الاحتفال مع مجموعة من الأصدقاء، وعندما طلب الملك استدعاءه، لم يجده رجال التشريفات، وبدأ الحرج يرتسم على الجو، وأخيرا وجدوه بعد بحث فى الجانب الآخر من الميدان يمزح مع بعض الأصدقاء.

استغرق عمل التمثال ستة أشهر، لكنه انتظر شهورا لإزاحة الستار عنه، وعقب افتتاحه ترددت فى البرلمان رغبة فى مكافأته، فقال رئيس الوزراء: «إن المجد والفَخَار اللذين أحرزهما مختار بإقامة تمثاله فى أكبر ميادين العاصمة يفوق كل مكافأة مادية».

لم يحصل «مختار» على أى تقدير رسمى من نياشين أو أوسمة، وفى رسالة منه إلى وزير الأشغال العمومية قال: «إزاء العطف الذى أظهرته نحوى الأمة والبرلمان والحكومة وما طوقتنى به من المعروف بالمساعدة على إنجاز التمثال الذى أعده مفخرة فى حياتى، أقر لمعاليكم من الآن بأنى أترك أمر التعويض المذكور لمحض تقدير الحكومة بعد إنجاز التمثال وتسليمه، دون أن يكون لى الحق فى الالتجاء إلى أية سلطة أخرى قضائية أو غيرها فى شأن ذلك عدا البرلمان».

٢١ مايو عام ١٩٨٣
رحيل أمل دُنْقُل.. شاعر الكتابة على علب الثقاب والسجائر

فارق الشاعر أمل دنقل سرير الآلام إلى الأبد فى مثل هذا اليوم «٢١ مايو ١٩٨٣»، وهو يبلغ من العمر ٤٣ عامًا فقط، وضع فيها تجربته الشعرية التى تعد من أهم تجارب الشعر العربى.

رحل شاعر «لا تصالح» وهو فى ذروة إبداعه، مما دفع الشاعر العراقى الكبير سعدى يوسف إلى القول: «فقد الشعر المصرى أمله فى تطور الخطوة التالية لصلاح عبد الصبور تطورًا حاسمًا، ولسوف ينتظر الشعر المصرى طويلا حتى يبزغ فيه شاعر له سمات «أمل» الأساسية.

يذكر ملامح حياته الأولى فى حوار له مع الصحفى اللبنانى وليد شميط فى مجلة «الأسبوع العربى» ٢٥ فبراير ١٩٧٤: «ولدت فى قرية بأقصى الصعيد بالقرب من الأقصر، كان والدى رجل دين وكان متزمتًا، ومن هنا اكتسبت نشأتى الأولى بعض الصلابة، وربما بعض الخشونة والجفاف، لم يكن يسمح لى بأى تهاون فى أداء واجباتى أو فى المطالبة بحقوقى فى الوقت نفسه، كان والدى رجلًا مثاليًا فى حياته العامة والخاصة، عندما مات وكنت فى العاشرة ظلت حياتى على النمط نفسه الذى صوره قبل وفاته».

هو «الجنوبى» الذى يصف مسيرته سعدى يوسف فى كتابه «أفكار بصوت هادئ» الصادر عام ١٩٨٣: «أمل دنقل شأنه شأن يحيى الطاهر عبد الله الذى غادرنا مبكرًا أيضًا، لم يفارقه لحظة اعتزازه بمنحدره الطبقى،

بأنـه فقير جـاء إلى المدينـة كـى يكمـل رحلـة أردناهـا طويـلًا، وكان «أمـل» أمينًـا إلى فقـره فكـرًا وسـلوكًا وحركـة، كان بعيـدًا عـن تلـك «الفهلـوة» التـى يتصـف بهـا أولئـك المثقفـون الذيـن وضعـوا أنفسـهم فى خدمـة آلهـة رومـا الجديـدة، مـن أجـل أن ينالـوا بعضًـا مـن فتـات، وشـيئًا مـن حظـوة، ولقمـة يحسـبونها دسـمة بينـما هـى لا تكفـى كـى يتبلّـغ بهـا كلـب السـيد نفسـه».

يضـع «أمـل» نفسـه فى حـوار مـع جهـاد فاضـل بمجلـة «الحـوادث» اللبنانيـة «مـارس ١٩٨٣» فى «جيـل الهزائـم» الـذى بـدأ احتكاكـه الفعـلى فى الواقع بمشـاهدة المفكريـن والشـعراء والمثقفـين فى المعتقـلات فى عـام ١٩٥٩، وبدايـة انهيـار المـد الوطنـى بانفصـال الوحـدة المصريـة السـورية عـام ١٩٦١.

فى دراسـة لـه بعنـوان «أوراق الطفولـة والصبـا» المنشـورة فى مجلـة «إبـداع»، القاهـرة، أكتوبـر ١٩٨٣، يتحـدث الدكتـور سـلامة آدم الـذى رافـق «أمـل» فى الجنـوب منـذ الطفولـة قائـلاً: «عـاش حيـاة البسـطاء، وظـل عنوانـه «مقهـى ريـش، ميـدان سـليمان باشـا»، لا يحمـل أوراقًـا ولا يحلـم بغـير الشـعر، ولا يملـك بيتًـا حتـى بعـد زواجـه عـام ١٩٧٨، وظـل يتنقـل بـين الفنـادق والحجـرات المفروشـة حتـى اسـتقر عـلى سريـره الأبيـض فى معهـد السرطـان، ولم يكُـفَّ لحظـة واحـدة عن كتابـة الشـعر، كان يكتبـه عـلى علـب الثقـاب، وهوامـش الصحـف اليوميـة وعلـب السـجائر، وعندمـا يكتـب يمتنـع تمامًـا عـن تنـاول الطعـام، وتبـدأ رحلـة الانتقـال مـن مقهـى إلى مقهـى، ويظـل يـشرب فقـط دون اهتـزاز ودون غيـاب، وكان يسـمى هـذه الحالـة بـ«المعايشـة النصفيـة للواقـع».

٢٢ مايو عام ١٩٦٧
عبد الناصر فى القاعدة الجوية بـ«أبو صوير»
والعالم يشتعل لإغلاق خليج العقبة

كانت الساعة الثانية بعد الظهر، وجمال عبد الناصر يستقل طائرة عسكرية إلى قاعدة أبو صوير الجوية، ومعه زكريا محيى الدين وحسين الشافعى وعلى صبرى نواب الرئيس، وفى القاعدة كان فى انتظارهم عبد الحكيم عامر وشمس بدران وزير الحربية، والفريق أول صدقى محمود قائد القوات الجوية، والفريق أول عبد المحسن المرتجى قائد قوات الجبهة.

أمام ٢٠٠ ضابط طيار تحدث عبد الناصر فى مثل هذا اليوم «٢٢ مايو ١٩٦٧»، ليطلق الشرارة التى تصاعد تأثيرها فى المنطقة والعالم حتى كانت نكسة ٥ يونيه ١٩٦٧.

تحدث عبد الناصر، كما يقول محمد حسنين هيكل فى كتابه «الانفجار»، الصادر عن مؤسسة الأهرام، القاهرة ، عن أسباب الأزمة التى افتعلتها إسرائيل بحشد القوات أمام الجبهة السورية لاحتلال مواقع مشروعات نهر الأردن، وحددت لتنفيذها يوم ١٧ مايو، وقال: «تحركنا فعلا يوم ١٤ مايو، ثم طلبنا بعد ذلك أن تنسحب قوات الطوارئ، وقررنا إغلاق خليج العقبة، ولن يمر العلم الإسرائيلى بعد الآن فيه، وسيادتنا على الخليج لا ينازعنا فيها أحد، وإذا هددتنا إسرائيل بالحرب، فإن جوابنا على ذلك سيكون مرحبا بالحرب».

نـص القـرار الـذى أصـدره نائـب القائـد الأعـلى «عبـد الحكيـم عامـر» بعنـوان «قفـل خليـج العقبـة» عـلى سـبع نقـاط كانـت عـلى النحـو الآتـى:

أولاً: يقفـل مدخـل خليـج العقبـة اعتبـارا مـن باكـر ٢٣ مايـو ١٩٦٧، أمـام جميـع السـفن التـى تحمـل العلـم الإسرائيـلى، وكذلـك ناقـلات البـترول عـلى اختـلاف جنسـياتها والمتجهـة إلى إيـلات.

ثانيًـا: يسـمح للسـفن الخارجـة مـن الخليـج عـلى اختـلاف جنسـياتها بالخـروج منـه.

ثالثًـا: يقـوم لنـش طوربيـد نهـارا، والسـفينة «رشـيد» ليـلا بمعارضـة السـفن التـى تحمـل العلـم الإسرائيـلى، وكذلـك ناقـلات البـترول مـن الجنسيات المختلفـة المتجهـة إلى إيـلات فى المنطقـة جنـوب خليـج العقبـة، لتحذيرهـا مـن دخـول الخليـج.

رابعًـا: إذا لم تسـتجب إحـدى السـفن المذكـورة إلى تحذيـر لنـش الطوربيـد نهـارا أو السـفينة «رشـيد» ليـلا، يقـوم لنـش الطوربيـد أو السـفينة رشـيد بإبـلاغ قائـد منطقـة شرم الشـيخ باسـم السـفينة وموعـد وصولهـا إلى مضيـق «تـيران».

خامسًـا: عنـد وصـول إحـدى هـذه السـفن إلى مضيـق «تـيران» تقـوم المدفعيـة بـضرب طلقـة إنـذار أمـام السـفينة، وتحذيرهـا بواسـطة محطـة الإشـارة البحريـة، ويصـير تكـرار الـضرب والتحذيـر أمـام السـفينة مـرة أخـرى، إذا لم تسـتجب للطلقـة الأولى.

سادسًـا: إذا لم تسـتجب السـفينة إلى طلقتَـى الإنـذار بغـرض تعطيلهـا أولا، يتـم إغراقهـا إذا لم تمتثـل بعـد ذلـك.

سـابعًا: يـصرح بالمـرور للسـفن التـى تحرسـها سـفن حربيـة، ولا يتـم الاعـتراض أو الاشـتباك مـع السـفينة أو السـفينة الحربيـة، حتـى لـو كانـت السـفينة المحروسـة ترفـع العلـم الإسرائيـلى.

لاقـى القـرار تأيـدا كاسـحا مـن الجماهـير العربيـة، ورفضـا عنيفـا مـن أمريـكا والغـرب وإسرائيـل، أمـا الاتحـاد السـوفيتى، فعـبّر عـن موقفـه فى رسـالة سـلمها سـفيره فى مـصر لـ«عبـد النـاصر» بعـد العـودة مـن «أبوصويـر»، وكانـت عبـارة عن نسـختين واحـدة مكتوبـة عـلى الآلـة الكاتبـة باللغـة الروسـية، والثانيـة بخـط اليـد باللغـة العربيـة، وفى الاثنتـين تأيـد كامـل لموقـف مـصر.

٢٣ مايو عام ١٩٦٧
بدء موعد إغلاق خليج العقبة و«قنبلة دخان» من چونسون

كانت الأيام السابقة على حرب ٥ يونيو ١٩٦٧ بمثابة إعداد للمسرح الدولى والإقليمى للحرب التى ستشنها إسرائيل، وفى مثل هذا اليوم «٢٣ مايو ١٩٦٧» كان بدء تفعيل قرار مصر بإغلاق خليج العقبة أمام السفن التى تحمل العلم الإسرائيلى، وناقلات البترول على اختلاف جنسياتها المتجهة إلى «إيلات». كان القرار نقطة الارتكاز «الظاهرية» لإسرائيل وأمريكا لتنفيذ خطتهما بالتخلص من «الديك الرومى». وهو لقب لـ«جمال عبد الناصر».

فى هذا اليوم، وكما يأتى فى كتاب «الانفجار»، الصادر عن مؤسسة الأهرام، القاهرة لـ«محمد حسنين هيكل»، تلقى «عبد الناصر» رسالة من الرئيس الأمريكى «چونسون» سلمها السفير الأمريكى الجديد فى مصر «ريتشارد نولتى» إلى وزير الخارجية المصرى محمود رياض، كانت الرسالة رقيقة، لكنها، وحسب وصف هيكل، «قنبلة دخان تغطى النوايا».

جاء فى الرسالة: «لقد تابعت من بعد جهودك فى تطوير وتحديث بلادك، وأستطيع أن أحس كبرياء وطموحات شعبك، وإصرارهم على الدخول بسرعة فى العالم الجديد والمشاركة على قدم المساواة فيه، وأنا أفهم طبيعة القوى السياسية النشيطة فى منطقتكم والمطامح والتوترات والذكريات والآمال التى تتحرك عندهم، ومهمتك ومهمتى هى ألا ننظر إلى الوراء، وإنما نتقدم

لإنقـاذ الـشرق الأوسـط والمجتمـع الإنسـانى كلـه مـن حـرب لا أعتقـد أن أحـدا يريدهـا».

كانـت هنـاك مذكـرة مختلفـة أمـام «چونسـون» مـن مستشـاره للأمـن القومـى «والـت روسـتو» تكشـف مـا كان يـدور فى الخفـاء.

قالـت المذكـرة نصـا لـ«چونسـون»: «مـن الصـواب لكم تغطيـة موقفكم بالنسـبة للرسـالة الموجهـة إلى نـاصر أن تفعلـوا مـا يـلى: إبـلاغ أشـكول (رئيـس وزراء إسرائيـل) أنكـم أرسـلتم هـذه الرسـالة، وإرسـال رسـالة أخـرى إلى «الأتاسـى» «رئيـس سـوريا»، وهاتـان الرسـالتان توفـران تغطيـة موقفكـم، لأن هنـاك احتـمالا حتـى وإن كان ضئيـلا لقيـام نـاصر بنـشر رسـالتكم لكـى يبالـغ فى تصويـر أهميتـه الذاتيـة، وهكـذا فالأفضـل أن نبعـث بوسـائل مماثلـة إلى «أشـكول» و«الأتاسـى»، ولكـى توضحـوا أنكـم لا تعـدُّون نـاصر «mr.big» السـيد الكبـير فى المنطقـة ولكنكـم تناشـدون الجميـع ضبـط النفـس، وأنـا أعتقـد أن هنـاك بعـض الحكمـة فى اقـتراح الاثنـين».

بـين «منـاورات الرسـالتين» كانـت تقـف شـخصية «چونسـون» حاكـم أمريـكا بالصدفـة بعـد اغتيـال كنيـدى فى نوفمـبر ١٩٦٣ وكان نائبـا لـه، وعـن سـماته الشـخصية، يقـول محمـود عـوض فى كتابـه «اليـوم السـابع.. الحـرب المسـتحيلة حـرب الاسـتنزاف»: «قـرر الصحفـى الأمريكـى «روبـرت كارو» التفـرغ لكتابـة سـيرة چونسـون، تصـورت أننـى سـأحب چونسـون، تصـورت أنـه رجـل فقـير جـدا وغـير متعلـم وظـل يكـره الكتـب والتعليـم طـوال حياتـه، وكان فظـا بشـكل مـا، ولكننـى تصـورت أيضـا أن فى قلبـه يوجـد أحـد الأشـياء العظيمـة المحركـة وهـو أن يسـاعد النـاس الذيـن ولـد بينهـم، تصـورت أن هـذا هـو الرجـل الـذى سـأكتب عنـه، وسأسـتمتع بالمهمـة، ولكـن بعـد وقـت قصـير مـن بدايتـى بالعمـل، أدركـت أن هـذه الصـورة لـدىَّ كانـت ناقصـة وقـاصرة بشـكل ملمـوس، هـذا رئيـس لم يعرفـه أحـد، إنـه أكثـر رؤسـاء أمريـكا فسـادا».

٢٤ مايو عام ١٩١٩
الملك فؤاد يتزوج من نازلى بعد أن وصفته بـ«الصايع»

كانت «نازلى» قريبة إلى أسرة «سعد زغلول» تشاركهم فى إعداد الطعام فى كثير من الأيام، وكانت تسمع دائما «سعد» وهو يحكى لزوجته «صفية» عن فضائح البرنس «أحمد فؤاد»، وحسب كتاب «الملكة نازلى غرام وانتقام» للكاتب الصحفى «رشاد كامل»، أنها ذات مرة تجرأت أمام الجميع فقالت: «مسكينة تلك الفتاة التى سيوقعها حظها العاثر لتصبح زوجة لهذا «الصايع»، ولم تعرف أنها هى التى ستكون هذه «المسكينة»».

عقد «فؤاد» قرانه على «نازلى» فى مثل هذا اليوم «٢٤ مايو ١٩١٩»، كان فارق العمر بينهما نحو ٢٠ عاما، كانت الزوجة الثانية لـ«فؤاد»، وكان زوجها الأول، هى صارت «ملكة» وأصبحت كما يقول «محمد حسنين هيكل» فى كتابه «سقوط نظام»، الصادر عن دار الشروق، القاهرة: «واحدة من ثلاث نساء أدرن خيوط السياسة المصرية قبل ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢».

كانت تقول لكل من يقابلها وتأمن جانبه: «أنا سجينة الملك فؤاد»، هكذا تصف حياتها مع زوجها، حسب الكاتب الصحفى «محمد التابعى» فى كتابه «من أسرار الساسة والسياسة»، الصادر عن دار الشروق، القاهرة، ويأتى التابعى بقصة زواجها من «فؤاد»، ومنها نعرف بدء الطريق نحو صعودها إلى أن تكون من ثلاث سيدات يمسكن بخيوط السياسة المصرية.

يقول «التابعى» إنه سمع من رواة ثقات من أقاربها أنها أرغمت على هذا الزواج، وكانت تحب شابا من أقاربها، وكان أملها فى الزواج منه كبيرا

إلى أن خطبها عظمة السلطان أحمد فؤاد من أبيها «عبد الرحيم صبرى»، وفى اليوم المحدد لعقد القران هربت فى الصباح الباكر من قصر أبيها ولجأت إلى حبيبها، وراح الفتى يتنقل وهى معه من دار صديق إلى دار صديق خوفا من مطارديه، فقد انطلق الأقارب وسلطات الدولة كلها تبحث فى كل مكان عنها، وأخيرا أدرك الفتى ألا فائدة، وأنه قد يصيبه بطش السلطان، فأركبها حنطورا وأعادها إلى قصر أبيها فى المساء.

يضيف «التابعى» أنه تم عقد القران، وأصبحت «نازلى» صاحبة العظمة السلطانة، لكنها حبيسة فى القصر، عليها فى كل ردهة وكل رُوَاق وغرفة عيون وأرصاد ولا تغادر القصر إلا بإذن، ولا تزور ولا تُزار إلا بإذن، كان أحمد فؤاد شديد الغيرة على زوجته الشابة الجميلة، التى أصيبت من «فؤاد» بعدة أمراض ليس أقلها شأنا تقيُّح اللثة أو «البيورى».

ويقول «التابعى» إنه بعد وفاة الملك قال له الدكتور «ستانكيفتش» الروسى الأصل وطبيب الأسنان الخاص بـ«الأسرة الملكية»، إن فى فم الملكة نازلى تسع أسنان عايمة أو ملخلخة بسبب تقيح اللثة، ولما كان يعرف أن «فؤاد» عنده نفس الداء «تقيح اللثة» سألها ذات يوم لكى يتأكد من أصل العدوى وسببها: «هل جلالة الملك يقبلك من فمك؟ فضاقت عيناها قليلا وبدا فيها حقد وسخط قائلة: «يقبلنى فى فمى؟ إنه لا يكتفى بمجرد التقبيل».

٢٥ مايو عام ١٩٥٠
أمريكا تنذر الأميرة فتحية وزوجها
وترفض طلب «فاروق» بتفريقهما

سُئلت الأميرة «فتحية» عن رأيها فى معارضة شقيقها الملك «فاروق» لزواجها من «رياض غالى»، فأجابت: «غايتى الوحيدة أن أجعل زوجى سعيدا، وأن أنجب له عددا كبيرا من الأطفال».

كان ذلك ضمن وقائع مؤتمر صحفى جرت وقائعه فى «سان فرانسيسكو» بأمريكا، حضرته الملكة «نازلى» والأميرة «فتحية» و«رياض غالى»، ويأتى به محمد حسنين هيكل فى كتابه «سقوط نظام» واستهدف المؤتمر الرد على القرارات الصادرة من «مجلس البلاط الملكى» فى مصر، والتى عَدَّت زواج «فتحية» المسلمة من «رياض» المسيحى باطلا، وقرر المجلس: «التفريق فورا بالحيلولة بينهما ووضعها تحت يد حضرة صاحب الجلالة الملك».

كانت هذه القضية واحدة من القضايا التى زلزلت كيان «الأسرة المالكة»، والتى بدأت وقائعها فى صيف ١٩٥٠ بدءا من شهر مايو، حيث تزوجت «فتحية» من «رياض غالى» يوم العاشر منه، وكانت بصحبة والدتها الملكة نازلى التى تركت مصر قبل ذلك بشهور وبصحبتها ابنتاها «فتحية وفائقة».

لم يكن لجوء «فاروق» إلى «مجلس البلاط الملكى» هو الوسيلة الوحيدة التى اتبعها من أجل الضغط على أمه لإعادتها إلى مصر ووقف هذا الزواج،

وإنـما خاطـب الحكومـة الأمريكيـة بطردهمـا، وهـذا مـا يتضـح فى وقائـع المؤتمـر الصحفـى وكانـت وقائعـه كالتـالى:

سُئلت الأمـيرة «فتحيـة» عـن وقـع قـرارات مجلـس البـلاط فى نفسـها، فأجابت: «حسـنا، هـذا مـا كنـت أريـده منـذ زمن».

و سئلت الملكـة «نـازلى» عـن رأيهـا فى هـذه القـرارات، فأجابـت بقولهـا: «لقـد كنـت أتوقـع هـذا الأمـر، لذلـك فهـو لا يهمنـى فى شـىء».

وسـئل ريـاض غـالى فى الموضـوع فقـال: «إن هـذه القـرارات لا تهمنـى، ولا تهـم زوجتـى فى شـىء، ولكـن اهتمامنـا الآن مُنصـبّ عـلى مـا يمـس جلالـة الملكـة «نـازلى» مـن هـذه القـرارات».

«كانـت الملكـة نـازلى قـد اعتـبرت أن فـاروق انتهـز الفرصـة ليستولى عـلى ثروتها مـن الأرض والعقـارات والأثـاث والتحـف والأمـوال السـائلة»، وأضـاف ريـاض غـالى: «عـلى أى حـال فـإن لدينـا مـن المـال مـا يكفينـا بعـض الوقـت، أمـا فيـما يتعلـق بالـزواج الدينـى، فإننـا نعـد العـدة الآن لإتمامـه فى خـلال بضعـة أيـام».

سـئل «ريـاض غـالى» عـما يعتزمـه الآن بعـد أن تلقـى إنـذار مكتـب الهجـرة «الأمريكـى»، بـضرورة مغـادرة البـلاد فى مـدة لا تتجـاوز مثـل هـذا اليـوم «٢٥ مايـو ١٩٥٠»، فقـال إنـه يفكـر مـع زوجتـه «فتحيـة» فى السـفر إلى جـزر «هـاواى» حيـث لا تـزال تقيـم الأمـيرة «فائقـة» مـع زوجهـا «فـؤاد صـادق».

وفيـما يتعلـق بقـرار مجلـس البـلاط الملكـى الخـاص بتفريـق «فتحيـة» و«رياض»، بوصـف أن زواج المسـلمة مـن غـير المسـلم باطـل بطلانـا أصليـا، ولا يترتـب عليـه أى أثـر مـن آثـار الزوجيـة طبقـا لأحـكام الشريعـة الإسـلامية، فـإن السـلطات الأمريكيـة تـرى أنـه لا يمكـن اتخـاذ خطـوات عمليـة فى سـبيل تنفيـذه.

٢٦ مايو عام ١٨٨٢
البارودى يستقيل .. وعرابى: «من كان معنا فليَقُمْ»

حضر الأسطولان الإنجليزى والفرنسى إلى مياه الإسكندرية، وخاطبت الدولتان مصر بالتهديد والوعيد، كان ذلك بسبب اشتداد الخلاف بين الوزارة برئاسة محمود سامى البارودى، والخديو توفيق.

خاطبت الدولتان الخديو بضرورة استقالة الحكومة، وحسب كتاب «الزعيم الثائر أحمد عرابى»، الصادر عن دار المعارف، القاهرة، للمؤرخ عبد الرحمن الرافعى، أنه فى يوم ٢٥ مايو ١٨٨٢، جاءت تعليمات الحكومتين الفرنسية والبريطانية إلى قنصليهما فى مصر، ومضمونها تقديم بلاغهما النهائى إلى الوزارة المصرية وانتظار الجواب منها، وبعد ظهر ذلك اليوم قدم القنصلان البلاغ إلى البارودى فى شكل مذكرة «نوتة»، طلبا فيها استقالة الوزارة، وإبعاد «عرابى باشا» عن القطر المصرى مؤقتا مع حفظ رتبته ومرتباته ونياشينه، وإقامة عبد العال حلمى باشا وعلى فهمى باشا الديب فى الأرياف، بجهات لا يخرجان منها مع حفظ رتبتهما ومرتباتهما ونياشينهما.

كان الحدث كبيرا، ويأتى فى مجمل أحداث أخرى، تتضافر جميعها لتهيئة «المسرح» لاحتلال بريطانيا لمصر، والذى سيأتى فيما بعد، ويوم أن تلقت الحكومة مذكرة التهديد، اجتمعت لمناقشة الأمر، وقررت رفض مطالب الدولتين، وينقل «الرافعى» عن «البارودى» قوله، بأنه نصح عرابى بقبولها فلم يقبل هو وإخوته، وأيد هذه الراوية «أحمد بك رفعت» سكرتير مجلس

الـوزراء، إذ قـال إن «البـارودى» أفـضى إليـه بأنـه مقتنـع بقبـول هـذه المطالـب ولكـن «الجهاديـة» لم تقتنـع، فقـال لـه «أحمـد بـك رفعـت»: «أقنعهـم»، فأجابـه «البـارودى»: «لا يمكننـى، فإننـا متحالفـون مـع بعـض».

ذهـب «الخديـو» مذهبـا مختلفـا عـما ذهبـت إليـه الحكومـة، حيـث أعلـن قبـول مطالـب الدولتـين، مما أغضـب الحكومـة، فقدمـت استقالتها فى مثـل هـذا اليـوم «٢٦ مايـو ١٨٨٢» وقبـل الخديـو الاستقالة، وهاجـت الخواطـر وخاصـة بـين الضبـاط لأن قبـول استقالة الـوزارة معنـاه إقصـاء عرابـى عـن وزارة الحربيـة.

فى اليـوم التـالى للاستقالة، بلـغ التحـدى ذروتـه، ففـى منـزل «محمـد سـلطان باشـا» رئيـس مجلـس النـواب، اجتمـع النـواب وكبـار العلـماء، وانضـم إليهـم «عرابـى» وجمـع مـن كبـار الضبـاط، منهـم «عبـد العـال حلمـى»، وعـلى فهمـى باشـا، ومحمـد عبيـد بـك، وعـدد مـن صغـار الضبـاط والجنـود الذيـن دخلـوا الاجتـماع فى شـكل مظاهـرة عسـكرية، وطالبـوا علنـا بخلـع الخديـو.

ويتحـدث «عرابـى» عـن وقائـع هـذا الاجتـماع فى مذكراتـه، الصـادرة عـن الهيئة العامـة لقصـور الثقافـة، القاهـرة، وتشـمل خطبتـه التـى قالهـا أمـام الاجتـماع، وهاجـم فيهـا الخديـو ورفـض الخضـوع لمطلـب بريطانيـا وفرنسـا، ونـادى بخلعـه وقـال: «مـن كان معنـا فليقُـمْ»، ويصـف «الرافعـى» الحـال بعـد هـذه الكلمـة مـن عرابـى، بقولـه: «حدثـت ضجـة كبـيرة فى المـكان، ووقـف الضبـاط، ولكـن معظـم النـواب والملكيـين لم يقومـوا، فتهددهـم الأمـيرالاى محمـد بـك عبيـد بالسـيف، فظلـوا جالسـين، وتبـين مـن ذلـك الموقـف أن النـواب لا يوافقـون عرابـى عـلى خلـع الخديـو».

والملاحـظ أن تنـاول «الرافعـى» لقضيـة الثـورة العرابيـة، عـبر كتابـه «الزعيـم الثائـر أحمـد عرابـى» لا يؤيـد مسـارات الثـورة العرابيـة، ويصـف «عرابـى» فى كثـير مـن خطواتـه بـ«المتهور».

٢٧ مايو عام ١٨٦٦
«إسماعيل» يغير نظام وراثة العرش بـ«ثلاثة ملايين جنيه»

كانت لديوان الخديو إسماعيل قصص كثيرة أثقلت كاهل مصر فأغرقتها، ومن بينها مسألة وراثة العرش، فبينما قَبِل جده «محمد على باشا» فرمان الدول الكبرى عام ١٨٤١ بأن يئُول عرش مصر إلى أكبر أفراد «الأسرة العلوية» سنًا، سعى «إسماعيل» إلى أن يئُول العرش إلى أكبر أنجاله، وبذل جهدًا كبيرا لتحقيقه.

كان سلاح المال هو أداة إسماعيل فى هذا المسعى، وحسب كتاب «عصر إسماعيل»، الصادر عن دار المعارف، القاهرة للمؤرخ عبد الرحمن الرافعى، قام إسماعيل بدفع ثلاثة ملايين من الجنيهات لـ«الأستانة» عاصمة الدولة العثمانية، ليعدل نظام وراثة العرش، ليحصل عليه فى مثل هذا اليوم «٢٧ مايو ١٨٦٦».

ويؤكد «الرافعى» أن تركيا اشترطت مقابل هذا التغيير زيادة الجزية السنوية من ٤٠٠ ألف جنيه عثمانى إلى ٧٥٠ ألفا أى ما يقرب من الضعف، وهى زيادة فادحة تحملتها مصر، وبلغت قيمتها حتى سنة ١٩٤١ وهى السنة التى زالت فيها السيادة العثمانية ما يزيد على ١٥ مليون جنيه مصرى، والمثير أن الحكومة الخديوية بعد زوال السيادة التركية قبلت تحويل الجزية إلى دائنى تركيا، وتعهدت بدفع أقساط ديونهم السنوية خصما من الجزية حتى عام

١٩٥٥، وإذا حسبنا خسارة مصر منها منذ إقرارها عام ١٨٦٦ إلى سنة ١٩٥٥، فسنجد أنها بلغت ما يزيد على ٢٥ مليون جنيه مصرى عدا فوائدها.

ويشير محمد حسنين هيكل فى كتابه «ملفات السويس» إلى أن جمال عبد الناصر، وهو يبحث فى مسألة إعادة تنظيمه لهياكل الدولة وجد أن مصر مستمرة فى هذا الأمر، ففوجئ بذلك وتم وقفه، ولم تكن هناك مستندات يتم بمقتضاها مطالبة تركيا بهذه الأموال التى دفعتها مصر لتنفيذ رغبة «إسماعيل» ببقاء الحكم فى أسرته، والذى تواصل مع ابنه توفيق، ثم عباس حلمى الثانى، فالسلطان حسين كامل، ثم الملك أحمد فؤاد الأول، وأخيرا الملك فاروق.

لماذا فعل «إسماعيل» ذلك؟

يجيب «الرافعى» بأن السبب لا علاقة له بمصلحة مصر من بعيد أو قريب، وإنما يدور فى نطاق الصراع العائلى بينه وأخيه من أبيه مصطفى فاضل وعمه عبد الحليم، حيث كان يسود بينهم الشقاق والخلاف، ولم يكن إسماعيل يخفى كرهه لهما وحقده عليهما، وكانا لا يخفيان نفس المشاعر ناحيته، ولذلك سعى إلى حرمانهما من وراثة العرش الذى كان سيئول إلى أحدهما حسب الفرمان المعمول به من عام ١٨٤١.

اللافت أكثر فى هذه القصة أن تركيا لم تقف استفادتها بالحصول على الأموال من «إسماعيل» وفقط، وإنما امتد للأميرين «عبد الحليم ومصطفى فاضل» حيث تسابق الاثنان فى دفع الأموال إلى «الآستانة» من أجل إفساد مخطط إسماعيل، وبذلك استفادت من الجهتين.

فى تسابق الطرفين على دفع الأموال لتركيا حسم إسماعيل السباق لصالحه لأنه دفع أموالا أكثر، وأخذت هذه القصة بعدا دراميا، حين تقرر عزل إسماعيل فلم يظهر وفاء ابنه توفيق الذى كان، حسب «محمد عودة» فى كتابه «ليبراليون وشموليون»، الصادر عن دار الهلال، القاهرة: «أسعد الناس بعزل والده من أجل أن يتولى هو الحكم».

٢٨ مايو عام ١٩٤٦
أول قمة عربية فى «أنشاص» وتوقيع ميثاقها بـ«الروب دى شامبر»

شعر عاهل الأردن الملك عبد الله بـ«النُّعَاس»؛ فاتفق مع الملك «فاروق» وسائر المجتمعين على أن يأذنوا له بالذهاب إلى فراشه، خصوصا أنه سيسافر فى ساعة مبكرة من الصباح، وقال إنه سيمضى «الميثاق» عندما يستيقظ.

كان الحدث الذى أدى إلى نعاس الملك عبد الله، هو مؤتمر «القمة العربية» الأول فى تاريخ العرب فى مثل هذا اليوم «٢٨ مايو ١٩٤٦»، ودعا إليه الملك فاروق حاكم مصر، وكانت «أنشاص» هى مكان انعقاده.

تذكر الدكتورة لطيفة سالم فى كتابها «فاروق الأول وعرش مصر»، أنه منذ نهاية عام ١٩٤٤ كان «فاروق» يتحرك تجاه فلسطين، وراح يتحدث عن قضيتها فى لقاءاته بالضيوف الأجانب، ويتعرض للموقف الأمريكى المتعاطف مع اليهود، وكيف أنه يؤدى إلى أن واشنطن ستخسر العرب، ويبين للسفير البريطانى أن قيام دولة يهودية يتمخض عنه إقامة علاقات لها مع السوفيت، وكان يتصور أن اتباعه لهذه النغمة سيدفع بريطانيا للتحرك الإيجابى ضد اليهود.

فى عام ١٩٤٦، نشرت لجنة التحقيق «الأنجلو أمريكية» تقريرها وأوصت فيه بالهجرة اليهودية إلى فلسطين، فبعث فاروق برسائله الخاصة حول ضرر ذلك،

ودعا ملوك ورؤساء الدول العربية إلى عقد مؤتمر فى «أنشاص»، وحضره قادة وممثلو الأردن وسوريا والعراق ولبنان والسعودية واليمن، وافتتحه فاروق، وارتكزت المناقشات على الرفض لأى هجرة يهودية جديدة إلى فلسطين.

فى مذكرات كريم ثابت مستشار «فاروق» التى تحمل عنوان «عشر سنوات مع فاروق»، يتحدث بالتفصيل عما دار فى كواليس «قمة أنشاص»، ويقول مثلا، إن فاروق انتهز فرصتها ليُظْهر للملك عبد الله ملك الأردن، والأمير عبد الإله الوصى على عرش العراق، أنه لا يحابى السعوديين، فبالغ فى تكريمهما والعناية بهما، حتى إنه فى إحدى المآدب اختار بنفسه شرائح اللحم وقدمها بيديه إلى «عبد الله».

فى اليوم الأخير للاجتماع تم الاتفاق على الميثاق النهائى، لكن لم تُعطَ مُسوَّدته إلى «الخطاطين» لكتابته إلا فى ساعة متأخرة، فكان من الطبيعى أن يتأخر «الخطاطون».

وقرب الساعة الثانية صباحا انتهوا من المهمة، وتسلم «فاروق» النسخة النهائية للميثاق، ودعا المجتمعين للتوقيع عليها، وكان الملك عبد الله نائما، فقال فاروق: «سأوقظ الملك عبد الله، وأطلب منه أن يوقع الآن»، فالتفت إليه الشيخ بشارة الخورى رئيس لبنان قائلا: «لئلا يغير رأيه فى الصباح»، وهُرع «فاروق» إلى الجناح الخاص بـ«عبد الله» وطرق بابه بقوة، ثم ارتفع صوت الملك عبد الله من الداخل مفزوعا: «من، من، خير إن شاء الله»، فرد «فاروق»: «أنا فاروق.. إحنا جينا علشان جلالتك تمضى».

فتح الملك عبد الله الباب وعيناه الناعستان تكذبان تأكيده لفاروق بأنه لم يزعجه بإيقاظه بتاتا، ثم جلس ووقع على الميثاق وهو يرتدى «الروب دى شامبر»، ويقول «كريم ثابت»: لعله أول ميثاق أُمضى بـ«الروب دى شامبر».

٢٩ مايو عام ١٩٧٨
موت الملكة نازلى بعد ٢٠ عامًا من تحوُّلها إلى الكاثوليكية

فى إحدى كنائس «لوس أنجيليس» بأمريكا، تمت مراسم دفن الملكة نازلى عبد الرحيم صبرى ودفنها بـ«كاليفورنيا».

ماتت الملكة فى مثل هذا اليوم «٢٩ مايو ١٩٧٨»، وعمرها ٨٤ عاما شهدت فيها عواصف هائلة منذ أن تزوجت الملك فؤاد، وأنجبت منه «فاروق» الذى ورث عرش أبيه، وقصتها بعد سفرها إلى أوروبا ثم أمريكا وبقائها فيها منذ عام ١٩٤٦ وحتى رحيلها، كانت دراما حقيقية، ومن أهم محطاتها تحولها من الإسلام إلى المسيحية التى ماتت عليها.

عن قصة تحولها إلى المسيحية، يقول الكاتب صلاح عيسى فى كتابه «البرنسيسة والأفندى»، إن «نازلى» اعتنقت المسيحية عام ١٩٥٨، وبررت ذلك بأنها نجت من موت محقق على أثر العمليات الجراحية المتكررة التى أجريت لها فى أحد المستشفيات الكاثوليكية، وأنها نذرت قبل إجراء إحدى هذه العمليات أن تعتنق «الكاثوليكية» إذا أمد الله لها فى عمرها ونجت من الموت، ولهذا رأت أن تفى بنذرها، وأن تعود إلى دين ومذهب جدها الكولونيل «أونتلم أوكتاف سيف»، وكان ضابطا فرنسيا جاء مع الحملة الفرنسية إلى مصر، لكنه تخلف عن العودة، وأشهر إسلامه وأصبح قائد ومدرب الجيش المصرى حتى عصر «سعيد باشا».

لم ترتدَّ «نازلى» وحدها عن الإسلام لتعتنق «المسيحية»، وإنما فعلت ذلك أيضًا ابنتها «فتحية» التى غادرت مصر معها عام ١٩٤٦، وتزوجت فى عام ١٩٥٠ من «رياض غالى» المسيحى، وقيل وقتها إنه أشهر إسلامه، كما أقدمت ابنتها «فائزة» على نفس الفعل. وكان لـ«فائزة» دراما من نوع آخر، فحسب كتاب «سقوط نظام» للكاتب الصحفى محمد حسنين هيكل، نجحت فائزة فى تهريب مجوهراتها عن طريق الحقيبة الدبلوماسية للملحق العسكرى التركى الكولونيل «محمد نور الدين»، لكن الضابط الذى قام بالتهريب لم يسلم المجوهرات إلى الأميرة فى باريس كما كان متفقا عليه، ووجدت الأميرة نفسها مفلسة فى العاصمة الفرنسية، فأكملت رحلتها إلى كاليفورنيا تشارك والدتها حياتها، وكذلك تدخل معها فى عقيدتها الدينية الجديدة (المسيحية الكاثوليكية).

عاش الثلاثة فى أمريكا «مسيحيات كاثوليكيات»، ويرجح صلاح عيسى، أن «نازلى» هى صاحبة فكرة التحول إلى المسيحية، إذ كانت منذ بداية شبابها تؤمن بالسحر والتنجيم وقراءة الفنجان وضرب الرمل واستكشاف الطالع، واللافت هنا هو ما ذكرته «نازلى» دفاعا عن تزويجها لابنتها الأميرة «فتحية» المسلمة، إلى «رياض غالى» المسيحى الذى قيل إنه أشهر إسلامه، حيث علقت فى حديث لصحيفة أخبار اليوم: «فتحية بزواجها من رياض غالى تكسب ثواب الذى كسب لدينه مؤمنا جديدا»، وهذا التبرير الدينى تناسته بعد ذلك باعتناقها المسيحية.

عاشت «نازلى» فى أمريكا حياة بائسة حتى رحيلها، ففى عام ١٩٧٣ أعلن البنك الفيدرالى الأمريكى عن إفلاسها وجدولة ديونها وبيع ممتلكاتها بالمزاد العلنى، لتواجه بعدها حياة صعبة حتى رحيلها.

٣٠ مايو عام ١٩٦٧
الملك حسين فى زيارة مفاجئة لمصر ويعود بـ«عبدالمنعم رياض»

فى الساعة الحادية عشرة والنصف من صباح يوم الثلاثاء الموافق مثل هذا اليوم «٣٠ مايو ١٩٦٧»، كان العاهل الأردنى الملك حسين فى مكتب الرئيس «جمال عبد الناصر» فى قصر القبة، اصطحب رئيس وزرائه «سعد جمعة»، واللواء «عامر خماش» قائد الأركان الأردنى، وحضر عبدالحكيم عامر الاجتماع إلى جانب عبد الناصر.

كان كل شىء يقود إلى حرب ٥ يونيه ١٩٦٧، وكانت هذه الزيارة واحدة من الأحداث الغامضة التى خيمت على المنطقة قبل الحرب، فتوجهات السياسة الأردنية والإعلام الأردنى توحى بشىء آخر، واستغرب «عبد الناصر» حين علم برغبة «الملك» فى الزيارة التى تقررت قبلها بيوم واحد.

وفى كتابه «الانفجار» يحاول محمد حسنين هيكل فك غموض هذه الزيارة، قائلا: «إنه فيها بعد ثار سؤال كبير لعله ظل مكتوما حتى الآن»، وهو: ما الذى كانت تعرفه الولايات المتحدة عن نية الملك فى الحضور إلى القاهرة، وعن حضوره فعلا، وعن محادثاته فيها ونتائجها بما فيها اختيار قائد مصرى للجبهة الأردنية؟

فى مطالعة محضر الاجتماع الذى أورده «هيكل» فى كتاب «الانفجار»، قال جمال عبد الناصر بالحرف: «لقد كنتم تطالبون منذ سنين بقفل خليج العقبة، وكنتم تعرفون بلا شك أن ذلك معناه مواجهة مع إسرائيل، وربما مواجهة مع

أمريكا، المواجهة مع إسرائيل قد تصل إلى الحرب، وكنت أشعر أن أمنيتكم أن أدخل مع اليهود فى معركة، وأن اليهود يضربوننا».

رد الملك حسين: «أمتنا تواجه مسئولية مصيرية، والصدام مع إسرائيل حتمى سواء أردنا استرداد الحقوق أو مقاومة التوسع».

شمل الاجتماع قضايا كثيرة من بينها سؤال الملك حسين عن الجبهة السورية، فاتصل عبدالحكيم عامر بالسوريين، وجاء الرد: «نعارض إطلاع الأردنيين على خططنا».

أما القضية الأهم فكانت طلب الملك بأنه يريد قائدا عسكريا مصريا لقيادة العمليات على الجبهة الأردنية، واقترح اسم الفريق عبدالمنعم رياض، ورغم دهشة «عبد الناصر» فإنه وافق، ثم طلب الملك حسين أن يأخذ «رياض» معه على طائرته عائداً به إلى الأردن.

هكذا انتهى الاجتماع بسفر «رياض» إلى الأردن، وبقى «لغز» الزيارة، وفى محاولة لفكه يتحدث «هيكل» عن رسالة تلقتها مصر من مندوب المخابرات المصرية فى نيويورك «على إسماعيل»، وكان يعمل تحت ستار أنه دارس للإدارة العليا فى جامعة كولومبيا بنيويورك.

يقول «على إسماعيل» فى رسالته، إن مقابلة سرية تمت بين الجنرال «خمَّاش» والسفير الأمريكى فى عمان الأول من يونيه ١٩٦٧، طلب فيها «خماش» من «السفير» سرعة نقل ٢٥ طائرة نفاثة مقاتلة سبق إرسالها من أمريكا إلى الأردن، كان هذا المطلب قبل أن تبدأ المعركة وبعد ساعات من زيارة «حسين» إلى مصر، وبدا غريبا أن الملك الذى جاء إلى مصر ليطلب قائدا مصريا للجبهة الأردنية، كان شاغله فى اليوم التالى أن يبعد طائراته عن قواعدها!

٣١ مايو عام ١٩٣٤
بِدْء الإذاعة الحكومية بقراءة للشيخ محمد رفعت

بـدأ بـث الإذاعـة للمملكـة الرسـمية بتـلاوة للمقـرئ الشـهير محمـد رفعـت، كان ذلـك يـوم الخميس الموافـق مثـل هـذا اليـوم «٣١ مايـو ١٩٣٤» فى عهـد الملـك «أحمـد فـؤاد الأول»، وفى كتابـه «فـؤاد الأول- المعلـوم والمجهـول» يـسرد المـؤرخ الدكتـور يونـان لبيـب رزق تفاصيـل هـذا الحـدث الـذى نقـل مـصر مـن حـال إلى حـال.

قبـل أن تدخـل الحكومـة إلى هـذه الخطـوة، كانـت هنـاك المحطـات الإذاعيـة الأهليـة التـى بلـغ حـد الانفـلات فيهـا درجـة عاليـة، وصفهـا الكاتـب الصحفـى أحمـد الصـاوى محمـد فى مقالـه اليومـى «مـا قَـلَّ ودَلّ» فى الأهـرام يـوم «٢٠ مايـو ١٩٣٤» بقولـه: «انقلـب فى الراديـو كل شـىء رأسـا على عقـب، وأصبحـت المواعيد تلقـى فيـه، فيقـول أحـد العاطلـين: انتظـروا فلانـا فى قهـوة كـذا السـاعة كـذا، وتسـتأجر شركات ماليـة هـذه المحطـات فتظـل تـصرخ ثـلاث مـرات فى النهـار تتهـم بعضهـا البعـض بالنصـب وغـش الجمهـور، وأصبحـت كل صعلوكـة تدفـع نصـف ريـال فى الشـهر يُنـادى باسـمها مـن الراديـو خمـس مـرات فى النهـار لأنهـا طلبـت الأسـطوانة الفلانيـة، ومـا إلى ذلـك مـن السـخافات وغنـاء المعـدِّدات، وتكـرر نمـرة بيتهـا واسـم حارتهـا وزقاقهـا».

دعـت هـذه الحالـة الحكومـة إلى إطـلاق «الإذاعـة الحكوميـة»، وتعهـدت فى عقد الامتيـاز مـع شركـة «ماركونـى» بإغـلاق المحطـات الأهليـة، مما دعـا أصحابهـا إلى الإضراب ثلاثـة أيـام قبـل البـث الرسـمى للإذاعـة الحكوميـة.

فى اليوم الأول للبث الإذاعى، وبعد تلاوة الشيخ محمد رفعت آيات من القرآن الكريم ألقى الشاعر المعروف على الجارم قصيدة شعر بعنوان: «تحية جلالة الملك»، تبعه فاصل موسيقى للآنسة «أم كلثوم»، ثم ألقى «حسين شوقى» نجل أمير الشعراء أحمد شوقى أبياتا من قصيدته عن «النيل»، وكان شوقى تُوفِّى قبلها بعامين، وجاء فى مطلع القصيدة:

«من أى عهد فى القرى تتدفق   وفى أى كف فى المدائن تغدق»

تابَع البرنامج، وكما قالت صحيفة الأهرام: «جاء دور الأستاذ المفتنّ محمد عبد الوهاب فى الختام، فحرك أوتار القلوب واستولى على الأفئدة بصوته الساحر وفنه المنتخب، وود الجمهور لو استعاد بعض ما سمع ولكن هيهات».

لم يتم البث من «استوديو» كما جرت الحال بعد ذلك، وإنما، وحسب جريدة الأهرام: «كان مكان الإلقاء هو الذى يلقى فيه المغنون والمحاضرون، وانهمك حضرة الهمام سعيد بك لطفى رئيس الإذاعة فى العمل متحملا أكبر عبء من الجهد والمشقة لتكون الإذاعة على أدق الضوابط الفنية».

يشير «يونان لبيب رزق»، إلى أن ولادة هذه المؤسسة لم تكن سهلة، شأنها فى ذلك شأن باقى المؤسسات ذات الصلة المباشرة بالجماهير، صحيح أن عدد من يحوزون أجهزة الاستقبال فى ذلك العصر كان محدودا، لكنه كان قابلا للانتشار السريع، هذا من ناحية، ولأنه اقتحم على الناس بيوتهم من ناحية أخرى، وكان اقتناء أية أسرة لمثل هذا الجهاز مناسبة سعيدة، يتوافد عليهم مع حدوثها الجيران والأقارب لتقديم واجب التهنئة.

١ يونيه عام ١٩٦٧
ديجول لـ«عبد الناصر»: «لا تتركوا السيارة تندفع إلى المجهول»

توجهت أنظار العالم نحو مصر قبل حرب ٥ يونيه ١٩٦٧، كانت القاهرة مركز الأحداث، وكان الجميع - كما يقول محمد حسنين هيكل - فى كتابه «الانفجار» على اتصال بمصر بين ناصح ومحذر.

وفى مثل هذا اليوم «١ يونيه ١٩٦٧» دخل الرئيس الفرنسى شارل ديجول على خط الأزمة، كانت هناك رسالة يريد إرسالها إلى «عبد الناصر»، فاستدعى السفير المصرى بقصر الإليزيه لنقلها، ويتحدث عنها «هيكل» فى كتابه، ويعطى ملمحًا فيها عن طبيعة شخصية «ديجول»: «كان يؤْثِر الاختصار فيما يقول ويلقى بخطوط عريضة تاركا لسامعيه أن يفسروها على النحو الذى يشاؤون».

لم تَزِدْ مقابلة «ديجول» لـ«النجار» على عشر دقائق، وشملت بندين فقط، الأول أنه يرى ضرورة عقد مؤتمر قمة رباعى، للسيطرة على اندفاع الحوادث، ويود أن يؤكد للرئيس عبد الناصر أن هدفه من ذلك ليس فرض وصاية على العالم لحساب الدول الأربع الكبرى، إنما رأيه أن عملًا على مستوى القمة الدولية هو وحده الذى يستطيع أن يحرك «فرامل السيارة المندفعة بأقصى قوتها إلى المجهول».

وقال فى البند الثانى إنه يريد أن يتصل الرئيس «ناصر» بالاتحاد السوفيتى لكى يغير رأيه فى معارضة اجتماع على مستوى القمة، وفى تقديره أن موافقة

الاتحاد السوفيتي على «قمة عربية» سوف تكون مفيدة للطرف العربي، فليس من صالحه أن يجري علاج الأزمة في الشرق الأوسط على القمة بين القوتين العظميين وحدهما، لأن ذلك إذا حدث فسوف يجعل علاج الأزمة مرتهنًا بعمل العلاقات بين القوتين الكبيرتين، وبالتالي يُدْخلها إلى مجال المساومات والتوازنات مع مناطق أخرى للتوتر في العالم، وبالتالي فإنه يجعل علاجها مسألة صفقات أكثر منه أي شيء آخر.

خرج السفير المصري من مقابلة «ديجول» ليجلس بعض الوقت مع مدير مكتبه الذي شرح له تفصيلًا سياسة «ديجول» إزاء الأزمة، ناصحًا أن تقوم مصر باهتمام أكبر بأوروبا وفرنسا بالذات.

في حديث مدير مكتب «ديجول» مع السفير، أثار نقطة مهمة لازالت تمثل عجزا لدى العرب، دولا ومؤسسات، وهي كيفية مخاطبة الغرب، حيث نصح بتعزيز الجهود للوصول إلى الرأي العام الفرنسي، واقترح تنظيم حملات إعلام تواجه الحملة الإسرائيلية التي تقوم على توجيهها مجموعة من اليهود المتعاطفين مع إسرائيل، وعلى رأسهم البارون «دي روتشيلد»، واقترح إرسال مبعوثين مصريين إلى فرنسا للاتصال بكل القوى الشعبية بما في ذلك الحزب الشيوعي، والاشتراكيون بقيادة فرانسو ميتران، الرئيس الفرنسي فيما بعد.

وأضاف مدير مكتب «ديجول»: «لا تتصوروا أن هؤلاء سوف يأخذون الخط مع موسكو»، وقال: «في حملتنا الانتخابية للرئاسة، ورغم كل سمعة ديجول وهيبته، استعنّا بمكتب للعلاقات العامة، تولى كل شئون الصحافة والتليفزيون والفنانين وغيرهم، ونفس الشيء يفعله الإسرائيليون أيضًا رغم كل ما لهم هنا من قواعد».

أرسل السفير المصري رسالة بكل ما حدث إلى مصر، لكن الساعة كانت تدخل للانفجار.

٢ يونيه عام ١٩٦٤

چونسون يجتمع مع «أشكول».. ومساعد وزير الخارجية الأمريكى للسفراء العرب: «مواكبكم مثل الجنازات»

لم تكد طائرة الزعيم السوفيتى «خروشوف» تقلع من مطار القاهرة عائدة إلى «موسكو» بعد زيارة طويلة إلى مصر، حتى كانت طائرة رئيس وزراء إسرائيل «ليفى أشكول» تهبط فى «فيلادلفيا» الأمريكية، التى وصلها بادئا زيارة رُتبت على عجل للاجتماع بالرئيس الأمريكى چونسون.

كان لقاء «چونسون وأشكول» فى مثل هذا اليوم «٢ يونيه ١٩٦٤»، وذلك بعد يومين من بدء زيارة رئيس الوزراء الإسرائيلى إلى أمريكا، كانت «القاهرة» وقتئذ، وكما يقول محمد حسنين هيكل فى كتابه «سنوات الغليان»، قد وضعت العلاقات العربية السوفيتية على أساس سليم، بعد المفاوضات التى أجراها خروشوف فى القاهرة مع «عبد الناصر»، وشارك فى جانب منها الرئيس الجزائرى «أحمد بن بيلا» الذى كان زائرا لمصر مع الرئيس العراقى عبدالسلام عارف، وجاءوا جميعا للمشاركة فى احتفالات مصر بتحويل مجرى مياه النيل.

وبقدر ما شهدت هذه الزيارة تأسيسا لنمو العلاقة فى مجالات التصنيع والتسليح واستصلاح الأراضى، شهدت أيضا حوارات فكرية راقية بين خروشوف وعبد الناصر وبن بيلا حول الشيوعية وأحزابها فى المنطقة العربية، ونقد الزعيمين العربيين لها لتصادمها مع الإسلام.

قال عبد الناصر لـ«خروشوف»: لابد من الاتفاق على أن بين القوميين العرب والشيوعيين خلافا يحسن بالأطراف جميعا أن يسلموا بوجوده، فالإسلام هو الجوهر الحضارى للقومية العربية، والإسلام دين سماوى، والمؤمنون به ليسوا مستعدين للمساومة فيه سياسيا مهما كان الثمن، وتطرق «بن بيلا» إلى شرح التناقضات التى لابد من الاعتراف بها بين عقائد الغرب وجوهرها الإسلام، وبين العقائد المادية للفكر الماركسى، ثم تطرق من ذلك إلى الحديث عن دور التنظيمات الشيوعية فى العالم العربى.

كان «چونسون» فى انتظار «أشكول» على أبواب البيت الأبيض، ووفقا لـ«هيكل» رحب بعبارات لم يسمعها أحد من قبل، صادرة عن رئيس أمريكى موجهة إلى رئيس وزراء إسرائيل، فقد قال «چونسون» موجها كلامه إلى «أشكول»، إن إسرائيل لها أن تعرف وأن تثق بأن لها صديقا وفيا وحميما فى البيت الأبيض، وأن سلامة وأمن إسرائيل هما جزء لا يتجزأ من سلامة وأمن الولايات المتحدة.

كان كلام «چونسون» بكل ما شمل من قطع فى تأييد إسرائيل، أشبه بالقنبلة التى وقعت على السفراء العرب فى واشنطن، وبعد تدارس الموقف منهم واتصالهم برؤساء وملوك بلادهم، قرروا تسليم احتجاج جماعى باسم العرب جميعا إلى وزارة الخارجية الأمريكية، وبالفعل توجهوا إلى الوزارة واستقبلهم مساعد وزير الخارجية الأمريكى الذى قال لهم: «إن مواكب السفراء العرب آن لها أن تتوقف، وأنها أصبحت مثل مواكب الجنازات».

عَدَّ السفراء العرب ما سمعوه استفزازا بالغا، فغادروا مكتب مساعد وزير الخارجية الأمريكى؛ معلنين أنهم قرروا التشاور مع حكوماتهم فيما عدُّوه إهانة جماعية لحقت بهم، وتلقت العواصم العربية والجامعة العربية وأمينها العام عبد الخالق حسونة تقريرا من السفراء بما حدث.

٣ يونيه عام ١٨٩٩
محمد عبده مفتيا ويقول: مكثت عشر سنوات لأكنس وساخات الأزهر من دماغى

«فضيلة حضرة الشيخ محمد عبده، مفتى الديار المصرية، بناء على ما هو معهود فى حضرتكم من العلامة وكمال الدراية، قد وجهنا لعهدكم وظيفة إفتاء الديار المصرية، وأصدرنا أمرنا هذا لفضيلتكم للمعلومية، والقيام بمهام هذه الوظيفة، وقد أخطرنا الباشا رئيس مجلس النظار بذلك».

كان هذا هو نص أمر الخديو «عباس حلمى الثانى» بتعيين «الشيخ» مفتيا للديار المصرية فى مثل هذا اليوم «٣ يونيه ١٨٩٩»، ويعد المرسوم فى تاريخ منصب الإفتاء، تحولا فى العلاقة بين هذا المنصب ومشيخة الأزهر، حيث كان منصب الإفتاء يضاف إلى وظيفة مشيخة الأزهر، فأصبح الشيخ محمد عبده «أول مُفْتٍ مستقل» فى تاريخ مصر، غير أن قصة «الفصل» بين المنصبين نفسها كادت أن تُغْضب «الشيخ»، بل كاد أن يرفض منصب «الإفتاء» بسببها، وتلك قصة يرويها «محمد رشيد رضا» فى مؤلفه الضخم «تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده»، الصادر عن الهيئة العامة للكتاب، القاهرة.

توقع «الخديو» أن يرفض «الشيخ» الإفتاء بدون «مشيخة الأزهر»، فكلف صديقه مصطفى باشا فهمى رئيس النظار (الوزراء) وحسن بك عاصم رئيس التشريفات، أن يحسنا له القبول، وقال الخديو لـ«عاصم»: «أخبر صديقك بأنه إذا لم يقبل الإفتاء الآن فإننى أعد ذلك منه إيقاعا لى فى صعوبة

شخصية مع الاحتلال، وأنا أعترف بأنه قليل عليه ولكن الأمور مرهونة بأوقاتها».

يقول «محمد رشيد رضا» إنه كان أول من قابل «الأستاذ الشيخ» بعد العلم بقرار الإفتاء، وإنه ذهب إليه فى داره بـ«عين شمس» فوجده واجما كئيبا، يضيف «رشيد رضا»: «لم أهنئه فظن أننى لم أعلم فسألنى: ألم تعلم بما جرى فى الإسكندرية؟ (يقصد أن القرار صدر من الخديو فى الإسكندرية)، قلت له: بلى ومالى آراك واجما؟ فرد: هذه وظيفة ليس فيها عمل، وذكر لى تفصيل ما حصل من أوله إلى آخره، وأن الخديو قال لمستشار الحقانية: الآن وجدت لك مفتيا تستطيع أن تفهم منه ويفهم منك بلا واسطة ولا ترجمة، قلت: إذا لم يكن لغيرك فى هذه الوظيفة غير إفتاء الحكومة فيما تستفتى فيه، وإفتاء محاكمها فى مسائل الحكم بالقتل، فأنت لن تكون كذلك».

لم يتخلف «محمد عبده» عن معارضة الحاكم المستبد، ورغم أن «الخديو عباس حلمى الثانى» عيّنه مفتيا، فإنه ووفقا لسيرته الذاتية الصادرة عن دار الهلال، القاهرة، تحقيق «طاهر الطناحى»،: «كان يقف من العدالة وحق الوطن ما اشتهر عنه فى عدة مواقف، حتى أصبح العدو الأكبر لـ«الخديو عباس»».

ويروى «الطناحى»، أن بعض المنافقين للخديوى والموالين للعائلة الخديوية سنة ١٩٠٢، دعوا الخديو إلى الاستعداد لإقامة ذكرى جده محمد على بمناسبة مرور مائة عام على حكمه فى مايو ١٩٠٥، فوجد «الأستاذ الإمام» فى الاحتفال بالذكرى تقديسا للاستبداد، وكتب مقالا فى مجلة المنار عام ١٩٠٢، وضعه «الطناحى» فى تحقيقه لسيرة «الإمام» قال فيه عن محمد على: «أخذ يرفع الأسافل ويعليهم فى البلاد والقرى، كأنه كان يحن لشبه فيه، ورثه عن أصله الكريم حتى انحط الكرام وساد اللئام، ولم يبقَ فى البلاد إلا آلات له، يستعملها فى جباية الأموال وجمع العساكر بأية طريقة».

فى سنوات شغله لمنصب الإفتاء والذى استقال منه عام ١٩٠٥ ورحل عن عالمنا فى العام نفسه، أصدر فتاوى مهمة شمل ٨٠٪ منها مشكلات خاصة

بالحيـاة المالية والاقتصادية ومشكلات الأسرة، ولأنـه كان تنويريا بامتيـاز اصطدم بمشـايخ الأزهـر دائـما، وحسـبما جـاء فى أعمالـه الكاملـة التـى حققهـا الدكتـور محمـد عـمارة، قـال عـن هـؤلاء المشـايخ، إنـه مكـث عـشر سنين وهـو يكنـس مـن دماغـه مـا علـق فيـه مـن وسـاخة الأزهـر، ولم يبلـغ مـا أراده مـن النظافـة.

لم يتـورع عـن نعـت الأزهـر بـ«الإسـطبل» و«المارسـتان» و«المخـروب»، ولهذا رد عليـه شـيوخ الأزهـر بـما يعيـب والدتـه بـكلام بـذىء، وكتبـوا عـن أسـتاذه جمـال الديـن الأفغانـى كتابـا بعنـوان «تحذيـر الأمـم مـن كلـب العجـم»، وكتبـوا عـن محمـد عبـده كتابـا بعنـوان: «كشـف الأسـتار فى ترجمـة الشـيخ الفشـار».

٤ يونيه عام ١٩٨٥
رحيل أحمد رامي.. الشاعر الذى اتهمه «اليسار» بـ«الماسوشية» ثم أعاد أكتشافه

«أصيب أبى بالاكتئاب، وظل قابعا فى غرفته معتكفا بها يقرأ الشعر القديم، فرجعت من أمريكا لأكون بجانبه، وفى يوم وفاته دخلت عليه غرفته أقبِّله قبل خروجى للعمل فوجدت حرارته مرتفعة فأخبرت والدتى وذهبت، وعندما عدت الساعة الثانية ظهرا، وجدته قد تُوفِّى.

هكذا تحدث الابن «توحيد» فى حوار له لمجلة الإذاعة والتليفزيون «١٩ يونيه ٢٠١٠» عن الأب الشاعر الكبير «أحمد رامى» الذى توفى فى مثل هذا اليوم «٤ يونيه ١٩٨١» عن عمر يناهز «٨٩ عاما».

أحمد رامى هو قرين أم كلثوم فى رحلة غنائها الطويلة، التى امتدت من مطلع عشرينيات القرن الماضى وحتى رحيلها عام ١٩٧٤، هو من أعطى لأغنيتها سمات كانت مجالا للتجاذب بين «اليمين» و«اليسار» فى زمانها، تؤكدها شهادة منشورة للشاعر الكبير سيد حجاب فى جريدة «القاهرة» شهر «فبراير ٢٠٠٥» بعنوان «أم كلثوم بين اليمين واليسار».

يقول «حجاب»: إنه فى مستهل الستينيات من القرن الماضى، كان وبعض الزملاء يدرسون هندسة المناجم بجامعة القاهرة، ويضيف: «كان يحلو لنا أن نعابث زميلنا «توحيد رامى»، ابن الشاعر الرائع «أحمد رامى»، وكانت

مغايظتنا له وغلاستنا عليه تدور دائما حول بعض أشعار أبيه التى تغنت بها «أم كلثوم» من مثل: «حتى الجفا محروم منهم»، أو «عزة جمالك فين من غير ذليل يهواك»، كنا نعير «توحيد» بأن رؤية أبيه «رامى» للحياة والحب تجاوزها الزمن، وأن هذه المشاعر المَرَضية التى يعبر عنها تحمل قدرا عاليا من «الماسوشية»، وأن هذا النوع من الغناء لا يلبى الحاجات الروحية لشباب جيلنا، وأن الفن الأقرب لمشاعرنا والأصدق تعبيرا عن زماننا هو غناء عبدالحليم حافظ لأشعار محمد على أحمد ومرسى جميل عزيز، وألحان محمد الموجى وكمال الطويل.

يضيف «حجاب»: إن «توحيد» كان يرد على استفزازاتنا قائلا: «وانتم إيش فهمكوا يا شيوعيين فى الفن والحب ولا الحياة»، ويزيد حجاب: «فى تلك الأيام كانت تشيع بين بعض اليساريين الشباب مقولات خائبة حول الفن والحياة، فالفنون مرآة للواقع، ونجيب محفوظ كاتب البرجوازية الصغيرة، بينما محمد صدقى هو أديب البروليتاريا».

ذابت تلك المقولات الخائبة مع مرور الأيام، وعن هذا التحول يختتم «حجاب» شهادته: «التقيت بـ«توحيد» صديقى اللدود بعد سنوات غياب طويلة، وكانت قد جرت فى النهر مياه كثيرة، كانت شمس أكتوبر ١٩٧٣ قد أشرقت وغابت ورحلت عنا أم كلثوم، ورحل بعدها رامى، وكان «توحيد» يعود إلى مصر بعد هجرة طويلة إلى الولايات المتحدة، وكنت أندفع فاتحا ذراعَيَّ له، و«توحيد» يستقبلنى بابتسامته هامسا: «أظن كان عندكم حق شوية فى كلامكم عن شعر أبويا»، وأظن أننى قلت له وأنا أعانقه: «لا، أظن إحنا كنا مفتريين شويتين، وأبوك رامى ده شاعر عبقرى، وأم كلثوم دى حاجة ما تتكررش، إحنا بس اللى كنا مش فاهمين».

٥ يونيه عام ١٩٦٧
٤٩٢ طائرة لإسرائيل أنهت القواعد الجوية المصرية في ثلاث ساعات ونصف

كانت الساعة الثامنة صباحًا فى مثل هذا اليوم «٥ يونيه ١٩٦٧» حين قامت أول موجة من الطائرات الإسرائيلية، وعددها ١٧٤ طائرة، بغارات على القواعد الجوية فى العمق المصرى، ابتداء من «أبوصوير» على الضفة الغربية لقناة السويس، وحتى مطار الأقصر فى جنوب الوادى، ثم لحقتها موجة ثانية من ١٦١ طائرة ركزت على المطارات المتقدمة فى سيناء، بعدها كانت الموجة الثالثة من ١٥٧ طائرة، لإنهاء كل ما تبقى من حطام على المطارات والقواعد الجوية المصرية.

انتهى كل شىء تمامًا فى الساعة الحادية عشرة والنصف، فى واحدة من الحروب الخاطفة الحافلة بزلزال من المفاجآت، وحسب محمد حسنين هيكل فى كتاب «الانفجار»: «بجهد ٤٩٢ طائرة مركزة فى ثلاث موجات، كان مصير معركة سنة ١٩٦٧ تقرر فعلًا، وأصبح ما تلا ذلك كله حتى توقف القتال رسميًا يوم ٩ يونيه مجرد تفاصيل لا تغير فى الصورة النهائية للمعركة شيئًا، ولا تنقص فيها أو تزيد، ذلك أن ضربة الطيران الإسرائيلى أدت مباشرة لنتيجتين:

الأولى، أن القيادة العسكرية المصرية فقدت أعصابها وتوازنها، وهذا هو الهدف الأكبر لفكرة الحرب الخاطفة، أما النتيجة الثانية فكانت أن الجيش

المصرى أصبح فى وضع عسكرى لا يطاق، فبدون غطاء من طائراته فوقه، ومن سيطرة كاملة على الأجواء للعدو».

سيطرت إسرائيل على الأجواء، وقرر عبد الحكيم عامر، القائد العام للقوات المسلحة، الانسحاب فجر يوم ٦ يونيه. ويصف «هيكل» هذا القرار بـ«المنطقى» من ناحية المبدأ، لكن مصيبته فى طريقة تنفيذه وأسلوبه، ذلك أن نظرية الحرب الخاطفة حققت أثرها على القائد العام، وأفقدته أعصابه وتوازنه.

بلغت الخسائر فى اليوم الأول من القتال نحو ٢٩٤ شهيدًا، ارتفعت إلى ٦٨١١ شهيدًا بعد قرار الانسحاب يوم ٦ يونيه، ومع طريقة تنفيذه حتى مساء يوم ٨ يونيه، هذا بخلاف عدد الأسرى.

كانت خطة إسرائيل، وكما يقول هيكل، «إعادة بالنص للعدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦، بعد أن تمكنت من الحصول على ملف عمليات الطيران البريطانى أثناء العدوان الثلاثى، وتسلَّم عزرا وايزمان قائد الطيران الإسرائيلى الذى انتقل ليصبح مديرًا للعمليات سنة ١٩٦٧ الخطة البريطانية، وقال فى مذكراته إنه كان يعيش مع الخطة، ويحلم بها، ويتمثل تفاصيلها، ويدرب رجاله عليها، وتولى مع عدد من مساعديه مهمة ترتيبها لملاءمة الأوضاع المستجدة، ثم تسلم الخطة منه نائبه وخليفته فى قيادة الطيران الجنرال موردخاى هود».

كان الرئيس الأمريكى «جونسون» يتابع الموقف على طريقته الخاصة، وفى تسجيل شهادتها للتاريخ الشفهى لعصر رئاسة «جونسون» تقول ماتيلدا كريم، عشيقة «جونسون»:

«جاء الرئيس مبكرًا صباح يوم ٥ يونيه إلى البيت الأبيض الذى كنا نقيم فيه فى واشنطن بعد عودتنا معه من تكساس، وكنت لا أزال فى فراشى

حينما دخل غرفة نومى ومعه اثنان من المرافقين، ووقف أمام سريرى وقد اعتدلت جالسة فيه، وقال لى: «لقد نشبت الحرب فى الشرق الأوسط، وهناك من يتساءلون عمن بدأها، أما أنا وأنت فنعرف تمامًا من بدأها».

٦ يونيه عام ١٩٦٧
إسرائيل تحتل العريش وغزة وخان يونس..
وعامر للسفير السوفيتي: «أين أنتم؟»

مر اليوم الأول على حرب ٥ يونيه ١٩٦٧، ونحن الآن فى يومها الثانى، وأصبحت الحقائق على الأرض على نحو كارثى لمصر والمنطقة العربية، سقطت العريش، وانفتح المحور الشمالى أمام القوات الإسرائيلية المدرعة، وفى المساء أذاعت إسرائيل أن عناصر قواتها وصلت إلى قناة السويس، وفى فلسطين تمكنت إسرائيل من الاستيلاء على مدينتَىْ «غزة» و«خان يونس»، وسقطت نابلس وتحركت القوات الإسرائيلية فى اتجاه نهر الأردن مع قتال حول القدس الشرقية.

فى الساعة الخامسة، أصدر عبدالحكيم عامر، القائد العام للقوات المسلحة، قرارا بالانسحاب العام لجميع قوات سيناء إلى غرب قناة السويس على أن يُنفذ على مراحل، وهو القرار الذى أثر سلبا على أداء الجيش المصرى وعلى مسار الحرب بالنسبة له.

كان موقف «الاتحاد السوفيتى» محيرا رغم العلاقة الوثيقة له مع مصر، وفى كتابه «الانفجار» يذكر محمد حسنين هيكل، أن السؤال الذى كان يلح فى مبنى القيادة العامة المصرية هو: «أين الاتحاد السوفيتى؟!».

ويقدم «هيكل» الإجابة بقوله، إنه فى صباح هذا اليوم دعا «عامر» السفير السوفيتى فى مصر «ديمترى بوجدايف» إلى مقابلة عاجلة، وبدا فيها «عامر» أنه فقد أعصابه إلى درجة أنه راح يتساءل عما إذا كان ما يراه أمام عينيه نتيجة لتواطؤ أمريكى سوفيتى، وحاول تخفيف الصدمة التى لمسها على تقاطيع السفير السوفيتى، فقال له، إنه ليس هو القائل بذلك، ولكنه ينقل رأيا عاما بين الضباط.

احتدت المناقشة بين «المشير» و«السفير»، حيث قال عامر: «الأمريكان أعطوا لإسرائيل أحسن ما عندهم من سلاح، وأنتم رحتم تؤخرون فى طلباتنا، وعندما تستجيبون لا تعطوننا ما يوازى السلاح الأمريكى الذى تحصل عليه إسرائيل».

عرف «عبدالناصر» بما دار بين «المشير» و«السفير» فدعا «بوجدايف» إلى مقابلته فى نفس اليوم، وطلب منه نقل رسالة إلى «كوسيجين» رئيس الوزراء السوفيتى اشتملت على سبع نقاط، أهمها قوله إن الخسارة فى الطائرات المصرية لم يصحبها لحسن الحظ خسارة موازية فى الطيارين، ومطلوب بأقصى سرعة طائرات تعوض ما ضاع فى الضربة الأولى، وبها يستطيع الطيران المصرى فى ظرف ثمانٍ وأربعين ساعة على الأكثر أن يستعيد إمكانية عودته إلى الظهور فى سماء المعركة، والتأثير على مجراها.

أكد «عبدالناصر» أنه ينتظر ردا سريعا على ما طلبه، وكانت المفاجأة التى تلقاها عبدالناصر، أن السفير السوفيتى أبلغه بعد ساعات من نقل رسالته، أن القيادة السوفيتية وافقت على إمداد مصر بأعداد كبيرة من الطائرات سوف تتقرر أنواعها خلال الساعات المقبلة، وقال إن القيادة رغبة منها فى تجنب استفزاز أمريكا، تفضل أن تبعث بهذه الطائرات داخل الصناديق إلى الجزائر، ومن هناك تتولى الجزائر شحنها إلى مصر سواء بالصناديق أو بتركيبها وإرسالها إلى مصر، وكان معنى ذلك ضياع أسبوع على الأقل، فى الوقت الذى يتغير فيه الموقف على جبهات القتال كل دقيقة.

٧ يونيه عام ١٩٩٥
رحيل الشيخ إمام عيسى الذى أصر على إهانته للرئيس السادات رسميًا

فقد بصره فى السنة الأولى من عمره، وعندما بلغ الخامسة ذهب إلى «الكُتاب» لحفظ القرآن الكريم، ويتذكر الشيخ إمام عيسى هذه الأيام: «كنت أستمع وأنا فى السابعة إلى عماتى وأمى وهن يغنين أثناء تنقية القمح فى مناسبات الحج والفرح، كان غناء شجيا، يأخذنى ويجعلنى لا أتحرك، وكان يصل الحال بهن إلى البكاء وهن يغنين، ومن هؤلاء اكتشفت معنى الغناء».

كان الشيخ «إمام» الذى رحل فى مثل هذا اليوم «٧ يونيه ١٩٩٥» هو صوت الغناء الذى شق طريقه بعد نكسة ٥ يونيه ١٩٦٧ بأشعار أحمد فؤاد نجم. وعلى الرغم من أن ظاهرة الاثنين ولدت قبل النكسة، لكن بعدها، وكما يقول الناقد والمؤرخ الموسيقى فرج العنترى فى عدد خاص لمجلة القاهرة عن الفنان الراحل صدر عام ١٩٩٥، أصبحا رافدَى «المقاومة الساخنة». ويصف الكاتب الصحفى كامل زهيرى ألحانه: «فيها قسوة وفكاهة وروح مصرية ذكية، إنما أقرب إلى ألحان الشعب وكلماته وقفشاته، إنها تبتعد عن ألحان الأباجورات والقطيفة والكورسيه والباروكة».

ويحكى الكاتب الروائى خيرى شلبى قصة طريفة عن عدم انضمام الشيخ «إمام» للإذاعة، حيث تقدم لاختبارات الإذاعة كمطرب وملحن فى أوائل الخمسينيات، وكان رئيس لجنة الاختبار حافظ عبد الوهاب، مكتشف

عبـد الحليـم حافـظ، وحـين مَثُـل الشـيخ إمـام أمامـه أراد «حافـظ» أن يسـتعرض خبراتـه الموسـيقية، فراجـع الشـيخ إمـام فى ضبـط إحـدى النغـات، فـرد عليـه بغلظـة كاشـفًا جهلـه بالموسـيقى، وأعطـاه مـا يشـبه الـدرس الـذى ابتلعـه عـلى مضـض.

أراد حافـظ عبـد الوهـاب رد الإهانـة فانتهـز فرصـة تعثـر صـوت الشـيخ إمـام فى كحـة مفاجئـة، فقـال: «المفـروض تبطـل الحشـيش يـا إمـام»، فشـوَّح «إمـام» فى وجهـه: «مـش حابطـل ومـش هاغنـى فى الإذاعـة بتاعتـك»، ومنـذ ذلـك التاريـخ لم يدخـل بـاب الإذاعـة، إلا بعـد أن ذاعـت شـهرته فى النصـف الثانـى مـن عقـد السـتينيات، حيـث دُعـى لتسـجيل بعـض الألحـان لبعـض البرامـج.

كانـت السـبعينيات مـن القـرن المـاضى هـى قمـة الشـيخ إمـام فى الغنـاء التحريـضى ضـد الرئيـس الراحـل أنـور السـادات ونظامـه، وتعـددت محطاتـه وإبداعاتـه الغنائيـة، حيـث انضـم لمظاهـرات الطـلاب ١٩٧٢، والتـى طالبـت السـادات بالحـرب لتحريـر الأرض، وتحولـت إلى اعتصـام شـهير داخـل الجامعـة انضـم إليـه مثقفـون، وقـدم وقتهـا أغنيـة «رجعـوا التلامـذة يـا عـم حمـزة للجـد تانـى/ يـا مـصر انتـى الـلى باقيـة وانـت أصـل الأمانـى».

وبعـد زيـارة «السـادات» إلى القـدس غنـى مـن كلـات أحمـد فـؤاد نجـم: «قوتـة المجـذوب أبـو برقوقة/ بزبيبـة غـش وملزوقة/ كـداب ومنافـق وحرامى/ ودماغـه مناطـق موبـوءة»، وقدمهـا فى حفلـة بـ«هندسـة عـين شـمس»، فأُحيـل إلى المحكمـة العسـكرية.

سـأله المحقـق: هـل تقصـد إهانـة رئيـس الجمهوريـة؟، فأجـاب: «نعـم»، فأخـذت المحقـقَ الشـفقةُ بهـذا الرجـل الضريـر، فكتـب الإجابـة: «لا أقصـد»، وعندمـا تـلا عليـه محـضر تحقيـق ليوقِّـع عليـه، غضـب وبكـى قائـلا للمحقـق: «هـل تسـتغل فقدانـى للبـصر، لـو أننـى أخشـى الإجابـة مـا غنيـت؟، هـل تريـد إثبـات جبنـى فى محـضر رسـمى؟».

٨ يونيه عام ١٩٦٧
عامر يهدد بالانتحار.. وعبد الناصر يعنِّفه:
«لا تُضِف الفضيحة إلى المصيبة»

وضعت دراما نكسة ٥ يونيه ١٩٦٧ الكل فى ذهول كامل، وظهر ذلك فى مساء مثل هذا اليوم «٨ يونيه ١٩٦٧»، ويروى محمد حسنين هيكل جانبا من هذه الدراما فى كتابه «الانفجار»، دارت وقائعها فى مكتب المشير عبد الحكيم عامر بمقر القيادة العامة للقوات المسلحة، وكان قائدها الأعلى.

أعلن «عامر» وسطَ مجموعة من قواده أنه سينتحر، وحمل مسدسه متوجها إلى حمام ملحق بمكتبه مصمما على إنهاء حياته بيده، وعندما تكالب عليه عدد من رجاله ينتزعون من يده المسدس، ارتمى على مقعده، ووضع رأسه بين كفيه، ومال على مكتبه لمدة دقائق ساد فيها قاعة مكتبه صمت رهيب وحزين.

ذهب «شمس بدران» وزير الحربية إلى التليفون يتصل بـ«عبدالناصر» قائلا: «المشير مصمم على الانتحار»، فأسرع عبدالناصر إلى مركز القيادة العليا، ليجد «عامر» كما يصف «هيكل» قد ضيع أعصابه تماما، وراحت أحواله النفسية تتأرجح من النقيض إلى النقيض، بالحديث تارة عن خيانات حوله، ثم يقفز إلى الاعتراف بمسئوليته، ثم ينتقل بعدها إلى أن الموقف ليس ميئوسًا منه بعد، وأنه يفكر فى خطة جديدة لمواصلة القتال، ثم يعاوده خاطر الانتحار ويلوم الذين منعوه من التنفيذ.

قال «عبدالناصر» لـ«عامر» بصوت مجروح، إنه يرجوه ألا يضيف الفضيحة إلى المصيبة.

انفجر «عامر» منهارا بالكامل يوزع المسئوليات على كل الناس ناسيا نفسه، ثم أضاف عبدالناصر: أى نظام يعجز عن حماية حدود وطنه يفقد شرعيته، وأنه مهما كانت أحزاننا الآن، فإن علينا أن نعرف أن دورنا انتهى نهاية مأساوية، ولم يبقَ أمامنا إلا مهمة أخيرة هى ترتيب «أوضاع البلد»، بما يمكن معه تحقيق انتقال إلى ظروف تختلف اختلافا بيِّنا عما هى الآن.

اعترت «عامر» نوبة هياج قائلا: «كل شيء لم يضِع بعد».

سأله «عبدالناصر» بأسى: «ما الذى بقى لم يضع ؟».

رد عامر: «المقاومة الشعبية، ثم راح يتحدث عن توزيع السلاح على الشعب لكى يقاوم».

فى هذا اللقاء، وحسب رواية هيكل، قال «عبدالناصر» لـ«عامر» إنه أصبح مقتنعا بضرورة اعتزاله للحياة العامة، فقد انتهى دوره وانتهت فى رأيه ثورة ٢٣ يوليو وما بقى منها من مبادئ ومنجزات أصبح فى أيدى الناس، وأضاف، ليس لنا أن نعطل طريقهم فى تدبير أمورهم على النحو الذى يرونه عندما تخف حدة الظرف العصيب الذى تواجهه الأمة الآن، ثم استدرك بملاحظة بدا أن تفكيره انتقل إليها وهى مشاعر القوات العائدة من سيناء بعد توقف القتال، واحتمال وقوع مشكلات بينها وبين جماهير الشعب التى انقضت عليها نتائج المعارك.

اقترح «عبدالناصر» تقديم استقالته، على أن يكون شمس بدران رئيسا مؤقتا، وكان ظنه أن وجود «بدران» على رأس الدولة وهو وزير الحربية قد يكون عاملا قادرا على تفادى احتمال الصدام بين الشعب والجماهير.

٩ يونيه عام ١٩٦٧
عبد الناصر يتنحى.. و«الملايين» تطالبه بالعودة..
ويتساءل: «ما الذى حدث؟»

كانت الساعة السابعة مساء، حين أطل جمال عبدالناصر على شاشة التليفزيون المصرى ليعلن التنحى، ظهر بوجهه فى مثل هذا اليوم «٩ يونيه ١٩٦٧»، وبدا وكأن عشر سنوات أخرى أضيفت إلى عمره (كان يبلغ وقتئذ ٤٩ عاما).

أعلن مسئوليته عما حدث من هزيمة أمام إسرائيل وقال: «رغم أى اعتبارات فإننى أتحمل المسئولية».

وأعلن استعداده لأى مساءلة، وحين جاء إلى الفقرة التى يعلن فيها تنحِّيَه عن الحكم، تأثر صوته محاولا السيطرة على بكاء يكاد يغالبه.

كان تنحيه نموذجا للقائد الذى يتحمل المسئولية، وفى كتابه «الانفجار» يذكر محمد حسنين هيكل فى سرده لقصة هذا اليوم الطويل ما ذكره عبدالناصر له: «عبدالحكيم عامر ضيع أعصابه تماما وضيع جيشه من قبلها، ولكننى المسئول، لا أستطيع أن ألوم أحدا إلا نفسى، والواقع أننى غاضب من نفسى بأكثر مما يتصور، لا أستطيع أن أتصور ما سيفعله الناس، والله لو أنهم أخذونى إلى ميدان التحرير وشنقونى فيه لما اعترضت عليهم، لهم الحق».

سرد «هيكل» لقصة التنحي يأتي من واقع أنه كان بجوار «عبدالناصر» خلال هذا اليوم، وكلفه كتابة «خطاب التنحي»، وناقشه فيه، وكان رأي عبدالناصر أن يتولى «شمس بدران» وزير الحربية الرئاسة مؤقتا، واتفق على ذلك مع عبدالحكيم عامر، لكن «هيكل» وحسب روايته أقنعه بـ«زكريا محيي الدين»، وهو الرأي الذي أخذ به وأعلنه في خطاب التنحي.

مضت نصف ساعة على «الخطاب» تزلزلت خلالها الأرض العربية من المحيط إلى الخليج، حيث خرج الملايين يرفضون التنحي، كانت الشوارع عبارة عن طوفان بشري قوامه ملايين يهتفون: «ناصر.. ناصر.. هنحارب.. هنحارب».

كانت دهشة زكريا محيي الدين بالغة، وسأل هيكل: «لماذا فعلتم ذلك، وهل هذا معقول؟» وكانت المظاهرات في الشوارع تهتف ضده وتطالبه بألا يقبل ما كلف به، وإلا فهو خائن، ويعلق «هيكل» على ذلك قائلا: «كنت بنفسي قادرا على رؤية مدى الصدق في قوله من نظرة واحدة عبر النافذة من مبنى مؤسسة الأهرام إلى كوبري الجلاء، فقد أصبحت الجماهير عليه كتلة واحدة متدفقة هادرة زاحفة لا تعرف إلى أين، ولكن صراخها كان يمكن تمييزه الآن بصيحة ناصر».

قال زكريا محيي الدين إنه في طريقه إلى بيت الرئيس جمال عبدالناصر ليطلب منه تغيير قراره.

كان المشهد متكررا في كل العواصم العربية، وتدفقت بحور من البشر إلى الشوارع ولعلع صوت الرصاص في بيروت، وتكون حصار بشري مخيف حول بيت عبدالناصر.

أبلغ «شعراوي جمعة» وزير الداخلية «هيكل»، أن القاهرة معرضة لحريق أسوأ من حريق القاهرة ١٩٥٢ ما لم تصدر من جمال عبدالناصر كلمة، وحاصر أعضاء مجلس الأمة مبنى المجلس، وفي منتصف الليل اتصل عبدالناصر بـ«هيكل» ليسأله بصوت مثقل: «ما الذي حدث؟».

١٠ يونيه عام ١٩٦٧
عبد الناصر يعدل عن التنحِّي معلقًا: هذا الشعب غريب

قصة هذا اليوم «١٠ يونيه ١٩٦٧» موصولة باليوم السابق، وكلاهما في تاريخ مصر والعرب علامة على الإرادة الشعبية التي صممت على رفض تنحي جمال عبدالناصر.

أعلن عبدالناصر تنحيه عن الحكم يوم ٩ يونيه، مضى اليوم طويلا، ثقيلا، كئيبا، لكن الجماهير العربية من المحيط إلى الخليج التي خرجت ترفض التنحي، كانت هي نقطة الضوء وسط الظلام الدامس الذي غطى مصر والمنطقة بنكسة ٥ يونيه ١٩٦٧.

«ليه؟»، كان هذا هو سؤال «عبدالناصر» لمحمد حسنين هيكل، حسبما ورد في كتابه «الانفجار».

عبر السؤال عن استغراب «عبدالناصر» مما يحدث، وجاء السؤال بعد بحر الجماهير التي أحاطت بمنزله في منشية البكري، واقتحم بابه مجموعة من المسئولين المتحسبين لطلوع الصباح، وصعد بعضهم إلى غرفته ودخلها عدد منهم يضعون أمامه صورة الموقف.

نزل «عبدالناصر» من غرفته إلى مكتبه، وراح يطالع تقارير وكالات الأنباء العالمية، وشملت مشاعر الصدمة التي انتابت وفود الدول الأسيوية والأفريقية في الأمم المتحدة، وكيف أنهم أجهشوا بالبكاء علنا في أروقة الأمم المتحدة، كما أن الرئيس الفرنسي «ديجول» بعث إليه برسالة مؤثرة قال فيها:

«إن النصر والهزيمة فى المعارك عوارض عابرة فى تاريخ الأمم، وما يهم هو الإرادة والشجاعة الحقيقية فى مواجهة المحن، وأما الأوقات السعيدة فلا تستدعى ذلك».

أجهش الرئيس اللبنانى «شارل الحلو» بالبكاء فى قصر بعبدا، وتحدث إليه الرئيس العراقى عبد الرحمن عارف تليفونيا باكيا: «أناشدك باسم الشعب العراقى وباسم العروبة أن تبقى».

اتصل الرئيس السودانى «إسماعيل الأزهرى» ورئيس الوزراء محمد أحمد المحجوب، يبلغانه أن الخرطوم سوف تحترق إذا لم يعدل عن تنحيه، وتلقى من القيادة السوفيتية رسالة مهمة تطالبه بالعودة والاستعداد لتلبية كل مطالبه، وكذلك من سكرتير عام الأمم المتحدة «يوثانت».

استمرت الملايين فى الشوارع، فعلق عبدالناصر مندهشا: «هذا الشعب غريب، تصورت أنه سينصب لى مشنقة فى ميدان التحرير، فإذا به يتصرف على عكس ذلك تماما».

قرر الذهاب إلى مجلس الأمة ليلقى بيانا صباح يوم ١٠ يونيه، لكن تعذر ذلك لأن كل الطرق مغلقة بالجماهير ولا سيطرة لأحد عليها، فبعث برسالة لرئيس مجلس الأمة «أنور السادات» لتلاوتها على أعضاء المجلس المعتصمين بداخله من مساء يوم ٩ يونيه، وجاء فيها:

«كنت أتمنى لو ساعدتنى الأمة على تنفيذ القرار الذى اتخذته بأن أتنحى، ويعلم الله أننى لم أصدر فى اتخاذ هذا القرار عن أى سبب غير تقديرى للمسئولية، وتجاوبا مع ضميرى، وما أتصور أنه واجبى، وإنى لأعطى هذا الوطن راضيا وفخورا كل ما لدىَّ حتى الحياة إلى آخر نفس فيها، إن أحدا لا يستطيع ولا يقدر أن يتصور مشاعرى فى هذه الظروف إزاء الموقف المذهل الذى اتخذته جماهير شعبنا، وشعوب الأمة العربية العظيمة كلها بإصرارها على رفض قرارى بالتنحى منذ أعلنته وحتى الآن، ولا أعرف كيف أفى بهذا الحق، ولا كيف أعبر عن عرفانى تجاهه».

١١ يونيه عام ١٨٨٢
مشاجرة «الحمار» بين «المالطى» و«العجان» تنتهى إلى احتلال مصر

دقت الساعة الثانية بعد الظهر، فشهدت مدينة الإسكندرية الحدث الذى أدى إلى احتلال مصر ٧٢ عاما، واللافت أنه كان مشاجرة بسبب «حمار».

فى كتابه «الزعيم الثائر أحمد عرابى»، الصادر عن دار المعارف، القاهرة يروى المؤرخ عبد الرحمن الرافعى القصة كاملة، وبدأت بشجار بين أحد المالطيين من رعايا الإنجليز، وأحد أبناء الإسكندرية ويدعى «السيد العجان»، الذى كان يملك «حمارا»، استأجره «المالطى»، وطاف به من صبيحة النهار متنقلا من مقهى إلى آخر، وانتهى طوافه إلى حانة «خمّارة» قريبة من مقهى «القزاز» بالقرب من مخفر اللبان بآخر شارع «السبع بنات»، فطالبه «العجان» بأجرة ركوبه، فلم يدفع له سوى قرش صاغ واحد، فجادله فى قلة الأجر، وانتهى الجدل بطعن «المالطى» لـ«العجان» عدة طعنات دامية بسكين مات على أثرها.

هُرع رفاق القتيل إلى مكان الحادث للإمساك بالقاتل الذى فر إلى أحد المنازل المجاورة، وتجمع «المالطيون واليونانيون» الساكنون بالقرب من مكان الحادث وأطلقوا النار، فسقط قتلى وجرحى من أهل وأصحاب القتيل، فتحركت «طبقة الدهماء» بالعصى والهراوات للاعتداء على الأوروبيين.

أرسل قسم «اللبان» إلى المستر «كوكسن» قنصل إنجلترا لإيفاد أحد موظفى القنصلية لإخراج «المالطى» من المنزل الذى هرب فيه، ولما ذهب «كوكسن» أُصيب بجروح بالغة من ضربه بالعصا والحجر، وأصيب أيضا قنصل اليونان وقنصل إيطاليا، واستمرت الأمور على هذا النحو حتى الساعة الخامسة، حيث قدم الجنود ففرقوا المتجمهرين، وانتهت الفتنة ليسود المدينة سكون رهيب، بعد أن ألزِم الناس بيوتهم وخلت الطرقات من المارة وانقضى الليل والناس فى وجل وفزع، وكانت الحصيلة ٤٩ قتيلا، منهم ٣٨ أجنبيا، والباقى من أبناء الإسكندرية.

يرى «الرافعى» أن هذه المذبحة كانت نذيرا لـ«العرابيين» بأن مصر قادمة على خطر كبير، إذ لم يكن خافيا أن السياسة الإنجليزية دبرت الوسائل لوقوعها تحقيقا لأغراضها فى مصر، واتخذها القناصل ذريعة لمخاطبة ولاة الأمور فى القاهرة للمطالبة بحماية الأجانب وأموالهم فى البلاد.

اجتمعت الأنباء التى تناقلها الأجانب فى مصر على أن حربا قادمة لا محالة، ولهذا وقعت عملية نزوح جماعية، فبلغ عدد الراحلين يوم ١٢ يونيه أكثر من عشرة آلاف مهاجر من مختلف الجنسيات، نزلوا إلى البحر متفرقين فى البواخر والسفن الشراعية، ولم تعارض إدارة جوازات السفر ولا الجمارك أحدا منهم فى النزول إلى البحر، فكثرت جموع المهاجرين يحملون أموالهم وأمتعتهم، وامتلأ الميناء بالسفن المقلة لهم.

استمرت الهجرة حتى بلغ عدد الراحلين ٣٢ ألفا حتى يوم ١٨ يونيه، وارتفع إلى ٦٠ ألفا قُبَيل ضرب الإسكندرية الذى تم فى ١١و١٢ يوليو، والذى انتهى باحتلال مصر.

ويؤكد «الرافعى» أن كل دولة أعدت سفينة لنقل رعاياها، فهرع الفقراء والمعوزون إلى النزول إليها، وتسلل الأوروبيون من كل ناحية فى مصر قاصدين الميناء حتى خُيل لمن يرى جموعهم أنه لم يبقَ منهم أحد فى مصر.

١٢ يونيه عام ١٩٦٧
«بومدين» لـ«السوفيت»: «لم أحضر للغداء والعشاء» ويقدم مائة مليون دولار لتسليح مصر

أبلغ الرئيس الجزائرى «هوارى بومدين» القيادة السوفيتية أنه لا يريد حفلات تكريم على غداء أو عشاء، وأنه يعتذر عن قبول أى مناسبات اجتماعية، وقال للقيادة السوفيتية: «أنا لم أجئ كى أتناول الغداء أو العشاء، وإنما لأفهم»، فرد عليه سكرتير الحزب الشيوعى «بريجنيف»: «أنا وزملائى نفضل أن نسمع منك أولا».

كانت هذه البداية الملتهبة مُفتتَحًا لزيارة «بومدين» إلى موسكو فى مثل هذا اليوم «١٢ يونيه ١٩٦٧» بنصيحة من جمال عبدالناصر بعد نكسة يونيه ١٩٦٧، وهى من الصفحات المشرقة للزعيم الجزائرى «بومدين» فى علاقته بمصر.

حسب محضر اجتماع «الزيارة» الذى جاء فى كتاب «الانفجار»، الصادر عن مؤسسة الأهرام، القاهرة لمحمد حسنين هيكل، سأل بومدين:

«ما حدود الوفاق بينكم وبين الأمريكيين؟ إننا نراه وفاقا من جانب واحد، أنتم تتصرفون بأقصى درجات الضعف وهم يتصرفون بأقصى درجات القوة».

قاطعه رئيس الوزراء السوفيتى كوسيجين: «نحن لا نتصرف بضعف».

رد بومدين: «بل تتصرفون بمنتهى الضعف، وإذا كنتم تتصورون أننى جئت إلى هُنا لكى أجاملكم فإنى لن أفعل ذلك، والحقيقة أننا لسنا وحدنا

الذين هزمنا، وإنما أنتم هزمتم فى نفس الوقت معنا، بل قبلنا، وإذا كنتم لا ترون أن ميزان القوى العالمية قد تحول لصالح الناحية الأخرى فهذه مصيبة، وإذا كنتم ترون ذلك ولا تفعلون شيئا فهذه مصيبة أكبر، لقد تركتم ما حدث يحدث دون رد فعل منكم إلا بالبيانات والمقالات».

رد «كوسيجين»: «هل تريدنا أن ندخل فى حرب نووية؟ وهل تقدّرون ما معنى الحرب النووية واحتمالاتها؟».

رد بومدين: «هذا كلام ينبغى أن تفكروا فيه قبل الأحداث وليس بأثر رجعى بعدها».

وتدخل «بريجنيف» مناديا «بومدين» بـ«الرفيق»: «إن الاتحاد السوفيتى لم يكتفِ بالبيانات والمقالات، وإنما قدم لأصدقائه العرب ما يحتاجون إليه من السلاح، ولكنهم لم يُحسنوا استعماله».

فقد «بومدين» أعصابه قائلا: «ليكن، نحن لا نحسن غير أن نسوق الجمال ولا نعرف كيف نقود الطائرات الحديثة، فتعالوا أنتم وأرونا ما تستطيعون عمله»، معلوماتى تؤكد أن السلاح الإسرائيلى كان متفوقا.

رد كوسيجين: «حاولنا أن نستجيب لطلباتكم وقدمناها بأسعار مريحة، بل إنكم لم تسددوا حتى ربع تكاليف ما حصلتم عليه».

استبد الغضب بـ«بومدين» فقال إنه كان يتخوف من مثل هذه الملاحظة، واستعد لها بأن طلب من وزير المالية الجزائرى تحويل مائة مليون دولار لصالح وزارة الدفاع السوفيتية، ثم أخرج «الصك» بالمبلغ، وكان يحتفظ به فى ملف أمامه، فاحمر وجه كوسيجين قائلا: «لست تاجر سلاح حتى تعاملنى بالشيكات».

رد بومدين: أنا لم أبدأ، وإنما أنت الذى تحدثت عن نصف وربع الثمن.

تكهرب جو الاجتماع، فاقترح بريجنيف رفع الجلسة لاستراحة قصيرة، وانتهت الزيارة بقرار أن يقوم رئيس الدولة «بادجورنى» بزيارة مصر.

١٣ يونيه عام ١٩٨٠
الموساد يغتال يحيى المَشدّ.. وصدام حسين لزوجته: «فقدت أخًا عزيزًا»

فى الحجرة رقم ٩٤١ بفندق «الميريديان» بباريس كان عالم الطاقة النووية المصرى الدكتور يحيى المشد جثة هامدة، مهشمة الرأس، ودماؤه تغطى سجادة الحجرة، وقعت الجريمة فى مثل هذا اليوم «١٣ يونيه ١٩٨٠».

كان «المشد» يشرف على البرنامج النووى العراقى، وكانت أخبار «البرنامج» تتوالى باعتباره حلما عربيا لو تمكنت منه دولة عربية، فسيؤدى إلى إحداث التوازن مع إسرائيل باعتبارها الدولة التى تمتلك سلاحا نوويا فى المنطقة، ولأجل ألا يحدث ذلك، خططت إسرائيل لعدم السماح بمرور الحلم العراقى إلى النور.

«يحيى المشد» المولود فى مدينة بنها عام ١٩٣٢، هو ابن مرحلة المد العربى التى تولدت بفضل ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢، وكان النهوض العلمى أحد أجنحتها، حيث اختير لبعثة الدكتوراه من لندن عام ١٩٥٦، لكن العدوان الثلاثى على مصر فى نفس العام حول مساره إلى «موسكو»، ليعود منها عام ١٩٦٣ وانضم إلى هيئة الطاقة النووية، وعمل فى كلية الهندسة بجامعة الإسكندرية فى قسم الهندسة النووية الذى أمر عبدالناصر بإنشائه، وكانت بعثته مع آخرين بمثابة القاعدة العلمية البشرية، لبدء المشروع النووى

المصرى وكانت باكورته فى «أنشاص»، لكن الحلم توقف بعد نكسة ٥ يونيه ١٩٦٧، ومع تبخره نهائيا تعطلت مسيرة هؤلاء العلماء.

فى ١٨ نوفمبر ١٩٧٥، وقَّع الرئيس العراقى صدام حسين اتفاقا مع فرنسا للتعاون النووى، وعلى أثر ذلك اجتذبت العراق علماء مصر ومنهم «المشد»، وظل دوره سريا، وحين تم اغتياله بقى «الفاعل» مجهولا على الرغم من وضع إسرائيل فى دائرة الاتهام، حتى ظهرت الحقيقة فى فيلم تسجيلى مدته ٤٥ دقيقة عرضته قناة «ديسكفرى» الوثائقية الأمريكية بعنوان «غارة على المفاعل» وتم تصويره بالتعاون مع الجيش الإسرائيلى.

يذكر «الفيلم» أن «الموساد» استطاع اختراق مُفَوضية الطاقة الذرية الفرنسية، وحدد شخصية «المشد» الذى يتردد على باريس لصالح صدام حسين، فعرضوا عليه إغراءات مالية ونسائية مقابل تبادل المعلومات حول المفاعل النووى، وعندما وجدوا أنه لا يهتم بالتعاون معهم قرروا القضاء عليه.

فى دراما قصته، تحكى حرمه السيدة «زنوبة الخشخانى» لبرنامج وثائقى خاص عن اغتياله أعده الإعلامى «يسرى فودة» لقناة «الجزيرة»، أنها طلبت الرئيس صدام حسين تليفونيا فرد عليها، قالت له: أنا حرم الدكتور المشد، فرد عليها: «أهلا بيكى فى بلدك يا أختى إحنا كلنا جنبك»، فردت: «أنا عايزة أقابل جنابك»، فقال: «تتفضلى بكره الساعة ٦ بعد الظهر».

وفى الموعد المحدد ذهبت السيدة زنوبة فقال لها صدام: «أهلا بكم بأهلى وقرايبى وإخواتى فى بلدكم، اتفضلوا» تقول: جه على كنبة عريضة قعد فى النص، وأنا على اليمين و«ليا» على الشمال، وحط إيديه علينا زى نسر، وقال: «أنا فقدت أخ، أخ عزيز علىّ وهو الدكتور المشد، أنتم لو طلبتم روحى ما تفدهوش، روحى نفسها، أنتم أهلى، تطلبى تقعدى معانا فى العراق أبنى لك قصر جنب قصرى، أعمل لك اللى أنت عايزاه».

١٤ يونيه عام ١٨٠٠
سليمان الحلبى يقتل كليبر .. وامرأة ترشد عن مكانه

انطلق من ميدان الأزبكية دوى طبل ينذر بالخطر، ولم تمضِ دقائق حتى كانت جميع الطبول فى القاهرة تدعو الجنود إلى مراكزهم، وبسرعة البرق انتشر خبر مصرع «كليبر» قائد الحملة الفرنسية على مصر بعد عودة «نابليون» إلى باريس، ووفقا لكتاب «بونابرت فى مصر» لمؤلفه «ج. كرستوفر هيرولد»، الصادر عن مكتبة الأسرة، القاهرة: «لجأ الأهالى إلى بيوتهم محتمين بها خشية العاقبة، بينما اندفع الجنود كالمجانين فى الشوارع يضربون كل من يقف فى طريقهم»، ويقول الجاويش فرنسوا فى يومياته: «إننا قتلنا بسيوفنا وخناجرنا جميع من صادفنا من الرجال».

كان الحدث بعد الثانية ظهرا فى مثل هذا اليوم «١٤ يونيه ١٨٠٠»، وبطله «سليمان الحلبى» الذى جاء من سوريا إلى مصر عاقدا العزم على قتل «كليبر»، واعتمادا على «الجبرتى» ومراجع فرنسية أخرى، يروى المؤرخ عبد الرحمن الرافعى فى كتابه «تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم فى مصر» هذه القصة، قائلا، إن «كليبر» كان يسير بصحبة المسيو «بروتان» المهندس المعمارى عائدين إلى دار القيادة العامة، وبينما هما سائران خرج عليهما رجل يكمن وراء بئر عليها ساقية، فاقترب من «كليبر» كمن يريد أن يستجديه أو يتوسل إليه، فلم يَرْتَب الجنرال فى نية ذلك السائل، لكنه لم يكد يلتفت إليه حتى عاجله القاتل بطعنة خنجر مميتة أصابته فى صدره.

صاح «كليبر»: «إلَّى أيها الحارس» ثم سقط على الأرض مُضرَّجًا فى دمه، فأسرع «بروتان» فى تعقب «الحلبى» للإمساك به وضربه بعصاه فوق رأسه، لكن حصل هو الآخر على نصيبه بست طعنات سقط بسببها على الأرض فاقد الوعى بجوار «كليبر» الذى لم يكن قد فارق الحياة بعد، وزيادة فى الإصرار على الاطمئنان على قتل «كليبر» عاد «الحلبى» مرة ثانية ليزيد طعناته ثلاثا أخرى، نفذت الأولى منها إلى القلب فكانت هى القاضية.

اختفى «الحلبى» عن الأنظار، ولم يبقَ فى مكان الحادث سوى جزء من عمامته، اختفى وراء حائط، وبعد ساعة من البحث أشارت عليه امرأة رأته من بيت سطح مجاور لاثنين من الملازمين لدار «كليبر».

تم القبض عليه، وساقه الجنديان الفرنسيان إلى «دار أركان الحرب». شملت القرائن ضده ظهور آثار دماء على الحائط الذى كان مختفيا وراءه، وكانت ملابسه ملوثة بالدماء، بالإضافة إلى العثور على خنجر مدفون تحت التراب فى نفس المكان الذى كان يختبئ فيه.

سيق «الحلبى» إلى الجنرال «مينو» فتم وضعه بين جماعة من العمال وضع بينهم خصيصا للتأكد من صحة التعرف عليه، وتعرف عليه «بروتان»، وتبين من الشهود أنه كان يتبع خطوات «كليبر» قبل تنفيذ عملية القتل بعدة أيام، وشاهدوه فى «الجيزة» يسعى للدخول إلى مقر «كليبر» بحجة تقديم عريضة إليه، لكن سكرتير الجنرال رفض الإذن بالمقابلة.

١٥ يونيه عام ١٩٥٩
«جيفارا» يسأل عبد الناصر:
كم من اللاجئين المصريين أُجبروا على مغادرة البلاد؟

قال المناضل العالمى «تشى جيفارا» لـ«جمال عبدالناصر»: «لا أعرف إلى أين سأذهب، لكن الشىء الوحيد الذى ينتظرنى هو أن أقرر أين أعثر على مكان أكافح فيه من أجل الثورة العالمية، وأقبل تحدى الموت».

سأله عبدالناصر: «لماذا تتحدث دائما عن الموت؟ أنت شاب وعلينا أن نموت من أجل الثورة إذا كان ذلك ضروريا، ولكن من الأفضل بكثير أن نعيش من أجلها».

كان «جيفارا» فى زيارة ثانية للقاهرة عام ١٩٦٥، وخلالها دارت حوارات عديدة له مع جمال عبدالناصر عن الثورة والدولة، وعن الموت والحياة، وعن كاسترو، والانقلابات العسكرية، والاستعمار العالمى، وعن حلم الثورة الذى يبحث عنه جيفارا فى كل مكان. كان عبدالناصر، وكما يقول الكاتب الصحفى محمد حسنين هيكل فى كتابه «عبدالناصر والعالم»: «يحب جيفارا ويشعر بميل عاطفى خاص نحوه، وتعزز هذا الحب فى زيارته الثانية إلى القاهرة».

أما زيارته الأولى التى بدأت فى مثل هذا اليوم «١٥ يونيه ١٩٥٩» واستمرت ١٥ يوما، فكانت لأغراض أخرى، وكما يقول هيكل: «لم تسفر عن شىء مؤثر»، لكن حاصل جمع الزيارتين كان رؤى رائعة متبادلة بين عملاقين فى التاريخ، واحد فهم العلاقة بين «الدولة والثورة» وهو جمال عبدالناصر،

والثانـى وهـب نفسـه لـ«الثـورة»، ولم يُطِـق الاسـتمرار فى جهـاز الدولـة، فأصبـح ضـميرا لـكل المناضلـين فى العـالم.

جـاء «جيفـارا» إلى مـصر عـام ١٩٥٩ ليـدرس تجربـة الإصـلاح الزراعـى التـى بدأهـا عبدالنـاصر بعـد قيـام ثـورة ٢٣ يوليـو ١٩٥٢ بأيـام قليلـة، والتقـى «عبدالنـاصر» للمـرة الأولى، وفى اللقـاء روى «تشـى» لـ«عبدالنـاصر» أنـه عندمـا كان كاسـترو يجابـه المصاعـب والنكسـات، وهـو يقـود حـرب العصابـات فى قمـم التـلال الكوبيـة سـنة ١٩٥٦، كان يسـتمد الشـجاعة مـن الطريقـة التـى صمـدت بهـا مـصر للعـدوان الثلاثـى البريطانـى الفرنسـى الإسرائيـلى عـام ١٩٥٦، وكيـف أن عبدالنـاصر كان مصـدر قـوة روحيـة وأدبيـة لهـم.

تطـرَّق الحديـث بـين الاثنـين حـول الإصـلاح الزراعـى، وفيـه بـدا الخـلاف الجوهـرى فى رؤيتهـما.

سأل جيفارا: «كم من اللاجئين الأجانب أُجبروا على مغادرة البلاد؟».

فـرد عبدالنـاصر بـأن عددهـم لم يكـن كبـيرا، وأنهـم كان معظمهـم مـن «المصريـين البيـض»، أى مـن فئـة أصحـاب الجنسـيات الأجنبيـة الذيـن تَمَـصَّروا بحكـم إقامتهـم فى مـصر.

علـق جيفـارا: «هـذا يعنـى أنـه لم يحـدث شـىء كبـير فى ثورتكـم، إننـى أقيـس عمـق التحـول الاجتماعـى بعـدد الأشـخاص الذيـن يمسـهم ويؤثـر فيهـم بحيـث يبـدءُون فى الإحسـاس بأنـه لم يعـد لديهـم مـكان فى المجتمـع الجديـد».

شرح «عبدالنـاصر» لـ«جيفـارا» أن مـا يفعلـه هـو تصفيـة امتيـازات طبقـة معينـة وليـس تصفيـة أفـراد تلـك الطبقـة، وأضـاف أنـه يريـد أن يفتـت سـلطة الإقطاعيـين، لكنـه لا يريـد أن يحـرم أفـراد هـذه الطبقـة الإقطاعيـة مـن أن يصبحـوا أعضـاء نافعـين فى المجتمـع الجديـد إذا شـاءوا.

أصر جيفارا على وجهة نظره ولم تتمخض زيارته للقاهرة عن شىء يذكر.

١٦ يونيه عام ١٩٦٧
موشى ديان يجلس بجوار التليفون
انتظارًا لمكالمة استسلام «عبد الناصر»

جلس جمال عبدالناصر وحيدا فى غرفة منزله، واضعا رأسه بين كفيه، ومتمتما بكلمات قليلة صدرت فى تلك اللحظة بإحساس غريزى بأكثر مما صدرت بحكم معلومات قاطعة، لقد دخل عليه أحد كبار مساعديه فسمعه وهو يتمتم كما لو كان يكلم نفسه: «لقد عرفوا كيف يصطادوننى».

هكذا يكشف محمود عوض فى كتابه «اليوم السابع.. الحرب المستحيلة حرب الاستنزاف»، الصادر عن دار المعارف، القاهرة، عن أحد المشاهد الدرامية التى حدثت بسبب نكسة ٥ يونيه ١٩٦٧.

«اصطياد عبدالناصر» كان هدف أمريكا وإسرائيل، وظنا أن ما حدث فى ٥ يونيه هو طريق الاستسلام لمخطط إعادة رسم خريطة الشرق الأوسط. كان «التليفون» والجلوس بجواره ضمن الأشياء التى ترددت وقتئذ، جلس الرئيس الأمريكى جونسون بجواره، وفعل نفس الشىء «موشى ديان» وزير الدفاع الإسرائيلى، وذلك انتظارا لشىء ما.

كان الجلوس بجوار التليفون من قادة إسرائيل وأمريكا يعنى شيئا واحدا، وهو تنفيذ ما يطمحون إليه، وهو «استسلام جمال عبدالناصر»، وفى مثل هذا اليوم ١٦ يونيه ١٩٦٧ وطبقا لما يذكره محمد حسنين هيكل فى كتابه «الانفجار»،

قـال موشـى ديـان إنـه جالـس عـلى الضفـة الشرقيـة مـن قنـاة السـويس فى انتظـار أن يـدق جـرس التليفـون حامـلا إليـه طلبـا مـن الجانـب الآخـر مـن القنـاة «جمـال عبدالنـاصر»، يقـول فيـه إنـه عـلى اسـتعداد للجلـوس معـه عـلى مائـدة مفاوضـات لبحـث شروط الصلـح.

تصريـح «ديـان» صدَّرتـه صحـف العـالم، وجـاء فى سـياق سياسـى عـام يصفـه محمـود عـوض: «كانـت إسرائيـل تريـد أن تفـرض شروط المنتـصر لأنـه ليـس أمـام العـالم العربـى مـن بديـل سـوى الإذعـان، وأول مـا تطلبـه إسرائيـل هـو أن يأتـى إليهـا العـرب عـلى مائـدة التفـاوض المبـاشر».

انتظـار «ديـان» تزامـن مـع كلام «أبـا إيبـان» وزيـر خارجيـة إسرائيـل: «إن مـا تريـده إسرائيـل «الآن» بسـيط جـدا، ومـا تريـده هـو الأمـن والسـلام»، ويعلـق «عـوض» عـلى ذلـك: حتـى لا يقـع أحـد ضحيـة الـبراءة الظاهـرة للكلـمات، فـإن «إيبـان» يسـتدرك بسرعـة قائـلا: «لكـن الأمـن والسـلام لهـما مضمـون إقليمـى يتعلـق بـالأرض».

كان «الانتظـار إلى جـوار التليفـون» موجـودا فى ضفـة أخـرى مـن العـالم، ففـى «واشـنطن» جلـس «جونسـون» ينتظـر مـع مستشـاريه المكالمـة التـى تحمـل خـبر انهيـار مـصر مـن الداخـل بانقـلاب عسـكرى، أو بإفـلاس اقتصـادى، أو بثـورة شـعبية، أو بـكل هـذا معـا، فتلـك هـى المقدمـة التـى لا يمكـن بغيرهـا المضى فى «إعـادة رسـم خريطـة الـشرق الأوسـط».

الانتظـار بجـوار «التليفـون» كان يعنـى حسـب قـول «عـوض»: الطموحـات الإسرائيليـة افترضـت أن مـصر قبلـت نتائـج حـرب يونيـه باعتبارهـا الكلمـة الأخـيرة، ولـن تفكـر مطلقـا فى إعـادة بنـاء جيشـها، كـما أنهـا لـن تتمكـن مـن ذلـك، وسـوف يتجـرع عبدالنـاصر، أو مـن يحـل محلـه، مـرارة التقوقـع داخـل عزلـة يدعمهـا العـالم العربـى، لكـن بـدلا مـن الانهيـار حـدث العكـس وتمسـك المصريـون والعـرب بـ«عبدالنـاصر» الـذى لم يقـترب مـن التليفـون.

١٧ يونيه عام ١٨٠٠
إعدام «سليمان الحلبى» على خازوق ورفض طلبه بشربة ماء

سأل المحقق الفرنسى الشخص الذى تم القبض عليه بتهمة قتل «كليبر» عن اسمه، وسبب إقدامه على ارتكاب جريمته، فأنكر معرفته بها، وبالتعذيب القاسى جاء الاعتراف.

قال المتهم: «اسمى سليمان محمد أمين الحلبى»، عمرى ٢٤ سنة، وأبى تاجر من حلب.

سأله المحقق: «لماذا جئت إلى القاهرة، ولماذا أقدمت على الجريمة؟» فحكى القصة كاملة.

اعترف بأنه غادر سوريا إلى بيت المقدس، ثم حضر إلى القاهرة خصيصا لقتل «كليبر»، وقضى واحدا وثلاثين يوما حتى ينفذ خطته، وطبقا لنص التحقيقات التى تضمَّنها كتاب «مواقف حاسمة فى تاريخ القومية العربية»، المجلد الثانى لمؤلفه «محمد صبيح» قال سليمان، إن رؤساء الجيش العثمانى هم الذين حرضوه، حيث التقى بضابط من ضباط الجيش العثمانى اسمه «أحمد أغا»، كان يعرفه منذ أن كان رئيسا للإنكشارية فى حلب، وكان هذا الضابط معزولا من وظيفته، وجاء إلى القدس ليسعى إلى مقابلة الصدر الأعظم ويلتمس منه إعادته إلى منصبه.

شـكا «سـليمان» إلى «أغـا» مـن مظـالم إبراهيـم باشـا والى حلـب لوالـده، وإجباره عـلى أداء غرامـات فادحـة، وطالبـه بالتدخـل مـن أجـل أن يرفـع عـن والـده الظلم، فوعـده «أغـا» بمسـاعدته عـلى أن يسـافر إلى مـصر لاغتيـال «كليبر».

قبـل «سـليمان» العـرض، وحـضر إلى القاهـرة التـى كان يعرفهـا مـن قبـل حـين حـضر إليهـا وقـضى فيهـا ثـلاث سـنوات كاملـة لطلـب العلـم فى الأزهـر، وظـل يراقـب الموقـف يومـا بعـد يـوم لتنفيـذ خطـة الاغتيـال التـى صمـم عليهـا.

أصـدر الجنـرال «مينـو» يـوم ١٥ يونيـه ١٨٠٠ أمـرا بتشـكيل محكمـة عسـكرية لمحاكمـة «الحلبـى» ومعـه آخـرون اعدَّتهـم المحكمـة شركاء لـه، لأنهـم عرفـوا بمخططـه ولم يبلغـوا عنـه، وهـم محمـد الغـزى، أحمـد الـوالى، عبـد الله الغـزى، عبدالقـادر الغـزى، وكذلـك مصطفـى أفنـدى البروسـه الـذى بـات عنـده سـليمان أول ليلـة حـضر فيهـا إلى القاهـرة.

قضـت المحكمـة فى مثـل هـذا اليـوم «١٧ يونيـه ١٨٠٠» باعتبـار سـليمان الحلبـى وشركائـه الأربعـة مذنبـين، وبـراءة مصطفـى أفنـدى وإطـلاق سراحـه، وحكمـت بإحـراق يـد سـليمان اليمنـى ثـم إعدامـه عـلى الخـازوق، وتـرك جثتـه تأكلهـا الطير، وإعـدام شركائـه الأربعـة بقطـع رءُوسـهم وإحـراق جثثهـم بعـد الإعـدام مـع مصـادرة أمـوال المتهـم «عبـد القـادر الغـزى»، وكان هاربـا ولم يكـن عنـده مـال.

يصـف كتـاب «بونابـرت فى مـصر» لحظـات تنفيـذ الأحـكام، والتـى بـدأت بتنفيـذ قطـع الـرءُوس، وكان الفحـم أثنـاء ذلـك يُحمـى فى مجمرة، ولم يشـكُ سـليمان ويـده تشـوى عـلى الجمـر، ولكـن حـين انزلقـت جمـرة إلى مرفقـه، نبـه إلى أن الحكـم عليـه لم يذكـر المرفـق بـل اليـد فقـط، ورأى «برطلمـين» وهـو منفـذ الحكـم، أن هـذه مماحكـة مـن سـليمان، وقـال سـليمان إن برطلمـين نصرانـى كلـب، وأصر عـلى حقوقـه حتـى أُزيحـت عـن مرفقـه الجمـرة.

بعـد حـرق اليـد بـدأت عمليـة «الخوزقـة»، وتـم تنفيذهـا عـلى خمـس خطـوات، كان الحـاضرون لا يـرون فى هـذا الإجـراء الوحشـى مشـكلة، بـل يـرون فيـه إجـراء عاديـا لا غبـار عليـه، ولمـا أتـم «برطلمـين» القسـم التمهيـدى مـن العمليـة، رفـع

الخـازوق قائـما وعليـه سـليمان ثـم غـرس فى الأرض، ورجـا سـليمان جنديـا فرنسيا واقفـا أن يعطيـه شربـة مـاء، وكان عـلى وشـك أن يناولـه زمزميتـه لـولا أن منعـه «برطلمـين» قائـلا: «أقـل شربـة مـن المـاء كفيلـة بقتلـه فـورا، فيتعطـل مجـرى العدالـة».

جـاء تنفيـذ الأحـكام فى حـق سـليمان وباقـى المتهمـين بعـد تشـييع «كليـبر» ودفنـه فى مقـبرة أُعـدت خصيصـا بحديقـة «قـصر العينـى»، وبعـد سـاعات قـضى «سـليمان» نحبـه وهـو عـلى الخـازوق.

١٨ يونيه عام ١٩٥٣
إعلان الجمهورية برئاسة محمد نجيب..
والأمير محمد عبد المنعم يبكى

ذهب اللواء محمد نجيب إلى الأمير محمد عبد المنعم الوصى على العرش الملكى بعد قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢، ليبلغه بخبر إلغاء الملكية، وتحول مصر إلى «الجمهورية»، فاهتز عاطفيا، ويقول «محمد نجيب» فى مذكراته «كنت رئيسا»، الصادرة عن المكتب المصرى الحديث، القاهرة: «بكى الأمير «عبد المنعم» وهو يسمع الكلمة الأخيرة فى حكم أسرة محمد على».

جاء اللقاء فور إصدار مجلس قيادة الثورة بيانا، يعلن فيه إلغاء النظام الملكى فى مثل هذا اليوم «١٨ يونيه ١٩٥٣»، ووجه البيان أعنف نقد إلى أسرة محمد على، قائلا:

«إن تاريخ أسرة محمد على فى مصر كان سلسلة من الخيانات التى ارتُكبت فى حق هذا الشعب، وكان من أولى هذه الخيانات إغراق إسماعيل فى ملذاته، وإغراق البلاد بالتالى فى ديون عرضت سمعتها وماليتها للخراب، حتى كان ذلك سببا تعللت به الدول الاستعمارية للنفوذ إلى أرض هذا الوادى الآمن الأمين، ثم جاء «توفيق» فأتم هذه الصورة من الخيانة السافرة فى سبيل محافظته على عرشه، فدخلت جيوش الاحتلال أرض مصر لتحمى الغريب على العرش الذى استنجد بأعداء البلاد على أهلها، وفاق «فاروق» كل من سبقوه من هذه الشجرة، فأثرى وفجر، وطغى وتجبر وكفر، فخط لنفسه

نهايتـه ومصـيره، فـآن للبـلاد أن تتحـرر مـن كل أثـر مـن آثـار العبوديـة التـى فرضـت عليهـا نتيجـة لهـذه الأوضـاع».

وبعـد هـذه المقدمـة ذكـر البيـان قـرارات قيـادة الثـورة، وكان أولهـا نصـا: «نعلن اليـوم باسـم الشـعب إلغـاء النظـام الملكـى وحكـم أسرة محمـد عـلى مـع إلغـاء الألقـاب مـن أفـراد هـذه الأسرة».

ثانيًـا: إعـلان الجمهوريـة وتـولى الرئيـس اللـواء أركان حـرب محمـد نجيـب قائـد الثـورة رئاسـة الجمهوريـة، مـع احتفاظـه بسـلطاته الحاليـة فى ظـل الدسـتور المؤقـت الصـادر فى ١٠ فبرايـر ١٩٥٣.

ثالثًـا: يسـتمر هـذا النظـام طـوال فـترة الانتقـال، ويكـون للشـعب الكلمـة الأخـيرة فى تحديـد نـوع الجمهوريـة، واختيـار شـخص الرئيـس عنـد إقـرار الدسـتور الجديـد.

وفى اليـوم نفسـه، أصـدر «محمـد نجيـب» قـرارا جمهوريـا بـ«تعيين حـضرة الصاغ أركان حـرب محمـد عبدالحكيـم عامـر قائـدا عامـا للقـوات المسـلحة ويمنـح رتبـة اللـواء، وتعيـين سـليمان حافـظ، مستشـارا قانونيـا لرئيـس الجمهوريـة بمرتـب ٣ آلاف جنيـه فى السـنة».

تقـرر تعديـل التشـكيل الـوزارى، وفى التعديـل الجديـد أصبـح البكباشـى جمـال عبدالنـاصر نائبـا لرئيـس الـوزراء ووزيـرا للداخليـة، وأصبـح عبداللطيـف البغـدادى وزيـرا للحربيـة، وتـم تعيـين صـلاح سـالم وزيـرا للإرشـاد القومـى ووزيـرا للدولـة لشـئون السـودان.

بمقتـضى إعـلان الجمهوريـة وتـولى محمـد نجيـب منصـب رئيـس الجمهوريـة، كان مـن الطبيعـى أن ينتقـل «نجيـب» إلى قـصر عابديـن، لممارسـة مهـام منصبـه، لكنـه رفـض وفضـل البقـاء فى منزلـه بـ«حلميـة الزيتـون»، ويقـول فى مذكراتـه «كنـت رئيسـا لمـصر»، مذكـرات محمـد نجيـب، المكتـب المـصرى الحديـث، الطبعـة الثانيـة ١٩٨٤: «رغـم أن بيتـى بسـيط ولا يليـق بـأن يكـون بيتـا لرئيـس الجمهورية،

ورغم بعده عن قلب العاصمة، فقد فضلت البقاء فيه، لكى أقنع الآخرين بالتقشف وإعطاء المثل لهم».

يضيف «نجيب»: «عندما قالوا لى إن مرتب رئيس الجمهورية سيكون ستة آلاف جنيه فى السنة أى خمسمائة جنيه فى الشهر، عرضت التنازل عن نصف هذا المرتب طوال فترة الرئاسة، نظرا لما تتطلبه الدولة من أموال تستدعيها المشروعات الجديدة».

١٩ يونيه عام ١٩٦٥
انقلاب بومدين على بِنْ بيلاً فى الجزائر
بعد منتصف الليل بعشر دقائق

بعد منتصف الليل بعشر دقائق، أطفأ الرئيس الجزائرى «أحمد بن بيلا» النور فى غرفة نومه فى الفيلا التى يسكن فيها، وأغمض عينيه ونام.

بعد ساعتين تماما وصل إلى «الفيلا» خمسة من كبار الضباط فى الجيش الجزائرى، وفتح العقيد «طاهر الزبيرى» رئيس أركان حرب الجيش باب الغرفة، ودخل الباقون معه، ومد يده إلى مفتاح النور فأداره، وامتلأت الغرفة بضياء مفاجئ.

فتح «بن بيلا» عينيه على مفاجأة الضوء، وجلس فى سريره ينظر بدهشة إلى الضباط ويحاول استجماع حواسه.

بادره «الزبيرى» قائلا: «سى أحمد، إن المناضلين الحقيقيين تحملوا مسؤولياتهم فى هذا البلد»، ولم يفهم «بن بيلا» على الفور، فتطلع إلى «الزبيرى» باستغراب دون أن يقول شيئا، ثم قال «الزبيرى»: «سى أحمد، أنت لم تعُد رئيسا للجمهورية، ويلزمك الآن أن تستريح».

هكذا يصف محمد حسنين هيكل فى كتابه «الانفجار»، الصادر عن مؤسسة الأهرام القاهرة، اللحظات التى تم فيه انقلاب «هوارى بومدين» وزير الدفاع الجزائرى على رئيسه «أحمد بن بيلا» فى مثل هذا اليوم «١٩

يونيه ١٩٦٥»، وكانت ختاما دراميا لقصة نضال طويلة جمعت الاثنين ضد احتلال فرنسي للجزائر استمر ١٣٠ عاما، ورحل عام ١٩٦٣ بعد أن قدمت الجزائر مليون شهيد، وساندتها مصر بقوة في مشهد ثورتها بالسلاح وإيوائها لرموزها خاصة «أحمد بن بيلا»، الذي اكتشفه «فتحي الديب» مسؤول دائرة الشؤون العربية التابعة لرئاسة الجمهورية.

في كتابه «عبدالناصر وثورة الجزائر»، الصادر عن دار المستقبل العربي، القاهرة، يشرح «الديب» وبالتفصيل الدور المصري منذ لحظة اكتشافه لـ«بن بيلا» وتقديمه إلى عبدالناصر عام ١٩٥٤، وحتى الانقلاب، وطبقا لـ«هيكل» و«الديب»: «كانت مصر على علم بكل الخلافات التي احتدمت بين «بن بيلا» و«بومدين»، وفشلت وساطاتها بين الاثنين.

بعد الانقلاب كتب «عبدالناصر» خطابا إلى «بومدين»، قال فيه: «إن تنحية الأخ أحمد بن بيلا كانت صدمة عاطفية للجماهير العربية على اتساع العالم العربي كله، وليس ذلك بالأمر المستغرب لمكانه في الثورة الجزائرية، ولمكانة الثورة الجزائرية في النضال العربي، ولست أخفي عليك أنه يوم تنحيته كان يوم حزن عميق في الجمهورية العربية المتحدة».

كان بن «بيلا»، أول رئيس للجزائر «١٩ أكتوبر ١٩٦٣» وذلك بعد استقلالها، حكم الفرنسيون عليه بالسجن ٧ سنوات عام ١٩٥٠ وهرب بعد عامين، واختطف الفرنسيون طائرة كانت تقلُّه عام ١٩٥٦، ليبقى سجينا عامين ونصف العام، وبعد الانقلاب عليه ظل سجينا حتى أفرج عنه الرئيس «الشاذلي بن جديد» يوم ٣٠ أكتوبر ١٩٨٠، لتبلغ سنوات سجنه ما يقرب من ٢٠ عاما من أجل بلاده.

كان بَشُوشًا ومبتسمًا على الدوام، وفي لقاء لي معه عام ٢٠٠٠ في حوار مطول استمر نحو ثلاث ساعات، سألته عما يحمله نحو الذين انقلبوا عليه، فأجاب مبتسما ومتسامحا: «أخذت نصيبي وأخذوا نصيبهم، فليسامحنا الله جميعا».

٢٠ يونيه عام ١٩٤٨
انفجار قنبلة فى حارة اليهود تقتل وتصيب ٦٣ يهوديًا

انفجرت قنبلة فى حارة اليهود «القرَّائين» بالقاهرة، فأدت إلى مقتل اثنين وعشرين يهوديا، وجرح واحد وأربعون آخرون، وأُصيب العديد من المبانى بأضرار فادحة، حدث هذا فى مثل هذا اليوم «٢٠ يونيه ١٩٤٨»، وتوجهت أصابع الاتهام إلى جماعة الإخوان.

كانت مصر تعيش أجواء حرب ١٩٤٨، التى جاءت بعد إعلان قيام دولة إسرائيل، حيث دخلت مصر بالإضافة إلى أربعة جيوش عربية فلسطين يوم ١٥ مايو ١٩٤٨ بحلم أن يتم القضاء على قرار التقسيم الصادر عن الأمم المتحدة، الذى منح اليهود نصف الأرض الفلسطينية لقيام دولة إسرائيل عليها، وكان ذلك بمثابة الخطوة التى ألقت بظلالها الكثيفة على أوضاع اليهود فى مصر.

حسب كتاب «يهود مصر من الازدهار إلى الشتات»، الصادر عن دار الهلال، القاهرة للدكتور محمد أبو الغار: «قال الدكتور محمد حسين هيكل فى الأمم المتحدة عام ١٩٤٧ عند مناقشة قضية فلسطين، وبوصفه رئيسًا لمجلس الشوري المصرى: عندما يسيل الدم الفلسطينى فى إسرائيل سوف يؤدى بالضرورة إلى إسالة الدم اليهودى فى البلاد العربية، مهما حاولت الحكومات العربية بإخلاص منع ذلك».

قبل هذا التحذير، وكان انفجار القنبلة فى حارة اليهود فى مثل هذا اليوم نموذجًا عمليًا عليه.

وفى كتابه «شتات اليهود المصريين»، دار الشروق، القاهرة، يتحدث الباحث جوئل بينين عما حدث فى تفجير ٢٠ يونيه قائلا: «قامت السلطات المصرية بإلقاء اللوم بشكل غير مقنع على ألعاب نارية مخزنة بمنازل يهودية، وكذلك على العداء بين طائفتَى «القرائين» و«الربانيين»، وذكرت صحيفة الأهرام أن رد فعل الشرطة ورجال الإطفاء حيال الحريق كان سريعًا وفعالًا، لكن شهود العيان اليهود الذين كانوا بموقع الحادث شهدوا بأن استجابة السلطات تميزت بالبطء والإهمال، وتم وضع التقارير والتعليقات الخاصة بالحادثة التى وردت فى صحيفة «الكليم» تحت رقابة مشددة، وقام المحررون بترك مساحات خالية فى مقالاتهم فى أعداد كثيرة صدرت عقب عملية القنبلة، احتجاجًا على تعامل الحكومة مع الحادث ومسألة الرقابة».

وجريدة «الكليم» هى واحدة من الصحف اليهودية التى ظهرت فى القاهرة منتصف الأربعينيات من القرن الماضى، ويقول الكاتب الصحفى محمود عوض فى كتابه «وعليكم السلام»، دار المعارف، القاهرة : «دعت صحيفة الكليم بسرعة إلى شحذ همم الشباب كى يهاجروا إلى تلك البلاد- فلسطين».

تكررت الهجمات فيما بعد على متجرَىْ «شيكوريل» و«أوريكو» بشارع ٢٦ يوليو يوم ١٩ يوليو، تبعه إلقاء قنابل على متجرى «عدس» و«جاتينيو» يومَىَ ٢٨ يوليو، و١ أغسطس، وفى يوم ٢٢ سبتمبر وقع انفجار فى حارة اليهود الربانيين، أسفر عن مقتل ١٩ وجرح ٦٢، وكانت آخر الهجمات ضد يهود القاهرة هى تدمير الشركة الشرقية للدعاية والإعلان، وهى شركة كبيرة ظلت تعمل فى أثناء الحرب، وحدث ذلك عن طريق قنبلة ألقيت عليها فى يوم ١٢ نوفمبر.

فى محاكمة تم إجراؤها عام ١٩٥٠ لمتهمين من جماعة الإخوان، تم توجيه الاتهام لأعضائها بتنفيذ كل هجمات القنابل على يهود القاهرة من يونيه إلى نوفمبر ١٩٤٨، وهى الفترة التى بدأت معها هجرة اليهود المصريين.

٢١ يونيه عام ١٨٠٠

الأقباط يعترضون على إغلاق الجامع الأزهر.. و« شيخه » يخاطبهم: «اكفونا شر دسائسكم يا قبطة»

تحول الجامع الأزهر إلى مكان مهجور، تم دق أبوابه بالمسامير للتأكد من أنه لا أحد يتسلل إليه، أوقفت الصلاة به، ولم يعُد مكانا تنطلق منه المقاومة ضد الفرنسيين، حدث هذا فى مثل هذا اليوم «٢١ يونيه ١٨٠٠» بعد مقتل «كليبر»، قائد الحملة، على يد «سليمان الحلبى».

فى تاريخ الجامع الأزهر حدث أن تم إغلاقه مرتين، الأولى كانت فى عهد صلاح الدين الأيوبى الذى أراد أن يحد من الثقافة الشيعية التى غلبت على «الأزهر» فى العصر الفاطمى، واستمر إغلاقه نحو ٩٨ عاما.

أما المرة الثانية فكانت عقب مقتل «كليبر»، واستمر الإغلاق نحو عام ويقول الدكتور عبد العزيز محمد المنشاوى فى كتابه «الأزهر جامع وجامعة»، الصادر عن مكتبة الأسرة، القاهرة، إن التحقيق فى مقتل «كليبر» كان يتجه إلى تصيُّد القرائن أو الأقوال التى تثبت علم الشيخ الشرقاوى شيخ الجامع الأزهر، أو علم غيره من كبار العلماء بمشروع القتل، ولكن لم يسفر التحقيق فى النهاية عن شىء من ذلك، لكن قلوب الفرنسيين لم تطمئن إلى سلامة موقف علماء الأزهر وطلبته، وكان تقديرهم أن قيام القاتل «سليمان الحلبى» ثلاثين يوما فى الأزهر ينسج فيه خيوط فعلته، دليل على أن الأزهر هو المكان الصحى الذى تدبر فيه المؤمرات لاغتيال القادة الفرنسيين.

ويقول «عبدالرحمن الرافعي» في كتابه «تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم في مصر - الجزء الثاني»، دار المعارف، القاهرة : «رأى العلماء أن الأزهر أصبح عرضة للريبة والتفتيش، فعرضوا على الفرنسيين إقفاله مؤقتًا»، واتخذ هذا القرار شيخ الأزهر «عبدالله الشرقاوي»، والشيخان «المهدى والصاوى»، وجاء قرارهم بعد أن ذهب الجنرال «مينو» خليفة «كليبر» في قيادة الحملة الفرنسية إلى الأزهر بصحبة قومندان المدينة «الجنرال بليار» والأغا «المحافظ»، وطافوا به وشرعوا في حفر ما به من الأماكن بحجة التفتيش عن السلاح، فأخذ طلبة العلم في نقل أمتعتهم منه، ونقل كتبهم، وإخلاء الأروقة، وكتب الفرنسيون أسماء الطلبة في كشوف وأمروهم ألا يؤووا بالجامع غريبًا، وأخرجوا منه المجاورين العثمانيين ومنهم الشوام».

رأى المشايخ الثلاثة أن بقاء الجامع مفتوحا سيعرضه لأخطار، وبالتالى فمن الأفضل إغلاقه، وذهب «الثلاثة» إلى «مينو» يستأذنونه في إغلاق الجامع وشرحوا له وجهة نظرهم التى تتمثل في منع الريبة، لأن الأزهر له سعة لا يمكن معها الإحاطة بكل من يدخله.

وافق «مينو» على اقتراح المشايخ الثلاثة دون استشارة نقيب الأشراف «خليل البكرى» ولا الشيخ «السادات» ولا الأعيان الذين هم صفوة المجتمع وقتئذ، وكان قرار الإغلاق سيترتب عليه وقف الدراسة وتعطيل الصلاة غير أن اللافت هو موقف الأقباط، فحسب ما يذكره «حلمى النمنم» في كتابه «الأزهر الشيخ والمشيخة»، أن الأقباط أصابهم الذهول من قرار الإغلاق، فقالوا للشيخ «الشرقاوى»: «هذا لا يصح ولا يتفق»، وكان هذا الرأى أكثر إدراكًا لقيمة الأزهر ودوره.

غضب الشيخ «الشرقاوى» من غضب الأقباط وشكواهم فرد بعبارة تنم عن الخوف الشديد: «اكفونا شر دسائسكم يا قبطة»، ويعلق «النمنم» على هذا الرد الغريب قائلًا: «لا ندرى ما الدسيسة في ذلك؟ فالشيخ الشرقاوى كان يتصرف بمنطق وعقلية الخوف البالغ».

٢٢ يونيه عام ١٨٨٣
«الكوليرا» تظهر فى دمياط وتنتقل فى المحافظات.. والضحايا ٦٠ ألفًا.

لم يمر أقل من عام على الاحتلال الإنجليزى على مصر حتى حلت كارثة انتشار وباء الكوليرا، وأطلق المصريون عليه اسم «الهيضة» و«الشوطة»، وجاءت تسمية «الشوطة» تعبيرًا عن انتشار حالات الوفيات، وسرعتها الرهيبة بين المصريين فى القرى والكفور والنجوع من الدلتا إلى الصعيد.

هى محنة عاشها المصريون، وكانت ثنائية الفقر والجهل بمثابة البيئة الخصبة التى ساعدت على انتشارها، ويسجلها المؤرخ «عبدالرحمن الرافعى» فى كتابه «مصر والسودان»، مشيرا إلى أن المرض ظهرت حالته الأولى فى دمياط فى مثل هذا اليوم «٢٢ يونيه ١٨٨٣»، وانتشر منها إلى باقى القطر.

ويسجل «الرافعى» اختلاف الآراء حول مصدر المرض، فقال بعضهم إنه نشأ فى دمياط ذاتها، وانتشر لقلة العناية بالوسائل الصحية، وقال آخرون إنه وافد من الهند، وهو الرأى الذى أيدته الملابسات، حيث أظهرت التحقيقات أن أحد قبطان البواخر البريطانية التى وصلت لمصر قادمة من الهند نزل إلى البر، وجاء إلى دمياط، ولم يكد يصل إليها حتى ظهر الوباء فيها، وساعد على سريان عدواه بها رطوبة مناخها، وكثرة ما فيها من الحوارى الضيقة المتعرجة، ومرور خليج فى وسطها يستقى منه سكانها، ويصل ماء النيل إلى

الأراضي المجاورة لها، وكان سببًا فى زيادة الرطوبة فى منازلها، وزاد منها قلة الوسائل الصحية التى كانت عليها مصر.

حضرت بعثات طبية دولية لفحص المرض للوقوف على أسبابه، فأثبتت أنه قادم بالفعل من الهند، وانتشر من دمياط إلى المدن الأخرى، وعلى الأخص فى مدن شربين والمنصورة وطلخا وسمنود والمحلة الكبرى وطنطا وزُفْتى وميت غمر والسنبلاوين ومنوف وكفر الزيات ودمنهور وكفر الدوار والإسكندرية ورشيد وبورسعيد والإسماعيلية والسويس والزقازيق، ثم القاهرة وبنها والجيزة وبنى سويف والمنيا وأسيوط وجرجا وقنا.

وتكشف خريطة انتشار «الكوليرا» أو «الهيضة» أو «الشوطة» أنه غطى تقريبًا كل أنحاء مصر، وكان حصاده كارثة بكل المقاييس، حيث بلغ عدد المتوفين فى دمياط ١٩٣٦ شخصا، وفى الإسكندرية ١٠٣٤، وفى شبين الكوم ١١٢٠، وحصلت القاهرة على نصيب الأسد، حيث بلغ عدد ضحايا المرض فيها وحدها ٥٦٦٤.

كان المصريون مع كل صباح يترقبون فيما بين عوائلهم من سيصيبه المرض الذى يؤدى إلى الوفاة مباشرة، نظرًا لعدم وجود أى إسعافات سريعة، وكانت حالة التداوى من الأمراض المنتشرة وقتها تعتمد على الوصفات واللجوء إلى الشيوخ وأعمال السحر، وفيما كان يحدث ذلك، كانت الحكومة- وحسب قول «الرافعى»- تكافح بكل ما لديها، حيث أنشأت لجانًا فى القاهرة والإسكندرية ودمياط والمنصورة وغيرها لإسعاف المصابين وإرشادهم إلى طرق الوقاية.

يتحدث «الرافعى» عن أن حالة الهلع التى أصابت المصريين جميعًا وقتئذ، ظلت على وضعها، خاصة أن المرض انتشر انتشارًا مروعا فى الأحياء الآهلة بالسكان، ثم خفت وطأته فى أواخر شهر أغسطس، أى بعد نحو أكثر من شهرين، وأمكن استئصاله فى شهر ديسمبر بعد أن بلغ عدد الضحايا ٦٠ ألفا.

٢٣ يونيه عام ١٩٩٥
رحيل عاطف الطيب..
وقائمة أفضل مائة فيلم مصرى تشمل ثلاثة من إخراجه

«أتلمَّس المشاكل التى تهم المواطن من الطبقة المتوسطة، وبالذات من أبناء جيلى، ويجب أن نكون شاهدين على عصرنا بلا تزييف أو تشويه، فأنا أترجم ما يمكن أن يمس كل ما يعتمل داخل الناس ويؤثر فيهم، كل ما يهزهم فى حياتهم اليومية، وخلاصة القول أن نحاول التعبير بصدق وأمانة وعيوننا على ما يحدث فى مجتمعنا، فى الحياة، ونشحن هذا بأعمالنا الفنية».

هكذا لخص المخرج عاطف الطيب الذى رحل فى مثل هذا اليوم «٢٣ يونيه ١٩٩٥» رؤيته لأعماله الفنية التى لا يفصلها عن همومه كمواطن عاش مرحلتين متناقضتين فى تاريخ مصر، الأولى مع ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ حيث ولد قبلها بخمس سنوات «٢٦ ديسمبر ١٩٤٧» بجزيرة «الشوارنية» مركز المراغة محافظة سوهاج، وعاش سنوات الثورة بمعاركها الكبيرة من أجل الاستقلال الوطنى والعدالة الاجتماعية، وبعد أن أنهى دراسته التحق جنديا بالجيش من عام ١٩٧١ حتى ١٩٧٣.

عاش «الطيب» مرحلته الثانية، فبعد خروجه من الجيش والانتصار على إسرائيل فى حرب ٦ أكتوبر ١٩٧٣ وجد مصر تدخل مرحلة جديدة تسحق الطبقة المتوسطة التى تكونت بفضل ثورة ٢٣ يوليو، ويتحول فيها الصديق إلى عدو بالسلام مع إسرائيل، ومع ما سُمى بـ«الانفتاح الاقتصادى» تسيّد

أسـلوب «الفهلـوة» فى مقابـل تراجـع قيـم العمـل، وانفتـح الطريـق أمـام تيـارات التكفـير التـى تطايـر معهـا رصـاص الإرهـاب.

هكـذا كان الواقـع هـو الخمـيرة الجاهـزة لطبخـة «الطيـب» السـينمائية، التـى وجدناهـا فى نمـوذج «حسـن» بفيلـم «سـواق الأتوبيـس» الـذى خـاض معركـة تحريـر الأرض كجنـدى فى الجيـش، وبعـد خروجـه وجـد الفاسـدين يتسـيدون المشـهد فى مقابـل انسـداد فرصـة العيـش بكرامـة أمامـه وأمـام أبنـاء جيلـه الذيـن حلمـوا فضحّـوا مـن أجـل حلمهـم، وحـين وجـد وهـو يقـود أتوبيـس هيئـة النقـل العـام لصـا، تـرك الأتوبيـس وأصرّ عـلى ملاحقتـه حتـى أمسـك بـه، وناولـه بـكل عـزم وقـوة لكـمات بقبضـة يديـه صائحـا «يـا ولاد الكلـب».

سرت صيحـة «يـا ولاد الكلـب» عـلى كل الألسـنة، وأصبـح المشـهد كلـه أيقونـة سـينمائية فاضحـة لمرحلـة الفسـاد التـى نخـرت فى جسـد مـصر، وبقـدر مـا عـبرت عـن حالـة انكسـار جيـل، شـددت عـلى أن المقاومـة اختيـار لا فـكاك منـه.

لم ينجـب «عاطـف الطيـب» أطفـالا، لكنـه كان يسـابق الزمـن فى رحلـة حياتـه القصـيرة، ليـترك عـددا أكـبر مـن الأفـلام التـى أخرجهـا «٢١ فيلـما» وجعلتـه واحـدا مـن أهـم مخرجـى السـينما المصريـة عـبر تاريخهـا، وحسـب رأى الناقـد الفنـى طـارق الشـناوى: «يظـل نقطـة فارقـة فى تاريـخ السـينما المصريـة ومخرجـا اسـتثنائيا، وفى مجمـل أفلامـه قـدم السـينما كـما يريدهـا وبـشروط لا تتناقـض مـع السـوق، تختلـف أعمالـه أحيانـا لكـن بدرجـة لا تصـل إلى حـد التناقـض».

فى مسـيرته السـينمائية تـرك ثلاثـة أفـلام ضمـن أفلامـه الـ«٢١» فى قائمـة أفضل مائـة فيلـم أنتجتهـا السـينما المصريـة، حيـث احتـل فيلـم «سـواق الأتوبيـس» المرتبـة الثامنـة، واحتـل فيلـم «الـبرىء» المرتبـة الـ«٢٨»، وفيلـم «الحـب فـوق هضبـة الهـرم» احتـل المرتبة الـ«٦٧».

٢٤ يونيه عام ١٨٧٩
أوروبا تعزل «إسماعيل» فى منتصف الليل.. ووالدته تخشى خروجه

تجاوز الوقت منتصف الليل، ومع ذلك كانت هناك مقابلة عاجلة مع الخديو إسماعيل فى قصر عابدين، ولم يصبر قناصل فرنسا وإنجلترا وألمانيا حتى الصباح، فأسرعوا مهرولين إلى «القصر» فى مثل هذا اليوم «٢٤ يونيه ١٨٧٩».

فى كتابه «تاريخ مصر فى عهد الخديو إسماعيل باشا»، الصادر عن مكتبة مدبولى، القاهرة، يقول إلياس الأيوبى: «لما عرف فى دار الحريم أن الأوروبيين يطلبون مقابلة الخديو فى تلك الساعة من الليل، وقع الصوت وقامت القيامة، وعجت الدار بمن فيها عجا لا يوصف، وخافت سمو الوالدة أن تكون هناك مكيدة ضد حياة ابنها، فرجته بعدم الخروج، ولكنها لما علمت أن الأوروبيين إنما هم قناصل ألمانيا وفرنسا وإنجلترا، وأن شريف باشا بصحبتهم، رضيت أن يقابل زائريه».

نزل الخديو منفعلا جدا، سأل: «ما الخبر؟»، فأبلغوه: «لابد من استقالتك»، فأظهر تكدرا من أنهم أقلقوه فى هذا التوقيت غير المناسب حتى يبلغوه بهذا الخبر، وقال: «لن أستقيل».

لم يكن حديث عزل «إسماعيل» جديدا، ففى يوم ١٩ يونيه طلب قنصلا فرنسا وإنجلترا مقابلته، بناء على التعليمات الواردة إليهما من دولتيهما، وأبلغاه

نصا: بأن الحكومتين الفرنساوية والإنجليزية متفقتان على الإشارة لسموك رسميا بالاستقالة، ومغادرة القطر المصرى، فإذا اتبع سموك هذه النصيحة فإن الحكومتين ستعملان معا على منحك مرتبا سنويا كافيا، وعلى حفظ نظام الوراثة الذى بمقتضاه سيخلف ابنك الأمير محمد توفيق سموك على عرش مصر، وإذا رفضت التنازل، وأجبرتهما على مخاطبة السلطان «العثمانى» رأسا، فإنك لن تستطيع الاعتماد على تعيين راتب سنوى لك، ولا على حفظ حق الوراثة للأمير محمد توفيق.

فى «مذكرات نوبار باشا»، الصادر عن دار الشروق، القاهرة، رئيس مجلس النظار والرجل القوى فى حكم مصر من أواخر عهد محمد على وحتى انتهاء عصر إسماعيل، يتحدث عن أن إسماعيل قرر التنازل لكنه سحب قراره بعد أن شجعه وكيله لدى «الباب العالى» على المقاومة، غير أن جلسة مجلس الوزراء برئاسة «السلطان» عبدالحميد قررت عزله، لأنه لم يكن يليق بالإمبراطورية أن يتنازل بناء على رغبة القوى العظمى بعيدا عن السلطان، فـ«إسماعيل» كان مرتبطا بحاكمه الأعلى بموجب الفرمانات، وبالتالى كان على حاكمه هو الذى يقرر مصيره فى الحكم واتخاذ الإجراءات ضده.

بعد مقابلة منتصف الليل، جاء اليوم التالى «٢٥ يونيه» مزودا برغبة الخديو أن يقابل «القوة بالقوة»، طالما لا يستطيع التمسك بحقوقه الأدبية، فأمر بإعداد مشروع مرسوم يرفع عدد الجيش المصرى، وناقش أمر إغراق الأراضى المحيطة بالإسكندرية لمنع الأعداء من التقدم إلى داخل البلاد، واستدعى إليه كبار ضباطه، واستوثق من إخلاصهم وولائهم، ولكنه وجد منهم فتورا، وقرأ التردد على وجوه معظمهم، وعزم التخلى عنه على وجوه البعض، وأكد له أحد المخلصين أنه لا ينتظر أن يقوم الجندى المصرى بنصرته، إذا كان العزل بإرادة سلطانية، فأدرك أن اللعبة ضاعت وأن الأمر قد قضى، واستعد للرحيل.

٢٥ يونيه عام ١٩٦٨
عبد الناصر يفتتح الكاتدرائية ..
ويقول للبابا كيرلس: «لا تكسف أولادى»

فى تمام الساعة التاسعة صباحا يوم ٢٥ يونيه ١٩٦٨، حضر الرئيس جمال عبدالناصر إلى السرادق الكبير بجوار مبنى الكاتدرائية الجديد، ومعه حاكم إثيوبيا الإمبراطور «هيلاسلاسى»، لافتتاح «الكاتدرائية» الجديدة بالعباسية.

كان البابا كيرلس وقيادات الكنيسة فى استقبال الزعيمين، وكانت هى الزيارة الثانية لـ«الرئيس» للكاتدرائية، وكانت الأولى يوم ٢٤ يوليو ١٩٦٥ لوضع حجر الأساس، وخطب فيها قائلا: «حينما تقابلت أخيرا مع البابا فى منزلى، فاتحته فى بناء الكاتدرائية، وأن الحكومة مستعدة للمساهمة، ولم يكن قصدى المساهمة المادية فهى أمرها سهل، ولكن كنت أقصد الناحية المعنوية».

فى كتاب «البابا كيرلس وعبدالناصر»، يروى مؤلفه الكاتب الصحفى محمود فوزى، أن البابا كيرلس تعود على زيارة عبدالناصر فى منزله، وفى إحداها جاء أولاده يحملون حصالاتهم، فقال «الرئيس» لـ«البابا»: «أنا علمت أولادى وفهمتهم إن اللى يتبرع لكنيسة زى اللى يتبرع لجامع، والأولاد لما عرفوا إنك بتبنى كاتدرائية صمموا على المساهمة فيها، وقالوا هنحوش قرشين، ولما ييجى البابا كيرلس حنقدمهم له، وأرجو ألا تكسفهم وخذ منهم التبرعات»، فأخرج «البابا» منديله ووضعه على حجره فوضعوا تبرعاتهم ثم لفها وشكرهم وباركهم».

فى كتابه «خريف الغضب»، يوضح محمد حسنين هيكل، أنه كان طرفا فى قرار بناء الكاتدرائية، ونقل «البابا» إليه رغبته ومصاعبها فى أنه لم يكن يريد اللجوء لموارد من خارج مصر، كما أن التبرعات المحتملة من داخل مصر كانت قليلة، لتأثير القرارات الاشتراكية على أغنياء المسيحيين والمسلمين، إلى جانب أن المهاجرين الأقباط الجدد لم يكونوا بعد فى موقف يسمح لهم بمد يد المساعدة السخية، ثم إن أوقاف الأديرة القبطية أثرت فيها أيضا قوانين إلغاء الأوقاف.

تحدث «البابا» مع «هيكل» فيما يفكر فيه، ونقل «هيكل» الأمر إلى «عبدالناصر» الذى تفهَّم رغبة «البابا» مدركا حسب قول هيكل ثلاث حقائق، أولها، أهمية حقوق أقباط مصر فى التركيب الإنسانى والاجتماعى لشعبها الواحد، والمركز الممتاز للكنيسة ودورها فى التاريخ المصرى، ووعيه بمحاولات استقطاب مجلس الكنائس العالمى بنفوذ الغرب فيه للكنيسة المصرية.

قرر عبدالناصر مساهمة الدولة بنصف مليون جنيه فى بناء الكاتدرائية، نصفها نقدا ونصفها الآخر يُقدم عينا بواسطة شركات المقاولات التابعة للقطاع العام التى يمكن أن يُعهد لها فى البناء.

أثناء الافتتاح صعد عبدالناصر والبابا وهيلاسلاسى لإزاحة الستار عن اللوحة التذكارية، فأمسك عبدالناصر بيد البابا متألما ومتوكئا، وصدرت عنه أنَّة خفيفة، فسأله البابا: «مالك يا سيادة الرئيس، فيه حاجة، فيه أى ألم، طيب دا أنا اللى حقى أتألم من أثر الجلطة التى أصابتنى فى العام الماضى».

رد عبدالناصر: أنا أشعر بألم فى ساقى.

رد البابا: ولماذا لم تخبرنا وكنا على أتم الاستعداد للتأجيل حتى تتمكن من الشفاء. رد عبدالناصر: «لا، أنا سعيد بذلك».

٢٦ يونيه عام ١٨٧٩
«الخديو إسماعيل» يجمع مجوهرات نسائه .. وينحني لولده

«اختار الخديو إسماعيل من نساء حريمه أقربهن إلى قلبه، وجمع من الكل حليهن ومصاغهن، وكان ثمنها شيئا كثيرا، واستدعى عدة من صائغي الأقباط وأقامهم بـ«عابدين» يشتغلون ليلا ونهارا في نزع الحجارة والفصوص الكريمة ليسهل نقلها والتصرف فيها، وجرد السراى من كل رياشها الثمينة التي كانت ملكه الشخصي، ومن آنيتها الذهب الخالص والمرصعة، وقُدِّر ثمنها بثمانمائة ألف جنيه، ومن كل طنافسها القديمة وأثاثها الفاخرة ولوحاتها ونجفاتها الفضية، ولم يبقَ لخلَفَه من ٢٤ طاقم سفرة فخمة سوى طاقمين وكانا أقلها قيمة، وأرسل جميع ذلك ما عدا نسائه إلى الإسكندرية في صناديق مقفلة، ذهب بها حالا إلى يخته «المحروسة»».

الوصف السابق يكتبه «إلياس الأيوبي» في كتابه «تاريخ مصر في عهد إسماعيل باشا»، ويشرح الحالة التي كان عليها «الخديو» بعد أن قرر السلطان العثماني «عبدالحميد» عزله بناء على رغبة صممت عليها الدول الكبرى وقتئذ، وفي مقدمتها فرنسا وإنجلترا.

كان إسماعيل قد تم إبلاغه بالقرار شفهيا يوم ٢٤ يونيه، لكن الرسالة المكتوبة كانت في مثل هذا اليوم «٢٦ يونيه ١٨٧٩، ويقول «الأيوبي» إنه في ضحى «٢٦ يونيه» جيء ببرقية مكتوبة بالتركية عنوانها: «إلى إسماعيل باشا، خديو مصر سابقا»، ورفض كل من كان في «سراى عابدين» أن يكون أحدهم

أول مـن يحمـل هـذا الخـبر إلى «الخديـو» حتـى جـاء «شريـف باشـا، وزيـر مـصر الأكـبر» وذهـب بهـا إلى «إسـماعيل» ليفتحهـا ويقـرأ فيهـا قـرار العـزل، وتعيـين صاحـب السـعادة محمـد توفيـق باشـا فى منصـب الخديويـة، وكانـت نفـس البرقيـة قـد تـم إرسـالها إلى «توفيـق».

التفـت «إسـماعيل» إلى شريـف باشـا قائـلا: «اذعُ سـمو توفيـق باشـا حـالا»، كانـت برقيـة تلغرافيـة أخـرى تلقاهـا «توفيـق» مـن «البـاب العـالى»، تطالبـه باسـتدعاء جميـع العلـماء والموظفـين ووجهـاء البـلاد وأعيانهـا مسـتخدمى الحكومـة لإبلاغهـم بالقـرار الجديـد.

ونصـت البرقيـة عـلى أن تكـون المنـاداة بـ«توفيـق» خديويًـا بعـد ظهر اليـوم «٢٦ يونيه».

وصـل «توفيـق» إلى «عابديـن»، وصعـد إلى والـده فى الـدور العلـوى، كان «إسـماعيل» يجلـس وحيـدا حزينـا يسـبح فى ذكرياتـه والأسـباب التـى أدخلتـه إلى هـذا النفـق، وبينـما هـو عـلى هـذه الحـال دخـل «توفيـق»، وحسـب وصـف «الأيوبـى»: نهـض إسـماعيل وتقـدم للقيـاه، وأخـذ يـده ولثمهـا قائـلا: «أسـلم عـلى أفندينـا» ثـم قبَّلـه عـلى وجنتيـه، وتمنـى لـه أن يكـون أوفـر حظـا وأكـبر سـعادة مـن أبيـه، وبعـد ذلـك انحنـى أمامـه ودخـل دائـرة حريمـه، تـاركا لابنـه المتأثـر تأثـرا عميقـا منصبـه وقاعـة عرشـه.

تـم اسـتدعاء كل مـن أوصـت بهـم برقيـة «البـاب العـالى» إلى القلعـة للمنـاداة أمامهـم بـ«توفيـق» خديويـا، وبعـد المنـاداة دوت المدافـع، وبعدهـا اسـتقبل «توفيق» المهنئـين مـن قناصـل الـدول وكبـار الموظفـين وأعيـان ووجـوه وعلـماء ورءُوس أديـان.

فى المسـاء أخطـر «إسـماعيل» ابنـه توفيـق أنـه يرغـب فى مغـادرة مـصر يـوم ٣٠ يونيـه، لكنـه لم يحـدد جهـة السـفر، وتلـك قصـة أخـرى.

٢٧ يونيه عام ١٩٠٦
أحكام بالإعدام والأشغال الشاقة المؤبدة والسجن لـ٢١ فلاحًا فى «دنشواى»

كان الجمع غفيرًا للاستماع إلى الحكم الذى ينتظره كل المصريين فى حادثة قرية دنشواى بمحافظة المنوفية.

الحادثة هى التى يحفظها التاريخ كشاهد على وحشية الاحتلال الإنجليزى لمصر، ووقعت يوم ١٣ يونيه ١٩٠٦ أثناء رحلة لضباط إنجليز كانوا يصطادون الحمام فى «دنشواى»، فأصابوا امرأة وشيخ الخفر وخفيرًا وأشعلوا النار فى «جرن قمح»، وجرح ضابطان إنجليزيان جروحًا خفيفة، ومات ضابط آخر كان أُصيب برأسه، وقطع نحو ثمانية كيلومترات هربا من الاشتباكات التى دارت بينهم وبين الأهالى، ولما وصل إلى سوق «سرسنا» سقط من الإعياء ومات متأثرًا بضربة شمس.

تم القبض على ٥٢ من أهل دنشواى، وفر سبعة آخرون مطلوبون، وقرر بطرس باشا غالى، وزير الحقانية، تشكيل محكمة مخصوصة برئاسته، وتكونت هيئتها من ثلاثة إنجليز، ومن مصر أحمد فتحى بك زغلول، رئيس محكمة مصر الابتدائية، شقيق سعد زغلول، وعثمان بك مرتضى، رئيس أقلام وزارة الحقانية وشغل موقع سكرتير المحاكمة.

بـدأت جلسـات المحاكـات يـوم ٢٤ يونيـه، وكان إبراهيـم الهلبـاوى هـو محامـى الإنجليـز، وتكونـت هيئـة الدفـاع عـن المصريـين مـن أحمـد بـك لطفـى السـيد، وحمـد بـك يوسـف، وإسـاعيل بـك عاصـم.

قـام إبراهيـم الهلبـاوى بـدور «المحامـى العمومـى»، أى الـذى يتـولى الدفـاع والحديـث باسـم «الإنجليـز»، ويقـول أحمـد شـفيق باشـا فى الجـزء الثانـى مـن مذكراتـه: «بعـد انتهـاء الاسـتجوابات والدفـاع قـام إبراهيـم الهلبـاوى بـك وقـال: لا يوجـد مـصرى لا يشـاركنى فى شـعورى نحـو الحادثـة، ولذلـك أطلـب الحكـم عـلى المتهمـين بأشـد العقوبـة»، ثـم قـال: «فـإذا تقدمـت إليكـم وطلبـت رفـع كل رحمـة مـن نفوسـكم لمعاقبـة هـؤلاء المتهمـين وخصوصـا رؤسـاء العصابـة لا أكـون مغاليـا».

فى مذكراتـه الصـادرة عـن مكتبـة الأسرة، القاهـرة، يدافـع «الهلبـاوى» عـن موقفـه كمحـام للإنجليـز أمـام الاتهامـات التـى طالتـه بخيانـة قضيـة بـلاده لصالح الاحتـلال، ويشـير إلى أن الجلسـة التـى نظـرت القضيـة تمـت فى صيـوان كبـير يسـع نحـو ٣ آلاف شـخص، ودُعـى إلى شـهود المحاكمـة الأعيـان والعُمُـد مـن مديريـة المنوفيـة والمديريـات التـى حولهـا.

فى صبـاح مثـل هـذا اليـوم «٢٧ يونيـه» تـلا سـكرتير الجلسـة الأحـكام، وشـملت ٢١، وقضـت بالإعـدام شـنقًا فى قريـة دنشـواى لـ«حسـن عـلى محفـوظ، ويوسـف حسـن سـليم، والسـيد عيسـى سـالم، ومحمـد زهـران»، والأشـغال الشـاقة المؤبـدة لـ«محمـد عبدالنبـى، مـؤذن القريـة، وأحمـد عبدالعـال محفـوظ»، والأشـغال الشـاقة ١٥ عامـا ضـد أحمـد محمـد السيسـى، والأشـغال الشـاقة ٧ سـنوات لـ«محمد عـلى أبوسـمك، وعبـده البقـلى، وعـلى عـلى شـعلان، ومحمـد مصطفـى محفـوظ، ورسـلان السـيد عـلى، والعيسـوى محمـد محفـوظ»، والحبـس مـع الشـغل سـنة واحـدة لـ«حسـن إسـاعيل السيسـى، وإبراهيـم حسـنين السـيد، ومحمـد الغباشـى السـيد»، وجلـد كل واحـد منهـم خمسـين جلـدة، وتنفـذ فى «دنشـواى»، وخمسـين جلـدة لـكل مـن السـيد العـوفى، وعـزب عمـر محفـوظ، والسـيد سـليان خـير الله، وعبدالهـادى حسـن شـاهين، ومحمـد أحمـد السيسـى.

يقول عبدالرحمن الرافعى فى كتابه «مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية»، إن هذا الحكم فاق كل ما كان يتوقعه المتشائمون، وخلا من كل إنصاف وعدل، إذ كانت الحادثة راجعة أصلا إلى عدوان الضباط البريطانيين، ولم يقع اعتداء من الأهليين إلا بعد أن أُصيبت إحدى نسائهم، وحُرق جرن لهم، ولم يمُتْ من الضباط الإنجليز سوى ضابط واحد، ثبت من تقرير الطبيب الشرعى الإنجليزى أن السبب المباشر لوفاته هو ضربة الشمس التى أصابته من شدة الحر.

٢٨ يونيه عام ١٩٠٦
تنفيذ الإعدام والجَلْد لفلاحى دنشواى.. واللعنة لـ«الهلباوى»

«رأيت عند كل شخص تقابلت معه قلبا مجروحا وزورا مخنوقا، ودهشة عصبية بادية فى الأيدى وفى الأصوات، كان الحزن على جميع الوجوه».

هكذا يصف «قاسم أمين» الحال الذى كان المصريون عليه فى مثل هذا اليوم «٢٨ يونيه ١٩٠٦»، «حيث تم تنفيذ الأحكام ضد ٢١ فلاحا حكمت عليهم المحكمة فى قضية دنشواى»، بالإعدام على أربعة، والأشغال الشاقة المؤبدة والسجن والجلد على الآخرين.

فى مقال له بجريدة «الفيجارو» الفرنسية كتب الزعيم الوطنى «مصطفى كامل» مقالا يصف فيه قسوة مشهد تنفيذ الأحكام؛ قائلا: «نُصبت المشانق، ووضعت آلات الجلد والتعذيب فى وسط دائرة مساحتها ٢١٠٠ متر، وأحاطت عساكر «الدارجون» الإنجليزية بالمحكوم عليهم، والتفت الخيالة المصرية حول الإنجليز، وتولى المستر «متشل» مستشار الداخلية ومعه مدير المنوفية أمر التنفيذ، وتقدم إليهما ابن أول المحكوم عليهم بالشنق سائلا مقابلة والده ليتلقى وصاياه الأخيرة، فرفضا قبول هذا الرجاء الذى هو أعز ما يرجوه الإنسان ويحتمه الشرع والعدل».

«فى منتصف الساعة الثانية امتطت الجنود الإنجليز خيولها، وشهرت سيوفها وبدأ الشنق بعد ذلك بدقيقة، فشنق رجل، ولبث أفراد عائلته وأقاربه، وكل أهالى القرية وهم عن بعد يملئون الفضاء بصراخهم الممزق

للقلـوب وجلـد اثنـان أمـام الجثـة»، هكـذا يواصـل مصطفـى كامـل مقالـه فى «الفيجـارو» وترجمتـه الكاملـة فى كتـاب «مصطفـى كامـل باعـث الحركـة الوطنيـة» لمؤلفـه عبدالرحمن الرافعـى، ويضيـف: «تكـرر هـذا المنظـر ثـلاث مـرات، واستمر ساعة مـن الزمـن، منظـر وحشـى مهيـج للعواطـف، بكـى منـه بعـض الحاضريـن الأوروبيـين بدمـوع الحنـان، وأبـدوا النفـور الشـديد ممـا رأوا»، وذهـب كل واحـد يكـرر كلمـة أحـد المشـنوقين: «لعنـة الله عـلى الظالمـين، لعنـة الله عـلى الظالمـين».

نُقلـت هـذه القضيـة بـكل مآسـيها إلى فضـاء عالمـى يفضـح الاحتـلال، وكان لـ«مصطفـى كامـل» الفضـل فى ذلـك، حيـث كان موجـودا فى فرنسـا للعـلاج، ورغـم نصيحـة الأطبـاء لـه بالراحـة، فإنـه حـين وصلتـه أنبـاء مـا حـدث، نشـط فى الكتابـة للصحـف الفرنسـية والبريطانيـة، وخطـب فى محافـل بالعاصمتـين باريـس ولنـدن، وأسـفر هـذا التحـرك إلى إقالـة اللـورد «كرومـر» مـن منصبـه كمعتمـد بريطانـى لمـصر.

أضافـت هـذه القضيـة رصيـدا وطنيـا جديـدا لـ«مصطفـى كامـل»، وفى الوقـت نفسـه سـحبت رصيـدا مـن تلـك الشـخصيات التـى تسـببت فى الأحـكام ضـد الفلاحـين، فالمحامـى «إبراهيـم الهلبـاوى» ارتبـط اسـمه فى سـجل التاريـخ بوصـف «جـلاد دنشـواى»، وعـلى الرغـم مـن دفاعـه عـن نفسـه فى مذكراتـه، فـإن هـذا لم يفـده فى شـىء، ولم ينْـفِ عنـه أنـه كان محامـى الإنجليـز فى المحكمـة.

وكان نصيـب «بطـرس باشـا غـالى» وزيـر الحقانيـة الاغتيـال بعـد نحـو أربـع سـنوات مـن الحكـم، فهـو الـذى أصـدر قـرار تشـكيل المحكمـة برئاسـته، أمـا فتحـى باشـا زغلـول فيقـول عنـه «الهلبـاوى»: رُقّـى فتحـى مـن رياسـة محكمـة مـصر إلى وكالـة وزارة الحقانيـة مبـاشرة، مـع أن الـدور فى الترقيـة مـن رئيـس محكمـة ابتدائيـة إلى قـاضٍ بالاسـتئناف تخطـاه مـرارا»، وبقـى منبـوذًا ومطـارَدًا بتهمـة صداقتـه للإنجليـز.

٢٩ يونيه عام ١٩٤٢
«النحاس» : «ظنى خاب فى صديق العمر»..
ومكرم : «أهله يغتنموننى فرصة للثراء»

يـروى مصطفـى النحـاس باشـا الزعيـم الوطنـى والتاريخـى لحـزب الوفـد، ورئيـس الحكومـة عـدة مـرات قبـل ثـورة ٢٣ يوليـو ١٩٥٢، أنـه ذهـب ذات ليلـة لحضـور جلسـة مجلـس النـواب، وكان أحـد نـواب المعارضـة يتكلـم فى اسـتجواب، ووجَّـه النقـد للوزيـر المختـص ثـم أعقبـه عضـو ثـانٍ، فانتقـد الحكومـة كلهـا ورئيسـها لأنهـا مسـؤولة عـن هـذا التـصرف مسـؤولية كاملـة، فـإذا بـ«مكـرم» يطلـب الكلمـة فأيـد صاحـب الاسـتجواب وزميلـه فيـما قـالاه، وسـأله رئيـس المجلـس: هـل تتكلـم بصفتـك الشـخصية أم بصفتـك الحكوميـة؟، فأجـاب: «أتكلـم بصفتـى سـكرتيرا لـ«حـزب الوفـد» ووزيـرا للماليـة».

انتفـض «النحـاس باشـا» وكـما يقـول فى مذكراتـه «ربـع قـرن مـن السياسـة فى مـصر ١٩٤١ - ١٩٥٢» تحقيـق أحمـد عـز الديـن: «لم يبـقَ فى قـوس الصبر منـزع، ولا السـكوت محـل فاسـتأذنت رئيـس المجلـس فى أن أتكلـم ووقفـت، وقلـت بصفتـى رئيسـا لـ«الوفـد» المـصرى أعلـن أن معاليـه لم يعُـد سـكرتيرا لـ«الوفـد»، وبصفتـى رئيسـا للـوزراء أعلـن أنـه لم يعـد وزيـرا للماليـة».

يعلـق «النحـاس باشـا» عـلى مـا فعلـه قائـلا: «ظنـى خـاب فى صديـق العمـر وتقديـرى أخطـأ فى رفيـق النفـى والسـجن والجهـاد، ولم أضِـقْ بـه مـع تكـرار اعتداءاتـه بـل احتملتـه حتـى بلـغ السـيل الزُّبَـى».

كان الحدث فى مثل هذا اليوم «٢٩ يونيه ١٩٤٢»، وكانت الدراما فيه بالغة لأن طرفيها قلب واحد فى قيادة الحركة الوطنية التى تزعمها حزب الوفد قبل ثورة ١٩٥٢، ولأن الفراق كان مفاجئا، وتطور فيما بعد إلى إقدام «مكرم عبيد» لإصدار ما عرف بـ«الكتاب الأسود»، تعددت التفسيرات فى أسبابه.

محمد حسنين هيكل يرى فى كتابه «سقوط نظام»، الصادر عن دار الشروق، القاهرة، أن الفراق بين الاثنين كان من تدبير الملك فاروق، ورئيس ديوانه أحمد حسنين باشا، انتقاما من حادث ٤ فبراير ١٩٤٢. أما «النحاس» نفسه فيقول فى مذكراته، إن «القسم السياسى» الذى أنشأه فى الحكومة ليرفع إليه تقارير صحيحة من الداخل والخارج، قدم له تقريرا بأن عددا من أنصار مكرم عبيد وأصدقائهم يجلسون فى «بار اللواء» بـ«شارع شريف» ولا حديث لهم إلا الطعن فى رئيس الوزراء وتصرفاته، والاستثناءات التى يغدقها على أنصاره.

يضيف «النحاس» أن التقارير توالت عليه بأن هؤلاء القوم يطعنون فى عِرْضه ويتناولونه بالقبيح من الشائعات، ويعدد «النحاس» وقائع أخرى جعلته كما يقول: «أفيق من غشاوتى وأنفض عن نفسى تراب الثقة الكبرى التى وضعتها فى مكرم، واحتملت فى سبيله وفى سبيل رضاه غضبا كثيرا من الإخوان، واستياء عدد غير قليل من الزملاء، ولكنى تذرعت بالصبر وقلت لعل الله يهديه فى آخر لحظة سواء السبيل ولكنه لم يهتدِ.

أما «عبيد» فيفسر ما حدث بقوله: «لم نكد نستهل عهدنا فى الحكم متصافحين متضامنين، حتى بدا لأهل النحاس باشا وأنسبائه أن يغتنموها فرصة لطلب الثراء على يد صديق النحاس»، ويقصد فى ذلك نفسه كوزير للمالية.

٣٠ يونيه عام ١٨٧٩
الخديو إسماعيل يغادر مصر وحريمه يكسرن الأوانى الثمينة

شحن الخديو إسماعيل كل ما يريد حمله فى قطار يتوجه إلى الإسكندرية، استعدادا لشحن «المحروسة» التى ستقلُّه إلى الخارج بعد عزله من حكم مصر.

فى كتابه «تاريخ مصر فى عهد إسماعيل باشا»، يصف مؤلفه «إلياس الأيوبى»، مكتبة مدبولى، القاهرة، «مشهد الوداع الأخير منه لمصر، فى مثل هذا اليوم «٣٠ يونيه ١٨٧٩»، فبينما سعدت زوجاته وباقى حريمه اللاتى اصطحبهن إلى منفاه، ودع باقى حريمه الوداع الأخير، ويقال إن حزن السيدات اللواتى تخلى عنهن بلغ مبلغا يفوق التصور، وأنهن فى غضبهن على عدم اصطحابه كسرن عدة أوانٍ ثمينة ومرايا بما بلغ قيمته ٨ آلاف جنيه.

خرج «إسماعيل» من «سراى عابدين» بعد الظهر متوجها إلى المحطة ويصحبته المختارات من نسائه وجواريه وولداه حسن وحسين، وكان ولده إبراهيم فى إنجلترا، وأما فؤاد فكان لا يزال صبيا لا يتجاوز الحادية عشرة من عمره.

وقفت عربات فى خارج السراى كى تقِلَّ السيدات الحريم اللاتى تخلى عنهن، ودوت أصوات ندب وولولة منهن، ولما وصل إلى المحطة عانق ابنه توفيق عناقا أخيرا، وقال له باكيا: «كنت أود يا أعز البنين لو استطعت أن أزيل بعض المصاعب التى أخاف أن توجب لك ارتباكا، على أنى واثق

بحزمك وعزمك، فتوَصَّ بإخوتك وسائر الأهل برا، واتبع رأى الشورى، وكن يا بُنِى أسعد حالا من أبيك».

التفت «إسماعيل» إلى الحاضرين قائلًا: «إنى وأنا تارك مصر، أعهد بالخديو ابنى إلى ولائكم وإخلاصكم»، ثم قبَّل «توفيق» يد والده واستودعه واستودع إخوته المسافرين معه.

يصف «الأيوبى» هذه اللحظة قائلًا: «كان المنظر مؤثرا للغاية، ولم يستطع إلا القليل منع بكائهم» ويضيف: قام القطار وإذا بمجموعة زغاريد ماجت فى الآفاق مودعة له بتهكم، فاستوقف البحث والاستفهام، وعلم بأنها صادرة من نساء «المفتش» إسماعيل صديق، كنوع من الشماتة فى الخديو المخلوع، ولكن المسالمين اعتبروها ابتهاجا بـ«الخديو» الجديد.

بلغ القطار محطة الإسكندرية، ونزل «إسماعيل» ليركب فى عربات مقفولة إلى «الترسانة» ومنها فى زوارق إلى ظهر «المحروسة»، وكانت مكتظة بأصحاب المقامات الرفيعة وكبار الجاليات الغربية الذين جاءوا لتوديعه، وقبل أن يتفجر تأثرا استأذن الحاضرين، وبعد نصف ساعة رفعت المحروسة مراسيها لتبتعد عن الشاطئ متجهة إلى نابولى فى إيطاليا حيث سيقيم.

لم تكن الإقامة فى إيطاليا اختياره الحر، وإنما ذهب إليها بعد رفض السلطان العثمانى عبد الحميد طلبه بالإقامة فى الأستانة أو أزمير، لكى يكون فى بلاد ملائمة لمعيشته الشرقية، لم تكن أقدام «عبد الحميد» ثبتت على عرش أجداده، فخاف أن يقدم الضيافة له، ولم يكتفِ بذلك بل بدأ يفكر فى إلغاء الامتيازات التى تم منحها له.

علم ملك إيطاليا «أمبرتو» بمحنة صديق والده، فأسرع ليضع تحت تصرفه قصرا من قصوره بضواحى نابولى.

انطلقت «المحروسة» فى مياه البحر بعد أن أطلقت «طابية نابليون الفرنسية»، والسفينة الإنجليزية الراسية فى الميناء مدافعها تحية للمسافر، وكان ذلك آخر إكرام له فى مصر.

شـهدت شـواطئ نابـولى دراما جديـدة، فحـين وصلـت «المحروسـة «بقـى «إسـماعيل» مقيما عـلى ظهرهـا ١٥ يومـا، كأنـه يعدُّهـا جـزءًا مـن مـصر وقطعـة منهـا، يعـز عليـه أن يفارقهـا، ففكـر أن يضمهـا إلى أملاكـه الشـخصية، وبالفعـل أرسـل إلى الحكومـة يطلـب منهـا ذلـك، لكنهـا رفضـت وأوقعـت الحجـز عـلى مرتبـه السـنوى فاضطـر إلى التخـلى عنهـا، فنـزل إلى الـبر وأقـام فى منـزل بضعـة أيـام حتـى تـم تجهيـز القـصر لـه، وانتقـل إليـه بزوجاتـه وأولاده ونسـائه وحاشـيته.

١ يوليو عام ١٩٦٠
خطاب مزور يزعم اتصال البابا كيرلس مع «بن جوريون»

«إنهم يحاولون الوقيعة بيني وبين بابا الأقباط كيرلس»، كان هذا تعليق جمال عبدالناصر على قضية شغلت الرأى العام حول خطاب قيل إن «البابا كيرلس» بطريرك الكنيسة المرقسية، أرسله إلى «بن جوريون» رئيس وزراء إسرائيل فى مثل هذا اليوم «١ يوليو ١٩٦٠».

كانت العلاقة بين «عبدالناصر» و«كيرلس» مميزة، ولم يكن هذا يروق لمشعلى الفتنة الطائفية فى مصر، وإسرائيل فى مقدمتها، ولأن النار تأتى من مستصغر الشرر، كان من الممكن أن تحدث فتنة بين المسيحيين والمسلمين بسبب هذا الخطاب المزعوم الذى دارت قصته بين القاهرة والقدس وبيروت وبغداد.

وفى كتابه «عبدالناصر والبابا كيرلس» يأتى الكاتب الصحفى محمود فوزى بالقصة كاملة قائلا، إن الخطاب المزور حمل توقيع البابا، وسكرتيره الروحى، ووكيل عام البطريركية، وخاتم الكنيسة، وكان الكلام مكتوبا على ورق تم تزويره ليبدو أنه خاص بـ«الكنيسة».

نص الخطاب: «من كيرلس السادس المدعو بنعمة الله بابا بطريرك الإسكندرية والنوبة والحبشة والخمس مدن الغربية وجنوب أفريقيا والسودان والشرق الأدنى وسائر الكرازة المرقسية، إلى السيد بن جوريون رئيس حكومة إسرائيل المؤيدة بنعمة الرب».

وإننـا لا يسـعدنا إلا أن نرفـع قلوبنـا وأيدينـا إلى الله جـل وعـلا أن يـكلأ رجـال حكومتكـم بعنايتـه ويحرسـكم بقـوة واقتـدار وعظمـة مجـده، وأن يشـتت شـمل مـن يقـف فى طريقكـم، وأن يكـون مصيرهـم الغـرق فى البحـر الأحمـر، وذلـك لأنـه بعبـادة موسـى النبـى خلـص بنـو إسـرائيـل مـن عبوديـة فرعـون قديمًا، وشـق لهـم فى البحـر طريقًـا، ونحـن ندعـو لكـم بالنـصر عـلى مراوغـة القـرن العشريـن.

وبهـذه المناسـبة السـعيدة لسـفر ابننـا القُمُّـص «مـكارى السريانـى» السـكرتير الروحـى الأول لحضـور مؤتمـر الكنائـس العالمـى فى أمريـكا، نبعـث لسـيادتكم بتحياتنـا بشـموله بصالـح الدعـوات، ونأمـل أن تكـون هـذه الرسـالة فاتحـة خـير وبركـة للشـعب الإسـرائيـلى كلـه، كـما يسـعدنا جـدا أن نعتـبر هـذه الرسـالة بمثابـة استعطاف سـيادتكم بـأن تسـمحوا للدكتـور الأنبـا باسـيلوس مطـران القـدس والـشرق الأدنـى بتحصيـل مـا يخـص الأقبـاط مـن إيـرادات شـهرية تحـت رعايتكم، وهـذا كل مـا طلـب عـلى حسـب تعليـمات سـيادتكم ونعمـة الـرب تشـملكم.

كان الخيـط الأول فى كشـف هـذه الجريمـة بلاغـا تلقـاه قسـم شرطـة عابديـن بمحـضر رقـم ١٦٣ مـن يوسـف محمـود الشـيخ عـلى صاحـب «اسـتوديو فريـد» أمـام محكمـة عابديـن، وقـال: إن شـخصًا يرتـدى الـزى الكهنوتـى يـتردد عـلى محلـه، وعندمـا سـأل العـمال عـن سـبب تـردده قالـوا لـه: «يكتـب شـكاوى ويصـور صـورا ضـد البابـا كيرلـس».

وبتتبُّـع هـذا الشـخص تبـين أنـه راهـب مطـرود اسـمه «أرمانيـوس الأنطونـى»، واختلـس قبـل طـرده إيـرادات حدائـق المـوز التابعـة للكنيسـة بالقـدس وأريحـا، وحـين كشـفه مطـران القـدس ضربـه وهـرب، ولبـس العبـاءة والعقـال وتسـلل إلى داخـل إسـرائيـل حيـث اصطـاده «الموسـاد»، وعـاد إلى القـدس ثـم جـاء إلى القاهـرة ليـشرع فى جريمتـه.

٢ يوليو عام ١٧٩٨
نابليون يحاصر الإسكندرية ويقول لـ«محمد كُرِّيم»: أنت جاهل أو مغرور

كانت الساعة الواحدة بعد منتصف الليل حين تمكن نابليون بونابرت وجنود الحملة الفرنسية من النزول إلى البر على بعد ثلاثة أميال من الإسكندرية، وفى الساعة الثامنة صباح مثل هذا اليوم «٢ يوليو ١٧٩٨» توقفت الطوابير الفرنسية عن الزحف أمام مدفع مقاوم لا أكثر من الأسوار الخارجية للمدينة.

وفى كتابه «بونابرت فى مصر»، مكتبة الأسرة، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، يقول مؤلفه «ج. كرستوفر هيرولد»: «بذل الفرنسيون بعض المحاولات للاتصال بالمدافعين عن المدينة، الذين شوهدوا متكاثرين على قمة الأسوار، وفجأة انطلقت من أفواههم صرخات مخيفة، كانت من أفواه الرجال والنساء والأطفال، وفى الوقت نفسه انطلقت نيران المدفعية صوب الفرنسيين، فأصدر بونابرت أمرا بالنفخ فى الأبواق لدعوة الجيش للهجوم فتضاعفت قوة الصراخ».

ويقول المؤرخ الأمريكى «خون كول» فى كتابه «مصر تحت حكم بونابرت»: «وثق نابليون فى أن مدينة صغيرة لا يزيد عدد سكانها على ٨٠٠٠ نسمة سوف تستسلم فى مواجهة قوة عسكرية جبارة، غير أن أهل المدينة الذين حملوا السلاح مدفوعين إلى القتال بما تردد من صياح قادتهم وصراخ نسائهم

وأطفالهـم احتشـدوا فى التحصينـات الممتـدة أعـلى الأسـوار، واتخـذوا مواقعهـم فى الأبـراج، ووجـد الفرنسـيون أنفسـهم فى مرمـى وابـل متصـل مـن النـيران التـى أطلقهـا خمسـمائة مـن المماليـك الخيالـة، يقودهـم محمـد كُرَيِّـم محافـظ البحـيرة وأهـل الإسـكندرية المسـلحون، وعـلى حـين غِـرَّة كشـف الأمـراء أو قـادة الجنـد مـن داخـل المدينـة عـن مدافعهـم التـى انطلقـت قذائفهـا ضـد الأعـداء»، وأرسـل «بونابـرت» رسـالة متعجرفـة إلى محمـد كريـم يطالبـه فيهـا بالاستسـلام قائـلًا: «إن الأعـمال العدائيـة التـى استقبلتنى بهـا أثـارت دهشـتى، إنـك إذا مـا اعتقـدت أنـك قـادر عـلى مقاومتـى بمدفعـين أو ثلاثـة، فإنـك إمـا جاهـل أو مغـرور قـد بلـغ بـك الجهـل والغـرور مداهمـا، وإن لم أرَ رايـة بيضـاء ترفـرف فـوق الأسـوار فى عـشر دقائـق فلسـوف أحملـك المسـؤولية أمـام الله عـن نزيـف الـدم الـذى سـيجرى هـدرا، وقريبـا سـيبكى الضحايـا الذيـن أرسـلتهم إلى حتفهـم بسـوء تقديـرك».

العجرفـة التـى تظهـر مـن رسـالة «بونابـرت» إلى «كريـم»، تظهـر فى أن القائـد الفرنسـى لا يجـد فى نفسـه غازيـا مـن الطبيعـى أن يجـد مقاومـة ضـده، أما الوحشـية التـى كان الفرنسـيون عليهـا فى الفتـك بالمقاومـين فنجـد شـهادة عنهـا مـن أحـد جنـود الحملـة، وكان يشـترك فى فرقـة «كليـبر»، والشـهادة منشـورة فى كتـاب «بونابـرت فى مـصر»، ويقـول فيهـا: «ظننـا أن المدينـة استسـلمت وشـد مـا أدهشـنا أن ينهـال علينـا رصـاص البنـادق ونحـن نمـر أمـام المسـاجد، فأمرنـا قائـد اتفـق وجـوده هنـاك أن نقتحـم بـاب المسـجد ولا نُبْقـى عـلى أحـد فيـه، وهكـذا هلـك الرجـال والنسـاء والأطفـال بحـد السـناكى، ولكـن لما كانـت العواطـف الإنسـانية أقـوى مـن الانتقـام، فقـد توقفـت المذبحـة حـين تعالـت أصواتهـم طلبًـا للرحمـة فاسـتحيينا ثلثهـم».

مر يوم ٢ يوليو، وفى اليوم التالى كان الموقف مغايرا. .

٣ يوليو عام ١٧٩٨
نابليون يخاطب المصريين:
«أعبد الله وأحترم نبيَّه والقرآن العظيم»

استسلم «محمد كريم» بعد مفاوضات مع «نابليون بونابرت» توصلت فى المساء لاستسلام الإسكندرية، وفى صباح مثل هذا اليوم «٣ يوليو ١٧٩٨» أعلن خضوعه، وأقسم يمين الولاء لـ«نابليون»، ويتحدث كتاب «بونابرت فى مصر» عن هذا التحول: «رأى بونابرت من حسن السياسة أن يكون كريما، فغفر لمحمد كريم مقاومته للهجوم، وثبته حاكما للإسكندرية، ووكل إليه حفظ النظام وتموين الفرنسيين، ولعله فى هذه اللحظة تحول من القائد إلى الحاكم، وهذا انقلاب يتطلب ضربا رفيعا جدا من الدجل».

أخبر «بونابرت» الوسطاء بينه وبين «المقاومة» أنه سيُضطر إلى قتل المشايخ والأعيان والعلماء بحد السيف إذا استمروا فى المقاومة، وهذا إجراء صارم يود أن يتجنبه لو استطاع، ولهذا استسلم «كريم».

فى مشهد الاستسلام، يستوقفنا تعبير «الدجل» كوصف لـ«نابليون» لتعيينه محمد كريم حاكما للإسكندرية، ويطبقه على منشور وجَّهه إلى أهل مصر، وأمر بأن يُعلق فى أرجاء «الإسكندرية» وتتم قراءته على الملأ وطبعه باللغات: العربية والتركية والفرنسية.

المنشور يحتوى على أشياء متعددة، فيها لعب على أوتار المشاعر الدينية، يبدأ المنشور بـ: «بسم الله الرحمن الرحيم، لا إله إلا الله لا ولد له، ولا شريك فى ملكه».

وبعد الاستهلال باسم الله، يمضى المنشور قائلا: «من طرف الفرنساوية المبنى على أساس الحرية والتسوية «السر عسكر الكبير أمير الجيوش الفرنساوية بونابرتة»، يا أيها المصريون، قد قيل لكم إننى ما نزلت بهذا الطرف إلا بقصد إزالة دينكم، فذلك كذب صريح، فلا تصدقوه وقولوا للمفترين إننى ما قدمت إليكم إلا لأخلص حقكم من يد الظالمين، وإننى أكثر من المماليك أعبد الله سبحانه تعالى وأحترم نبيَّه والقرآن العظيم».

يقول «هيرولد» فى كتابه «بونابرت فى مصر، مكتبة الأسرة، القاهرة، إن بونابرت تعمد أن يضرب على وتر المشاعر الدينية للمسلمين، وجمع جمعا غريبا بين هذا وبين الشعارات التحررية المألوفة فى الثورة الفرنسية، ولعل هذا المزج العجيب هو الذى كان يدور فى ذهنه حين تحدث فى سنواته الأخيرة عن «القرآن الجديد» الذى كان فى نيته أن يضعه ليحقق به أهدافه، ويحمله بيمينه وهو يغزو بلاد الشرق.

بعد سنوات طويلة وفى منفاه بـ«سانت هيلانة» يعترف نابليون أن هذا المنشور: «قطعة من الدجل ولكنه دجل من أعلى طراز»، وقال: «على الإنسان أن يصطنع الدجل فى هذه الدنيا لأنه السبيل الوحيد للنجاح»، وذلك حسبما يأتى فى «بونابرت فى مصر».

دانت الإسكندرية لـ«نابليون» وكان حالها كما كتب الفرنسى «جوبير» لأخيه: «ترى فى الأسواق الخراف والحمام والتبغ، ثم عددا كبيرا من الحلاقين يضعون رءُوس زبائنهم بين رُكَبهم كأنهم يستعدون لقطعها لا لحلقها، وكانت النساء قليلات فى الشوارع إلا نساء الطبقات الدنيا اللائى أثار مظهرهن تقزز الفرنسيين، وكن يرتدين جلبابا واحدا أزرق فى العادة قذر دائما، ويسرن حافيات الأقدام عاريات السيقان، ويلطخن حواجبهن بالكحل وأظافرهن بالحناء، ويكشفن فى مرح عن أى عضو من أعضائهن إلا وجوههن، أما الأطفال فعراة».

٤ يوليو عام ١٩٥٣
فتحي الديب ضابط المخابرات يطلق «صوت العرب» بصوت أحمد سعيد.

«مرت ساعات النهار طويلة مثيرة للأعصاب، وشعرت شعور الأب الذى ينتظر وليده، وحان الوقت، واستمعت إلى دقات قلبى فى أذنى، وبدأت صوت العرب ترى النور على الهواء، وركزت أنفاسى وكلى آذان صاغية أتابع فقراتها لفظًا لفظًا كمستمع وناقد».

هكذا يصف الرجل الذى أسّس إذاعة «صوت العرب» حاله وقت انطلاق إذاعة «صوت العرب» فى مثل هذا اليوم «٤ يوليو ١٩٥٣»، هو فتحى الديب، ضابط المخابرات المصرية، مسؤول قسم الشؤون العربية فى رئاسة الجمهورية، وحلقه الوصل بين جمال عبدالناصر وحركات التحرر العربية.

وفى كتابه «عبدالناصر وتحرير المشرق العربى»، مؤسسة الأهرام، القاهرة، يكشف الكثير من الأسرار التى أحاطت بدوره، بدءًا من تكليف «عبدالناصر» له بمَهمَّته الجديدة عام ١٩٥٣، وتنفيذ هذه المهمة فى شمال أفريقيا وسوريا ولبنان والسعودية ودول الخليج وعمان، وتأسيس «صوت العرب» حتى تكون الصوت الإعلامى المعبر عن هذا التحرك، وذلك وعيًا بأهمية دور الإذاعة وقتئذ، باعتبارها النافذة الإعلامية المؤثرة فى الحشد والتعبئة والتوعية، وكانت هى وقتها المعادل الطبيعى لـ«الفضائيات» حاليًا.

يشرح «الديب» كيف ولدت فكرة «صوت العرب» والإعداد لها، واختياره لأحمد سعيد، مذيعها ومهندسها التاريخى، وأول صوت ينطلق منها قبل أن يصبح مديرها، وكان معه منذ البداية نادية توفيق كمسؤولة عن المادة الترفيهية والموسيقية.

فى الساعة السادسة مساء يوم ٤ يوليو ١٩٥٣، انطلقت «صوت العرب» كبرنامج لمدة نصف ساعة موزعة على خمس فقرات، هى، لحن مميز خاص يتميز بالصبغة العربية ومدته دقيقة، ونشرة أخبار متضمنة جميع الأخبار فى الوطن العربى، ومدتها من ٧ إلى ١٠ دقائق، وتعليق سياسى يتناول حدث اليوم من وجهة نظر ثورة يوليو، وبالأسلوب الذى يخدم التعريف بأهدافها ومدته لا تتخطى ١٠ دقائق، وانتهاء البرنامج بإعادة إذاعة اللحن المميز.

مرت أول ثلاثين دقيقة فى عمر «صوت العرب» بسلام ونجاح، وفيما بعد تحولت نصف الساعة من برنامج إلى محطة إذاعية، أصبحت قبلة العرب الإعلامية، وأصبح تعليقها الذى يقدمه أحمد سعيد من أشهر المواد الإذاعية، واشتهرت الإذاعة إلى حد الهوس العربى بها، ومما هو شائع أن مواطنًا يمنيًا سأل فى أثناء شرائه «راديو ترانزستور»: «هو بيذيع أحمد سعيد ولا لأ؟»، ومواطنًا آخر يركب الجمل فى صحراء الجزيرة العربية ويمسك الراديو ليستمع إليها.

خاضت «صوت العرب» معاركها العظيمة، ويسجلها أحمد سعيد فى مذكراته المهمة غير المنشورة، والتى اطلعت عليها بالكامل، ومن أبرزها معركة نفى فرنسا للعاهل المغربى الملك محمد الخامس إلى مدغشقر، ودورها المساند لنضال الشعب المغربى حتى عاد الملك، ومساندتها للثورة الجزائرية منذ أن جاء إليها شاب يسأل عن المسؤولين عنها، فاستقبله أحمد سعيد، وسهرا الليل معًا، وتكررت المقابلات بعدها لعدة أيام، حتى قدمه إلى فتحى الديب، وكان هذا الشاب هو أحمد بن بيلا، قائد ثورة الجزائر، وأول رئيس لها.

٥ يوليو عام ١٨٣٠
فرنسا تحتل الجزائر بسبب مروحة «الدَّاى حسين»

كان الجزائريون يحتفلون بعيد الأضحى فى يوم ٢٧ إبريل عام ١٨٢٧، ولم يكونوا يعرفون أن هذا اليوم سيقودهم إلى الاحتلال من الفرنسيين لمدة ١٣٠ عاما كاملة، بدأت من مثل هذا اليوم «٥ يوليو ١٨٣٠»، فكيف كانت القصة؟

كان «الداى حسين» حاكم الجزائر (تابعة للدولة العثمانية)، يستقبل المهنئين بعيد الأضحى فى قصره، وحضر القنصل الفرنسى «دوفال»، فطلب منه «الداى» إيضاحا عن سبب امتناع ملك فرنسا وحكومتها عن الرد عليه، فأجابه القنصل الفرنسى بصلف شديد، بأن مليكه أسمى من أن يتنازل بالرد على «داى» الجزائر، فغضب الداى وكان ممسكا فى يده بمروحة، فلوح بها فى وجه القنصل الفرنسى، وهو يأمره بالخروج من القصر.

فى كتابه «مواقف حاسمة فى تاريخ القومية العربية، المجلد الأول»، يقول مؤلفه «محمد صبيح» إن فرنسا ثارت بسبب ما حدث، واعتبرت أن قنصلها تعرض بـ«ضربة المروحة» لإهانة بالغة حتى لو كانت المروحة من «ريش النعام»، فانتهزت الفرصة وأرسلت بعض القطع البحرية إلى مياه الجزائر، وتم تكليف «الداى» بتقديم الاعتذار وتحية العلم الفرنسى، لكن «الداى» لم يُقِمْ وزنا لهذه الحركات الاستفزازية ورفض الإنذارات الفرنسية، فحاصرت القوات الفرنسية البلاد برا وبحرا من يوم ١٦ يونيه ١٨٢٧ حتى ١٤ يونيه

١٨٣٠، وأغمضت بريطانيا عينيها عن وجود الأسطول طوال هذه الفترة، وذلك فى سياق تحالف الدولتين معًا فى تقسيم دول المنطقة فيما بينهما.

أبدى حاكم الجزائر فى أول الأمر شجاعة وتصميما على المقاومة لهذا الحصار المضروب، لكنه لم يكن على استعداد تام لمقاومة طويلة تستمر ثلاثة أعوام كاملة، فأعلن الاستسلام، وقبول كل شروط فرنسا، وهى:

يتم تسليم حصون مدينة الجزائر للقوات الفرنسية، ويتعهد القائد العام للقوات المحتلة بضمان ممتلكات «الداى» وحريته الشخصية، ولـ«الداى» وأسرته مطلق الحرية فى مغادرة المدينة أو البقاء فيها، وفى الحالة الأخيرة يتعهد القائد الفرنسى بحمايته، ويضمن القائد الفرنسى العام تمتع الجنود بنفس الحماية والمزايا الأخرى، ويتعهد القائد الفرنسى بشرفه أن تظل حرية إقامة الشعائر الإسلامية مكفولة.

وقام الفرنسيون بحصر ممتلكات «الداى» والأعيان الذين غادروا الجزائر فضلا على الأموال المحبوسة والموقوفة، واعَدُّوا ذلك حقا خالصا لهم.

بعد نحو ثلاث سنوات و١٧ يوما، وبالتحديد فى يوم ٢٢ يوليو ١٨٣٤، أخذ الاحتلال الفرنسى للجزائر تحولا كبيرا، حيث أصدرت الحكومة الفرنسية قانونا بضم الجزائر إلى الممتلكات الفرنسية، أى أنها لم تعُد دولة قائمة بذاتها حتى لو كانت تحت الاحتلال، وإنما أصبحت أشبه بـ«محافظة» أو «ولاية» فرنسية تسرى عليها القوانين الفرنسية، وحاكمها هو حاكم فرنسا، وحتى تاريخ إصدار هذا القانون لم يكن الاحتلال الفرنسى قد تجاوز المدن الساحلية الجزائرية، وبعد صدوره صدرت الأوامر باحتلال المدن الداخلية، ولاقت قوات الاحتلال مقاومة عنيفة كما حدث فى مدينة وهران.

٦ يوليو عام ١٨٠١
«مينو» يوصى بزوجته «زُبَيْدة» فى وداع «الديوان»

استمع أعضاء «الديوان» فى آخر اجتماع له، إلى آخر رسالة تليت عليه، وكانت من الجنرال «مينو» القائد الثالث لـ«الحملة الفرنسية»، وأوصى فيها بزوجته السيدة «زبيدة»، وأبدى أسفه لوفاة «مراد بك»، وأطرى فضائله، وعزّى الست «نفيسة خاتون» زوجته، وقال إن جيوش الجمهورية الفرنسية انتصرت فى أوروبا، وعما قريب ستنتصر فى مصر.

ختم «مينو» رسالته بدعوته إلى الله تعالى «أن ينعم عليكم وعلى عيالكم فى الأيام بالبشرى والإقبال»، ووقعً عليها باسم «عبدالله جاك مينو». كان اجتماع الديوان فى مثل هذا اليوم «٦ يوليو ١٨٠١»، وكان الأخير فى عمره الذى بدأ يوم ٢٥ يوليو ١٧٩٨ بقرار من نابليون، وبعد مرور ٢٥ يوما من غزوه لمصر.

كانت رسالة «مينو» حدثا طريفا فى سياق انعقاد اجتماع «الديوان»، حيث أرسلها وهو فى الإسكندرية يحارب الجيش الإنجليزى والعثمانيين، بينما كانت المفاوضات تتواصل فى القاهرة من أجل جلاء قوات الحملة الفرنسية عن مصر، وفى يوم ٢٧ يونيه ١٨٠١ تم توقيع اتفاق رحيلها، وعقد «الديوان» اجتماعا كجلسة وداع، ويقول المؤرخ «عبدالرحمن الرافعى» فى كتابه «تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم فى مصر - الجزء الثانى»، دار المعارف، القاهرة، إن الفرنسيين أظهروا تلطفا كبيرا مع أعضاء الديوان، وجاملهم الأعضاء كذلك فى جوابهم، وأنه من غرائب المصادفات أن الجنرال «مينو»

كان يجهل توقيع الصلح، وكان يظن وهو فى الإسكندرية أن الحرب مستمرة، فأرسل رسالته إلى أعضاء الديوان قبل انعقاد آخر جلسة، وتليت على مسامع الأعضاء رغم أنها صارت لغوا بعد التوقيع على الصلح.

طُويت بهذه الجلسة قصة الديوان الذى مر بدورين، يشرحها «الرافعى» على نحو أنه بدأ بتأسيس نابليون لـ«ديوان القاهرة» وتألف من تسعة أعضاء، وديوان فى كل مديرية، ثم أسس ديوانا عاما، وهو هيئة تتألف من مندوبين يمثلون القاهرة وسائر مديريات القطر المصرى، ولم يجتمع الديوان العام إلا مرة واحدة فقط.

أما الدور الثانى فجاء بعد ثورة القاهرة الأولى «أكتوبر ١٧٩٨»، حيث أبطل نابليون ديوان القاهرة عقابا لأهلها على ثورتهم، ثم بدا له بعد إخماد الثورة أن يعيده على نظام جديد فى ديسمبر عام ١٧٩٨، فجعله من هيئتين: «الديوان العمومى»، وهو مؤلف من ٦٠ عضوا يمثلون سكان القاهرة على اختلاف طبقاتهم، و«الديوان الخصوصى» من أربعة عشر عضوا ينتخبهم أعضاء الديوان العمومى، أما دواوين الأقاليم فبقى نظامها كما وضعه نابليون.

استمر هذا النظام متبعا فى جملته طوال عهد كليبر، أى بعد مغادرة نابليون مصر عائدا إلى فرنسا، وتولى كليبر قيادة الحملة، وجرى وقف العمل بنظام «الديوان» بعد إبرام معاهدة العريش، واستمر وقفه مع ثورة القاهرة الثانية حتى مقتل كليبر، وبعد أن خَلَفه «مينو» أعاد الديوان على نظام جديد إذ جعله هيئة واحدة مؤلفة من تسعة أعضاء ووسع فى اختصاصه.

٧ يوليو عام ١٧٩٨
نابليون يغادر الإسكندرية ويوصى كليبر

قـرر نابليـون مغـادرة الإسـكندرية للزحـف بجيشـه إلى القاهـرة، والإبقـاء عـلى الجنـرال «كليـبر» مـع تعيينـه حاكـما للمدينـة التـى أُصيـب فيهـا أثنـاء المقاومـة التـى قادهـا «محمـد كريـم» ضـد جنـود الحملـة، ورأى نابليـون الإبقـاء عليـه حتـى يُشـفى مـن جراحـه.

قبـل أن يشـد «نابليـون» رحالـه أوصى «كليـبر» بـأن يبـذل كل مـا فى وسـعه لاسـتبقاء العلاقـات الحسـنة مـع الأهـالى، وإبـداء كل أنـواع الاحـترام للمُفْتِـين ورؤسـاء المشـايخ فى المدينـة، ويقـول «عبدالرحمـن الرافعـى» فى كتابـه «تاريـخ الحركـة القومية-تطـور نظـام الحكـم فى مصر-الجـزء الأول»، دار المعـارف، القاهـرة: إن نابليـون فـرض عـلى المدينـة بعـد احتلالهـا غرامـة حربيـة قدرهـا ١٥٠ ألـف فرنـك، وهـى غرامـة فادحـة إذا قيسـت بـما كانـت عليـه المدينـة وقتئـذ مـن الفقـر والتأخـر الاقتصـادى.

جـاءت مغـادرة «نابليـون» الإسـكندرية بعـد نحـو ثلاثـة أيـام مـن قـراره تنصيـب «محمـد كريـم» حاكـما للمدينـة، وفى يـوم المغـادرة (مثـل هـذا اليـوم ٧ يوليـو ١٧٩٨) كتـب إليـه خطـاب التنصيـب وقـال فيـه:

إلى السـيد محمـد كريـم، لقـد سُرَّ القائـد العـام سرورا تامـا مـن الخطـة التـى سـلكها السـيد محمـد كريـم منـذ قـدوم الجيـش الفرنسـى، وإعرابـا عـن هـذا السـرور يعينـه فى وظيفـة محافـظ دائـرة الإسـكندرية، وسـتصل إليـه أوامره بواسـطة

الجنرال «كليبر» القائد العام للجهة، وهذا لا يمنعه من أن يراسل القائد العام رأسا متى شاء، وعلى الجنرال كليبر أن يطلب منه كل ما تقتضيه مهام الجيش الفرنسي وبوليس دائرة العرب.. التوقيع «بونابرت».

فى أمر تهيئة الأوضاع فى الإسكندرية حتى يرحل منها «نابليون» مطمئنا يستوقفنا مشهدان.. الأول، عن شخصية «محمد كريم» والطريقة التى عامله بها «نابليون» حيث قال له: «أخذتك والسلاح فى يدك، وكان لى أن أعاملك معاملة الأسير، ولكنك استبسلت فى الدفاع، والشجاعة متلازمة مع الشرف، لذلك أعيد إليك سلاحك، وآمل أن تبدى للجمهورية الفرنسية من الإخلاص ما كنت تبديه لحكومة سيئة»، وجاء هذا التقدير من «نابليون» على خلفية بطولة «كريم» وليس لترحيبه بالاحتلال، وسيظهر ذلك فيما بعد بإعدام «كريم».

أما المشهد الثانى، فكان فى اتفاق «نابليون» و«مجلس الأعيان» الذى انتهى إلى وثيقة نصت على: «يستمر الأعيان على العمل بقوانينهم، والقيام بشعائرهم الدينية، وفض المنازعات بينهم مع مراعاة العدل والابتعاد عن مسالك الهوى، ولهم أن يختاروا القاضى الذى يتولى القضاء فى محكمة الشرع من خيار العلماء المشهود لهم بالاستقامة والتقوى، وعليه ألا يقضى فى أمر إلا بعد الرجوع إلى رأى مجلس العلماء، ويتعهدون على ألا يخونوا الجيش الفرنسى ولا يعملوا عملا يضر بمصالحه، ويتعهد القائد العام بأن يمنع أى جندى من التعدى على أهالى الإسكندرية، وألا يجبر أى أحد من الأهالى على تغيير دينه وتغيير شعائره، ووقّع على الاتفاق، «إبراهيم البرجى مفتى الحنفية، وسليمان الكلاف مفتى المالكية، ومحمد المسيرى، وأحمد عبدالله الشافعى، وحسن كانيد، وعباس القويضى، ومصطفى محمد».

٨ يوليو عام ١٩٧٢
السادات يطرد الخبراء السوفيت وابنته تغنى «ليالى موسكو»!

دعا الرئيس أنور السادات وزير الدفاع السوفيتى المارشال «جريتشكو» إلى زيارة القاهرة، ورتب بنفسه تفاصيل الزيارة لكى يكون لقاؤه حارا به.

دعا «السادات» المارشال «جريتشكو» إلى منزله فى الساعة السابعة مساء، قبل أن يتوجه إلى حفل عشاء أقامه له الفريق محمد أحمد صادق وزير الحربية فى نادى الضباط بـ«الزمالك»، لكن «المارشال» لم يصل إلى النادى قبل الساعة الحادية عشرة مساء، حيث أصر «السادات» إمعانا فى إظهار حفاوته على استبقائه، وغنت له إحدى بناته أغنية عن «ليالى موسكو» تعلمتها حينما كانت تحضر معسكرا للشباب فى الاتحاد السوفيتى.

وصل «المارشال» إلى نادى الضباط سعيدا مبتهجا بالود الذى أظهره له الرئيس السادات، ويحكى محمد حسنين هيكل هذه القصة فى كتابه «خريف الغضب» كدلالة على حرص السادات على إظهار متانة علاقته مع «السوفيت»، وهو ما يتناقض مع الحالة التى ظهر عليها فى مثل هذا اليوم «٨ يوليو ١٩٧٢» حين أعلن قراره الشهير بطرد الخبراء السوفيت من مصر.

كان عددهم نحو ٢٠ ألف خبير جاءوا فى مرحلة حرب الاستنزاف لتدريب الجيش المصرى على أسلحته السوفيتية الجديدة التى طلبها جمال عبدالناصر بعد نكسة ٥ يونيه ١٩٦٧، استعدادا لخوض معركة تحرير الأرض فى ٦ أكتوبر ١٩٧٣، وذلك فى سياق عمق العلاقات بين البلدين فى خمسينيات وستينيات

القرن الماضي، وشهدت تقديم العون السوفيتي فى بناء السد العالى ومئات المصانع؛ أبرزها مصنع الحديد والصلب فى حلوان.

فى كتاب «ذات يوم فى مصر» الصادر عن المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ترجمة على فهمى عبد السلام، وأنور محمد إبراهيم ، ويتضمن شهادة عدد من الخبراء السوفيت الذين كانوا فى مصر وشملهم القرار، يكشف السفير السوفيتى وقتئذ «ف. م. فينوجرادوف»، استدعاء السادات له ليعلن ويدون إبداء مبررات وبعصبية شديدة الاستغناء تماما عن خدمات العسكريين السوفيت، ويقول: «هذه قصة دراماتيكية وشائقة مفاتيحها موجودة فى اتصالات السادات بأمريكا، وأدى هذا القرار لتهليل قيادات أمريكا وإسرائيل».

يضيف السفير السوفيتى أن القيادة السوفيتية عَدَّت قرار السادات واجب التنفيذ، وغادرت كل القوات العسكرية السوفيتية مصر بانتظام فى خلال أسبوع، وكانت هناك مشاهد مؤثرة عندما لم يخجل الكثير من الجنود والضباط المصريين فبكوا وهم يفترقون عن معلميهم وأصدقائهم السوفيت.

بالرغم مما يقوله السفير السوفيتى بأن «مفاتيح القرار موجودة فى اتصالات السادات بأمريكا»، فإن الحدث كان مفاجئا لـ«أمريكا والغرب» والشاهد ما يقوله السفير نفسه: «زارنى السفير الإنجليزى للتأكد من حقيقة مغادرة العسكريين السوفيت لمصر»، وعندما سمع تأكيدى لذلك قال: «قبل ذلك كنا نجتهد لحل أزمة العرب وإسرائيل بسرعة حتى يخرج العسكريون السوفيت من الشرق الأوسط».

وعن ذلك أيضًا، يقول هيكل إن السادات تصور أنه بمجرد إعلانه قراره فإن الأمريكيين سيكونون سعداء لدرجة تجعلهم يستجيبون لأى شىء يطلبه، وكانت حساباته خاطئة، وكما قال هنرى كيسنجر وزير الخارجية الأمريكية وقتئذ: «لماذا لم يُقلْ لنا ما كان ينوى أن يفعله؟، ربما لو قال لنا لكنا قدمنا له شيئا فى مقابله».

٩ يوليو عام ١٨٠٥
محمد علىّ يتلقى فرمانًا رسميًا بتنصيبه واليًا على مصر

فى ورقة تم العثور عليها فى اليوم الذى رحل فيه عن القاهرة متوجها إلى الإسكندرية، كتب خورشيد باشا آخر والٍ عثمانى لمصر بخط يده: «أترك خلفى رجلا سيصير أكبر متمرد فى الإمبراطورية، لم يكن سلاطيننا قط فى يوم من الأيام بمثل حيلة هذا الرجل المتقد النشاط».

كانت الورقة التى حملت هذه «العبارة النبوءة» فى دار الوالى المخلوع، وأما الرجل الذى يقصده فهو «محمد على باشا» الذى تلقى من السلطان العثمانى فرمانا رسميا بتنصيبه حاكما لمصر فى مثل هذا اليوم «٩ يوليو ١٨٠٥»، وهذا الجانب من القصة نجده فى كتاب «الفرعون الأخير-محمد على»، تأليف «جيلبرت سينويه»، ترجمة «عبد السلام المودنى».

نص الفرمان على: «إلى محمد على، والى جدة سابقا، ووالى مصر منذ العشرين من شهر ربيع الأول، يوافق الباب العالى على اختيار العلماء لشخص محمد على، ويعلن أحمد خورشيد باشا مُقالاً من مهامه، وإلى ذلك يتعين عليه السفر إلى الإسكندرية مع كل الاحترام الواجب له، وهناك عليه انتظار التعليمات التى ستوجه له وتعيينه فى حكومة أخرى».

لم يكتب «السلطان العثمانى» هذا الفرمان بمحض إرادته، وإنما خضوعا لإرادة الشعب المصرى الذى ثار بقيادة «عمر مكرم» ضد التعيينات التى تأتيه من سلطة الدولة العثمانية «الباب العالى»، باعتبار أن مصر تقع تحت

حكـم هـذه الدولـة، وصمـم الشـعب عـلى أن يختـار حاكمـه بإرادتـه فرفـض تعيـين «خورشـيد باشـا»، واجتمـع وكلاء الشـعب مـن العلـماء ونقبـاء الصنـاع يـوم ١٣ مايـو ١٨٠٥ وقـرروا تنصيـب محمـد عـلى حاكـما، وهـو مـا يُعـد أول اختيـار حقيقـى مـن الشـعب المـصرى عـبر ممثليـه لحاكمـه.

فى كتابـه «تاريـخ الحركـة القومية وتطـور نظـام الحكـم فى مصر-الجـزء الثانـى» يقـول «عبدالرحمـن الرافعـى»، إن المجتمعـين انتقلـوا إلى «دار محمـد عـلى» لإبلاغـه بقرارهـم فقالـوا لـه: «إننـا لا نريـد هـذا الباشـا «خورشـيد» واليـا علينـا، ولا بـد مـن عزلـه مـن الولايـة»، فقـال محمـد عـلى: «ومـن تريدونـه واليـا؟»، فـرد الجميـع بصـوت واحـد: «لا نـرضى إلا بـك، وتكـون واليـا بشروطنـا لمـا نتوسـمه فيـك مـن العدالـة والخـير».

كان القـرار إذن هـو قـرار الشـعب، لكـن «خورشـيد باشـا» اسـتخف بـه حـين أبلغـه بـه الزعـماء الذيـن قـادوا هـذه الثـورة فقـال: «إنى مُـولًى مـن طرف السـلطان، فـلا أعـزل بأمـر مـن الفلاحـين، ولا أنـزل مـن القلعـة إلا بأمـر مـن السـلطنة»، وبـدأ فى تحصـين القلعـة وبتزويـد رجالـه بالسـلاح والذخـيرة مـن أجـل إخضـاع القاهـرة، وفى المقابـل دعـا زعـماء الشـعب الأهـالى إلى حمـل السـلاح وحصـار القلعـة، واحتشـد الثائـرون فى ميـدان الأزبكيـة حتـى مَلُـوه، واعتـزم الزعـماء أن يعيـدوا إبـلاغ الـوالى بقرارهـم، ويطلبـوا منـه احترامـه منعـا للفتنـة وحقنـا للدمـاء، وتطـورت الأحـداث وتصاعـدت بـين الطرفـين، حيـث صمـم «خورشـيد باشـا» عـلى عنـاده، وصمـم الزعـماء عـلى ألا تعـود العجلـة إلى الـوراء، حتـى كان فرمـان السـلطان العثمانـى.

يتحـدث كتـاب «الفرعـون الأخـير» عـن أن خورشـيد باشـا لمـا وجـد أنـه فقـد دعـم السـلطان، وتخـلى عنـه رجالـه، قـرر الاستسـلام، شرط ألا يُرغـم عـلى تقديـم أى كشـف عـن الحسـابات الماليـة.

١٠ يوليو عام ١٩٧١
عبد الحليم حافظ يرفض إذاعة بيان انقلاب ضد الحسن الثانى فى إذاعة المغرب

اقتحم جنود الانقلاب ضد العاهل المغربى الملك الحسن الثانى مبنى الإذاعة المغربية، وسيطروا عليها بعد أن قتلوا أفراد الحراسة، ثم دخلوا إلى الاستوديو، حيث كان عبدالحليم حافظ يسجل أغنية خاصة بمناسبة احتفال «الحسن» بعيد ميلاده الثالث والأربعين، تأليف «محمد حمزة» وألحان «بليغ حمدى»، ويقول مطلعها: «أقبل الحسن علينا - ومن الحسن ارتوينا».

كان الحدث فى مثل هذا اليوم «١٠ يوليو ١٩٧١»، والمعروف تاريخيا باسم «انقلاب الصخيرات» وقاده الجنرال «محمد المذبوح» قائد الحرس الملكى، وتزامن تنفيذه مع وجود عشرات الفنانين المصريين والعرب فى المغرب بدعوة من الملك الحسن لإحياء حفلات غنائية بهذه المناسبة، ومن هؤلاء، محمد عبدالوهاب، بليغ حمدى، شادية، فريد الأطرش، وديع الصافى، محمد قنديل، محمد العزبى، محمد رشدى، هدى سلطان، محمد الموجى، عفاف راضى، منير مراد، محمد حمزة، الممثل صلاح ذو الفقار، والكاتب الصحفى محمود عوض، والفرقة الماسية بقيادة أحمد فؤاد حسن.

يروى الدكتور «هشام عيسى» طبيب الكبد المشهور والطبيب الخاص لـ«عبدالحليم حافظ» قصة هذا اليوم فى كتابه «حليم وأنا»، الصادر عن دار الشروق، القاهرة، حيث كان مرافقا لعبدالحليم، ويتحدث كشاهد عن تفاصيل

كثيرة، وأبرزها ما حدث مع «حليم» أثناء وجوده فى استوديو الإذاعة، وكان معه ملحن مغربى ضرير اسمه «عبدالسلام عارف»، حيث دخل أحد ضباط الانقلاب، ومعه ورقة تحتوى على بيان، وقال لـ«حليم»: «تم قتل الحسن، وعليك أن تلقى هذا البيان إلى الأمة المغربية».

فكر «حليم» للحظات، وحسب ما ذكره هو لـ«عيسى» فيما بعد، فإنه واجه أصعب اختبار فى حياته، فإذا كان الملك قد قُتل ورفض هو إذاعة البيان، فربما يُقْدم هؤلاء على قتله، أو حتى إخراجه من الإذاعة دون حراسة، حيث تدور المعركة فى الخارج، وإن قَبِل إذاعة البيان مرغما تحت التهديد، فربما أدى ذلك إلى أسوأ النتائج بالنسبة إليه كفنان له شعبية جارفة، وصديق للملك الذى يسعى لعلاجه من المرض ويحترمه.

رفض حليم إذاعة البيان وفضل مجابهة الخطر، وقال للضابط: «أنا فنان لا أعمل فى السياسة، وأكره أن أنخرط فيها»، فتحول الضابط إلى «الملحن الأعمى» الذى سجل البيان تحت تهديد السلاح، وواصلت الإذاعة بثه دون تعليق.

ظل «حليم» وصاحبه سجينين فى الاستوديو حتى المساء حين اقتحم الإذاعة مجموعة من جنود الملك وهم يطلقون النار فى الخارج، وفور اقترابهم من غرفة الاستوديو لجأ زعيمهم إلى حيلة ذكية ليقبض على مذيع البيان، حيث فتح باب الاستوديو وأطل على الداخل متظاهرا بأنه أحد أفراد الانقلاب حضر للمؤازرة، وفجأة رفع سلاحه، وأمر الجميع بإلقاء السلاح، ولم يطلق عليهم النار، فتفادى وقوع مذبحة، كان من الممكن أن تودى بحياة عبدالحليم الذى قبع فى سكون على مقعده حتى أحاط به جنود الملك وحملوه إلى غرفة آمنة.

١١ يوليو عام ١٩٦٧
«بومدين» يسأل «عبدالناصر» عن لغز الملك حسين

وجّه الرئيس الجزائرى، هوارى بومدين، حديثه إلى جمال عبدالناصر: «سيادة الأخ الرئيس، أنت لديك ألغاز لم تستطع حلها، وأنا أيضا لدىَّ لغز أبحث عن حل له، هذا اللغز هو الملك حسين، ملك الأردن، نحن كنا نعلم بأن الأردن ظل حتى يونيه ١٩٦٧ يتبع خطا سياسيًا مختلفًا، وأنا لا أعرف ما الذى حصل ليسبب هذا التغيير، وأريد أن أعرف معلوماتك عنه».

كان الحوار فى اجتماع بالقاهرة بين الزعيمين، وحضره وفدان من البلدين يوم ١٠ يوليو ١٩٦٧، وامتد الاجتماع إلى اليوم التالى، مثل هذا اليوم «١١ يوليو»، لبحث أسباب نكسة ٥ يونيه، وكيفية العبور منها، وتُعد محاضر هذه الاجتماعات بين «عبدالناصر» ونظرائه من زعماء العرب والعالم من أهم المراجع، لمعرفة الحقائق كاملة عن هذه المرحلة العصيبة التى لازالت آثارها ممتدة حتى الآن.

طبقا لمحضر اجتماع «عبدالناصر»، و«بومدين»، كانت هناك مباراة رائعة فى التفكير والتحليل، وتؤكد عظمة الزعيم الجزائرى فى موقفه مع مصر خلال محنتها الكبرى بعد النكسة.

يأتى محمد حسنين هيكل بنص محضر الاجتماع بين الزعيمين فى كتابه «الانفجار»، مؤسسة الأهرام، القاهرة، وحسب ما جاء فيه، فإن «عبدالناصر» أجاب عن سؤال «بومدين» بقوله: «يمكن يكون الملك تصور كما تصور

غيره أننا فى الطريق إلى انتصار كبير، ولكن الظروف خيبت حساباته كما خيبت حساباتنا جميعًا، ولم يكن أمامه إلا أن يحاول بكل ما يستطيع مع الأمريكان، وأنا اتصلت به بعد أن أعلنَّا نحن قطع العلاقات مع الأمريكان نتيجة لما ثبت من اشتراكهم فى العدوان علينا، وقلت له إننى أستثنيه من هذا الطلب بسبب أوضاعه الخاصة، وقلت له إنك لن تستطيع أن تستعيد الضفة الغربية إلا إذا وافقت أمريكا».

رد «بومدين»: «سؤالى عن التغيير المفاجئ الذى حدث فى موقف الأردن، وهو يمثل لغزًا لى، وسؤالى هو فى الواقع عن انعكاسات هذا الأمر على المستقبل، إذا كنا سوف نقاتل، وليس هناك بديل من أن نقاتل، فلابد أن نعرف بالضبط من هم معنا فى الخط لأنه فى القتال يستحيل أن يكون هناك ناس على خطين».

سادت فى قاعة الاجتماع لحظة صمت بدت طويلة، قطعها «عبدالناصر» بالقول: «بالنسبة لما حدث فهناك بالفعل تغيير مفاجئ فى موقف الأردن، وأنا كنت آخذه ببساطة، ويبدو أن الأخ بومدين لديه وجهة نظر أخرى، وبالنسبة للحاضر فأنا أرى أن الملك حسين يواجه مشكلة صعبة فقد فيها نصف مملكته، ويتحتم علينا الوقوف معه، وأما المستقبل فلا أستطيع أن أضمن شيئًا».

انضم الملك حسين إلى الاجتماع، وحضر إليه من الطائرة مباشرة، وقبل انضمامه سأل «عبدالناصر» «بومدين»: «ماذا ترى أن أقول له؟» فأجاب: «رأيى أن نترك له الحرية المطلقة فى العمل إذا كان يستطيع استعادة الضفة».

انفعل «بومدين» قائلًا لـ«عبدالناصر»: «مشكلتنا نحن العرب أننا لم نتعلم كيف نموت».

١٢ يوليو عام ١٨٨٢
الإنجليز يحرقون الإسكندرية.. وتوفيق:
«ولاد الكلب الفلاحين»

سأل أحد الأميرالات الذين فى معيَّة الخديو توفيق: «ما مصير الإسكندرية لو ضربها الإنجليز؟».

أجاب الخديو: «ستين سنة» وهز كتفيه.

قال الضابط: لكن السكان سيحرقونها، فأرجو أن تتوسط لدى الأميرال «سيمور»، والوقت لم يزل يسمح بذلك، استدعِ ذو الفقار وأمُرْه أن يحافظ على المدينة، فعنده من الرجال الكفاية.

أجاب الخديو: «فلتُحْرق المدينة جميعها ولا يبقَ فيها طوبة على طوبة، حرب بحرب، كل ذلك يقع على رأس عرابى وعلى رأس ولاد الكلب الفلاحين، وسيذوق الأوروبيون الملاعين عاقبة هروبهم مثل الأرانب».

الواقعة يرويها الشيخ الإمام محمد عبده فى مذكراته التى حققها طاهر الطناحى، دار الهلال، القاهرة، وتتعلق بضرب الإسكندرية من الأسطول الإنجليزى فى الساعة السابعة والنصف صباح يوم ١١ يوليو ١٨٨٢، والذى قاد إلى احتلالهم لمصر، ويفسر الطناحى تعبير «ستين سنة» التى قالها الخديو بـ«لعله (الخديو) يقصد ستين سنة احتلال إنجليزى».

يـروى «أحمـد عرابـى» وقائـع هـذا اليـوم فى مذكراتـه، مشـيرا إلى أن القتـال استـمر بـين الإنجليـز والجيـش المـصرى إلى قُبيـل الغـروب، ويقـول إن مقذوفـات المدافـع بحـوزة المصريـين لم تكـن تصـل إلى المراكـب الإنجليزيـة الموجـودة فى البحر، وهـى توجـه نيرانهـا إلى الإسـكندرية، ويضيـف أنـه فى أثنـاء القتـال تطـوع كثـير مـن الرجـال والنسـاء فى خدمـة المجاهديـن ومسـاعدتهم فى تقديـم الذخائـر، وإعطائهـم المـاء، وحمـل الجرحـى منهـم، وتضميـد جراحهـم ونقلهـم إلى المستشـفيات، واستُشـهد مائـة رجـل وامرأتـان مـن المتطوعـات.

اجتمـع الخديـو والنظـار ورئيـس مجلـس النـواب فى المسـاء، وتقـرر أنـه فى حالـة معـاودة الـضرب فى اليـوم التـالى «مثـل هـذا اليـوم ١٢ يوليـو ١٨٨٢»، يتـم رفـع الرايـة البيضـاء علامـة لإعـادة الصـلات الوديـة مـع الأمـيرال سـيمور (قائـد الأسـطول البريطانـى)، وكانـت الفكـرة تنـم عـن نوايـا طيبـة مـن «عرابـى» ورجالـه، وتواطـؤ مـن الخديـو، فالأسـطول الإنجليـزى كان يقـود معركتـه لغـرض الاحتـلال وليـس مجـرد «حـرب» تأديبيـة تتلوهـا هدنـة، ولهـذا تجـدد الـضرب يـوم ١٢ يوليـو، ولمـا رُفعـت الرايـة البيضـاء، لم يتراجـع وأصر عـلى مواصلـة ضرب المدينـة وحرقهـا لتنفيـذ مخططـه الأكـبر.

يرسـم الشـيخ محمـد عبـده صـورة مأسـاوية فى مذكراتـه عـما حـدث يـوم ١٢ يوليـو، مشـيرا إلى احـتراق المدينـة، وإصابـة الإسـبتالية (المستشـفى) وهـروب المـرضى والجرحـى، وكان عليهـا علـم الهـلال الأحمـر، ويقـول: «دخـل أولاد عـلى للنهـب، أمـا الهاربـون فكانـوا كالأعاصـير أو كـما انكـسر سـده فاندلـق، يتصـل بعضهـم ببعـض مزدحمـين متراكمـين، فى حالـة عقليـة أشـبه بالجنـون، سـائقين أمامهـم أو حاملـين عـلى ظهورهـم مـا خـف حملـه مـن أمتعتهـم، حيـوان، أثـاث ضئيـل، ثيـاب رثـة حتـى بعـض المفروشـات التـى لا قيمـة لهـا».

يضيـف محمـد عبـده: كان الحـر شـديدا وغيـم مـن الغبـار سـد الأفـق، وأظلـم الجـو، نسـاء يبحثـن عـن أولادهـن، يتشـاجر بعضهـن مـع بعـض، يتضاربـن، فى اختـلاط لا يمكـن التعبـير عنـه، عربـات بـلا عجـل استـعملت مسـاكن، عربـات مـن كل نـوع، بعضهـا سـاقط فى المحموديـة، بعضهـا مقلـوب، بعضهـا بخيـل، وبعضهـا بغـير خيـل، روائـح شـى اللحـم، صيـاح عـلى المـارة: «الخبـز الخبـز».

١٣ يوليو عام ١٨٥٤
مقتل الوالى «عباس»..
وشائعات عن إغراء عمته نازلى مملوكَيْن بجسدها

أعلن طبيب القصر رسميًا أن وفاة الوالى «عباس باشا» كانت لأسباب طبيعية، ونتيجة لمرض مجهول الاسم تسبب فى انهياره.

جاء هذا الإعلان بعد كتمان الخبر ٤٨ ساعة، تم خلالها نقل الجثمان من قصره بمدينة بنها إلى قصره فى العباسية فى وضح النهار، بعد أن تم إجلاسه بثيابه الرسمية فى عربة تجرها أربعة خيول، كما لو كان على قيد الحياة، وجلس إلى جانبه «ألفى بك» وهو أحد عبيده ومندوبه الخاص للمراسم.

هكذا كانت وفاة «عباس باشا» فى مثل هذا اليوم «١٣ يوليو ١٨٥٤» حسبما جاءت فى «مذكرات نوبار باشا»، الصادرة عن دار الشروق، القاهرة، وهو أبرز الوزراء الذين عملوا مع محمد على وابنه إبراهيم ومن بعده «عباس» ثم سعيد حتى إسماعيل باشا.

لم يكن إعلان طبيب القصر صحيحًا، فلا هو مات بمرض مجهول، ولا كانت الوفاة لأسباب طبيعية، وإنما تم قتله فى قصره بمدينة بنها، ويقول «نوبار» إن أربعة من مماليكه طعنوه أثناء نومه، وهناك قصة طويلة حول كيفية تنفيذ عملية القتل، لكن الاختلاف جاء حول جهة التحريض، وأكثرها إثارة ما يذكره «نوبار»، بأن «نازلى هانم» عمة عباس هى التى

حرضت على قتله طبقًا لما أخبره البعض، وأنها أغرت اثنين من المماليك بجسدها قبل الحادث بأيام قليلة، ويعلق نوبار: «ليس هناك ما يعطيني الحق في تصديق هذه الرواية، لكن لا يوجد ما يمنعني من الأخذ بها».

كان يوم مقتل «عباس باشا» حفيد محمد على هو نهاية لفترة حكمه لمصر التي بدأت من يوم ٢٤ نوفمبر ١٨٤٨، ويصفها «نوبار» بقوله: «مصر كلها كانت على مدى حكمه تشبه سراى عباس، حيث لم يكن الناس يتزاورون أو حتى يدعو بعضهم بعضًا، وكان كل فرد يعيش منطويًا ومنعزلًا، لأن خليفة إبراهيم كان رجلًا قاسيًا إلى حد التوحش».

يضيف نوبار: «ذات مرة قال لى إننى قادر على فعل أى شىء، وكل من حولى يجب أن يكونوا مثلى قادرين على فعل أى شىء»، وفى مرة أخرى أمر بحياكة فم إحدى وصيفاته لأنها تجرأت على التدخين فى جناح الحريم مخالفة بذلك أوامره، ولما كانت حظائره تضم خيرة وأجمل سلالات الخيول العربية، فقد منع الدخول إليها تمامًا مثل الحرملك».

كانت هذه التصرفات انعكاسًا لطباعه الحادة، التى كانت وكما يقول «نوبار» : «برهان على أنه لم يكن يشعر بالرغبة فى الاستمتاع بالمباهج أو العيش فى حياة الترف والبذخ سواء هو أو من حوله».

بالرغم من أن ما يذكره «نوبار» يرجح الآراء التى اعتدّت عهد عباس سيئا وتراجعا حادا عما بدأه جده «محمد على باشا» من نهضة، فإن «نوبار» يقول عنه: «كان سيدا عظيما وكبيرا، وكان يحلو له أن يردد دائمًا: «أنا وزير ابن وزير وحفيد وزير، أنا لست تاجرًا مثل جدى وعمى، وإذا كان من واجبى حماية التجار فهذا لا يعنى أنه من المفروض أن أقلدهم»» .

١٤ يوليو عام ١٩٤٤
أسمهان تغرق والمخابرات الإنجليزية تشيع أن أم كلثوم قتلتها

«كان الحزن على أسمهان ومازال كبيرا، إذ ليس فى كل يوم ترحل أميرة كهذه»، هكذا يصف المؤرخ الفنى الدكتور نبيل حنفى فى كتابه «الغناء المصرى-أصوات وقضايا»، الصادر عن دار الهلال، القاهرة، اليوم الذى شُيعت فيه جنازة الفنانة «أسمهان» بعد موتها غرقا فى مثل هذا اليوم «١٤ يوليو ١٩٤٤»، ويحكى فى كتابه قصة موتها كاملة.

كانت «أسمهان» تصور فيلمها الثانى والأخير «غرام وانتقام»، وقبل انتهاء التصوير حصلت على إجازة من إدارة استوديو مصر، لقضاء إجازة فى رأس البر، وفى الثامنة والنصف من صباح الجمعة «مثل هذا اليوم ١٤ يوليو»، استقلّت سيارتها «طراز الكود» من أمام ڤيلتها بشارع الهرم، وبرفقتها صديقتها وسكرتيرتها «مارى قلادة»، وكان يقود السيارة فضل محمد نصير، السائق فى «الاستوديو».

قبل الساعة الحادية عشرة بدقائق، وعند قرية «سرنفاش» التابعة لمركز «طلخا»، محافظة الدقهلية اصطدمت السيارة بحفرة كبيرة نتجت عن أعمال حفر تمت بعرض الطريق، وذلك لإمرار ماسورة تحمل الماء من ترعة الساحل إلى أرض أحد كبار الوزراء المطلة على الطريق.

كان الاصطدام من القوة بدرجة أطاحت بالسيارة إلى أعماق الترعة، وبينما تمكن السائق «فضل» من القفز من باب السيارة الأمامى وقبل أن تهوى إلى

الماء، لقيت «أسمهان» و«ماري قلادة» مصرعهما غرقا فى الجزء الخلفى من السيارة، لفشلهما فى فتح أبواب السيارة المغلقة عليهما.

كانت التحقيقات الأوَّلية وردود الفعل تتوالى، بينما يستحث الموسيقار «مدحت عاصم» بالعمل مع العمال طوال الليل لحفر قبر «أسمهان» فى قطعة أرض بمدافن الإمام الشافعي، اشتراها شقيقها الفنان «فريد الأطرش» بعد وفاتها مباشرة.

فى الحادية عشرة من صباح السبت «١٥ يوليو ١٩٤٤» توقف المرور تماما بوسط القاهرة، عندما تحرك موكب الجنازة الشعبية بآلاف المشيعين، يتقدمهم شقيقها فريد والموسيقار محمد عبد الوهاب.

انطلقت الشائعات تحمِّل البعض مسؤولية وفاة «أسمهان»، وكان أطرفها شائعة بأن «أم كلثوم» هى التى حرضت السائق على هذا الفعل حتى لا تزاحمها فنيا، وبالطبع لم يكن هذا الكلام صحيحا من بعيد أو قريب، وظل الأمر لغزا، حيث حصل السائق على حكم بالسجن شهرين لمسؤوليته عن الحادث لأنه كان يسير بالسيارة مسرعا، وتُوفِّى حاملا سره معه.

وفى كتابه «أسمهان لعبة الحب والمخابرات» الصادر عن سلسلة «كتاب اليوم، أخبار اليوم، القاهرة»، يشير مؤلفه «سعيد أبوالعينين» إلى أن أصابع الاتهام فى تدبير مصرع أسمهان تشير إلى أجهزة المخابرات التى لعبت معها ولحسابها، ثم انقلبت عليها ولعبت ضدها، وهى أجهزة مخابرات بريطانيا وفرنسا وألمانيا.

وينقل «أبوالعينين» عن «عزيز المصرى باشا» فى كتابه «أبو الثائرين» الذى صاغه محمد عبد الحميد، أن المخابرات الإنجليزية هى التى قتلتها، ثم أطلقت شائعة أن «أم كلثوم» هى التى دبرت الحادث للتغطية، وعملت على ترويج الشائعة وانتشارها.

١٥ يوليو عام ١٨٩٦
الحكومة تعدل لائحة بيوت العاهرات

عرفت مصر تجارة البِغَاء زمنا، ووضعت له قوانين ولوائح مُنظَّمة، وجمعت أموالا فى خزائنها منه، وفى مثل هذا اليوم «١٥ يوليو ١٨٩٦»، وضعت نظارة الداخلية تعديلات على لائحة «بيوت العاهرات» التى سبق إصدارها فى أول يوليو عام ١٨٨٥، وهى اللائحة التى تؤرخ لبداية تسجيل العاهرات وإعطائهن تذاكر تُسجل بها مهنهن وتاريخ الكشف الطبى عليهن.

شملت اللائحة بتعديلاتها ١٦ مادة، وتأتى فى كتاب «البغايا فى مصر-دراسة تاريخية واجتماعية من ١٨٣٤ - ١٩٤٩»، الصادرة عن العربى للنشر، القاهرة، تأليف «عماد هلال»، وعَرَّفت بيوت العاهرات بـ«كل محل يجتمع فيه امرأتان أو أكثر من المتعاطيات فعل الفاحشة يعد بيتا للعاهرات، ولجهات الإدارة أن تقرر ما إذا كان ينبغى اعتبار البيت من ضمن بيوت العاهرات».

واشترطت اللائحة أنه لا يجوز فتح بيوت للعاهرات إلا فى الأخطاط التى تعين لذلك، خاصة بأمر يصدر من المحافظ أو المدير، ويجب أن يكون بكل منها باب عمومى واحد فقط، ولا يجوز مواصلة بينها وبين مساكن أخرى أو دكاكين أو محلات عمومية، وحددت الأشخاص الذين لا يجوز لهم أن يفتحوا أو يديروا بيوتا للعاهرات وهم، القُصَّر غير بالغى الرشد، والمحجوز عليهم، والمحكوم عليهم بسبب ارتكاب جناية عادية «غير سياسية»، والمحكوم عليهم لارتكاب سرقة، أو إخفاء أشياء مسروقة، أو نصب، أو نشل، أو خيانة

بعد ائتمان، أو إخفاء أشقياء، أو مجاهرة بهتك حرمة الآداب، أو تحريض قاصر على الفسق، وذلك إذا كان قد مضى على الحكم الصادر عليهم أقل من خمس سنين، أو يكون قد صدر عليهم فى خلال خمس السنين التالية لصدور الحكم، حكم بالحبس فى مواد الجنح.

فى كتابه «مجتمع القاهرة السرى-١٩٠٠ - ١٩٥١»، الصادر عن العربى للنشر، القاهرة، يؤكد المؤرخ الدكتور عبد الوهاب بكر، على أنه خلال الحملة الفرنسية أُقيم فى «غيط النوبى» المجاور للأزبكية فى القاهرة أبنية للبغاء على هيئة خاصة، وفرضوا على من يدخلها رسما معينا، إلا إذا كان مصرحا له بورقة يحملها صادرة من السلطات الفرنسية تبيح له الدخول دون أجر، وظل البغاء نشطا فى عهد محمد على «١٨٠٥-١٨٤٨» حتى أصدر فى يونيه ١٨٣٤ قانونا حظر فيه الرقص العمومى للنساء والبغاء فى القاهرة، وتقرر عقاب المخالفات لهذا القانون بالجلد ٥٠ جلدة فى المرة الأولى، وبالأشغال الشاقة لمدة سنة أو أكثر فى حالة تكرار المخالفة، وتضمنت العقوبات أيضا، إبعاد المومسات والراقصات إلى «إسنا» و«قنا» و«الأقصر»، فى محاولة منه لتطهير العاصمة من هذا النشاط، أو تهميش نشاط النساء العموميات بدفعهن إلى حافة المجتمع.

ترك قانون «محمد على» آثارا سلبية رغم مقاصده الصحيحة، حيث تحولت المغنيات والراقصات إلى البغاء باعتباره مهنة تتم فى الخفاء، وانتشرت بؤره فى «الجنوب» لسعى الأجانب للاستمتاع بهذه الحرفة المحرم ممارستها فى القاهرة، وفى عهد «الوالى عباس» رُفع الحظر عن البغاء والرقص والغناء، وعادت المشتغلات بهذه الحرف لممارسة نشاطهن فى العاصمة، وزادت الضرائب التى تُحصَّل منهن.

١٦ يوليو عام ١٢١٢
هزيمة المسلمين فى الأندلس فى معركة «العقاب»

بعث البابا «أنوسنت الثالث» بنداء إلى كل أوروبا: «هى حرب صليبية لا يحل الغفران على من لا يساعد أو لا يشارك فيها»، كان هذا النداء دفعة كبيرة فى إحدى الحروب ضد دولة الأندلس التى أسهمت فى زوالها عام ١٤٩٢، وكان إعلانها عام ٧١١ ميلادية.

كان النداء فى المعركة المشهورة تاريخيا بـ«العقاب» التى وقعت فى مثل هذا اليوم «١٦ يوليو ١٢١٢»، ضد دولة الموحدين بقيادة السلطان محمد الناصر، وشكلت نقطة تحول فى تاريخ دولة المسلمين فى الأندلس.

فى وقائع المعركة تفاصيل تبدأ قبل ١٦ يوليو ١٢١٢، حيث قام «ألفونسو الثامن» بتأليب مسيحيِّى أوروبا ضد المسلمين فى الأندلس، ونجح فى ذلك مما شجعه فى عام ١٢٠٩ على نقض هدنة كان وقَّعها عام ١١٩٥ مع «الناصر» بعد هزيمته فى معركة «الأرك» عام ١١٩٥، وكان نتيجة هذا النصر توطيد حكم المسلمين فى الأندلس وتوسعة أراضيهم، لكن ذلك لم يَرُق أبدا لـ«ألفونسو الثامن» فتحين الفرصة للانتقام.

تجسد نقض الهدنة من ألفونسو الثامن فى اقتحامه لـ«حصن رباح» فى وسط الأندلس، فأعلن السلطان محمد الناصر الجهاد وأمر بتجهيز الجيوش لإيقاف المد الصليبى، وكان قوام جيش «محمد الناصر نحو ٣٠٠ ألف مقاتل وقدَّره آخرون بنحو نصف مليون لكثرة عدد المتطوعين».

سارع «الناصر» بجيشه واستقر فى إشبيلية وأرسل جزءا من جيشه لتحرير قلعة رباح، وبعد حصار دام ٨ أشهر استطاع المسلمون أن يعيدوا ذلك الحصن، واستغل ألفونسو الثامن هذا الوضع وبعث إلى البابا «أنوسنت الثالث» يدعوه إلى الإعلان عن حرب صليبية فى أوروبا، واستجاب له البابا، فأمر بمساعدته وأعلنها حربا صليبية لا يحل الغفران على من لا يساعد ولا يشارك فيها، فأرسلت إيطاليا وفرنسا الجنود لدعم هذا التحالف المسيحى الذى يدير معركته باسم الدين.

كانت شرارة القتال بين الطرفين على أطراف جبال «الشارات» يوم ١٦ يوليو ١٢١٢، وعلى الرغم من البداية القوية لجيش «محمد الناصر» فإنه لم يواصل بنفس درجة قوة البداية؛ مما أدى إلى هزيمته ومقتل الكثير من المقاتلين وانسحب الباقون إلى بلاد المغرب، وبالغت الروايات الإسبانية فى قولها بأن عدد القتلى المسلمين فى هذه المعركة بلغ ١٠٠ ألف، أما «محمد الناصر» ففر من ميدان المعركة بعد أن رأى هزيمة جيشه ومقتل ابنه فى القتال، وجلس فى خيمة منتظرا الموت أو الأسر، إلا أن جموع المسلمين المنسحبة أجبرته على الفرار معها، فانطلق حتى وصل إلى إشبيلية ومنها إلى مراكش وتُوفِّى بعدها بفترة قصيرة.

عجّلت هزيمة «العقاب» بسقوط دولة الموحدين فى المغرب وجنوب إسبانيا والتى زالت نهائيا عام ١٢٥٢، ويرى الدكتور محمد عبد الله عنان فى موسوعته «تاريخ الأندلس»، الصادرة عن مكتبة الأسرة، القاهرة، أن معركة العقاب لم تكن خسارة معركة، وإنما نهاية دولة الأندلس فبعد ٣٠ عاما منها، استولى الإسبان على أكثر من ٩٠٪ من أراضى الأندلس.

١٧ يوليو عام ١٩٦٤
زعماء أفريقيا يتحدثون عن أحزان القارة السمراء فى القاهرة

«هنا والآن.. أتقدم إليكم باقتراح ينص على إقامة حكومة اتحادية لكل أفريقيا، وإنشاء قيادة عسكرية موحدة».

طرح هذا الاقتراح الرئيس الغانى «نكروما»، أمام مؤتمر القمة الأفريقية فى القاهرة والذى عقد فى مثل هذا اليوم «١٧ يوليو ١٩٦٤»، ويُعد المؤتمر الأول فى رسم السياسات الأفريقية، وكان سبقه مؤتمر فى إثيوبيا عام ١٩٦٣ اقتصر فقط على إنشاء منظمة الوحدة الأفريقية والتوقيع على ميثاقها.

كانت الجلسة الأولى للمؤتمر تعبيرا متجددا عن أحزان أفريقيا، وبالعودة إلى المناقشات التى دارت خلالها، سنجد تلاً من المرارات فى حلق آباء النضال الأفريقى، وينقل وقائعها كتابا «سنوات الغليان»، الصادر عن مؤسسة الأهرام، القاهرة، لمحمد حسنين هيكل، و«مذكرات محمود رياض» وزير الخارجية، الصادرة عن دار المستقبل العربى، القاهرة.

اشتكى «نكروما» من الاحتكارات المسيطرة مثل احتكار «أوبنهايمر»، وشرح أثناء كلامه أن «أوبنهايمر» ابتلع ١٠٤ شركات، تحتكر فيما بينها ٨٠ من ماس العالم.

انفعل رئيس مالى «موديبوكيتا» متحدثا عن التمييز العنصرى قائلًا: «ألا تعرفون أيها السادة أن العنصرية هى الابنة الشرعية للعبودية».

لحقه «نكروما»: «إن بريطانيا كانت تاجر العبيد الأكبر فى التاريخ»، وأضاف، أنه وجد وثائق فى «أكرا» «عاصمة غانا» من عهد الاحتلال تثبت أن عدد العبيد الذين أسرهم البريطانيون وشحنوهم إلى مستعمراتهم، أو تاجروا فيهم حيث شاءوا يصل إلى ٥٠ مليونا من البشر.

كان الرئيس الجزائرى أحمد بن بيلا، أحدث الرؤساء الأفارقة الذين اعتلوا كرسى الحكم من باب النضال ضد الاستعمار الفرنسى، وتحدث متوافقا مع كل هذه الأصوات التى تستدعى أحزانا هائلة.

ذكر «بن بيلا» قصة آخر مقيم عام فرنسى فى الجزائر قبل الاستقلال، والذى وصل به الأمر إلى حد شحن كل ما كان موجودا فى القصور من تحف وأثاث، حتى إنه حمل معه لمبات الكهرباء التى كانت تضىء قصره وتحول فيما بعد إلى قصر الشعب.

التحم الرئيس الغينى «نيريرى» مع هذا الشحن، فتساءل: هل يعقل أن بلدا مثل بلجيكا يستعمر بلدا مثل الكونجو، وهى أكبر منه ٧٧ مرة، والأسوأ أن مستعمرة مثل الكونجو كانت من أولها ملك شخص واحد هو «ليوبولد السادس» من سنة ١٨٧٦ إلى ١٩٠٨، وهذا جعله أغنى رجل فى العالم فى زمانه ومسيطرا على أهم مناجم الذهب والنحاس والماس ومزارع المطاط وتجارة العاج، ومات أكثر من ٥ ملايين كونجولى جوعا من أسْر عبوديته.

قفز «نيريرى» من الماضى إلى الحاضر قائلًا: «والآن أمامنا فى الكونجو الجنرال موبوتو وهو يزعم أن الله قد هداه فرأى النور، ولست مستعدا أن أصدق أن المعجزة التى حدثت للقديس بولس يمكن أن تتكرر مرة أخرى مع الجنرال موبوتو».

كان إيقاع الكلام ساخنا على هذا النحو وبقدر ما كان يفتح باب الأحزان، فإن الحماس أخذ الرئيس نكروما ليتقدم باقتراحه حول قيام حكومة اتحادية أفريقية، وعلى الرغم من هذا الحماس النضالى، فإن «عبدالناصر» واجه مشكلة مع الحاضرين.

١٨ يوليو عام ١٩٦٤

نكروما يعلن أمام القمة الأفريقية بالقاهرة..:

«من حقى عمل تمثال لى فى أمريكا»، والقادة يضجون بالضحك

تحدث الرئيس جمال عبدالناصر، وقاطعه الرئيس الغانى نكروما، فكان سجالا قصيرا لكنه رفيع بين الزعيمين فى جلسات مؤتمر القمة الأفريقية بالقاهرة، وكان يومها الثانى فى مثل هذا اليوم «١٨ يوليو ١٩٦٤»، وتقرأ وقائعه فى كتابَىْ «سنوات الغليان» لـ«محمد حسنين هيكل» و«مذكرات محمود رياض-الجزء الثالث» وكان زيرا الخارجية مصر وقتئذ.

شعر جمال عبدالناصر بالقلق مما أُثير فى جلسات اليوم الأول «١٧ يوليو»، حيث استدعى الزعماء الأفارقة أحزانا كثيرة نتيجة سياسات الاحتلال لدول القارة، وتمخض هذا الاستدعاء عن اقتراح طرحه نكروما بضرورة إقامة حكومة اتحادية لكل أفريقيا.

قال عبد الناصر، إننا نريد لهذا المؤتمر إطلالة على مستقبل أفريقيا، وليس مجرد نُواح على أحزان ماضيها، وأنا أول من يعرف ثقل الميراث الاستعمارى ومصائبه، ولكننى أعرف أيضا أننا إذا تركنا مشاعرنا للغضب، فسوف توجهنا إلى الانتقام، وهذا شىء سلبى لا يحقق لنا شيئا، وإنما يتركنا بكثير من المرارة فى حلوقنا.

وأضاف عبدالناصر، أنه يجد نفسه حائرا بين نغمتين تترددان فى المؤتمر، نغمة المطالبين بأكثر مما تتحمله الظروف مثل حكومة واحدة لكل أفريقيا،

وجيش واحد، ونغمة المطالبين بقبول الأمر الواقع والرضا بأحكامه، وتلك أقل كثيرا مما تسمح به الظروف، وظروف أفريقيا فى الحقيقة تسمح لها بتحقيق أشياء عملية كثيرة، ونقطة البداية الصحيحة أن تتمكن أفريقيا أولا من حل مشكلات النزاع على الحدود، فكل دولة منا على نزاع مع جيرانها حول تقسيم الحدود، ونحن جميعا نسلم بأن هذه الحدود لا تمثل أى حقائق جغرافيا، أو حقائق تاريخ، أو حقائق أمن، وإنما مجرد خطوط رُسمت على خرائط بحدود الاستكشافات أو امتيازات الشركات الاستعمارية الكبرى المستغلة.

وعند هذه النقطة قاطعه الرئيس نكروما قائلًا: إن هذه الاستكشافات التى قام بها الرحالة الأوروبيون وادعوا بعدها أنهم وضعوها على خريطة العالم هى أيضا إهانة، فأنا لا أعرف كيف استكشفوا ما كان موجودا قبل أن يوجدوا هم، وعندما يجىء رجل مثل «ليفينجستون» ويقول إنه اكتشف الكونجو، فإننى أشعر بنار تشتعل فى رأسى، فالكونجو كان موجودا قبل أن يولد «ليفينجستون»، وكان سكانه يعيشون على ضفافه منذ أقدم عصور التاريخ.

أضاف «نكروما»، كان الأجدر بـ«ليفينجستون» أن يقول إنه أوروبى وصل إلى الكونغو وطاف بأرجائه، ولكن أن يقول إنه اكتشفه فهذه وقاحة، وإلا فمن حقى وأنا غانى زار أمريكا أن أقول إننى اكتشفتها، وأن أطالب بوضع تمثال لى أمام مبنى «الكابيتول».

فور أن ذكر «نكروما» أنه يطالب بوضع تمثال له أمام مبنى «الكابيتول» ضج الملوك والرؤساء الحاضرون بالضحك.

استعاد جمال عبدالناصر إلقاء كلمته متحدثا عن قضايا أخرى، مشيرا إلى مشكلات التخلف التى تعانى منها القارة، وثرواتها المنهوبة، وقلة الكوادر الفنية والإدارية، وقال إن مصر تضع خبرتها فى ذلك لصالح دول القارة، وتواصل المؤتمر وتواصل معه فتح قضايا أخرى.

١٩ يوليو عام ١٩٦٤
«عبد الناصر» يختار «أديس أبابا» مقرًا لمنظمة الوحدة الأفريقية

نحن الآن فى ثالث أيام مؤتمر القمة الأفريقية، «مثل هذا اليوم ١٩ يوليو ١٩٦٤»، وكانت فعاليته بدأت يوم ١٧ يوليو فى القاهرة.

اقترح الرئيس جمال عبدالناصر أن تكون العاصمة الإثيوبية «أديس أبابا» مقرا دائما لمنظمة الوحدة الأفريقية، ولم يقترح «القاهرة» على الرغم من أن نفوذ مصر فى أفريقيا وقتئذ يؤهلها لذلك، فلماذا؟

جاء اقتراح «عبد الناصر» كما يقول محمد حسنين هيكل فى كتابه «سنوات الغليان»، الصادر عن مؤسسة الأهرام، القاهرة لاعتبارات مصرية خالصة تتعلق بالعلاقة مع إثيوبيا، لإيمانه الدائم أن مصر عليها مراعاة مشاعر أديس أبابا إلى أقصى حد ممكن فى إطار سياستها المائية، ولأجل ذلك جاء اقتراحه بـ«أديس أبابا» مقرا للمنظمة الوليدة.

ويضيف هيكل أنه بصرف النظر عن اعتراضات بعض الزعماء الأفريقيين الجدد على شخص الإمبراطور هيلاسلاسى حاكم إثيوبيا، الذى يبدو وكأنه شخصية منتزعة من قلب أساطير القرون الوسطى، فإن جمال عبدالناصر كان يؤمن بأن أحدا لا يحق له أن ينكر دوره فى الكفاح الأفريقى، كما أن مصر عليها أن تجامله إلى آخر الحدود، حتى وإن كان حكمه الإقطاعى نقيضا لأفكار ودعوات مصر الثورية.

كان الموقف من إسرائيل من أهم الصعوبات التى واجهت «عبدالناصر» مع الزعماء الأفارقة خلال هذا المؤتمر، وحسب مذكرات «محمود رياض-الجزء الثالث» وكان وزيرا للخارجية وقتئذ، فإن الدعاية الإسرائيلية السوداء فى أفريقيا كانت تزعم أن إسرائيل حصلت على استقلالها بعد كفاح مرير ضد الاستعمار البريطانى الذى كان يحتل أراضيها، وأنها تتعرض حاليا لتهديد الدول العربية بالقضاء عليها والاستيلاء على أراضيها.

أمام تأثر قادة أفريقيا بهذه الدعاية الإسرائيلية تحدث عبدالناصر بأن مشكلة إسرائيل هى مشكلة حساسة، ومبعث الحساسية فيها أن هناك عددا من زملائنا وأصدقائنا يتصورون أننا نلحُّ على خطر إسرائيل من تأثير صراعنا كعرب معها، وأننا نريد توريط أفريقيا فى مشاكلنا الإقليمية، ونحن نختلف مع هذه النظرة، فحين نثير قضية إسرائيل أمام أفريقيا، فنحن نفعل ذلك من يقيننا، بأن إسرائيل من نفس الطينة العنصرية التى وجدت فيها جنوب أفريقيا (كانت وقتئذ تحت حكم التمييز العنصرى).

أضاف عبدالناصر: «أعددنا تقريرا مفصلا عن مجالات التعاون بين إسرائيل وجنوب أفريقيا، وهى مجالات تمتد من تجارة العبيد الآثمة، وحتى ميدان التعاون النووى المشبوه»، وواصل عبدالناصر: «من جانبنا نحن لا ننوى أن نطرح عليكم اتخاذ أى قرارات فيما يتعلق بأفريقيا، ونؤثر أن تجىء أى اقتراحات بهذا الصدد من أفارقة غير عرب، إذا هم اقتنعوا بمحض إرادتهم بأن إسرائيل خطر على أفريقيا بمقدار ما هى خطر على العرب».

وحسب «مذكرات محمود رياض»: كانت هذه أول مرة يستمع فيها غالبية الرؤساء لوجهة النظر العربية من رئيس عربى، يكنون له كل تقدير لمساندة حركات التحرر الأفريقية، وهو ما عبر عنه الرئيس «باندا»، رئيس مالاوى فى نهاية الاجتماعات عندما تحدث عن دور عبدالناصر فى تحرير أفريقيا والمساعدات التى قدمها إلى مالاوى قبل استقلالها.

٢٠ يوليو عام ١٨٨٢
«عرابى» يرد بجمعية عمومية على عزله بقرار «توفيق»

«إلى أحمد عرابى باشا.. إن سفرك إلى كفر الدوار مصحوبا بالجند وخروجك من الإسكندرية بعد القتال، وتعطيلك الخطوط الحديدية والبريد، ومنعك لمهاجرى الإسكندرية من العودة إلى أوطانهم واستمرارك على إعداد التجهيزات الحربية، وعدم امتثالك لأوامرنا والقدوم إلى الإسكندرية، كل ذلك ألجأنا إلى عزلك من وظيفتك فأنت بمقتضى هذا الأمر المرسل إليك معزول من الآن من نظارتَى الجهادية والبحرية».

كان هذا هو نص قرار الخديو توفيق بعزل «أحمد عرابى» من منصبه فى مثل هذا اليوم «٢٠ يوليو ١٨٨٢»، وفى مذكراته الصادرة عن الهيئة العامة لقصور الثقافة يقول «عرابى»، إن هذا الإعلان تلاه منشور صدر من الخديو تم تعليقه فى شوارع الإسكندرية يفصل فيه الأسباب التى دعته إلى قرار العزل، ويدافع فيه عن نزول الإنجليز إلى مدينة الإسكندرية، مشيرا إلى أنهم سيعودون إلى بلادهم بعد استتباب الأمن والراحة فى أنحاء مصر وإعادة سلطة الخديو المسلوبة.

كان «عرابى» وقت صدور هذا القرار فى كفر الدوار يعد العدة ليصد تقدم الإنجليز من الإسكندرية، ولم يكترث لما فعله «توفيق»، واستمر فى استعداداته، وطالب بعقد جمعية عمومية للنظر فى قرار العزل وهو ما حدث يوم ٢٣ يوليو.

كان يوم ١٧ يوليو هو اليوم الذى تداخلت فيه عوامل متعددة دفعت «توفيق» لإصدار قرار العزل، ففيه وكما يقول كل من «أحمد عرابى» فى مذكراته، و«عبدالرحمن الرافعى» فى كتابه «الزعيم الثائر أحمد عرابى»، أرسل الخديو توفيق تلغرافا من سرايا رأس التين إلى عرابى بكفر الدوار يأمره بالكف عن الاستعدادات الحربية ويحمّله تَبِعة ضرب الإسكندرية، ويدافع عن حسن مقاصد الإنجليز، ويأمره بالحضور إلى رأس التين ليتلقى منه التعليمات، وفى نفس اليوم بعث راغب باشا رئيس مجلس الوزراء خطابا إلى عرابى يبلغه فيه بمخالفته لأوامر الخديو فيما يقوم به من وسائل الدفاع، وعزم الخديو عزله من منصبه.

رفض «عرابى» كل هذه التحذيرات وبعث إلى الخديو رسالة بذلك، وأرسل إلى جميع المديريات والمحافظات تلغرافات يتهم فيها الخديو بممالأة الإنجليز وحذر الجميع من اتباع أوامره التى تخالف حالة الحرب، ودعا إلى عقد جمعية عمومية من الذوات والأعيان والعلماء يعرض عليها الموقف، ويطلب منها إصدار قرار فى شأن الخديو، وفيما يجب عمله لصالح الأمة، وصلاحية مثل هذا الوالى عليها.

فى مساء يوم ١٧ يوليو، وفى مقر وزارة الداخلية اجتمع العلماء والأعيان والرؤساء الروحانيون والوجهاء وكبار موظفى الحكومة، وبلغ عدد المشاركين نحو ٤٠٠ شخص، وعُرضت عليهم الرسائل المتبادلة بين عرابى والخديو، فقرروا بالإجماع وجوب مداومة الاستعدادات الحربية، مادامت بوارج الإنجليز فى السواحل وجنودهم فى الإسكندرية، وقرروا استدعاء الوزراء من الإسكندرية للاستفهام منهم عن حقيقة الأمر.

استشاط الخديو توفيق غضبًا من القرارات التى اتخذتها «الجمعية العمومية» وعَدَّها تحديا لإرادته، فأصدر أمره بعزل «عرابى» وتعيين عمر لطفى باشا محافظ الإسكندرية مكانه، لكن تطورات الأحداث لم تنتهِ عند هذا الحد حيث عادت «الجمعية» للانعقاد بطلب من عرابى.

٢١ يوليو عام ١٩٥٨
٣٦ حبشيًا فى انتخابات البابا كيرلس السادس

كادت إثيوبيا أن تتسبب فى بطلان انتخابات البطريرك البابا كيرلس السادس، لولا مفاوضات قادها الدكتور «كمال رمزى إستينو» وزير التموين وقتئذ.

وتعود هذه القصة إلى الوقت الذى بدأ فيه الاستعداد لانتخابات البطريرك البابا كيرلس السادس، وكانت فى أعقاب وفاة الأنبا يوساب يوم ١٢ نوفمبر ١٩٥٦، حيث تم فتح باب القيد للناخبين وفقا للائحة البطريرك الصادرة عام ١٩٤٢، وبمقتضى هذه اللائحة تقرر فتح باب الترشح يوم ٢٦ نوفمبر ١٩٥٦، وتقدم أربعة آلاف ناخب لقيد أسمائهم من بينهم سبع نساء، وتقرر فتح باب الترشح لمنصب البطريرك الجديد بعد شهر واحد من فتح باب القيد للناخبين كما تقضى بذلك اللائحة، ولكن فجأة وقع خلاف كبير بين المجلس المقدس والمجلس المِلِّى العام.

وفى كتاب «البابا كيرلس وجمال عبدالناصر» لـ«محمود فوزى»، يشرح طبيعة هذه الخلافات وكيفية تسويتها، مشيرًا إلى أن المجلس المقدس تمسك بقرار سبق أن اتخذه من قبل فى عهد «الأنبا يوساب» برفع سن الترشح لمنصب البطريرك إلى ٤٥ سنة، لكن المجلس الملى رفض ذلك، فضلًا عن خلافات حول أحقية المرأة فى أن تقيد نفسها فى جدول الانتخابات، وانتهت هذه الخلافات بقرار من المجلس المقدس بوقف انتخابات البطريرك حتى صدرت لائحة جديدة للانتخابات فى نهاية عام ١٩٥٧، خفضت السن إلى ٤٠ عامًا مع شروط أخرى.

طبقًا لهذه الشروط تم فتح باب القيد من جديد فى جدول الناخبين فى يناير عام ١٩٥٨، وبلغ عدد الذين قُيدت أسماؤهم يومها ٧٥٥ ناخبًا، وتم فتح باب الترشح لمنصب البطريرك، وكان من بين المرشحين «القُمُّص مينا البراموسى المتوحد» الذى ستختاره القرعة الهيكلية لمنصب البطريرك، ويختار لنفسه اسم «كيرلس السادس».

سارت الأمور على هذا النحو، حتى ظهرت مشكلة وهى أن اللائحة الجديدة نصت على اشتراك ٣٦ ناخبا من إثيوبيا فى الانتخابات التى ستنتهى بفوز البابا كيرلس، واتصلت البطريركية بسفارة إثيوبيا، فأوفدت أديس بابا وفدا إلى القاهرة لإجراء مفاوضات مع المجلس المقدس، وانتهت إلى أن توفد إثيوبيا عددا من الناخبين يماثل عدد الناخبين فى مصر، ولكن بشرط أن يبقى البطريرك من أبناء مصر الأقباط الأرثوذكس، وتم توقيع اتفاق بذلك فى مثل هذا اليوم «٢١ يوليو عام ١٩٥٨».

قبل بدء الانتخابات، أخطرت البطريركيةُ السفارةَ الإثيوبية بموعد الانتخابات، ولكن لم يصل أحد من الناخبين الإثيوبيين للقاهرة، وكانت مشكلة تهدد بوقف إجراء الانتخابات.

بذل وزير التموين الدكتور كمال رمزى إستينو جهودا كبيرة فى اتصالاته ومفاوضاته مع الإثيوبيين، انتهت بالاتفاق على إجراء الانتخابات فى موعدها بدون الإثيوبيين مع موافقتهم عليها، وعلى ذلك تمت الانتخابات وكان البابا كيرلس السادس أحد الثلاثة الذين فازوا لكنه كان أقلهم حصولا على الأصوات، ومع ذلك جاءت القرعة به.

فى ١١ مايو ١٩٥٩، تم ترسيمه فى حفل حضره مندوبًا عن الرئيس جمال عبدالناصر، أنور السادات سكرتير الاتحاد القومى، ووجه البابا كيرلس كلمة باللغة الحبشية إلى الشعب الإثيوبى، وكانت الإذاعة الإثيوبية تنقل احتفال الترسيم على الهواء مباشرة.

٢٢ يوليو عام ١٩٦٢
إطلاق «الأستاذ الجاهز»: «الظافر» و«القاهر»

كان جمال عبدالناصر فى استراحة المعمورة بالإسكندرية يقضى إجازة قصيرة، فتلقى مكالمة من المشير عبدالحكيم عامر يخبره فيها أن «الأستاذ» أصبح فى حالة جيدة جدا، وأنه يريد النهوض وأن يلقاه.

كان «الأستاذ» الذى يقصده «المشير عامر» هو صاروخ صناعة مصرية، أصبح مستعدا للانطلاق، مما يعنى تحولا كبيرا فى المنطقة بأسرها، وتلك قصة طويلة تتعلق بصناعة الصواريخ فى مصر التى بدأت عام ١٩٥٧ على أيدى العلماء الألمان الذين استجلبتهم مصر بعد هزيمة ألمانيا فى الحرب العالمية الثانية، وتفاصيلها نقرؤها فى كتاب «الحرب القذرة» للكاتب الصحفى محمود مراد، وكتاب «الفضاء الخارجى واستخداماته السلمية» لعالم الفضاء المصرى الدكتور محمد بهى الدين عرجون.

وقائع يوم إطلاق صاروخَى «الظافر» و«القاهر» فى مثل هذا اليوم «٢٢ يوليو ١٩٦٢»، كانت تتويجا لجهود سابقة فى مجال محاولة صناعة السلاح، سعت مصر أن تشق الطريق إليه.

يقول «مراد» إن عبدالناصر فهم من مكالمة المشير «عامر» أن الصاروخ استعد للانطلاق، ومن استراحته فى المعمورة طلب «عامر» ليسأله عن مدى الثقة فى نجاح التجربة، فقال له «المشير» إن فريق العمل واثق كل الثقة لكن الدول الكبرى أحيانا تفشل فى اللحظة الحرجة.

أضاف «المشير» متسائلا لـ«عبدالناصر»: «ألست واثقا يا ريس، أم ماذا؟».

رد عبدالناصر: «أنا واثق لكن خطر لى أن يحضر الصحفيون العرب والأجانب عملية الإطلاق حتى يكون الإعلان من عندنا، وبشكل لائق بدلا من أن يعلنه الآخرون مشوشا».

أجاب «عامر»: فليحضروا.

علق عبدالناصر: «كنت أعرف أن هذا رأيك، عموما تأخذ رأى العلماء والمسؤولين فى القاعدة».

فى صباح يوم ٢٠ يوليو، كانت الإفادة النهائية من المشير للرئيس: كل من فى القاعدة يطلبون من الرئيس أن يعتمد عليهم، ولن يخيب أمله فيهم وفى «الأستاذ».

فى التاسعة و٤٧ دقيقة صباحا، وأمام عبدالناصر وبحضور عبداللطيف البغدادى وكمال الدين حسين وعبدالحكيم عامر وزكريا محيى الدين وأنور السادات وحسين إبراهيم وعلى صبرى، انطلقت أربعة صواريخ واحدا وراء الآخر، صاروخان من «القاهر» وصاروخان من «الظافر».

التفت «عبدالناصر» إلى عصام خليل المشرف على الصناعات العسكرية وصافحه بشدة: «مبروك، مبروك يا عصام»، والتفت إلى جميع الحاضرين قائلا: «لقد حققتم اليوم انتصارا ضخما لأمتكم العربية كلها».

يتحدث الفريق «سعد الدين الشاذلى» رئيس أركان الجيش المصرى أثناء حرب أكتوبر ١٩٧٣، عن أنه كانت هناك مشكلات حقيقية فى تصنيع هذه الصواريخ، وأنه بحث عن العدد الموجود منها فى مخازن القوات المسلحة للبحث فى كيفية الاستفادة مما هو موجود فى الحرب مع إسرائيل، ويذهب «الشاذلى» إلى حد شكه فى أن الدعاية التى أنفقت على هذه الصواريخ كانت لأغراض سياسية.

وفى كتابه «سنوات الغليان» يتحدث محمد حسنين هيكل، عن هذا اليوم، قائلا، إنه على الرغم من أن تجربة هذين الصاروخين أثبتت نقصا لا بد من استكماله فى أجهزة التوجيه، فإن ظهور صواريخ مصرية كان حدثا فى المنطقة.

كان المشرف على مشروع الصواريخ هو أحد العلماء الألمان الذين شاركوا وهو الدكتور «وولفانج بيلز»، وهو الذى أشرف فيما بعد على صناعة الصواريخ فى الصين.

٢٣ يوليو عام ١٨٨٢
فتوى شرعية من شيخ الأزهر :
«الخديو توفيق خائن لوطنه ومارق من دينه»

«الخديو توفيق قد مرق من الدين مروق السهم من الرمية لخيانته لدينه ووطنه وانحيازه لعدو بلاده».

هذه الكلمات القاطعة هى نص الفتوى الشرعية التى صدرت بحق الخديو توفيق، ولم تكن هناك سابقة أو لاحقة لها فى حكم مصر.

مصدر قوة الفتوى وتفرُّدها فى تاريخ مصر أنها صادرة من الشيخ محمد عليش شيخ الأزهر، والشيخ حسن العدوى، والشيخ محمد أبوالعلا الخلفاوى، وعلماء آخرين كانوا يشاركون فى اجتماع «الجمعية العمومية» المنعقد فى مثل هذا اليوم «٢٣ يوليو ١٨٨٢»، فى دار وزارة الداخلية وبدعوة من أحمد عرابى للرد على قرار الخديو توفيق بعزله.

كان انعقاد هذه الجمعية هو الثانى له خلال أيام، وحضره ثلاثة من الأمراء وشيخ الأزهر وقاضى قضاة مصر والمفتى ونقيب الأشراف وبطريرك الأقباط الأرثوذكس وحاخام اليهود والنواب والقضاة والمفتشون ومديرو المديريات والأعيان وعُمُد ومشايخ قرى.

وفيما يقدر عبد الرحمن الرافعى فى كتابه «الزعيم الثائر أحمد عرابى»، الصادر عن دار المعارف، القاهرة، عدد الحاضرين بـ«٥٠٠»، يحدده صلاح

عيسى فى كتابه «الثورة العرابية» بـ«٢٦٠» من ممثلى طبقات الأمة، فى حين لا يذكر «أحمد عرابى» العدد الحقيقى فى مذكراته.

تلا الشيخ الإمام محمد عبده للمجتمعين المنشورات التى أصدرها أحمد عرابى، والأوامر الصادرة من الخديو توفيق، وألقى «على باشا الروبى» خطبة تناول فيها الخديو بالقدح، ويقول «صلاح عيسى»: إن «الروبى» حرض الحاضرين على الموافقة على قرار بتوقيف أوامر الخديو أى خلعه، وهاجم «سلطان باشا رئيس مجلس النواب» الإنجليز، وشرح ما ارتكبوه من فظائع وجرائم فى الإسكندرية، وقال إن الإنجليز من مدة يودون الاستيلاء على مصر، وإنه لا يصح عزل عرابى بل يلزم الاستمرار على المحاربة، وركز «الروبى» بشدة على القتال، وأكد أن انحياز الخديو إلى الإنجليز مسألة لم يعد فيها شك.

وتليت صورة استفتاء موجه إلى العلماء حول موقف الخديو، فجاء الرد من الشيوخ: «الخديو توفيق قد مرق من الدين مروق السهم من الرمية لخيانته لدينه ووطنه وانحيازه لعدو بلاده».

وطلب «يعقوب سامى» وكيل وزارة الجهادية «الحربية» ورئيس المجلس العرفى المنعقد، من الحاضرين رأيهم فى أوامر الخديو التى تصدر إليه منه، وكذلك ما يصدر من حضرات نظارات المقيمين معه، وسأل: «هل يلزمنى قبولها وتنفيذها أم لا؟».

انتهى الاجتماع إلى ثلاثة قرارات، هى: رفض قرار الخديو بعزل عرابى عن منصبه وتثبيته فى هذا المنصب، وتوقيف الخديو أو عزله هو ومجلس النظار «الوزراء» الموجود معه فى الإسكندرية، وعدم تنفيذ أوامرهم، حيث إن الخديو خرج عن قواعد الشرع الشريف والقانون المنيف، وعرض القرارات السابقة على الأعتاب الشاهانية «أى السلطان العثمانى» بواسطة وكلاء النظارات.

ويرى «صلاح عيسى» أنه بهذه القرارات استكملت القوى الثورية شرعيتها الخاصة، والمعارك دائرة بين الجيش البريطانى والجيش المصرى، وكانت أوسع الجماهير الشعبية قد التفت حول قيادة عرابى تسهم فى المعركة وتبذل لها الجهد.

٢٤ يوليو عام ١٩٥٦
عبد الناصر لأمريكا: «موتوا بغيظكم موعدنا يوم الخميس»

كانت الساعة التاسعة صباح يوم الثلاثاء الموافق مثل هذا اليوم «٢٤ يوليو ١٩٥٦»، حين وصل الرئيس جمال عبدالناصر إلى معمل تكرير البترول بـ«مسطرد» لافتتاح خط أنابيب البترول الجديد «السويس-القاهرة» ومعمل التكرير، وكان برفقته بعض أعضاء مجلس قيادة الثورة والوزراء.

قبل أن يبدأ «عبدالناصر» جولته لمشاهدة المعمل ونهاية الخط، التفت إلى محمود يونس رئيس الهيئة العامة للبترول قائلا: «اتكلم واشرح ولا تتوقف عن الشرح سواء كنت أسمع لك أو لا»، فيما يعنى أن آخر شىء يفكر فيه الرئيس هو ما يشرحه يونس له.

أدرك «يونس» شرود الرئيس وانصراف ذهنه عن كل ما يسمع، وحرصا منه على سلامته قال له: «أرجو ألا تلمس أى ماسورة فى المعمل لأنها ساخنة جدا لأن الوقت لم يسمح بتغليفها».

وقائع هذا اليوم الذى كان مفتتحا لقصة طويلة لمصر مع التحدى والكبرياء والإرادة الوطنية، تقرؤها فى كتاب «قناة السويس والأيام التى هزت الدنيا»، الصادر عن دار المعارف، القاهرة، للمهندس عبدالحميد أبوبكر، سكرتير الهيئة العامة للبترول وقتئذ، وكان حاضرا لافتتاح خط أنابيب البترول الجديد.

يقول «أبوبكر: «إنه أثناء الافتتاح ارتجل الرئيس جمال عبدالناصر كلمة، كنا نتوقع أنها سوف تتناول البترول الوطنى، لكنها انصبتّ على سحب العرض الأمريكى لتمويل السد العالى، وحملة التشكيك فى سلامة اقتصادنا الوطنى».

قال الرئيس: «قامت فى واشنطن ضجة تعلن، وقد تجردت من الحياء، بل تجردت من أى مبدأ من المبادئ التى تقوم على أساسها علاقات الدول، تعلن كذبا وخداعا وتضليلا أن الاقتصاد المصرى يدعو إلى الشك، إنى أنظر وأقول موتوا بغيظكم، والرد الذى سأقوله لهم على هذا الكلام اليوم هو غير الرد الذى سأقوله لهم يوم الخميس المقبل إن شاء الله».

وبعد حفل الافتتاح دعا عبدالناصر المهندس محمود يونس إلى مكتبه بمقر مجلس الوزراء الساعة الثانية عشرة والنصف ظهرا، فاصطحب «أبوبكر» إلى اللقاء، وكان ظنهما أنه متعلق بالبترول وقضاياه.

بمجرد أن جلس «يونس» بدأ فى عرض تقرير يحمله عن مشكلات البترول، واستمع الرئيس بلا تعليق، حتى سأله فجأة: «إيه معلوماتك عن قناة السويس؟»، فأجاب يونس بأن معلوماته قليلة.

مرت لحظات صمت حتى قال له عبدالناصر: «قررنا تأميم القناة».

قام يونس على الفور من مقعده معانقا عبدالناصر، ثم عاد ليكمل عبدالناصر: «أنا أكلفك بهذه المهمة يا محمود»، وللحظات لم ينطق محمود بكلمة واحدة.

كان المهندس «أبوبكر» موجودا خارج الاجتماع فاستدعاه عبدالناصر ليسأله عن معلوماته عن القناة، ثم أبلغه أيضا بقرار التأميم، وقبل أن يغادر الاثنان المكتب، أعطاهما الرئيس كتبا عن القناة وملفا بعنوان: مذكرة عن الشركة العالمية لقناة السويس «مقدمة من إدارة التعبئة».

قال عبدالناصر وهو يودعهما: القرار سيكون فى خطابى بعد غد الخميس، وبدء تنفيذ العملية سيكون عندما أذكر كلمة «ديليسبس»، وانصرف الاثنان للتجهيز طوال ٥٥ ساعة لواحد من أهم أحداث القرن العشرين.

٢٥ يوليو عام ١٩٦٩
بدء «المجموعة ٣٩ قتال» بقيادة «إبراهيم الرفاعى»

بعد نكسة ٥ يونيه ١٩٦٧ كان التحدى الأكبر أمام مصر هو إعادة بناء القوات المسلحة استعدادا لمعركة تحرير سيناء من الاحتلال الإسرائيلى، وفى هذا السياق رتبت القيادة السياسية والعسكرية نفسها على خوض عمليات ضد إسرائيل؛ حتى تبقى تحت الضغط المتواصل واستنزافها المستمر.

فى مثل هذا اليوم «٢٥ يوليو ١٩٦٩» كانت العسكرية المصرية على موعد مع واحدة من أنبل ظواهرها، وهى «المجموعة ٣٩ قتال»، والتى تأسست لتنفيذ عمليات خاصة خلف خطوط العدو.

بدأ عمل المجموعة من يوم ٢٥ يوليو بقيادة العقيد إبراهيم الرفاعى، بعد أن صدرت التعليمات التنظيمية رقم ١٦٤١ يوم ٢٤ يوليو بتشكيلها على أن تتبع فرع العمليات الخاصة بإدارة المخابرات الحربية، وبدأت فى تنفيذ عملياتها الخاصة ضد إسرائيل حتى ٢٥ أبريل ١٩٧٤.

ويتناول كتاب «حكاية المجموعة ٣٩ قتال»، الصادر عن الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، للكاتب الصحفى محمد الشافعى، قصة «المجموعة» منذ نشأتها، ويسرد الكتاب بدء تشكيلها واستمرارها فى عملياتها حتى نهايتها، ومراحل الإحلال والتجديد التى مرت عليها، نتيجة استشهاد بعض أفرادها (١١ شهيدًا) أو تسريح بعض الأفراد، ويؤكد أنه فى كل الأحوال لم تزِدْ

قـوة «المجموعـة» فى أى وقـت مـن الأوقـات عـن ٩٦ فـردا مقاتـلا، وبحسـابات الخـروج منهـا والدخـول إليهـا وعـدد الشـهداء طـول فـترة عملهـا بلـغ عددهـا ١٦٥، ويأتـى محمـد الشـافعى بأسـمائهم جميعـا فى كتابـه.

يقـترن اسـم «المجموعـة ٣٩ قتـال» باسـم قائدهـا الفـذ «إبراهيـم الرفاعـى» الـذى استشـهد يـوم ١٩ أكتوبـر ١٩٧٣، بعـد أن كان واحـدا مـن أهـم رمـوز العمليـات الخاصـة ضـد الجيش الإسرائيـلى فى تاريـخ العسـكرية المصريـة، خاصـة فى المرحلـة التاليـة مبـاشرة لنكسـة ١٩٦٧، وعـلى أثرهـا تقـرر ضمـه إلى فـرع العمليـات الخاصـة بالمخابـرات الحربيـة التـى أسسـها رئيسـها اللـواء محمـد أحمـد صـادق والـذى أصبـح وزيـرا للحربيـة مـن ١٥ مايـو ١٩٧١؛ حتـى أقالـه الرئيـس السـادات فى ٢٦ أكتوبـر ١٩٧٢ ليخلفـه الفريـق أحمـد إسـماعيل (المشـير بعـد حـرب أكتوبـر).

كان إبراهيـم الرفاعـى يتلقَّـى تكليفاتـه مبـاشرة مـن اللـواء محمـد أحمـد صـادق رئيـس المخابـرات الحربيـة، وقبـل تشـكيل «المجموعـة ٣٩»، شـكَّل اللـواء صـادق فى ٥ أغسـطس ١٩٦٨ «فـرع العمليـات الخاصـة» فى إدارة المخابـرات الحربيـة بقيـادة «الرفاعـى»، وكانـت مهمتهـا القيـام بعمليـات نوعيـة ضـد العـدو وخلـف خطوطـه.

بلـغ عـدد مجموعـة «فـرع العمليـات الخاصـة» ١٣ ضابطـا و٩٦ صـف ضابـط وجنديـا، وعملـت بتوجيـه مبـاشر مـن اللـواء صـادق، وبمتابعـة مـن الرئيـس جمـال عبـد النـاصر، وبلـغ عـدد عملياتهـا ٢٤ عمليـة خلـف خطـوط العـدو فى الفـترة مـن أغسـطس ١٩٦٨ حتـى يوليـو ١٩٦٩.

ونفـذ «الرفاعـى» قبلهـا ١٥ عمليـة مـع «منظمـة سـيناء العربيـة» التـى أسسـها النقيـب رجائـى أحمـد عطيـة، وأشرفـت عليهـا أيضـا المخابـرات الحربيـة، بالإضافـة إلى مجموعـة «الكومانـدوز المصريـون» ليكـون عـدد إجمـالى كل هـذه العمليـات ٣٩ عمليـة.

ولذلك اتُّخذ هذا الرقم اسماً للمجموعة الجديدة التى نفذت ٤٢ عملية منذ تأسيسها وحتى حلها يوم ٢٥ أبريل ١٩٧٤، وإذا أضفنا إليها مجموع العمليات التى تمت من منظمة «سيناء العربية» و«الكوماندوز المصريون» يكون إجمالى كل هذه العمليات ٨١ عملية شارك فى معظمها إبراهيم الرفاعى.

٢٦ يوليو عام ١٩٥٦
عبد الناصر يكرر اسم ديلسيبس ١٧ مرة
لإعطاء كلمة سر تأميم القناة

احتشد الآلاف فى ميدان المنشية بمدينة الإسكندرية لسماع خطاب جمال عبدالناصر فى مثل هذا اليوم «٢٦ يوليو ١٩٥٦»، وترقب العالم كله ماذا عنى بكلمته «موتوا بغيظكم» التى وجَّهها قبل يومين إلى أمريكا ردا على قرارها بسحب تمويلها لـ«السد العالى».

كانت وقائع اليوم كثيرة قبل بدء «عبدالناصر» خطابه، وتأتى بالتفصيل فى كتاب «قناة السويس والأيام التى هزت الدنيا»، الصادر عن دار المعارف، القاهرة للمهندس عبدالحميد أبوبكر، الرجل الثانى فى قيادة المجموعة التى قامت بعلمية التأميم، وتشمل الوقائع كل ما يتعلق بالقرار التاريخى الذى يعتزم عبدالناصر إعلانه، وهو تأميم القناة.

فالمجموعة التى ستتولى عملية التأميم بقيادة «محمود يونس» أعدت خطتها بسرية كاملة وحرفية هائلة، وشملت أماكن التنفيذ كل مواقع القناة فى بورسعيد والسويس والإسماعيلية ومكتبها الإدارى فى «جاردن سيتى».

قبل الخطاب بساعتين استدعى عبدالناصر مجلس الوزراء وأعضاء مجلس قيادة ثورة ٢٣ يوليو للاجتماع، وأبلغهم بالقرار، فانقسم المجتمعون حوله، وانتهى الاجتماع بقول عبدالناصر لهم: «أريد أن أكون منصفا لكم جميعا،

فأسجل هنا أننى أتحمل مسؤولية قرار التأميم، وللشعب المصرى والتاريخ أن يحاسبنى عليه، فلست أريد لأحد منكم أن يتحمل مسؤولية قرار خطير لم يعرف به إلا قبل إعلانه بوقت قصير».

كانت الساعة الثامنة والنصف مساء وقت أن بدأ عبدالناصر خطابه التاريخى الذى استغرق ثلاث ساعات، وأنصت إليه العالم، وشمل شرحا وافيا لقصة مصر مع القناة منذ حفرها بسواعد المصريين الفقراء، وسيطرة فرنسا وبريطانيا عليها، وكانت كلمة «ديلسيبس» فى الخطاب هى كلمة السر المتفق عليها لبدء تنفيذ عملية التأميم فور نطق عبدالناصر بها.

يقول أبوبكر: «خشى عبدالناصر أن تفلت كلمة السر من أسماعنا، فأخذ يكرر اسم (ديلسيبس) أكثر من مرة، كرره ١٧ مرة، بلا ضرورة فى بعض الأحيان، ليتأكد أننا تلقينا الإشارة المتفق عليها، غير أننا كنا قد سمعنا تماما، بل إننا تلقينا الإشارة من أول مرة نطق فيها اسم (ديلسيبس)، وكانت الساعة حوالى العاشرة مساء».

قال عبدالناصر: «الآن وأنا أتكلم إليكم يقوم إخوة لكم من أبناء مصر، ليديروا الشركة العالمية لقناة السويس ويقوموا بعمل الشركة، الآن فى هذه اللحظة يتسلمون شركة القناة المصرية».

فور الانتهاء من هذه العبارة كانت «مجموعة التأميم» داخل مبانى الشركة فى مدن القناة الثلاث، وفتح سكان العمارات القريبة منها الشبابيك والأبواب ليتأكدوا مما سمعوه فى الخطاب فتأكدوا من الحقيقة، وفى أقل من ساعتين تمت السيطرة على جميع مكاتب الشركة وجرد المكاتب والخزائن، وارتفع علم مصر عليها بدلا من علم القناة.

أثناء ذلك طلب صحفى سويدى اسمه «أندرسون» كان يتابع الحدث مقابلة المسؤول عن العملية، فأدخلوه إلى «يونس» ليجد شخصا بسيطا يفترش الأرض عمره ٤٣ عاما، واللافت أن الاثنين اللذين شاركا فى قيادة عملية التأميم كان عمرهما «٣٣ عاما» لعبد الحميد أبوبكر، ومحمد عزت عادل «٣١ عاما»، هكذا كان الشباب.

٢٧ يوليو عام ١٩٥٦
العالم يقف على أطراف أصابعه بعد قرار تأميم القناة
و« يونس » ينفذ بكفاءة

كان العالم فى مثل هذا اليوم «٢٧ يوليو ١٩٥٦» غير العالم الذى قبله بساعات قليلة، والتى أعلن فيها جمال عبدالناصر تأميم قناة السويس.

انشغلت عواصم العالم الكبرى بكيف يكون رد فعلها على هذه الخطوة التى علق عليها «أنتونى إيدن» رئيس الوزراء البريطانى غاضبًا من عبدالناصر: «لقد ذهب بعيدا، لقد فقد صوابه، ولابد أن نعيده إليه».

وقال فى اجتماع مجلس الوزراء الذى عُقد لمناقشة ما حدث: «أيها السادة، إنكم علمتم ما حدث فى مصر، إن المصرى قد وضع إصبعه على قصبتنا الهوائية، ويجب ألا نكتفى برفع إصبعه عن رقبتنا، ولكن يتعين علينا أن نقطع يده».

أما «عبدالناصر» وحسب كتاب «ملفات السويس»، الصادر عن مؤسسة الأهرام، القاهرة، لـ«محمد حسنين هيكل»، فاختار البقاء بعض الوقت فى الإسكندرية التى أعلن منها قرار التأميم، وفى اليوم التالى له «٢٧ يوليو»، ركز على موضوع واحد وهو حركة المرور فى قناة السويس.

كان عبد الناصر يريد الاطمئنان على نتائج يوم الامتحان الأول للإرادة المصرية، ومع ذلك لم يتصل مباشرة بـ«محمود يونس» قائد عملية التأميم،

لأنـه وجـد أن مثـل هـذا الاتصـال سـوف يشـغله ويربكـه، وطلـب مـن الجميـع ألا يبـادروا بطلـب «يونـس» حتـى بالتليفـون، فـلا ينبغـى لأحـد أن يقطـع عليـه شـواغله، ويجعلـه يحـس بـأن هنـاك مـن يسـاورهم القلـق وراءه»، وقـال للجميـع: «محمـود يونـس لـه حـق الاتصـال بمـن يشـاء فى أى وقـت يشـاء، ولكـن هـذا الحـق لـه وحـده».

أجـرى «يونـس» اتصـالًا وحيـدًا بـ«عبدالنـاصر»، أوضـح فيـه أن بعـض البواخـر العابـرة للقنـاة ترفـض دفـع الرسـوم للهيئـة الجديـدة، فـرد عبدالنـاصر عليـه بـأن يدعهـا تمـر، وأن يرسـل إلى كل باخـرة منهـا مذكـرة بإضافـة الرسـوم إلى حسـابات شركاتهـا، وأكـد أن الملاحـة لابـد أن تسـتمر ويتواصـل مـرور كل البواخـر بغـير تعطيـل لاسـتيفاء الحسـابات أو لغـير ذلـك مـن أسـباب، فتعطيـل باخـرة واحـدة فى هـذا اليـوم سـيكون الذريعـة التـى ينتظرونهـا.

فى قلـب هـذا الحـدث العظيـم، كان كل أبطالـه العظـام نموذجًـا فى الإرادة الوطنيـة والعطـاء، وفى طليعـة هـؤلاء محمـود يونـس (توفى يـوم ١٨ أبريـل ١٩٧٦)، والـذى يصفـه مسـاعده فى العمليـة المهنـدس عبدالحميـد أبوبكـر فى مذكراتـه: «كان يونـس معروفـا بقـوة الشـخصية، والصلابـة والحنكـة، وكان بحـق مدرسـة كبـيرة فى القيـادة والإدارة، كان مثـلا أعـلى فى جميـع تصرفاتـه لـكل مـن عمـل معـه، كان عملاقًـا فى عـصر العمالقـة».

كان يونـس المولـود يـوم ٣ أبريـل ١٩١٢ زميـلًا لمناضلـين كبيريـن؛ همـا «فتحـى رضـوان» و«أحمـد حسـين» كـما كان زميـلا لـ«محمود مختـار التتـش»، لاعـب ورئيس النـادى الأهـلى التاريخـى، والتحـق بكليـة الهندسـة، وكان مـن زعـماء الطلبـة الذيـن قـادوا المظاهـرات عـام ١٩٣٦ ضـد الاحتـلال الإنجليـزى، والتحـق بعـد تخرُّجـه بالكليـة الحربيـة ثـم بكليـة أركان الحـرب ليصبـح مدرسًـا فيهـا، وتعـرف فيهـا عـلى جمـال عبدالنـاصر الـذى كان طالبًـا فى صفوفهـا لتبـدأ بينهـما صداقـة طويلـة.

٢٨ يوليو عام ١٩٥٦
إيدن يسعى لإثبات قوة شخصيته أمام زوجته الشابة

فى اليـوم الثالـث «مثـل هـذا اليـوم ٢٨ يوليـو ١٩٥٦» مـن قـرار تأميـم قنـاة السـويس، كان صراع الإرادات بـين مـصر ومعسـكر «إنجلـترا وفرنسـا وأمريـكا» يتواصـل، كان جمـال عبدالنـاصر يواصـل دراسـته لـكل احتـمالات ردود الفعـل عـلى قـرار الـتأميم، وكان رئيـس الـوزراء البريطانـى «أنتونـى إيـدن»، يبحـث عـن كل الوسـائل التـى تـؤدى إلى قطـع يـد «عبدالنـاصر».

كان «عبدالنـاصر» فى مسـاء ٢٨ يوليـو، وكـما يقـول محمـد حسـنين هيـكل فى كتابـه «ملفـات السـويس»، الصـادر عـن مؤسسـة الأهـرام، القاهـرة، يقسـم وقتـه لدراسـة موضوعـين، همـا الاحتـمالات العسـكرية، حيـث قـرر سـحب مجموعـة الجيـش المـصرى الرئيسـة مـن سـيناء إلى الدلتـا لمواجهـة احتـمالات التدخـل الأجنبـى، أمـا الموضـوع الثانـى فـكان دراسـة موقـف مـصر الاقتصـادى عـلى أثـر قـرار تجميـد الودائـع والأرصـدة المصريـة فى بنـوك بريطانيـا وفرنسـا وأمريـكا.

كان «إيـدن» يتعامـل مـع الأزمـة باعتبارهـا فرصـة ليثبـت جدارتـه أمـام كل خصومـه وكل المتشـككين فى قدراتـه، كان يعيـش أزمـة خاصـة، حيـث تـزوج بعـد أن تخطـى عمـره السـتين مـن «بامبيـا تشرشـل» وهـى شـابة عمرهـا ثلاثـون عامًـا فقـط، وقريبـة لرئيـس الـوزراء البريطانـى «التاريخـى» ونسـتون تشرشـل، وكان أملهـا أن يثبـت زوجهـا أنـه ليـس أقـل صلابـة وقـوة مـن قريبهـا «تشرشـل».

كان «إيدن» يعوض فارق السن معها بالتظاهر أمامها بالقوة والصلابة والتشدد، ويروى بعض وزرائه أنهم كانوا يتجنبون الحديث معه أمامها، لأنه لم يكن يرد على ما يقولون، وإنما بما يريد أن تسمعه «باميلا»، كان يقول كلاما شديدا كبيرا أمامها، ثم يغيره فيما بعد.

بهذه النفسية أدار «إيدن» معركته ضد عبدالناصر، ظن أنه أمام عدو سهل، وأن الفرصة جاءته ليثبت قوته لزوجته الشابة، وأنه ليس أقل قوة من قريبها «تشرشل».

ويقول «أنتونى ناتنج»: حين انفجرت أزمة السويس أكاد أقول إن إيدن وجدها فرصة ليثبت جدارته أمام كل خصومه والمتشككين فى قدراته، كان يعيش على أقراص «البنزدرين» التى تشد أعصابه وتنبهها إلى أقصى درجة، وهكذا وأخيرًا جاءته الفرصة، خصوصا أنه أمام عدو بدا له سهلا، ولكنه فى الحقيقة لم يكن هكذا مطلقًا، وكانت أسعد اللحظات لديه حين يجلس فى غرفة العمليات، ويدخل جنرالات ويخرج جنرالات، وتفتح خرائط وتقفل خرائط، وتعرض خطط وتعدل خطط.

على هذا الأساس أدار «إيدن» خطواته، فكانت الدعوة إلى اجتماع ثلاثى حول الأزمة يعقد فى لندن بين إنجلترا وفرنسا وأمريكا، وفيما كان هذا الحلف الثلاثى يسعى لتوسيع دائرة المشاركة معه بدعوته لدول أخرى مثل ألمانيا الغربية، ردت «ألمانيا» على الخطاب الذى تلقته حول ذلك يوم ٢٨ يوليو طبقًا لكتاب «قناة السويس- ملحمة شعب.. تاريخ أمة» للكاتبين «محمد الشافعى» و«محمد يوسف»، بأنها ترى أن تأميم قناة السويس هو من الشؤون الداخلية لمصر، وأن اشتراكها فى المؤتمر إنما هو لتضم صوتها إلى جانب الدول الراغبة فى الوصول إلى تسوية سلمية للأزمة.

٢٩ يوليو عام ١٩٣٧
تتويج فاروق «ملكًا» بفتوى للشيخ المراغى

«عمر الملك المسلم إنما يُحسب بالسنين الهجرية، وإنه بهذا الحساب فإن جلالة الملك المعظم (فاروق)، حفظه الله، بلغ سن الرشد فى يوليو ١٩٣٧».

كان هذا هو نص الفتوى التى صدرت لصالح الملك فاروق، فاختصرت ما يقرب من سبعة أشهر من عمره الذى من المفترض أن يتولى به حكم مصر دستوريا وهو ١٨ عاما.

هى فتوى لم تولد هكذا لوجه الله، وإنما كانت لأغراض سياسية تتمثل فى استعجال تولِّى «فاروق» الحكم دستوريا، والقصة تبدأ من يوم ٨ مايو ١٩٣٦، حيث انعقد مجلسا النواب والشيوخ للتصديق على «ولاية جلالة الملك فاروق عرش مصر»، كان عمره وقتئذ ١٦ عاما وبضعة شهور، ولأن السن القانونية للحكم هى ١٨ عاما، كان «فاروق» قاصرا، فتقرر أن يتولى سلطات الملك مجلس وصاية يتكون من الأمير محمد على ولى العهد، وعزيز عزت باشا سفير مصر السابق فى لندن وأحد أصهار الأسرة المالكة، وشريف باشا صبرى خال الملك.

دار الحديث حول أفضل ما يقوِّم الملك حتى يبلغ سن الرشد، ويقول الكاتب الصحفى محمد عودة فى كتابه «فاروق بداية ونهاية»، الصادر عن دار الهلال، القاهرة: «رأى حزب الوفد أن يعود إلى بريطانيا ليستكمل دراسته، وأن يؤهل نفسه للمسؤولية، وأيده المندوب السامى البريطانى، لكن الملكة نازلى

(أم فاروق) اعترضت، وأقنعت رئيس الوزراء مصطفى النحاس بذلك»، فماتت الفكرة.

لم تهدأ الملكة «نازلى» ومعها شقيقها شريف صبرى، حيث سعيا لاختصار فترة الوصاية، كى يتولى «فاروق» حكمه منفردا وشرعيا، وحجتهما فى ذلك أن رئيس مجلس الوصاية «الأمير محمد على» عميل خسيس للبريطانيين، فطلبت من شيخ الأزهر الشيخ محمد مصطفى المراغى فتوى بمشروعية حساب عمر ابنها بالتقويم الهجرى فاستجاب المراغى.

وترى لطيفة سالم فى كتابها «فاروق الأول وعرش مصر»، الصادر عن دار الشروق، القاهرة، أن هذه الفتوى جاءت استنادا على الأمر الملكى الصادر فى ١٢ أبريل ١٩٢٢، وينص على أن الملك يبلغ سن الرشد إذا اكتمل له من العمر ثمانى عشرة سنة هلالية.

أصبح فاروق بالتقويم الهجرى ملكا دستوريا، وجرى الاستعداد لتتويجه فى احتفال كبير فى مثل هذا اليوم «٢٩ يوليو ١٩٣٧»، تم التخطيط له أن يتم كاحتفال دينى، يتمثل كما تقول لطيفة سالم فى: «دعوة الأمراء وكبار العلماء والشيوخ والقضاة، ويقف شيخ الأزهر بين أيدى الملك، ويدعو له، ويتلو صيغة معينة، ويجيب الملك عن كل سؤال فيها، ويقسم اليمين بالولاء لشعبه والبر بقوانينه، والعمل على رفاهية أمته وسعادتها، ثم يقدم شيخ الأزهر سيف محمد على».

كان صاحب الفكرة الأمير محمد على، وحسين حسنى سكرتير «فاروق» الذى يذكر فى مذكراته «سنوات مع الملك فاروق- شهادة للحقيقة والتاريخ»، الصادر عن دار الشروق، القاهرة، أن محمد التابعى «الكاتب الصحفى» التقى به كموفد من مصطفى النحاس ليبلغه رفضه لهذا الطقس فى الاحتفال: «فاشتراك شيخ الأزهر ورجال الدين يعنى التسليم لهم بالسلطة فى تولية الملك، وهو ما ينطوى فى مقابل ذلك على الحق فى عزله».

٣٠ يوليو عام ١٧٩٨
نابليون: «تأكدت من خيانة محمد كُريِّم فكَبَّلوه فى الحديد »

«إنـى لا أوافـق عـلى اعتقـال (كُريِّـم) وحسـب، بـل أمـرت فـوق ذلـك باعتقـال أشـخاص آخرين».

كان هــذا رد نابليــون بونابــرت قائــد الحملــة الفرنســية مــن القاهــرة، عــلى خطــاب أرســله إليــه نائبــه «كليــبر» مــن الإســكندرية، وجــاء الــرد فى مثــل هــذا اليــوم «٣٠ يوليــو ١٧٩٨».

جــاء رد نابليــون بعــد عــشرة أيــام مــن اعتقــال «كليــبر» لـ«محمــد كريــم»، الــذى تــم فى ٢٠ يوليــو عــلى أثــر مســاعدة «كريــم» للمقاومــة فى دمنهــور، ومعارضتــه لفــرض «كليــبر» خلفــة إجباريــة عــلى تجــار الثغــر يدفعونهــا للجيــش الفرنســى.

كان حــدث الاعتقــال كبيرا للرجــل الــذى عيَّنــه «نابليــون حاكــا للإســكندرية» يــوم ٧ يوليــو، أى قبــل اعتقالــه بـــ١٣ يومــا فقــط، وحســب كتــاب «مــصر تحــت حكــم بونابــرت» للمــؤرخ الأمريكــى خــوان كــول، والصــادر عــن «المركــز القومــى للترجمــة»: كان كريــم يتمتــع بشــعبية واســعة، كان مســؤولا عــن الموازيــن «قَبَّانيًــا» فى مينــاء الإســكندرية، ونجــح فى كســب ثقــة المســلمين مــن أهــل البــلاد والمســيحيين مــن الأجانــب لمــا اتســم بــه مــن نزاهــة.

أمــر «كليــبر» بإبقــاء «كريــم» فى إحــدى بــوارج الأســطول الفرنســى لإرســاله إلى «بونابــرت» فى القاهــرة، وأوصى قائــد الأســطول الأمــيرال «برويــس» بحســن

معاملتـه، و«أن يأمـر إذا شـاء أن تـؤدّى لـه التحيـة العسـكرية إلى أن يُعـرض أمـره عـلى القائـد العـام، ويقـرر مـا يـراه فى شـأنه».

فى مقابـل المعاملـة الحسـنة مـن «كليـبر» لـ«كريـم»، كان «نابليـون» عنيفـا معـه، ويـدا ذلـك مـن خطابـه يـوم ٣٠ يوليـو إلى الأمـيرال «برويـس» وصـورة منـه إلى «كليـبر» ويتحـدث عنـه «عبدالرحمـن الرافعـى» فى كتـاب تاريـخ الحركـة القوميـة وتطـور نظـام الحكـم فى مـصر- الجـزء الأول: «تحققـت مـن خيانتـه، فكبّلـه فى الحديـد، وسـد عليـه كل منفـذ حتـى لا يهـرب، وسـجن أتباعه وحاشـيته وأرسـلهم مخفوريـن إلى الجنـرال كليـبر بالإسـكندرية».

وفى الخطـاب نفسـه، يخـص نابليـون «كليـبر» بتعليـمات أخـرى، حيـث يأمـره باعتقـال كل مـن بقـى فى منـزل «كريـم» مـن الحاشـية، وأن يختـم عـلى داره وأملاكه، وأضـاف أنـه علـم ممـن قدمـوا لـه الأدلـة عـلى خيانـة كريـم أن أموالـه مطمـورة فى بئـر بالإسـكندرية، وأن عنـده دفـترا فيـه بيـان أموالـه وأملاكـه، وأن بعـض خدمـه يعرفـون مقاديـر هـذه الأمـوال وموضعهـا.

وكلـف نابليـون، كليـبر ، بـأن يقـرر هـؤلاء الخـدم منفـردا بـكل منهـم، ويتهددهـم مـا شـاء ليبوحـوا بـما لديهـم مـن الأسرار، وإذا دفـع السـيد كريـم فى ثمانيـة أيـام ٣٠٠ ألـف فرنـك فسـيبقى معتقـلا عـلى ظهـر إحـدى بـوارج الأسـطول، حيـث لا يجـد مفـرا ويُرسَـل إلى فرنسـا حـين تعـرض فرصـة قريبـة، وإذ لم يدفـع بالأقـل ثلـث المبلـغ المفـروض عليـه فى خمسـة أيـام، يأمـر «كليـبر» بقتلـه رميـا بالرصـاص.

والمثـير أن هـذه الرسـالة لم تصـل إلى الأمـيرال «برويـس» ولا «كليـبر»؛ لأن حاملهـا الكابتـن «چوليـان» قتـل فى الطريـق، ومـضى «كريـم» فى طريقـه إلى الجنـرال مينـو فى رشـيد ليبعـث بـه إلى القاهـرة.

٣١ يوليو عام ١٩٥٦
عبد الناصر فى سينما «مترو» بالإسكندرية

كان كل يوم يمر بعد قرار جمال عبدالناصر بتأميم قناة السويس «٢٦ يوليو ١٩٥٦»، يحمل جديدا على صعيد المسرح الدولى والداخلى، وبقدر ما كانت القيادة السياسية تتهيأ لمواجهة أيام صعبة مقبلة، كانت تستثمر فى الوقت نفسه التناقضات السياسية على المسرح الدولى، من أجل إثبات حق مصر فى قرارها التاريخى الذى يُعد من القرارات التى أسهمت فى تغيير شكل العالم.

كانت بريطانيا وفرنسا وأمريكا تبحث كيفية تأديب «ناصر» و«قطع يده»، كما قال «أنتونى إيدن» رئيس الوزراء البريطانى فى اجتماع حكومته.

وكانت العواصم الغربية الثلاث تبحث شن عملية عسكرية ضد مصر، ووفقا لكتاب «ملفات السويس»، الصادر عن الأهرام، القاهرة، لمحمد حسنين هيكل، قال الأميرال «بيرك» مدير هيئة العمليات المشتركة للرئيس الأمريكى إيزنهاور: إن الهيئة من رأيها أنه لا بد من كسر ناصر.

رد إيزنهاور بأنه لا يختلف معه فى الهدف، وإن كان يختلف فى الوسيلة، فالتصدى لـ«ناصر» عن طريق العمل العسكرى سوف يدير ضدنا العالم الثالث كله من «داكار» إلى «الفلبين»، ومن الأفضل أن نبدأ بعزل العرب وخصوصا السعوديين عن مصر وعن ناصر، وبعدها ننظر فى الأمر.

كان مثل هذا اليوم «٣١ يوليو ١٩٥٦» بمثابة البدء فى «خطة العزل»، ففى لندن كان اجتماع فرنسا وبريطانيا وأمريكا، وانتظر العالم كله البيان الذى سيصدر عنه، لأنه سيحمل إشارات واضحة عن نوايا الغرب.

وانتظره «عبدالناصر» على طريقته الخاصة، حيث ذهب إلى «سينما مترو» بالإسكندرية، ليشاهد فيلم «موعد فى لاس فيجاس»، وفى اتصال تليفونى من القاهرة به من «هيكل»، سأله كيف يستطيع أن يشاهد فيلما بينما أفكاره كلها فى مكان آخر؟

رد: «لا أريد أن أجلس أقرض أظافرى فى انتظار أن يفرغ المجتمعون فى لندن من عملهم ويُصْدرون بيانهم، والأفضل أن أشغل نفسى بشىء، وعندما أعود قرب منتصف الليل سوف يكون بيانهم قد صدر، وسأتصل بك فور عودتى لتقرأ لى نصه كما حملته وكالات الأنباء».

صدر البيان عن الاجتماع الثلاثى، وجاء فيه أن قرار التأميم تهديد لحرية الملاحة فى القناة التى كفلتها معاهدة «القسطنطينية»، واقترحوا عقد مؤتمر تشترك فيه الدول الموقِّعة على تلك المعاهدة لبحث الأمر، وكان الغرض من المؤتمر إنشاء هيئة دولية تتولى إدارة القناة.

اتصل «عبدالناصر» بالدكتور محمود فوزى، وزير الخارجية، يطلب منه إصدار بيان يرد على «البيان الثلاثى»، وقبل منتصف الليل تم إعلان الرد المصرى، وركز على أن مصر لا تقبل أى تدخل خارجى فى إجراء يدخل فى صميم سيادتها، وأنها تصرفت وفقا لنصوص وروح الاتفاقيات والمعاهدات الدولية التى لا يمكن أن تمنع مصر من تأميم شركة مصرية، حتى وإن حمل اسمها مجازا وصف «العالمى»، وإن كان لا بد من عقد مؤتمر دولى لبحث قضية الملاحة فى القناة، فمن المنطقى أن ينطبق هذا على كل الممرات المائية فى العالم.

١ أغسطس عام ١٧٩٨
البريطانيون يتسلَّوْن بمراسلات نابليون إلى زوجته «جوزفين» حول خيانتها

طلب نابليون بونابرت، قائد الحملة الفرنسية على مصر، بعض جنرالاته على العشاء، بعد أن وصل إلى مسامعه انتشار حالة من السخط بينهم، وما إن انتهى من العشاء وجَّه سؤالا إلى الحاضرين عن أحوالهم فى مصر، فجاءه الرد من الجميع: «نحن فى أفضل حال».

أمَّن القائد على استجابتهم، وأضاف موجهًا حديثه إليهم: «أعرف أن عددًا كبيرًا من الجنرالات يشجعون العصيان ويدعون إلى التمرد، فليحذروا، فإنى لا أرى فرقا بين جنرال وقارع طبول، وإن دعت الحاجة فإننى على أتم استعداد أن آمر بإطلاق الرصاص على أى منهما ببساطة».

التزم الجميع الصمت احترامًا، وكان نابليون يفعل ذلك فى محاولة منه لتطويق الآثار النفسية الفادحة التى حلت بضباط وجنود الحملة على أثر تدمير أسطوله البحرى على أيدى الأسطول الإنجليزى فى الموقعة التى اشتهرت تاريخيا بموقعة «أبى قير البحرية»، وبدأت وقائعها فى مثل هذا اليوم «١ أغسطس ١٧٩٨»، وحسب كتاب «تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم فى مصر - الجزء الأول»، دار المعارف، القاهرة، لـ«عبدالرحمن الرافعى»: «يوجد فى تاريخ الحروب وقائع معدودة امتازت بعظيم تأثيرها فى مصير

الدول والشعوب، ومن هذه الوقائع واقعة أبى قير».

يتحدث كتاب «مصر تحت حكم بونابرت»، عن الحدث باستفاضة، ويستوقفنا أمام تلك الحالة الخاصة التى وجد الفرنسيون أنفسهم عليها بعد أن تأكدوا من أن أسطولهم لم يعُد له قائمة، فينقل عن المهندس والعالم «بروسبير جولوا» الذى شاهد مأساة أسطول بلاده قوله: «ورد خطاب من «كليبر» بالإسكندرية إلى الجنرال «مينو» فى رشيد يحمل إليه الخبر السيئ، وأن وَقْع الحزن والبؤس على الجميع كان أبلغ أثرا».

غير أن السخرية الكبرى تمثلت فى وقوع طرود البريد للجنود الفرنسيين إلى ذويهم فى فرنسا بأيدى البريطانيين، وكانت تحملها سفينة بالأسطول الفرنسى، وتأكدوا أنهم غنموا فجأة ثروة من المعلومات عن العمليات الفرنسية فى مصر، فضلا عن تسليتهم بمطالعة المراسلات الخاصة بالجنود الفرنسيين بما فى ذلك مراسلات بونابرت نفسه، وسرعان ما نشر البريطانيون تلك المراسلات، وأسقط فى يد بونابرت الذى كان يعانى وقتئذ حالةَ اكتئاب، من جراء الأنباء التى تفيد خيانة زوجته وحبيبته «چوزفين» له، فوقف عاجزا وهو يرى البريطانيين ألد أعدائه ينشرون تلك الأخبار على العالم أجمع.

المثير أن «نابليون» لم يعرف بكارثة تدمير أسطوله إلا بعد ١٢ يوما، وبالتحديد يوم ١٢ أغسطس.

كان فى الصالحية يعيش أفراحه لإجباره إبراهيم بك على مغادرة مصر، وما إن عاد إلى القاهرة حتى عرف بالمأساة، وقال: «إن السبل تقطعت بيننا وبين الوطن، ولا نملك وسائل اتصال آمنة، حسنا، لابد أن يعلم الجميع أننا نتمتع بالاكتفاء الذاتى، فموارد مصر عظيمة، وعلينا أن نرتقى بها، وقد كانت مصر فى زمان مضى مملكة قائمة بذاتها، والمهم حماية الجيش من مشاعر الإحباط ففى تلك المشاعر بداية النهاية».

٢ أغسطس عام ١٨٤٩
وفاة محمد على باشا مريضًا بـ«الجنون»

يروى أحد المماليك المكلف بحراسة غرفة محمد على باشا، والى مصر وحاكمها «١٨٠٥-١٨٤٩»، أنه كان يتخيل نفسه فى أيامه الأخيرة وهو على رأس جيشه، وأحيانًا وهو يدحر جنود القيصر عند أسوار القسطنطينية، وأحيانًا أخرى وهو يقوم بإجلاس لويس على العرش.

ينقل هذه الرواية «نوبار باشا» فى مذكراته الصادرة عن دار الشروق، القاهرة، وتسجل المذكرات جانبا إنسانيا من أيام محمد على الأخيرة، وقبل وفاته فى مثل هذا اليوم «٢ أغسطس ١٨٤٩»، ويرويها «نوبار» كشاهد حيث كان الوزير المقرب من «الباشا»، ومن ابنه إبراهيم باشا.

داهمت الأمراض محمد على فى سنواته الأخيرة، وكان أخطرها مرض الجنون، وبلغ ذروته فى الفترة التى تلت وفاة ابنه إبراهيم «٢٥ نوفمبر ١٨٤٨».

يقول «نوبار»: «بعد وفاة إبراهيم كان أبوه كلما أفاق من غفلته الذهنية المستمرة طاف شوارع القاهرة فى حراسة مماليكه، وسط جموع الناس التى كانت تنظر إليه باحترام، ويرون فيه أحد المجاذيب، كانت الناس تقول إنه قبل رحيل إبراهيم بوقت كبير إلى القسطنطينية (عاصمة الدولة العثمانية) لطلب الولاية، رأى محمد على رؤيا عن سفر ابنه وولايته وعودته ثم وفاته».

يمكـن فهـم دراما علاقـة الأب بالابـن مـن تعليـق محمـد عـليّ عـلى وفـاة «إبراهيـم»، فحسـب «نوبـار باشـا» عندمـا أخـبروه بوفـاة ابنـه رد: «كنـت أعـرف، لقـد حبسـنى، كان قاسيًا معـى، كـما كان مـع الجميـع، لقـد عاقبـه الله وأماتـه، لكنى أجـد نفسـى لكونـى أبـاه مـن الواجـب عـلىَّ أن أترحـم عليـه»، ويؤكـد «نوبـار» أن محمـد عـلى عـاش بعـد هـذه الكلـمات لعـدة أشـهر تطـارده دون هـوادة فكـرة أنـه مـازال محبوسًـا، وبالطبـع فإنـه يتخيـل أن إبراهيـم هـو الـذى يحبسـه.

وفى موقـف آخـر مـع حفيـده عبـاس قبـل سـفره إلى القسـطنطينية للحصـول عـلى فرمـان ولايتـه، يـروى «نوبـار»: «كنـت فى سراى شـبرا يـوم ٢٨ نوفمبر حـين أتـاه حفيـده عبـاس ليقبِّـل يـده قبـل سـفره، فقـال لـه الجـد: لقـد لعنـت إبراهيـم، لأنـه حبسـنى ولـذا قبض الله روحـه، فـلا تتـصرف نحـوى مثلـه، إذا كنـت تريـد ألا ألعنـك أنـت أيضـا، فطمأنـه عبـاس وقبـل يـده مـرة أخـرى قائـلا: أنـت سـيدنا وسـتظل كذلـك دائـمًا».

يقـول الكاتـب الفرنسـى جيلـبرت سـينويه فى كتابـه «الفرعـون الأخـير»، الصـادر عـن منشـورات الجمـل، ترجمـة عبـد السـلام المودنـى: «كان محمـد عـلى يمـوت فى قـصره بـرأس التـين، وكان وضعـه بلـغ حـدودًا لا يمكـن تحملهـا، نتيجـة التقرحـات التـى أُصيـب بهـا، وأضحـى بالـكاد يتمكـن مـن أن ينـام سـاعة أو اثنتـين فى اليـوم الواحـد».

بعـد أن طـرق المـوت بابـه فى سراى رأس التـين فى الإسـكندرية نُقـل جثمانـه إلى القاهـرة، وفى ٤ أغسـطس وضـع نعشـه فى مسـجد القلعـة الكبـير، حيـث حـدد هـو قـبره، وذلـك دون أى طلقـة مدفعيـة أو موكـب أو تشريفـات عسـكرية، وكـما يقـول «سـيونيه»: «كانـت تلـك إرادة عبـاس»، غـير أن نوبـار باشـا يقـول: «كانـت مشـاعر الحـزن عميقـة ومـن القلـب حيـث اصطحـب سـكان القاهـرة جميعًـا موكبه الجنائـزى المهيـب إلى المسـجد».

٣ أغسطس عام ١٨١٥
فشل أولى محاولات «محمد على باشا» تكوين جيش نظامى مصرى

منذ أن تبوأ محمد على عرش مصر «١٨٠٥»، بدأ تفكيره فى تكوين جيش نظامى يعينه على تحقيق طموحه الكبير فى أن يجعل من مصر دولة قوية، تستمد قوتها من خارج حدودها، وليس من داخلها فقط.

أسس «محمد على» الجيش المصرى النظامى منذ عام ١٩٢٠، وكان الجيش قبل ذلك، كما يقول المؤرخ عبدالرحمن الرافعى فى كتابه «عصر محمد على»، دار المعارف، القاهرة، أخلاطا من العناصر المفطورة على التمرد والفوضى يُطلق عليهم لفظة «باشبوزق»، أى الجنود غير النظاميين، ومثل هذا الجيش لم يكن جديرًا بالاعتماد عليه.

حاول «محمد على» تنفيذ فكرته لأول مرة فى عام ١٨١٥، لكنها فشلت وكادت تودى بمركزه، لولا أنه عدل عنها وأجّلها إلى ترقيت آخر، والقصة يرويها المؤرخ عبدالرحمن الجبرتى فى «عجائب الآثار»، ويحللها «الرافعى» فى كتابه «عصر محمد على»، والمؤرخ الدكتور خالد فهمى فى كتابه «كل رجال الباشا»، وتبدأ فور العودة من الحجاز التى شن خلالها «محمد على» الحرب ضد الوهابيين.

أمر «محمد على» بتدريب فرقة من جنود ابنه «إسماعيل باشا» على النظام الحديث، ووضع مبدأ تنظيميا لرواتبهم ونفقاتهم، ويقول «خالد فهمى»، إن هذه الفرقة كانت من الألبان الذين ظلوا يشكلون العمود الفقرى لقوة محمد على لفترة من الزمن، ولم يكونوا قوة نظامية، وكانوا يثورون عادة ثورات صغيرة فى شوارع القاهرة، مطالبين برواتبهم أو بالعودة إلى بلادهم، كما أنهم احتفظوا ببنيتهم القَبَليَّة، ولذا لم تكن مكانة «محمد على» تتجاوز فى نظرهم مكانة «الأول بين الأنداد»، وبالتالى رفضوا أية محاولة منه لفرض الانضباط عليهم.

صارح «محمد على» جنود الفرقة بأنه سيعاقب من لم يذعن لهذا النظام ويتمرد عليه، ولما عاد إلى «شبرا» تذمر الجند من هذه الأوامر، وانتهز بعض رؤسائهم هذه الفرصة ليسعوا إلى الانقلاب ضده وخلعه وقتله.

كادت المؤامرة أن تنجح، لولا أن رءُوسها أفضوا بتفاصيلها إلى «عابدين بك» أحد رؤساء الألبان، ظنا منهم أنه سيوافق عليها لظروف المرض الذى داهمه وهو فى الحجاز وظل معه فى القاهرة.

أجمع المتآمرون على تنفيذ خطتهم بمهاجمة محمد على فى قصره بـ«الأزبكية»، ولما علم بهذا السر، ترك القصر وذهب إلى القلعة فى منتصف الليل، وتوافد المتمردون إلى الأزبكية، وتبادلوا إطلاق الرصاص مع حرس السراى.

حين علموا بفشل مؤامرتهم خرجوا إلى الأسواق فى مثل هذا اليوم «٣ أغسطس ١٨١٥» ينهبون الدكاكين والمتاجر، واعتدوا على أموال الناس وبضائعهم، وطبقًا لـ«الجبرتى» فإن محمد على لم يستطع تهدئة التجار والعامة إلا بإعادة ممتلكاتهم المسروقة أو تعويضهم عما دمر منها.

فشلت هذه المحاولة فأرجأ محمد على تنفيذ طموحه بتكوين جيش جديد وفقًا للأساليب العصرية المعروفة وقتئذ، ويقول «خالد فهمى»، إن محمد على قرر أن يتخلص من هؤلاء الألبان المتمردين، بإرسالهم إلى حتفهم بالصحراء الغربية، ففى خلال سنوات صراعه مع الوهابيين التى استمرت سبع سنوات أرسلهم موجة وراء أخرى ليلقوا حتفهم فى الصحراء ليتخلص منهم عمليا.

٤ أغسطس عام ١٨٧٩
بريطانيا تبلغ توفيق بإصدار «الباب العالى» فرمان تثبيته على العرش

يـروى أحمـد عرابـى فى مذكراتـه، أنـه أثنـاء تناولـه طعـام الإفطـار فى شـهر رمضـان مـع الخديـو توفيـق، وبحضـور خـيرى باشـا، رئيـس الديـوان الخديـو، والشـيخ عبدالرحمـن الإبيـارى، قـال توفيـق: «يـا ليتـه تـرك للحكومـة ولـو سـتة ملايـين لإصـلاح شـأنها».

كان «توفيـق» يقصـد فى ذلـك والـده الخديـو إسـماعيل الـذى عزلتـه الـدول الكـبرى وقـررت توليـة ابنـه «توفيـق» حكـم مـصر بـدلا منـه، وتعطـى القصـة دلالـة عـلى الأوضـاع السـيئة التـى كانـت عليهـا مـصر بسـبب تراكـم الديـون.

تلقـى «إسـماعيل» برقيـة بعزلـه يـوم ٢٦ يونيـه عـام ١٨٧٩، وفى نفـس الوقـت تلقـى ابنـه توفيـق برقيـة توليـه العـرش، وفى يـوم ٣٠ يونيـه غـادر «إسـماعيل» نهائيـا إلى نابـولى بإيطاليـا.

ويـروى «عرابـى» أيضـا أن «توفيـق» قـال فى مأدبـة الإفطـار معـه، إن والـده حمـل معـه أوراقـا ماليـة عبـارة عـن «بـون» بمبلـغ ١٣ مليـون جنيـه، ويضيـف عرابـى فى مذكراتـه، أن أول عمـل قـام بـه مجلـس النظـار برئاسـة «محمـد شريـف باشـا» بعـد توليـة «توفيـق»، هـو تحديـد الرواتـب السـنوية للخديـوى وأهـل بيتـه وكانـت، مائـة ألـف جنيـه لـ«توفيـق»، و٣٥ ألفـا لوالدتـه، و٢٠ ألفـا لزوجتـه، و٣٠ ألفـا للخديـوى السـابق «إسـماعيل»، و٢٥ ألفـا لزوجتـه، و٣٦ ألفـا لزوجاتـه

الباقيات فى مصر، و١٨ ألفا لـ«توحيدة هانم»، و١٨ ألفا لـ«حسين باشا كامل» و١٨ ألفا لـ«حسن باشا»، ليكون المجموع ٣٠٠ ألف جنيه.

فى مذكرات «عرابى» نفهم أن قصة تولىّ توفيق لم تنتهِ بمجرد إرسال «الباب العالى العثمانى» برقية عزل «إسماعيل» وأخرى بتولى «توفيق» للحكم، وإنما كانت هناك تدخلات إنجليزية وفرنسية لإصدار «الفرمان المثبت لخديوية توفيق»، فحسب «مذكرات عرابى»، أن باريس ولندن أمهلتا «الباب العالى» بإبلاغهما صورة الفرمان بـ«تثبيت الخديو» إلى يوم الإثنين، وفى حال عدم إبلاغهما فى المهلة المحددة ستناديان باستقلال مصر، أى خروجها من تحت الحكم العثمانى، وكان هذا تهديدا كبيرا.

وفى مثل هذا اليوم «٤ أغسطس ١٨٧٩»، ورد تلغراف من لندن بأن «الآستانة» أبلغتها بأن «فرمان التثبيت» فى طريقه إلى توفيق باشا.

وفى يوم ١١ أغسطس، حضر الخديو إلى القاهرة من الإسكندرية ومعه وزراؤه ليشهدوا جميعا تلاوة الفرمان السلطانى فى سراى القلعة، وبقى «شريف باشا» فى الإسكندرية لاستقبال «فرمان التثبيت» والمجىء به إلى القاهرة.

ويقول «عرابى» إنه فى الساعة الثانية عشرة من صباح الخميس يوم ١٤ أغسطس ١٨٧٩، انتظم موكب الفرمان، وفى الساعة الواحدة والدقيقة الخامسة، أُطلقت المدافع تبشيرا بقدوم الفرمان يحمله «على بك فؤاد»، فاستقبله النظار حتى دخل القاعة، ثم تناوله «طلعت باشا كركا» وصعد به على كرسى وتلاه، ولما فرغ من تلاوته، دخل الخديو توفيق قاعة التشريفات فوفد المهنئون عليه، وفى الساعة الرابعة قام الخديو وتبعه النظار فصدحت الموسيقى بالأنغام المألوفة، وأطلقت المدافع تعظيما له وإجلالا.

٥ أغسطس عام ١٨٥٨
تعديل لـ«اللائحة السعيدية» يمنح الفلاحين حقوقًا أوسع فى ملكية وإدارة الأرض

ارتبط الفلاح المصرى بالأرض، لكن قصته مع ملكيتها شهدت تحولات عديدة، كان من أبرزها صدور لائحة الأطيان الزراعية فى ٢٧ يناير ١٨٥٥، ثم عُدِّلت فى مثل هذا اليوم «٥ أغسطس ١٨٥٨»، فيما عُرف بـ«اللائحة السعيدية» نسبة إلى «سعيد باشا» والى مصر وحاكمها «١٨٥٤-١٨٦٣».

أعطت هذه اللائحة الفلاحين حقوقا أوسع مما كان فى مسألة ملكية الأرض وإدارتها بشكل عام، ويمكن القول إن صدورها ختم هذه المرحلة من تاريخ كفاح المصريين ضد مصادرة الأراضى، وتمليكها لمن كان يطلق على نفسه لقب «ولىّ النعم»، واحتفظ الفلاحون بالأرض التى فى حوزتهم، شرط دفع رسوم للتسجيل لا تتجاوز ٢٤ قرشا عن الفدان الواحد.

وفقا لكتاب «كبار الملاك والفلاحين فى مصر ١٨٣٧ - ١٩٥٢» الصادر عن دار قباء، القاهرة، للمؤرخين الدكتور رءُوف عباس، والدكتور عاصم الدسوقى، فإن «اللائحة السعيدية» عملت على توسيع حقوق الفلاحين فى الأطيان الأثرية «الخراجية»، فأصبح من حق أولاد صاحب الأثر وراثة أبيهم، أما بناته فلم يكن لهن هذا الحق إلا إذا كان أخذهن الأرض ضروريا لمعاشهن، فلهن حينئذ أن يأخذن من الأرض جزءا يسمح بتوفير ضرورات الحياة لهن، ثم أصبح «الأثر» يُورَّث طبقا للشريعة الإسلامية، كما أصبح لكل من يفلح

الأرض ويـؤدى ضريبتهـا مـدة خمس سـنوات حـق ملكيتهـا، ولـه حـق رهنهـا ضمانـا لقـرض، أو اسـتبدالها ونقـل ملكيتهـا وهـو مـا عـرف بـ«الإسـقاط»، عـلى أن يسـجل كل تـصرف مـن هـذه التصرفـات أمـام المحكمـة الشرعيـة.

لم يعنِ ذلـك أن الفـلاح أصبـح لـه حـق الملكيـة التامـة عـلى الأطيـان الخراجيـة «أى ملكيـة الرقبـة»، فقـد بقـى هـذا الحـق للدولـة، فحـين تنـزع الأطيـان مـن أجـل المنفعـة العامـة لشـق ترعـة أو نحوهـا لا تعـوض الفـلاح عنهـا، كـما لم يكـن مـن حـق الفـلاح أن يوقفهـا، واسـتمر أفـراد القريـة مسـؤولين مسـؤولية جماعيـة عـن أداء الضرائـب المقـررة عـلى قريتهـم.

ونصــت اللائحـة عــلى أن مــن يغــرس أشــجارا أو يقيــم ســاقية فى أرض، أو ينشــئ أبنيـة عليهـا يكـون لـه حـق التـصرف فى تلـك الأرض بسـائر التصرفـات الشرعيـة مـن بيـع وهبـة وغـير ذلـك مـن سـائر التمليـكات، وبَدْهـىٌ أن مـن كان فى اسـتطاعتهم الإنفـاق عـلى غـرس الأشـجار أو إقامـة السـواقى والمنشـآت، هـم أصحـاب الحيـازات الكبـيرة مـن المصريـين والأجانـب.

أمـا أطيـان «الـرزق» وتتضمـن الأبعديـات (الأراضى الممنوحـة مـن محمـد عـلى للمقربـين منـه وكبـار موظفيـه وبعـض الأجانـب والقبائـل)، فأصبـح يطلـق عليهـا «الأطيـان العشـورية»، وذلـك لقيـام «سـعيد باشـا» بفـرض ضرائـب عليهـا أطلـق عليهـا «ضريبـة العُـشْر»، بعـد أن كانـت معفـاة مـن الضرائـب، ونصـت اللائحـة عـلى تعويضهـم عـما يؤخـذ مـن تلـك الأراضى للمنفعـة العامـة.

تضمنــت اللائحـة أحكامـا تتعلـق بالدائنـين المرتهنـين، حيـث رجحـت كفـة الدائنـين عـلى حسـاب الفلاحـين الذيـن كانـوا نظريـا أصحـاب الحـق الأصـلى فى الأرض، وأباحـت اللائحـة رهـن هـذه الأطيـان «غاروقـة» بـشرط إخطـار المديريـة التـى تقـع الأطيـان فى دائرتهـا، وتكلـف الأطيـان باسـم الدائـن المرتهـن.

٦ أغسطس عام ١٩٤٥
أمريكا تدمر «هيروشيما» بقنبلة «الولد الصغير»

كانت الساعة الثامنة والربع فى مثل هذا اليوم «٦ أغسطس ١٩٤٥»، حينما ألقت أمريكا قنبلتها النووية الأولى على هيروشيما بـ«اليابان»، وسميت «الولد الصغير»، وانفجرت بعدها بدقيقتين. كان الانفجار مروعا، والتدمير أكثر ترويعا، الأمر الذى أدى بمساعد طيار الطائرة التى ألقت القنبلة إلى القول: «يا إلهى، يا إلهى، ما الذى فعلناه؟».

بعد دقيقة واحدة من انفجار القنبلة، قُتل نحو ٦٦ ألفا، و٦٩ ألفا جرحوا، بسبب التفجير، وحدث تدمير بالكامل لمساحة قطرها ميل، وتدمير شديد لمساحة قطرها ميلان، وفى مساحة قطرها ميلان ونصف الميل احترق تماما كل شىء قابل للاحتراق، وما تبقّى من منطقة التفجير كان متوهجا أو محمرا من الحرارة الشديدة، وامتد اللهب لأكثر من ثلاثة أميال.

كان الخطر التدميرى لا يضاهى الخطر الإشعاعى للقنبلة، فبمجرد رؤية انفجار القنبلة ووميضها لبرهة قصيرة تصاب خلايا الإنسان بالتسمم، مما يؤدى إلى الموت الفورى لأن الإشعاعات قاتلة وبسرعة.

اختفت خيوط الشمس بعد انتهاء التفجيرات، وأصبحت «هيروشيما» كما لو أنها فى وقت الليل، على الرغم من أن وقت إلقاء القنبلة كان صباحا، وتحولت المدينة إلى ركام ورماد، وتحول الناس القريبون من مركز تفجير

القنبلـة إلى كربـون فى برهــة.

ومـا يقـال أنـه بعـد الانفجـار وتحديـدا بعـد الظهـر تسـاقطت أمطـار سـوداء لاختلاطهـا مـع غبـار ورمـاد القنبلـة، والأشـخاص الذيـن ظلـوا عـلى قيـد الحيـاة لم يصدقـوا، وحاولـوا شرب هـذا المـاء الأسـود، وهـم لا يعرفـون أنـه مسـمم بالإشـعاعات، ودُفعـوا إلى ذلـك لأن حـرارة القنبلـة أدت إلى تحجـر حناجرهـم، وكانـوا حتـما سـيموتون إذا لم يشربـوا المـاء.

كانـت اليابـان قبـل إلقـاء قنبلـة «الولـد الصغـير» عـلى «هيروشـيما»، غـير اليابـان التـى نعرفهـا الآن.

كانـت دولـة اسـتعمارية، وبـدأ طموحهـا الاسـتعمارى فى منتصـف القـرن التاسـع عـشر، بعـد القضـاء عـلى حكـم المقاطعـات وجيـوش السـاموراى، وإنشـاء جيـش عـصرى تابـع بمسـاعدة أمريـكا، واحتلـت كوريـا فى سـنة ١٨٩٤، وحاربـت روسـيا فى سـنة ١٩٠٤، وانتزعـت منهـا مينـاء «بـورت أرثـر» المسـتأجَر مـن الصـين، وانضمـت إلى الحلفـاء ضـد قـوات المحـور فى الحـرب العالميـة الأولى، وحصلـت عـلى جميـع ممتلـكات الألمـان فى الصـين.

وأدت سـيطرة العسـكريين عـلى الحيـاة البرلمانيـة عـام ١٩٣٠ إلى زيـادة الحلـم الإمبراطـورى الاسـتعمارى، وكان لوصـول الجنـرال «هيداكـى توجـو» إلى منصـب رئيـس الـوزراء، وبمباركـة مـن الإمبراطـور «هيروهيتـو»، كلمـة الفصـل المشـجعة لذلـك، وفى عـام ١٩٣١ احتلـت مناطـق ضعيفـة مثـل «منشـوريا».

واصلـت «اليابـان» مشروعهـا الاسـتعمارى التوسـعى فاحتلـت الصـين عـام ١٩٣٧، وانضمـت إلى إيطاليـا وألمانيـا عـام ١٩٤٠ فى الحـرب العالميـة الثانيـة، واحتلـت إندونسـيا عـام ١٩٤١، ولمـا عارضتهـا أمريـكا فى احتـلال إندونسـيا هاجمـت أسـطولها البحـرى فى العمليـة المشـهورة تاريخيـا باسـم «بـيرل هاربُـر» وأدى هـذا الهجـوم إلى قتـل آلاف الأمريكيـين، وتذهـب بعـض التقديـرات إلى أن عـدد القتـلى منـذ «بـير هاربـر» إلى يوليـو ١٩٤٥ بلـغ ٤٠٠ ألـف أمريكـى، ومـع هذا الهجـوم احتلـت كلّا مـن الفلبـين وماليزيـا وسـنغافورة وتايلانـد وبورمـا.

٧ أغسطس عام ١٩٤٥
ترومان يعلن ضرب «هيروشيما» بالنووى بعد ١٦ ساعة

فى اليوم التالى، وكان «مثل هذا اليوم ٧ أغسطس ١٩٤٥»، لإلقاء أمريكا القنبلة النووية على «هيروشيما» اليابانية، كان عدد القتلى لا يقل عما وقع بعد إلقاء القنبلة بدقائق، كان نحو ٦٦ ألفا ويزيد يلقون حتفهم بالإشعاع النووى، واللافت أن اليابان تكتَّمت الأمر فى بدايته لأنها لم تكن تعلم أن ما حدث من دمار وخراب سببه استخدام أمريكا للسلاح النووى، فكيف عرف العالم بهذه المأساة؟

مر على إلقاء القنبلة ١٦ ساعة كاملة، حتى أعلن البيت الأبيض الخبر، ففى بدء يوم ٧ أغسطس، وجَّه الرئيس الأمريكى «ترومان» خطابا إلى الشعب الأمريكى عبر الإذاعة، قال فيه إن إعلان «بوتسدام» فى يوم ٢٦ يوليو كان إنذارا نهائيا يهدف إلى تجنيب الشعب اليابانى الدمار، ولكن زعماءه رفضوا الإنذار، وإذا لم يقبلوا شروطنا فعليهم أن يتوقعوا أن تمطر السماء عليهم دمارا لم يشهدوا له مثيلا على وجه الأرض، ووراء هذا الهجوم الجوى ستأتى قوة بحرية وبرية بأعداد وقوة لم يروها وبمهارة قتالية قد خبروها، فليسألوا عما حدث فى هيروشيما.

كان «إعلان بوتسدام» الذى أشار إليه «ترومان» فى خطابه الإذاعى هو عبارة عن إنذار نهائى موجه إلى اليابان فى الحرب العالمية الثانية بالاستسلام دون قيد أو شرط أو تأخير، لأنها ستُواجه بحرب ودمار عاجلين، وتم توجيه

الإنـذار بعـد اجتـماع فى «بوتسـدام» بألمانيـا، ضـم «ترومـان»، والجنـرال الصينـى «تشـانج كاى تشـك» والزعيـم البريطانـى «تشرشـل» الـذى خسـر الانتخابـات يـوم ٢٨ يوليـو أى بعـد توجيـه الإنـذار بيومـين، وخـرج مـن حكـم بريطانيـا.

كانـت «اليابـان» عـلى موعـد جديـد مـع قنبلـة نوويـة أخـرى قررهـا «ترومـان»، تنفيـذا لتهديـده الـذى ألقـاه فى خطابـه إلى الشـعب الأمريكـى، وحفـزه عـلى ذلـك أن اليابـان لم تعلـن استسـلامها فـور قنبلـة «الولـد الصغـير» عـلى هيروشـيما، وفى الثامـن مـن أغسـطس ألقـت القـوات الأمريكيـة منشـورات عـلى المـدن اليابانيـة تطالبهـم بعـدم التواجـد فى العمـل أو المصانـع، وكان ذلـك نوعـا مـن الضغـط عـلى الجيـش اليابانـى لإجبـاره عـلى الاستسـلام قبـل التفكـير فى إلقـاء قنبلـة ثانيـة، لكـن قائـد الجيـش الجنـرال «أنامـى» كان ضـد إيقـاف الحـرب، وادَّعـى أمـام اجتـماع لمجلـس الحـرب، أن أمريـكا لديهـا قنبلـة نوويـة واحـدة، وألقتهـا عـلى هيروشـيما، وبالتـالى لا داعـى للتعجـل والاستسـلام.

خـلال اجتـماع «مجلـس الحـرب اليابانـى» كانـت قاذفـة قنابـل «بـى ٢٩» واسـمها «الفنـان الكبـير» محملـة بقنبلـة ثانيـة وسُـميت بـ«الولـد السـمين» متجهـة إلى مدينـة «كوكـورا»، ودارت حولهـا ثـلاث مـرات لتلبـد السـماء بالغيـوم، وقبـل أن ينفـد الوقـود غـيرت الطائـرة مسـارها وتوجهـت إلى مدينـة «نجازاكـى»، وكانـت ميناء مهـما، وبهـا منشـآت عسـكرية وصناعيـة لصناعـة السـفن والمعـدات الحربيـة، وكان الجـو فيهـا صحـوا، فأُلقيـت القنبلـة فى السـاعة الحاديـة عـشرة صباحـا، وبعـد سـاعتين عـرف العـالم بـضرب «نجازاكـى»، وذلـك عـلى العكـس مـن قنبلـة هيروشـيما التـى أعلـن عنهـا «ترومـان» بعـد ١٦ سـاعة مـن إلقائهـا.

٨ أغسطس عام ١٩٥٦
«إيدن» : «هذا سِجِلُّ ناصر الأسود».. وعبد الناصر يعلق: «هذا ممثل رخيص»

ظهر أنتونى إيدن، رئيس وزراء بريطانيا، على شاشات التليفزيون ليلقى خطابا للبريطانيين، يتعلق بالأزمة مع مصر بسبب قرار «عبدالناصر» بتأميم قناة السويس يوم ٢٦ يوليو ١٩٥٦.

جاء ظهور «إيدن» فى مثل هذا اليوم «٨ أغسطس ١٩٥٦».. يقول عبدالحميد أبوبكر، القائد الثانى للمجموعة التى قادت عملية التأميم، فى مذكراته «قناة السويس والأيام التى هزت الدنيا» دار المعارف، القاهرة : «كان الأسلوب الذى اتبعه فى الخطاب مفاجئا فى كلماته وأسلوبه وفى المؤثرات السينمائية التى استعملها، لخلق ما يريد من انطباعات على الجماهير التى جلست تسمع وترى».

ظهر «إيدن» جالسا وراء مكتبه، وبدأ حديثه بعرض عام للأزمة من وجهة نظره، حتى وصل إلى عبارة: «لقد سُئلت كثيرا لماذا لا نثق فى الكولونيل ناصر؟، الرد بسيط انظروا إلى سجِلّه»، وفتح ورقة كبيرة ملطخة كلها باللون الأسود.

قال إيدن بعد أن فتح الورقة: «انظروا إلى سجله الأسود، إن معركتنا ليست مع مصر، ثم إنها ليست إطلاقا مع العالم العربى، إنما هى مع الكولونيل

ناصر، إن الكولونيل ناصر شن حملة دعائية شديدة ضد بلادنا، وقد أظهر أنه رجل لا يمكن الوثوق به للمحافظة على أى اتفاق، ولقد نكث الآن بوعود بلاده لشركة قناة السويس، وهذا نموذج نعرفه جيدا أيها الأصدقاء، إننا نعرف أن هذا هو تصرف الحكومات الفاشية، ونحن نذكر ذلك، ونذكر جيدا، ونعرف كم يكلفنا التسامح مع الفاشيست».

فى اليوم التالى وصلت نصوص خطاب «إيدن» بالكامل إلى القاهرة وتسلمها «عبدالناصر»، وبالإضافة إلى ما تمت إذاعته مع الورقة الملطخة بالسواد أصبحت الصورة كاملة أمامه.

كان عبد الناصر يوم أن وصلته نصوص خطاب «إيدن» فى أشد حالات الدهشة، وكانت حكاية الورقة الملطخة بالسواد هى ذروة بواعث الدهشة التى اعترته، وعلق قائلا: «هو يكذب على شعبه، وهذا شأنه، ولكن هل ينزل من مستوى سياسى يرأس وزارة دولة كبرى إلى مستوى ممثل رخيص يحاول التأثير على الناس بورقة سوداء، هل هذا معقول؟، وأى نفع من الكلام مع مثل هذا الرجل؟».

فى نفس اليوم الذى كان «إيدن» يوجه فيه خطابه إلى الشعب البريطانى، دعا «عبدالناصر» فى القاهرة إلى اجتماع عسكرى، نوقشت فيه كل الاحتمالات، وكان رأيه أن القوات المسلحة والمقاومة الشعبية يجب أن تكون مستعدة للحرب باعتبارها أمرا واقعا، وإذا أمكن بالعمل السياسى تفادى القتال فذلك خير، وإذا تعذر تفادى القتال فيتعين علينا أن نكون على أهبة الاستعداد له.

وفى الاجتماع تم اتخاذ قرار بالغ الأهمية، وهو سحب القوات المصرية من سيناء، لأن جبهة القتال المحتمل قد تغيرت، وكان «عبدالناصر» على اعتقاده بأن بريطانيا لا يمكن أن تسمح لنفسها بالاشتراك فى معركة عسكرية جنبًا إلى جنب مع إسرائيل، لأن ذلك من شأنه أن يدمر المصالح البريطانية فى المنطقة كلها، وفيها بعد فوجئ «عبدالناصر» بإسرائيل وبريطانيا معا فى العدوان على مصر.

٩ أغسطس عام ١٨٠٩
محمد على يعزل عمر مكرم وينفيه إلى دمياط ويُمْهله ثلاثة أيام للرحيل

نـزل «محمـد عـلى» مـن القلعـة وذهـب إلى بيـت ابنـه «إبراهيـم» فى الأزبكيـة، وأرسـل إلى «عمـر مكـرم» رسـولا مـن طرفـه، ورسـولا مـن طـرف القـاضى يستدعيانه للحضـور ليحتكـم وإيـاه لديهـم، فاعتـذر عمـر مكـرم بمرضـه، فـما كان مـن «محمـد عـلى» إلا أن أمـر فى حـضرة القـاضى والشـيوخ بعزلـه مـن نقابـة الأشراف، ونفيـه مـن مـصر، وأن ينفـذ الأمـر فـورا، وقـرر تعيـين الشـيخ محمـد السـادات نقيبـا لـلأشراف.

تشـفَّع الشـيوخ عنـد «الباشـا»، وطلبـوا منـه أن يمهلـه ثلاثـة أيـام للرحيـل، فوافـق، ثـم سـألوه أن يـأذن لـه بالذهـاب إلى أسـيوط مسـقط رأسـه لتكـون مَنفًى لـه، فرفض، فـماذا كان رد فعـل عمـر مكـرم؟

رد الفعـل يرصـده الجبرتـى فى موسـوعته «عجائـب الآثـار فى التراجـم والأخبار» الصـادر عـن «مكتبـة الأسرة، القاهـرة» بكلـمات قليلـة قالهـا « مكـرم»، وهـى: «أمـا منصـب النقابـة فإنـى راغـب عنـه زاهـد فيـه، وليـس فيـه إلا التعـب، وأمـا النفـى فهـو غايـةَ مطلوبـى»، وكان طلـب عمـر مكـرم بسـيطا وهـو أن يتـم نفيـه إلى جهـة لا يحكمهـا «محمـد عـلى» إذا لم يـأذن لـه بالذهـاب إلى أسـيوط مسـقط رأسـه.

اختـار عمـر مكـرم «الطـور» أو «درنـة» بطرابلـس الغـرب، لكـن «الباشـا» أصر عـلى نفيـه إلى دميـاط، فاسـتعد عمـر مكـرم للسـفر، ووكل عنـه السـيد «المحروقـى» كبـير تجـار القاهـرة، وعهـد إليـه إدارة أملاكـه ورعايـة أهـل بيتـه.

كان مثل هذا اليوم «٩ أغسطس ١٨٠٩» هو الذى شهد كل هذه التطورات فى العلاقة بين «الباشا» و«الشيخ»، والتى بدأت بقيادة عمر مكرم لثورة الشعب المصرى فى قراره باختيار محمد على حاكما لمصر فى ١٣ مايو ١٨٠٥، ومضت علاقة الاثنين بين شد وجذب، فالأول كان لديه مشروعه للنهضة وتصوراته عن أساليب الحكم التى تؤهل لتنفيذ هذا المشروع، والثانى كان زعيما شعبيا بامتياز تزداد قوته، لأنه وحسب «عبدالرحمن الرافعى» فى كتابه «عصر محمد على»: «ترجمان الشعب الصادق ورسوله الأمين فى مراقبة ولاة الأمور ورفع المظالم عن الجمهور».

جاء قرار النفى بعد قرار محمد على عام ١٨٠٩ بفرض ضريبة المال الميرى على الأراضى الموقوفة على المساجد والسبل والخيرات، وأطيان الأوسية وكانت ملكا خاصا للملتزمين وفحص أطيان الرزق والأوقاف، وطلب حججها ممن يتولون النظر عليها، وغضب الملاك ونظار الأوقاف والمستحقون والملتزمون فقصدوا الأزهر، وتصادف ذلك مع اعتقال طالب يمتIT بصلة قرابة إلى شيخ بالأزهر وهو «حسن البقلى»، فاشتعل الغضب أكثر، واجتمع الشيوخ بقيادة عمر مكرم، واتفقوا على التوحد والاحتجاج كتابة إلى محمد على.

كان الحدث بداية لصراع عنيف بين «الشيخ» و«الباشا»، حيث استخدم الأخير كل الحيل من أجل استمالة الأول لكنه فشل، فاستمال ثلاثة كانوا فى صف «عمر مكرم» وهما الشيخان «محمد الدواخلى، ومحمد المهدى»، ومحمد أفندى طبل ناظر المهمات.

استخدم «الباشا» مناورات عديدة فيها دهاء السياسى، وبعد مناورة وراء أخرى، ونتيجة تتمثل فى صد «عمر مكرم» لكل محاولات الباشا فى الاستمالة، تفتق ذهن محمد على إلى عقد اجتماع يحضره الشيوخ والقاضى للحكم بينه وبين عمر مكرم الذى أحس أنه تدبير من الباشا سينتهى لصالحه فرفض الحضور، ليكون قرار نفيه جاهزا.

١٠ أغسطس عام ١٨٠٧
بعثة حملة «فريزر» تفاوض محمد على.. والإنجليز يكتشفون سرقة ملابسهم

أرسل الجنرال «فريزر» قائد الحملة الإنجليزية على مصر عام ١٨٠٧ بعثة للتفاوض مع «محمد على باشا»، لإخلاء سبيل أسرى معركة رشيد، فأنزل محمد على البعثة فى خيام بإمبابة فى مثل هذا اليوم «١٠ أغسطس ١٨٠٧».

ويروى الجبرتى، فى موسوعته «عجائب الآثار فى التراجم والأخبار» الصادر عن مكتبة الأسرة، القاهرة حادثا مضحكا وقع لأفراد البعثة، فعندما خلعوا ملابسهم وناموا، ثم استيقظوا فى الصباح فلم يجدوا ملابسهم، فاضطروا إلى ارتداء بعض الملابس القديمة، وكان رئيس البعثة أحضر معه هدية من «فريزر» عبارة عن قدح قهوة مرصع بالماس لـ«محمد على»، فرد «الباشا» بأربعة خيول أصيلة هدية.

فى قصة «حملة فريزر» صفحات من نضال ومقاومة المصريين لمحتل غازٍ، جاء يوم ١٣ مارس عام ١٨٠٧ بسفينة حربية إلى الإسكندرية كطليعة لأسطول قادم اكتمل وصوله يوم ١٦ مارس، وطلب «فريزر» من حاكم المدينة التركى «أمين أغا» التسليم دون قتال.

وبعد مناوشات تافهة فى يوم ٢٠ مارس، تم توقيع شروط تسليم الإسكندرية على أن ينقل الموظفون الأتراك بسفينة بريطانية إلى أحد الموانئ

التركيـة، أمـا بقيـة الحاميـة (٢٧٧ جنديًا) فيُنقلـون أسرى حـرب إلى مالطـة، ووقَّـع عـلى الاتفـاق اثنـان؛ همـا: الحـاج محمـد خطـاب ابـن شـقيق الشـيخ المسـيرى والشـيخ إبراهيـم باشـا عبـد الله، وكان الثمـن الـذى دفعـه الإنجليـز فى ذلـك هـو ستة قتـلى وثمانيـة جرحـى.

ظـن «فريـزر» أن سـهولة احتلالـه الإسـكندرية سـتتكرر معـه فى باقـى مـصر حتـى وصولـه إلى القاهـرة، لكنـه فوجـئ بمقاومـة عنيفـة تجسـدت عظمتهـا فى «رشـيد» حيـث لقـى هزيمتـين فيهـا، فعلـق قائـلًا: «لقـد انسـقت إلى الاعتقـاد بـأن أهـل البـلاد جميعهـم باسـتثناء الأتـراك والأرنـؤوط، أصدقـاء للإنجليـز، وسـوف يعاونوننـا فى تحريرهـم مـن نـير الاسـتبداد الـذى فرضـه عليهـم ظالموهـم، ولكـن بـدلًا مـن هـذا لم يتقـدم رجـل واحـد منهـم لمعاونتنـا».

بلـغ تعجـب «فريـزر» مـن أن النجـدات التـى كانـت تسـير مـن القاهـرة إلى رشـيد لم يتطـوع أحـد لإخبـار الإنجليـز ولا أحـد عملائهـم بهـا، حتـى شـيخ دسـوق الـذى وعـد بمـد الإنجليـز بألـف مـن أتباعـه مسـلحين لم يرسـل لهـم قصاصـة ورق يقـول لهـم «احـذروا فـإن أهـل مـصر بكـم محيطـون».

فى الهزيمـة الأولى بـ«رشـيد» يـوم ٣١ مـارس ١٨٠٧، بلغـت خسـائر الإنجليـز مـن الضبـاط والجنـود ١٨٥ قتيـلا وجـرح ٣٨٢، فى مقابـل ٤٠ شـهيدا و١٠٠ جريـح، وأسر ٤٠ إنجليزيـا، أمـا الهزيمـة الثانيـة فقتـل فيهـا مـن ١٢٠٠ و١٤٠٠ إنجليـزى.

ينقـل «الجبرتـى» صـورة شـائقة عـن رءُوس قتـلى الإنجليـز وأسراهـم الذيـن أرسـلهم «عـلى بـك» حاكـم رشـيد إلى القاهـرة للإعـلان عـن النـصر، وهـم مـن تفـاوض عليهـم محمـد عـلى قائـلًا: «أُشـيع وصـول القتـلى ومـن معهـم مـن الأسرى إلى بـولاق فهـرع النـاس إلى الذهـاب للفرجـة وصحبتهـم جماعـة العسـكر، وكان بينهـم فسـيال «ضابـط» كبـير وآخـر كبـير السـن وهمـا راكبـان عـلى حمـار والبقيـة مشـاة فى وسـط العسـكر ورءُوس القتـلى معهـم عـلى نبابيـت وعددهـا ١٤ رأسًـا والأحيـاء ٢٥، وفى يـوم الاثنـين وصـل أيضًـا جملـة مـن الـرءُوس والأسرى إلى بـولاق وعددهـم ١٢١ رأسـا و١٣ أسـيرًا وفيهـم جرحـى.

١١ أغسطس عام ١٩٠٤
الحكم ببطلان عقد زواج الشيخ على يوسف وصفية السادات

هى قضية زواج كان طرفها الشيخ «على يوسف» صاحب جريدة المؤيَّد، والسيدة صفية السادات، لكنها أقامت مصر وأقعدتها عام ١٩٠٤، اعَدَّها «أحمد شفيق باشا» رئيس ديوان الخديو عباس حلمى الثانى: «أهم حوادث العام»، وكتب عنها أحمد بهاء الدين فى كتابه «أيام لها تاريخ» الصادر عن دار الهلال، القاهرة: «قضية قسمت الرأى العام والساسة، ذلك أنها كانت صدمة عنيفة للناس فى الكثير من معتقداتهم القديمة عن الشرف والحسب والنسب»، أما الكاتب والمؤرخ حلمى النمنم فيعتبرها فى كتابه «رسائل الشيخ على يوسف وصفية السادات»، الصادر فيعَدَّها دار ميريت للنشر، القاهرة: «الحب الذى يُسْقط كل الحواجز الاجتماعية والمحاذير السياسية ومعايير الحسب والنسب والجاه»، فماذا عن هذه القصة؟.

خطب الشيخ «على يوسف» السيدة «صفية» ومرت أربع سنوات على الخطبة، و«السادات» يماطل فى إتمام الزواج دون سبب مفهوم، مما اضطر الاثنين لعقد قرانهما.

وكما يقول «شفيق باشا» فى مذكراته، الصادرة عن الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة: «عُقِد القران بمنزل محمد توفيق البكرى وتولى الوكالة عن الزوجة الشيخ حسن السقا»، ولأن الزواج تم بدون علم والد العروسة رفع

دعـوى تفريـق بينهـا أمـام المحكمـة الشرعيـة لعـدم أهليـة «عـلى يوسـف»، ووفقـا لمذكـرات «شـفيق باشـا» تحـددت جلسـة لنظـر القضيـة يـوم ٢٥ يوليـو ١٩٠٤ برئاسـة الشـيخ «أحمـد أبو خطـوة».

قضـت المحكمـة بالحيلولـة بـين الزوجـين، وإعـادة صفيـة إلى أبيهـا، وشـمول الحكـم بالنفـاذ العاجـل، عـلى أن تواصـل المحكمـة نظـر القضيـة يـوم ٢٧ يوليـو، فاحتجـت «صفيـة» بعريضـة أرسـلتها لقـاضي القضـاة وناظـر الحقانيـة تقـول فيهـا: «لا يمكـن أن أقبـل تنفيـذ الحكـم لبلوغـى سـن الرشـد، وأنـا متزوجـة مـن الشـيخ عـلى باختيـارى وكفاءتـى».

لم تكتـفِ صفيـة بالتأكيـد عـلى أن زواجهـا صحيـحٌ، وأن الشـيخ عـلى يوسـف هـو كـفء لهـا، وإنـما انتقـدت والدهـا بعنـف قائلـة: «طالمـا رد الأكَفَـاء عـن بناتـه ولم يَـرْعَ حقـوق الله فيهـن».

اختفـت صفيـة عـن الأنظـار وعرقـل الاختفـاء تنفيـذ حكـم «الحيلولـة»، فـردت المحكمـة بعنـف حيـث قـررت التوقـف عـن العمـل لحـين تنفيـذ الحكـم، ممـا أحـدث ضجـة كبـيرة وأزمـة عظيمـة زادهـا قـول صفيـة: «المـوت أهـون عنـدى مـن رجوعـى لمنـزل أبـى، فهـو إن غضـب لا يبـالى بـما يفعـل»، وفيـما كان يحـدث ذلـك كان الشـيخ أحمـد أبـو خطـوة يصمـم عـلى تنفيـذ الحكـم الـذى قـضى بـه.

وحسـب كتـاب «أيـام لهـا تاريـخ» لـ«أحمـد بهـاء الديـن»، طلـب الخديـو عبـاس حلمـى الثانـى ملـف القضيـة، وجـرى تباحـث حولهـا مـع وزارة الخارجيـة البـريطانية، واتفـق علـى حـل وسـط بـأن تقيـم «صفيـة» فى بيـت الشـيخ «عبـد القـادر الرافعـى» ويعـد ذلـك تنفيـذا لحكـم الحيلولـة حتـى يتـم البـت النهائـى فى القضيـة.

واصلـت المحكمـة جلسـاتها وكانـت المرافعـات نموذجـا فى التجريـح المتبـادل، فبينـما تحـدث محامـى «السـادات» عـن عراقـة بيـت موكلـه فى مقابـل حقـارة ووضاعـة أصـل «عـلى يوسـف»، رد محامـى الأخـير: «عبـد الخالـق السـادات جـده المبـاشر مـن نسـل إحـدى الجـوارى اللاتـى لا يعـرف لهـن أصـل».

وفى مثل هذا اليوم «١١ أغسطس ١٩٠٤»، قضت المحكمة ببطلان عقد الزواج للفارق بين نسب ومنزلة الشيخ على يوسف والشيخ عبد الخالق السادات، ولم تهدأ المسألة إلا باسترضاء «على يوسف» لـ«حماه» وقبول عقد الزواج.

١٢ أغسطس عام ١٨٠٩
عمر مكرم يغادر القاهرة إلى منفاه وشيوخ «المؤامرة» يطلبون المقابل

حل اليوم الذى سيرحل فيه عمر مكرم من القاهرة إلى دمياط تنفيذا لقرار «محمد على باشا» بنفيه.

كان الرحيل فى مثل هذا اليوم «١٢ أغسطس ١٨٠٩»، ويصف «الجبرتى» مشهد الرحيل قائلًا: «اجتمع المودعون للسيد عمر، ثم حضر محمد كتخداى الألفى الذى عُهد إليه اصطحابه إلى المنفى، وعند وصوله قام السيد عمر وركب فى الحال وخرج بصحبته، وشيعه الكثيرون من المتعممين وغيرهم وهم يتباكون حوله حزنا على فراقه، واغتم الناس لسفره وخروجه من مصر لأنه كان ركنا وملجأ ومقصدا للناس لتعصبه لنصرة الحق، فسار إلى بولاق، ونزل فى المركب، فسافر من ليلته بأتباعه وخدمه الذين يحتاج إليهم إلى دمياط».

لم يكن رحيل «عمر مكرم» إلى المنفى هو نهاية هذا الفصل الدرامى فى مؤامرة نفى «الشيخ الثائر»، حيث ذهب «شيوخ المؤامرة» إلى «الباشا» ليتقاضوا الثمن، كما بدأوا حربا منظمة لتشويه «عمر مكرم» ليكون لديهم حجة يواجهون بها الناس.

يقول «الجبرتي» الذي عاصر هذا الحدث، إن الشيخ «محمد المهدي» أحد المتآمرين ذهب إلى «محمد علي» صبيحة سفر «عمر مكرم» يطلب منه الوظائف التي كان يشغلها «عمر»، فأنعم عليه «الباشا» بنظر أوقاف الإمام الشافعي ووقف «سنان باشا» ببولاق، وطلب ما كان منكسرا له من راتبه من الغلال نقدا أو عينا مدة أربع سنوات، فأمر «محمد علي» بدفعها إليه نقدا من خزانة الحكومة وقدرها ٢٥ كيسا، وذلك كما يقول الجبرتي: «نظير اجتهاده في خيانة السيد عمر».

أما عن مسألة تشويه السمعة فتمثلت في أغرب فعل لجأ إليه الشيوخ، حيث قاموا وفقا لكتاب «عصر محمد علي» لـ«عبدالرحمن الرافعي» بكتابة عريضة اعتزموا إرسالها إلى الآستانة يبررون فيها عزل عمر مكرم من نقابة الأشراف، فنسبوا إليه إدخاله في دفتر الأشراف أسماء أشخاص ممن أسلموا من الأقباط واليهود، وأنه قبض من محمد بك الألفي مالاً ليمكّنه من حكم مصر وقت قيام الجمهور ضد «خورشيد باشا»، وتواطأ مع الأمراء المماليك حين شرعوا في مهاجمة القاهرة يوم الاحتفال بـ«وفاء النيل» عام ١٨٠٥، وأنه أراد أخيرا إحداث فتنة ليخلع «محمد علي» ويولّى خلافه.

وحتى يعطي مدبرو هذه الفكرة مصداقية لما يسعون إليه، طافوا بالبيان على زملائهم ليوقعوا عليه، فامتنع الكثير منهم وقالوا: «هذا كلام لا أصل له»، وبعد مشادات خففوا ما كتبوه أملا في الحصول على التوقيعات المطلوبة، لكنهم لم ينجحوا في مسعاهم.

كان من أبرز الرافضين للتوقيع الشيخ «أحمد الطحطاوي» مفتي الحنفية، فسخط الشيوخ عليه وهددوه بعزله من منصبه، لكنه لم يعبأ وتم عزله بالفعل وولوا بدلا منه الشيخ حسين المنصوري، ويقول الجبرتي: «استمر السيد الطحطاوي يقبّح عمل الشيوخ، واعتزلهم واعتكف في داره، وهم يبالغون في ذمّه والحط منه لكونه لم يوافقهم على شهادة الزور، فكان عمله حجة بالغة على نفاق الشيوخ وريائهم».

١٣ أغسطس عام ١٨٨٢
«عرابى» يواجه « توفيق» بمنشور يطالب المصريين بالتطوع

بلغت المواجهات أشدها بين الخديو «توفيق» و«أحمد عرابى»، فبينما كان «توفيق» يُصْدر أوامره، كان «عرابى» يصدر عكسها، وكان الموقف من الإنجليز هو الفيصل فى هذا الصراع.

فى يومَىْ «٨ أغسطس ١٨٨٢» ومثل هذا اليوم «١٣» كانت هناك معركة من نوع خاص بين الاثنين، كان يوم «٨» هو يوم «توفيق»، أما يوم «١٣» فكان يوم «عرابى» اللذين يروى قصتهما بالتفصيل فى مذكراته.

كان المصريون يوم «٨ أغسطس» على موعد مع منشور لـ«الخديو»، قال فيه: «إن عرابى باشا ارتكب آثاما فظيعة جلبت خسائر لا وصف لها على مصر وأهلها، وجعلت الدول الأوروبية ناقمة عليها، فإنها باتت الآن تعتبر المصريين أمة غير متمدينة»، وأضاف: «عرابى تجاوز الحدود بعصيانه بما يفوق الوصف، فقد استولى على أموال الضرائب، وعزل كثيرين من موظفى الحكومة واستبدل بهم غيرهم».

وألقى «الخديو» بتهديده قائلا: «أصدرنا هذا المنشور معلنين فيه أن كل شخص يعرف عنه أنه ذو ضلع مع عرابى وميل إليه عددناه عاصيا مستحقا لجزاء العصيان، ورحمة بمصر وأهلها نستأنف الآن إعلاننا للمصريين عموما والجند خصوصا أن كل من أصر على عصيانه وانقياده إلى عرابى كان مذنبا أمام الله غير مقبول العذر لدينا، فنجرده مع ولده وذويه من جميع الرتب

والرواتب، ومعينات التقاعد وسائر الامتيازات التى كان متمتعا بها»-حكم جائر استبدادى لأن الله سبحانه تعالى يقول: «لا تُضارَّ والدة بولدها ولا مولود له بولده»؛ ولكنه اغتر بقوة الإنجليز- «وليعلم المصريون أنه إذا أدى للعاصى عرابى أو لأتباعه أموال الضرائب كانت تأديته للمال غير محسوبة لدينا، بل إننا نطالبه بها يوم تنقشع عن سماء مصر غيوم النكبات العرابية».

يروى «عرابى»-نقلا عن كتاب «مصر للمصريين» لـ«سليم لنقاش»، أنه بعد أن أصدر الخديو هذا المنشور بعث إلى أركان حرب الإنجليز بكتابه يهنئهم فيه على نجاحهم فى الوقائع الأخيرة.

كان مثل هذا اليوم «١٣ أغسطس» هو يوم «عرابى»، حيث رد على «الخديو» بمنشور يحمل تصميمه على استخدام سلطاته التى تستوجب- وطنيا- مواجهة الإنجليز فى مخططهم لاحتلال مصر.

وجَّه «عرابى» منشوره إلى رؤساء الجيش فى المراكز الحربية وللمديريات وجميع فروع الحكومة، وطالب فيه بإعداد القوة لقتال الأمة الإنجليزية، وقال: «مما وجب إعداده لذلك هو زيادة الجند إلى ٢٥ ألف عسكرى»، وأضاف: «حيث إن خفراء البلاد المرتبين من الأهالى هم بالطبع أكثر من غيرهم تعودا وتمرنا على حمل السلاح والحركات الدفاعية، وأشد قوة وبأسا، وأثبت جأشا لدى المقاومات العدائية، وقد يتيسر جمع هذا العدد من هؤلاء الخفراء وحشده مع الجيش فى زمن وجيز وبحالة أقرب وأسهل مما لو جمع من غيرهم بالقرعة العسكرية».

منشور «عرابى» وعد بأن من يلبى دعوته من المواطنين سيتم إعفاؤهم من الخدمات العسكرية بعد انتهاء الحرب بالنصر، أما الخفراء فسيتم تعيينهم فى محلات دركات أسلافهم فى الحال.

١٤ أغسطس عام ١٩٩٤
القبض على «كارلوس» فى السودان

«أنـا أرشـيف حـى ،ومعظـم النـاس مـن مجايلى قـد رحلـوا ،سـأواصل النضال، ،أنـا شـهيد حى».

هكـذا تحـدث « كارلـوس» الملقَّـب بـ« ابـن آوى» أو «الثعلـب» فى واحـدة مـن جلسـات محاكمتـه أمـام القضـاء الفرنسـى بعـد القبـض عليـه فى العاصمـة السـودانية « الخرطـوم »، فى عمليـة مخابراتيـة معقـدة بـين فرنسـا والسـودان فى مثـل هـذا اليـوم « ١٤ أغسـطس ١٩٩٤ » .

فى تعبيره:« أنـا أرشـيف حـى »حقيقـة مطلقـة عما يعرفـه حـول دوره فى القضيـة الفلسـطينية منـذ انضمامـه إلى صفـوف الجبهـة الشـعبية لتحريـر فلسـطين، عـلى أثـر تعرفـه بزعيمهـا جـورج حبـش فى نهايـة السـتينيات مـن القـرن الماضى ،ومـن خلالها نفـذ وخطـط لعمليـات شـهيرة فى اختطـاف الطائـرات وقتـل إسرائيليـين ، وتبقـى عمليتـه الأشـهر هـى اقتحـام مقـر منظمـة « الأوبـك » أثنـاء اجتماع وزرائهـا فى العاصمـة النمسـاوية «ڤيينـا» فى ديسـمبر ١٩٧٥ ، واختطافـه لـ ١١ وزيـرا وآخريـن مشـاركين فى الاجتماع ، وشـحنهم فى طائـرة توجهـت إلى الجزائر،واسـتقبله فى مطارهـا وزيـر الخارجيـة وقتـئـذ والرئيـس فيـما بعـد عبـد العزيـز بوتفليقـة .

و شـهدت «العمليـة» مفاوضـات بينـه وبـين وزيـر النفـط السـعودى أحمد عبـده يمانـى، وتـلا «كارلـوس» خلالهـا بيـان « درع الثـورة العربيـة» ، وانتهـت العمليـة بالإفـراج عـن الرهائـن ، وقيـل أن المقابـل كان بـين ٢٠ و ٥٠ مليـون دولار ، وفى

شرحه التفصيلى لها للكاتب الصحفى اللبنانى غسان شربل فى كتابه « أسرار الصندوق الأسود » أكد على أن هذه الأموال لم تصل على الرغم مما قيل عن دفعها .

هو فنزويلى الأصل وابن لمحامى ،وكانت عائلته ثرية لكنه اعتنق الفكر الماركسى ، والتحق عام ١٩٦٨ بجامعة « لومومبا » فى موسكو لدراسة الفيزياء والكيمياء ، وتعلم نحو ست لغات هى ،الإنجليزية والأسبانية والإيطالية والروسية والعربية والأرمنية ، وتعرف أثناء دراسته فى موسكو إلى شاب جزائرى ثورى هو « محمد بودية » المناضل فى صفوف الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين،، فتحول إلى القضية الفلسطينية ، وحين اغتالت إسرائيل « بودية » فى ٢٨ يونيه عام ١٩٧٣ ، أخذ عهدا على نفسه بضرب الأهداف الصهيونية واليهودية الداعمة لإسرائيل فى أوروبا ، فاختطف طائرة فرنسية كان إسرائيليون على متنها ووجّهها الى مطار « عنتيبى « في» أوغندا « عام ١٩٧٦ ، وبعد أسبوع منها اقتحم نفس المطار واستهدف طائرة العال الإسرائيلية ، وحاول اغتيال نائب رئيس الاتحاد الصهيونى البريطانى فى لندن.

سيرة « كارلوس » هى سيرة للعالم فى مرحلتين ، فأثناء مرحلة الحرب الباردة التى سادت العالم منذ الحرب العالمية الثانية وحتى نهاية الثمانينيات من القرن الماضى كان فى حماية الأنظمة اليسارية فى العالم كله ، ومناضلا فى صفوف الثورة الفلسطينية ، ويرتبط بعلاقات متفاوتة مع رؤساء عرب مثل الليبى « معمر القذافي» والسورى «حافظ الأسد»،وقيادات « اليمن الجنوبى »قبل توحد اليمن،بالإضافة الى معظم الدول الاشتراكية فى أوروبا ،أما بعد زوال الاتحاد السوفيتي فأصبح «إرهابيا » مطلوب القبض عليه ومحاكمته ،ولهذا ظل متخفيا ومُطارَدًا ،حتى حط به الرحال فى السودان وفيها تم القبض عليه وتسليمه الى فرنسا لمحاكمته ، ويقال أن ذلك تم باتفاق مع حسن الترابى .

١٥ أغسطس عام ١٧٩٨
«بونابرت» يؤكد لـ«شريف مكة» حفاظه على الأموال المخصصة من مصر للحرمين الشريفين

بعد أن قدِم «نابليون بونابرت» على رأس حملته الفرنسية إلى مصر عام ١٧٩٨، أصبح له مع الإسلام حكايات كثيرة، منها، سعيه لأن يمنحه الشيوخ شرعية إسلامية، وحاول إقناع أئمة المساجد بالدعاء له فى صلاة الجمعة.

المدهش أن هذا الإلحاح من « نابليون» قابله تفكير غريب من الشيوخ، حيث أغرتهم بدعوته للدخول إلى الإسلام، وتحدث معه الشيخ الشرقاوى حول ذلك، لكن «بونابرت» تعلل بأن هناك عقبتين تحولان دون دخوله وجنوده إلى الإسلام، الأولى «الختان» والثانية «الخمر».

تواصلت جهود «بونابرت» فى هذا المجال، فكتب فى مثل هذا اليوم «١٥ أغسطس ١٧٩٨» إلى شريف مكة «غالب بن مسعد الهاشمى» يعلنه بوصوله إلى القاهرة، ويُعْلمه بالإجراءات التى اتخذها للحفاظ على الأموال المخصصة للحرمين الشريفين فى مكة والمدينة.

وتأتى هذه القصة تفصيلا فى كتاب «مصر تحت حكم بونابرت» للمؤرخ الأمريكى «خوان كول»، ويقول فيها، إن شيوخ الأزهر أطلعوا بونابرت على ما بمصر من أراضٍ زراعية يوقف دخلها من المحاصيل على الإنفاق على الحرمين، ويضيف «كولن»: لم يفُتْ بونابرت أن يشير فى خطابه إلى «شريف

مكـة» أنـه يبسـط حمايتـه عـلى الأئمـة والأشراف والفقهـاء جميعهـم، كـما أبلغـه بقـراره تعيـين مصطفـى بـك، وهـو نائـب الـوالى العثمانـى، أمـيرا للحـج، ووعـد بتزويـد الحجيـج بالقـوات اللازمـة لحمايتهـم مـن غـارات البـدو، وعـرض جنـودا مـن الفرنسـيين أو المصريـين يشـاركون فى تلـك القـوات.

لاقـى هـذا الخطـاب ترحيبـا مـن «شريـف مكـة» ليـس بقناعـة أن «بونابـرت» يخـدم الإسـلام، ولكـن لأسـباب خاصـة بـه هـو، ويقـول «كولـن»: إن غالـب كان مشـغولا بمواجهـة تحديـات الوهابيـين مـن نجـد، كـما رأى أن العثمانيـين لم يتقدمـوا لمسـاندته فى صراعـه معهـم، لذلـك أبـدى اسـتعدادا لإقامـة علاقـات طيبـة مـع الفرنسـيين، خصوصـا أن اقتصـاد الحجـاز فى غـرب شـبه الجزيـرة العربيـة، حيـث «الحرمـين الشريفـين»، يعتمـد عـلى مـصر اعتـمادا كبـيرا لمـا تـدره محاصيـل الأوقاف، وللعلاقـات التجاريـة التـى تواكـب وصـول قوافـل الحجيـج منهـا، فضـلا عـن تجـارة البُـنّ، ويسـتخلص «كولـن» مـن ذلـك، أن بونابـرت اتخـذ موقـف حامـى حمـى هـذا الإقليـم بضـمان اقتصـاده، وبالتـالى صـار الداعـم الرئيـس لفريضـة الحـج.

كان تعيـين «أمـير الحـج» مـن قِبـل بونابـرت بمثابـة سـعى منـه للحصـول عـلى الشرعيـة الإسـلامية الرسـمية، ويـروى «كولـن» أن بونابـرت طلـب مـن شـيوخ الأزهـر كتابـة خطـاب إلى «شريـف مكـة» بهـذه المناسـبة.

كان الخطـاب عجيبـا، وقمـة فى دهـاء « بونابـرت»، وسـذاجة الشـيوخ، حيـث كتـب الشـيوخ عـلى لسـانهم أنهـم تلقـوا تأكيـدات مـن «بونابـرت» باعترافـه بوحدانيـة الله، وتوقـير الفرنسـيين للرسـول والقـرآن، وأنهـم يعـدون الإسـلام أفضـل الأديـان، وممـا يثبـت حبهـم للإسـلام أنهـم حـرروا المسـلمين الأسرى فى مالطـة، وأنهـم دمـروا الكنائـس وكسـروا الصلبـان فى مدينـة البندقية، وأنهـم طاردوا البابـا الـذى يصـدر أوامـره للمسـيحيين بقتـل المسـلمين، ويعـد ذلـك واجبـا يمليـه الديـن، وأرسـل بونابـرت نسـخة مـن هـذا الخطـاب إلى «كليـبر» لطباعـة سـتمائة نسـخة منـه، ويرسـل أربعمائـة منهـا إلى شـبه جزيـرة العـرب.

١٦ أغسطس عام ١٩٦٦
امرأة تقود الطيار العراقى «منير روفا» للهروب بـ«ميج ٢١» إلى إسرائيل

جلس قائد سلاح الطيران الإسرائيلى «عازرا وايزمان» الذى أصبح رئيسا لإسرائيل فيما بعد، فى مواجهة رئيس جهاز الموساد «مائير عميت».

قال «وايزمان» لـ«عميت»: «أحضر لى طائرة ميج ٢١»، فدارت عجلة العملية «٠٠٧» التى زلزلت المنطقة عام ١٩٦٦، ووصفتها صحيفة «يديعوت أحرونوت» بقولها: «غيرت وجه الشرق الأوسط».

هى قصة انتهت بحصول «إسرائيل» على طائرة «الميج ٢١» السوفيتية الصنع فى مثل هذا اليوم «١٦ أغسطس ١٩٦٦»، وكانت الأقوى عالميا وقتئذ فى مجال الطائرات الحربية، وبدأت خيوطها عندما علمت إسرائيل بأن مصر لديها منها «٣٤ طائرة» وسوريا «١٨» والعراق «١٠»، ووضعت خطتها للحصول عليها وتسليمها لأمريكا لمعرفة أسرارها، وطبقا لكتاب «سنوات الانفجار»، الأهرام، القاهرة، لمحمد حسنين هيكل، فإن جهاز الموساد وضع قوائم دقيقة بأسماء طيارى «الميج ٢١» فى أسلحة الطيران العربية التى حصلت على الطائرة وهى مصر وسوريا والعراق، ثم درستها وجمعت التحريات لتنتهى إلى التركيز على طيار عراقى برتبة رائد اسمه «منير روفا»، ورأى «الموساد» أن الفرصة مواتية إذا تم التركيز عليه باستخدام الأساليب المناسبة.

فى عـام ٢٠١٠ ، كشـف فيلـم إسرائيلى وثائقـى عـن قصـة تجنيـد لـ«منـير روفـا» ابـن مدينـة الموصـل، ويحتـوى عـلى كيفيـة اسـتثمار نقـاط ضعفـه، حيـث كان محبَطًـا نتيجـة عـدم ترقيتـه، بالإضافـة إلى ضعفـه مـن ناحيـة النسـاء، وبتضافـر العمليتـين دارت عجلـة التجنيـد.

يـروى «هيـكل» القصـة مشـيرا إلى أن امـرأة ظهـرت فى بغـداد عـلى درجـة مـن الجـمال جـرى الترتيـب أن تلتقـى «مصادفـة» بـ«روفـا»، ثـم تدخـل معـه فى مغامـرة عاطفيـة لتصـل إلى قلبـه، ثـم رتبـت رحلـة معـه إلى أوروبـا، وهنـاك عـلى نحـو مـا أقنعتـه، وسـافر معهـا إلى إسرائيـل بتصريـح مؤقـت لا يظهـر لـه أثـر فى جواز سـفره سرا، وفيهـا التقـى بعميلـين للموسـاد، وعـدد مـن قـادة سـلاح الطـيران الإسرائيلى بينهـم الجنـرال «هـود» الـذى أصبـح قائـدا للسـلاح فيـما بعـد.

شـارك الجميـع فى وضـع خطـة هروبـه بالطائـرة مـن العـراق إلى إسرائيـل التـى زار فيهـا المنطقـة التـى سـيهبط فيهـا، وتـم تصويـره دون علمـه لاسـتخدام الصـورة كوسـيلة ضغـط عليـه فى حـال تراجعـه.

قبــل التنفيــذ «بنحــو شــهر خرجــت أسرتــه مــن العــراق»، وفى يــوم «١٦ أغسـطس ١٩٦٦» قـاد الطائـرة فى إطـار طلعـة تدريبيـة، ثـم نـاور وابتعـد، واندفـع بأقـصى سرعــة عَـبْر الصحــراء وعــبر الأردن ليدخــل إلى الأجــواء الإسرائيليــة.

فى إسرائيـل كانـت تنتظـره طائـرات حراسـة، وتبـادل الجميـع إشـارات التعارف المتفـق عليهـا فى مطـار عتليت العسـكرى.

جـرى فحـص الطائـرة الميـج ٢١ بـكل جهـاز ومسـمار فيهـا، وجـرى اختبارهـا عـلى الأرض والجـو حتـى أصبحـت كتابـا مفتوحـا، وسـلمتها إسرائيـل إلى أمريـكا بعـد الحصـول عليهـا بشـهر، وحصلـت فى المقابـل عـلى طائـرات فانتـوم متطـورة، واسـهم ذلـك فى تدمـير العديـد مـن «الميـج ٢١» التـى بحـوزة الجيـوش العربيـة فى نكسـة ٥ يونيـه ١٩٦٧.

١٧ أغسطس عام ١٩٨٧
انتحار «ردولف هِسْ» ابن زُفْتى محافظة الغربية ونائب هتلر

«وهب هتلر نفسه لألمانيا، وفى سبيلها عاش ومات، لقد كانت له مثالياته، تحدى العالم أجمع ولم يستسلم، قاتل حتى الرمق الأخير، لقد وهبت نفسى لأكبر شمس فى العالم، أفلا يحق لى أن أفخر بزعيمى».

هكذا جاءت تلك الكلمات فى كتاب «كفاحى.. يوميات النصر والهزيمة» دار نون، القاهرة الذى يحتوى على مذكرات «هتلر»، وقالها رودلف هس، نائب هتلر فى الحزب النازى، وثالث قائد لألمانيا فى زمن الزعيم النازى.

هذا اليقين الذى يتحدث به «هس» عن «هتلر» له علاقة ما بمصر، فقصته قبل انتحاره فى مثل هذا اليوم «١٧ أغسطس ١٩٨٧» فى سجنه ببرلين الغربية تبدأ فى مدينة «زفتى»، محافظة الغربية، حيث ولد فيها يوم ٢٦ أبريل عام ١٨٩٤.

كان والده من المغامرين الألمان الذين جاءوا مع الاحتلال الإنجليزى لمصر، واستوطن فى مدينة زفتى، وامتلك فيها ڤيلا لسكنه الخاص، وورشة تصنيع وتصليح الآلات الزراعية، ومعدات لمحالج الأقطان على مساحة فدانين فى قلب «زفتى»، وكان يمتلك محلجًا للقطن ووابورين للطحين، بالإضافة إلى ٩٣ فدانًا من أجود الأراضى الزراعية فى قرية «كفر جنيدى».

وفى مجلس مدينة زفتى توجد وثيقتان عن جانب من ثروة الرجل فى تلك الأيام، الأولى لطلب رسمى يحمل رقم «٧١- ٣٤٤٢» عام ١٩٠١، تقدم به للحصول على ترخيص بإقامة سور حول الأرض التى أقام عليها ورشة، وتأشيرة برفضه، والثانية لخريطة مساحية قديمة يرجع تاريخها إلى عام ١٩١٧، مرسومة بخط اليد، وفيها الأرض التى أقام عليها ورشته.

سافر «رودلف» إلى سويسرا لدراسة إدارة الأعمال، وعاد إلى زفتى عام ١٩١٢ ليقضى فيها إجازة الصيف مع والديه، وفى الحرب العالمية الأولى تطوع فى الجيش الألمانى، وأصبح جندى مشاة، ثم انتقل للخدمة بالقوات الجوية الإمبراطورية كملازم.

فى عام ١٩١٤ كان والده ووالدته فى زيارة إلى ألمانيا، وتعذرت عودتهما إلى مصر لنشوب الحرب العالمية الأولى، فصادر الاحتلال الإنجليزى لمصر أملاكهما، ولما عادا مرة ثانية عام ١٩٢٥ استطاع الوالد رد هذه الممتلكات، لكنها تركت لدى الابن «رودلف» مرارة، فوصف الإنجليز بالقراصنة لاعتدائهم على أملاك والده فى «زفتى»، وأثر ذلك على أفكاره فى العداء لبريطانيا، فوجد ضالته فى أفكار «هتلر» التى تجلت فى كتاب «كفاحى» الذى كان يمليه على «رودلف» وهما فى السجن.

حين نشبت الحرب العالمية الثانية وفى أسبوعها الأول استدعى رودلف هس صديقه المصرى كمال الدين جلال، وحمله رسالة إلى رئيس وزراء مصر على ماهر قائلا لـ«جلال»: «أنت تعرف أننى ولدت عندكم فى مصر، وأنا أحب مصر والمصريين، فقد عشت فى بلادكم أيام طفولتى، وأريدك أن تتصل بسفيركم فى بروكسل لينقل إلى القاهرة أملى أن تسهل الحكومة المصرية سفر والدى ووالدتى، وكذلك بعض الألمان الذين احتجزتهم الحرب ليعودوا إلى بلادهم».

وبالفعل سهلت الحكومة سفر الخواجة «هس» إلى ألمانيا بعد أن باع أملاكه للأسطى إبراهيم الفخرانى، رئيس العمال فى ورشته.

١٨ أغسطس عام ١٧٩٨
بونابرت يحتفل بعيد «وفاء النيل» والعمال يلقون «المخطوبة» فى النيل

أشرقت الشمس على القاهرة فى مثل هذا اليوم «١٨ أغسطس ١٧٩٨» وقد اتخذ نابليون بونابرت مجلسه على منصة مقامة فى كشك عند ملتقى النيل بالخليج، ليشرف على أول احتفالات بعيد «وفاء النيل» بعد قدومه على رأس حملته الفرنسية إلى مصر.

رأى «نابليون» أن مشاركته فى الاحتفال بـ«عيد» سيعطيه شرعية ويعزز من موقعه كحاكم موالٍ ليس للإسلام وفقط، وإنما لكل عادات المصريين، ومنها الاحتفال بهذا النوع من الأعياد غير الإسلامية لكنها مصرية خالصة، وفى كتابه «بونابرت فى مصر» مكتبة الأسرة، القاهرة لـ«ج. كرستوفر هرولد» يقول: «إن بونابرت جلس بجواره قادته فى ثيابهم العسكرية واختلط بهم أعضاء ديوان القاهرة وغيرهم من أعيان المسلمين فى عمائمهم البهية، ولحاهم الكبيرة، وقفاطينهم ذات الأهداب المصنوعة من الفرو التى تنبئ بمكانتهم، ولا يكاد المرء يصدق أن المسلمين أو الفرنسيين كانوا يطيقون لبس هذه الثياب تحت شمس أغسطس المصرية».

وينقل «هرولد» عن «الجبرتى»، أن «بونابرت» دعا أهل القاهرة للخروج إلى المتنزهات على ضفتى النهر وفى جزيرة الروضة كما اعتادوا، لكن كثيرا

مـن أهـل القاهـرة تلقـوا الدعـوة بمشـاعر اختلـط فيهـا الغضـب بالكآبـة، فهنـاك الضرائـب الجديـدة التـى نشـط جامعوهـا فى جمعهـا، وهنـاك أيضًـا نهـب الـدُّور، وملاحقـة النسـاء والجـوارى بـل اختطـاف بعضهـن والـزج بهـن فى السـجون.

فى كتابـه «مـصر تحـت حكـم بونابـرت» المجلـس الأعـلى للثقافـة، القاهـرة، يسـتفيض المـؤرخ الأمريكـى «خـوان كـول» فى ذكـر تفاصيـل هـذا اليـوم قائـلًا: إن الفرنسـيين حرصـوا عـلى حشـد أكـبر عـدد مـن النـاس فى المتنزهـات وعـلى صفحـة النيـل، ولعبـت الفـرق الفرنسـية والمصريـة مقطوعـات موسـيقية، ويضيف، أنـه حـين أعطـى «بونابـرت» إشـارة لإزالـة «جـسر السـد» تدفقـت الميـاه فى تيـار قـوى إلى القنـاة، وألقـى النسـاء والرجـال والأطفـال بأنفسـهم فى النيـل، كـما ألقـوا خصـلات مـن ذؤابـات الخيـل وخـرَق مـن قـماش، وغـير ذلـك مـن القرابـين لينعـم الله عـلى نسـائهم بالخصوبـة أو ليحفـظ عليهـن جمالهـن، وانطلـق طائفـة مـن الراقصـات برقصـات خليعـة عـلى طـول القنـاة، وألقـى «بونابـرت» كميـات كبـيرة مـن العمـلات الصغـيرة بـين النـاس، وألقـى قطعـا مـن الذهـب عـلى سـطح القـوارب المـارة، ومنـح شـيخ الأزهـر كسـوة سـوداء، ومنـح شـيخ الأشراف كسـوة بيضـاء، ووزع القفاطـين عـلى كبـار الضبـاط الفرنسـيين تكريـما لهـم.

حمـل العـمال تمثـالا صغـيرا مـن الطـين لامـرأة ويدعـى «المخطوبـة» وألقـوه فى النيـل، وذلـك امتـدادا لعـادة فرعونيـة قديمـة، وبعدهـا انسـحب الموكـب الرسـمى فتبعـه النـاس وهـم ينشـدون المدائـح النبويـة، ويزعـم «ديـز فرنـواه» أن النـاس هتفـوا باسـم القائـد الأعـلى «بونابـرت» ووصفـوه بأنـه «مُرسَـل» إليهـم مـن قبـل الرسـول لأنـه أحـرز انتصـارا وسـيطر عـلى أجمـل أنهـار العـالم.

يسـجل «الجبرتـى» أنـه لاحـظ عـزوف العائـلات عـن ركـوب القـوارب فى القنـوات فى تلـك الليلـة، مثلـما اعتـادوا مـن قبـل عـدا المسـيحين والسـوريين والأقبـاط والأوروبيـين وزوجاتهـم، ويضيـف أن مسـلمى القاهـرة عـدا قلـة مـن المتعطلـين لم يشـاركوا فى الاحتفـالات الرسـمية، لكـن الفرنسـيين لم يسـتطيعوا التمييـز بـين الأقبـاط والمسـيحين السـوريين والمسـلمين.

١٩ أغسطس عام ١٩٦٧
«عامر» يقرر الذهاب للجبهة لإعادته لقيادة الجيش

قال جمال عبدالناصر للمشير عبدالحكيم عامر: «أريدك أن تفكر مرة أخرى على مهل، فالبلد ليس ملكا لجمال عبدالناصر ولا لعبدالحكيم عامر، ويكفى ما جرى، وليس هناك داعٍ لأن نجعل أنفسنا «فُرْجة» أمام الناس».

كانت الكلمات السابقة ختاما لمقابلة بين «الصديقين» فى منزل «عامر» فى الأسبوع الثانى من شهر أغسطس عام ١٩٦٧، ويأتى بها محمد حسنين هيكل فى كتابه «سنوات الانفجار».

جاءت المقابلة بعد لقاء جمع «عبدالناصر» بالفريق «عبدالمنعم رياض» رئيس أركان حرب القوات المسلحة، قال «رياض» فيها: إن بيت «المشير» فى الجيزة أصبح مشكلة صعبة، لأن فيه ضباطا محالين للاستيداع ومطلوبين للتحقيق يحيطون بـ«المشير»، وهم يقومون بعملية شوشرة كبيرة تؤثر على الضبط والربط فى القوات المسلحة.

على أثر شكوى «رياض» قرر «عبدالناصر» زيارة «عامر» فى بيته للحديث إليه، وعلى الرغم من معارضة البعض للفكرة لوجود عناصر فى البيت لا يضمن أحد تصرفاتها، فإن عبدالناصر نفذها، ودار بينه وبين «عامر» حوار، لكن مجريات الأحداث كانت تجاوزته حسب تعبير «هيكل»، وكان «عامر» فى وضع لم يعد يسمح له بأى نصيحة.

فى «مذكراتى فى السياسة والثقافة» دار الهلال، القاهرة، للدكتور «ثروت عكاشة» وزير الثقافة فى زمن عبدالناصر، والمقرب من «عامر»، يتحدث عن هذه المقابلة بالتفصيل قائلا: إن «ناصر» قال لـ«عامر»: حذرتك من المصير الذى سوف ينتهى إليه البلد إذا بقينا على تلك الحال، ثم ما هذا الذى فعلته أنت و«شمس بدران» من إثارة الضباط ليتجمهروا ويتجمعوا؟ وهل مثل هذا الذى تفعلان لخير البلد أم لشقها؟ لقد عجبت من عريضة ممهورة بإمضائهم يطلبون بها عودتك و«شمس»، وكأنكم تريدون منى توفيقًا آخر (يعنى الخديو توفيق وموقفه من الضباط بقيادة عرابى).

تصاعدت المسألة إلى حد أنه فى مثل هذا اليوم «١٩ أغسطس ١٩٦٧» تلقى عبدالناصر تقريرا من المخابرات العسكرية أثار قلقه،فماذا جاء فى هذا التقرير؟

يقول التقرير إن بعض المحيطين بـ«عامر» رسموا خطة لذهابه إلى الجبهة، وهناك يتخذ طريقه إلى مقر المنطقة الشرقية ويعلن عودته إلى القيادة العامة للقوات المسلحة، ويتفاوض مع عبدالناصر من موقع قوة تحفظ له حقه.

أضاف التقرير أن «عامر» تردد فى البداية، ثم اقتنع بعد أن جس بعض أنصاره النبض بين قوات الجبهة، كما أن «شمس بدران» وزير الحربية المُقال وكان يقيم فى بيت «المشير» أكد لـ«عامر» أن «عبدالناصر» سيقبل بشروطه حرصا منه على وحدة الجيش وتخوُّفه من سفك الدماء.

وزاد «بدران» فى إغراء «عامر» بالقول: إن عبد الناصر سيضطر إلى المحافظة على المظاهر بأى شكل بينما هو يستعد إلى الذهاب لمؤتمر القمة العربية فى الخرطوم، ووفقا للتقرير استحسن «عامر» رأيا قيل له بأن ينفذ الخطة فى نفس توقيت وجود جمال عبدالناصر فى الخرطوم.

٢٠ أغسطس عام ١٧٩٨
نابليون يتبرع بـ«٣٠٠» فرنك فرنسى للاحتفال بالمولد النبوى

ظهر نابليون بونابرت فى يوم الاحتفال بالمولد النبوى متدثرا بالعباءة الشرقية، وأعلن نفسه حامى حمى الأديان كلها، وانتشرت الحماسة بين الناس.

كان «نابليون» قد احتفل مع المصريين بعيد «وفاء النيل»، غير أنه لم يَرَ فيها أكثر من مهمة علاقات عامة حسب تعبير المؤرخ الأمريكى «خوان كول» فى كتابه «مصر تحت حكم بونابرت»، ويقول إن «نابليون» تطلع إلى المناسبة التالية، وهى «المولد النبوى»، وعقد العزم على أن يحقق من خلالها نجاحا، وقال فى رسالة إلى الجنرال «ڤيال» بدمياط: «أتصور أنكم تخططون للاحتفال بالمولد النبوى بقدر أكبر من الفخامة، إن احتفال وفاء النيل اتصف بالجمال، والاحتفال بالمولد النبوى سيكون أكثر جمالا».

ويضع «ج. كرستوفر هيرولد» فى كتابه «بونابرت فى مصر» مكتبة الأسرة، القاهرة، تصميم نابليون على الاحتفال بـ«المولد النبوى» فى سياق أوسع قائلًا: «هو أول سياسى استغل الدعاية بمعناها الحديث استغلالا كاملا، فعزم أن يربط نفسه وجيشه بالاحتفالات التى تُحْيى ذكرى أحداث منحت أهل مصر رزقهم ودينهم».

يذكر «الجبرتى» أن الشيوخ عزفوا عن الاحتفال بالمولد النبوى فى ذلك العام، غير أن «بونابرت» ما إن علم بنياتهم حتى ألحَّ عليهم أن يعيدوا النظر

فى قرارهم، فرد عليه الشيخ «خليل البكرى» بالاعتذار لأن الموقف يتصف بعدم الاستقرار، وأن علية القوم لا يتوافر لديهم المال اللازم لرعاية الاحتفال، فتبرع «بونابرت» بثلاثمائة فرنك فرنسى إلى الشيخ البكرى لتمويل الاحتفال.

نية عدم الاحتفال بـ«المولد» امتدت إلى باقى أقاليم مصر، وحسب ما يذكره «كولن» نقلًا عن الفنان «دومينيك فيفان دينو» الذى رسم بروتريه لـ«ڤولتير» وكان مرافقا للحملة، أن مفتى «رشيد» قرر عدم الاحتفال به كى يبعث برسالة إلى الأهالى فحواها أن الفرنسيين يعارضون إحدى أكثر المناسبات الإسلامية قداسة، وانتبه الجنرال «مينو» فقرر إقامته فى الساعات الأخيرة، فأمر المفتى بتنظيم المناسبة.

بدأ الاحتفال فى مثل هذا اليوم «٢٠ أغسطس ١٧٩٨» قبل موعده الرسمى بثلاثة أيام، وخرج أهل القاهرة يرفعون المصابيح الملونة على الأعمدة فى موقعين بالأزبكية مما كان له أجمل الأثر عندما حل المساء.

فى العاشرة مساء اتجهت مسيرات المسلمين الأتقياء من أحياء المدينة إلى المساجد المختلفة يقودها رجال يحملون المشاعل، أو الثريات الكبيرة التى تحمل كل منها أربعين مصباحا، واخترق الموكب طرقات القاهرة ليلا وسط صياح الجموع، ويقول «مواريه»: إن أهل المدينة طافوا بالطرقات تميزهم علامات تدل على مكانتهم الاجتماعية أو صناعتهم، يصحبهم العبيد الذين يحمل بعضهم السلاح ويحمل بعضهم الآخر المشاعل، وفى الأزبكية رفعوا صورة زخرفية لقبر الرسول فى المدينة، وتواصلت الاحتفالات حتى يوم ٢٣ أغسطس.

٢١ أغسطس عام ١٩٤١
وفاة طلعت حرب فى بلدته «النعناعة» بدمياط

ذهب «طلعت حرب» إلى «حسين سرى»، وزير المالية، يطلب من الحكومة أن تقف مع «بنك مصر» الذى أسّسه وأعطاه عمره، فقال له «حسين سرى»: «يا طلعت باشا إدارتك للبنك سيئة»، فرد على الفور: «كنت أعطيك بيدى هذه كخبير لشركة المحلة ستمائة جنيه كل سنة، فكيف تكون اليد التى تقبل منها هذا المال يدًا لا تُحسن الإدارة؟».

يذكر هذه القصة فتحى رضوان فى كتابه «طلعت حرب- بحث فى العظمة»، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ودارت وقائعها عام ١٩٤٠، حين دنت الحرب العالمية الثانية بمخاطرها المباشرة إلى مصر، لاقتراب جيوش «المحور» بقيادة روميل من مصر اقترابًا شديدًا، فأسرع الناس إلى البنوك ومنها بنك مصر لسحب ودائعهم، ولم يستطع البنك تلبية طلبات السحب، وعُدَّ متوقفًا، وأصبح لا مناص من تدخل الحكومة، فأصدرت القانون قم ٤٠ لسنة ١٩٤١ لدعم البنك، وقررت فى الوقت نفسه تنحية طلعت حرب من رئاسته.

لم يقتصر الأمر على «التنحية» وفقط، وإنما بدأت حرب التشويه والتشكيك، هى حرب لا تعرف الرحمة، وأكثر من يشعر بمرارتها هؤلاء الذين يقدمون بلا هوادة، ويعطون بلا مقابل، كان «طلعت حرب» من هؤلاء فلاذ بالعزلة عن البنك الذى أنشأه واقترن تاريخيًا باسمه، وكما قال هو فى احتفال عام

١٩٣٥ بانقضاء ١٥ عاما على تأسيس البنك: «ركز البنك اسم مصر فى الهواء والماء وفوق الجبل».

مات «طلعت حرب» فى مثل هذا اليوم «٢١ أغسطس ١٩٤١» فى بلدته «النعناعة» القريبة من مدينة دمياط، طبقًا لما يذكره فتحى رضوان الذى يقول: «مات بعيدًا عن الناس، عن الدار التى أنشأها وأحبها، عن التفكير والعمل للصناعة والتجارة، كان بنك مصر يعمل، وكانت شركاته تنتج، وكان إنتاج شركة مصر للغزل والنسيج بالذات هو الذى أنقذ المصريين، وخصوصًا فقراءهم من أزمات محققة فى سنوات الحرب القائمة».

اقترن اسم طلعت حرب فى التاريخ بأكبر آثاره وهو بنك مصر، فهو أول بنك يقوم على أكتاف الشعب نفسه بلا معونة من الحكومة ولا إشراف ولا توجيه، ويرى «رضوان» أن فكرة البنك ولدت فى ضوء نار ثورة ١٩١٩ التى اندلعت فى شهر مارس، ويصفه بـ«الرجل الذى صنعه الله ليحققها، ويخرج بها من دنيا الأحلام والأمانى إلى دنيا الحقائق والواقع»، وعبر جهده اكتتب ١٢٦ مصريا فقط فى ٨٠ ألف جنيه، وفى يوم ٧ مايو ١٩٢٠، وعلى ضوء نار الثورة التى لم تخمد بعد، اجتمعت الجمعية العمومية للمساهمين.

ويضيف «رضوان» أنه لم يفكر أحد يومها أن عدد المساهمين قليل، وأن مبلغ الاكتتاب أقل من مائة ألف جنيه، فالقيمة الحقيقية كانت فى اجتماع المصريين على فكرة تم تنفيذها.

يعطى «رضوان» ملمحًا مهمًا فى مسيرة «طلعت حرب»، قائلاً إن نشاطه العام قبل تأسيس البنك يؤكد أنه رجل علم وسياسة ودولة، ففى عام ١٨٩٩ رد على كتاب قاسم أمين حول حرية المرأة، وألَّف كتابًا عن دول العرب والإسلام فى عام ١٩٠٥، ثم أسهم فى الحملة ضد مد امتياز قناة السويس عام ١٩١٠.

٢٢ أغسطس عام ١٩٤٨
استشهاد الضابط أحمد عبد العزيز فى فلسطين

فى الساعة الثامنة من مثل هذا اليوم «٢٢ أغسطس ١٩٤٨»، سجلت الوثائق الرسمية أول حرف من قصة استشهاد البطل أحمد عبد العزيز فى فلسطين، ويكتبها محمد حسنين هيكل بصحيفة «أخبار اليوم» فى الذكرى السنوية الأولى لاستشهاده، مشيرًا إلى رسالة بالشفرة من الفالوجا.

نصت الرسالة: «إلى المستشفى الأم: جهزوا حجرة عمليات، أحمد عبد العزيز جُرح».

أحدثت الرسالة ارتباكًا، وفى مقر القيادة العليا للجيوش العربية جلس اللواء المواوى يتحدث مع هيئة أركان حربه عن الرسالة المثيرة، وكان القلق يخيم على الغرفة، وبعد دقائق دخل ضابط الإشارة فى القيادة يبكى، وفى يده برقية ناولها إلى القائد العام، فأمسك بالرسالة وكانت ألفاظها عادية، ومع ذلك كان نصها قاسيًا: «إلى المستشفى العام، لا لزوم لغرفة العمليات استشهد أحمد عبدالعزيز».

على حد وصف «هيكل»: كانت أمنية أحمد عبدالعزيز أن يموت فى الميدان وتحققت الأمنية، وكالشهاب لمع فى حياة بلده، ومر مرورًا خاطفًا، أما توفيق الحكيم فكتب: «كان مثاليًا فكُتب له أن يعيش فى كل زمان، اختفى منه الجثمان، ولكن المثل فيه حى دائمًا كما كان، يصدر الأوامر ويحفز الهمم ويشعل الحماسة ويحرك الجيوش»، وكتب إحسان عبد القدوس: «مرتان تمنيت

فيهما أن أكون ضابطًا فى الجيش، مرة وأنا فى السادسة عشرة من عمرى، ومرة بعد أن قابلت أحمد عبد العزيز».

فى كتاب «ملحمة للبطولة من الطفولة»، الصادر عن المجلس الأعلى للشباب ١٩٦١ للكاتب «أبوالحجاج حافظ»، نعرف تراث البطل وما تركه من كتابات وذكريات، بالإضافة إلى المقالات التى كُتبت عنه بعد استشهاده، فهو خريج الكلية الحربية عام ١٩٢٨، وابن الحركة الوطنية المصرية التى كانت تموج ضد الاحتلال الإنجليزى، وقبل أن يلتحق بالكلية كوّن مع زملائه مجموعة تطارد الضباط والإنجليز السكارى، وطعن ضابطًا حتى الموت لمعاكسته سيدة مصرية.

كان نموذجًا فى القيادة العسكرية والبطولة، يصفها كمال الدين حسين، تلميذه وأحد قيادات تنظيم الضباط الأحرار الذى قاد ثورة ٢٣ يوليو، بقوله: «اكتسب قلوب ضباطه وجنوده فالتفوا حوله وجعلوا من أفئدتهم حصونًا تفتديه».

تقترن حرب ١٩٤٨ بالشهيد أحمد عبدالعزيز منذ أن تقدم فى ٢٠ أبريل ١٩٤٨ بطلب إلى رئاسة الجيش المصرى، يطالب فيه بإحالته إلى الاستيداع ستة أشهر للتطوع لمحاربة العصابات الصهيونية فى فلسطين.

بعد شد وجذب تم قبول طلبه وإسناد مهمة قيادة المتطوعين إليه، وكان برتبة «بكباشى» وكان وَقْع تعيينه لهذه المهمة عظيمًا على المتطوعين، يصفها كمال الدين حسين: «كانت فرحتنا شديدة بهذا النبأ، فهو أستاذنا فى التاريخ العسكرى بالكلية الحربية، وطالما كان يلقن طلابه كراهية الاستعمار والمستعمرين».

قاد معارك عظيمة فى بئر السبع، وغزة، والقدس، والفالوجا، واللافت أنه كان ضد دخول الجيش المصرى إلى أرض المعارك عام ١٩٤٨، على أساس أن محو إسرائيل وعصابتها يجب أن تقوم به كتائب الفدائيين والمتطوعين، ودخول الجيوش العربية يعطى لإسرائيل صفة كبرى.

٢٣ أغسطس عام ١٧٩٨
الاحتفال بالمولد النبوى
يتواصل وفتوى للشيوخ حول ختان نابليون

تواصلت الاحتفالات بـ«المولد النبوى» التى بدأت يوم ٢٠ أغسطس، وبلغت ذروتها فى مثل هذا اليوم «٢٣ أغسطس ١٧٩٨»، وكان هذا اليوم له طقوس حضرها «نابليون بونابرت».

فى كتاب «بونابرت فى مصر» لـ«ج. كرستوفر هيرولد» يقول نقلاً عن يوميات «ديترى»: إنه فى يوم ٢٣ أغسطس بلغت الاحتفالات ذروتها، فأصبحت الميادين العامة حافلة بالمعارض والفرج الصغيرة، فترى فيها الدببة والقردة المدربة والمغنين والمغنيات ينشدون أدوارًا يجاوبهم فيها آخرون، والنسوة يغنين الأشعار، والحواة يأمرون الثعابين فتختفى، والأطفال يرقصون بفجور، وظهر الدراويش عند المساء، والشعب يجِلُّ هؤلاء المتعصبين- هكذا رأى الفرنسيون- الذين يطلقون شعورهم ويسيرون عراة تقريبًا، واجتمع الأتقياء فى حلقات يجلس فيها الرجال متلاصقين، وقد عقد كل منهم ذراعه بذارع صاحبه، ثم بدءوا يهتزون فى حركات عنيفة أفرادًا وجماعات ذات اليمين وذات اليسار، ورافق حركتهم التلوى العنيف، واستمرت إلى أن خارت قواهم.

فى تقرير اللجنة العلمية لـ«الحملة» جاء أن الفرنسيين دهشوا تمامًا من أمر الفقراء الدراويش، فكانوا يجرون عراة تمامًا فى نشوة دائمة، ولم يكن شىء من الأشياء محظورًا عليهم، كانت النسوة يتبركن بالاتصال بهم.

فى صباح اليوم، أصدر بونابرت أوامره بتقدم مسيرة مهيبة من قوات الحامية احتفالاً باليوم العظيم، فامتزجت نغمات الفرقة العسكرية المصاحبة للجنود بالأناشيد التى يتغنى بها المسلمون.

وأقام «خليل البكرى» حفلاً عظيمًا فى بيته لـ«نابليون»، اجتمع فيه مائة من كبار شيوخ الأزهر، افترشوا الأرض حول عشرين منضدة منخفضة، وشرع واحد منهم فى رواية سيرة النبى محمد «ﷺ»، قال الرجل سيرة النبى بنغمة معتادة ومعهودة للمصريين فى مثل هذه المناسبات الدينية ،وبالطبع كان الأداء ابن هذا العصر فى طريقة الغناء الدينى.

تمت رواية السيرة بنغمة وجدها الفرنسيون مملة حسب قول «خون كولن» فى كتابه «مصر تحت حكم بونابرت»، الصادر عن المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ويصف الموائد التى جلس الفرنسيون حولها: «قُدمت لهم أدوات مائدة وصحاف فضية بل قنينة نبيذ معتق، ثم مُدت الموائد بالمشويات والمقليات والأرز والعجائن وكلها مطهوة بالتوابل»، ويتذكر أحد الضباط الفرنسيين الحاضرين: «يأكل العرب بأصابعهم ويغسلون أياديهم ثلاثًا أثناء تناول الطعام».

وعما دار حول الموائد يقول «ديز فرنواه»: «تحدث بونابرت مرارا مع شيوخ الأزهر ساعيا إلى التعرف على حاجات البلاد والوسائل التى يتحقق بها رخاؤها، وفى بعض الأحيان يصل إلى مغازلة مشاعرهم الدينية، إذ يصور لهم «بونابرت» مدى استعداد الجيش الجمهورى لاعتناق الإسلام فى القريب العاجل، ويقول ضابط آخر: «إن القائد الأعلى لم يدخر وسعا لإقناع المصريين بما يكنُّه الجيش الفرنسى من توقير عظيم للرسول، أما الجنود فالتزموا الأدب فيما يقولون، ولكنهم ما إن عادوا إلى ثكناتهم حتى ضجوا بالضحك لما رأوه من تلك المهزلة».

كان هذا هو الطريق الذى قطعه «بونابرت» نحو الحماسة بين الناس لينادوه بـ«على بونابرت»، ويذكر الكابتن «سالى» الذى كثيرًا ما انتقد مغازلة

«نابليـون» للإسـلام: «إذا كان المصريـون خلعـوا عـلى «بونابـرت الكروسـيكى» ذلـك الاسـم فقـد عـدوا الأمـر مزحـة تثـير الفكاهـة».

جـاءت هـذه التصرفـات مـن «نابليـون» فى سـياق محاولاتـه المسـتمرة فى إقنـاع أئمـة المسـاجد فى أن يدعـوا لـه عـلى المنابـر، وينقـل «كولـن» عـن مذكـرات «نابليون» التـى كتبهـا فى منفـاه بـ«سـانت هيلانـة»، أنـه ظـل طـوال الصيـف يجـادل شـيوخ الأزهـر كلـما التقـى بهـم فى أن يقنعـوا الدعـاة بوقـف حـد للإثـارة ضـده، وطلـب منهـم إصـدار فتـوى تدعـو إلى طاعـة الدولـة الجديـدة، وعندئـذ عـلا وجـوهَ الشـيوخ الشـحوبُ، وبـدا عليهـم التوتـر، ثـم تقـدم الشـيخ الشرقـاوى آخـر الأمـر للـرد عليـه، فقـال لـه: «إنـك تطلـب حمايـة النبـى وهـو يحبـك، وترغـب أن يسـير المسـلمون فى ألويتـك، وتأمـل فى إعـادة أمجـاد بـلاد العـرب، وإنـك لسـت بعابـد أوثـان، فلتعلـن إسـلامك».

قـدم الشـيخ الشرقـاوى عرضـه إلى «نابليـون» وزاد فى إغرائـه: «إن مائـة ألـف مـصرى ومائـة ألـف آخريـن مـن بـلاد العـرب ومـن مكـة والمدينـة سـيصطفُّون خلفـك، فـإن دربتهـم ونظمـت صفوفهـم حسـبما تـرى، فإنهـم سـيقهرون الـشرق كلـه تحـت إمرتـك، فتعيـد بذلـك مجـد موطـن الرسـول».

يصـف «بونابـرت» تلـك اللحظـة التـى انتهـى فيهـا الشـيخ الشرقـاوى مـن تقديـم عرضـه بقولـه: «تـلألأت وجـوه الشـيوخ المتغضنـة بالبِشْر وانطرحـوا جميعـا أرضـا سـاجدين داعـين الله أن يشـملهم برعايتـه».

تدبـر «نابليـون» الأمـر جديًـا، فـرد عـلى الشـيخ الشرقـاوى بـأن هنـاك عقبتـين تحـولان دون تحولـه وجنـوده إلى الإسـلام، الأولى، الختـان، والأخـرى - الخمـر، وقـال: «لـن أتمكـن مـن إقنـاع جنـودى بالتخلى عنهـا، فقـد اعتادوهـا منـذ الصغر»، فـرد الشـيخ محمـد المهـدى الـذى تحـول مـن المسـيحية إلى الإسـلام ليتلقـى العلـم فى الأزهـر: أقـترح أن يجتمـع سـتون شـيخًا لمناقشـة الأمـر علنًـا وتدارسـه.

سرت الشـائعات فى البـلاد بـأن الشـيوخ يلقنـون نابليـون مبـادئ الإسـلام، وبعـد شـهر أصـدر أربعـة مـن الفقهـاء فتـوى أسـقطوا فيهـا شرط الختـان، وقالـوا

إنه ليس فرضًا إسلاميًا، كما أفتوا بأن شاربي الخمر من غير المسلمين «يجوز أن يصبحوا مسلمين»، غير أن مصيرهم سيكون جهنم إذا واصلوا شربها بعد إسلامهم.

أعلن «نابليون» سعادته من تخطي العقبة الأولى، لكنه أبدى انزعاجه مما جاء فى فتوى شرب الخمر، فلم يَرَ فيها ما يشجع على اعتناق الإسلام، فرأى الشيخ المهدى إعلان الجزء الأول من الفتوى، وعاد الشيوخ إلى مناقشة الأمر الثانى وأرسلوا المكاتبات إلى زملائهم بمكة، وأخيرًا اتفق العلماء على جواز شرب الخمر لمن تحول من دينه إلى دين الإسلام شريطة أن يُعاقب عليها بدفع غرامة مالية.

٢٤ أغسطس عام ١٥١٦
هزيمة «قانصوه الغورى» فى «مرج دابق»..
والمماليك يقطعون رأسه

مما يُروى عن السلطان المملوكى «قانصوه الغورى» أن رجلا مغربيًا جاءه ببندقية وأخبره بأنها ظهرت فى بلاد البندق، وأن بلاد الروم وبعض العرب استخدموها، فطلب إليه «الغورى» تدريب بعض مماليكه عليها، ففعل.

ولما أتموا تدريبهم ذهبوا بها إليه يُطْلعونه على ما تعلموه وعلى نتائج السلاح الجديد، وأطلقوا أمامه بعض الطلقات ورأى مفعولها وسرعة القتل التى تحققها، فانزعج وقال للشخص المغربى: «نحن لا نترك سُنَّة نبينا ونتبع سنة النصارى»، وقال الله سبحانه تعالى: {إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ} (سورة آل عمران، الآية: ١٦٠)، فرد المغربى: «من عاش ينظر هذا الملك وهو يؤخذ بهذه البندقية».

يروى هذه القصة «أحمد بن زَنْبَل الرمَّال»، أحد الذين كتبوا قصة حرب العثمانيين لدخولهم مصر، ويتناولها حلمى النمنم فى كتابه «سليم الأول فى مصر» فى سياق تناوله لدخول العثمانيين بقيادة «سليم الأول» إلى مصر بعد موقعة «مرج دابق» التى هزم فيها «الغورى» فى مثل هذا اليوم «٢٤ أغسطس ١٥١٦»، فبينما رأى «الغورى» أن يكون جيشه على هذا النحو، كانت البنادق هى سلاح «سليم الأول» فى حروبه لتكوين وتوسيع الإمبراطورية العثمانية.

كان «الغوري»، حسب «النمنم»، سلطانا يقرض الشعر ويجيد العربية والتركية ويجلس مع الفقهاء، يتحاور معهم ويناقشهم في قضايا دينية وفقهية مختلفة، كان رجل دين لا تكوين قائد سياسي وعسكري في لحظة فاصلة من تاريخ مصر.

وفي كتاب «مواقف حاسمة في تاريخ القومية العربية، المجلد الأول» لمحمد صبيح، يقول نقلا أيضا عن «ابن زنبل»، إن «الغوري» قاتل بـ«١٣ ألف» مملوك، لكنهم كانوا جنودا مرتزقة، وكان معه أئمة المذاهب الأربعة، وخلفاء سيدي أحمد البدوي، وسيدي إبراهيم الدسوقي، وسيدي عبد القادر الجيلاني، بالإضافة لـ«المؤذنين».

كان القتال عنيفا، وانتصر العثمانيون بجيش قوامه ١٨٠ ألف جندي، ويروي «ابن إياس» في «بدائع الزهور»، الصادر عن مكتبة الأسرة، القاهرة: «شرع السلطان يستغيث للعسكر: يا أغوات هذا وقت المروة قاتلوا، فلم يسمع له أحد قولا وصاروا ينسحبون من حوله شيئًا بعد شيء، فالتفت للفقراء والمشايخ الذين حوله وقال لهم: ادعوا إلى الله تعالى بالنصر فهذا وقت دعاكم، وصار ما يجد له من معين ولا ناصر، فانطلق في قلبه جمرة نار لا تطفى، وكان ذلك اليوم شديد الحر، وانعقد بين العسكريين غبار حتى لا يرى بعضهم بعضًا، وكان نهار غضب من الله تعالى قد انصبَّ على عسكر مصر وغُلَّت أيديهم عن القتال».

ويقول ابن زنبل: «ما زال الغوري حتى بقي وحده، فمن شدة ما حصل له انكسر قهرًا ووقع مغشيًا عليه، ورمى حامل العلم رمحه، وأخذ قماش العلم، وكان مطرزا يساوي ثلاثة آلاف ذهب»، ووجد أمراء المقاتلين المماليك أن خير ما يفعلونه بسلطانهم وهو مغشي عليه، أن يقطعوا رأسه حتى لا يقع في يد العدو، وألقوا بالرأس في جُبّ قريب، وتراجع فلول المماليك إلى حلب ثم إلى القاهرة، غير أن ابن إياس يقول: «أما السلطان فمن حين مات لم يُعلم له خبر، ولا وقف له أحد على أثر، ولا ظهرت جثته بين القتلاء، فكأن الأرض انشقت وابتلعته في الحال».

يشير «النمنم» إلى أنه من أسباب انتصار «سليم الأول وجيشه» خيانة «خير بك» أمير حلب «للسلطانه» الغوري، وانضمامه إلى «سليم الأول» الذى سيطر على الشام، وفاز بكل ما كان يحمله «الغوري» من ذهب وفضة وأموال خرج بها من مصر لدفع رواتب الجنود وعطاياهم ويسيِّر بها مقتضيات الحرب، وقُدِّرت هذه الأشياء بحمولة خمسمائة جمل.

٢٥ أغسطس عام ١٨٨٢
معركة «المسخوطة» تقود إلى أَسْر «محمود باشا فهمى»

أطلق الإنجليز مدافع سفنهم على جنود عرابى فى «المسخوطة» بالقرب من الإسماعيلية، ثم هجموا بقوة كبيرة على ستة آلاف متطوع كانوا يعملون فى الاستحكامات، وتشتتوا على إثر قوة المقذوفات التى كانت تنزل عليهم.

علا صياح المتطوعين وهم يفرون بين الجنود الذين وجدوا أنفسهم عاجزين عن الضرب لامتلاء الميدان بالمتطوعين، وأمام هذه الحالة من الفوضى اضطر الجنود إلى التراجع حتى لا يتمكن الإنجليز منهم، وتركوا «المسخوطة» وعادوا إلى «التل الكبير».

دارت هذه الوقائع فى مثل هذا اليوم «٢٥ أغسطس ١٨٨٢»، فى مراحل الحرب بين الجيش بقيادة «عرابى» و«الإنجليز» بمساندة الخديو توفيق، واللافت فيها هو شخصية «محمود باشا فهمى»، وزير الأشغال فى حكومة «البارودى»، ورئيس أركان الحرب الفعلى للجيش المصرى فى عهد عرابى، وقاد «سلاح المهندسين»، وحسب وصف «صلاح عيسى» فى كتابه «الثورة العرابية»: «كان أعظم مهندسى الاستحكامات» ويضيف: «ولد فى إحدى قرى بنى سويف، وخاض رحلة عمر طويلة يعلم ويتعلم، حتى أصبح وزيرًا، ثم مسئولاً عن خط الدفاع فى جبهة كفر الدوار، فبنى بمعونة المتطوعين من الفلاحين أقوى خطوط الدفاع التى صدت الهجوم الإنجليزى طوال مدة الحرب، ثم أسر فى الميدان الشرقى، وظل أسيرا حتى انتهت الحرب، وأخيرًا

تـم الحكـم عليـه بعـد فشـل الثـورة العرابيـة بالإعـدام، ثـم خُفِّـف الحكـم عليـه إلى النفـى مـع «عرابـى» إلى «سـيلان».

ومـن واقـع مـا حـدث فى معركـة «المسـخوطة» يـوم «٢٥ أغسـطس» يتهمـه «عرابى» فى مذكراتـه: «لم يُـرِد أن يرجـع مـع العسـاكر، وآثـر الوقـوع فى الأسر عـلى البقـاء فى الجيـش لشـدة مـا هالـه مـن منشـور السـلطان «يقصـد الخديـو توفيـق» بعصياننـا وطمعًـا فى قبولـه لـدى الخديـو بسـبب استسـلامه إلى الإنجليـز، وثبـت فى موقعـه مـع خادمـه حتـى قبـض عليـه الإنجليـز بصفـة كونـه نفـرًا بسـيطًا».

هـذه الإدانـة مـن «أحمـد عرابـى»، نجدهـا بتنويعـة أخـرى لـدى «صـلاح عيسـى» فى كتابـه «الثـورة العرابيـة»، حيـث يقسـم زعـماء الثـورة بعـد القبـض عليهـم حسـب موقفهـم فى التحقيقـات معهـم، فيشـير إلى أن منهـم مـن اتهـم نفسـه بالخيانـة سـعيًا إلى تبرئـة نفسـه، مشـيرًا فى ذلـك إلى «محمـود باشـا فهمـى» الـذى قـال فى التحقيقـات بعـد سـقوط المسـخوطة وهـرب عسـاكر راشـد باشـا أمـام الإنجليـز: «أخـذت خادمـى وأمرتـه بقطـع غابـة وتعليـق منديـل أبيـض فيهـا، وتوجهنـا إلى الإنجليـز حيـث سـلمنا أنفسـنا»، وتتناقـض هـذه الروايـة مـع روايـة أخـرى وهـى أنـه أُسر فى ملابسـه المدنيـة، وزعـم لمـن أسروه أنـه مـن أصحـاب الأرض فى المنطقـة التـى أسر فيهـا ولم تتضـح شـخصيته إلا فيـما بعـد.

ويلتمـس «عيسـى» العـذر لمـن فعلـوا ذلـك: «فالهزيمـة العسـكرية المفاجئـة أفقـدت الكثيريـن صوابهـم، وكذلـك ظـروف الاعتقـال ومعاملتهـم فى المعتقـل».

عـلى الرغـم مـن ذلـك تـم نفـى «محمـود باشـا فهمـى» مـع عرابـى، وتـوفِّى فى المنفـى بعـد عامـين مـن نفيـه.

٢٦ أغسطس عام ١٩٦٧
دراما لقاء «عبد الناصر» و«عامر».. واستسلام رجال المشير

اتصل جمال عبدالناصر بالمشير «عبدالحكيم عامر» يدعوه إلى مقابلته فى بيته بـ«منشية البكرى» يوم ٢٥ أغسطس ١٩٦٧، فذهب المشير ومعه أربعة ضباط صاعقة سابقين يتولون حراسته تم التحفظ عليهم فور دخوله.

كانت هناك خطة معدة يتم تنفيذها فى نفس التوقيت الذى يحضر فيه «عامر» فى منزل «ناصر»، وهى تصفية التجمع الموجود فى منزل «المشير» بالجيزة، والذى يضم عسكريين من رجال «المشير» ومدنيين، وكان «أمين هويدى» وزير الحربية هو المشرف عليها، ومعه شعراوى جمعة وزير الداخلية، وسامى شرف مدير مكتب الرئيس للمعلومات، والفريق محمد فوزى القائد العام للقوات المسلحة، واللواء محمد صادق مدير المخابرات الحربية، والعميد سعد عبد الكريم مدير الشرطة العسكرية. ويتحدث «أمين هويدى» فى كتابه «مع عبد الناصر»، الصادر عن دار المستقبل العربى، عن تفاصيل هذا اليوم الذى تم فيه، حسب هويدى «القضاء على خطة عامر بالاستيلاء على القيادة الشرقية فى الإسماعيلية يوم ٢٧ أغسطس، والإعلان منها عن عودته إلى قيادة الجيش».

وفيما كان «عامر» موجودًا فى بيت «عبد الناصر»، كان الفريق فوزى يقود قوة تحاصر بيت المشير وتطالب كل من فيه بالاستسلام، وكان «هويدى» يجلس فى مكتب «سامى شرف» الملحق بمنزل الرئيس يتابع الموقف أولاً بأول.

عند دخول «عامر» صالون بيت «جمال عبدالناصر» فوجئ بوجود «زكريا محيى الدين» و«أنور السادات» و«حسين الشافعى»، وابتسم متسائلا: «هل هى محاكمة ولا إيه؟»، ولم يشاركه أحد ابتسامته، وطلب إليه «عبدالناصر» الجلوس وصارحه بكل تصرفاته، ويقول هويدى: «سمعت الرئيس يقول للمشير: عليك ياعبدالحكيم تقدير الموقف الصعب الذى تمر به البلاد، وعليك أن تلزم منزلك فى هذه الفترة الحرجة، وسمعت المشير وهو يرد على الرئيس قائلاً: يعنى بتحدد إقامتى وبتحطنى تحت التحفظ، قطع لسانك».

كان المشير مُتعنتًا حتى منتصف الليل، وتواصل توتر الموقف حتى الساعات الأولى من صباح مثل هذا اليوم «٢٦ أغسطس ١٩٦٧»، ويُرْجع هويدى تعنت المشير إلى تجمع أصدقائه فى الجيزة الذى كان له دخل كبير فى إصراره على موقفه، ويستكمل شهادته قائلاً: «دخلت حجرة الصالون وسلمت على الجميع، كان المشير جالسًا على أريكة من الأرائك وحينما رآنى قال: أهلاً وسهلاً بوزير حربيتنا، الله ده الموقف مجهز تمامًا والمسألة محبوكة على الآخر، وكان أنور السادات هو الوحيد الذى يجلس صامتًا والدموع على خديه، أما حسين الشافعى فكان يبدو غير مهتم بما يجرى، وزكريا محيى الدين كانت ملامحه جامدة لا تدل على شىء».

خرج «المشير» ذاهبا إلى دورة المياه، ويقول هويدى إنه خرج معه، وكانت أعصابه هادئة ولم يكن منفعلا على الرغم من أنه كان يدرك الموقف الحرج الذى أصبح فيه، وفجأة خرج المشير من دورة المياه وفى يده كأس زجاجية بها بعض المياه، وقال بأعلى صوته وهو يرمى الكأس على طول ذراعه «اطلعوا بلغوا الرئيس أن عبدالحكيم خد سم لينتحر»، ودخل فى هدوء إلى حجرة الصالون ليجلس على الأريكة ذاتها وهو يبتسم فى هدوء وكأنه لم يفعل شيئًا».

حدث هرج ومرج، وجاء الدكتور الصاوى طبيب الرئاسة مسرعًا وفى يده حقيبته الطبية، ولم يستجب «المشير» للعلاج الذى كان يريده «الصاوى»، فتقدم حسين الشافعى لـ«يعبط» المشير حتى أخذ الحقن اللازمة، وهدأ كل شىء.

كان الجميع يلعبون على عامل الوقت، حتى جاءت الساعة الخامسة صباح يوم ٢٦ مايو، ليتلقى هويدى تليفونًا من «محمد فوزى»: «المأمورية انتهت يافندم دون أى صدام، والمنزل خالٍ الآن»، أسرع هويدى بإبلاغ الرئيس، فرد الرئيس: الحمد لله، ليغادر هويدى المنزل.

يتحدث الفريق فوزى عن تفاصيل ما حدث فى منزل الجيزة، الذى انتهى إلى استسلام الجميع وعددهم ٦١ فردًا، وتم جمع السلاح من «البدروم» وشملت مدافع «آر.بى.جى» مضادة للدبابات، و٢٤٠ قطعة سلاح متنوعة، و١١ صندوق قنابل يدوية متفجرة وحارقة، و٢٧ صندوق ذخيرة، و«بيان» كان «المشير» سيلقيه عبر «إذاعة» تابعة للقوات المسلحة فى الإسماعيلية، ويبدأ بعبارة: «عبد الحكيم عامر يتحدث إليكم».

انهار «عامر» بعد أن علم بما حدث فى بيته، وأبلغه «عبدالناصر» بتحديد إقامته فى بيته، وتنظيفه من السلاح والأفراد، وطبقًا لرواية محمد حسنين هيكل فى كتابه «الانفجار»، طلب «عبد الناصر» من الفريق عبد المنعم رياض اصطحاب «عامر» إلى بيته مع التأكيد على تلبية طلباته وطلبات أسرته، وفى السيارة سأل «عامر» بصوت منكسر: «هل يرضيك ما حدث؟»، فرد «رياض» وهو يغالب تأثره: «سيادة المشير، اتركنا نحارب».

٢٧ أغسطس عام ١٨٨٢
«سلطان باشا» يحرّض رؤساء القبائل للانقلاب على «عرابى»

يظل تعبير «الولس كسر عرابى» هو الأكثر تلخيصًا وتركيزًا لهزيمة الثورة العرابية التى قادها أحمد عرابى عام ١٨٨٢، وانتهت باحتلال الإنجليز لمصر.. ينطبق هذا التعبير على شخصيات خانت «الزعيم الوطنى» أثناء حربه ضد الإنجليز، وأخرى وقفت ضده منذ بداية حركته، وشخصيات أيدته، ثم انقلبت عليه لتنتقل إلى صف الخديو توفيق، ومن أبرزهم «سلطان باشا»، رئيس مجلس النواب.

يروى الإمام محمد عبده فى مذكراته، أنه فى مثل هذا اليوم «٢٧ أغسطس ١٨٨٢» خرج فارسان من الإسكندرية، هما بدويان من عائلة شهيرة بـ«الفيوم» تنتسب إلى قبيلة «أولاد على»، وتوجها من الناحية الشرقية للبحيرة، وقُبض عليهما بالقرب من معسكر فى كفر الدوار، ووجد معهما رسائل من «سلطان باشا» لرؤساء القبائل يدعوهم إلى ترك «عرابى»، والالتحاق بالجيش العثمانى الذى جاء لإخضاع العصاة.

واعترف «الفارسان» بأن جنديًا يسمى «جيل» حمل ثلاثين ألف جنيه من القائد الإنجليزى «سيمور» ليلحق بالأستاذ «بالمر» ليستميل معه عُرْبان غزة، وحمل معه رسائل من الخديو توفيق و«سلطان باشا» إلى رؤساء العربان فى الشرقية، ويضيف محمد عبده أن «سلطان باشا» عرف أن توزيع النقود باسم الإنجليز لا يفيد، فأخذ فى توزيعها باسم الخديو والسلطان.

يتهـم «عرابـى» فى مذكراتـه «سـلطان باشـا» بأنـه أغـرى عـددًا مـن ضبـاط الجيـش لخيانـة قيادتهـم والانضـمام إلى الخديـو، واللافـت أن موقـف «سـلطان باشـا» فى بدايـة الثـورة كان مؤيـدًا، فلـماذا انقلـب إلى النقيـض؟

فى كتـاب «التاريـخ الـسرى لاحتـلال إنجلـترا لمـصر»، الصـادر عـن مكتبـة الآداب القاهـرة للإنجليـزى «بلنـت» الـذى عـاصر هـذه المرحلـة، نجـد ملمحًـا مـن الإجابـة عـن هـذا السـؤال، حيـث يقـول إن «سـلطان باشـا» كان رجـلًا ذا كبريـاء، لـه ثـروة واسـعة وجـاه عريـض، وكان لـه صـدر المـكان فى أى اجتـماع يُعقـد، وكان يُسـمى ملـك الوجـه القبـلى بـين كبـار المـلاك، وكان يـرى أن مـن حقـه لهـذا السـبب زعامـة الفلاحـين، كـما أنـه كان ينظـر إلى «عرابـى» نظـرة الرعايـة التـى يتعطـف بهـا الكبـير عـلى الصغـير، وكان يـرى فيهـا أداة لتحقيـق أغراضـه، لكنـه لم يكـن يتوقـع أن «عرابـى» سـيأخذ مكانـه بـين الجمهـور. ويضيـف «بلنـت»: «إن المسـألة صـارت عنـده عنـادًا بعـد أن كانـت طموحًـا».

يقـدم صـلاح عيسـى فى كتابـه «الثـورة العرابيـة» تفسـيرًا آخـر يتمثـل فى أن البرجوازيـة الزراعيـة، ويمثلهـا «سـلطان باشـا» اختـارت مسـاومة الاسـتعمار بعقـد صفقـات رخيصـة معـه، مثـل مطلبـه للخديـوى بإبقـاء النظـم الدسـتورية، ولـما لم يتحقـق هـذا الوعـد بعـد فشـل الثـورة شـعر بالخـداع، ومـات وهـو يتحسـر طالبًـا أن يغفـر لـه «عرابـى» فعلتـه.

فى مذكراتهـا ترفـض هـدى شـعراوى، رائـدة نضـال المـرأة، وابنة «سـلطان باشـا» كل هـذه الاتهامـات، قائلـة: «أبـى هـو الـذى حـذر منـذ وقـت مبكـر مما يمكـن أن يحـدث نتيجـة الاندفـاع فى مواقـف متطرفـة، وغلـب الاندفـاع عـلى صـوت العقـل، فكانـت تلـك النتيجـة السـيئة».

٢٨ أغسطس عام ١٩٥٢
الحكم بإعدام العاملين «خميس» و«البقرى».. و« نجيب»: لم أجد مَفرًّا من التصديق

سأل الضابط «عبد المنعم أمين» عما إذا كان هناك محامٍ للدفاع عن العامل «محمد مصطفى خميس»؟ وكانت الإجابة: «لا يوجد محامٍ»، فطلب من الصحفى «موسى صبرى» الموجود لتغطية المحاكمة لصحيفة «الأخبار» الدفاع عن «المتهم»، لأن «موسى» يحمل ليسانس حقوق، وفى مهمته المفاجئة دافع «موسى صبرى» بالقول: إن هناك من يحاول الوقيعة بين الحركة العمالية وحركة الجيش «٢٣ يوليو ١٩٥٢»، وإن «خميس» كان يهتف بحياة قائد الثورة محمد نجيب وذلك بشهادة الشهود.

جاء ذلك ضمن فصول محاكمة العاملين «خميس» و«محمد البقرى»، التى جاءت عقب مظاهرة لعمال شركة «مصر للغزل والنسيج الرفيع» فى «كفر الدوار»، (نحو ١٠ آلاف عامل)، وذلك يومَىْ ١٢ و١٣ أغسطس ١٩٥٢، واشتبكت قوات الشرطة مع العمال فقُتل ٩ بينهم (شرطيان) وجرح ٢٣ شخصًا، و٧ من الشرطة، واشتعلت النيران فى السيارات والمبانى والأشجار، فقرر مجلس قيادة الثورة تشكيل مجلس عسكرى لمحاكمة ٢٩ متهمًا، وعقد المحاكمة فى موقع الحادث، وقضت المحكمة فى مثل هذا اليوم «٢٨ أغسطس ١٩٥٢» بإعدام «خميس» و«البقرى»، وسجُن ١٢ آخرين بأحكام مختلفة، وبراءة الباقى.

وفى كتاب «قصة ثورة ٢٣ يوليو - مصر والعسكريون- الجزء الأول»، الصادر عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر يذكر «أحمد حمروش» أن أسلوب المحاكمة أهاج مشاعر الجماهير فى مصر والخارج، ووضع التنظيم الشيوعى «حدتو» فى وضع شديد الحرج، فرغم أن «خميس» والبقرى لم يكونا من أعضاء التنظيم، فإن الدفاع عنهما أعُدَّ واجبًا مقدسًا لكل شخص شيوعى أو تقدمى، ويقول «حمروش»: إن تصديق مجلس قيادة ثورة يوليو على الحكم لم يكن بالإجماع، حيث اعترض عليه «جمال عبدالناصر ويوسف صديق وخالد محيى الدين».

وفى مذكراته «كنت رئيسًا لمصر» يقول اللواء محمد نجيب، رئيس مجلس قيادة الثورة وقتئذ: «أرسل لى عبدالمنعم أمين الحكم للتصديق عليه، وتوقفت، كيف أصدق على حكم بالإعدام وحركتنا لم يمض عليها سوى أسابيع قليلة؟ وطالبت بأن أقابل «خميس والبقرى»، ووجدتَ على مكتبى أكوامًا من التقارير المخيفة، التى تفرض علينا الخوف من الاضطرابات العمالية، وتطالبنا بالضرب على يد كل من يتصور إمكانية قلب العمال علينا، وأحسست أنها تقارير كاذبة وكتبت بنفس الأسلوب الذى كان يكتب به البوليس السياسى تقاريره إلى الملك».

٢٩ أغسطس عام ١٩٦٧
استقبال أسطورى من السودانيين لـ«عبد الناصر»
والجماهير تهتف: «ورا جمال يافيصل»

استقل جمال عبد الناصر الطائرة إلى العاصمة السودانية «الخرطوم» لحضور القمة العربية الأولى بعد نكسة ٥ يونيه ١٩٦٧، كان رؤساء وملوك الدول العربية على موعد مع هذه القمة باستثناءات قليلة، وكان أبرز الغائبين الرئيس الجزائرى «هوارى بومدين».

كان الاستقبال الأسطورى من الشعب السودانى لـ«عبد الناصر» هو أهم أحداث المؤتمر، الذى بدأت أعماله فى مثل هذا اليوم «٢٩ أغسطس ١٩٦٧»، وفى الجزء الأول من مذكراته الصادرة عن دار المستقبل العربى بالقاهرة، يصف «محمود رياض» وزير خارجية مصر هذا الاستقبال: «بمجرد أن هبطت طائرة عبد الناصر على أرض المطار، اقتحمت الجماهير السودانية كل الحواجز وتخطوا رجال الأمن وهم يهتفون بحياة عبدالناصر، مطالبين بالثأر من إسرائيل وتحرير الأرض».

يتذكر «رياض»: «كنت أستقلُّ سيارة خلف عبد الناصر، وخُيل لى أن سكان الخرطوم قد خرجوا جميعًا لاستقباله، وسمعت من أحد الوزراء السودانيين أن الخرطوم لم تشهد فى تاريخها من قبل مثل هذا الطوفان البشرى الضخم الملتف حول زعيم لم ينحنِ للهزيمة».

كان هـذا الاستقبال الأسطورى، كما يقـول محمـد حسـنين هيكل فى كتابه «الانفجـار»: «هـو حـدث المؤتمر، وهـو حـدث العـالم العربى وقتهـا، كما أنه الحدث الإعلامى الأول فى العـالم، وكانت صـور الاستقبال هى الصفحة الأولى فى كل جرائد أوروبا وأمريكا».

يقـول «رياض»: «أعتقد أن هذه أول مرة فى التاريخ يتم فيها استقبال قائد مهزوم استقبال الفاتحين»، وعبرت عن ذلك مجلة «النيوزويك» الأمريكية، حيث وضعت غلافها بصورة لـ«عبد الناصر» وسط موكب الجماهير الهادر بتعليق: «أهلاً أيها المهزوم»، ويروى «هيكل» أن طائرة «عبد الناصر» هبطت فى المطار، وجرت مراسم استقباله، بينما طائرة العاهل السعودى الملك «فيصل» كانت تتأهب للهبوط، ولاحظ «عبدالناصر» أن الرئيس السودانى «إسماعيل الأزهرى» ورئيس وزرائه «محمد أحمد المحجوب» يرجوانه الانتظار حتى تهبط طائرة «فيصل»، ويقومان باستقباله، ثم يركب الاثنان معًا فى موكب واحد عبر شوارع الخرطوم، وكان تعليق «المحجوب» أن الجماهير السودانية سوف يطمئنها أن ترى «عبدالناصر» و«فيصل» فى سيارة واحدة، كما أن ذلك سوف يثير حماسة شديدة لدى الجماهير تجعل الاستقبال لائقًا.

اعتذر «عبد الناصر»، وكان مبرره أن هذا اللقاء هو الأول بينهما بعد كل ما جرى، ولا يريده أن يكون على قارعة الطريق حتى وإن كان هذا الطريق هو مطار الخرطوم، كما أن هناك كلامًا كثيرًا يريد أن يقوله لـ«الملك فيصل» وكلامًا يريد أن يسمعه منه قبل أن يظهرا للناس وكأن شيئًا لم يكن.

اصطحبت الجماهير موكب «عبد الناصر» حتى الفندق الذى نزل فيه، ولما لحقه موكب «فيصل» هتفت الجماهير: «وراء جمال يافيصل».

بدأت وقائع المؤتمر وكان على أجندته قضايا مهمة ومؤثرة، أبرزها تقديم الدعم المادى لدول المواجهة، وفى مقدمتها مصر.

٣٠ أغسطس عام ١٩٦٧
«فيصل» يرفع أصابعه الخمس فى قمة الخرطوم

أشار العاهل السعودى الملك «فيصل» بأصابعه الخمس، قائلاً: «سندفع ٥٠ مليون جنيه إسترلينى».

كان هذا المبلغ من إجمالى مبلغ «١٣٥» مليون جنيه إسترلينى مساعدات لمصر والأردن بعد نكسة ٥ يونيه ١٩٦٧، بواقع ١٢٠ مليون جنيه لمصر، و١٥ مليونًا للأردن، وقرر الأمير صباح السالم الصباح رئيس دولة الكويت أن يدفع ٥٥ مليونًا، وتدفع ليبيا الثلاثين الباقية.

حدث ذلك فى مؤتمر القمة العربية بالخرطوم، يوم ٢٩ أغسطس ١٩٦٧، واستمرت أعماله لليوم الثانى فى مثل هذا اليوم «٣٠ أغسطس».

ويروى محمود رياض، وزير خارجية مصر، فى مذكراته «البحث عن السلام والصراع فى الشرق الأوسط»، دار المستقبل العربى، القاهرة، أنه لم يكن يتوقع أن تدفع السعودية أكثر من ٣٠ مليونًا، ويقول إنه اقترح على الأمير «سلطان» و«عمر السقاف» وزير الدولة للشئون الخارجية، أن يحدد المبلغ الذى ترى السعودية دفعه، واتصل به «السقاف» ليبلغه أن الملك «فيصل» رفض الإفصاح عن رأيه قبل الجلسة الرسمية.. ثم فاجأ «فيصل» الاجتماع بالمبلغ الذى اقترحه عبر أصابعه الخمس.

ويقول «رياض»، إنه فى الاجتماع الفردى الذى عُقد بعد ذلك بين ممثلى الوفود، طلب وزير الاقتصاد الأردنى أن تحصل بلاده على ٤٠ مليونًا، لأن الـ«١٥» مليونا لن تلبى احتياجات الأردن، ويضيف «رياض» أنه أبلغ الرئيس جمال عبدالناصر بذلك، مقترحًا رفع نصيب الأردن إلى ٢٠ أو ٢٥ مليونًا، فاعترض «عبدالناصر» قائلاً: «دع الأردن تحصل على كل ما تطلبه، فالملك حسين شجاع وشريف معنا، وليكن هذا خصما من نصيب مصر»، وفعلاً حصلت الأردن على ٤٠ مليونًا، ومصر على ٩٥ مليونًا.

تحدث «عبدالناصر» أمام المؤتمر وتناولت كلمته قضية احتلال إسرائيل للأراضى الفلسطينية على أثر نكسة ٥ يونيه ١٩٦٧، متسائلاً فيها: «هل يمكن استعادة الأراضى المحتلة الآن عن طريق الحل العسكرى؟

وأجاب: «أعتقد أن الإجابة واضحة على هذا السؤال، وهى أن هذا الطريق ليس مفتوحا أمامنا فى الوقت الحاضر، إذن، ليس أمامنا سوى طريق واحد الآن هو العمل السياسى من أجل استعادة الضفة الغربية والقدس، وعندما حضر إلينا الملك حسين فى القاهرة كنت أشعر بالمشكلة الحقيقية بالنسبة إلى الضفة الغربية، كنت أتألم من أجلها ومن أجل أهلها، كان إحساسى بها وألمى أضعاف ألمى لسيناء، لأن الضفة الغربية مزدحمة بسكانها الفلسطينيين وقد سقطوا الآن فى قبضة الاحتلال اليهودى، فى الوقت الذى نقف نحن مكتوفى الأيدى لا نستطيع أن نفعل شيئا من أجلهم».

بعد انتهاء «عبدالناصر» من كلمته، يتذكر «محمود رياض» أن الصمت ساد قاعة الاجتماع، وتوجهت الأنظار إلى الملك فيصل الذى قال: «أقترح أيها السادة أن تكون كلمة الأخ الرئيس جمال عبدالناصر هى ورقة العمل الخاصة بالمؤتمر، وأن تكون هى أساس القرارات التى ستصدر عنه فى المستقبل».

٣١ أغسطس عام ١٨٠١
اتفاق لجلاء الحملة الفرنسية على وجبة «لحم الخيل»

تراشق الجنرال «مينو» مع الجنرال «هتشنسن» بالعبارات الجارحة، الأول كان يقود الحملة الفرنسية على مصر بعد سفر قائدها نابليون ثم مقتل نائبه «كليبر»، أما «هتشنسن» فكان قائدا للحملة الإنجليزية التى وصلت إلى الإسكندرية يوم ٨ مارس ١٨٠١ وتبعه الجيش العثمانى، وذلك لإخراج الفرنسيين.

حدث التراشق بعد توقيع الاثنين على اتفاقية جلاء الفرنسيين عن مصر فى مثل هذا اليوم «٣١ أغسطس ١٨٠١».

نصت الاتفاقية على أربعة بنود، يذكرها «المؤرخ الدكتور محمد فؤاد شكرى» فى كتابه «الحملة الفرنسية وخروج الفرنسيين من مصر»، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، وهى: نقل الجيش الفرنسى بأسلحته وعتاده وأحد عشر مدفعًا فقط من مدافع الميدان إلى فرنسا، والفراغ من تسليم الإسكندرية خلال عشرة أيام على أن يجرى نزول الجند إلى البحر خلال عشرة الأيام التالية لترحيلهم بمجرد استعداد السفن للإبحار، ومنع أعضاء لجنة العلوم والفنون من نقل القطع الأثرية القديمة أو مخطوطات عربية أو الرسوم والمصورات أو المذكرات أو المجموعات الفنية والعلمية، بل يتركون ذلك كله تحت تصرف القواد والرؤساء الإنجليز».

كان البند المتعلق بالفنون والعلوم سببًا للتراشق بين «الجنرالين»، والمثير أن التراشق كان حول مقتنيات مصرية تسابق الاثنان فى الاحتفاظ بها، ويشير إلى ذلك كتاب «بونابرت فى مصر» لمؤلفه «ج. كريستوفر هيرولد»، قائلاً، إن الاتفاق تم التوقيع عليه فى الإسكندرية، ودعا «مينو» «هتشنسن» إلى طعام قوامه لحم الخيل، وكان توقيع اتفاق دون جدل واحتداد شىء لا يستطيعه «مينو» وهو ما حدث حيث تراشق الاثنان حول المجموعات التى يقتنيها العلماء، وفى عدة آثار من بينها «حجر رشيد» الذى زعم «مينو» أنه ملك خاص له، أما «هتشنسن» فطالب بها تنفيذًا لبنود الاتفاق.

كان «مينو» على استعداد للتنازل عن هذه المجموعات، لكن العلماء أعلنوا أنهم يؤثرون أن يتبعوها إلى إنجلترا عن أن يسلموها، واستمر تعليق القضية عدة أيام، حتى بعث «مينو» خطابا إلى «هتشنسن» قال فيه: «أحطت علما بأن نفرا من أصحاب المجموعات يريدون أن يتبعوا ما جمعوا من حبوب ومعادن، وطيور، وفراشات، وزواحف، إلى حيث يريدون شحن أقفاصها، ولست أدرى هل يرغبون فى أن يحنطوا هم أنفسهم لهذا الغرض؟ ولكنى أؤكد أننى لن أمنعهم إن راقتهم الفكرة، وقد أذنت لهم بأن يخاطبوك فى الأمر».

سمح الجنرال «هتشنسن» للعلماء الاحتفاظ بمجموعاتهم، ولكنه أصر على أخذ «حجر رشيد» إلى إنجلترا، وعدم تركه إلى الفرنسيين مهما كانت الظروف، وحسب «هيرولد»، فإن «مينو» ترك «الحجر» عن كره، وكتب لـ«الجنرال» الإنجليزى: «إنك تريده ياسيدى الجنرال، ففى وسعك أن تأخذه مادمت أقوانا، ولك أن تنقله متى شئت»، وهكذا انتقل حجر رشيد إلى «لندن» ليظل فى متاحفها.

١ سبتمبر عام ١٩٦٧
ختام القمة العربية بالخرطوم بـ«اللاءات الثلاث»

وصل مؤتمر القمة العربية في الخرطوم إلى ختام أعماله في مثل هذا اليوم «١ سبتمبر ١٩٦٧»، وانتهى المؤتمر بـ«لاءات» ثلاث شهيرة؛ هي: «لا تفاوض ولا اعتراف ولا صلح مع إسرائيل».

من الزاوية المصرية، كان المؤتمر، بحسب تعبير محمود رياض، وزير خارجية مصر، في مذكراته الصادرة عن دار المستقبل العربي، القاهرة، «ناجحا»، وحجته في ذلك: «أن ضياع مواردنا من رسوم المرور بقناة السويس ومن بترول سيناء، كان يهددنا بألا نجد في خلال الأشهر القليلة التالية العملة الصعبة اللازمة لاستيراد احتياجاتنا من القمح والمواد الغذائية، ومن ثَمَّ فإن الدعم الاقتصادي (٩٥ مليون جنيه إسترليني) الذي تلقيناه كان مكملا لإعادة بناء قواتنا المسلحة، وكلا الأمرين: البناء العسكري، والصمود الاقتصادي، مفتاح الطريق إلى النضال الطويل الذي أصبح مقررًا أن ينتهي بتحرير أراضينا التي احتلتها إسرائيل».

كما أدى المؤتمر إلى نتيجة إيجابية أخرى وهي اتفاق «عبدالناصر» و«فيصل» على تسوية مشكلة اليمن بصفة نهائية، وذلك بسحب القوات المصرية من هناك بالتدريج على امتداد الأشهر الثلاثة التالية، مما أدى إلى تصفية عامل التوتر الأساسي في علاقات مصر والسعودية، حيث كانت «السعودية» تقدم

المساعدات للقوى المناوئة للثورة اليمنية ضد حكم «الإمام أحمد»، مما رتب مواجهات مع مصر التى تساند الثورة.

غير أن اللافت فى وقائع المؤتمر ما يذكره «رياض» حول موقف «عبدالناصر» من اقتراحات وأفكار تم طرحها، ومن بينها قطع العلاقات السياسية مع أمريكا من الدول العربية التى لم تفعل ذلك بعد نكسة ٥ يونيه ١٩٦٧، وضرورة سحب الأرصدة العربية من منطقة الإسترلينى والدولار، والاستمرار فى وقف ضخ البترول العربى، وكانت جميع هذه المطالب شعبية على نطاق واسع فى العالم العربى، فكيف تعامل معها «عبدالناصر»؟

يجيب «رياض» بأن عبدالناصر عارض تلك الاتجاهات داخل المؤتمر، وعندما فعل ذلك كان يعلم أنه يتخذ موقفًا جريئًا لا تتقبله الجماهير العربية إلا منه، ومع ذلك فقد كان تصديه لهذه الاتجاهات، ودعوته لاستئناف ضخ البترول، منطلقًا من تحليل موضوعى رفض أن ينساق فيه لإغراء المشاعر الغاضبة ضد أمريكا».

يضيف «رياض»: «كان عبدالناصر يرى أن تلك الإجراءات يمكن أن تكون مفيدة لو أننا على وشك القيام بعمل عسكرى فورى، أما وقد بدأنا نعيد بناء قواتنا المسلحة من الصفر، فإن الأمر سوف يستغرق فترة طويلة، وفى هذه الحالة فإن إيقاف ضخ البترول سيلحق الضرر الفادح باقتصاديات الدول العربية البترولية، وفى النهاية رغم أن مصر قطعت علاقتها فعلاً مع أمريكا، فإن عبدالناصر لم يطلب من الدول العربية الأخرى نفس الخطوة، خصوصًا الدول التى تربطها صداقة تقليدية بها، وكان هدفه الإبقاء على باب عربى مفتوح للحوار مع أمريكا، فضلاً عن رغبته فى أن يتيح لها فرصة كاملة لإثبات، لو أرادت لأصدقائها القليلين الباقين فى العالم العربى، أنها تنوى تخفيف انحيازها الكامل لإسرائيل ضد العرب».

٢ سبتمبر عام ١٨٢٨
مجلس المشورة يعقد أولى جلساته
ويجمع الشحاذين وألف غلام متشرد

«أوصى حضرة أفندينا (محمد على باشا)، إبراهيم باشا ولىّ النعم، بأن يجمع مأمورى الأقاليم المصرية العظام ومشايخ البلاد الكرام لتكوين مجلس المشورة، وينعقد كل يوم، ويُبْدى كل منهم ما فى باله، ويقولون مرادهم من غير تعصب وعناد، ويجتمع فى ذلك المجلس أشراف العلماء المصريين لكى لا يبدو انحراف عن تلك الأصول المستحسنة».

جاءت هذه الكلمات فى بيان نشرته مجلة «الوقائع المصرية» بتاريخ ١٤ سبتمبر ١٨٢٨، عن كيفية ترتيب وإنشاء «مجلس المشورة» الذى قرره محمد على كشكل برلمانى برئاسة ابنه «إبراهيم»، وضم ١٥٦ عضوًا منهم ٩٩ من أعيان البلاد، و٣٣ من كبار الموظفين والعلماء، و٢٤ من مأمورى الأقاليم.

وحسب كتاب «تاريخ الفكر المصرى الحديث من عصر إسماعيل إلى ثورة ١٩١٩»، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، للدكتور لويس عوض: «كان المجلس استشاريًا غير مُلزِم للسلطة التنفيذية، ومشورته لا تتعرض لسياسة الدولة، وتقتصر على مسائل الإدارة والتعليم والأشغال العمومية والقضاء والعمالة، وينظر فيما يقدم إليه من شكاوى»، ويجتمع مرة واحدة فى السنة لعدة جلسات، وانعقد لأول مرة فى مثل هذا اليوم «٢ سبتمبر ١٨٢٨» فى قصر إبراهيم باشا «القصر العالى» ومكانه شارع كورنيش النيل من جهة السفارة البريطانية.

وحسب «عوض»، فإن ممثلى السلطة التنفيذية كانوا يدخلون المجلس سنويًا بمشروعاتهم لدراستها قبل إقرارها، ويذكر «عوض» نقلا عن «لينان دى بلفون باشا» كبير مهندسى محمد على فى كتابه عن المشروعات العامة فى عهد «الباشا»، أنه عرض على المجلس مشروعه ببناء القناطر الخيرية، فطالبه المجلس بتقديم ميزانية المشروع فقدم له ميزانية تقديرية، كما قرر المجلس تنظيم السُّخرة باستثناء عمال المصانع منها، بحيث لا يقع العبء كله على منطقة ريفية دون أخرى، بل تتناوب القرى أسبوعيًا العمل الإجبارى فى تطهير الترع وإصلاح الجسور وبناء القناطر، على أن تقتصر السخرة على شهور توت وبابة وكيهك وطوبة وأمشير وبرمهات وبؤونة، وهى الشهور التى لا يشتغل فيها الفلاحون بالزراعة والحصاد وجنى القطن، وجاء القرار بناء على اقتراح مأمور السنبلاوين (محافظة الدقهلية)، وقرر «المجلس» توحيد زى الموظفين المدنيين مع زى العسكريين بناء على اقتراح الدفتردار «مدير الشئون المالية».

وقرر «المجلس» جمع «ألف» غلام من الصبية المتشردين فى القاهرة لتدريبهم بالأجرة فى مصانع الحكومة، وجمع الشحاذين الأصحاء لنفس الغرض ثم تشغيلهم بعد أن يتعلموا حرفة، وألزم الموظفين ومشايخ البلاد (أى العُمُد كما كانوا يُسمون أيام محمد على) المرتشين والنهابين، برد «البراطيل» والمسلوبات مع توقيع العقوبات المشددة عليهم.

اللافت فى هذه القصة، ما يذكره «لويس عوض» بأن هناك أسماء لأعيان البلاد فى المجلس، ظلت عائلاتهم من وقتها وحتى ثورة يوليو ١٩٥٢ «وهذا الأمر ممتد حتى الآن» ذات سطوة ونفوذ، من أبرزها عائلات «أباظة، الشريعى، والمنشاوى فى الغربية، والشواربى فى الدقهلية».

٣ سبتمبر عام ١٢٦٠
«قُطُز» يطلق صيحته: «واإسلاماه»..
وينتصر على التتار فى «عين جالوت»

خطب الأمير «قطز» فى أمراء المماليك والجنود الذين كانوا يتهيبون لقاء المغول، قائلا: «يا أمراء المسلمين، لكم زمان تأكلون أموال بيت المال، وأنتم للغزاة كارهون، وأنا متوجه، فمن اختار الجهاد يصحبنى، ومن لم يختَرْ ذلك يرجع إلى بيته، فإن الله مُطَّلع عليه، وخطيئة حريم المسلمين فى رقاب المسلمين».

ألهبت الخطبة حماس الجنود فى مواجهة «المغول» فى موقعة «عين جالوت» فى مثل هذا اليوم «٣ سبتمبر ١٢٦٠»، ويعدها المؤرخ الدكتور قاسم عبده قاسم فى كتابه «عصر سلاطين المماليك»، الصادر عن دار العين للدراسات والبحوث الإنسانية و الاجتماعية: «تجهيزا معنويا للقتال حسب عرف العسكريين».

كانت هذه الخطبة هى آخر خطوات «التجهيز المعنوى» من قطز لجيشه، وسبقها فعل بالغ الأهمية، حيث أرسل إليه قائد التتار «هولاكو» أربعة رسل يحملون خطابا يفيض غطرسة يطالب بالاستسلام قائلا: «كثيركم عندنا قليل، وعزيزكم لدينا ذليل»، كانت الرسالة تعبيرًا عن غطرسة، استعلاء، احتقار، ثقة مفرطة من المرسل « هولاكو» بأنه سيفعل ما يريده، فخصومه ليس أكثر من جناح بعوضة، هكذا تصور الأمر، فماذا كان رد فعل قطز ؟

جمع قطز الأمراء، وشاورهم فى الأمر، فاتفقوا على قتل الرسل، وتم تعليق رؤوس القتلى على باب زويلة، وأبقى «قطز» على صبى من الرسل وجعله من جملة مماليكه.

كان هذا التصرف بمثابة «إعلان حرب»، وبالفعل نودى فى القاهرة وسائر إقليم مصر بالخروج إلى الجهاد فى سبيل الله ونصرة لدين رسول الله، وحسب قاسم عبده قاسم، فإن الخوف من المغول كان بمثابة القيد الذى أقعد عددا من الأمراء والجنود عن الخروج لملاقاة العدو.

ويستدل «قاسم» على ذلك بنص أورده «المقريزى» يؤكد هذا الاحتمال، ويشمل هذا النص خطبة «قطز» الملتهبة، وفيها أيضا أنه تقدم لسائر الولاة بإزعاج الأجناد للخروج للسفر، ومن يختفِ منهم يضُرب بالمقارع، وسار حتى نزل الصالحية، وتكامل عنده العسكر، فطلب الأمراء وتكلم معهم فى الرحيل، فأبوا كلهم عليه، فخطب فيهم الخطبة السابق الإشارة إليها.

هناك الكثير فى تفاصيل المعركة حول الكفاءة العسكرية البالغة لـ«قطز» فى إدارتها، ومنها تجهيز قراره القتالى قبل بدء المعركة، ويتلخص فى أن يزحف بجيوشه بواسطة مقدمات الجيش، وليس كما كان كالمعتاد بواسطة جواسيس أو طلائع محددة، حيث أرسل «بيبرس» على رأس مقدمة الجيش لاستطلاع قوات التتار، ودراسة مواقعهم وقواتهم وأسلحتهم وقيادتهم وخططهم، وكان هذا جديدا فى ذلك الزمن الذى لم تعرفه الحروب العربية السابقة.

ولو وضعنا هذه الكفاءة العسكرية إلى جانب الكفاءة المعنوية التى أطلق فيها قطز صيحته الشهيرة «واإسلاماه» تحفيزا لجيشه، فسيكون الحاصل أننا أمام قائد فذ فى تاريخنا، استطاع إنزال الهزيمة بقوة بالغة البطش، وجدت نفسها فى معركة يتم فيها قتل قائدها «كتبغا نوين» وأَسْر ابنه.

تبقى «عين جالوت»، وهى بلدة صغيرة فى الريف الفلسطينى تقع بين بيسان ونابلس، خالدة فى الوجدان العربى والإسلامى، ويؤكد «قاسم»: «إن هذه المعركة أثبتت أن الأمن المصرى يبدأ فى بلاد الشام عامة، وفى فلسطين على نحو خاص، وهو أمر تؤكده التجارب التى مرت على المنطقة طوال تاريخها».

٤ سبتمبر عام ١٨٩٤
محكمة عسكرية واستقالة رئيس المجلس التشريعى لشرائه ثلاث جاريات

هل ينطبق قانون إلغاء الرق على من يشترى رقيقا، أم أن العقوبة مقصورة على الاتجار فى الرقيق ولا تمتد إلى عملية الشراء؟

انشغل اجتماع «مجلس النظار» برئاسة نوبار باشا بهذا السؤال، وقرر «المجلس» تشكيل لجنة للإجابة عليه بعد أن فرضت القضية نفسها بقوة فى أول عهد الخديو «عباس حلمى الثانى»، على أثر تورط «على باشا شريف» رئيس المجلس التشريعى فى شراء الرقيق.

القصة التى دار حولها هذا السؤال، جاءت فى دراسة بعنوان «عهد جويدان» كتبها سعد رضوان، ونشرت فى «مذكرات الأميرة جويدان» الصادرة عن دار الهلال، القاهرة، زوجة الخديو «عباس حلمى الثانى»، وتبدأ من أغسطس عام ١٨٩٤ حيث حضر إلى مصر عن طريق الواحات خمسة تجار رقيق، وأقاموا بالأهرام ومعهم ست جاريات سودانيات بضاعة حاضرة وجاهزة للبيع، وذلك رغم إلغاء تجارة الرقيق فى مصر بمرسوم من الخديو إسماعيل عام ١٨٦٦.

عرض التجار على «على شريف باشا» بضاعتهم، فاشترى ثلاث جاريات منهن، وبيعت الثلاثة الأخريات إلى الدكتور «عبد الحميد بك شافعى»، الذى

احتفظ بواحدة، وأهدى ثانية إلى «الشواربى باشا» صاحب الشارع المعروف باسمه فى القاهرة، وأهدى الثالثة إلى «حسين باشا واصف» مدير مديرية أسيوط، وفى ذلك الوقت كانت هناك مصلحة اسمها «مصلحة الرقيق» التى أنشئت لبحث ما يستتبع تطبيق قانون إلغاء الرقيق من مشكلات وإجراءات، ونما إلى علم ضابط المصلحة بمنطقة الأهرام اليوزباشى «محمد ماهر» أمر الصفقة، فقبض على أربعة من النخاسين وفر الخامس، وتوجه «الضابط» إلى منزل الدكتور «الشافعى» الذى اعترف بالصفقة، وبقيت مشكلة حصانة رئيس المجلس التشريعى التى وقفت حائلا أمام سؤاله، غير أن رئيس مصلحة الرقيق وكان ضابطا إنجليزيا اسمه «شيفر»، استدعاه، فلجأ «على شريف باشا» إلى حيلة الاحتماء بدول أجنبية هى إيطاليا، وقال إنه رعية إيطالية، ولا يجوز سؤاله إلا أمام القنصل الإيطالى.

احتماء رئيس المجلس التشريعى بـ«إيطاليا»، يعطينا ملمحا آخر على هامش قصة «الرقيق» وهو نظام الامتيازات الممنوح للأجانب وقتئذ، فكل من كان يقيد نفسه فى سجلات قنصلية أجنبية كرعية من رعاياها، يصبح له حماية خاصة، ولا يحاكم ولا يحقق معه إلا أمام محاكم القنصلية أو المحاكم المختلطة، ولجأ أغنياء مصر إلى هذه الحيلة مقابل مبالغ يدفعونها، وكانت القنصليات تستثمرها كتجارة رابحة.

اجتمع مجلس الوزراء بشأن القضية، وتشكلت محكمة عسكرية فى مثل هذا اليوم «٤ سبتمبر ١٨٩٤»، وقُدم أمامها النخاسون الأربعة والباشوات باستثناء «شريف باشا» انتظارا لإجابة القنصلية الإيطالية على سؤالها بشأنه، والتى ردت بأنه لم يدفع الاشتراكات الخاصة بذلك منذ سنين، وبالتالى لم يعد من رعاياها ولا تمتد حمايتها له، وقضت المحكمة بالحبس مع الشغل للباشا عبد الحميد الشافعى وبراءة الجاريتين، أما «على شريف باشا» فقدم استقالته إلى الخديو بسبب مرضه واعتكف فى بيته، وكتب اعترافا بشرائه الجاريات الثلاثة وطلب العفو عنه، وبالفعل أصدر الخديو العفو.

٥ سبتمبر عام ١٩٨١
السادات يعتقل ١٥٣٦ من المعارضة
ويسحب اعترافه بـ«البابا شنودة»

لو عاودنا قراءة الصحف الرسمية فى مصر الصادرة يوم ٦ سبتمبر ١٩٨١، فسنعرف خطورة الإعلام حين يزين طريق الخطأ للحاكم، وسنعرف صورة بالغة الدلالة عن حالة الكراهية المتبادلة بين الرئيس أنور السادات وكل أطياف المعارضة فى مصر.

فى مثل هذا اليوم «٥ سبتمبر ١٩٨١»، قرر السادات تحفظه على ١٥٣٦ من قيادات ورموز المعارضة، وألغى التراخيص الممنوحة بإصدار بعض الصحف والمطبوعات مع التحفظ على أموالها، وكانت عملية الاعتقالات بدأت منذ يوم ٣ سبتمبر رغم الإعلان عنها بعدها بيومين.

ومن أشهر الأسماء التى شملها هذا القرار فؤاد سراج الدين، محمد حسنين هيكل، فتحى رضوان، الشيخ المحلاوى، الدكتور محمود القاضى، صلاح عيسى، عادل عيد، المهندس عبد العظيم أبوالعطا (وزير الرى مع السادات)، إبراهيم طلعت، أبوالعز الحريرى، الدكتور عصمت سيف الدولة، محمد فايق، فريد عبد الكريم، حمدين صباحى، كمال أبوعيطة، عبدالمنعم أبوالفتوح، نوال السعداوى، لطيفة الزيات، محمد عبدالسلام الزيات، شاهندة مقلد، فريدة النقاش، الدكتورة عواطف عبدالرحمن، الدكتورة أمينة رشيد، الدكتور حسن حنفى، عبد العظيم مناف، عبدالعظيم المغربى، كمال

أحمد، الدكتور محمد حلمى مراد، عمر التلمسانى، محمد عبدالقدوس، محمد سلماوى، الدكتور كمال الإبراشى، والمحامى عبد العزيز الشوربجى، وحسين عبد الرازق، والشيخ عبدالحميد كشك، وآخرون.

وعلى الرغم مما أعلنه السادات بأن عدد المتحفظ عليهم «١٥٣٦»، فإن «هيكل» يذكر فى كتابه «خريف الغضب» أن عددهم يزيد على ٣ آلاف، كما صاحَب هذه الخطوة نقل عدد من الصحفيين وأساتذة الجامعات إلى وظائف أخرى.

جاءت هذه الخطوة بعد خمسة أيام من عودة السادات من زيارته إلى أمريكا، مما أوحى بأن هناك تفاهمًا مع الإدارة الأمريكية بخصوصها، غير أن هذا لم يكن صحيحًا، فالعوامل الداخلية كانت هى كلمة الفصل، خاصة مع تزايد حدة السياسات التى أدت إلى الفتنة الطائفية، وازدياد نفوذ التيارات المتطرفة خاصة الجماعة الإسلامية وتنظيم الجهاد، كما أنها جاءت بعد توقيع اتفاقية كامب ديفيد، ورفع العلم الإسرائيلى على السفارة الإسرائيلية فى القاهرة.

امتد الأمر إلى البابا شنودة، بطريرك الكنيسة الأرثوذكسية، ففى يوم ٣ سبتمبر تم اعتقال مئات الأساقفة والرهبان والقُسُس، وفى صباح ٥ سبتمبر جرى تطويق الدير الذى كان يقيم فيه «البابا شنودة» بقوات الأمن، وطبقًا لكتاب «خريف الغضب»، ذهب الأنبا «أبشوى» إلى «البابا» يسأله ما إذا كان سيشاهد خطاب السادات فى التليفزيون، فرد البابا بأنه لن يفعل وسوف يأوى إلى غرفته ليقرأ.

أعلن السادات فى خطابه سحب اعتراف الدولة بانتخاب البابا، وتعيين لجنة بابوية مؤقتة من خمسة أعضاء لإدارة شئون الكنيسة، مما زاد من احتقان الأقباط.

وفى يوم ٦ سبتمبر، وصفت صحيفة «الجمهورية» الحدث بـ«ثورة جديدة للسادات»، ووصفته «الأهرام» و«الأخبار» بـ«قرارات ضرب الفتنة».

٦ سبتمبر عام ١٧٩٨
رأس «محمد كُرَيِّم» على «نبُّوت» فى شوارع القاهرة بعد إعدامه

أصر «نابليون بونابرت» قائد الحملة الفرنسية على مصر على أمره بإعدام الزعيم الوطنى «محمد كريم» يوم ٥ سبتمبر ١٧٩٨، وجاء فى الأمر أن «السيد محمد كريم المدان بالخيانة لصلته المستمرة مع المماليك، بعد أن أدى قَسَم الإخلاص للجمهورية الفرنسية، ولقيامه بأعمال التجسس لحسابهم، سيُنفذ فيه حكم الإعدام رميا بالرصاص بعد ظهيرة الغد».

وفى اليوم التالى، مثل هذا اليوم «٦ سبتمبر ١٧٩٨»، أضاف نابليون ملاحظة قبل نشر الأمر بالإعدام قال فيها: «نفذ حكم الإعدام ظهر اليوم فى ميدان القلعة، وتم عرض رأس كريم فى شوارع القاهرة».

بدأت عملية القبض عليه يوم ٢٠ يوليو فى الإسكندرية، وتم نقله إلى رشيد، ومنها إلى القاهرة يوم ١٢ أغسطس، وظل مسجونا بها رهن التحقيق، ووفقا لما يذكره «عبدالرحمن الرافعى» فى كتابه «تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم فى مصر- الجزء الأول»، تم التحقيق معه، واستجوابه فى الاتهامات الموجهة إليه، وهى مراسلته لـ«مراد بك» وغيره من المماليك وعرب البحيرة، وانتهت بثبوت الاتهامات عليه، فأمر نابليون بإعدامه رميا بالرصاص، ومصادرة أملاكه وأمواله، وسمح له بافتداء نفسه بغرامة ثلاثين ألف ريال فى ٢٤ ساعة، فلم يقبل محمد كريم، وأظهر جَلَدًا وشجاعة أمام حكم الإعدام، ونصحه المستشرق «فانتور» كبير تراجمة الحملة الفرنسية بأن

يدفع الغرامة، وقال له: «إنك رجل غنى فماذا يضيرك أن تفتدى نفسك بهذا المبلغ؟»، فأجابه «كريم»: إذا كان مقدورا علىّ أن أموت فلا يعصمنى من الموت أن أدفع هذا المبلغ، وإذا كان مقدرا لى الحياة فعلام أدفعه؟ وأصر على موقفه إلى أن نفذ الحكم عليه رميا بالرصاص فى ميدان «الرميلة» يوم «٦ سبتمبر ١٧٩٨».

وتعتمد رواية «الرافعى» على مراجع فرنسية لشهود عيان على ما جرى، ويرجحها عن رواية «الجبرتى» التى يقول فيها، إنه لما قضى نابليون بإعدام «كريم» أو دفعه لمبلغ ثلاثين ألف ريال، وإعطائه مهلة ٢٤ ساعة لسدادها، أرسل «كريم» إلى المشايخ وإلى السيد «أحمد المحروقى» يستغيث بهم، قائلا: «اشترونى يا مسلمين»، لكن لم يستجب أحد، فلما جاء الظهر، انقضى الأَجَل فأركبوه حمارا، واحتاط به عدة من العسكر وبأيديهم السيوف المسلولة، يتقدمهم طبل يضربون عليه وشقوا به الصليبة، إلى أن ذهبوا إلى «الرميلة»، وكتفوه وربطوه مشبوحا، وضربوا عليه بالبنادق كعادتهم، ثم قطعوا رأسه ورفعوه على نَبُّوت وطافوا به فى جهة «الرميلة» والمنادى يقول: «هذا جزاء من يخالف الفرنسيين».

يرى «الرافعى» أن رواية الجبرتى غير صحيحة، مستندا إلى: «لو فعل «كريم» ذلك لما فات الفرنسيين أن يذكروها ولما ذكروا رواية تشرف خَصْمًا لهم حكموا بإعدامه، وأغلب الظن أن الجبرتى كان منزويا فى بيته بـ«الصناديقية» فى ذلك اليوم العصيب ولم يَرَ واقعة الإعدام».

٧ سبتمبر عام ١٩٥٢
جماعة الإخوان ترفض الاشتراك فى حكومة «محمد نجيب» وتفصل «الباقورى»

فى العلاقة بين ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وجماعة الإخوان الكثير من الحقائق التى لا تذكرها الجماعة، وأخرى تلوى عنقها، حتى تجعل نفسها فى دائرة «المظلومية التاريخية».

وقصة الوزارة التى شكّلها مجلس قيادة الثورة فى مثل هذا اليوم «٧ سبتمبر ١٩٥٢»، شاهد حى على ما فعلته «الجماعة» من تدليس وكذب فى علاقتها بثورة يوليو.

فى بيان لـ«الثورة» صدر بعد قرار حل الجماعة يوم «١٢ يناير»، ومنشور فى الصحف المصرية الصادرة وقتئذ، نجد شرحا وافيا لقصة العلاقة بين الطرفين منذ يوم ٢٣ يوليو، وحتى قرار حل «الجماعة»، ويتعرض لمحاولات قادة الثورة إقناع «الجماعة» بالمشاركة فى وزارة «٧ سبتمبر».

يقول البيان: إنه حينما تقرر إسناد الوزارة إلى الرئيس محمد نجيب، تقرر اشتراك جماعة الإخوان بثلاثة أعضاء على أن يكون أحدهم الشيخ أحمد حسن الباقورى، واتصل الصاغ «عبدالحكيم عامر» بـ«المرشد العام» حسن الهضيبى «تليفونيا» فوافق على هذا الرأى قائلا: إنه سيبلغ القيادة الاسمين الآخرين.

حضر الأستاذ «حسن العشماوى» المحامى إلى مقر القيادة فى كوبرى القبة، وأبلغ «عبدالناصر» أن المرشد يرشح للوزارة «منير الدالة» الموظف فى مجلس الدولة، و«حسن العشماوى»، ورفض مجلس قيادة الثورة هذا الترشيح، وطلب «عبدالناصر» من «العشماوى» إبلاغ ذلك إلى «المرشد» ليرشح غيرهما.

لم يكتفِ «عبدالناصر» بذلك بل اتصل بالمرشد، فقال الأخير له إنه سيجتمع بمكتب الإرشاد فى الساعة السادسة، ثم يرد عليه، وأعاد «جمال» الاتصال به بعد الاجتماع، فرد بأن مكتب الإرشاد قرر عدم الاشتراك فى الوزارة، فلما قال له «عبدالناصر»: إننا أخطرنا الشيخ الباقورى بموافقتك، وطلبنا منه أن يتقابل مع الوزراء الساعة السابعة لحلف اليمين، أجاب «المرشد» بأنه يرشح بعض أصدقاء الإخوان للاشتراك فى الوزارة، ولا يوافق على ترشيح أحد من الإخوان.

فى اليوم التالى صدر قرار من مكتب الإرشاد بفصل «الباقورى» من هيئة الإخوان، فاستدعى «عبدالناصر»، حسن العشماوى وعاتبه على هذا التصرف الذى يُظْهِر الإخوان بمظهر الممتنع عن تأييد وزارة الرئيس نجيب، وهدد بنشر تفاصيل تشكيل الوزارة، فكان رد «العشماوى» بأن هذا النشر يُحدث فرقة فى صفوف الإخوان، ويسىء لموقف المرشد ورجاه عدم النشر.

سبق هذا الحدث مواقف أخرى لـ«الجماعة»، فهى لم تؤيد الثورة إلا بعد عزل الملك فاروق وسفره إلى الخارج، وفى منزل «صالح أبورقيق» طلب «المرشد» من عبدالناصر تطبيق أحكام القرآن، فرد عليه عبدالناصر إن الثورة قامت حربا على الظلم الاجتماعى والاستبداد السياسى والاستعمار البريطانى، وذلك ليس إلا تطبيقا للقرآن الكريم، وطلب المرشد بأن يتم عرض أى قرارات للثورة عليها قبل إصدارها، فرد عبدالناصر: «لن نقبل وضع الثورة تحت وصاية أحد».

٨ سبتمبر عام ١٩٥٢
«وزارة الشعب» تمتنع عن تناول الفول بسبب شطة «أبوظريفة»

بدأت أول وزارة لـ«ثورة يوليو ١٩٥٢» اجتماعها الأول في مثل هذا اليوم «٨ سبتمبر ١٩٥٢» برئاسة اللواء محمد نجيب، أى فى اليوم التالى مباشرة لتشكيلها وأُطلق عليها «وزارة الشعب»، ويتحدث السياسى والمناضل الراحل فتحى رضوان فى كتابه «عبدالناصر» عن جانب آخر فى تشكيلها، قائلًا: كان عبدالناصر حريصا على أن يتم تأليف الوزارة يوم «٧ سبتمبر»، وكان يستبعد كل شىء من شأنه أن يؤدى إلى تأجيل الوزارة الجديدة ولو ليوم واحد، ولما اطمأن لتأليفها، قال له وهو يتنفس الصُّعَداء: «الآن أستطيع أن أذهب إلى السينما، تصور أننى لم أرَ فيلمًا واحدًا منذ شهرين».

ترقب المصريون هذه الوزارة لأنها التى ستبدأ فى ترجمة أفكار ومبادئ ثورة يوليو إلى حقائق على الأرض، وفى عدد مجلة «المصور» ٢٣ أكتوبر ١٩٥٣، نقرأ حقائق تعطينا ملمحا عن الأجواء التى كانت تعمل فيها، وحالة التقشف التى كانت عليها أثناء الاجتماعات.

قالت «المصور» إن المعلومات التى تقدمها تنشر لأول مرة منذ بدء اجتماعات الحكومة يوم «٨ سبتمبر»، وإن قانون الإصلاح الزراعى كان أول قانون نظرته، وتم إعلانه فى اليوم التالى «٩ سبتمبر» حيث حدد الملكية الزراعية بـ«٥٠٠ فدان» لكبار الملاك، وبلغ عدد جلساتها حتى الآن «٢٣ أكتوبر ١٩٥٣» ثمانى وتسعين جلسة استغرقت قرابة ٦٠٠ ساعة؛ منها ٧٨

قبل إعلان الجمهورية، وأصدر المجلس منذ تأليفه حتى «٢٣ أكتوبر» ٤٨٧ قانونا، أهمها تخفيض أجور المساكن، وتنظيم الأحزاب، وإلغاء الوقف، واستقلال القضاء، وتأديب الموظفين، ومشروع السد العالى، وقانون عقد العمل، ومشروع كهربة خزان أسوان، وقانون إلغاء الأحزاب، وقانون إلغاء الألقاب «الباشا والبيه»، وتطهير الإدارة الحكومية، وفرض الحراسة على أموال الملك فاروق، وعبرت هذه القوانين عن أنها كانت اللَّبِنة الأولى لتوجه «الثورة» نحو العدالة الاجتماعية التى عظَّمت من إجراءاتها فيما بعد.

وأضافت «المصور» فى تقريرها، أنه فى أوائل الاجتماعات كان إذا امتد العمل يتناول الوزراء طعامهم فى الجلسة، ويتألف من ساندوتش الفول المدمس والطعمية، ولكنهم عدلوا عن تناوله بعد أن أُصيب بعضهم بتعب شديد بسبب «الشطة» التى كان يضعها «أبوظريفة» فى الفول، وأقبلوا على شطائر الجبن وسلاطين اللبن الزبادى، أما فى اجتماعات المؤتمر المشترك التى تعقد فى القيادة فيستبدل بساندوتشات الفول، الكباب وسلاطة الطحينة ونوع واحد من فاكهة الموسم الشعبية.

وحدث أول تعديل وزارى فى ديسمبر ١٩٥٢، حيث أُسندت وزارة الزراعة للدكتور عبد الرازق صدقى، والتجارة للدكتور حلمى بهجت بدوى، والشئون الاجتماعية للدكتور عباس عمار، وبعد إعلان الجمهورية أصبح عبدالناصر وزيرا للداخلية ونائبا لرئيس الوزراء، وصلاح سالم لـ«الإرشاد القومى» وشئون السودان، وعبداللطيف بغدادى وزيرا للحربية والبحرية، وحدث تعديل ثالث أوائل «أكتوبر» ليصبح زكريا محيى الدين وزيرا للداخلية، وجمال سالم للمواصلات.

٩ سبتمبر عام ١٨١٨
حاكم «الدرعية» يستسلم و«إبراهيم باشا» يسجل انتصاره فى حربه ضد الوهَّابيين

شبت النار فى مستودع الذخيرة فخلفت خسائر فادحة، ولم يبقَ للجيش المصرى الذى يحاصر «الدرعية» الواقعة فى الهضبة الداخلية لشبه الجزيرة العربية إلا مؤونة عشرة أيام والقليل من الذخيرة.

أتت النار على كل شىء، فسأل أحد الضباط قائد الجيش «إبراهيم باشا» عما يمكن فعله، فرد «إبراهيم»: «لم نستطع إنقاذ شىء، ولم يتبقَّ لنا إلا الشجاعة والسيوف لمهاجمة العدو، وإذا ما ملكنا الإرادة، تكفينا للانتصار».

جاء هذا الحادث ضمن وقائع حرب «محمد على» ضد الوهابيين التى بدأت عام ١٨١١ حتى ١٨١٨، وكانت استجابة من «الباشا» لإلحاح السلطان العثمانى «محمود الثانى» بالتدخل من أجل القضاء على هؤلاء الذين ينادون بـ«التطبيق الحرفى للحدود المقررة فى القرآن الكريم، ويرفضون الهيمنة العثمانية»، وظل «محمد على» يماطل أربع سنوات كاملة حتى جاءت استجابته لأسباب متعددة، أهمها خططه المستقبلية فى أن يستقل بمصر عن الدولة العثمانية.

فى بداية شهر أكتوبر عام ١٨١١، وحسب كتاب «الفرعون الأخير-محمد على» لـ«جيلبرت سينويه»: ركب البحر ثمانية آلاف رجل، مقسمين بين ستة آلاف من الألبان المشاة وألفَىْ فارس، تحت إمرة طوسون «١٨ عاما».

بعد وفاة «طوسون» سافر «إبراهيم باشا» إلى شبه الجزيرة العربية يوم ٢٣ سبتمبر ١٨١٦، ليستكمل المهمة، ويبدأ رحلة مجده بانتصاراته فى كل المواقع التى قطعها، منفذا كل النصائح التى وجَّهها إليه والده الباشا، وتمثلت فى وعد زعماء القبائل الجشعين بالذهب والمغانم، والأكثر طموحا منهم بتسليمهم المحافظات التى سيتم الاستيلاء عليها، ومحاولة تفريق الطغمة الوهابية، وإقامة العداء بين البدو وسكان القلاع والمدن، وأخيرا الاستيلاء على «الدرعية» عاصمة الوهابيين والحصن الأكثر استراتيجية.

يذكر «عبدالرحمن الرافعى» فى كتابه «عصر محمد على»، أن «إبراهيم باشا» قصد «الدرعية» يوم ١٦ أبريل ١٨١٨ بجيش قوامه خمسة آلاف وخمسمائة من المشاة والفرسان مجهزين باثنى عشر مدفعا، وحاصرها أكثر من شهرين، وبدأمركزه فى الحرج لولا ثباته وعزيمته، ومما زاد الأمور تعقيدا الحريق الذى شب وأجهز على مستودع السلاح والذخيرة، ولما علم الوهابيون بذلك هاجموه فى اليوم التالى للحريق، لكنه أحكم خطط القتال وأمر جنوده بالاقتصاد فى الذخيرة فردهم على أعقابهم.

استمرت الحرب سجالا بين الطرفين، حتى تلقَّى «إبراهيم باشا» الذخيرة، كما تلقى من أبيه رسالة تفيد بأن ثلاثة آلاف مقاتل فى الطريق إليه بقيادة «خليل باشا»، واعتزم «إبراهيم» أن يضرب ضربته القاضية قبل أن يتلقى المدد حتى لا يشاركه «خليل باشا» فى فخر الظفر بـ«الوهابية»، وبالفعل تم الاستيلاء على ثلاثة أحياء من بين خمسة هى كل أحياء «الدرعية».

استمر الحصار خمسة أشهر حتى أعلن «عبد الله بن مسعود» حاكم المدينة استسلامه، وأرسل فى مثل هذا اليوم «٩ سبتمبر ١٨١٨» إلى إبراهيم باشا معلنا وقف القتال وتسليم المدينة وتوقيع اتفاق صلح.

١٠ سبتمبر عام ١٩٤٩
رحيل «أحمد سالم» بعد أن خطفته أسمهان من «تحية كاريوكا»

«ابـن ذوات، چنتلـمان، طَمُـوح، مغامـر، شـاب، أنيـق، وسـيم»، هكـذا يرسـم الكاتـب والروائـى الراحـل صالـح مرسـى فى كتابـه «ليـلى مـراد» دار الهـلال، القاهـرة، صـورة «أحمـد سـالم» المنتـج والمخـرج والممثـل والإذاعـى والطيـار ومديـر اسـتوديو مـصر، الـذى رحـل فى مثـل هـذا اليـوم «١٠ سـبتمبر ١٩٤٩». وفى مجلـد «الراحلـون فى مائـة سـنة فى الإخـراج السـينمائى مـن عـام ١٨٩٦-١٩٩٦»، يذكـر مؤلفـه «عبـد الغنـى داود»، أن «سـالم» مـارس كل ألـوان الفـن السـينمائى، وهـو أحـد أبنـاء العائـلات البرجوازيـة المصريـة فى الشرقيـة فى بدايـة القـرن العشريـن، ومواليـد «٢٠ أكتوبـر ١٩١٠»، واشـتُهر بأنـه الشـاب المـصرى الـذى ذهـب إلى إنجلـترا ليـدرس الهندسـة، فـدرس أيضـا الطـيران، وعـاد إلى مـصر عـام ١٩٣١ يقـود طائرتـه.

اختـاره «طلعـت حـرب» مديـرا عامـا لـ«اسـتوديو مـصر» وعمـره «٢٥ عامـا» فقـط، فاسـتكمل تأسيسـه، وأشرف مـن خـلال عملـه عـلى إنتـاج وتجهيـز العديـد مـن الأفـلام؛ أبرزهـا «وداد» و«سـلامة فى خـير» و«الحـل الأخـير» وفيلـم «لاشـين» عـام ١٩٣٩ الـذى اسـتقال بسـببه مـن «الاسـتوديو» بعـد الأزمـة السياسـية التـى أحدثهـا؛ لتصويـره مجاعـة تـؤدى إلى ثـورة شـعب ضـد النظـام السياسـى الموجـود وقتئـذ.

قـرر العمـل كفنـان حـر، واسـتمر فى إنتـاج وإخـراج أفـلام لخمـس سـنوات، بدأهـا بـ«أجنحـة الصحـراء» عـام ١٩٣٩، لكنـه توقـف فجـأة بسـبب الحـرب العالميـة الثانيـة، ويرجـح «داود» فى كتابـه «الراحلـون فى مائـة سـنة»، انشـغاله بتجـارة السـلاح، أو ربما كان وسـيطا فيهـا، ثـم عـاد إلى السـينما عـام ١٩٤٦ ببطولـة فى فيلـم «دنيـا» بطولـة «راقيـة إبراهيـم» وإخـراج «محمـد كريـم»، ثـم فيلـم «الماضى المجهـول»، وفيلـم «رجـل المسـتقبل».

اتُّهـم فى قضيـة «الخـوذات المقلـدة» أثنـاء حـرب فلسـطين عـام ١٩٤٨، بتوريدها للجيـش المـصرى ودخـل بسـببها السـجن، وطلـب الادعـاء الحكـم عليـه بالإعدام، لكـن بعـد فـترة حصـل عـلى الـبراءة وخـرج مـن السـجن إلى السـينما مـرة أخـرى بإخراجـه وكتابتـه للسـيناريو وبطولتـه لفيلـم «دمـوع الفـرح» قصـة «عـلى أمـين» وحـوار «بديـع خـيرى»، لكنـه تُـوفِّى أثنـاء إنجـاز الفيلـم، فاسـتكمله مسـاعده «فطـين عبـد الوهـاب».

فى كتابـه «مـن أسرار الساسـة والسياسـة- أحمـد حسـنين باشـا» للكاتـب الصحفـى محمـد التابعـى، دار الشروق، القاهـرة، يقـدم فصـلًا مـن حيـاة «سـالم»، بسرده قصـة زواجـه الغريبـة مـن الفنانـة «أسـمهان» التـى تمـت بالصدفـة فى مدينـة القـدس بفلسـطين عـام ١٩٤٤، وكانـت «أسـمهان» نزيلـة فنـدق «الملـك داود» بالقـدس، تبـذل مسـاعيًها للعـودة لمـصر، وكان هنـاك قـرار بمنعهـا مـن دخـول القاهـرة، وذات يـوم نـزل بصحبـة «تحيـة كاريـوكا» الفنـدق، وكلاهمـا كان صديقـا لأسـمهان، غـير أن «تحيـة» تركـت القـدس إلى حلـب ولبنـان لإحيـاء حفـلات رقـص، وتركـت «سـالم» فى القـدس ينتظـر عودتهـا، وعندمـا عـادت فوجئـت بأنـه تـزوج «أسـمهان» بعقـد زواج شرعـى وصحيـح.

١١ سبتمبر عام ١٩٣١
القبض على «عمر المختار» ومحاكمته «ساعة وربع»

لم يصدق الجنرال الإيطالى «جرازيانى» أن قواته اعتقلت «عمر المختار» قائد المقاومة الليبية ضد الاستعمار الإيطالى فى مثل هذا اليوم «١١ سبتمبر ١٩٣١»، وفور تلقِّيه الخبر وهو فى «روما»، استقلَّ طائرته إلى «برقة» حتى يرى هذا الرجل الذى كبَّد الاحتلال الإيطالى خسائر كبيرة طوال فترة قيادته للمقاومة.

فى تفاصيل ممارسات «جرازيانى» فى «بنى غازى» أفعال همجية وبربرية ضد الليبيين، وحسب المؤرخ «نيقولا زيادة» فى كتابه «ليبيا»: «وصل «جرازيانى» إلى بنى غازى، واكتسب لقب «جزار برقة» وكل خطوة خطاها فى تلك البلاد تؤكد أنه حصل على هذا اللقب بحق، ومما فعله أنه أنشأ «المحكمة الطائرة» وهى محكمة عسكرية كان ينتقل أعضاؤها بالطائرة إلى كل من يلقى القبض عليه؛ لأنه ساعد أحدا من المجاهدين أو اشترك فى عمل عدائى، وكانت المحكمة تأخذ بالظن وتحاكم محاكمة صورية وتصدر حكمها فى التوِّ وتنفذه فى الحال.

وقع «عمر المختار» فى قبضة الإيطاليين بعد أن جُرح على مقربة من «سيدى رافع» بـ«الزاوية البيضاء»، وتم نقله إلى بنى غازى، وأمر «جرازيانى» المحكمة الطائرة بالانعقاد لمحاكمته فورا.

صباح يوم المحاكمة «١٥ سبتمبر» طلب نقل «المختار» إليه فى مكتبه، ففوجئ برجل يبدو وكأنه ولىٌّ من أولياء الله الصالحين، وبين الاثنين دار حوار يتلخص حسب «زيادة» فى أن «جرازيانى» حاول إظهار «المختار» بأنه مخطئ ويقوم بأعمال لصوصية، لكن «المختار» رد عليه بأنه يجاهد فى سبيل الله وقومه وجماعته، ويدافع عن قضية حق وعدل، وفى دار «البرلمان البرقاوى» عقدت الجلسة الخاصة للمحاكمة، واستغرقت ساعة وربع الساعة.

فى وقائع المحاكمة التى تأتى فى كتاب «السنوسية دين ودولة» للمؤرخ الدكتور «محمد فؤاد شكرى»، يتحدث عنها استنادا إلى شاهد حضرها هو الدكتور «العنيزى»، مشيرا فيها إلى أن «المختار» حضر إلى المحكمة مكبلا بالحديد، وأحضر الطليان مترجما رسميا، ولما بدأ استجوابه، بلغ التأثر مداه على المترجم وهو ينقل الإجابات، فاستبعده رئيس المحكمة وأحضر مترجما آخر، فاختير يهوديٌّ يدعى «أمبروزو» كان بين الحاضرين فى الجلسة.

كان «عمر المختار» واضحا وقاطعا وصريحا يصحح للمحكمة بعض الوقائع، والمثير أن «المحامى» الإيطالى المعين من المحكمة للدفاع عن «المختار» قال: «لو وقعت عينى على عمر المختار فى ميدان القتال فلن أتردد فى قتله، لكن وقد كُلفت بالدفاع عنه، أطلب حكما هو فى نظرى أشد هولا من الإعدام نفسه، وأقصد سجنه مدى الحياة لكبر سِنِّه وشيخوخته».

انتهت المحاكمة بعد ساعة وربع الساعة من بدايتها بالحكم على «المختار» بالإعدام، ولما نطق رئيسها الحكم قال «عمر»: «إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون»، وفى يوم «١٦ سبتمبر» حشد الاحتلال نحو ٢٠ ألفا من «البرقاويين» قسرا، ليشاهدوا تنفيذ الإعدام فى الساعة التاسعة صباحا.

١٢ سبتمبر عام ١٩٩٣
رحيل بليغ حمدى.. وكمال الطويل يسأل محمد رشدى: «هى الناس دى كلها ليه فى العزاء؟»

«الرحيل فى منتصف جملة موسيقية»، ربما لا نجد أبلغ من تلك الجملة التى كتبها الكاتب الصحفى الراحل محمود عوض عن صديقه الموسيقار بليغ حمدى الذى رحل فى مثل هذا اليوم «١٢ سبتمبر ١٩٩٣»، عن عمر يناهز الـ«٦٢ عاما»، مواليد ٧ أكتوبر ١٩٣١، وقال «عوض» جملته عنوانًا مبدعًا لمقال أكثر إبداعًا جاء ضمن كتابه «بالعربى الجريح»، الصادر عن دار المعارف، القاهرة.

وبين أوراقى تفصيل لقاء لى فى اليوم التالى لعزاء بليغ مع الصديق الراحل الفنان محمد رشدى الذى ذهبت إليه لتعزيته فى رفيق دربه، وصديق عمره، وكان اللقاء فى فيلا رشدى بـ«الدقى» حدثنى فيه باكيًا، وأنقل جانبًا مما ذكره.

قال رشدى: «وإحنا فى العزاء كان جنبى كمال الطويل، لفتت الزحمة نظره، ناس كتير من كل صنف ولون، مثقف بجوار رجل أمى، وسياسى بجوار رجل بسيط، ناس غلابة ياما، سألنى: إيه الحكاية يا محمد الناس كتير ليه؟ قلت له: الناس كتير فعلا يا كمال، اللى يعيش للناس عمره ما يموت جواهم، وبليغ عاش للناس. رد: عندك حق، بليغ فى موته بيرد الاعتبار لينا كلنا».

يواصل رشدى: «بليغ ابن عمرى، كان حلمى اللى بدوَّر عليه من وقت ما نزلت رجلى القاهرة، أنا ابن الناس، وهو ابن الناس، علشان كده شبكنا مع بعض».

يذرف رشدى دموعه: «آه يا بليغ، آه يا بليغ، ياحبيبى، أنا لما غلبنى المرض، اتصل أولادى به، فى دقائق كان على رأسى، حملنى وهو جسمه أصغر من جسمى، وصمم أنه يطلع هو معايا فى الإسعاف، لو هحكى على بليغ الإنسان مش هخلص، طول عمره اللى كان فى جيبه مش له، طول عمره فاتح صدره وبيته للناس».

يضيف رشدى: «المصرى لا يمكن أن يتنازل عن تراثه وشخصيته، والاستعمار من نابليون إلى الإنجليز عرف أصالة المصريين فى الحكاية دى، بليغ وضع إيده على الميزة دى، عظمته أنه سمع موسيقى الغرب ودرسها، وتأثر بها فى حدود وفهم، عمل موسيقى بريشة من طينة مصر، أنا أشبهه بنجيب محفوظ، وأشبه محمد عبدالوهاب بتوفيق الحكيم، حلمه كان فى أغنية عربية قومية ملامحها من التراث، وفى فترته الأخيرة كان مجنونًا بالتراث، لما كان بيجهز موسيقى «بوابة الحلوانى» وهى عن عصر عبده الحامولى، والخديو إسماعيل بحث فى الكتب، وسأل وقرأ عن الحامولى، كان يفاجئنى: «الناس دى يا محمد عملت إنجازات عظيمة فى الموسيقى وواجب علينا نكملها».

رشدى يواصل: «بليغ كان مؤسسة، ثائر، زعيم ثورة فى الموسيقى، الثورة تحتاج إلى تنظيم ونظرية، يعنى إيه الكلام ده فى التطبيق؟ أقول لك: هو كان يرانى متمسكًا بمصريتى فيعطينى الأغنية المناسبة، ويعطى لعفاف راضى «الأغنية العلمية»، ولما وجدنى غرقان فى المحلية قدم لى «مغرم صبابة» و«ميتى أشوفك» و«طاير يا هوا»، كنت قلقان من هذا التحول إلى الرومانسية، لكنه كسب الرهان، ووجد فى «شادية» البنت المصرية مثلى فأعطاها «يا حبيبتى يا مصر» و«قولوا لعين الشمس متحماشى» و«خلاص مسافر» و«آخر ليلة»، ولما فهم محمد عبدالوهاب إن المرحلة هى مرحلة بليغ انسحب».

يتنهد رشدى: «على فكرة عبد الوهاب كان دايما شايل فى نفسه حاجة من بليغ بدليل مذكراته اللى كتبها الشاعر فاروق جويدة بعد رحيله، وقال فيها: بليغ كان يبدأ بالذهب والفضة، وينتهى بالنحاس والصفيح، ده رأى ظالم قوى، الحقيقة إن بليغ كان يبدأ بالذهب وينتهى به، طول عمر عبد الوهاب كان عنده حاجة من ناحية بليغ».

_ كتب الشاعر فاروق جويدة مذكرات لـ«عبد الوهاب» غير المسجلة تليفزيونيًا بين عبد الوهاب والكاتب سعد الدين وهبة، وتمت إذاعتها وطبعها فى كتاب، ومذكرات جويدة تم نشرها فى مجلة «الوسط» وكانت تصدر من لندن عن دار الحياة.

١٣ سبتمبر عام ١٨٨٢
هزيمة «التل الكبير» .. وعرابى:
«حرضت على قتال العدو فما كان من سميع ولا بصير»

كان «أحمد عرابى» يؤدى صلاة الفجر فى مثل هذا اليوم «١٣ سبتمبر ١٨٨٢»، وإذا به يسمع ضرب المدافع والبنادق بشدة، وحسب مذكراته الصادرة عن الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، فإنه وجد ضرب النار من القوات الإنجليزية بشدة، ورأى المقذوفات تنطلق على خيمته والمركز العمومى له.

كان ميدان القتال فى «التل الكبير» بمحافظة الإسماعيلية، وهو الحدث الذى تحفظه سجلات التاريخ بـ«معركة التل الكبير» بين «جيش عرابى» والإنجليز، وانتهى إلى هزيمة عرابى، لتقع مصر تحت الاحتلال حتى عام ١٩٥٤، وفى تفاصيل المعركة تتشابك خيوط الخيانة بسوء التقدير والتخطيط، ويروى الشيخ محمد عبده فى مذكراته، أن رسولا جاء إلى عرابى يُنبِّئه بخيانة العُرْبان، فأبى قبولها قائلا: «إنهم مسلمون».

فى رواية عرابى لوقائع هذا اليوم دراما كبيرة، فهو يذكر مثلا أنه لما رأى ضرب الإنجليز عليهم، كان موجودا نحو ألفين من الأهالى المتطوعين مع الشيخ محمد عبد الجواد وأخيه الشيخ أحمد، وجابر بك من بندر بيا بمديرية بنى سويف، فناداهم للهجوم على البطاريات الإنجليزية مصدر قذائف النيران فامتنعوا ودهشوا، ويضيف: «ذكَّرناهم بحماية الدين والعِرْض

والشرف والوطن فلم يُجْدِ ذلك نفعًا»، ويقول: «كان الرعب قد أخذ من قلوبهم كل مأخذ فتفرقوا فرارا».

يواصل عرابى روايته «الحزينة» قائلا، إن ضابطا جاءه من طرف على باشا الروبى القومندان الجديد يخبره باتخاذ مركز آخر للقتال، ثم نظر فوجد الميدان مزدحما بالخيل، والجمال، والعساكر، مشتتين، مُولِّين ظهورهم للعدو، فذهب إلى القنطرة التى على الترعة ليمنع فرار العساكر.

يضيف عرابى: «صرت أناديهم وأحرضهم على الرجوع والثبات على قتال العدو، وأذكرهم بالشرف الإسلامى والعرض والوطن، ولم أغادر كلمة من شأنها تنشيط الأجسام الميتة، وبث الشجاعة فى قلب كل رعديد جبان، فما كان من سميع ولا بصير، بل ألقوا بأنفسهم فى الترعة وسبحوا إلى البر الغربى».

ذهب «عرابى» إلى بلبيس، وحسب قوله: «ذهبت لجمع المنهزمين هناك واتخاذ مركز آخر لمنع العدو من الوصول إلى القاهرة، وكان معى أخى «صالح عرابى»، وخادمى «محمد إبراهيم»، وجاويش بروجى يدعى «عطية محمد»، وكانت مقذوفات الطوبجية السوارى «الإنجليزية» تتساقط علينا من كل صوب حتى تركنا حدود التل الكبير».

لما وصل عرابى إلى بلبيس وجد «على باشا الروبى» سبقه إليها، فسأله عما دهاهم، فرد: «إنه الخذلان»، ويقول: «كانت على أثرنا فرقة من خيالة العدو فهجموا علينا، فأرخينا للخيل أعنتها حتى وصلنا محطة أنشاص، فوجدنا هناك قطارا فركبناه وأسرعنا إلى القاهرة، لاتخاذ الوسائل اللازمة لحفظها من الأعداء قبل وصولهم إليها.

توجه «عرابى» إلى ديوان الجهادية ودعا المجلس العمومى للاجتماع، وحضره أمراء العائلة الخديوية وقيادات الجيش وأعيان القاهرة، وأخبرهم بالهزيمة، وسألهم: «هل يلزم الاستمرار فى المدافعة، أم التسليم لقضاء الله وقدره؟ واستقر الرأى على الدفاع».

١٤ سبتمبر عام ١٩٦٧
موت المشير عامر.. والنائب العام يحقق بنفسه
ويجدد تأكيده بعد ٨ سنوات: «انتحر بالسُّمّ»

هل مات المشير عبد الحكيم عامر منتحرا أم مقتولا فى مثل هذا اليوم «١٤ سبتمبر ١٩٦٧»؟

هو سؤال يجدده البعض، وغالبًا ما يتحدد الرأى فى ذلك طبقًا لوجهة النظر والمشاعر الشخصية نحو جمال عبدالناصر، ومن بين كل الشهادات التى قيلت فى هذه القضية تبقى شهادة «أمين هويدى» وزير الحربية فى الفترة القصيرة التى تلت نكسة ٥ يونيه ١٩٦٧ ورئيس جهاز المخابرات العامة، هى الأكثر ثراء ومصداقية، لأنها تحتوى على تفاصيل دقيقة يكتبها بوصفه مشاركا وطرفا فى القضية، وسجلها جميعها فى كتابه «مع عبد الناصر»، دار المستقبل العربى، القاهرة.

أما الحقيقة فى موت «عامر» فتأتى كاملة فى كتاب «سنوات عصيبة-ذكريات نائب عام»، للمستشار «محمد عبد السلام» الذى شغل موقع النائب العام من أغسطس ١٩٦٣، والكتاب صادر عن «دار الشروق» عام ١٩٧٥.

حسب «هويدى»، فإن المثير أن موعد صدور كتاب «سنوات عصيبة» كان فى عز حملة الهجوم ضد «عبدالناصر» فى سبعينيات القرن الماضى، كما أن المستشار محمد عبدالسلام، لا يخفى مشاعره السلبية نحو هذه المرحلة كلها،

مشيرا إلى أنه وقت اختياره للمنصب، كان يدرك المصاعب التى ستقابله مع «حكام لم يكن بعضهم قد نسى صفته العسكرية وكان من العسير عليهم فهم معنى العدالة وقداستها».

يؤكد المستشار «محمد عبدالسلام» أنه حرص على التحقيق بنفسه، بل وينبه على معاونيه من أعضاء النيابة بالالتزام فى تحقيقاتهم بأقصى ما يطالب به المحقق النزيه من الحيدة، وعدم التأثر بفكرة معينة وإفساح المجال لإثبات أى أقوال تُبدَى مهما تكن خطورتها، لتكون بعد ذلك محلًا للفحص والاستنباط واستخلاص النتائج الصحيحة منها.

ويستطرد قائلًا: «رأيت أن أسأل- انطلاقًا من هذه الاعتبارات- الفريق أول محمد فوزى والمرحوم الفريق عبد المنعم رياض وغيرهما من الضباط والأطباء، ومن الناحية المضادة سؤال أسرة المشير الذين اتهموا السلطات الحاكمة بقتله، وقد رأيت أن أسأل أفراد الأسرة فى منزلهم حتى يكون التحقيق بعيدا عن أى مظهر من مظاهر السلطان، أو أى مظنّة من مَظانّ الإرهاب، وطلبت لنفس الاعتبارات من ضباط المباحث العامة وغيرهم من رجال الشرطة الذين صاحبونى فى الطريق، أن يبقوا بعيدا عن المنزل مسافة تزيد على المائة متر».

ويضيف: «لما كان من أسرة المشير من يُبْدى استعداده للتوقيع على أقواله بعد تسجيلها، فكنت أصر على ألا يوقع إلا بعد أن يطالع ما أثبت على لسانه»، ويتحدث عن سبع حقائق مفصلة عن انتحار «المشير» بمادة «الأكوتين» السامة ممزوجة بقطعة من الأفيون وورقة من السلوفان للتخفيف من آلام التسمم، وفعل ذلك بعد أن رفض بإصرار تنفيذ أمر «عبدالناصر» بنقله من منزله إلى استراحة أُعدت له فى المريوطية، وأبلغه بذلك الفريق أول محمد فوزى، والفريق عبدالمنعم رياض والعميدان سعد عبدالكريم، ومحمد سعيد الماحى.

مع استمرار رفض «عامر» الانتقال إلى الاستراحة الجديدة، دخل «رياض» إليه ليحاول إقناعه، لكنه أصر على الرفض وغافل الحاضرين ليتناول السم، ونُقل إلى مستشفى المعادى لإجراء الإسعافات الأوَّلية، ثم نقل بعدها إلى المريوطية حتى مات فى الساعة السادسة و٣٥ دقيقة يوم ١٤ سبتمبر ١٩٦٧.

١٥ سبتمبر عام ١٩٥٦
مصر تذهل العالم فى مواجهة
مؤامرة سحب المرشدين الأجانب من القناة

كانت الساعة التاسعة والنصف صباحا يوم ١٣ سبتمبر ١٩٥٦، حينما اجتمع الرئيس جمال عبدالناصر مع «محمود يونس» قائد عملية تأميم قناة السويس ومساعده الأول «عبدالحميد أبوبكر» الذى يتحدث فى مذكراته «قناة السويس والأيام التى هزت الدنيا» عما دار فى هذا الاجتماع، قائلا، إن عبدالناصر قال لهما، إن السيناتور «هيذرنجتون» رئيس تحرير جريدة الجارديان البريطانية، نشر أمس حديثا مع أنتونى إيدن رئيس وزراء بريطانيا قال فيه، إن قناة السويس ستتحول إلى حفرة بسبب عدم قدرة المصريين على تشغيلها، والسد العالى لن يُبنى إلى الأبد.

كانت خطة «إيدن» تتمثل فى انسحاب المرشدين والموظفين الأجانب من القناة، حتى تظهر مصر أمام العالم بمظهر العاجز عن تشغيل هذا الشريان المائى، مما يستدعى تدخلا دوليا عاجلا ضاغطا ضد مصر.

بسط «يونس» خطة المواجهة التى أعدها مع مساعديه أمام عبدالناصر، ويقول «أبوبكر»: «أجبنا على كل الأسئلة التى وجهها الرئيس، وسجلنا بعض الملاحظات التى ذكرها، وبعد أن انتهينا تماما، تراجع عبدالناصر فى مقعده، وألقى برأسه إلى الوراء، وأغمض عينيه بقوة ثم فتحهما ونهض واقفا، ومد يده لنا مصافحا ومودعا قائلا: «على بركة الله يا رجالة، على بركة الله»».

لا ينسى «أبوبكر» هذا اليوم، يقول: «لم ولن أنسى أبدا يوم تنفيذ المؤامرة، فقبل ساعات من تنفيذها ازدحمت مدن القناة الثلاث بالأجانب الذين سينسحبون الليلة، وكانوا يشترون حاجاتهم، وانشغلت الفنادق بالكامل بعد أن تدفق الصحفيون إليها من العالم ليشاهدوا ما سيحدث، وكانت ساعة التنفيذ تمام الساعة الثانية عشرة «منتصف ليل ١٤ و١٥ سبتمبر»، ولما حل الموعد ترك المرشدون الأجانب السفن وعلى وجوههم الابتسامة والسخرية».

كان «يونس» ابن الـ«٤٤ عاما» وقتئذ يدير المعركة بإرادة فولاذية وذكاء بالغ ومعه «أبوبكر ٣٣ عاما» و«عزت عادل ٣١ عاما»، ففور انسحاب المرشدين توجه بدلا منهم طاقم تم تجهيزه لهذه اللحظة، وعددهم ١٦ لتسيير القافلة الأولى وعددها ١٦ سفينة من بورسعيد، ثم ٢٥ من السويس، وتمت العملية بنجاح وسط حشود من أبناء القناة على طولها، بالإضافة إلى المرشدين والموظفين الأجانب وعائلاتهم، الذين تجمعوا على سطح النادى الفرنسى المطل على القناة وبوغاز بورسعيد، منتظرين فشل مصر حتى يتدخلوا، وكذلك فى السويس.

وبينما سيطرت حالة من الذهول على الأجانب، دوت جموع المصريين بالزغاريد والهتافات، ويقول «أبوبكر»: ليلة الانسحاب عبرت ٤٢ سفينة لم يَعُقْ سيرها عائق، فكبرت مصر وهللت، وارتفع صوت جمال عبدالناصر فى حفل تخرج دفعة من كلية الطيران، قائلا: «اليوم نثبت للعالم أجمع أن المصريين تمكنوا من أن يواصلوا العمل فى القناة، بعد أن سحبت فرنسا وإنجلترا جميع المرشدين والموظفين، اليوم باسم الشعب وباسم كل فرد من أبناء مصر أهدى إلى هؤلاء الرجال وسام الاستحقاق من الشعب المصرى».

١٦ سبتمبر عام ١٩٢٣
أكبر تنظيم لتجارة البِغَاء يديره «إبراهيم الغربى» وضحاياه ٤٠٠ قاصر

هـو «إبراهيـم محمـد محمـود الغربـى»، أشـهر «القواديـن» فى تاريـخ مـصر كلهـا، جـاء إلى القاهـرة فى نهايـة عـام ١٨٩٠ مـن «كرسـكو» مركـز «الـدار» بمحافظـة «أسـوان»، حيـث كان والـده يعمـل فى تجـارة الرقيـق، وبـدأ حياتـه بافتتـاح بيـت للبِغَـاء العلنـى فى شـارع «وابـور المياه» بـ«بـولاق»، ولم يمـضِ عـام حتـى امتلـك البيـت وآلاف الجنيهـات.

وفى عـام ١٨٩٦، اسـتأجر «الغربى» منـزلا كبيرا فى «الوسـعة» لتشـغيل البغايـا، ثـم اقتنـى مقهـىً بلديـا تعـرض فيـه الراقصـات رقصـات خليعـة تسـتفز الغرائـز، وفى ١٩١٢ امتلـك ١٥ بيتـا للبغـاء فى «الأزبكيـة»، يعمـل فيهـا ١٥٠ امـرأة، وأصبح اسـمه يقـترن بمملكـة البغـاء فى القاهـرة مـع بدايـة الحـرب العالميـة الأولى.

أصبـح «الغربـى» حديـث الـرأى العـام عـام ١٩٢٣، كـما يأتـى فى كتـاب «البغايا فى مـصر - دراسـة تاريخيـة واجتماعيـة مـن ١٨٣٤ - ١٩٤٩» لمؤلفـه «عـماد هـلال»، وكتـاب «مجتمـع القاهـرة السـرى ١٩٠٠-١٩٥١» للمـؤرخ الدكتـور عبـد الوهـاب بكـر، وذلـك حـين قـدم النائـب العـام «محمـد إبراهيـم باشـا» إلى المصريـين بيانـا نشرتـه صحيفـة الأهـرام يـوم ٢٧ ديسـمبر ١٩٢٣ عـن قضيـة بـدأت وقائعهـا فى مثـل هـذا اليـوم «١٦ سـبتمبر ١٩٢٣»، بتحقيقـات أجرتهـا نيابـة السـيدة زينـب فى بـلاغ عـن أن بنتـا قـاصرا اسـمها «إحسـان حسـن مصطفـى» عمرهـا ١٤ سـنة

قابلتها امرأة اسمها «فاطمة محمد الفيومية» بجوار ضريح السيدة زينب، ورغَّبتها فى الذهاب إلى منزلها لتزوجها بابنها، فذهبت معها، وبعد ثلاثة أيام أعطتها مخدرا، وأدخلت عليها شخصا اسمه «محمد حجازى»، فض بكارتها.

فتحت النيابة تحقيقا فى جناية هتك عرض أخرى خاصة بالبنت زينب عبد الخالق، وقبل أن ينتهى التحقيق فى الجنايتين، ذهب وكيل النيابة إلى «الحوض المرصود»، وأحضر من هناك ثلاثين بنتا اشتبه فى أن سِنَّهن أقل من ١٨ عاما، وأحضر بعض البنات المشتبه فى سنهن، فى «نقطة المومسات» فى زينهم، وضبط بعض الفتيات «العايقات» فى «الوسعة»، وبلغ عدد المتهمين فى هذه القضية ٥٢ رجلا وامرأة.

توسعت التحقيقات لتكشف أن هناك تنظيما يغوى الفتيات القاصرات، ثم يؤخذن إلى بيوت الدعارة للعمل بالإكراه، بتزويجهن ثم تطليقهن بعد ٢٤ ساعة ليدخلن فى طابور المومسات، وذلك بتواطؤ بين العصابة والشرطة، وتبين أن هناك ٤٠٠ فتاة بيع أكثرهن فى أسواق الرقيق الأبيض، ويترأس هذا التنظيم «إبراهيم الغربى»، ويدير عمليات الرقيق الأبيض من «إسنا» إلى «الإسكندرية»، والفتيات اللاتى يقعن فى قبضة تنظيمه يرسلهن ليلا من بلادهن فى حراسة رجاله، فيصلن إلى القاهرة أو الإسكندرية قبل غروب الشمس.

فتشت النيابة منزل «الغربى» فى البؤرة التى هو فيها مرتين، فوجدت فيه كمبيالات على النساء والفتيات بمبالغ كثيرة، وبعض أوراق تفيد فى التحقيق، وكذلك وجدت أوراق البنكنوت موضوعة فى صرر من القماش وملقاة فى غرفة داخلية، ولما فتحت الخزائن وجد فيها كميات كبيرة من الذهب ملقاة بغير انتظام، ووجد داخلها مصوغات كثيرة من أساور ذهبية مرصعة بالألماس، ومعلقة فى خشب من أيدى المكانس، مما يدل على أن المال الذى وصل إليه من طريق البغاء كان كثيرا جدا.

كان «الغربى» حينما قُبض عليه يلبس ملابس النساء، فلما زُجَّ به فى سجن الاستئناف، أحضروا له ثوب رجل، وقرر المحقق أحمد شرف الدين بك

وكيـل نيابـة مـصر، أن يكشـف الطبيـب الشرعـى عـلى «الغربـى» لمعرفـة حالتـه، ولتقديـر مـدى مسئوليته فى الجنايـات التـى اشـترك فيهـا، كـما أمر بتجديـد حبس «الغربـى» ومجموعـة مـن أعوانـه، وهـم: محمـد عـلى بـدوى، فاطمـة الشـيينية، خديجـة صالـح، حسـنى فتـح البـاب، وردة شـحاتة، فاطمـة محمـد، أمينـة طلبـة، نفيسـة القرعـاء، تفيـدة حسـن، بتهمـة اسـتغواء النسـاء، وتحريـض الفتيـات عـلى البغـاء، والعـدوان عـلى شرف القـاصرات منهـن.

أحـضر المتهمـون حشـدا مـن المحامـين أثنـاء عرضهـم أمـام النيابـة، وهـم: أحمـد نجيـب بـرادة بـك، وهيـب دوس أفنـدى، محمـد عابديـن أفنـدى، حسـن عـلام أفنـدى، محمـود حسـن أفنـدى، وانتهـت القضيـة بالحكـم عـلى «الغربـى» بالسـجن فى منتصـف عـام ١٩٢٤ خمـس سـنوات مـع الأشـغال الشـاقة، ومـات فى السـجن بعـد نحـو عـام.

١٧ سبتمبر عام ١٩٢٣
سعد زغلول يعود إلى الإسكندرية من المنفى..
ويداعب الجماهير «أنا مش عاوز أتنفى تانى»

«رأيت بعض خطبائكم يوجه إلىّ تهمة كبيرة جدا، لا يمكنني أن أتركها تمر دون أن أدافع عن نفسى فيها، وهى أننى غرست فى قلوبكم محبة الوطن، وأشعلت الحماسة فيكم، هذه تهمة لا يمكننى أن أسكت عنها، تعرفوا ليه؟ لأنى مش عاوز أتنفى تانى مرة».

ضحك الحاضرون وعددهم «٨٠٠» من هذه الطرفة التى قالها الزعيم الوطنى «سعد زغلول»، وجاءت فى إطلالته الأولى أمام الجماهير بعد عودته من المنفى فى مثل هذا اليوم «١٧ سبتمبر ١٩٢٣»، حيث نظم له الطلبة حفل تكريم فى فندق «سفواى» فى الإسكندرية، وحسب مذكرات «عبد الرحمن فهمى- يوميات مصر السياسية»، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، فإنه كان فى مقدمة حضور الحفل، سمو الأمير «عمر طوسون» و«محمد سعيد باشا» و«يوسف وهبة باشا» وتولى الاثنان رئاسة الوزراء، بالإضافة إلى رجال الوفد وبعض الوفود.

بدأ الحفل فى منتصف الساعة الخامسة مساء، فى نفس اليوم الذى وصل فيه «سعد» من منفاه، حيث وصلت الباخرة به إلى ميناء الإسكندرية قرابة السابعة صباحا تصحبه حرمه السيدة صفية زغلول، والسيدة «هدى

شعراوى»، وسكرتيره الخاص «كامل سليم»، وبعض أعضاء حزب الوفد، وفى الساعة العاشرة والربع قصد قصر المنتزه لمقابلة الملك فؤاد، ودامت المقابلة بينهما ٥٥ دقيقة.

قضى سعد فى المنفى من «ديسمبر ١٩٢١» وحتى صدور قرار من سلطات الاحتلال الإنجليزى لمصر بعودته فى ٢٠ يوليو ١٩٢٣، وظل يتنقل بين بعض المدن الأوروبية بقصد الاستشفاء والاستجمام، حتى أبحرت به السفينة «لوتس» يوم ١٢ سبتمبر من مرسيليا، وفى مذكرات «فخرى عبدالنور» سكرتير حزب الوفد وأحد قادته التاريخيين الذين ناضلوا ضمن صفوفه فى هذه المرحلة، الصادرة عن دار الشروق، القاهرة، وصف للاستقبال الشعبى لـ«سعد» قائلًا: فى فجر هذا اليوم خرجت الإسكندرية وعشرات الألوف من المديريات المجاورة عن بكرة أبيها، مصريون وأجانب، تستقبل الزعيم البطل وكأنه أسطورة من أساطير التاريخ، فى مشهد رائع يعجز القلم عن وصفه، وتُقلِع السفن من الميناء إلى عرض البحر للإعراب عن ابتهاجها بعودته، تحفُّ بها المئات من الزوارق الخاصة واللنشات البخارية وهى تقل حشودا غفيرة من البشر، فكنت لا تسمع مع هدير الأمواج وتلاطمها إلا هدير الأصوات يتجاوز آفاق السماء لا تتميز منه إلا كلمة واحدة: «سعد، سعد، سعد»، والرنين ورجع الصدى يتصادمان إلى أبعد مدى، فيثيران فى النفوس رهبة وجلالا.

وحسب مذكرات «عبد الرحمن فهمى» المشهور تاريخيا بأنه «قائد التنظيم السرى لثورة ١٩١٩»، قال «سعد» فى خطابه بالإسكندرية: «نُفيت لأنى متهم بأنى غرست الوطنية فيكم، ولم أكن أنا الغارس للوطنية فى قلوبكم، ولكن الله - سبحانه وتعالى - هو الذى غرسها فى صدوركم، وقد أخذتهنا عنكم لأننى منكم فسرت الوطنية منكم إلىَّ».

وفى الساعة التاسعة مساء، حضر «سعد باشا» الحفل الذى نظمه الأعيان فى فندق «كلاريدج».

١٨ سبتمبر عام ١٩٢٣
سعد زغلول يلوِّح بمنديله الأبيض للجماهير فى القاهرة

«امتلأت شوارع القاهرة عن آخرها بطوفان من البشر، وكأنه يوم الحشر، اجتازها (سعد زغلول) من المحطة إلى (بيت الأمة) فى أكثر من أربع ساعات واقفا على متن السيارة المكشوفة يلوح لجماهيرها بمنديله الأبيض، منصوبا، رافع الرأس وقد عاد- وهو الشيخ الذى تجاوزت سنُّه السبعين من العمر- شابا فتيا»، هكذا يصف «فخرى عبدالنور» سكرتير حزب الوفد، وأحد شهود الحدث فى مذكراته، حال القاهرة فى مثل هذا اليوم «١٨ سبتمبر ١٩٢٣»، وهى تستقبل سعد زغلول بعد عودته من المنفى، وكانت الإسكندرية شهدت نفس الاستقبال له فى اليوم السابق «١٧ سبتمبر».

وصل «سعد» إلى «بيت الأمة» بعد أن رُفعت عنه الأختام التى وضعتها السلطة العسكرية، وفى اليوم التالى «١٩ سبتمبر» أُقيم سرادق يتسع لأكثر من خمسين ألفا، وامتلأ عن آخره، وتصدر الحاضرون، «محمد البيلاوى، نقيب الأشراف» و«إبراهيم سعيد باشا» وأعضاء الوفد بكامل هيئاته وفى مقدمتهم «حمد الباسل باشا» و«على الشمسى» و«ويصا واصف».

فى الواحدة ظهرا ألقى «سعد» خطابه، وحسب مذكرات «عبد الرحمن فهمى- يوميات مصر السياسية» الصادرة عن دار الكتب والوثائق القومية، بدأ قائلًا: «لم أصعد المنبر للخطابة فيكم لأنى ما أزال ضعيفا لا أقوى على

الخطابة، ولكنى صعدت إليه طاعة لأمركم واطِّرادًا لخطة التزمتها، وهى أننى لست أميرا فيكم، ولكنى خادم لمبادئكم».

أضاف «سعد»: أرجو من كل مصرى أن يحافظ على أمر واحد هو فخار نهضتنا الحاضرة وهو الاتحاد المقدس، وتفضل بعض خطبائكم بإسناد هذا الفضل لى، وأنا لا أقول ذلك ولا أدعيه ولا أتصوره، وإنما نهضتكم تبتدئ من مؤسس العائلة العلوية «محمد على» وللحركة العرابية فضل كبير فيها، وللسيد «جمال الدين الأفغانى» أثر كبير فيها هو وأتباعه وتلاميذه، وللمرحوم مصطفى كامل باشا فضل عزيز فيها، أيضا كذلك للمرحوم محمد بك فريد».

واصل «سعد» خطابه: «أتت هذه النهضة على أثر تلك النهضات وامتازت عن سابقتها بأنها وثَّقت هذا الاتحاد المقدس بين الهلال والصليب، هذا الاتحاد أرجو مصر جميعها ألا تتهاون فيه إنه فخار هذه النهضة وعمادها، وهو الذى اضطرب له خصومنا وفنَّد حجة يعتمدون عليها، إذ كانوا يقولون نحن حُماة الأقلية فلا بد أن نقيم بينكم لنحفظ العدل فيكم».

أضاف «سعد»: «هذه الحجة أبطلها اتحادكم، ولكنهم الآن انتهزوا فرصة الانتخابات ليبثوا هذه الدسيسة فاحذروها، دسيسة أن هناك أقباطا ومسلمين، وليس هناك إلا مصريون، ومن يسمونهم أقباطا كانوا ولا يزالون أنصارا لهذه القضية».

فى خطابه قدم «سعد زغلول» رؤية وطنية جامعة، فهو يؤكد أن نضاله امتداد لمن سبقوه ولم يستثنِ أحدا، بما فى ذلك مصطفى كامل، الذى لم يكن رأيه فيه إيجابيا، كما وضع يده على خطر قضية العبث فى العلاقة بين المسلمين والأقباط.

١٩ سبتمبر عام ١٨٨٢
«الخديو توفيق» يلغى الجيش المصرى

ماذا لو كان «محمد على» موجودا وقت أن أعلن حفيده الخديو توفيق مرسومه بإلغاء الجيش المصرى؟

بالطبع لا ينفع مع التاريخ سؤال «لو»، لكن لأن «الحفيد» ألغى حلم وأمل وسعى «الجد»، نطرح السؤال من واقع ما فعله «توفيق» فى مثل هذا اليوم «١٩ سبتمبر ١٨٨٢»، أى بعد بدء الاحتلال الإنجليزى لمصر بخمسة أيام.

على أثر هذا القرار تم صرف الجنود إلى بلادهم، وأبقى كبار الضباط لمحاكمتهم، وحسب تعبير «عبدالرحمن الرافعى» فى كتابه «مصر والسودان فى أوائل عهد الاحتلال»، دار المعارف، القاهرة: «كان صدوره هو الخطوة الأولى لقلب نظام الجيش ومحو صبغته القومية، كما أن التعجل بصدوره كان ذريعة لإنجلترا لتسويغ احتلالها مصر، بحجة المحافظة على النظام حتى يتألف الجيش المصرى الجديد».

أكمل «توفيق» مخططه لتكريس الاحتلال الذى تسبب فيه ورعاه مما جعله يتفرد بين حكام مصر بلقب «الخائن»، وفى يوم «٢٤ أكتوبر» أصدر مرسومه بتجريد جميع الضباط المشاركين فى الثورة العرابية ممن كانوا برتبة ملازم ثان، وملازم أول، ويوزباشى من رتبهم، وحرمانهم من الحق فى المعاش ومرتب الاستيداع، واعَدَّ شريكا فى الثورة كل من أسهم فى إحدى المقاومتين

العسكريتين التى حصلت إحداهما فى أول فبراير سنة ١٨٨٢ والمعروفة بـ«واقعة قصر النيل»، والأخرى فى «٩ سبتمبر» والمعروفة بـ«واقعة عابدين»، وكذلك من وجد تحت السلاح فى «١١ يوليو ١٨٨٢» وحمله إلى يوم «طاعة الجيش»، ومن دخل العسكرية متطوعا فى المدة من ١١ يوليو ١٨٨٢ إلى يوم «طاعة الجيش» ،أى يوم هزيمة الجيش المصرى أمام الإنجليز واستسلام «عرابى»، ومعنى ذلك إقصاء جميع ضباط الجيش تقريبا من الخدمة العسكرية.

أما كبار الضباط ممن اشتركوا فى الثورة فحوكموا وحكم عليهم بجريمة العصيان، ولذلك اعُدَّ المرسوم الخديو الصادر بتجريد الضباط من رتبة ملازم ثان إلى يوزباشى إعفاء لهم من المحاكمة.

أقدم «توفيق» على خطوة كارثية أخرى وهى، إسناد مهمة تنظيم جيش جديد إلى السير «ڤالنتين بيكر»، وهو ضابط إنجليزى ترك الخدمة فى الجيش البريطانى وخدم وقتا فى الجيش التركى، وبعد إتمام الاحتلال استدعاه الجنرال «ولسلى» قائد الحملة الإنجليزية التى واجهت عرابى، والسير «إدوارد مالت» قنصل إنجلترا العام، وعهدا إليه بمهمة تنظيم جيش جديد خاضع للسياسة البريطانية، وغادر «الآستانة» إلى مصر فى أواخر سبتمبر ١٨٨٢ أى قبل أن تنقضى أربعة عشر يوما على احتلال الإنجليز، وأنعم عليه «توفيق» برتبة «فريق» فصار يُعرف بـ«بيكر باشا».

اقترح «بيكر» إقصاء معظم الضباط الوطنيين من الجيش، وتعيين كبار الضباط من الإنجليز، وكان الغرض، كما يقول «الرافعى»: «القضاء على الروح القومية فى نفوس رجال العسكرية، ضباطا وجنودا، لكى يكون الجيش المصرى أداة مسخرة فى أيدى رؤسائه وضباطه الإنجليز».

٢٠ سبتمبر عام ١٩٧٥
انتحار درية شفيق من «الطابق السادس»

«كنت أراها من وقت إلى آخر فى مصعد العمارة- لأنها كانت جارتى-بلا زينة ولا طلاء، فى فستان قديم، وقد كانت قبل ذلك ملكة للجمال وللأناقة، وجهها شاحب، عيناها تبكيان بلا دموع، كانت هذه المرأة أشبه بالشبح، وظُهْر يوم «٢٠ سبتمبر ١٩٧٥» عدت إلى بيتى، وفى ردهة العمارة رأيت جمعا من الناس يلتف حول ملاءة بيضاء، سألت: «ماذا حدث؟» قالوا: سيدة ألقت بنفسها من شرفة الطابق السادس، ورفعت الملاءة البيضاء ووجدت جثة جارتى «درية شفيق».

هكذا كتب الكاتب الصحفى الراحل «مصطفى أمين» فى كتابه «شخصيات لا تنسى»، الصادر عن دار المعارف، القاهرة، عن اللحظات الأخيرة فى حياة «درية شفيق» أو «كليوباترا الجديدة» حيث شبهها البعض بـ«ملكة مصر» فى جمالها وإرادتها فى خوض الصراعات.

هى من مواليد طنطا «١٤ ديسمبر ١٩٠٨»، وحصلت على «البكالوريا الفرنسية»، وسافرت إلى فرنسا مع ١١ فتاة مصرية للدراسة عام ١٩٢٨، ومنها حصلت على الليسانس ثم درجة الدكتوراه عن رسالتها «حقوق المرأة فى الإسلام»، ولما عادت إلى مصر رفض المفكر المعروف «أحمد أمين»، وكان وقتها عميدا لكلية الآداب جامعة فؤاد الأول (القاهرة فيما بعد)، تعيينها لتدريس الفلسفة بالكلية، لأنه لا يستطيع تعيين امرأة جميلة للتدريس.

وإلى جانب دراستها الأكاديمية شقت طريقها فى قضية حقوق المرأة والنشاط السياسى، حيث كانت قريبة من «هدى شعراوى» إحدى رائدات قضايا المرأة المصرية، وقبل ثورة يوليو ١٩٥٢ أعلنت عن برنامج طَمُوح للإصلاح الاجتماعى تحت اسم «اتحاد بنات النيل»، شملته بتقديم الخدمة للعاملات المحتاجات فى القاهرة، وإنشاء مكتب لتشغيل طلبة الجامعات، وتأسيس نادى بنت النيل الخاص بتقديم حفلات ثقافية للشباب، وندوات لرفع الوعى السياسى لدى المرأة ومحو أمية البائعات.

عارضت ثورة ٢٣ يوليو، ولجأت إلى السفارة الهندية فى القاهرة يوم ٦ فبراير ١٩٥٧ وأضربت عن الطعام، وطالبت باستقالة جمال عبدالناصر فى بيان لها، وطالب الزعيم الهندى «نهرو» عدم التعرض لها إذا رغبت فى الخروج من السفارة، وأنهت إضرابها بضغوط أسرية بعد يومين حسب ما تذكره «إنجى أفلاطون» فى مذكراتها التى حررها وقدمها «سعيد خيال»، عن دار سعاد الصباح، القاهرة، وتصف «إنجى» هذه الخطوة بـ«المسرحية» قائلة: «سارعت بعدها إلى مستشفى مورو لأخذ حقن جلوكوز، ثم رجعت إلى بيتها، ولم تتخذ الحكومة أى إجراء، لكننا علمنا فيما بعد أنه صدر قرار بتحديد محل إقامتها فى بيتها، وانتهزت وكالات الأنباء فرصة هذه المسرحية لزيادة حملة الهجوم على مصر الوطنية مدعية أن المرأة المصرية ضد الثورة».

وتضيف «إنجى» أنه بعد مشاورات بينها وبين «سيزا نبراوى وچاكلين خورى» تمت كتابة بيان بعنوان: «نساء مصر يستنكرن بيان درية شفيق»، ووقع عليه عدد كبير من قيادات الجمعيات النسائية والشخصيات المستقلة.

اختفت «درية شفيق» عن الأنظار «بعد ذلك حتى كان انتحارها».

٢١ سبتمبر عام ١٩١١
وفاة أحمد عرابى وأسرته لا تجد نفقات جنازته وتجهيزه

فى دراما الثورة العرابية تستوقفنا محطات كثيرة، عن «الولس» الذى كسر عرابى، وعن «رومانسية زعماء الثورة»، وعن الانكسار الذى عَمَّ بعد الهزيمة والاحتلال، وعن حياة المنفى لزعمائها، وأخيرًا عن النهايات الحزينة لهم، ومن هؤلاء «أحمد عرابى» الذى رحل فى مثل هذا اليوم (٢١ سبتمبر ١٩١١)، أى بعد ٢٩ عاما من هزيمة ثورته و١٩ عاما من المنفى.

فى كتابه «الثورة العرابية»، الصادر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، القاهرة، يكتب الكاتب الصحفى صلاح عيسى كلمات مؤثرة عن نهايات «عرابى»، قائلا: «قبل أن يموت عرابى بشهور كان خارجا من المسجد الحسينى عقب صلاة العشاء فى إحدى ليالى رمضان، فإذا بشاب يبصق فى وجهه صائحا: «يا خائن»، ومسح الرجل الجليل وجهه، وأغلق باب منزله على نفسه شهورا طويلة، تُرى ما الذى اعتصر قلبه فى تلك الشهور الحزينة؟ ذلك سر أخذه معه إلى القبر».

ويوم مات لم يجد أهله فى بيته نفقات جنازته وتجهيزه، فكتموا نبأ الوفاة إلى اليوم التالى، حيث كان مقررا أن تصرف المعاشات قبل موعدها لمناسبة حلول عيد الأضحى، وخرجت إحدى الصحف تكتب فى مكان متواضع: «علمنا أن المدعو أحمد عرابى صاحب الفتنة المشهورة باسمه قد تُوفِّى أمس».

يعلق عيسى: «الذى بصق فى وجه عرابى والذى نشر نبأ نعيه، والذى تركه يعانى ذل الحاجة، لم يكن مصر، ولكنه جزء من أمة الخيانة، جزء من مصر المحتلة، مصر التى سادت الخبائث فيها وجه الحياة، واستأسدت فيها كلاب الطريق، أما مُعذَّبو الأرض الذين عاشوا الملحمة العرابية بكل أبعادها، فقد صانوا عهد الحب حتى النهاية».

حياة عرابى بعد هزيمته نموذج لقسوة الاحتياج، ففى الصفحات الأخيرة من مذكراته مثلا، يتحدث بمرارة عن أنه يوم ٨ يونيه ١٩٠٥ كتب إلى اللورد كرومر المعتمد البريطانى فى مصر يطالبه برد أملاكه وأمواله التى نُهبت وسُلبت، أو التعويض عنها لتكون معاشا بعد وفاته لعائلته التى تزيد على خمسين شخصا، فكان جوابه أنه يأسف لعدم إمكانية التدخل فى مسألة نظرت فيها الحكومة المصرية عام ١٨٨٢.

وفى ١٩ ديسمبر كتب إلى مستشار المالية المصرية مطالبا إما برفع المرتب السنوى المقرر من الحكومة من ستمائة جنيه إلى ألفَىْ جنيه، طبقا لما وعد به اللورد «دُفْرين» عقب ما حدث فى ١٨٨٢، وإما برد أملاكه المنهوبة بغير حكم قانونى وريعها يزيد على ٣ آلاف جنيه، إما التعويض عنها حفاظا لكرامة العائلة، فرد المستشار بأنه يأسف لأنه لا يقدر أن يشير على الحكومة المصرية بتحقيق ما طلب.

ووصل به الأمر إلى رفع مطلبه لـ«ولى عهد إنجلترا البرنس أوف ويلز» لمناسبة وجوده بـ«قصر عابدين» أثناء زيارته لمصر، ولما وجد كل هذا الصد فعل كما يقول: «تركت لأحفادى ولأولادى من بعدى ولذريتى جيلا بعد جيل الحق فى المطالبة بحقوقى وأملاكى المنهوبة».

٢٢ سبتمبر عام ١٩٧٠
قمة عربية لوقف مذابح «أيلول الأسود» .. وعبد الناصر للملك حسين: «اصبر.. سيدنا أيوب من سكان نهر الأردن»

توجه الرئيس جمال عبدالناصر إلى مرسى مطروح لقضاء إجازة إجبارية لمدة عشرة أيام، بعد أن ألحَّ عليه الأطباء بأن تكون الإجازة شهرا كاملا نظرا لحالته الصحية، وحسب قول «محمود رياض» وزير الخارجية فى مذكراته، الصادرة عن دار المستقبل العربى، القاهرة: «ما كاد الرئيس يقضى يومه الأول فى الإجازة، حتى أدرك الأبعاد الخطيرة التى تتجه إليها الأزمة الأردنية الفلسطينية، فقطع إجازته على الفور، مطالبا بأن تُبْرِق إليه السفارة المصرية فى الأردن تطورات الموقف أولا بأول».

كانت القضية تتعلق بواحدة من أخطر الأزمات التى واجهت المنطقة وقتها بصفة عامة، والقضية الفلسطينية بصفة خاصة، حيث اندلعت اشتباكات عنيفة بين الأردن ومنظمة التحرير الفلسطينية، حيث كان مقاتلوها يوجدون فى الأردن، وحدثت فى شهر سبتمبر ١٩٧٠، والمعروفة تاريخيا بـ«مذابح أيلول الأسود».

انفجرت الأحداث بين الطرفين على أثر قيام «الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين» باختطاف ثلاث طائرات يوم ٧ سبتمبر، وتحويل اثنتين منها إلى مطار «المفرق» فى الأردن، وفى ٩ سبتمبر تم اختطاف طائرة رابعة، وهبطوا

بها إلى نفس المطار، وبلغ عدد الرهائن ٥٠٠ تم إطلاق سراح معظمهم يوم ١٣ سبتمبر، والاحتفاظ بأربعين للتفاوض بهم، مقابل إطلاق سراح فدائيين فلسطينيين فى سجون إسرائيل.

وعلى الرغم من قرار «منظمة التحرير» بتجميد عضوية «الجبهة الشعبية»، فإنه، وحسب رأى «رياض»، فإن: «الأطراف المتربصة بالمقاومة الفلسطينية وجدتها فرصة»، ويشير «رياض» إلى لقاء للعاهل الأردنى «الملك حسين» و«عبدالناصر» فى شهر أغسطس «قبل الأحداث».

اشتكى «حسين» فى اللقاء لـ«عبد الناصر» مر الشكوى من ممارسات «منظمة التحرير» فى الأردن، فنصحه «عبدالناصر» بالصبر، حتى لو أخطأت المنظمة، قائلًا: «ذلك من أجل شعبك ومن أجل الشعب الفلسطينى»، مضيفا: «لا تنسَ أن سيدنا أيوب كان من سكان نهر الأردن».

تصاعد القتال بين «المنظمة» و«الجيش الأردنى»، وأصبحت مئات الجثث ملقاة فى الشوارع، مما دفع عبدالناصر إلى الدعوة لمؤتمر قمة عربية طارئة فى القاهرة، وطالب سوريا بسحب مدرعاتها التى أرسلتها إلى داخل الأردن، كنوع من التضامن السياسى مع الفلسطينيين ولتخفيف الضغط عليهم.

توافد القادة العرب إلى القاهرة مساء يوم ٢١ سبتمبر، وبدأ عبدالناصر مشاوراته معهم حتى الساعات الأولى من الصباح وسط توتر بالغ لتلاحق الأحداث وتواصل الاشتباكات، ومع بدء أعمال القمة فى مثل هذا اليوم «٢٢ سبتمبر ١٩٧٠» اتصل عبدالناصر بالملك حسين، وأسفر الموقف عن إرسال وفد ينوب عن القمة إلى الأردن، وترأس الوفد الرئيس السودانى «جعفر النميرى»، وعضوية سعيد عبدالله السالم وزير خارجية الكويت، والفريق محمد أحمد صادق رئيس أركان حرب الجيش المصرى.

فى اليوم التالى عاد «الوفد العربى» دون أى نتائج حاسمة، وتزامن مع ذلك أنباء عن إعداد أمريكا لـ«١٠ آلاف» جندى للتدخل فى الأردن، ومع ذلك لم ييأس «عبدالناصر» من معالجة الموقف.

٢٣ سبتمبر عام ١٩٦٠
عبد الناصر يحضُر الجمعية العامة للأمم المتحدة.. وبوليس نيويورك: لا نضمن أمنه إذا نزل فى أحد فنادق المدينة

أبلغ أمن مدينة نيويورك الأمم المتحدة بأنه لا يستطيع أن يضمن أمن عدد من الرؤساء، إذا هم نزلوا فى فنادق المدينة، لحضور دورة الجمعية العامة للأمم المتحدة الطارئة، وكان الرئيس السوفيتى «خروشوف» هو أول هؤلاء الرؤساء، وجاء بعده «جمال عبدالناصر»، ثم تلاهما الرئيس الكوبى «فيدل كاسترو».

وحسب ما يذكره محمد حسنين هيكل فى كتابه «سنوات الغليان»، فإن وجهة نظر بوليس نيويورك أن خروشوف مهدد، لأن الطريقة التى تعامل بها مع الرئيس الأمريكى «إيزنهاور» أثناء قمة باريس (عقدت قبلها بأيام) اعُدَّت إهانة للشعب الأمريكى بأسره، وبالتالى فإن بوليس المدينة عاجز عن حمايته تماما لأن كثيرين قد يكونون على استعداد للتهور ضده بتصرفات لا يستطيع أن يمنعها أحد، وكان ذلك هو نفس الحال تقريبا بالنسبة إلى «كاسترو» لأن عشرات الألوف من اللاجئين الكوبيين يتربصون له، إلى جانب أن المصالح الأمريكية التى أممها فى كوبا جعلت أعداءه فى نيويورك أكبر مما يستطيع بوليسها السيطرة عليه.

كان الوضع مع عبدالناصر، وحسب تعبير هيكل «أفدح»، مضيفا: «يهود نيويورك الذين يعتبرون أن مدينتهم هى عاصمة اليهود فى العالم، أعدوا عدتهم، ورتبوا أمرهم على مواجهته بمظاهرات عدائية له فى أى مكان يذهب إليه، وهى مظاهرات قد يفلت زمامها فى أى لحظة، بل وصل بوليس نيويورك إلى حد نصيحة وفد «الجمهورية العربية المتحدة» (الاسم الرسمى للوحدة بين مصر وسوريا) بأن يبحث لـ«عبدالناصر» عن مقر يقيم فيه خارج حدود المدينة، فى مقابل ذلك رتب الطلاب العرب فى أمريكا تنظيم مظاهرة مؤيدة لـ«عبدالناصر».

زاد على ذلك، أن الأوضاع فى العالم العربى كانت ملتهبة بعد اغتيال رئيس وزراء الأردن «هزاع المجالى» بقنبلة انفجرت فى مقر مجلس الوزراء قبل انعقاد الجمعية العامة للأمم المتحدة بأيام، واتهم الملك حسين الجمهورية العربية المتحدة بتدبير الحادث عبر أجهزتها، أو أصدقاء محسوبين عليها، واستثمرت الصحافة الأمريكية الحادث، فشنت حملة ضارية ضد عبدالناصر، واتهمته بتخريب «أصدقاء الغرب» فى المنطقة.

المثير أن الصحافة الأمريكية، وحسب ما يذكره هيكل، أعدت ما سمته بـ«سلسلة ذنوب عبدالناصر»، فذكرت أن دعواه لـ«عدم الانحياز» هى انحياز للاتحاد السوفيتى، ومعاداته لأحلاف الغرب هى عداء لأمريكا، وتعاطفه مع «لومومبا» فى الكونغو بأفريقيا، وكاسترو فى كوبا بأمريكا اللاتينية، تضعه على رأس إثارة المتاعب فى العالم كله.

فى ظل هذه الأجواء سافر «عبدالناصر» إلى نيويورك فى مثل هذا اليوم «٢٣ سبتمبر ١٩٦٠»، وكانت فرصة للقاء زعماء العالم مثل «خروشوف، تيتو، نهرو»، والرئيس الأمريكى «إيزنهاور» حيث اجتمعوا معًا يوم «٢٦ سبتمبر»، وحسب ما يذكره هيكل: «كان دور جمال عبدالناصر نشطا فى اجتماعات الجمعية العامة، ولافتا للأنظار، وكانت أهدافه للعمل محددة».

٢٤ سبتمبر عام ٢٠٠٣
رحيل المفكر الفلسطينى إدوارد سعيد فى أمريكا

بعد أيام قليلة من وفاة المفكر الفلسطينى العالمى «إدوارد سعيد» فى مثل هذا اليوم «٢٤ سبتمبر ٢٠٠٣»، كتب صديقه الشاعر الكبير محمود درويش: «لو سُئل الفلسطينى عما يتباهى به أمام العالم، لأجاب على الفور: إدوارد سعيد، فلم ينجب التاريخ الثقافى الفلسطينى عبقرية تضاهى إدوارد المتعدد الفريد».

وبعد ستة أيام من رحيله كتب محمد حسنين هيكل رسالة بعنوان «تحية واعتذار»، نشرتها صحيفة «العربى» لسان الحزب الناصرى على صفحتها الأولى، بالإضافة إلى صحف عربية أخرى، اعتذر فيها عن تقصير الصحافة المصرية فى نشر خبر رحيل إدوارد سعيد، واصفا هذا التقصير بـ«خطأ مهنى لا يُغتفر».

وقال هيكل: «رحيل رجل مثل إدوارد يجب ألا يذكر كأنه حدث عادى مما يجرى كل يوم ثم ينسى فى اليوم التالى، ولست أعتذر فقط، ولكننى أطلب المغفرة للمهنة، ومن قلبى».

من يكون هذا المبدع الذى يدفع قامة شعرية مثل «درويش»، وأخرى صحفية وفكرية مثل «هيكل» إلى الإشادة به؟!

هو أستاذ اللغة الإنجليزية والأدب المقارن فى جامعة «كولومبيا» بأمريكا، وفى رحلته الفكرية مؤلفَّات أشهرها كتابه «الاستشراق»، الذى قطع فيه بأن مؤلفات «المستشرقين» هى السبب الرئيس فى الشرخ بين الحضارة الغربية

والـشرق أوسـطية، وذلـك عكـس مـا كان شـائعا، وأكملـه بكتـاب «الثقافـة والإمبرياليـة»، وإلى جانـب هـذا العطـاء الفكـرى يُعـد «إدوارد» الأكـبر قيمـة فكريـة عربيـة عـلى مسـتوى العـالم دفاعـا عـن القضيـة الفلسـطينية.

فى مذكراتـه المدهشـة «خـارج المـكان»، الصـادرة عـن دار الآداب، بـيروت، بترجمة رفيعة مـن «فـواز طرابلسـى»، يبدو فيهـا ومـن عنوانها أننا أمـام شـخص ظـل طـوال حياتـه يبحـث عـن وطـن لم يجده، وتبـدو مسـألة تنقُّلـه مـن مكان إلى آخـر لأسـباب مختلفـة أشـبه برحلـة الطائـر الـذى لا يسـتقر فى عشـه أو لا يجد فيـه الأمـان حتـى لـو طـال بـه المقـام.

يتحـدث «إدوارد» عـن سـيرته منـذ مولـده فى القـدس يـوم «١ نوفمبر ١٩٣٥» مـرورا بعيشـه فى القاهـرة، وتلقِّيـه تعليمـه المبكـر فيهـا حتـى المرحلـة الثانويـة بمدرسـة «ڤيكتوريـا كولـدچ»، ثـم هجرتـه إلى أمريـكا عـام ١٩٥١ وبلوغـه فيهـا مرحلـة التألـق عـلى صعيـد الفكـر العالمـى، حتـى تلقـى خـبر إصابتـه بـ«سرطـان الـدم» عـام ١٩٩٢، فقـرر أن يكتـب مذكراتـه.

فى مايـو ١٩٩٤ بـدأ فى كتابـة مذكراتـه، وشـملت سردا لارتحالاتـه العديـدة، يسـتدعى مـن خلالها أماكـن عديـدة زالـت، وأشـخاصا رحلـوا، وحنينـا إلى مـاضٍ يسـتغرق فى تفاصيلـه.

يتحـدث فى مذكراتـه عـن أنـه بعـد سـنوات الحيـاة خـارج العـالم العربـى التـى شـملت دراسـة، وتعليـمًا، وعيشًـا وكتابـة كلهـا باللغـة الإنجليزيـة، اتخـذ قـراره بعـد حـرب ٥ يونيـه ١٩٦٧، بالعـودة سياسـيا إلى العـالم العربـى: «كنـت قـد أغفلتـه خـلال سـنوات التعليـم والنضـج الطويلـة تمامًا»، ويضيـف: «لم يكـن لى خيـار غـير السـعى إلى هويتـى العربيـة وتمثلهـا تمثيلا، عـلى الرغـم مـن المحـاولات الحثيثـة التـى بذلـت لإقناعـى بالتخـلى عنهـا خـلال فـترة تربيتـى، وبواسـطة أهـلى وإن يكـن بدرجـة أقـل، كان عـلىّ أن أعيـد توجيـه حياتـى لتسـلك حركـة دائريـة تعيدنـى إلى نقطـة البدايـة مـع أنـى كنـت بلغـت نهايـة الثلاثـين مـن عمـرى، اخـترت أن أسـتعيد هويتـى العربيـة، ولكنـى عربـى لا يتـلاءم تاريخـه تمامـا مـع تقدمـه فى العمـر».

٢٥ سبتمبر عام ١٩٧٠
الفريق صادق ينجح فى تهريب ياسر عرفات
من الأردن إلى القاهرة بعباءة كويتية

«المهمة نُفِّذت يا فندم».

نزلت هذه الكلمات الثلاث على الرئيس جمال عبد الناصر بردًا وسلامًا من الفريق محمد أحمد صادق رئيس أركان حرب القوات المسلحة، فى مثل هذا اليوم «٢٥ سبتمبر ١٩٧٠».

سأل عبدالناصر: «ماذا فعلت؟».

أجاب الفريق صادق: «ياسر عرفات» أبوعمار «معى فى المكتب».

رد عبدالناصر غير مصدق: «معك فى القاهرة؟».

أجاب صادق: «نعم يافندم بجوارى الآن يرتدى بذلة الياور المرافق لى».

قال عبدالناصر: «حالا تكون عندى فورا».

حسب أوراق الفريق صادق التى كتب منها الكاتب الصحفى «محمد أمين» حلقات من سيرته فى مجلة أكتوبر يوم ٦ نوفمبر ٢٠١١: «بعد دقائق كنا فى منزل الرئيس عبدالناصر، وكان اللقاء مؤثرا وتعانق مع عرفات مرددا عدة مرات: الحمد لله».

كانـت الاشـتباكات بـين مقاتـلى منظمـة التحريـر الفلسـطينية والجيش الأردنـى هـى مجـال الحـدث الـذى يعـرف تاريخيـا بـ«مذابـح أيلـول الأسـود»، وكانـت القاهـرة تشـهد مـن يـوم ٢٢ سـبتمبر مؤتمـر قمـة عربيـة طارئـة لوقـف المذابـح، وفشـلت كل جهـود ونـداءات القمـة، ومـن بينهـا سـفر وفـد عربـى بقيـادة الرئيـس السـودانى جعفـر نميـرى إلى عـمان ثـم عودتـه إلى القاهـرة خـالى الوفـاض، وفى يـوم ٢٤ سـبتمبر عـاد «نمـيرى» بوفـده إلى عـمان وانضـم إليـه «حسـين الشـافعى» نائـب عبدالنـاصر، وكانـت المهمـة الرسـمية والعلنيـة هـى وقـف إطـلاق النـار بـأى ثمن.

كانـت هنـاك مهمـة سريـة هـى الأهـم، يقـول عنهـا صـادق: «صـدرت تعليمات لى مـن عبدالنـاصر لم يكـن يعلمهـا أحـد غـيرى وهـى إحضـار يـاسر عرفـات للقاهـرة بـأى طريقـة»، ويضيـف صـادق: «الرئيـس عبدالنـاصر» قـال لى: «أهـم شـىء عنـدى يخـرج يـاسر عرفـات حيًـا مـن هـذا الحصـار، فهـو رمـز للمقاومـة الفلسـطينية».

اجتمـع وفـد القمـة بالملـك حسـين، ويـروى صـادق أن مـكان عرفـات لم يكـن يعرفـه أحـد بمَـنْ فى ذلـك الملـك حسـين، لكـن صـادق وصـل إليـه بواسـطة الضابـط فى السـفارة المصريـة «إبراهيـم الدخاخنـى»، وبعـد اللقـاء اتفـق الجميـع عـلى العـودة إلى السـفارة المصريـة، وتـم تغيـير زى عرفـات حتـى لا يتعـرف عليـه أحـد.

يسـتكمل «صـادق»، أنـه طلـب مـن السـلطات الأردنيـة اصطحـاب أفـراد أسر موظفـى السـفارة للعـودة بهـم إلى القاهـرة، وبالفعـل وصـل عـدد مـن السـيدات والأطفـال إلى مقـر السـفر اسـتعدادا للانتقـال إلى المطـار.

أثنـاء ذلـك أبلـغ صـادق، أبوعـمار أنـه سيسـافر معـه إلى القاهـرة ولابـد مـن حلاقـة ذقنـه، لكنـه عـارض بشـدة، ثـم وافـق بعـد أن عـرف أن تلـك أوامـر عبدالنـاصر، وأن وجـودم حيًـا خـارج عـمان هـو حفـاظ عـلى الثـورة الفلسـطينية، وطالبـه صـادق بـأن يسـجل بيانـا بصوتـه يهاجـم فيـه الأردن، ويعلـن اسـتمرار القتـال حتـى وقـف إطـلاق النـار، وذلـك كنـوع مـن التمويـه لاسـتكمال مخطـط خروجـه.

استعار صادق عباءة أحد أفراد الوفد الكويتي، وألبسها لـ«عرفات» الذي ركب في سيارة بين سيدة مصرية وابنتها حتى وصلت إلى المطار، واتجه على الفور إلى الطائرة بينما كان صادق يشاغل الضابط الأردني المسئول، وأقلعت الطائرة ليصل «عرفات» إلى القاهرة.

٢٦ سبتمبر عام ١٩٦٢

انقلاب عبدالله السَّلاَّل على حكم الإمام البدر فى اليمن.. ومصر تعترف

أعلنت إذاعة «صنعاء» عن وفاة حاكم اليمن «الإمام أحمد» يوم ١٨ سبتمبر ١٩٦٢، وانتقال خلافته إلى ابنه «محمد البدر».

بدا أن كل شىء مستقر وطبيعى فى البلاد، فالحاكم الجديد يأخذ بيعة مشايخ القبائل والعلماء والضباط، ولا يوجد على السطح ما ينبئ بأن ثورة قادمة ستندلع بعد أيام قليلة وبالتحديد فى مثل هذا اليوم «٢٦ سبتمبر ١٩٦٢»، التى استجاب «عبدالناصر» لنداء قادتها، فأرسل قوات عسكرية مصرية، ومن يومها لم ينتهِ الجدل حول هذا القرار، فمن يهاجم عبدالناصر يرى أن ما فعله كان مستنقعا للجيش المصرى، لكن الرؤية المضادة تؤكد أنه انتصر لحقائق التاريخ والجغرافيا، وأنه كان يدافع عن الأمن القومى العربى وفى القلب منه أمن مصر.

مقدمات الثورة اليمنية، يتحدث عنها فتحى الديب ضابط المخابرات المصرية، ومسئول الدائرة العربية برئاسة الجمهورية مع جمال عبدالناصر فى كتابه «عبدالناصر وحركة التحرر اليمنى»، دار المستقبل العربى، القاهرة، ويؤكد أنه وبعد أن خَلَف «البدر» والده، خضع لنصيحة مستشارى السوء، فهدد بإجراءات إرهابية عنيفة لإظهار قوته وإشعار الشعب اليمنى بأنه ليس بالرجل الضعيف كما تصوروه، ثم أعدم القيادات الوطنية بسجن «حجة»، وكذلك بعض أبناء مشايخ القبائل وقادتها وبعض الضباط الوطنيين.

كان هنـاك مخطـط يتـم فى الخفـاء للقضـاء عـلى حكـم «الإمامـة»، يقـوده ضبـاط فى الجيـش، ولمـا علمـوا بنيـة «البـدر» حـددوا سـاعة الصفـر لتكـون ليلـة ٢٦ سـبتمبر، وفيهـا حـاصروا قـصر البـدر وقـصر السـلاح ومبنـى الإذاعـة، ووقعـت اشـتباكات طـوال الليـل، انتهـت بمقتـل «البـدر» أمـام قـصره.

قالـت إذاعـة صنعـاء، إن قائـد الانقـلاب هـو العميـد «عبـد الله السـلّال» قائـد حـرس البـدر، وحسـب قـول محمـد حسـنين هيـكل فى كتابـه «سـنوات الغليـان»: «تلقـت مـصر رسـالة عـبر سـفارتها فى صنعـاء، تقـول إن القـادة الحقيقيـين للانقـلاب هـم مجموعـة مـن الضبـاط الشـبان أبرزهـم العقيـد «عـلى عبـد المغنـى»، وكان التأييـد الـذى حصـل عليـه الانقـلاب مـن اللحظـة الأولى كاسـحا، فسـجِّل أسرة «حميـد الديـن» لم يـترك لأحـد دموعـا يذرفهـا عليـه داخـل اليمـن وخارجهـا».

اعترفـت مـصر مسـاء يـوم ٢٨ سـبتمبر بالنظـام الجديـد، ويقـول هيـكل، إن الأمـير الحسـن، شـقيق الإمـام «أحمـد» الـذى مـات، وعـم الإمـام «البـدر» الـذى أعلنـت إذاعـة صنعـاء أنـه قتـل، كان موجـودا وقتئـذ فى نيويـورك يـترأس وفـد اليمـن فى اجتماعـات الجمعيـة العامـة للأمـم المتحـدة، وحـين تلقـى أنبـاء مـا جـرى اعَـدَّ نفسـه إمـام اليمـن الأحـق بالخلافـة بـدلا مـن ابـن شـقيقه، ويقـول فتحـى الديـب، إن الحسـن كان يعـد العـدة لانقـلاب عسـكرى يقـوده هـو بمعاونـة بعـض ضبـاط الجيـش، وذلـك فـور وفـاة شـقيقه «أحمـد».

أعلـن «الحسـن» أنـه عائـد إلى اليمـن ليتـولى المسـئولية وليقمـع الثـورة، ويقطـع رءُوس قادتهـا، واختفـى مـن نيويـورك يـوم ٢٨ سـبتمبر، لكنـه ظهـر فى اليـوم التـالى فى قـصر الملـك سـعود فى الريـاض، وكان ذلـك مفتتحـا لجولـة طويلـة مـن الـصراع بـين السـعودية ومـصر عـلى أرض اليمـن.

٢٧ سبتمبر عام ١٩٧٠
إنجاز عبد الناصر قبل موته بيوم واحد..
«وقف مذابح أيلول الأسود»

ارتفع صوت الرئيس الليبى العقيد معمر القذافى، مطالبا القمة العربية الطارئة المنعقدة فى القاهرة منذ يوم ٢٢ سبتمبر بمقاطعة عربية شاملة للعاهل الأردنى الملك حسين، بسبب المعارك الدائرة فى الأردن بين مقاتلى منظمة التحرير الفلسطينية والجيش الأردنى.

أمضى عبدالناصر أكثر من أربع ساعات فى مناقشة مطلب «القذافى»، مؤكدا أنه الطريق الأسهل، لكن نتائجه ستكون خطيرة، ويذكر محمود رياض وزير الخارجية فى مذكراته «البحث عن السلام والصراع فى الشرق الأوسط»، أن عبدالناصر رد قائلا: «ربما يكون سهلا الآن مقاطعة الملك حسين، ولكن هذا يعنى أن يذهب قتاله مع المقاومة لآخر مدى، فضلا على انتهاز إسرائيل لهذه الفرصة للتدخل العسكرى المباشر، وعلينا الآن أن نرسل برقية إلى الملك حسين نبلغه برفضنا استمرار قتال المقاومة، وعليه وقفه فورا».

وعندما وصلت البرقية إلى «حسين» اتصل بـ«عبدالناصر»، معلنا استعداده للحضور إلى القاهرة لتوضيح موقفه أمام الرؤساء والملوك العرب، فرد عبدالناصر طالبا منه مهلة لتهيئة المناخ لمجيئه.

استمرت المناقشات، وخلالها أشار «عبدالناصر» إلى ساعته قائلا: «يجب أن نتذكر أنه فى كل دقيقة تمر هناك عشرات الفلسطينيين يسقطون قتلى، وهدفنا

الآن قبل أى شىء آخر هو إيقاف تلك المذبحة»، ونجح عبدالناصر فى إقناع المجتمعين بدعوة «حسين»، ويقول رياض: «كان الوقت قد تجاوز منتصف الليل، بحيث بدا الإرهاق كاملا على وجه عبدالناصر، ومع ذلك لم ينَمْ تلك الليلة إلا بعد أن أرسل يدعو الملك حسين، وبعد أن قرأ آخر برقيات السفارة المصرية فى عمان».

يضيف رياض: «لم ينم عبدالناصر أكثر من ساعتين أو ثلاث فى فندق هيلتون مكان انعقاد المؤتمر، ولم يذهب إلى منزله منذ بدأ فعالياته، وعندما استيقظ فى السادسة صباحا فى مثل هذا اليوم «٢٧ سبتمبر ١٩٧٠» طلب ملف برقيات السفارة المصرية فى عمان، وتقارير وكالات الأنباء العالمية».

فى الحادية عشرة صباحا وصل الملك حسين، فاجتمعت القمة فورا، ويشير «رياض» إلى أن الجلسة شهدت عنفا فى الكلمات وتبادل الاتهامات، لكن عبدالناصر والملك فيصل بذلا جهدا ضخما لتهدئة المناقشات الساخنة، والأعصاب المتوترة، وبعد خمس ساعات من الجدل والحوار، تم التوصل إلى اتفاق جماعى أُذيع فى جلسة علنية مذاعة على الهواء فى التاسعة مساء.

نص الاتفاق على إيقاف إطلاق النار فورا، وانسحاب الجيش الأردنى وأفراد المقاومة من كل المدن قبل مغرب نفس اليوم، وتكليف لجنة برئاسة «الباهى أدغم» ممثل الرئيس التونسى الحبيب بورقيبة إلى الأردن فى اليوم التالى «٢٨ سبتمبر» لمتابعة تنفيذ الاتفاق.

انتهت هذه المأساة بعد جهود خارقة بذلها الرؤساء والملوك العرب قضوا خلالها ساعات طويلة من المناقشات، لم يكن يقطعها كل ساعتين سوى خروج عبدالناصر للسير بضع دقائق، لمقاومة آلام أعصاب ساقيه الملتهبتين بسبب الجلوس لفترة طويلة، وكان المؤتمر هو آخر ما فعله من أجل أمته العربية، ففى اليوم التالى كانت فجيعة موته.

٢٨ سبتمبر عام ١٩٦١
ضباط سوريون ينقلبون على الوحدة مع مصر

فى أحد لقاءاتى المتعددة مع الدكتور «خالد جمال عبدالناصر» - رحمه الله - سألته عن أصعب اللحظات التى رأى فيها والده، فأجاب بأنها أربع لحظات، من بينها، يوم انفصال سوريا عن مصر فى مثل هذا اليوم «٢٨ سبتمبر ١٩٦١»، وضياع حلم الوحدة بين البلدين، الذى بدأ فى «٢٢ فبراير ١٩٥٨»، فكيف دارت وقائع هذا اليوم الحزين على كل الحالمين بوحدة عربية من المحيط إلى الخليج؟

يذكر محمد حسنين هيكل فى كتابه «سنوات الغليان»، أنه فى الساعة الخامسة وعشر دقائق دق جرس التليفون لإبلاغ عبدالناصر أن هناك حركة انقلابية قامت بها عناصر من الجيش السورى، وأن إذاعة دمشق سقطت بالفعل فى أيدى الانقلابيين، وأعلنوا منها البيان رقم واحد، فارتدى عبدالناصر ملابسه بسرعة ونزل إلى مكتبه ليواجه يوما صعبا وحافلا، واكتشف بعد قليل أن مكتبه ليس هو المكان الذى يستطيع منه متابعة تطورات الأحداث دقيقة بدقيقة، فذهب إلى مبنى الإذاعة الذى يستطيع منه متابعة إذاعة دمشق وأن يكون على صلة بعمل كل الأجهزة.

قبل الساعة الثامنة بقليل استطاعت أجهزة الإذاعة مع أجهزة الجيش توصيل خط بين «عبدالناصر» وعبدالحكيم عامر الموجود فى سوريا، وروى

«عامر» أنه كان فى بيته بـ«دمشق» حينما سمع الأنباء الأولى عن تحركات قوات الانقلاب، وبدا أن «عامر» مرتبك فى روايته.

لم يرتَحْ «عبدالناصر» لقول عامر: «الأوضاع تحت السيطرة»، فسأله عن الموجودين معه من الضباط، فأبلغه: «طعمة العودة الله»، فنقل الحديث معه وحصل منه على إجابات عن أسئلة محددة، أبرزها، أن قيادات الانقلاب هم من الضباط الشوام «الدمشقيين» والظاهر منهم: «عبدالكريم النحلاوى» و«عبدالغنى دهمان» و«موفق عصاصة»، واللافت أن الثلاثة وغيرهم كانوا ممن يعملون فى مكتب «عامر»، والأكثر إثارة أن «النحلاوى» كان مدير المكتب.

هناك تفاصيل كثيرة فى الحدث؛ من بينها رفض عبدالناصر للحلول الوسط التى توصل لها «عامر» مع قادة الانقلاب قائلا: «قبولها لا يعنى بقاء (الوحدة)، وإنما دولة نصف دولة مشلولة وعاجزة».

وفى التفاصيل أيضا، إنهاء كل مظاهر العمليات العسكرية، وإلغاء تحرك الأسطول المصرى فى اتجاه اللاذقية، بعد أن تقرر تحركه على أثر حدوث انقسام فى الجيش السورى، وبدأت إذاعة حلب فى بث بيانات معارضة للانقلاب فى دمشق، وأعلنت أنها ستزحف إليها لتطهيرها من المتمردين، كما أعلنت قيادة هذه القوات فى اللاذقية أنها تطلب من مصر مَدَدًا لتقوم بـ«واجبها المقدس».

يقول هيكل: «تمالك عبدالناصر نفسه من صدمة الانفصال بسرعة»، وشبَّه نفسه بـ«قبطان على سفينة انشطرت نصفين فى وسط البحر»، وقضى أياما طويلة يراجع نفسه ويستذكر تفاصيل تجربة الوحدة، وفى ٥ أكتوبر ١٩٦١ قال كلمته الشهيرة: «ليس المهم أن تبقى سوريا جزءا من الجمهورية العربية المتحدة، وإنما المهم أن تبقى سوريا».

٢٩ سبتمبر عام ١٨١٦

موت «طوسون بن محمد على».. و«الباشا» يطلق صرخة مدوية

لم يجرؤ أحد على إخبار «محمد على باشا» بنبأ وفاة ابنه المفضل «طوسون»، ونتيجة لهذا الخوف تم وضع جسده الميت فى نعش مفتوح وأدخلوه إلى القصر ليلا، ووضعوه أمام باب جناح النساء.

خرج «الباشا» صباحا من جناح «الحريم» فوجد النعش أمامه، فنظر إليه ليعرف ماذا بداخله، وكانت المفاجأة أن به ابنه «طوسون».

أطلق الباشا صرخة مدوية زلزلت القصر، واستلقى عليه، وحضنه طويلا، وخرج كل «الحريم» ليستطلعن الخبر، فكانت المفاجأة لهن أيضا، مفاجأة موت «طوسون».

دخل الباشا فى عزلة دامت أياما طويلة حزنا على فَقْده فِلْذة كبده، وابنه المفضل عنده من بين كل أبنائه، هكذا يصف «جيلبرت سينويه» فى كتابه «محمد على - الفرعون الأخير» الحالة التى كان عليها «الباشا» أثناء موت ابنه الذى رحل فى مثل هذا اليوم «٢٩ سبتمبر ١٨١٦».

سار «الأب» خلف نعش «الابن» فى موكب جنائزى ضم كبار ضباط الجيش والمسئولين لوداع «طوسون»، كان موته فى دمنهور، أثناء قيادته لفرقة من الجيش مرابطة فى رشيد، ويقول «عبدالرحمن الرافعى» فى كتابه «عصر محمد على»، دار المعارف، القاهرة، إن «الباشا» قام بتقسيم الجنود إلى فرق وتوزيعها

إلى مختلـف أنحـاء مـصر حتـى لا يجتمعـوا فى القاهـرة ويتمـردوا، وكان طوسـون علـى رأس فرقـة ذهبـت إلى «رشـيد»، وذلـك بعـد عودتـه مـن شـبه الجزيـرة العربيـة حيـث كان يقـود الجيـش المـصرى فى حربـه ضـد الوهابيـين.

كان المصـاب «الأكثـر إيلامـا لمحمـد عـلى، والأعمـق تأثـيرا مـن كل مـا سـبق ومـر بـه»، حسـبما يذكـره «سـينويه» الـذى ينقـل الأقـوال المتضاربـة فى أسـباب موتـه، ومنهـا أنـه التقـط الطاعـون مـن أحضـان «أَمَـة» يونانيـة، فيـما أرجـع آخرون موتـه لإفراطـه فى اللـذة نتيجـة لليلـة سـاخنة جمعتـه مـع إحـدى الجورجيـات العتيـدات، وذهـب البعـض إلى أنـه تعـرض لاغتيـال، وحسـب «سـينويه»: «تلـك نظريـة عاريـة مـن أى أسـاس متـين».

تعـددت الشـائعات حـول أسـباب الوفـاة، لكـن فجيعـة وحـزن «محمـد عـلى» عـلى وفـاة ولـده ابـن الــ٢٣ عامـا فقـط كانـت محـل اتفـاق، ومما قيـل عنـه: «لـو أن بخـلا مـس يـد طوسـون لتحـول بخلـه إلى كـرم بـلا حـدود»، ويدلـل عـلى هـذا «نوبـار باشـا» أقـوى نظـار وزراء «محمـد عـلى» فى مذكراتـه، دار الـشروق، القاهـرة، قائـلا: إن عبـاس «ابـن طوسـون» كان كريـما لكـن ليـس عـلى طريقـة والده المسـتعد فى أى وقـت لأن يهـب أحدهـم رداءه المصنـوع مـن الكشـمير الرائـع، أو يعطيـه فرسـه الأصيـل الـذى يمتطيـه.

يزيـد «نوبـار»: كان إبراهيـم يقـول لى: «أخـى طوسـون عُـرف عنـه الكـرم واشـتهر بـه، لكـن هـل يمكـن أن نقـول عنـه إنـه مثـلا سـاعد خادمـا عـلى أن يحيـا حيـاة كريمـة، أو جنَّبـه السـؤال مثلـما فعلـت أنـا مـرات كثـيرة، وأفعلـه كل صبـاح أنـا الـذى يعتبروننـى بخيـلا؟».

ويقودنـا ذلـك إلى سـؤال: «هـل كان إبراهيـم يكـره طوسـون؟» يعلق «سـينويه»: «يقـال- دون أن تتوافـر وثيقـة تسـتحق التصديـق- عندمـا علـم إبراهيـم بمـوت أخيـه لم يُبْـدِ أى حـزن أو تعاطـف بسـبب العـداء الـذى كان يجمـع الرجلـين».

٣٠ سبتمبر عام ١٩٠٦
«مصطفى كامل الغمراوى» يدعو لإنشاء جامعة

«أيهما أنفع لمصر فى حالته الحاضرة، الكتاتيب أم مدرسة كلية عالية؟».

فرض السؤال نفسه على المصريين عام ١٩٠٥، بعد أن أثارته جريدة «المؤيَّد» على صفحاتها، واستدرجت الكثير من الكُتَّاب للاشتراك فى الإجابة عنه، على الرغم من ذلك وحسب «أحمد شفيق باشا» رئيس الديوان الخديو فى الجزء الثالث من مذكراته: «انتهت المناظرات بغير طائل ولا نتيجة».

السؤال طرحه «أحمد حافظ» واستهدف بناء جامعة تقوم على تدريس المواد المدنية والعلمية التى هى الآن جامعة القاهرة، ويروى «شفيق باشا» فى مذكراته قصتها، مشيرا إلى أن الخطوة الأولى فيها بدأها «مصطفى كامل الغمراوى بك» من بنى سويف، وكان مستشاره القانونى «نجيب شقرا بك المحامى»، وذلك فى عام ١٩٠٦ أى فى العام التالى لطرح سؤال «المؤيد».

فكر «الغمراوى» فى إنشاء جامعة تضم كليات مختلفة على مثال جامعات أوروبا، فدعا للمشروع والتبرع له، وبدأ خطواته العملية فى مثل هذا اليوم «٣٠ سبتمبر ١٩٠٦»، بنشر نداء فى جميع الصحف العربية والإفرنجية فى مصر، داعيا لفكرة الجامعة مُهيبًا بالقادرين من الأمة أن ينزلوا الميدان.

قال «الغمراوى» فى ندائه: «استلفت أحد المحامين بمقالة نشرها فى إحدى الجرائد أنظار المرحوم منشاوى باشا إلى تخليد ذكره بإنشاء مدرسة جامعة،

فصادف الاستلفات أذنا واعية، وكان فى نية المرحوم إنشاؤها لو لم يُعالجه القضاء، فهل تعجز الأمة المصرية وهى تزيد على عشرة ملايين عن أن تقوم بمشروع حيوى نوى تنفيذه فرد واحد، لم تكن ثروته تبلغ جزءا يسيرا من ثورة غيره من الأفراد؟ وهل لا يُعد إحجام الأغنياء عن الاكتتاب دليلا على أنها لا تزال بعيدة عن الترقِّى الحقيقى؟»

استكمل «الغمراوى» نداءه بإعلانه الاكتتاب بـ«٥٠٠ جنيه إفرنجى» لمشروع إنشاء «مدرسة جامعة» مصرية، وحدد لها أربعة شروط، هى:

أولاً - ألا تختص بجنس أو دين بل تكون لجميع سكان مصر على اختلاف جنسياتهم وأديانهم، فتكون واسطة للأُلفة بينهم.

ثانيًا - أن تكون إدارتها فى السنين الأولى فى أيدى جماعة ممن يصلحون لإدارة مثل هذا المعهد العلمى الكبير وتثبيت كفاءتهم للملأ.

ثالثًا - أن يكتتب على الأقل ألف من سكان مصر كل منهم بمبلغ لا يقل عن مائة جنيه، ويجوز أن يزيد على هذا المبلغ إلى ما شاء كرم الواهب وحبه لوطنه وللإنسانية.

رابعًا - أن يُقام بناء هذه «المدرسة الجامعة» فى بقعة خلوية من أجمل بقاع مصر على شاطئ النيل، وتعمل لها حديقة من أجمل الحدائق وغير ذلك من الأمور التى يقررها المكتتبون.

تمنى «الغمراوى» أن تترك الجرائد النزاع الشخصى وتنشئ المقالات الضافية فى استنهاض الهمم لإتمام هذا المشروع العظيم، واختتم نداءه المنشور فى الصحف بالقول: «إذا لم يجد هذا النداء ألفا من أغنياء مصر، وهم ألوف عديدة، فلنخبئ وجوهنا أمام كل الأمم، ولنعترف بأننا عاجزون عن مجاراة الأجانب فى مضمار الحياة الأدبية».

١ أكتوبر عام ١٩٧٠
الملايين وراء نعش جمال عبدالناصر.. والعالم يتحدث عن أكبر جنازة فى التاريخ

«على ضفاف النيل، بين الروضة وبولاق كنا ملايين من البشر يشهدون آخر رحلة يقوم بها جمال عبدالناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة، الذى تُوفِّى قبل ثلاثة أيام عن اثنين وخمسين عاما، ملايين من البشر ينتظرون شيئا ما، حدثا خارقا لم يدخل فى حساب إنسان، يكون بحجم ناصر ومنجزاته والمدينة العظيمة التى كانت له طوال ثمانية عشر عاما منبرا ومسرحا ونشاطا».

بهذه الكلمات وصف الكاتب والصحفى الفرنسى «چان لاكوتير» جنازة جمال عبدالناصر وكانت فى مثل هذا اليوم «١ أكتوبر ١٩٧٠»، وكان «لاكوتير» واحدا من الصحفيين العالميين الذين قاموا بتغطية هذا الحدث الفريد فى حزنه فى تاريخ مصر والمنطقة العربية وشعوب العالم الثالث أجمع.

يضيف «لاكوتير» فى كتابه «عبدالناصر»، دار النهار، بيروت ١٩٧١: «هكذا انقلبت الجنازة الرسمية عيدا بدائيا كبيرا، إذ انتزعت الجماهير النعش وحضنته وبدا وكأنها التهمته.. هل هى محاولة رقى ضد الموت أو ضد الغياب؟ على من بكى هذا الشعب اليتيم؟ على الزعيم الراحل، أم على نفسه؟ على الفراغ الذى خلفه تاركًا شعبه فى مطلع أكتوبر ١٩٧٠، معلقا بين الحرب والسلم،

بين الشرق والغرب، بين الحرية الاجتماعية والتقييد الفردى، بين الغضب والتعقل؟».

كانت الجنازة هى الأكثر إثارة فى العصر الحديث، حسب وصف صحيفة«الجارديان البريطانية»، وبلغت التقديرات لعدد الذين ساروا خلف النعش فى شوارع القاهرة نحو ٥ ملايين فرد، (سكان مصر وقتئذ ٣٢ مليون نسمة).

وخرجت الملايين فى العواصم العربية (سكان كل الدول العربية وقتها ١١٠ ملايين نسمة)، وكل من عاصر هذا الحدث، يعرف أن كل عواصم المحافظات المصرية والعربية ومدنها وقراها، خرج سكانها فى جنازات يتقدمها نعوش رمزية، وحاصل ذلك هو أنها كانت الجنازة الكبرى فى التاريخ.

شارك فى الجنازة الرؤساء والملوك العرب، بالإضافة إلى قادة دول العالم الثالث، وممثلى كل دول العالم، ومن يُعِدْ مشاهدة وقائعها يَرَ الجميع منخرطا فى البكاء، من العاهل الأردنى الملك حسين إلى الرئيس السودانى جعفر النميرى، وياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية، وغيرهم.

كان الأكثر إثارة فى موكب الجنازة هو ترديد الملايين لأنشودة تلقائية بإيقاع حزين، وحتى الآن لا يعرف أحد مؤلفها ولا ملحنها وكلماتها:

«الوداع يا جمال.. يا حبيب الملايين

ثورتك ثورة كفاح.. عشتها طول السنين

الوداع

أنت عايش فى قلوبنا.. ياجمال الملايين

أنت ثورة أنت جمرة.. لأجل كل الشقيانين

الوداع

يافقير يا بن الفقير.. أنت أب الكادحين

ياجمال

أنت نوارة بلادنا.. واحنا شوّقنا الحنين

ياجمال

أنت قُلّة مية صافية.. تسقى كل العطشانين

أنت عصفور الكناريا.. لأجل كل الحزنانين

ياجمال

أنت قنديل الغلابة.. تهدى كل المحرومين

ياجمال

أنت ريحة زكية.. فى قلوب الفلاحين

أنت جمعت بعزيمتك.. النفوس الغضبانين.

٢ أكتوبر عام ١١٨٧
الصليبيون يستسلمون لـ«صلاح الدين»
بعشرة دنانير للرجل وخمسة للمرأة واثنين للطفل

بعد أخذ ورد، وافق صلاح الدين الأيوبى على استسلام الجيوش الصليبية فى القدس، وتسليمهم مدينة القدس إليه بعد نحو ٨٨ عاما من سيطرتهم عليها.

حتى الوصول إلى هذا اليوم «٢ أكتوبر ١١٨٧»، كانت هناك مقدمات حشد فيها هذا البطل العربى جيوشه مصمما على تحرير المدينة الخالدة، وحسب كتاب «صلاح الدين الأيوبى» للكاتب محمد فريد أبو حديد، ضمن أعماله الكاملة، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة: «نحن أمام قائد يحدد هدفه بوضوح وعزم وذكاء وقدرة على التعبئة والحشد، فهو عقد النية على تحرير «بيت المقدس» بعد أن رأى ألوية النصر تتحقق له منذ انتصاره فى موقعة «حطين»، فسار إلى قلب فلسطين، وأخذ كل ما فى طريقه من حصون، وأوقف «حسام الدين لؤلؤ» أحد كبار قادته على رأس البحر قائدا لأسطوله، كى يمنع إتيان الفرنج إلى الساحل قبالة القدس، وعرض على أهلها الصلح على أن يسلموا المدينة إليه، نظير تعويضهم أرضا يزرعونها، لكنهم رفضوا فقرر أخذها عنوة.

حاصر «صلاح الدين» المدينة وظل يهاجمها فى غارات يومية، ولم يستطع «الفرنج» الصمود أكثر من أسبوع فعرضوا الاستسلام والتفاوض على شروط

التسليم، لكن صلاح الدين رفض فى البداية رغبة منه فى أن يفعل بـ«الفرنج» ما فعلوه بالمسلمين، حسب رأى «أبو الحديد».

شملت شروط «التسليم»، أن يدفع «الفرنج» ضريبة عشرة دنانير عن الرجل، وخمسة عن المرأة، واثنين عن الطفل، ومن يؤدّ ذلك فى مدة أربعين يوما خرج ونجا، ومن لم يؤدّه صار أسيرا مملوكا، لكنه سمح لليونان وأهل الشام من المسيحيين بالبقاء حيث هم بين رعاياه، وأباح لـ«الفرنج» البقاء فى فلسطين إن شاءوا.

غير أن «صلاح الدين» لم يُصِبْ مالًا كثيرًا من وراء ذلك، حيث ذهب أكثره لأمراء الجند الذين وقفوا على الأبواب يراقبون دفع الضريبة ممن يخرج، كما أطلق صلاح الدين عددا كبيرا بغير فداء، كما خرج نحو ١٨ ألف رجل نظير ٣٠ ألف دينار دفعها أمير من أمراء المسيحيين الفرنج، وبقى بعد ذلك عدد عظيم لا يستطيع أن يعطى شيئا، وعددهم ١٦ ألفا، فتسامح صلاح الدين فى أمرهم.

يتحدث «أبو الحديد» عن أن «صلاح الدين» كان كثير العفو عن نساء الفرنج وشيوخهم وأطفالهم خاصة، فأطلق لـ«ملكة بيت المقدس» مالها وحشمها، وفعل بغيرها من كبيرات الفرنج ومن بينهن امرأة «أرناط»، وأكرم رجال الدين فخرج «كبيرهم» مع أمواله وتحف الكنائس وكنوز ذات قيمة عظيمة، فلم يَرْضَ أن يتعرض له، بل أخذ منه الدنانير العشرة، وهى القيمة المنصوص عليها فى شروط التسليم.

كما دفع «صلاح الدين» فدية لنحو ١٠ آلاف عدا من أطلقهم أخوه «سيف الدين الكريم»، وبعد خروج من أراد دخل صلاح الدين المدينة بجيشه ليعيد أبنيتها إلى أصلها بعد أن قام الصليبيون بتشويهها لصالح أذواقهم الخاصة.

٣ أكتوبر عام ١٩٦٥
كاسترو يعلن تخلِّى جيفارا عن الجنسية الكوبية ويقرأ من رسالته: «إما أن ينتصر الإنسان أو أن يموت»

اختفى المناضل الثورى «تشى جيفارا» عن الأنظار، فتوالت الأسئلة حول: «أين يكون؟ وهل هناك خلافات بينه وبين الرئيس الكوبى ورفيق نضاله فيدل كاسترو؟».

تلقفت الصحف الأمريكية القضية لتتحدث عن أن خلافا دب بين الثوار الجدد الذين يحكمون كوبا بعد نجاح ثورتهم عام ١٩٥٨، وأمام ذلك أعلن «كاسترو» فى خطاب جماهيرى فى مثل هذا اليوم «٣ أكتوبر ١٩٦٥» عن تخلى «جيفارا» عن جنسيته الكوبية، التى منحها «كاسترو» له، والمعروف أنه «أرجنتينى» الأصل، بالإضافة إلى تخلِّيه عن منصبه كوزير للصناعة الكوبية.

حمل الخبر دراما ومفاجأة فى حياة «جيفارا» عبَّر عنها فى رسالة إلى «كاسترو» الذى قرأها فى خطاب أمام جماهير محتشدة.

قال «جيفارا» فى رسالته: «إما أن ينتصر الإنسان أو أن يموت، ولقد قضى الكثيرون من رفاقنا نحبهم فى الطريق إلى النصر، أما الآن فقد أصبح كل شىء أقل دراماتيكية، إننى أشعر بأننى أنجزت ذلك الجزء من عملى الذى كان يربطنى بالثورة الكوبية، إن بلادا أخرى فى هذا العالم تحتاج إلى جهودى، وبعد فإنى أستطيع القيام بما لا تستطيعه أنت بسبب مسئولياتك فى قيادة كوبا، أجل

لقد حان وقت الرحيل والافتراق، وأريدك أن تعرف أنني أرحل بمزيج من الغبطة والألم، فإذا جاءت ساعتي تحت سماء أخرى، فإنك والشعب الكوبي ستكونان فى خاطرى قبل أن ألفظ نفسى الأخير، النصر أو الثورة أو الموت».

انطلق «جيفارا» بعد هذه الرسالة، وبعد تخليه عن جنسيته الكوبية يحمل الثورة إلى بوليفيا، لكن ما فعله عبر عن إشكالية لا تزال قائمة حتى الآن، وهى العلاقة بين «الثورة والدولة»، بين «الثوار والمناصب»، فبينما كان وزيرا للصناعة فى كوبا، كان يشعر بفشل كبير، وينقل الكاتب الصحفى محمد حسنين هيكل فى كتابه «عبدالناصر والعالم» هذه الإشكالية فى حوار «مدهش» بين «عبدالناصر وجيفارا» فى زيارة الأخير إلى مصر فى شهر فبراير عام ١٩٦٥.

لاحظ «عبدالناصر» حزن «جيفارا» فسأله عما إذا كان هناك خلاف بينه وبين «كاسترو»، وتناقش الاثنان حول الثورة والدولة، حول بناء المجتمعات بعد نجاح الثورة، حول الإصلاح والثورة، حول اللحظة المناسبة تماما للتفجير الثورى. تحدث «جيفارا» عن الموت كثيرا، فقال له عبدالناصر: «لماذا تتحدث دائما عن الموت؟ إنك شاب، علينا أن نموت من أجل الثورة إذا كان ضروريا، ولكن من الأفضل بكثير أن نعيش من أجلها».

أبلغ «عبدالناصر» بأنه لا يظن أنه سيبقى فى كوبا، وقال إنه لم يقرر بعد أين سيذهب، لكن الشيء الوحيد الذى ينتظره هو أن يقرر: «أين يعثر على مكان يكافح فيه من أجل الثورة العالمية، ويقبل تحدى الموت؟»، ويقول هيكل إن عبدالناصر تأثر كثيرا حين سمع الرسالة التى كتبها جيفارا إلى «كاسترو»؛ لأنها كانت تحمل الكثير مما تناقشا حوله معًا.

٤ أكتوبر عام ١٨٥٣
فرمان عثماني بالحرب على روسيا..
والسلطان يأمر عباس باشا بدعاء المصريين بالنصر

«أنت أيها الوالى المشار إليه، عند وصول فرمانى الملوكى الجليل العنوان، عليك أن تعلن ذلك لأهالى جميع الجهات الواقعة تحت إدارتك وتذيعه، وأن تنبه عليهم وتفهمهم بأن يشتغلوا جميعا بالدعاء بنصرة دولتنا العلية، كما هو مفروض عليهم ويواظبوا على ذلك».

هكذا خاطب السلطانُ العثمانى «عبد المجيد»، والىَ مصر «عباس باشا» بفرمان مكتوب باللغة التركية يخبره فيه بإعلانه الحرب على «روسيا» فى مثل هذا اليوم «٤ أكتوبر ١٨٥٣»، وهى الحرب المعروفة تاريخيا بـ«حرب القرم»، التى أرسل خلالها «عباس باشا» جنودا وعتادا، بالإضافة إلى الأسطول البحرى للوقوف إلى جانب تركيا، ثم واصل الوالى «سعيد باشا» نفس المساعدات.

وحسب كتاب «الجيش المصرى فى حرب القرم» للأمير عمر طوسون، مدبولى، القاهرة، نبه السلطان «عبد المجيد» فى فرمانه على ضرورة التنبيه على الأهالى بالدعاء بنصرة الدولة العلية، وإلى عدم التعرض لرعايا الروس والدول المتحابة فى مصر ومعاملتهم باللين والحسنى، ويشمل الفرمان شرحا للخطوات التى اتخذها للوصول إلى فرمان بإعلان الحرب قائلًا: «تقرر بإجماع الآراء اختيار جانب الحرب واتخاذ التدابير العسكرية توكلا واعتمادا على عون

الله تعالى وعنايته، مستعينين بنصرة الله تعالى، وصدرت أيضا فتوى شرعية بذلك من طرف شيخ الإسلام».

ينقل الأمير «عمر طوسون» الحالة التى كانت عليها مصر وقت إعلان فرمان الحرب، اعتمادا على تقرير نشرته جريدة «أخبار لندن المصورة» يوم ٢٣ أكتوبر ١٨٥٣ بعنوان «الحركات الحربية فى مصر»، والتقرير تم إرساله من مكتبها فى الإسكندرية يوم «٦ أكتوبر»، ويأتى فيه أن التجارة المصرية حل بها كساد عظيم، وفيضان النيل زاد زيادة لم تشهدها البلاد من قبل، مما يؤخر الزرع، وقرر الباشا منع تصدير القمح إلى الخارج خوفا من إصابة البلاد بالقحط، وأنه فى الميناء الآن قليل من المراكب التجارية بالنسبة إلى عددها فى مثل هذه الظروف، وكل ما فى الميناء من السفن الحربية بارجة أميرال الأسطول المسماة «فيض جهاد» وهى فاخرة وذات ثلاث طبقات، والفرقاطة البخارية الجديدة المصنوعة من الحديد، وثلاث بواخر أخرى أصغر من السابقتين وحَرَّاقتان، أما باقى الأسطول فيتجول فى ميناء الآستانة.

يشير التقرير إلى أن مجموع القوات التى أرسلها «عباس باشا» إلى الآن لمعونة السلطان «العثمانى» ٢٢ ألف جندى، عدا البحارة الذين فى البوارج المصرية بتركيا، ويُشاع هنا أن الوالى ينوى إرسال قوة أخرى إضافية قريبا، وأن السلطان العثمانى حظر على «رعايا عباس باشا» الخوض فى المسألة التركية، وقال، إن لباس الجيش المصرى هو البذلة العسكرية النظامية وهى تصنع فى الشتاء من نسيج أزرق خشن، وفى الصيف من نسيج القطن الأبيض.

ويتحدث التقرير عن أن الذى أكسب الجنود شدتهم الحربية ليس كثرة عددهم، وإنما فى الغالب «قوة أبدانهم»، كما يشير إلى أن العمل فى مد الخط الحديدى بين القاهرة والإسكندرية تأخر لانسحاب العدد الأكبر للخدمة فى تركيا.

٥ أكتوبر عام ١٨٨٢
رجال توفيق يهينون عرابى فى أول ليلة بالسجن.. ويأخذون من محمد عبده كتاب «العِقْد الفريد»

كان يومًا من الأيام الحزينة فى حياة أحمد عرابى زعيم الثورة العرابية، يصفه فى مذكراته بقوله: «أُلقى بى فى حجرة ليس فيها شىء حتى الكرسى وأغلقوها علىَّ، وجاء خادمى إلىَّ ولكن الحراس لم يسمحوا بإدخال شىء إلا بساطا وملحفة، كان ذلك من أيامى الحزينة التى لا تُنسى».

هى قصة يوم نقل «عرابى» من معتقل «قشلاق عابدين» إلى السجن «الدائرة السَّنية»، وظل فيه حتى مثل هذا اليوم «٥ أكتوبر ١٨٨٢» بعد هزيمة ثورته، وجاء الانتقال لأجل محاكمته مع زعماء الثورة وعدد كبير من مؤيديها، لكن الإهانات لكل زعماء الثورة والشيخ محمد عبده كانت هى بطل الأحداث فى هذا اليوم.

كانوا جميعا فى السجن ينتظرون مصيرهم، وكان الخديو توفيق يرسل إهاناته إليهم عبر رجاله، يقول عرابى: أقبل فريق ممن أُرسلوا لإهانة السجناء وتهديدهم، فتشونى وأخذوا منى كل ما لدىَّ من الأوراق الخاصة، وجاء فريق من موظفى الخديو، وأعادوا تفتيشى حتى إنهم نزعوا قميصى، ولكنهم لم يجدوا شيئا إلا تميمة كنت ألبسها فانتزعها أحدهم بقوة، ولما قلت إنى أخلعها بنفسى صاح أحدهم قائلًا: «كلا لقد أمرت أن أفعل ذلك وأن أخلع حتى حذاءَك لأفتشه».

بعد ساعة من انصراف فريق موظفى الخديو، ذهب بشارة تقلا (مؤسس ورئيس تحرير الأهرام) لزيارة عرابى، وحسبما يأتى فى كتاب «أحمد عرابى- الزعيم المفترى عليه»، تأليف محمود الخفيف، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، نقلا عن «مذكرات عرابى»: ظننت أنه قدِم ليعزينى وليبدى عواطفه نحوى، وقد كان ممن يدينون بمبدئنا قبل الحرب، وأقسم بدينه وشرفه أنه واحد منا، ويعمل لحرية وطننا، وقد عددناه فى الحق من الوطنيين، ولكنه لما دخل علىّ توقح أشد التوقح، ثم قال: «أى عرابى، ماذا صنعت وماذا حل بك؟ ورأيت أن الرجل خائن ولا شرف له، ولما لم أُجِبْه أدار ظهره وانصرف».

بلغت الإهانات مبلغها فى يوم ليلة التاسع من أكتوبر، ويصف «عرابى» تفاصيلها: سمعت الباب يُفتح حوالى الساعة التاسعة والنصف، وقد خلعت ملابسى واضطجعت لأنام ودخل علىّ جماعة تتألف من عشرة أو اثنى عشر شخصا، ولما كان الظلام حالكا لم أستطع أن أتبين منهم أحدا، وصاح أحدهم فجأة: إيه عرابى، ألا تعرفنى؟ وحسبت أنه قادم ليقتلنى فنهضت قائلا: كلا لست أعرفك. فصاح: أنا إبراهيم أغا توتونجى حامل غليون الخديو أيها الكلب، أيها الخنزير. ثم بصق علىّ ثلاث مرات، فوقفت ساكنا فى هدوء».

فعل «أغا» فعله بعد أن لثم يد الخديو توفيق راجيا منه أن يسمح له بالبصق فى وجه السجناء، ونفذ ذلك مع الشيخ محمد عبده حيث ذهب إليه فى السجن يوم ٥ أكتوبر ومعه بعض رجال الخديو، وفتشوه وأخذوا منه ثلاثة مجلدات، اثنان منها هما كتاب العقد الفريد، وسألهم: لماذا تأخذون الكتب، ألكى تعيدوها إلى بيتى؟ رد إبراهيم أغا: ألك بيت؟

٦ أكتوبر عام ١٩٧٣
الجيش المصرى يبدأ حربه ضد إسرائيل فى الثانية ظهرًا.. والسادات وقيادات الجيش فى مركز العمليات

«لكى تستطيع مصر عبور قناة السويس واقتحام خط بارليف فإنه يلزم تدعيمها بسلاحى المهندسين الروسى والأمريكى معا»، قال هذه الكلمات «موشى ديان»، وزير الدفاع الإسرائيلى، أثناء حرب أكتوبر عام ١٩٧٣، وذكرها خلال مناقشة له مع «أليعازر» رئيس أركان الجيش أثناء الحرب أيضا، وأيده فى ذلك الجنرال «بارليف» صاحب فكرة الساتر الترابى الذى تم إنشاؤه ليكون عازلا أمام الجيش المصرى عن سيناء التى احتلتها إسرائيل على أثر نكسة ٥ يونيه ١٩٦٧.

هذا اليقين الذى تحدث به «ديان» كان بمثابة العقيدة التى تؤمن بها إسرائيل، واختصرتها فى جملة موحية وهى: «الجيش الإسرائيلى الذى لا يُقهر»، ويعتبر الفريق سعد الدين الشاذلى رئيس أركان الجيش أثناء الحرب: «أن هذه الشهادة من قادة العدو هى شهادة نعتز بها؛ لأنها تُظْهر عظمة التخطيط وروعة الأداء اللذين تم بهما هذا العبور العظيم».

هكذا تحدث «الشاذلى» فى مذكراته «حرب أكتوبر» التى تحتوى على قدر هائل من المعلومات. التى تؤكد كيف تم استعداد الجيش المصرى لهذه الحرب الخالدة التى بدأت فى مثل هذا اليوم «٦ أكتوبر ١٩٧٣»، ويقول

الشـاذلى: إن قرارنـا بخصـوص عبـور قنـاة السـويس عـلى مواجهـة واسـعة هـو عقيـدة ثابتـة، اسـتقرت فى تفكيرنـا العسـكرى فى مـصر منـذ عـام ١٩٦٨.

يقـول «الشـاذلى» إنـه فى السـاعة الثانيـة مـن يـوم ٦ أكتوبـر وصـل رئيـس الجمهوريـة أنـور السـادات ومعـه وزيـر الحربيـة أحمـد إسـماعيل إلى المركـز ١٠، ودخـلا غرفـة العمليـات حيـث كان كل فـرد فى مكانـه منـذ الصبـاح، وكان الوقـت المحـدد لعبـور الموجـة الأولى من المشـاة هـو السـاعة «الثالثـة والنصـف»، ولكن كان هنـاك الكثـير مـن المهـام الأخـرى التـى يجـرى تنفيذهـا قبـل ذلـك، أهمهـا هـو قيـام قواتنـا الجويـة بتوجيـه ضربـة جويـة إلى مطـارات العـدو ومراكـز قيادتـه ومناطـق حشـد مدفعيتـه فى سـيناء، واشـترك فى هـذه الضربـة الجويـة أكثـر مـن ٢٠٠ طائـرة عـبرت خـط القنـاة عـلى ارتفـاع منخفـض جـدا السـاعة الثالثـة، وبمجـرد عبـور قواتنـا الجويـة لخـط القنـاة بـدأت مدفعيتنـا عمليـة القصـف التحضـيرى المكثـف عـلى مواقـع العـدو شرق القنـاة، وفى الوقـت نفسـه تسـللت عنـاصر اسـتطلاع المهندسـين، وعنـاصر الصاعقـة إلى الشـاطئ الشرقـى للقنـاة، للتأكـد مـن تمـام إغـلاق المواسـير التـى تنقـل السـائل المشـتعل إلى سـطح القنـاة.

كانـت الأعـمال تتـم بنجـاح، لكـن جميـع مـن كانـوا فى مركـز القيـادة، كانـوا حسـب «الشـاذلى»، ينتظـرون أخبـار عبـور المشـاة، حيـث إن ذلـك هـو الـذى سـيحدد مصـير المعركـة، ويضيـف: بينـما كنـا ننتظـر وكأن عـلى رءوسـنا الطـير وصلـت المعلومـات بتـمام عبـور الموجـة الأولى، ودوت مكـبرات الصـوت داخـل المركـز ١٠ تعلـن الخـبر المهـم الـذى بعـث الفرحـة والسـكينة فى نفـوس الجميـع.

توالـت المعلومـات عـن عبـور الموجـات التاليـة للمشـاة فى توقيتـات تتطابـق تمامـا مـع توقعـات القيـادة العسـكرية، ويقـول «الشـاذلى» إنـه بعـد اطمئنـان الرئيـس السـادات بهـذه الأخبـار السـارة، انسـحب هـو ووزيـر الحربيـة مـن غرفـة العمليـات للراحـة، وقرابـة السـاعة السـابعة مسـاء غـادر السـادات عائـدا إلى القاهـرة.

٧ أكتوبر عام ١٩٧٣
الجيش يحقق نجاحًا حاسمًا فى معركة عبور قناة السويس

حلت الساعة الثامنة من صباح مثل هذا اليوم «٧ أكتوبر ١٩٧٣»، ووقتها كانت قوات الجيش المصرى حققت نجاحا حاسما فى معركة عبور قناة السويس، عبرت أصعب مانع فى العالم بتحطيمها خط بارليف فى ١٨ ساعة، وحسب مذكرات الفريق سعد الدين الشاذلى: تحطيم خط بارليف فى ١٨ ساعة هو رقم قياسى لم تحققه أية عملية عبور فى تاريخ البشرية.

اشترك فى العبور، وفقا لتقدير «الشاذلى»، مائة ألف جندى وضابط، تم توزيعهم على نحو ٣٢ ألفًا فى قوارب مطاطية، وألف فى دبابات ومَرْكبات برمائية عبر المسطحات المائية فى البحيرات المُرَّة وبحيرة التمساح، و٤٥٠٠ فوق المعديات، و١٥٠٠ فوق الكبارى الخفيفة، و٦١ ألفا فوق الكبارى الثقيلة، وعبرت القناة ١٠٢٠ دبابة و١٣ ألفا و٥٠٠ مركبة.

وقع العبور بأقل خسائر ممكنة للجيش المصرى، وتقديرها وفقا لـ«الشاذلى»: ٥ طائرات و٢٠ دبابة و٢٨٠ شهيدا، ويمثل ذلك ٢,٥ ٪ فى الطائرات و٢٪ فى الدبابات و٠,٣ ٪ فى الرجال، أما إسرائيل ففقدت ٣٠ طائرة و٣٠٠ دبابة وعدة آلاف من القتلى، وخسرت خط بارليف بكامله، وسحق ثلاثة ألوية مدرعات ولواء مشاة.

يؤكد «الشاذلى» أن يوم ٧ أكتوبر كان يوم فرح وسعادة لمصر، فأصبح لمصر على الشاطئ الشرقى خمس فرق مشاة بكامل أسلحتها الثقيلة، ومعها

قرابة ألف دبابة، بينما العدو فى تلك المنطقة أصبح فى حالة فوضى عارمة، ويقول إن هذه الصورة الوردية لم تكن لتنسينا الحقائق التى كانت تفرض نفسها، وهى: إذا كنا نجحنا فى تحقيق المفاجأة الاستراتيجية ولم يقُم العدو بإجراء التعبئة الشاملة، إذن فإن المعارك الكبرى مع قوات العدو الرئيسية كانت لم تبدأ بعد.

كان تقدير مدير المخابرات الحربية أن إسرائيل ستقوم بالهجوم المضاد بقواتها الرئيسية بعد ٦ أو ٨ ساعات من بدء هجوم جيش مصر، لكن بعد ١٨ ساعة من بدء القتال لم تكن هناك ظواهر تدل على أن إسرائيل دخلت المعركة فى الجبهة المصرية، وبناء على ذلك يقول الشاذلى: «دار فى رءُوسنا سؤال: متى يقوم العدو بالهجوم المضاد الرئيس؟ يوم ٨ أو ٩ أكتوبر؟».

كان يوم ٧ أكتوبر هو يوم سباق بين الجيش المصرى والجيش الإسرائيلى استعدادا للمرحلة التالية من المواجهة المرتقبة، دفعت إسرائيل إلى جبهة سيناء بخمسة ألوية مدرعات جديدة، كما دفعت بـ ٣٠٠ دبابة أخرى لتعويض خسائر الألوية والمدرعات الثلاثة التى كانت موجودة أصلا.

فى الوضع السياسى طرحت أمريكا مبادرة وقف إطلاق النار لبدء مفاوضات سلمية، لكن السادات رفض هذا الاقتراح، وكما يقول الفريق أول محمد فوزى وزير الحربية الذى قاد حرب الاستنزاف فى كتابه «حرب أكتوبر ١٩٧٣ دراسة ودروس»: «رفض السادات الاقتراح الأمريكى معززا من الجانب السوفيتى الذى رفض اقتراح عودة القوات المتحاربة إلى خطوط ما قبل بدء القتال».

فى كتابه «أمن مصر القومى» لـ«حافظ إسماعيل»، مستشار الأمن القومى للسادات خلال الحرب، أن السادات أرسل خطابا لوزير الخارجية الأمريكى هنرى كيسنجر يوم ٧ أكتوبر يعلن فيه أن قواتنا المسلحة ملتزمة بعدم تعميق الاشتباكات أو توسيع المواجهة.

٨ أكتوبر عام ١٩١٧
الأمير كمال الدين يكتب لوالده : «أقرر التنازل عن خلافتكم فى حكم سلطنة مصر»

اشتد المرض بالسلطان «حسين كامل» ولزم الفراش، ويئس الأطباء من شفائه، حتى تُوفِّى يوم ٩ أكتوبر ١٩١٧، ومع المرض انشغل السلطان بأمر خلافته، فعرض قبل وفاته على ابنه الوحيد الأمير «كمال الدين» أن يتولى العرش، لكن الابن رفض بشدة فى موقف فاجأ الجميع بمن فيهم والده.

هى واحدة من قصص «عرش مصر» التى يتداخل فيها «الموقف الشخصى» بـ«موقف الاحتلال الإنجليزى»، ويجتمع الموقفان عند حقيقة واحدة وهى: أن حكم مصر منذ بدء الاحتلال عام ١٨٨٢ وحتى الملك فاروق، لم يكن يتم إلا برغبة وموافقة الاحتلال، مهما كان نظام وراثة الحكم داخل أسرة «محمد على».

قبل وفاة السلطان بيوم واحد، فى مثل هذا اليوم «٨ أكتوبر ١٩١٧»، كتب ابنه «كمال الدين» إليه رسالة اعتذاره عن تولِّى العرش قائلا: «ذكَّرتمونى عظمتكم بما اتفقتم عليه مع الحكومة البريطانية الحامية، وقت ارتقاء عظمتكم عرش السلطنة المصرية من تأجيل وضع نظام وراثة العرش السلطانى إلى ما بعد بحثه، وقد تفضلتم عظمتكم فأعربتم عن رغبتكم فى أن تكون وراثة عرش السلطنة المصرية منحصرة فى الأكبر من الأبناء، ثم بعده لأكبر

أبنائه، وهكذا على الترتيب، وإنى لأذكر لعظمتكم هذه المنة الكبرى لما فى هذه الرغبة من التشريف لى، على أنى مع إخلاصى التام لشخصكم الكريم وحكمكم الجليل مقتنع كل الاقتناع بأن بقائى على حالتى الآن يمكّننى من خدمة بلادى بأكثر ما يمكن أن أخدمها به فى حالة أخرى، لذلك أرجو من حسن تعاطفكم أن تأذنوا لى أن أتنازل عن كل حق أو صفة أو دعوى كان من الممكن لى أن أتمسك به فى إرث عرش السلطنة المصـ.ـية بصفتى ابنكم الوحيد، وأنى بهذه الصفة أقرر الآن تنازلى عن جميع ذلك».

هل كان الاحتلال الإنجليزى بعيدا عن هذا الأمر؟

الإجابة تأتى فى كتاب: «فؤاد الأول المعلوم والمجهول» للمؤرخ الدكتور يونان لبيب رزق، ويشير فيه إلى أن وراثة عرش السلطان حسين كامل كانت مطروحة منذ مايو ١٩١٥ بعد نجاة السلطان من محاولة اغتيال، وأبدى «المندوب السامى البريطانى» حينها رغبته فى إقرار تلك القضية، وطرح أن يكون الوريث واحدا من ثلاثة، هم: الأمير كمال الدين، الأمير أحمد فؤاد، وابن عمه الأمير يوسف كمال، غير أن «السلطان حسين» قال للمندوب السامى «مكماهون» إن ابنه عازف عن ذلك، وفى حال إصراره على العزوف فإنه ينصح باختيار أخيه الأمير فؤاد.

قدم المندوب السامى وصفا للشخصيات الثلاث إلى الحكومة البريطانية، وفى أواخر شهر أغسطس عام ١٩١٧ عاد الموضوع ليفرض نفسه بقوة بعد اشتداد المرض على السلطان، وفى ٢١ سبتمبر استقر رأى بريطانيا على اختيار «أحمد فؤاد»، لكنها اشترطت أن يعلن الأمير «كمال الدين حسين» ويكتب وثيقة تنازل عن العرش، حتى لا يبدو أمام المصريين أنه صاحب حق فى الحكم وتم سلبه منه، وقد كان.

٩ أكتوبر عام ١٩٦٧
مصرع جيڤارا فى بوليڤيا بعد حياة عاشها
للثورة والقهوة والدخان والقراءة

«رفع رأسه عاليا ونظر للجميع مباشرة، ولم يسأل عن شيء إلا الدخان»، هكذا وصف جندى بوليڤى شاهد على مقتل «تشى جيفارا» فى مثل هذا اليوم «٩ أكتوبر ١٩٦٧»، لحظات «المناضل الثورى» الأخيرة الذى هز خبر قتله العالم بأسره.

كانت «بوليڤيا» هى مكان هذا الحدث الدرامى، والتى ذهب إليها «جيفارا» ليواصل نضاله عبر أسلوب حرب العصابات لإسقاط حكم رئيسها «رينيه بارينتوس» الذى أمر بقتله بعد القبض عليه بيومين، وذهبت أوامره إلى قطع رأسه لإرسالها إلى كوبا، لكن الإدارة الأمريكية رفضت، فتقرر قطع يده ووضعها فى وعاء يحتوى على سائل ثم إرسالها إلى الرئيس الكوبى ورفيق نضاله «كاسترو».

يقودنا سؤاله عن «الدخان» فى لحظات موته الأخيرة إلى أنه ممن ينطبق عليهم وصف الشاعر محمود درويش للموتى: «الذين يذهبون إلى حتفهم باسمين»، وهو ما يتضح فى نظرته إلى الموت والحياة.

فى كتابه «أحلامى لا تعرف الحدود» يقول: «لا يهم أن يفاجئنا الموت، مرحبا به، شرط أن تُسمع الحرب التى نطلقها»، وفى رسالته الأخيرة لـ«كاسترو»: «إما

أن ينتصر الإنسان إما أن يموت»، وقال لـ«جمال عبدالناصر» فى زيارته إلى مصر عام ١٩٦٥، حسب ما يذكره محمد حسنين هيكل فى كتابه «عبدالناصر والعالم»: «نقطة التحول فى حياة أى إنسان تحل فى اللحظة التى يقرر فيها أن يواجه الموت، فإذا قرر أن يجابه الموت يكون بطلا سواء نجح أم أخفق، إن فى وسع الإنسان أن يكون سياسيا صالحا أو رديئا، ولكن إذا كان لا يستطيع أن يواجه الموت، فإنه لن يكون أكثر من مجرد رجل سياسى».

تنقَّل بين أماكن عدة مناضلا، رحل من بلده الأصلى «الأرجنتين» إلى «كوبا» إلى «الكونغو» إلى «بوليفيا»، وبدأت رحلته بعد بدء تكوينه السياسى وعمره ٢١ عاما عند نهاية المرحلة الأولى من دراسته لـ«الطب»، حيث قام بجولة طويلة على الدراجة البخارية فى شمال قارة أمريكا اللاتينية مع صديق شيوعى أرجنتينى أكبر منه وأكثر تسيسا، ليكتشف الواقع الاجتماعى البائس للقارة، ويوما بعد يوم تكونت أسطورته الثورية، ولأن الأسطورة لا تموت، قوبل خبر موته فى البدء بعدم التصديق.

يقول «فرانسوا ماسبيرو» الكاتب الفرنسى والقريب من «كاسترو» فى مقدمة كتاب «يوميات بوليفيا الكاملة» ترجمة مصطفى الفقير، دار الفارابى، بيروت: «موت التشى قوبل فى البداية بعدم التصديق للقوى التى كانت تتمتع بها أسطورة استحالة النيل منه، كان على كاسترو بالذات أن يعلن النبأ من مذياع راديو «هافانا»، ويدعو الشعب إلى سهرة جنائزية فى ساحة الثورة كى يتأكد المشككون بصحة النبأ، يضيف «فرانسوا»: ظل حتى استشهاده إنسانا يتكون باستمرار وقارئا نهما، ففى عام ١٩٦٥ وفى الأدغال الكونغولية كتب يقول: «الامتياز الوحيد الذى أسمح به لنفسى هو قليل من القهوة وقراءة كتب».

١٠ أكتوبر عام ٦٨٠
بدء معركة كربلاء.. بين الحسين بن علىّ وجيش يزيد بن معاوية

تأهب الحسين بن على رضى الله عنه للسير من مكة للكوفة فى العراق، ألحّ الناس عليه ألا يفعل، خوفا من بأس يزيد بن معاوية، وبطش تابعه ابن زياد، وغدر أهل الكوفة، ونصحه ابن عباس أن يمضى إلى اليمن فيقيم فى شِعْب من شعابها، بعيدا عن يد السلطان، وقريبا من شيعته هناك، لكن الحسين مضى لوجهه ولم يمضِ وحده، وإنما احتمل معه أهل بيته، وفيهم النساء والصبيان، ولم يسمع إلى مشورة ابن عباس الذى أشار عليه إن لم يجد بدا من المسير، أن يترك أهل بيته وادعين آمنين.

هكذا يصف الدكتور طه حسين، فى كتابه «الفتنة الكبرى- على وبنوه»، الحال التى كان عليها ابن بنت رسول الله (ﷺ)، يوم مضى إلى قدره فى معركة كربلاء، التى بدأت فى مثل هذا اليوم «١٠ أكتوبر عام ٦٨٠»، واستمرت ثلاثة أيام، ولازلنا نعيش أصداءها رغم كل هذه القرون التى مضت عليها، فهى التى عمقت الجروح بين «الشيعة» و«السُّنة» على الرغم من القيمة الجليلة لـ«الحسين» لدى الطرفين، وبقائه فى التاريخ الإسلامى رمزا للاستشهاد فى سبيل المبدأ.

رفض «الحسين» إعطاء البيعة لـ«يزيد بن معاوية» كخليفة للمسلمين بعد والده، والتى طلبها معاوية فى حياته، وكان هذا الفعل من معاوية جديدا على المسلمين، يقول عنه الدكتور طه حسين: «لم يأخذ أحد من الخلفاء السابقين

السلطان بالسيف، ولم يورِّث الخلافة أحد بنيه، ولم يقُل ما قاله معاوية ذات يوم بمحضر صعصعة بن صوحان: «الأرض لله، وأنا خليفة الله، فما أخذت فلى، وما تركته للناس فبالفضل منى».

أقام الحسين فى مكة رافضا بيعة يزيد، وبدأت الاتصالات مع أهل الكوفة يطالبونه بالمجىء لكى يكون إمامهم، وخلع يزيد وإخراج عامله «النعمان بن بشير»، فأرسل ابن عمه «مسلم بن عقيل» إلى الكوفة سرا، ليقف على الأمر بنفسه، حتى اكتشف حاكمها «عبد الله بن زياد» الأمر وجىء به إلى قصره، فقتله فى أعلى القصر، وألقى رأسه ثم جسمه إلى الناس.

فى هذه الدراما، سنجد التحذيرات لحفيد رسول الله من تصديق أهل الكوفة، وهى موجودة بكثرة فى كتاب «استشهاد الحسين» للإمام الحافظ ابن كثير، تقديم الدكتور جميل محمد غازى، الصادر عن مطبعة المدنى، ومنها أنه فى طريق الحسين إلى كربلاء، قابله «الفرزدق» فسأله عن أمر الناس وما وراءه، فقال له: «قلوب الناس معك، وسيوفهم مع بنى أمية، والقضاء ينزل من السماء، والله يفعل ما يشاء».

حين اقترب «الحسين» من العراق قابله «الحر بن يزيد» الذى خرج على رأس ألف من الجند بأمر «ابن زياد»، وكانت الأوامر له بأن يحول بين الحسين وبين ذهابه إلى أى أرض، وألا يفارقوه حتى يأتيهم أمره، ولما عرف الأعراب الذين خرجوا ليكونوا مع الحسين بهذا، تفرقوا حيث أيقنوا أنها الحرب التى بدأت فى مثل هذا اليوم.

١١ أكتوبر عام ٦٨٠
الحسين و ٧٢ رجلًا يواصلون القتال ضد ٣ آلاف من بنى أُميَّة

نحن فى اليوم الثانى من معركة كربلاء «١١ أكتوبر ٦٨٠»، بعد أن رفض «ابن زياد» كل ما طلبه «الحسين» حقنًا للدماء، حيث عرض على عمر بن سعد بن أبى وقاص ثلاثة حلول لتجنب القتال، يذكرها طه حسين فى كتابه «الفتنة الكبرى»، أولها أن يخلُّوا بينه وبين طريقه إلى الحجاز ليعود إليه ومن معه، وإما أن يسيِّروه إلى يزيد بن معاوية فى الشام ليكون بينهما ما يكون، وإما أن يخلوا بينه وبين الطريق إلى أى بلد من بلاد المسلمين فيكون فيها جنديًا يرابط بإزاء العدو، له مثل ما لهم من العطاء، وعليه مثل ما عليهم من الجهاد.

رضى «عمر» بشروط «الحسين»، لكنه كتب إلى «ابن زياد» يسأله، فأرسل رده مع «شمر بن ذى الجوشن»، وقال له: أقرئه الكتاب وانظر ما يصنع، فإن نهض لقتال الحسين فأقم معه رقيبًا عليه حتى يفرغ من أمره، وإن أبى أو تثاقل فاضرب عنقه وكن أمير الجيش. ولم يكد عمر بن سعد يقرأ الرسالة حتى نهض للقتال مطالبًا «الحسين» بنزوله على حكم «ابن زياد» فأبى قائلًا: «أما هذه فمن دونها الموت».

زحف «عمر» بجيشه وقوامه ٣ آلاف على الحسين وأصحابه، وكانوا ٧٢ رجلًا فقط، وكان «مسلم بن عوسجة» أول الشهداء، ومشى إليه الحسين فترحم عليه وهو على آخر رمق.

كان أول قتيل من أهل الحسين ولده «علي الأكبر»، ويصف «ابن كثير» لحظة استشهاده لما طعنه «مُرَّة بن منقذ النعمان»، وقطعه الرجال بأسيافهم.. قال الحسين: قتل الله قوما قتلوك يا بني ما أجرأهم على الله وعلى انتهاك محارمه، فعلى الدنيا بعدك العفاء، وخرجت جارية كأنها الشمس حسنًا فقالت: يا أُخيَّاه ويا بْنَ أخيَّاه، فإذا هي «زينب بنت علي من فاطمة»، فأكبت عليه وهو صريع، فجاء الحسين وأخذ بيدها.

سقط الشهداء، أما الحسين- وحسب «ابن كثير»- فتحامل عليه الرجال من كل جانب وهو يجول فيهم بالسيف يمينا وشمالا، وخرجت أخته زينب إليه، وقالت: «ليت السماء تقع على الأرض»، وقالت لعمر بن سعد: «أرضيت أن يقتل أبوعبد الله وأنت تنظر؟» فانحدرت الدموع على لحيته وصرف وجهه عنها، وأمر بألا يُقدِم أحد على قتله حتى نادى شمر بن ذي الجوشن: ماذا تنتظرون بالرجل؟ فاقتلوه ثكلتكم أمهاتكم، فحمل الرجال من كل جانب عليه ليقتله «ابن ذي الجوشن».

ينقل «ابن كثير» عن عبد الله بن عمار قوله: «رأيت الحسين حين اجتمعوا عليه، والله ما رأيت مكثورًا قط قد قتل أولاده وأصحابه أربط جأشًا منه، ولا أمضى جنانًا منه، والله ما رأيت قبله ولا بعده مثله».

يقول طه حسين: «رأى الحسين المحنة كأشنع ما تكون المحن، رأى إخوته وأهل بيته يقتلون بين يديه وفيهم بنوه وبنو أخيه الحسن وبنو عمه، وكان هو آخر من قتل منهم بعد أن تجرع مرارة المحنة فلم يُبْقِ منها شيئًا».

١٢ أكتوبر عام ١٩٠٦
بيت سعد زغلول يزدحم لتكوين لجنة لتبرعات إنشاء الجامعة.. وقرار بتسميتها :«الجامعة المصرية»

ازدحم بيت سعد زغلول بالمدعوين، كانوا من أكابر مصر، خليطا من رجال القضاء والعلم والسياسة، وأصحاب المال والأعمال، ويمكننا تخيل المشهد الذى بدأ بانتظار سعد زغلول «بك» للمدعوين، ثم استقباله لهم تباعا.

كان الاجتماع الذى عُقد فى مثل هذا اليوم «١٢ أكتوبر ١٩٠٦» مخصصا لمناقشة إنشاء الجامعة الأهلية، بعد أن أُثيرت فكرتها على صفحات الصحف، وكانت جريدة «المؤيد» لصاحبها الشيخ «على يوسف» واحدة من هذه الصحف، وتلقفت نداء «مصطفى كامل بك الغمراوى» المنشور فى الصحف، ويدعو للاكتتاب لإقامة الجامعة، وحسب مجلة «أيام مصرية» فى عددها الخاص «الجامعة المصرية ١٠٠ عام» وفى دراسة للكاتبين «أحمد كمالى، وعمر إبراهيم»، دعت «المؤيد» إلى تكوين لجنة تحضيرية من كبار المكتتبين لتنظيم عملية الاكتتاب وتنفيذ المشروع، واستجاب «الغمراوى» للاقتراح، فدعا لعقد اجتماع لتشكيل هذه اللجنة، ووقع الاختيار على أن يكون مكانه فى بيت القاضى «سعد زغلول بك».

فى مذكرات «أحمد شفيق باشا» رئيس الديوان الخديو مع «عباس حلمى الثانى»، يذكر بعض الذين حضروا منهم: قاسم أمين بك، حفنى ناصف

بـك، محمـد فريـد بـك، عـلى فهمـى بـك، حسـن سـعيد بـك، زكريـا نامـق أفنـدى، الشـيخ عبـد العزيـز جاويـش، أحمـد رمـزى بـك، حسـن جمجـوم بـك، حسـين السـيوفى باشـا، محمـد عثمان أباظـة بـك، محمـد راسـم بـك، حسـين أبـو حسـين بـك، محمـود الشيشـينى بـك، محمـد يوسـف بـك، حنفـى بـك، محمـد هاشـم بـك.

يقـول «شـفيق باشـا»: إن الجميـع تشـاوروا فى حماسـة ويقـين، وبلغـت المبالـغ التـى اكتتـب بها الحـاضرون ٤٤٨٥ جنيهـا مصريـا، وقـرروا انتخاب لجنـة تحضيرية مـن حـضرات السـادة «سـعد زغلـول بـك» وكيـلًا، وقاسـم بـك أمـين سـكرتيرًا، وحسـن سـعيد بـك أمينًـا للصنـدوق، ومصطفـى كامـل بـك الغمـراوى، ومحمـد بـك أباظـة، ومحمـد بـك راسـم، وحسـن بـك جمجـوم، وحسـن باشـا السـيوفى، وأخنـوخ أفنـدى فانـوس، وزكريـا نامـق أفنـدى ومحمـود بـك الشيشـينى أعضـاء، كـما قـرر الاجتـماع تسـمية الجامعـة بـ«الجامعـة المصريـة».

ويضيـف «شـفيق باشـا»، أن «أحمـد زكـى بـك» أقنـع «الغمـراوى بـك» بتحويل تبرعـه إلى عقـار لركـود حركـة الاكتتـاب، أمـا التـبرع بعقـارات فهـو أسـاس متـين ودعامـة ثابتـة للمـشروع، فاقتنـع وتـبرع بسـتة أفدنـة فتبعـه الكثـيرون فى ذلـك.

رد فعـل الاحتـلال الإنجليـزى يذكـره «شـفيق باشـا» قائـلاً: إن المـشروع لم يجـد فى بدايتـه هـوىً لـدى المنـدوب السـامى البريطانـى «اللـورد كرومـر»، وهـو الـذى أعلـن فى بدايـة عـام ١٩٠٥، أن مـصر أحـوج إلى التعليـم الأوَّلى مـن التعليـم العـالى، ودعـا إلى إنشـاء الكتاتيـب، فأقـدم بعـض الأعيـان إلى إنشـائها والتوسـع فيهـا، ولا يحتـاج موقـف «كرومـر» إلى التدليـل عـلى أنـه كان ضـد أن يكـون فى مـصر جامعـة، غـير أنـه لما وجـد تصميـم المصريـين عـلى إنجـاز حلمهـم لم يسـتطع المقاومـة.

١٣ أكتوبر عام ١٩٢١
محمد خليل «الجاويش» يقتل «أدهم الشرقاوى»

بعد صلاة كل جمعة فى صيف ١٩٦٢، كان المصريون يستمعون إلى ملحمة «أدهم الشرقاوى» من الإذاعة، بغناء عذب وشجى من المطرب الكبير محمد رشدى: «منين أجيب ناس لمعنات الكلام يتلوه/ شبه المؤيد إذا حفظ العلوم وتلوه/ الحادثة اللى جرت على سبع شرقاوى/ الاسم أدهم لكن اللقب شرقاوى/ مواله أهل البلد جيل بعد جيل غنوه».

قال لى صديقى الراحل محمد رشدى: إن النجاح الهائل للموال دفع عبد الحليم حافظ إلى غنائه فى فيلم «أدهم الشرقاوى» بطولة عبد الله غيث، فمن يكون هذا الاسم تميمة حظ «رشدى»، والمثَل الأعلى للرئيس الراحل أنور السادات حسب قوله فى كتابه «البحث عن الذات»؟

هو الشاب «أدهم عبد الحليم عبد الرحمن الشرقاوى» المولود فى قرية «زبيدة» مركز «إيتاى البارود» محافظة البحيرة ١٨٩٨ أى بعد الاحتلال الإنجليزى بـ«١٧ عاما»، وقُتل فى مثل هذا اليوم «١٣ أكتوبر ١٩٢١»، وكتبت «الأهرام» خبر مقتله بعنوان: «عاقبة البغى.. مقتل شقى كبير»، وفى يوم «١٥ أكتوبر» نشرت تفاصيل مقتله بعنوان: «سلطان الأشقياء ومصرعه».

قالت «الأهرام»: «إن الشقى أدهم الشرقاوى قتل بطلق نارى، واشتهر القتيل بالجرائم والاعتداء على الأنفس والأموال فى بيان النهار وفى الليل، ولم

يسلَم من شره حتى بعض أقاربه»، وأضافت: «يشيعون عن القتيل المذكور حكايات كثيرة، منها أنه يثير الذعر والرعب فى أنحاء مركز إيتاى البارود وكوم حمادة والدلنجات، وأنه حاصل على الشهادة الابتدائية، وترك الدراسة للثأر ممن قتلوا عمه».

وشرحت «الأهرام» أن «الداخلية» وزعت منشورا فيه، أن من يمسك هذا الشقى حيًا أو مقتولاً فله ٣٠٠ جنيه، فقتله محمد خليل الجاويش.

من واقع هذه التغطية الصحفية، فإننا أمام «شقى» حسبما تراه السلطة، وفى بحثى عن الحقيقة بأرشيف الصحف، وجدت مادة متنوعة ما بين اتهامه بـ«البلطجة» وأخرى تراه بطلا، وحسب تحقيق منشور فى مجلة «آخر ساعة» يوم ٩ أكتوبر ١٩٦٣، يتحدث عمه الحاج محمد سلطان الشرقاوى، وسامى «ابن عمه» عنه بوصفه «وطنى» ينصر المظلومين، ودوخ السلطة، وانتقم لعمه محمود الشرقاوى الذى نفاه محمد سعيد باشا رئيس الوزراء إلى الواحات بسبب ثورته ضد الإقطاع.

دخل السجن وقتل فيه «على عبد الرءُوف عيد» قاتل عمه فنال حكما بالمؤبد، لكنه استطاع الهرب بعد ٥ سنوات على أثر الفوضى التى حدثت أثناء ثورة ١٩١٩، وحدثت اشتباكات مع الأمن أثناء هروبه أدت إلى قتل ٨٠ مسجونا.

هكذا تبقى قصة أدهم بين الحقيقة والأسطورة، وأضفى الخيال الشعبى عليها الكثير مثل اتهام صديقه بدران بقتله، كما يذكر الموال، وتلك مشكلة حكى لى محمد رشدى أن بدران الحقيقى هدده برفع قضية على أثرها، وأجرى وقتها الصحفى فاروق عبد السلام (رئيس تحرير مجلة الإذاعة والتليفزيون فيما بعد)، تحقيقا صحفيا استضاف الاثنين فى مصالحة أكدت براءة «بدران».

١٥ أكتوبر عام ١٩٢٦
الحزن يعمُّ القوَّادين والمومسات لوفاة ملكهم «إبراهيم الغربى»

عَمَّ الحزن عالم المومسات والقوادين فى القاهرة، على وفاة زعيمهم «إبراهيم الغربى» فى مثل هذا اليوم «١٥ أكتوبر ١٩٢٦»؛ وذلك أثناء تنفيذه عقوبة بالسجن ٥ سنوات بدأت فى منتصف عام ١٩٢٤، وبلغ الأمر بـ«رسل باشا» قائد البوليس فى القاهرة إلى القول تعليقا على موته: «كان على المومسات، وقد حُرمن من الملك، أن يبحثن عن حُمَاة آخرين الذين بدونهم رغم وحشيتهم، تكون المومس فى كل مكان فى العالم ضائعة وعاجزة».

قصة «الغربى» هى قصة نشاط «البغاء» فى مصر بقوانين منظمة بدأت من نهايات القرن التاسع عشر، وأصبح هذا القادم من «كورسكو مركز الدر بأسوان» ملكها منذ عام ١٨٩٦ حتى رحيله، وكان والده يعمل بتجارة الرقيق المحرمة فى مصر منذ عام ١٨٧٠.

يصفه «رسل باشا»، وفقا لما جاء به كتاب «مجتمع القاهرة السرى ١٩٠٠-١٩٥١» للدكتور عبد الوهاب بكر: «نوبى ضخم الجثة سمين، يجلس كل مساء على مقعد خارج أحد منازله بشارع عبد الخالق واضعا ساقًا على ساق، مرتديا ملابس النساء ومنتقبا بنقاب أبيض، كان هذا الفاسد الكريه يجلس كالصنم الآبنوسى الصامت، ويخرج فى العادة يدا مغطاة بالجواهر ليقبلها أحد المارة من المعجبين، أو معطيا أمرا صامتا لأحد أتباعه من الخدم».

يضيف «رسل»: «كان هذا الرجل سلطة مذهلة، امتد نفوذه فى محيط السياسة والمجتمع الراقى، كان شراء وبيع النساء للمهنة فى كل من القاهرة والأقاليم فى يده كلية، ولم يكن قراره بالنسبة إلى السعر يقبل المناقشة».

تعرض للاعتقال مع عدد من المخنثين المنتشرين بحى الأزبكية عام ١٩١٦، وأفرج عنه عام ١٩١٨، وفى كتابه «البغايا فى مصر - دراسة تاريخية اجتماعية من ١٨٣٤-١٩٤٩» يقول الباحث عماد هلال: «إن القوادين والبغايا نصبوه سلطانا على عالمهم بعد الإفراج عنه، وألبسوه تاجا ذهبيا مرصعا بالألماس والزمرد والياقوت، وتربع على عرش تجارة الدعارة والفسق، وحكم مملكته بدكتاتورية صارمة، وكان يسن قوانينه الخاصة، ويشرف على تنفيذها، ويعاقب من يخالفها.

جعل من أحد بيوته سجنا أحال غرفه إلى زنزانات حقيقية، وكان يحكم فى بعض الحالات بإعدام ضحيته، فيتم رميها فى غرفة تحت الأرض حتى تموت جوعا، واستفحل أمره بعد الحرب «العالمية الأولى»، وأصبح له وكلاء فى عواصم أوروبا يستورد عن طريقهم البغايا من كل الأجناس، وكان يدعو الأجانب للتسلية، ويقيم لهم معرضا للفجور والفحش، يحشر إليه طائفة من الجنسين، يفعلون الفاحشة على طرق متنوعة كأقصى ما وصلت إليه الرذائل، وامتد سلطانه فشمل بغايا مصر كلها».

وحين مات كانت ممتلكاته حسب الدكتور عبد الوهاب بكر: «٥٤ بيتا فى حى باب الشعرية قيمتها وما تحويه ٥٠ ألف جنيه، و١٥٦ سوار ذهب خالص وزمرد وألماس، عدا تاج كان يلبسه فوق رأسه قيمته ثلاثة آلاف جنيه بأسعار وقتئذ، وكسوة للتشريفة كان يرتديها فى الحفلات الرسمية قيمتها ٥٠٠ جنيه، إلى جانب ١٠ آلاف جنيه».

١٦ أكتوبر عام ١٩٣٦
هتلر يستقبل النحاس باشا بحماس أكثر من نصف ساعة

«كانت كلماته حماسية كأنه يخطب فى حفل، ورأيت عينيه تبرقان بريق الغضب كلما جاء ذكر إنجلترا أو فرنسا، وكلما هممت بالانصراف استبقانى حتى طال الحديث أكثر من نصف ساعة، وخرج فودعنى حتى الباب الخارجى»، هكذا يصف «مصطفى باشا النحاس» لقاءه بالزعيم الألمانى النازى هتلر فى مثل هذا اليوم «١٦ أكتوبر ١٩٣٦»، بحضور «مكرم باشا عبيد» وزير المالية، و«جوبلز» وزير إعلام هتلر الشهير.

فى مذكرات «النحاس» تحقيق «أحمد عز الدين»، يشير النحاس إلى أنه كان فى زيارة إلى ألمانيا بدعوة من الجالية المصرية، وفى برلين فوجئ بمندوب الحكومة الألمانية يرحب به باسم حكومته وباسم «هتلر» على الرغم من أن الزيارة ليست رسمية، وحدث السفير المصرى «حسن نشأت النحاس» بأن «هتلر» يرغب فى لقائه، وبالفعل حدث اللقاء.

يقول «النحاس»: «استقبلنى هتلر مرحِّبًا واقفا وقفة عسكرية وشد على يدى بقوة، وبعد أن جلسنا سألنى عن مؤتمر الامتيازات (عقد فى (مونترو) وترأس النحاس الوفد المصرى، وحصل على موافقة بإنهاء الامتيازات الخاصة للأجانب فى مصر)».

يواصل النحاس: «قال هتلر إنه اطَّلع على مناقشات المؤتمر، وأُعجب بصراحتى وشجاعتى، فشكرته، ثم عرَّج على الحالة الدولية وأخذ يشرح لى

ما لاقته ألمانيا من الحلفاء والظلم الذى حاق بها بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، وأفاض فى ذلك».

يضيف النحاس: «خرجت بانطباع أن هذا الشاب الغاضب الثائر لابد أن يجر العالم كله إلى حرب عالمية، ولن تهدأ له ثائرة- حسب ما استنتجت من حديثه- إلا بأن يخوض حربا طاحنة، فإما انتصر وبلغ القمة، وأعاد إلى ألمانيا مجدها وعزها الذى طالما تغنت به وافتخرت، وإما أن يسوقها إلى هاوية لن تخرج منها إلا مهيضة الجناح، مفككة الأوصال».

فى تحقيقه للمذكرات يتحدث «عز الدين» عن الزيارة وأسبابها وما حدث فيها، مستندا إلى الدراسة العلمية: «الأقباط فى السياسة المصرية» للدكتور مصطفى الفقى، ودراسة الدكتورة هدى جمال عبد الناصر: «الرؤية البريطانية للحركة الوطنية المصرية ١٩٣٦-١٩٥٢»، وتتحدث دراسة الفقى، عن أن الزيارة لم تكن للأسباب المعلنة وهى أن صحة «عبيد باشا» متدهورة وذهب إلى برلين لاستشارة طبيب ألمانى، وأن الطبيب ذكر أن عبيد قد يموت فى أى لحظة، ويميل الفقى إلى أن السبب يتعلق بموقف ألمانيا من مؤتمر «مونترو»، أما «هدى عبد الناصر» فتشير إلى اهتمام النحاس وعبيد وهما فى ألمانيا بتنظيمات الشباب النازية، وبتاريخ تنظيم «كتائب العاصفة»، وذلك بسبب جهود الوفد فى تنظيم وتطوير «القمصان الزرقاء».

شهدت الزيارة لقاء النحاس بالخديو المعزول «عباس حلمى الثانى» الذى كان يحاول العودة إلى مصر لاسترداد العرش بعد موت الملك فؤاد، وقدم النحاس تشجيعا لفكرة الخديو رغم أنه أخبر البريطانيين نقيض ذلك، وكان رأى البريطانيين أن هذه العودة لن تكون موضع ترحيبهم.

١٧ أكتوبر عام ١٩١٨
موت الخطيبة البليغة الشاعرة الكاتبة «باحثة البادية»

«قمت بارتداء ثيابى وخرجت قاصدة دار الراحلة، وإذا بنعشها يختصر علينا الطريق، ويقابلنا ملفوفا بالعلم المصرى، وتسير خلفه جماهير المشيعين، وتبعتهم حتى مقرها الأخير حيث واروا التراب ذلك الجسم النشيط، وأغلقوا القبر على شعلة الذكاء المتقدة».

هكذا تتحدث «هدى شعراوى» إحدى رائدات المرأة العربية الحديثة فى مذكراتها عن اليوم الذى خرجت فيه «مَلَك حفنى ناصف» التى اشتهرت بلقب «باحثة البادية» من دارها إلى قبرها، حيث تُوفِّيت فى مثل هذا اليوم «١٧ أكتوبر ١٩١٨».

مرت حياتها كالبرق «٣٢ عاما»، لكنها تركت خلالها أثرا عميقا، فهى لم تعش خلف الستار كما كان مقدرا الحال المرأة فى زمنها، وإنما خرجت إلى براح الحياة، كاتبة، شاعرة، خطيبة بليغة مؤثرة، وكما يقول «طاهر الطناحى» فى كتابه «الساعات الأخيرة»: «كانت تدافع وتناقش عن المرأة وعن حقوقها المهضومة، رائدها فى ذلك الاعتدال، والسير على سُنَّة الدين الحنيف من المبادئ السامية التى تتماشى وحاجة المجتمع وتطوره ورُقيِّه».

ولدت فى شهر ديسمبر ١٨٨٦، وفى سيرتها حسب كتاب «باحثة البادية وعائشة التيمورية» بقلم الآنسة «مى» الصادر عن دار الهلال: تلقت مبادئ العلوم فى مدارس أوَّلية «كتاتيب»، ثم دخلت المدرسة السَّنية فى أكتوبر ١٨٩٣،

وحصلـت منهـا عـلى الشـهادة الابتدائيـة سـنة ١٩٠٠، وهـى أول سـنة تقدمـت منها الفتيـات المصريـات لأداء الامتحـان للحصـول عـلى تلـك الشـهادة، ثـم انتقلـت إلى القسـم العـالى فى المدرسـة المذكـورة وحصلـت عـلى الشـهادة العاليـة «دبلـوم» عـام ١٩٠٣، واشـتغلت بعـد ذلـك بالتعليـم فى المـدارس الأميريـة، وتزوجـت فى ٢٨ مـارس ١٩٠٧ بعبـد السـتار بـك الباسـل، «وجيـه» قبيلـة الرمـاح بالفيـوم وأحـد زعـماء ثـورة ١٩١٩.

كان حصيلـة هـذه المسـيرة التعليميـة وقتئـذ، أنهـا انـبرت تكتـب وتخطـب وتَنظم الشـعر فى الدفـاع عـن حقـوق جنسـها، وعـن حقـوق الرجـال أيضـا، ونظمـت قصيـدة حينـما أعلـن «بطـرس غـالى باشـا» رئيـس الـوزراء إعـادة العمـل بقانـون المطبوعـات الصـادر فى عهـد الخديـو توفيـق الـذى يحـد مـن حريـة الصحافـة، قالـت فيهـا:

«ستسـلبون غـدا أغـلى نفائسـكم   حريـة ضـاع فى تحصيلهـا العمـر

حريـة طالمـا منـوا بهـا كذبـا   عـلى بنى النيـل فى الآفـاق وافتخروا».

تتحـدث «هـدى شـعراوى» فى مذكراتهـا عنهـا، تلخـص مسـيرتها فى كلـمات مختـصرة جاءتهـا حـين تلقـت خـبر وفاتهـا: «إن البـلاد نسـاءها ورجالهـا خسـروا فى نهضتهـم عضـوا مهـما بوفـاة تلـك السـيدة الفاضلـة»، وتصـف حالتهـا حـين تلقـت خـبر رحيلهـا: «فى تلـك اللحظـة انفـردت فى مخيلتـى صفحـة بيضـاء، ذات إطـار أسـود لهـذه السـيدة، وخُيـل إلَّى أننـى أسـمع صـوت باحثـة الباديـة وهـو يـدوى فى قاعـة المؤتمـر الـذى عقـد عـام ١٩١٠ مطالبـا بحقـوق عـشرة للنسـاء، لقـد تجسـم خيالهـا أمـام ناظـرى فى محاضراتهـا بالجامعـة المصريـة تلقـى عـلى أترابهـا دروسـا فى الأخـلاق والواجبـات، ومـرت بخاطـرى مناقشـاتنا فى السـفور والحجـاب فى الاجتماعـات التـى كنـا نعقدهـا قبـل الحـرب، وكانـت تنظـر إلى أقوالنـا ونشـاطنا بابتسـامة ممزوجـة بشـىء مـن الشـك والاسـتغراب».

١٨ أكتوبر عام ١٨٠١
الجنرال مينو يغادر مصر ويقول للمصريين:
«خرجنا نحمل الذكريات القاسية من بلدكم»

«وداعا لمصر، وداعا للمسلمين، خرجنا نحمل الذكريات القاسية من بلدكم الذى يحوى أجمل الآثار، ولنا ذكريات مؤلمة فى الصحراء، ولكن المجد لنا لأننا سببنا لكم القلق وسكبنا الدماء فوق ضفافكم».

كانت هذه هى آخر كلمات الجنرال «مينو» الذى تولى قيادة الحملة الفرنسية على مصر والشام، بعد أن غادر قائدها نابليون مصر عائدا إلى فرنسا، وبعد اغتيال قائدها الثانى «كليبر»، وقالها وقت مغادرة جنود الحملة لمصر نهائيا، وجاءت فى كتاب «الحملة الفرنسية على مصر - مذكرات ضابط من جيش الحملة - هوية» الصادر عن دار الكتب والوثائق القومية.

بين يومَىْ «١٤ و٣٠ سبتمبر ١٨٠١» بدأت السفن التى تقلُّ الجنود والضباط الفرنسيين فى الإقلاع من أبى قير، وحسب كتاب «الحملة الفرنسية وخروج الفرنسيين من مصر» للدكتور محمد فؤاد شكرى: «بلغ عدد السفن التى حملت المصابين بالدوسنتاريا والإسكربوط ١٢ سفينة مستشفى، بينما حملت بقية المرضى سفينتان أخريان، وبعد شهرين تم شفاء المرضى الذين بقوا فى الإسكندرية فاستطاعوا العودة إلى أوطانهم».

أما «مينو» وحسب «فؤاد شكرى»، فنال منه التعب والإجهاد خلال شهور الحصار الطويلة، وما لبث أن وقع فريسة للأمراض، وكان من أسباب

مرضـه أنـه تعـرض إلى أرق طويـل حرمـه النـومَ مـدة طويلـة بسـبب الهواجـس التى انتابتـه، وظهـرت عليـه عـوارض مـرض الطاعـون فشـكا مـن حـدوث «جمـرات» فى رجلـه اليسـرى، واسـتدعى الجـراح «لارى» لعلاجـه، فنصحـه بالمبـادرة بالرحيل لعلـه يسـتفيد مـن هـواء البحـر، فاعتـلى الفرقاطـة «ديانـا» فى مثـل هـذا اليـوم «١٨ أكتوبـر ١٨٠١»، وتحسـنت صحتـه رويـدا رويـدا حتـى وصـل إلى «طولون» وشُـفى مما أصابـه تماما.

صعـود «مينـو» إلى الفرقاطـة حمـل معـه قصتـه مـع زوجتـه «زبيـدة» ابنـة رشـيد التـى تزوجهـا بعـد إشـهار إسـلامه، ويتحـدث «شـكرى» عـن أنـه قبـل رحيلـه دبـر سـفرها وولـده «سـليمان مـراد»، ويقـول إنـه عنـد اسـتيلاء الإنجليـز والعثمانيـين عـلى رشـيد اضطـرت زبيـدة وولدهـا إلى الفـرار مـن رشـيد وصحبهـا أخوهـا «السـيد عـلى»، فأقامـت بعـض الوقـت لـدى أسرتهـا فى بلـدة «فـوة»، وبعـد اسـتيلاء الأتـراك عليهـا فـرت إلى القاهـرة، ونزلـت عنـد الضابـط «ألفـران» أحـد يـاوران «مينـو»، واسـتبد الخـوف بأخيهـا «السـيد عـلى»، ولمـا تـم تسـليم القاهـرة غـادرت مـع الجيـش الفرنسـى المنسـحب منهـا، وكانـت تبغـى الذهـاب إلى جانـب زوجهـا، لكنـه رفـض حتـى لا يُفسـر ذلـك عـلى أنـه اعـتراف منـه بشروط تسـليم القاهـرة، ويلـغ تشـدده برفضـه مقابلتهـا، لكنـه بعـث إليهـا خطابـا يوصيهـا بولـده خـيرا ويطلـب منهـا تنشـئته تنشـئة صالحـة، وكان مـن الصعـب أن تبقـى فى رشـيد بعـد مغـادرة الفرنسـيين مـصر، فطلـب مينـو مـن قائـد الأسـطول الإنجليـزى «اللـورد كيـث» عمـل جـواز مـرور لهـما حتـى يسـتطيعا الإبحـار مـن أبـى قـير، فاسـتجاب وأقلعـت مـع الجيـش الفرنسـى الراحـل عـن مـصر.

١٩ أكتوبر عام ١٩٧٣
استشهاد العقيد «إبراهيم الرفاعى» مع بدء أذان الجمعة

بدأ أذان الجمعة، فسقط البطل العقيد «إبراهيم الرفاعى» بين جنوده وضباطه الذين سارعوا إليه، ليكتشفوا أن شظية من قذائف العدو الإسرائيلى اخترقت صدره، وأصابت قلبه ليصبح شهيدا فى مثل هذا اليوم «١٩ أكتوبر ١٩٧٣».

سالت دماء «الرفاعى» الزكية على تراب أرض مصر التى أعطاها عمره، دون أن يأخذ شيئا، أو يحصد غنيمة إلا سيرته العطرة فى تاريخنا، وفى كتابه «المجموعة ٣٩ قتال- مدد يا رفاعى» للكاتب الصحفى محمد الشافعى، يتناول نشأة هذه المجموعة بقيادة الرفاعى يوم ٢٤ يوليو عام ١٩٦٩ بقرار من اللواء محمد أحمد صادق رئيس المخابرات الحربية، لتنفيذ عمليات خاصة ضد العدو، وواصلت المجموعة عملياتها البطولية حتى ٢٥ أبريل ١٩٧٤.

فى يوم ١٨ أكتوبر وحسب كتاب «المجموعة ٣٩ قتال»، كان «الرفاعى» فى غرفة العمليات أمام الرئيس السادات والمشير أحمد إسماعيل وزير الحربية، وطلبا منه وضع خطة لتدمير المعبر الذى أقامه الجيش الإسرائيلى فى الدفرسوار، فوضع «الرفاعى» خطة بنسفه عن طريق «الضفادع البشرية»، ولما وصل إلى منطقة الجيش الميدانى، وفى مركز قيادته، توصل إلى استحالة تنفيذ خطته، والسبب كما يقول البطل «نبيل عبد الوهاب» أحد «الضفادع» الثمانية المكلفين بالمهمة: «أن العدو الإسرائيلى سيطر على منطقة جنوب الدفرسوار».

فى مركز قيادة الجيش الثانى كانت التعليمات الجديدة من الفريق سعد الدين الشاذلى رئيس أركان الجيش، بضرورة تحرك «الرفاعى» ومجموعته عن طريق «المعاهدة» للوصول إلى موقع تقاطع «سرابيوم» عند قرية «نفيشة»، والتمسك به لمنع قوات العدو من التقدم لاحتلال الإسماعيلية.

احتل الرفاعى ومجموعته مواقعهم، واكتشفت قوات الاستطلاع تقدم مجموعة من دبابات العدو فى اتجاه موقع للصواريخ المضادة للطائرات، فتقدم «الرفاعى» ومعه الرقيب أول مصطفى إبراهيم، والعريف محمد الصادق عويس، والمقاتل شريف عبد العزيز، وهم من أمهر رماة القذائف الصاروخية «آر بى چى ٧»، والمدفع ٨٤ المضاد للدبابات عديم الارتداد، وصعدوا لأعلى نقطة فى الموقع، ليقع الاشتباك وتدمير دبابتين إسرائيليتين، فتوقف «قُول الدبابات»، لكنه واصل إرسال قذائفه فى اتجاه الرفاعى ومجموعته، ليستشهد الرفاعى.

فى رحلة هذا البطل الكثير مما يقال، منذ تخرجه فى الكلية الحربية، حيث لفت أنظار قادته بذكائه وشجاعته الفائقة، وشارك فى حروب ١٩٥٦، واليمن، ويونيه ١٩٦٧، والاستنزاف، وأكتوبر ١٩٧٣.

حدثنى اللواء دكتور «كمال كاسب» وهو أحد ضباط الرعيل الأول فى سلاح الصاعقة عنه، قائلا: «خدمت معه لفترة فى ستينيات القرن الماضى، وكنت ملازما أول، وهو نقيب، وشارك فى بناء أول قوة للصاعقة المصرية، التى أصبح فتاها الذهبى وأسطورة الجيش المصرى، وفيما بعد كنت فى فرقة أخرى غير فرقته، لكننى كنت أشاهده، وهو يعبر لعمليات خاصة ضد العدو، وكلما كانت تقع عملية تهز قلب الجيش الإسرائيلى كنا نعرف أنها عملية لـ«الرفاعى»».

٢٠ أكتوبر عاعم ١٨٢٧
تدمير الأسطول المصرى فى «ناڤارين»
ومحمد على يتلقى خبر الكارثة من ابنه إبراهيم

ظـل محمـد عـلى باشـا رزينـا، لم يـترك شـيئا يظهـر عليـه عنـد سماعه أنبـاء الكارثـة، حملـت سـفينة حربيـة صغـيرة أخبـار تدمـير الأسـطول العثمانـى والمـصرى فى «ناڤاريـن» إليـه فى مثـل هـذا اليـوم «٢٠ أكتوبـر ١٨٢٧»، وعنـد قراءتـه لرسـالة ابنـه «إبراهيـم باشـا» حاملـة هـذا النبـأ الكارثـى، اكتفـى بالقـول بكثـير مـن البرود: «كنـت أتوقـع أن مثـل هـذه المواجهـة لا مفـر منهـا».

يتحـدث كتـاب «الفرعـون الأخـير - محمد عـلى» لـ«جيلـبرت سـينويه» بالتفصيل عـن وقائـع هـذا اليـوم قائـلا: إنـه عنـد طلـوع النهـار لم يتبـقَّ مـن أسـطول محمـد عـلى الرائـع، الـذى كان بالأمـس فقـط يسـبح فى المرسـى، إلا الفرقاطـة «اللبـوة» وخمـس سـفن حربيـة صغـيرة، وثـلاث مراكـب، وأربـع سـفن شراعيـة طافيـة فى المـاء، فى حـين تـم القضـاء عـلى الباقـى سـواء حرقـا أو غرقـا فى الشـاطئ، ويضيـف «سـينويه»، أنـه لم يكـن هنـاك مـن سـبيل لمعرفـة إجمـالى عـدد الموتـى والجرحـى، وتـم الحديـث فى تلـك الأثنـاء عـن عشريـن ألفـا غـير أن الأسـطول بكاملـه عـلى أكثـر تقديـر كان يتكـون مـن ١٩ ألفًـا إلى عشريـن ألفًـا، منهـم الطواقـم العاملـة فيـه، وقرابـة أربعـة آلاف جنـدى.

ويـرى «سـينويه» أن ثلاثـة الآف التـى أعلـن عنهـا أحـد الضبـاط المصريـين تبقـى الأكثـر قبـولا، فى حـين تـم الإعـلان عـن خسـائر الحلفـاء بواقـع ٦٥٤ بـين قتيـل وجريـح، موزعـة بـين ٢٧٢ إنجليزيـا و١٨٤ فرنسـيا و١٨٩ روسـيًا.

يأتـى السـؤال: لمـاذا ذهـب «محمـد عـلى» إلى اليونـان ليواجـه هـذه الموقعـة؟ والإجابـة يقدمهـا «سـينويه»: «كانـت اليونـان تعيـش تحـت الحـذاء التركـى منـذ مـا يقـرب مـن قرنـين، وفى يـوم ٢٥ مـارس ١٨٢١ بـدأت الحـرب الوطنيـة اليونانيـة ضـد الأتـراك، وفى مـارس ١٨٢٣ اتجـه السـلطان العثمانـى إلى بطلـه الجديـد «محمـد عـلى» ليكلفـه بالقضـاء عـلى الثـورة اليونانيـة.

هيـأ محمـد عـلى جيشـا اسـتجابة للسـلطان العثمانـى، وجعـل مـن ابنـه «إبراهيـم باشـا» قائـده، ويـرى الدكتـور محمـد عبـد السـتار البـدرى، فى كتابـه «المواجهـة الأوروبيـة فى عهـد محمـد عـلى»، أن مطلـب السـلطان العثمانـى اتفـق مـع أهـداف محمـد عـلى الراميـة لتحويـل شرق البحـر المتوسـط إلى بحـيرة مصريـة بعـد أن خطـط لضـم سـوريا إلى ممتلكاتـه فى فـترة لاحقـة، ويضيـف: «فى الواقـع أن محمـد عـلى لم يكـن ضـد الثـورة اليونانيـة، بـل إنـه سـمح لمنظماتهـا السريـة للعمـل فى مصـر، غـير أنـه لم يكـن مسـتعدا للتضحيـة بأحـلام إمبراطوريـة مصريـة مـن أجـل مشـاعره نحـو القوميـة اليونانيـة».

اسـتطاع «إبراهيـم باشـا» أن يحقـق النـصر وراء الآخـر، كان وقتهـا ابـن «٣٧ عامًـا» ويعيـش حيـاة معتدلـة ومنظمـة فى خيمتـه البسـيطة بمعسـكره، ويدخـن دائـما ويتنـاول القهـوة كثـيرًا، وذلـك حسـب وصـف الدكتـور محمـد أحمـد حسـونة أسـتاذ التاريـخ بجامعـة فـؤاد الأول فى بحثـه «إبراهيـم باشـا فى بـلاد اليونـان» فى كتـاب «ذكـرى البطـل الفاتـح إبراهيـم باشـا» المنشـور عـام ١٩٤٨، غـير أن انتصاراتـه تـم وقفهـا فى «نافاريـن» بتحالـف أوروبـى لوقـف طمـوح والـده.

٢١ أكتوبر عام ١٩٦٧
مصر تدمر «المدمرة إيلات» فى عملية غير مسبوقة فى تاريخ الحروب البحرية

«انتقلت إلى مكتب العقيد عادل هاشم حيث البلاغات من قاعدة بورسعيد كانت متلاحقة، تنساب كما تنساب الأنغام العذبة فى سيمفونية جميلة، صاروخ نمرة واحد طلع، نمرة واحد أصاب الهدف، صاروخ نمرة اتنين طلع، نمرة اتنين أصاب الهدف، الهدف تحطم، هكذا فى دقائق معدودات تحطمت أكبر وحدة بحرية إسرائيلية، لقد غرقت مدمرتهم إيلات، لقد أهنَّا كبرياءهم وجدعنا أنفهم، وعلى الفور أمرت بإعادة اللنشين إلى القاعدة، الأول بعد أن أطلق صواريخه والثانى محمل بالصواريخ، وعاد اللنشان بعد أن استُقبلا استقبالا حماسيا رائعا من أهالى بورسعيد، كانوا يهللون ويمجدون أبطال البحرية المصرية الشجعان، فقد رأوا كل ما حدث رؤية العين، فلم يكن الظلام قد أقبل إلا بعد أن دخلت اللنشات رصيف القاعدة».

هكذا يتحدث اللواء بحرى محمود فهمى قائد القوات البحرية الأسبق ورئيس عملياتها وقت معركة تدمير «إيلات» فى كتابه «صفحات من التاريخ»، عن البطولة التى تمت فى مثل هذا اليوم «٢١ أكتوبر ١٩٦٧»، أى بعد نحو أربعة أشهر من نكسة ٥ يونيه.

الفرحة التى يتحدث عنها اللواء فهمى كانت تعبيرا وتأكيدا أن مصر أفاقت سريعا من كبوتها، وكانت تطورا نوعيا فى قدرة القوات البحرية

المصرية، فهى العملية الأولى فى تاريخ المعارك البحرية التى تتم بإغراق مدمرة بصاروخ من لنش صغير يحمل أبطال العملية بقيادة البطل النقيب بحرى أحمد شاكر عبد الواحد، وأدت إلى خسارة إسرائيل لنحو ٣٠٠ ضابط وجندى من سلاحها البحرى.

فى كتابه «حكاية المجموعة ٣٩ قتال» يسرد المؤلف محمد الشافعى وقائع العملية، مشيرا إلى أنها تمت بلنشات الصواريخ لأول مرة فى معركة حربية من هذا النوع، وكانت لنشات صغيرة، وفى كل لنش ٢٠ فردا وصاروخان، وتحرك لنشان من قاعدة بورسعيد، يقود النقيب أحمد شاكر ومعه ملازم أول حسن حسنى اللنش الأول، والثانى يقوده النقيب لطفى جاد الله ومعه ملازم أول ممدوح منيع، وكان النقيب أحمد شاكر هو قائد التشكيل.

بعد الوصول إلى نقطة محددة أطلق «شاكر» الصاروخين فأصابا المدمرة، ثم أطلق النقيب لطفى جاد الله صاروخين. ووفقا لعملية بحث دقيقة أجراها «أحمد عبد المنعم زايد» ومنشورة على «صفحة المجموعة ٧٣ مؤرخين»، فإن صاروخَىْ «جاد الله» أصابا مدمرة أخرى هى «مدمرة يافا»، ويستند فى ذلك إلى مراجع مهمة منها كتاب اللواء محمود فهمى ووثائق بريطانية.

غير أن تدمير «مدمرة يافا» جرى إهمال الحديث عنه لأسباب متعددة، وتعمدت إسرائيل عدم الإعلان عنه، لكن، وكما يقول فهمى: «لو لم يتم غرق المدمرة يافا، فلماذا لم تقدم إسرائيل الدليل؟ لماذا لم تعقد مؤتمرا صحفيا عليها مثلا؟».

ظلت المدمرة إيلات غارقة قبالة شواطى بورسعيد، حتى تم تكليف «إبراهيم الرفاعى» بالبحث فيها عن أى أجهزة أو خرائط، وهو ما نفذه بالفعل بالغطس إليها عدة مرات فى الفترة من ١٥ فبراير ١٩٦٨ إلى ٢٣ فبراير، وكان معه النقيب محمد عالى نصر.

٢٢ أكتوبر عام ١٧٩٨
بونابرت يأمر باقتحام الجامع الأزهر
وقتل ثوار ثورة القاهرة الأولى بـ«حد السُّنْك»

نقل رجال المخابرات العسكرية إلى نابليون بونابرت أن المصريين يتدفقون على العاصمة من البلاد المجاورة لها، وينضمون إلى الثوار، فوجَّه بعض قواته إلى أطراف المدينة لمنع دخول أحد من خارجها، ونجحت القوات الفرنسية فى صد حشود كبيرة من الأهالى، كانوا فى طريقهم إلى القاهرة فى ضحى مثل هذا اليوم «٢٢ أكتوبر ١٧٩٨».

كانت القاهرة تشهد ثورة عارمة ضد الاحتلال الفرنسى، وهى الثورة المعروفة تاريخيًا بـ«ثورة القاهرة الأولى»، وفى تفاصيلها أنها اندلعت يوم ٢١ أكتوبر، وبدأت بنزول أحد المشايخ الصغار، وكان من مشايخ الأزهر، مناديًا فى المدينة: «كل مؤمن موحد بالله عليه بجامع الأزهر، لأن اليوم ينبغى لنا أن نغازى فى الكفار».

فى التفاصيل التى يأتى بها الجبرتى، ومؤلفات مهمة أخرى منها كتاب «بونابرت فى مصر» لـ«ج. كريستوفر هيرولد»، نرى تحالف التجار مع الأئمة وطلاب الأزهر والأولياء والفقراء والمكفوفين والمتسولين، ونرى بعض رجال الدين الذين استطاع «نابليون» استمالتهم، ليكون المشهد مقسما بين «ثوار» و«مصلحين» و«خونة».

فى ضحى يوم ٢٢ أكتوبر، وكما يأتى فى الجزء الثانى من كتاب «الأزهر جامع وجامعة» للدكتور عبد العزيز محمد المنشاوى، سعى مشايخ الأزهر أعضاء الديوان الذى كونه «نابليون» من قبل ليكون مجلسا لـ«الشورى» ليقابلوا «بونابرت» والتمسوا منه إصدار أمر بوقف القتال، وكانت مقابلته لهم فاترة وجافة وحمَّلهم مسئولية ما يحدث، وتظاهر برغبته فى وقف القتال، وطلب منهم الاتصال بزعماء الثورة فى الأزهر لإلقاء السلاح كشرط أساسى للتوقف عن ضرب المدينة، ولما ذهب أعضاء الديوان إلى الأزهر، رفض الثوار أن يسمحوا لهم بدخول الجامع أو حتى تخطِّى المتاريس المقامة فى مداخل الشوارع والأزقة المؤدية إلى الجامع ففشلت وساطتهم.

أعطى بونابرت أوامره بسرعة اتخاذ أعنف الوسائل لسحق الثورة بقصف الجامع بالمدفعية، وقتل الثوار، وإحراق المنازل، واحتلال الجامع بالجنود، وشملت أوامر «نابليون» العسكرية «قتل كل مسلح فى الشوارع وأن يكون القتل بحد السُّنْك»، ويصف «الجبرتى» تنفيذ أوامر «بونابرت» قائلا: «دخلوا إلى الجامع الأزهر وهم راكبون الخيل، وبينهم المشاة كالوعول، وتفرقوا بصحنه ومقصوراته، وربطوا خيولهم بقبلته، وعاثوا بالأروقة والحارات، وكسروا القناديل والسهارات وهشموا خزائن الطلبة، والمجاورين والكتبة ونهبوا ما وجدوه من المتاع والأوانى».

يروى «كرويستوفر هيرولد» فى «بونابرت فى مصر» قصة ذات مغزًى حدثت أثناء اقتحام الفرنسيين للأزهر، فبينما كان الاقتحام يجرى، رأى الناس شخصًا غريبًا يتسلل خارجًا من الأزهر، هو كهل فرنسى بدين يلبس رداء يخفى بين ثناياه شيئًا ضخمًا، كان يتعقب الفرسان ورُمَاة القنابل وجثث القتلى، فلما وصل إلى مقر القيادة أثار ظهوره الدهشة، ذلك أن الرجل كان المواطن «مارسيل» المستعرب والمشرف على المطبعة، وأخرج من تحت ردائه مخطوطا رائعا للقرآن الكريم يرجع تاريخه إلى القرن الثالث عشر، استنقذه من ثورة غضب الفرنسيين المدمرة.

٢٣ أكتوبر عام ١٧٩٨
نابليون يقطع رءُوس الثوار ويلقى بكل جثة دون رأسها فى النيل

حين حل الظلام على القاهرة فى اليوم الثانى لثورة القاهرة الأولى ضد الفرنسيين، توقف القتال، وبلغت الخسائر «٥٠٠ فرنسى» ومن «ألفين إلى ثلاثة آلاف» فى صفوف الثوار، وذلك حسب تقدير كتاب «بونابرت فى مصر» لمؤلفه «ج. كريستوفر هيرولد».

فى اليوم الثالث الذى يوافق مثل هذا اليوم «٢٣ أكتوبر ١٧٩٨»، تعاظمت رغبة «نابليون» فى الانتقام من «الأزهر»، فأمر بهدم «الجامع» فى أثناء الليل، وذلك بتحطيم بعض الأعمدة فيه إذا كان ذلك ممكنا، وحسب الجزء الثانى من كتاب «الأزهر جامع وجامعة» للدكتور «عبد العزيز محمد المنشاوى»: «تضمن الأمر إنشاء نقطة مراقبة قوية فى الجامع، وتنظيم دوريات فى الحى، وهدم المتاريس والأبواب التى تسد الشوارع، حتى تكون المواصلات مفتوحة بين الأزهر والقلعة، وسائر مراكز تجمعات الجيش الفرنسى».

أصدر «نابليون» أمرا آخر وهو، قطع رءُوس جميع المعتقلين الذين تم القبض عليهم ومعهم أسلحة، وإلقاء جثثهم بدون رءُوس فى النيل فى المنطقة الواقعة بين بولاق ومصر القديمة، ويقول «المنشاوى» إنه من الملاحظ أن

الفرنسيين كانوا يحرصون على إلقاء الجثث بدون رءوس فى النيل، حتى يتعذر التعرف على أصحابها إذا طفت الجثث فى يوم ما على سطح النيل.

فى مذكراته التى كتبها وهو فى منفاه بـ«سانت هيلانة»، وحسب ما ينقله عنها كتاب «الأزهر جامع وجامعة»، يقر «نابليون»: «قبضت السلطات الفرنسية على ثمانين شخصا»، وقال عنهم إنهم من بين مائة عضو كانوا يشكلون مجلس الثورة، وتم القبض عليهم ليلا، وفى السادسة من صباح ٢٤ أكتوبر قضت محكمة عسكرية بإعدامهم جميعا، تأسيسا على أنهم أعضاء فى مجلس الثورة، وكان هؤلاء غير المعتقلين الذين أمر نابليون بقطع رءوسهم ورميهم فى النيل.

اللافت أن حكم المحكمة العسكرية جاء فى نفس اليوم الذى استقبل فيه «نابليون» فى قصره شيوخ الأزهر وأئمته «أعضاء الديوان»، ولم يتخلف عن الحضور سوى الشيخ السادات الذى تحجج بمرضه.

يذكر «نابليون» فى مذكراته وقائع مثيرة عن هذا اللقاء قائلًا: «شيوخ الأزهر الذين حضروا، كانت تبدو عليهم سيماء الرجال المذنبين الذين عذبهم القلق»، ويضيف: «قلت لهم أعرف أن كثيرين منكم كانوا ضعافا، ولكننى أميل إلى الاعتقاد بأن أحدا منكم ليس مذنبا»، وزاد فى قوله: «أمقت مقتا شديدا إثارة الفتن ونكران الجميل، ولا أريد أن يمر يوم واحد على مدينة القاهرة دون أن تقام فى مساجدها شعائر الصلاة كالمعتاد، والدم الذى أُريق فيه الكفاية، وكتب الأزهر المقدسة ستُرد».

يصف نابليون رد الفعل: «خرّ الشيوخ على ركبهم وقبلوا الكتب الدينية التى رُدَّت إليهم»، ويقول «المنشاوى» فى كتابه «الأزهر جامع وجامعة»: ذهب المشايخ إلى الجامع ودخل معهم الجماهير ورفعوا منه الجثث، وبعد أن تم تنظيفه صعد الشيخ عبد الله الشرقاوى المنبر وخطب، ونقل إليهم تصريحات «بونابرت».

٢٤ أكتوبر عام ١٢٦٠

بيبرس يقتل قطز فى «الجعافرة» بالشرقية.. والحزن يعمُّ القاهرة

«تزينت القاهرة لقدوم الملك المظفَّر قطز، والناس فى فرح ومسرات بقتل التتار، فلما طلع النهار نادى المنادى فى الناس: «ترحموا على الملك المظفر، وادعوا لسلطانكم الملك القاهر ركن الدين بيبرس، فغم الناس ذلك».

هكذا لخص تقى الدين المقريزى طريقة إبلاغ الناس بمقتل «سيف الدين قطز» الذى ارتفع إلى المجد بانتصاره على التتار فى عين جالوت.

يذكر المؤرخ الدكتور قاسم عبده قاسم فى كتابه «عصر سلاطين المماليك- التاريخ السياسى والاجتماعى»، أن المشهد الذى ذكره «المقريزى» كان هو الأخير فى قصة بطل «عين جالوت»، ويضيف قاسم: «يبدو للناظر فى كتب التاريخ التى حفظت لنا هذه القصة أن سيف الدين قطز جاء لأداء مهمة تاريخية محددة، فما إن أنجزها حتى توارى عن مسرح التاريخ بعد أن جذب الانتباه والإعجاب الذى جعل دوره التاريخى على الرغم من قصر فترته الزمنية كبيرًا وباقيًا».

قاد النصر على التتار فى «عين جالوت»، وبقى لفترة فى بلاد الشام لترتيب الأمور، ثم خرج من دمشق عائدًا إلى مصر، ولما وصل إلى بلد القصير، وهى الآن «الجعافرة مركز فاقوس - الشرقية»، بقى مع عدد من خواصه ورحل بقية الجيش إلى الصالحية، وفيها أُقيم الدهليز السلطانى والخيمة السلطانية،

وفى الوقت نفسه بلغت مسامع الأمير «ركن الدين بيبرس البندقدارى» أنباء عن أن قطز يُضْمر له السوء فبالغ فى الحرص والحذر، وبات الغريمان يتربص كل منهما بالآخر.

فى رواية «المقريزى» عن قصة مقتل «قطز» ويرجحها الدكتور قاسم أن قطز حين اقترب من الصالحية، انحرف فى مسيره عن الدرب للصيد ومعه الأمراء، فلما فرغ من صيده وعاد، طلب منه الأمير بيبرس امرأة من سبى التتار فأنعم بها عليه، فأخذ يد السلطان ليقبلها، وكانت إشارة بينه وبين الأمراء، فبدره الأمير «بدر الدين بكتوت» بالسيف، واختطفه الأمير «أنس» وألقاه عن فرسه، ورماه الأمير «بهادر المعزى» بسهم أتى على روحه، ودُفن بالقصير «الجعافرة»، وفيما بعد تم حمله إلى القاهرة، فدفن بالقرب من زاوية الشيخ «تقى الدين»، ثم نقله الحاج قطز الظاهرى إلى القرافة، وتم دفنه بالقرب من زاوية «ابن عبود».

يظل قطز «المقتول»، و«بيبرس» بطلين فى تاريخنا، لكن هذه الدراما التاريخية والإنسانية بين البطلين تطرح السؤال: «كيف نضع هذه الجريمة فى ميزان التاريخ؟».

يقدم قاسم عبده قاسم إجابة لافتة قائلًا: إن البناء السياسى لدولة سلاطين المماليك قام تطبيقا لمبدأ «الحكم لمن غلب»، وكان طبيعيا أن يفكر الأمير بيبرس فى إزاحة قطز من طريقه صوب العرش، ويرجح «قاسم» أن بيبرس ظن أنه الأحق بالعرش من قطز، لاسيما أنه صاحب دور كبير فى هزيمة الصليبيين بقيادة لويس التاسع فى المنصورة، ولعب دورًا كبيرًا فى هزيمة التتار فى عين جالوت، وكان بيبرس ابن عصره، وتلك هى الأفكار التى كانت سائدة وقتئذ.

٢٥ أكتوبر عام ١٩١٣
وفاة الشيخ على يوسف رائد الصحافة
وجليس الخديو عباس الثانى

حين تلقَّى الزعيم الوطنى محمد فريد خبر وفاة الشيخ على يوسف بداء القلب، كتب يقول: «انهدَّ ركن النفاق والذبذبة»، وكتب كلاما عنيفا فى مذكراته ضد «يوسف» صاحب جريدة «المؤيد» و«جليس» الخديو «عباس حلمى الثانى».

يقول «فريد» فى مذكراته المنشورة ضمن كتاب «مواقف حاسمة فى تاريخ القومية العربية، المجلد الثانى» تأليف محمد صبيح: «نشأ فقيرا حقيرا فى بلصفورة بصعيد مصر، وتعلم شيئا قليلا بالأزهر، وسار وطنيا خديويا، وكنا كلنا معه، ثم لما أثرى قليلا، وظهر اسمه أخذ يزاحم مصطفى كامل عند الخديو، ويعاكسه بعدم نشر مقالاته التى كان يرسلها من أوروبا على يدى، وأخيرا قررنا إنشاء جريدة وطنية خالصة (اللواء) لنتخلص من معاكساته، وظهر العدد الأول فى مارس ١٨٩٩».

واللافت أن مذكرات «فريد» لا تخلو من العنف ضد الكثيرين، إلا أنها فيما يتعلق بـ«على يوسف» تطرح السؤال: «لماذا؟».

فى قصة حياة «على يوسف» الذى تُوفِّى فى مثل هذا اليوم «٢٥ أكتوبر ١٩١٣»، محطات عديدة، فهو من رواد الصحافة المصرية، حيث أسس مجلة

الآذاب، وكتب محمد فريد فيها بين عامَىْ ١٨٨٧ و١٨٨٨ باسم مستعار، ويعترف في مذكراته، بأنه كتب بتوقيع «م. ف»، لأن والده كان ينهاه عن الكتابة في الصحف والاشتغال في السياسة، ثم شارك في إصدار «المؤيد» قبل أن تتحول إلى ملكيته كجريدة وطنية تواجه جريدة «المقطم» لسان حال الاحتلال الإنجليزي، ودعا لإنشاء الجامعة المصرية والهلال الأحمر، وأسس حزب الإصلاح عام ١٩٠٦، وفي حياته أيضا قصة زواجه الشهيرة من «صفية السادات» التي عقد عليها دون علم والدها، فرفع الوالد قضية أمام المحاكم الشرعية، وحكمت بالتفريق بينهما، لكنه و«صفية» لم يستسلما، وواصلت المحكمة نظرها حتى انتهت بحل يرضي الشيخ السادات بعقد قران جديد.

يمكن القول إن علاقة علي يوسف بالخديو عباس الثاني هي التي عكست كل مواقف «الشيخ»، وهي التي أسست للنظرة السياسية له من الآخرين وقتئذ، ومن ضمن هؤلاء «الحزب الوطني» الذي أسسه مصطفى كامل وبعد وفاته «١٩٠٨» قاده محمد فريد.

والمعروف أن «عباس» بدأ حكمه بتبنِّي خط وطني مقاوم للاحتلال، وحشد من حوله رجالا على نفس خطه وكان من بينهم مصطفى كامل ومحمد فريد وعلي يوسف وآخرون، غير أن الأحوال تغيرت، حين تغيرت سياسة الخديو إلى المهادنة مع الاحتلال، وفي دراسته «الشيخ علي يوسف وجريدة المؤيد» للدكتور سليمان صالح الصادرة عن الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة «تاريخ المصريين»، يتحدث عن أن «عباس حلمي الثاني» توقف تماما عن مقاومة الاحتلال، وأنه بعد زيارته إلى لندن في يونيه ١٩٠٩، ومع الحفاوة التي لقيها صرح بأنه أصبح يفهم الإنجليز أكثر مما مضى، وأشار إلى احترامه لكرومر «المعتمد البريطاني» في مصر والتفاهم معه.

أحدث هذا الموقف انشقاقا في الجبهة الملتفة حول الخديو، حيث ابتعد «مصطفى كامل» و«محمد فريد» عنه، لكن علي يوسف استمر في تأييده.

٢٦ أكتوبر عام ١٩٥٤
جماعة الإخوان تفشل فى اغتيال جمال عبد الناصر فى ميدان المنشية بالإسكندرية

«أيها الشعب، أيها الرجال الأحرار، جمال عبد الناصر من دمكم، ودمى لكم، سأعيش من أجلكم، وسأموت فى خدمتكم، سأعيش لأناضل من أجل حريتكم وكرامتكم، أيها الرجال الأحرار، أيها الرجال، حتى لو قتلونى فقد وضعت فيكم العزة، فدعوهم ليقتلونى الآن، فقد غرست فى هذه الأمة الحرية والعزة والكرامة، فى سبيل مصر وفى سبيل حرية مصر سأحيا، وفى خدمة مصر سأموت».

هكذا ارتجل جمال عبد الناصر كلماته بعد إطلاق الرصاص عليه من «محمود عبد اللطيف» عضو جماعة الإخوان، فى مثل هذا اليوم «٢٦ أكتوبر ١٩٥٤» فى ميدان المنشية بمدينة الإسكندرية.

كان الآلاف يحتشدون للاستماع إلى خطاب «عبدالناصر»، وتناول توقيع اتفاقية الجلاء بين مصر وبريطانيا، وبمقتضاها سيحمل الاحتلال عصاه ويرحل بعد احتلال بدأ منذ عام ١٨٨٢، وبينما يتابع المصريون والعالم الخطاب، أطلق «عبد اللطيف» رصاصاته من مسدس «ألبرتا» أمده به «هنداوى دوير» عضو الجماعة لتنفيذ العملية.

كان المشهد، وحسب تعبير محمد حسنين هيكل فى كتابه «ملفات السويس»: «صورة للشجاعة الإنسانية، وكان تأثيره على الجماهير قويا وعميقا»، وللتدليل

على ما يذكره هيكل، أذكر فى لقاءات متعددة لى مع الشاعر الغنائى الكبير الراحل أحمد شفيق كامل (مؤلف العديد من الأغانى الوطنية الخالدة بصوت عبدالحليم حافظ ورحل عام ٢٠٠٨)، قوله لى، إنه ظل فى موقف المحايد من ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢، حتى وقع حادث المنشية: «يومها أحببت عبد الناصر بلا حدود، ولم يغادرنى هذا الحب أبدا».

كان الحادث تتويجا لفصول من الخلافات بين عبدالناصر والجماعة، وفيها الكثير مما يقال، غير أنه وقبل تنفيذ هذه المحاولة الفاشلة أعلنت «الجماعة» رفضها لاتفاقية الجلاء، وشنت حملة هجومية ضارية ضد عبدالناصر، وصلت إلى حد سفر عضو مكتب الإرشاد عبدالحكيم عابدين إلى سوريا لتقوم «الجماعة» فيها بالهجوم، وزعمت أن «عبدالناصر» قابل رجالا من إسرائيل فى سياحة بحرية له.

يظل هذا الحادث دالا على طريقة إدارتهم للخلاف مع معارضيهم، والبلوغ به إلى العنف فى مراحل معينة، كما حدث قبل ثورة يوليو باغتيالهم النقراشى باشا رئيس الوزراء، والقاضى المستشار أحمد الخازندار، غير أن المثير فى هذه القصة هو زعمهم بأنها تمثيلية دبرها «عبدالناصر» للتخلص منهم، وبدأ هذا الترويج منذ سبعينيات القرن الماضى مع حملة الهجوم الضارية على عبدالناصر، غير أن قيادات منهم اعترفت فيها بعد، فمؤرخهم «أحمد رائف» قال فى حوار له مع سمير العركى أحد قيادات الجماعة الإسلامية، ونشره موقع الجماعة فى سبتمبر ٢٠٠٨، أن الحادث حقيقى، وأن عبداللطيف تلقى المسدس من «هنداوى دوير»، وفى يوم التنفيذ وصلت معلومات بالمخطط إلى قيادات الإخوان، لكنهم فشلوا فى وقفه، وقال فريد عبدالخالق أحد قيادات الرعيل الأول مع حسن البنا، إن الحادث صحيح لكنه تحرك فردى من بعض رجال الإخوان.

٢٧ أكتوبر عام ١٩٥٥
عبد الناصر وفيصل يوقّعان اتفاقية للدفاع المشترك

أرادت بريطانيا أن تضرب مصر، فاستدارت إلى السعودية، أزعجتها التحولات التى يقودها جمال عبدالناصر فى المنطقة، فقررت أن تواجهه فى الخارج لأن الداخل أصبح مستعصيا.

فى يوم «٢٦ أكتوبر ١٩٥٥»، فوجئت المنطقة بقوات بريطانية تتقدم من «مسقط» وتحتل واحة «البوريمى» المتنازَع عليها على خطوط الحدود المائعة بين الإمارات العربية والسعودية، كانت مصر هى المقصودة بالحدث، حيث كانت السعودية وسوريا أهم حلفائها وقتئذ، والقصة يرويها محمد حسنين هيكل فى كتابه «ملفات السويس».

وقّعت مصر فى منتصف شهر سبتمبر ١٩٥٥ اتفاقية صفقة الأسلحة المصرية السوفيتية، وهى الصفقة التى كسرت احتكار السلاح الغربى للمنطقة، وأثارت وقتها ردود فعل دولية هائلة، وكان «أنتونى إيدن» رئيس الوزراء البريطانى ممن شغلتهم هذه القضية، وحسب «هيكل»، طلب إيدن من رئيس هيئة أركان حرب الدفاع الإمبراطورى المارشال «تمبلر» دراسة الآثار المترتبة عليها، فكتب إليه «تمبلر»: «تسليح الجيش المصرى على هذا النحو سوف يُحدث خللا فى موازين الشرق والقوى الإقليمية، وسوف يمكّن مصر من ممارسة دور أكبر فى الشرق الأوسط عموما»، وعلى أثر ما قاله «تمبلر» قرر «إيدن» الرد.

بدأ الرد الأول فى سوريا، حيث أراد «إيدن» ضبط الإيقاع فيها طبقا لما يريده، فعرض على اللواء «أديب الشيشكلى» عبر وسطاء سوريين مرتبطين بالعراق أن يتولى الرئاسة، وتنبهت مصر إلى ذلك، فقررت التدخل مباشرة، واتفقت مع السعودية على طرح «شكرى القوتلى» لسمعته الطيبة واتجاهه القومى.

احتدم الصراع فى مجلس النواب السورى ليسفر فى النهاية عن المنافسة بين «القوتلى» و«خالد العظم» بتأييد العراق وبريطانيا، وتكفلت مصر بتوفير التأييد السياسى لـ«القوتلى»، وتحملت السعودية العبء المادى، وطرحت أصوات النواب فى مزاد علنى، وصل سعر الصوت فيه إلى ربع مليون ليرة سورية.

انتهى السباق بفوز القوتلى بـ«٩١ صوتا» فى مقابل «٤١» لـ«خالد العظم»، لكن وحسب «هيكل»، أحست بريطانيا بهذه الخطوة أن السعودية هى الحليف المالى للثورة المصرية، فاحتلت «واحة البوريمى»، وفى اليوم التالى للاحتلال فى مثل هذا اليوم «٢٧ أكتوبر ١٩٥٥» جاء الأمير فيصل بن عبد العزيز إلى القاهرة ليوقعٌ مع جمال عبدالناصر اتفاقية للدفاع المشترك بين مصر والسعودية.

ويرى هيكل، أن الأسرة المالكة السعودية لم تكن تعتقد أن الاتفاقية مع مصر سوف تزيل الاحتلال البريطانى لـ«البوريمى»، ولكنها كانت عملا سياسيا يحدث آثاره المحلية، ريثما تتمكن السعودية من تنبيه وتحريك القوة الحقيقية القادرة على استعادة الواحة الغنية بمنابع البترول، وهى أمريكا.

يضيف هيكل: «أمريكا لم تكن فى حاجة إلى من ينبهها أو يحركها»، فالشركات الأمريكية التى أضيرت مصالحها باستيلاء بريطانيا على «البوريمى»، أقامت الدنيا وأقعدتها فى واشنطن، ووصلت بضغوطها إلى البيت الأبيض فى واشنطن مباشرة والرئيس «إيزنهاور»، ويرى هيكل أن هذه الخطوة كانت أكبر غلطة ارتكبتها بريطانيا فى تلك المرحلة.

٢٨ أكتوبر عام ١٩١٧
٣ آلاف يهودى فى شوارع القاهرة
تحية لـ«وعد بلفور» قبل إصداره

كانت القاهرة يوما ما مكانا لنشاط الصهيونية بمنظماتها، كان نشاطا علنيا، ولهذه المنظمات صحف تعبر عنها، وتبشر بـ«وطن قومى لليهود على أرض فلسطين» وتنظم المظاهرات المنادية بذلك.

فى كتابه «يهود مصر من الازدهار إلى الشتات» يذكر الدكتور محمد أبو الغار، أن أول جمعية صهيونية تأسست فى مصر كانت عام ١٨٩٧ وأسسها يهودى اسمه «باروخ»، وسرعان ما تكونت بعدها ١٤ جمعية فى القاهرة والإسكندرية، واتحدت عام ١٩١٧ لتكون «الاتحاد الصهيونى» برئاسة «جاك موصيرى»، وشغل «ليون كاسترو» موقع سكرتير الاتحاد، وأصدر «الاتحاد» جريدة صهيونية باللغة الفرنسية اسمها «إسرائيل»، ورأس تحريرها «ألبير موصيرى»، وهو طبيب آمن بالصهيونية مبكرا، وكان معظم أعضاء «الاتحاد» من اليهود الأشكيناز.

وفى كتابه «تاريخ الحركة الصهيونية الحديثة ١٧٩٧ - ١٩١٨» يذكر مؤلفه «محمد عبد الرءوف سليم»، أن المسئولين البريطانيين شجعوا منذ البداية الصهيونية وأيدوا إقامة احتفالات لـ«وعد بلفور»، وفى بعض المدن المصرية، مثل الإسكندرية عقدوا مهرجانا حافلا فى حديقة رشيد، وفى طنطا اختاروا مسرح البلدية لإقامة احتفالهم، وسُلم العلم الصهيونى لفرقة المكابى

بحضور إسماعيل رمزى وكيل الغربية، ويذكر «سليم» أن الجمعيات التى كونها الشباب اليهودى وعمل أغلبها على مناصرة الوطن القومى والصهيونية كانت أكثر نشاطا فى الإسكندرية، وكانت جمعية «بن صهيون» أولها وتأسست عام ١٩٠٨.

وفى مقال له بصحيفة الأهرام «٣١ ديسمبر ١٩٩٨» يكتب الدكتور يونان لبيب رزق أن چاك موصيرى كتب برقية إلى حاييم وايزمان، جاء فيها: «تهانينا القلبية على تصريح بلفور، وامتنانا لجهودكم، هذا الاجتماع الحاشد ليهود الإسكندرية يؤيدنا بالإجماع على إعادة جعل فلسطين وطنا قوميا للشعب اليهودى، وثق فى أن حكومة جلالة الملك سوف تبذل جهودها لتسهيل تحقيق هذه الغاية».

أما الدكتور «أبو الغار» فيقول نصا: «انطلقت مسيرة فى القاهرة مثل هذا اليوم ٢٨ أكتوبر ١٩١٧، تحية وامتنانا لوعد بلفور الذى عرف أنه سوف يعلن خلال أيام قليلة من شهر نوفمبر، وأرسل المتظاهرون إلى وايزمان تلغرافا ينص على أن المجتمعين بالقاهرة من اليهود المصريين يؤيدون بالإجماع إنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين، ويثقون فى أن حكومة جلالة ملك إنجلترا سوف تسهل وتساعد هذا المشروع. وفى الإسكندرية قام اليهود يوم ١١ نوفمبر بمسيرة مماثلة من ثمانية آلاف يهودى، وتكرر الأمر فى العام التالى عند زيارة الوفد الصهيونى العالمى بقيادة حاييم وايزمان للإسكندرية والقاهرة، حيث خرج لتحيتهم آلاف اليهود فى الشوارع».

وتقول الدكتورة زبيدة محمد عطا فى كتابها «يهود مصر - التاريخ السياسى»، إن عددا كبيرا من أفراد الطائفة فى الإسكندرية والقاهرة، اعتنقوا آراءها بل تحمسوا لها ودعموها ماديا بالتبرعات، وبلغت أكثر من نصف مليون جنيه، بل إن «ابن أوفديا سالم» تبرع فى إحدى المرات بـ ٤٠ ألف جنيه، وهذه المبالغ وقتئذ تُعد عالية القيمة، بالإضافة إلى الدعم السياسى ونشر الأفكار كما فعلت صحفهم الصهيونية.

٢٩ أكتوبر عام ١٩٦٥
اختطاف «المهدى بن بركة» أكبر معارضى الملك الحسن الثانى وإذابة جثته

كانت الساعة الحادية عشرة مساء مثل هذا اليوم «٢٩ أكتوبر ١٩٦٥»، حين تلقَّى جهاز المخابرات المغربية مكالمة بنجاح عملية اختطاف المهدى ابن بركة من قلب باريس، وهو أكبر معارضى العاهل المغربى الملك الحسن الثانى.

أعلن شقيق «المهدى» اختفاء شقيقه، فانشغل العالم بسؤال: «أين اختفى؟ ومن المسئول؟» وكان الرجل وقتئذ مناضلا معروفا، ومسئول «اللجنة الدولية المنظمة لمؤتمر شعوب القارات الثلاث، آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية»، المقرر انعقاده فى عام ١٩٦٦، كما ارتبط بعلاقات وثيقة مع قادة التحرر الوطنى فى العالم، خاصة جمال عبد الناصر، والزعيم الجزائرى أحمد بن بيلا.

فى المغرب، وإلى جانب قيادته لحزب «التجمع الوطنى للقوى الشعبية»، كان يوما ما أستاذا للملك «الحسن» يدرس له الرياضيات، ولهذا، وكما يقول لمحمد حسنين هيكل: «أعرفه أكثر من غيرى، كان تلميذى لسنوات طويلة، وكنت أدرس له الرياضة، لكنه كان مهتما أكثر بقراءة وحفظ كتاب «الأمير» لـ«ميكافيللى»، وفى استراحة بين الدروس قال لى مرة: «ميكافيللى» له حق فى أن الأمير يجب أن يكون له دهاء ثعلب يتجنب به كل الشراك، وبطش أسد يفترس به كل الذئاب».

وينقل «هيكل» عن «المهدى» اتهامه لـ«الحسن» وقت أن كان أميرا وليا للعهد إشرافه على موت أبيه الملك محمد الخامس: «مات أثناء جراحة بسيطة لاستئصال اللوز، جرت فى غرفة غير معقمة فى القصر الملكى، ولم يقُم بها إخصائى معروف، ولم تكن بالقرب من الغرفة التى جرت فيها العملية استعدادات لحالة طوارئ، ولثلاثة أيام قبلها لم يُسمح لزائر حتى من الأسرة أن يرى الملك، وفى غرفة العمليات لفظ أنفاسه ولم يتمكن أحد من إسعافه».

من خلال ما ذكره هيكل فى مقاله «الحسن الثانى» بمجلة وجهات نظر (العدد العاشر، نوفمبر ١٩٩٩)، يمكن أن نتخيل كيف كانت الأحوال بين الطرفين بدرجة قادت إلى تخطيط «الملك» للتخلص من «المعارض»، وبدأت العملية باستدراج «المهدى» إلى ركوب سيارة تابعة للبوليس الفرنسى إلى بيت فى ضواحى باريس، وفيها تم تعذيبه واستجوابه من «أوفقير» وزير داخلية المغرب الرهيب، وانتهت العملية بقتله طعنا بحراب من حديد كان يتم وضعه فوق ألسنة نار مدفأة تتوسط الغرفة، وحينما يحمى الحديد ويحمر لونه باللهب المتوهج على أطرافه كان «أوفقير» يبدأ فى توجيه طعناته إلى خصمه المقيد بالسلاسل تحت أقدامه.

واختفت الجثة، ولم يعرف أحد حتى الآن أين هى، غير أن ضابط المخابرات المغربى «أحمد البخارى» تحدث قبل سنوات لـ«قناة الجزيرة»، مؤكدا أنه تم نقلها من باريس إلى المغرب، وتمت إذابتها فى «حَمْض الأسيد».

فى ١٠ نوفمبر ١٩٦٥ أعلن الرئيس الفرنسى «ديجول»: «فرنسا تعدُّ «الحسن» مسئولاً مباشرا عن انتهاك قانون الإنسانية وقانون فرنسا، وحرمة الأراضى الفرنسية بالتحريض على جريمة قتل على ترابها وبالتواطؤ مع عناصر من الأمن الفرنسى باعت ضميرها وواجبها».

جاء إعلان «ديجول» بعد قيام عميل للبوليس الفرنسى اسمه جورج فيجون خاف بعد اتضاح موقف الرئيس الفرنسى، فطلب المثول أمام قاضى التحقيق فى باريس (القاضى زولينجر) مبديا استعداده ليكون شاهد ملك يقول الحق، ولكن فيجون قُتل رميا بالرصاص فى حمام بيته قبل أن يمثُل

أمـام التحقيـق، وتبـين أن الرجـل سـجل شـهادته سرًا تحوُّطًـا، وقـام آخـرون مـن المشـاركين فى العمليـة بتسـليم أنفسـهم لقـاضى التحقيقـات لتتدفـق اعترافاتهـم، وبعدهـا أعلـن ديجـول تصريحـه الشـهير ضـد الملـك الحسـن.

وفيـما بعـد كشـفت تقاريـر مـن إسرائيـل عـن أن «الموسـاد» كان لـه دور مـع المخابـرات المغربيـة فى مطـاردة بـن بركـة، لكنهـا أنكـرت المشـاركة فى اغتيالـه.

٣٠ أكتوبر عام ١٩٦٧
نزار قبّاني يشكو لعبد الناصر حظر أعماله
فى رسالة يحملها رجاء النقاش

«سيادة الرئيس جمال عبدالناصر.. فى هذه الأيام التى أصبحت فيها أعصابنا رمادا، وطوقتنا الأحزان من كل مكان، يكتب إليك شاعر عربى يتعرض اليوم من قبل السلطات الرسمية فى الجمهورية العربية المتحدة لنوع من الظلم لا مثيل له فى تاريخ الظلم، وتفصيل القصة أننى نشرت فى أعقاب نكسة الخامس من حزيران (٥ يونيه) قصيدة عنوانها (هوامش على دفتر النكسة)، أودعتها خلاصة ألمى وتمزقى وكشفت فيها عن مناطق الوجع فى جسد أمتى العربية، لاقتناعى أن ما انتهينا إليه لا يُعالج بالتوارى والهروب، وإنما بالمواجهة الكاملة لعيوبنا وسيئاتنا».

«قصيدتى أمامك يا سيادة الرئيس، أرجو أن تقرأها بكل ما عرفناه عنك من سعة أفق، وبعد رؤية، ولسوف تقتنع رغم ملوحة الكلمات ومرارتها، بأننى كنت أنقل عن الواقع بأمانة وصدق، وأرسم صورة طبق الأصل لوجوهنا الشاحبة والمرهقة. سيادة الرئيس، إننى أشكو لك الموقف العدائى الذى تقفه السلطات الرسمية فى مصر، متأثرة بأقوال بعض مرتزقة الكلمة والمتاجرين بها، وأنا لا أطلب شيئا أكثر من سماع صوتى».

«يا سيدى الرئيس، لا أريد أن أصدق أن مثلك يعاقب النازف على نزيفه، والمجروح على جراحه، ويسمح باضطهاد شاعر عربى أراد أن يكون شريفا وشجاعا فى مواجهة نفسه وأمته، فدفع ثمن صدقه وشجاعته».

المقتطفات السابقة هى أجزاء من رسالة الشاعر العربى الكبير نزار قبانى إلى عبدالناصر، وكتبها فى مثل هذا اليوم «٣٠ أكتوبر ١٩٦٧»، ويأتى نصها وقصتها كاملة فى كتاب «ثلاثون عاما مع الشعر والشعراء» للناقد رجاء النقاش عن دار «سعاد الصباح ١٩٩٢»، حيث كان هو حامل هذه الرسالة، فكيف حدث ذلك؟

نشر «نزار» قصيدته «هوامش على دفتر النكسة» فى مجلة «الآداب» البيروتية، ويقول فى مطلعها: «أنعى لكم يا أصدقائى اللغة القديمة والكتب القديمة/ أنعى لكم/ كلامنا المثقوب كالأحذية القديمة/ ومفردات العمر والهجاء والشتيمة/ أنعى لكم/ أنعى لكم نهاية الفكر الذى قاد إلى الهزيمة».

وعلى الرغم من أن مجلة الآداب لم تدخل مصر لمصادرتها، لكن القصيدة انتشرت، وأصبحت حديث الأوساط الثقافية والشعبية، وعلى أثر ذلك بدأت حملة عنيفة ضد نزار قبانى بدأها الشاعر صالح جودت بمقال فى مجلة الكواكب ١٢ سبتمبر ١٩٦٧ بعنوان «امنعوا أغانى نزار»، وكان «النقاش» رئيسا لتحريرها فرد عليه بمقال فى مجلة «المصور».

كتب «جودت» مقالا آخر بعد أسبوع بعنوان: «فضيحة نزار قبانى»، طالب فيه الإذاعات العربية بمقاطعة أغانيه، والمكتبات العربية بمصادرة دواوينه، فاستجاب موظفو الإذاعة والتليفزيون وزادوا بمنع اسمه نهائيا من أجهزة الإعلام.

فى هذه الأثناء سافر «رجاء» إلى بيروت، والتقى «نزار» ومعه الأديب اللبنانى «سهيل إدريس»، وعبَّر شاعرنا عن ضيقه وألمه مما يحدث ضده فى مصر، فاقترح «رجاء» عليه كتابة رسالة إلى عبدالناصر يشرح فيها الأمر، وأنه سيحملها بنفسه ويبحث عن طريقة لتوصيلها.

عـاد «رجـاء» إلى القاهـرة وأطلـع «أحمـد بهـاء الديـن» رئيـس مجلـس إدارة «دار الهـلال» وقتئـذ التـى يعمـل فيهـا «رجـاء» عـلى القصـة، فتحمـس «بهـاء» وأخـذ الرسـالة ليوصلها بطريقتـه، ويقـول «رجـاء»: بعـد أسـبوع اسـتدعانى «محمـد فائق» وزيـر الإعـلام ليُطْلعنـى عـلى رسـالة نـزار وعليهـا تعليـق بخـط يـد عبدالنـاصر: «يلغـى قـرار المصـادرة بالنسـبة إلى القصيـدة ويُرفـع أى حظـر عـلى اسـم نـزار أو أى قـرار بمنعـه مـن دخـول مـصر».

٣١ أكتوبر عام ١٩٥٦
تهديد عمال سوريا بنسف خط أنابيب البترول إلى أوروبا تأييدا لمصر.. والمقدم هيثم الأيوبى ينفذ

سافر الرئيس السورى «شكرى القوتلى» إلى موسكو فى يوم «٣٠ أكتوبر ١٩٥٦»، وقبل سفره اتصل بالرئيس جمال عبدالناصر يسأله، ما إذا كان من الأفضل أن يؤجل الزيارة، فرد عليه: «وجودك فى موسكو فى هذه الأيام قد تكون له أهمية على سير الحوادث».

كان اتصال «القوتلى» بـ«عبدالناصر» صورة من صور التضامن العربى فى حرب «١٩٥٦» التى غيرت وجه المنطقة والعالم الثالث، وأنهت الإمبراطورية البريطانية التى لم تكن تغيب عنها الشمس، وكان الموقف الشعبى العربى فى أعظم تجلياته فى مساندة مصر، والدليل ما حدث فى سوريا فى مثل هذا اليوم «٣١ أكتوبر ١٩٥٦» وهو ثالث أيام العدوان الثلاثى، بتهديد العمال السوريين بنسف خط أنابيب البترول العراقى الذى يمر فى الأراضى السورية إلى البحر المتوسط ومنه إلى أوروبا، والذى تحول إلى فعل حقيقى فى يوم ٣ نوفمبر، وتأتى القصة كاملة فى كتاب «ملفات السويس» للكاتب الصحفى محمد حسنين هيكل.

ثارت مشاعر الضباط الشباب فى الجيش السورى بعد الإنذار البريطانى الفرنسى إلى مصر مساء ٣٠ أكتوبر، فذهب المقدم عبد الحميد السرّاج قائد

الشعبة الثانية فى المخابرات العسكرية السورية إلى مكتب قائد الشعبة الثالثة «التحركات» يسأله: «ماذا ينوى الجيش السورى أن يفعله من أجل مصر؟»، فرد بأن المسألة تحتاج إلى قرار سياسى، فخرج «السراج» متوجها إلى مكتب القائد العام للجيش السورى اللواء «توفيق نظام الدين»، وأعاد إليه سؤاله، ثم تطورت المناقشة إلى اقتراح بالذهاب إلى رئيس الجمهورية بالنيابة «ناظم القدسى»، يطالبونه بإصدار قرار يمكّنهم من مساعدة مصر، لكن الرجل طلب تأجيل أى قرار ٤٨ ساعة.

أصيب «السراج» بالإحباط عائدا إلى مكتبه فوجد إشارة تخطره بظهور قطع بحرية أمام ميناء اللاذقية وبنياس وهو نهاية خط الأنابيب، فذهب تفكيره مباشرة إلى «سلاح الأنابيب»، وعلى الفور أمر ضابط بـ«لواء البادية» بالذهاب إلى محطات الضخ الثلاث، ووقف عمل أجهزة اللاسلكى فيها بدعوى أنها سوف تعطى إشارات للقطع البحرية التى ظهرت، وهو ما حدث.

استدعى «صبرى العسيلى» رئيس الوزراء السراج وقال له إن السفير الأمريكى أبلغه قلقه من توقف «اللاسلكى»، واستطرد: لو شعر الإنجليز أن شيئا حدث للخط فسيقومون بعملية إنزال على المحطات ليضمنوا تدفق البترول، فرد «السراج» بأنه أمر بالفعل بوقف اللاسلكى مؤقتا حتى يجد موظفين سوريين يُحسنون تحدث الإنجليزية؛ ليجلسوا بجوار عمال الإشارة فى محطات اللاسلكى ويتأكدوا أنها لا ترسل إشارات إلى القطع البحرية التى ظهرت أمام الموانئ السورية، فعرض وزير الأشغال «مجد الجابرى»- كان موجودا- توفير الموظفين من وزارته.

تطور الأمر بقرار لوضع «لواء البادية» تحت تصرف وزير الداخلية لحراسة المحطات، ولما وجد «السراج» ضرورة التحرك بسرعة، دعا المقدم «هيثم الأيوبى» وكلفه نسفَ محطات الضخ من أساسها ليتوقف البترول تماما عن بريطانيا وكل أوروبا الغربية.

١ نوفمبر عام ١٩٥٤
انطلاق الثورة الجزائرية ..
و«الديب» يزود «بن بيلا» بـ٥٠٠ جنيه

اتصل جمال عبدالناصر بضابط المخابرات فتحى الديب يسأله عن العملية المقرر أن تبدأ فى الجزائر لإطلاق شرارة الثورة، حسب اتفاق «الديب» مع أحمد بن بيلا الذى سيصبح أول رئيس للجزائر بعد استقلالها من الاستعمار الفرنسى، وجاء الاتفاق فى اجتماعات متتالية فى القاهرة التى وصلها «بن بيلا» طالبًا المعونة والمساندة من «عبدالناصر».

وحسب كتاب «عبدالناصر والثورة الجزائرية» لـ«فتحى الديب»، كانت الاجتماعات تتم بسرية تامة، وبمتابعة من رئيس جهاز المخابرات المصرية وقتئذ زكريا محيى الدين، وكان «عبدالناصر» يتلقى تقاريرها أولا بأول، حتى تم الاتفاق مع «بن بيلا» على عمل نضالى كبير يكون شرارة الإنطلاق للثورة فى ثوب جديد، بعد عجز الأحزاب التقليدية عن تحرير البلاد، وغادر «بن بيلا» مصر لإبلاغ رفاقه بما اتفق عليه، وتحديد موعد العملية.

عاد «بن بيلا» إلى القاهرة يوم ٢٢ أكتوبر ١٩٥٤ ليبلغ «الديب» بما تم الاتفاق عليه مع زملائه بتنفيذ العملية ليلة ٢٩ / ٣٠ أكتوبر، ثم غادرها إلى ليبيا مزودًا بمبلغ ٥٠٠ جنيه مصرى لشراء كميات من الأسلحة والذخيرة المتوافرة فى السوق السوداء الليبية، ومباشرة تهريبها فورًا، لحين تزويده بسلاح من مخازن الجيش المصرى.

ظــل «الديـب» قلقًــا، انتظـارًا للحظـة الكبيــرة، حتـى تلقــى اتصـالا مـن «بـن بيــلا» الموجـود فى ليبيـا بالتأجيـل إلى ليلـة ٣٠ / ٣١ أكتوبـر، ثـم اتصـالا بالتأجيـل إلى ليلـة ٣١ أكتوبـر/ ١ نوفمـبر. ويقـول: «فى ظهـر ٣١ أكتوبـر اتصـل بـى الرئيـس عبـد النـاصر مستفسرًا بأسـلوبه المعتـاد فى طـرح الاستفسـار، مشـوبًا ببعـض الشـك، فى احتمال جديـة أو إتمـام العمليـة كما رُسـمت، مشيرًا إلى أننـى تفاءلـت أكثـر مـن الـلازم».

كانـت هنـاك خطـة إعلاميـة ستنفذها إذاعـة «صـوت العـرب» فـور بـث خـبر عمليـة انطـلاق الثـورة، لكـن «الديـب» اتصـل بـ«أحمـد سـعيد»، مديـر الإذاعـة للتأجيـل، وبُعـد قلـق وانتظـار تـسرب أول خـبر بكلمات تقـول: «حـدث تمـرد جزائـرى، ومحـاولات تخريـب بلغـت خسـائرها عـدة مئـات الآلاف مـن الفرنـكات الفرنسـية».

كان الخـبر ورغـم صياغتـه مـن فرنسـا، فإنـه كان المفتتـح لأخبـار أخـرى عـن الثـورة التـى أطلقـت أولى عملياتهـا فى الواحـدة صبـاح مثـل هـذا اليـوم «١ نوفمـبر ١٩٥٤» الـذى يعـد لـدى الفرنسـيين «عيـد جميـع القديسـين»، وشـملت العمليـة هجـوم المناضلـين عـلى مراكـز البوليـس، وقـوات الجيـش المنعزلـة، والاسـتيلاء على مـا فيهـا مـن أسـلحة وذخـيرة، وتدمـير الكثـير مـن السـكك الحديديـة ومحطـات توليـد الكهربـاء وبعـض الكبـارى، ممـا شـل حركـة القـوات الفرنسـية الموجـودة فى الجزائـر، وقـدَّرت السـلطات الفرنسـية خسـائرها بنحـو ٢٠٠ مليـون فرنـك فرنسـى.

أعطـى «الديـب» الضـوء الأخـضر لـ«أحمـد سـعيد» لتنفيـذ خطـة «صـوت العـرب»، وفى حـوار لى مـع أحمـد بـن بيـلا عـام ٢٠٠٠، قـال لى: «لا أنسـى دور مصر فى مسـاندتنا، أريـد أن أسـير فى شـوارع القاهـرة لأروى للنـاس مـا فعلـه عبـد النـاصر العظيـم معنـا».

٢ نوفمبر عام ١٩٥٦
عبد الناصر يخطب فى الأزهر بعد صلاة الجمعة..
والقاهرة تتدفق إلى طريق موكبه

اخترق جمال عبد الناصر شوارع القاهرة بسيارة مكشوفة يحيِّى الجماهير المصطفة على الجانبين، وذلك فى طريقه إلى الجامع الأزهر، ليؤدى صلاة الجمعة فى مثل هذا اليوم «٢ نوفمبر ١٩٥٦».

فور انتهاء الصلاة صعد إلى المنبر متحدثا بصوت مشحون: «يا إخوانى، اللى يهاجم بورسعيد دولتان بيقولوا عليهم دول عظمى، دول كبرى وهما دولتان استعماريتان، جاءوا بأساطيلهم وطيراتهم وقواتهم، وبدأ عملية الغزو اللى قالوا إنه حيتم فى ٢٤ ساعة، لكن قاومت قواتكم المسلحة وقام الشعب واتحد مع قواته المسلحة، وقاوموا هذا الغزو مقاومة مريرة، قاوموا مقاومة مستميتة ضد الغزو الصهيونى الإنجليزى الفرنسى، الشعب اللى أعلن أنه سيقاتل لآخر نقطة من دمه، لا يمكن أن يسلم أبدًا».

أضاف عبد الناصر: «لقد فدَتْ بورسعيد مصر كلها والعرب، وفدت الدول الصغرى كلها التى تدافع عن الحرية والاستقلال، إن شهداء بورسعيد سقطوا فى سبيل القضية العظمى التى سقط فيها الشهداء أيام النبى ﷺ، والتى سقط فيها الشهداء أيام المسيح وكانوا ينادون بالسلام»، وبحماس بالغ اختتم كلمته: «سأقاتل معكم ضد أى غزو، سنقاتل لآخر نقطة دم، ولن

نسلم أبدًا، وسنبنى بلدًا وتاريخًا ومستقبلاً، سنجاهد ونقاتل وننتصر بإذن الله».

فى كتابه «ملفات السويس» يروى «محمد حسنين هيكل» قصة هذا الحدث الفريد الذى وقع أثناء العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦ قائلا، إنه عندما خرج جمال عبدالناصر من الأزهر، تدفقت القاهرة كلها إلى طريق موكبه فى صيحة واحدة مدوية: «حنحارب، حنحارب»، وهى الصيحة التى أصبحت شعار تلك الأيام الوحيد، واستطاعت أن تجمع الشعب المصرى على هدف واحد، وتكتسح أمامها صدمة المفاجأة التى وجدت مصر نفسها فيها تواجه فى ميدان القتال اثنتين من القوى الكبرى فى العالم ومعها إسرائيل.

وسط هذا البحر الهادر من المشاعر الإنسانية، لم ينسَ عبدالناصر فى ذلك اليوم أن هناك إجراءات حان وقتها، فعاد من صلاة الجمعة ليصدر عدة قرارات أولها، استرداد كل منابع البترول المصرى من الشركات الإنجليزية التى تحتكره، وتم الاستيلاء عليها فى نفس اليوم، واعَدَّها «عبد الناصر» خطوة مكملة لتأميم القناة، وقرار آخر بـ«فرض الحراسة» على كل المصالح البريطانية والفرنسية فى مصر، وشملت البنوك وشركات التأمين، والتجارة الخارجية وغيرها، واعتبر عبدالناصر أن وضع الحراسة على هذه المصالح هو تدعيم للاستقلال الاقتصادى لمصر فى الوقت نفسه الذى تخوض فيه معركة حربية لتأكيد الاستقلال الوطنى.

وقرر عبدالناصر التحفظ على ممتلكات قرابة ٦ آلاف من الأجانب معظمهم من اليهود الذين لا ينتمون إلى جنسيات معروفة، وإن كانوا يحملون جوازات سفر من بعض الدول التى حصلوا عليها لمجرد ملاءمة الظروف، واعتبر أن هذا القرار تصفية نهائية لما تبقَّى من عصر الامتيازات الأجنبية.

فى مساء اليوم نفسه، أعد «عبدالناصر» حقيبة له وذهب إلى مقر مجلس قيادة الثورة فى الجزيرة ليعمل ويعيش فيها، وكانت وجهة نظره، أن جميع المحاربين الآن بعيدون عن أسرهم وهو واحد منهم.

٣ نوفمبر عام ١٩٤٨
سيد قطب يبدأ بعثة مفاجئة إلى أمريكا
وجدل حول تأثيرها فى مشروعه التكفيرى

فى رحلة سيد قطب الفكرية تحولات متناقضة، فهو بدأ كاتبا وناقدا أديبا مبشرا وتلميذا لـ«عباس العقاد»، وانتهى إلى مشروعه التكفيرى فى كتابه «معالم فى الطريق» الذى يُعد الأساس الفكرى للتنظيمات الإرهابية، وتبقى بعثته إلى أمريكا التى بدأت فى مثل هذا اليوم «٣ نوفمبر ١٩٤٨» واستمرت حتى ٢٣ أغسطس ١٩٥٠ محطة مهمة للنظر فى علاقتها بتحوله إلى مشروعه التكفيرى أم لا.

فى كتابه «سيد قطب وثورة يوليو» يذكر الكاتب والمؤرخ حلمى النمنم، أن الأوساط الثقافية فوجئت بالبعثة، ولم تكن تعليمية وإنما للاطلاع على المناهج وأصول التربية، ولم ترتبط بمدة معينة، ولهذه الأسباب وغيرها كانت النظرة إليها بارتياب شديد وصل إلى حد الاتهام، فهناك من اتهم الحكومة، وهناك من اتهم أمريكا، وهناك من اتهم سيد قطب نفسه.

الاتهام للحكومة يتلخص فى أنها استبعدته من مصر لغضبها منه، والاتهام لأمريكا فى أنها وفرت البعثة لتجنيده لصالحها، والاتهام لـ«قطب» معلقا على سؤال: هل كان موافقا ومشاركا أم كان مستسلما؟

يقـدم الدكتـور شريـف يونـس فى كتابـه «سـيد قطـب والأصوليـة الإسـلامية» إجابـة احتماليـة: «ربـما كان السـبب يأسـه بعـد سـقوط مجلتـه «الفكـر الجديـد» صريعـة التضييـق، وإغـلاق أبـواب النـشر فى وجهـه، أو رغبتـه فى رؤيـة الغـرب الـذى يكرهـه عـن قـرب»، أمـا الدكتـور الطاهـر مكـى أسـتاذ الأدب الأندلسـى فى «دار العلـوم» فشـغلته القضيـة، متسـائلاً: مـن الـذى أوحـى بالبعثـة وفكرتهـا ودفعـه إليهـا؟ ومـاذا كانـت الغايـة الحقـة مـن ورائهـا بعيـدا عـن الظاهـر غـير المقنـع؟

يطـرح «مكـى» تسـاؤلاته ويجيـب عنهـا فى مقالـه بعنـوان «سـيد قطـب وثـلاث رسـائل لم تُنشر» بمجلـة الهـلال أكتوبـر ١٩٨٦، مشـيرا إلى أنـه حملهـا إلى أسـتاذه فى التاريـخ الحديـث شـفيق غربـال بمعهـد الدراسـات العربيـة أوائـل الخمسـينيات، فأجـاب غربـال: «سـيد قطـب كفـاءة عاليـة، ويُرجـى منهـا خـير كثـير، ولكنـى آسـف لأنـه غـير وفى وناكـر للجميـل، فقـد توسـمت فيـه أنـا وإسـماعيل القبانـى المستشـار الفنـى للـوزارة «المعـارف» الخـير والنفـع، فوفرنـا لـه بعثـة غـير عاديـة إلى الولايـات المتحـدة الأمريكيـة ليتصـل بالحضـارة الغربيـة وتقـع عينـه عـلى مـا فى العـالم الجديـد، فيعمـق فكـره وتتسـع نظرتـه، فلـم يكمـل البعثـة، وهـا هـو الآن يشـتمنا».

ويصـل «مكـى» إلى قناعـة بـأن سـفر «قطـب» كان بتخطيـط أمريكـى خفـى لم يعرفـه هـو، ويميـل إلى هـذا الـرأى الدكتـور محمـد حافـظ ديـاب فى كتابـه «سـيد قطـب- الخطـاب والإيديولوجيـا»، ممـا دفـع «النمنـم» إلى القـول: «مكـى لم يقـدم مـا يثبـت مـن الشـواهد عـلى هـذا التخطيـط الأمريكـى الخفـى».

مـن أمريـكا كتـب إلى صديقـه الناقـد الأدبـى أنـور المعـداوى: «سـأخصص مـا بقـى مـن حياتـى وجهـدى لبرنامـج اجتماعـى كامـل، يسـتغرق أعـمار الكثيريـن، ويكفـى أن أجـدك فى ميـدان النقـد الأدبـى لأطمئـن إلى هـذا الميـدان»، وحـين عـاد هاجـم أمريـكا بـضراوة فى مقـالات جمعهـا فى كتـاب «أمريـكا التـى رأيـت»، لكـن الكتـاب لم يَـرَ النـور حسـب «محمـد حافـظ ديـاب».

٤ نوفمبر عام ١٩٥٦

استشهاد الضابط السورى «جول جمال» فى معركة البُرلُّس.. وزميله «نخلة إسكاف» يعود بعد ١١ ساعة من مصارعة الأمواج

كانت الساعة العاشرة صباحا فى مثل هذا اليوم «٤ نوفمبر ١٩٥٦»، حين لاح طَرَّاد فرنسى كبير «جان بارت» على حدود ساحل البحر المتوسط، يحاول إنزال دفعة من الجنود الفرنسيين فى اتجاه بحيرة البرلس، فتصدت له ثلاثة زوارق طوربيد من قوة البحرية المصرية، لتبدأ معركة خالدة من المعارك التى خاضتها مصر ضد العدوان الثلاثى «إنجلترا وفرنسا وإسرائيل» عام ١٩٥٦.

فى كتاب «نضال شعب مصر - ١٧٩٨ - ١٩٥٦» الصادر عن دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، يسرد مؤلفه محمد عبد الرحمن حسين «قصة المعركة»، مشيرا إلى أن الزورق الأول بقيادة الصاغ بحرى جلال الدسوقى، أطلق طوربيدين عليها، ثم أعقبه الزورقان الآخران، فأُصيب الطراد الفرنسى إصابة مباشرة أحدثت به عدة ثغرات، ويبدأ ينشطر نصفين وأرسل استغاثات لاسلكية إلى قياداته يستنجد بها، وعندما بدأ الطراد يغوص بمن فيه، ويُقدر عددهم بنحو ألف ضابط وجندى، عادت الزوارق المصرية لقواعدها.

لاح فى الجو سرب من طائرات «العدوان الثلاثى»، لتنشب معركة رهيبة مع الزوارق المصرية، وتمكنت الطائرات من إغراق زورق منها، واستشهد

فى المعركـة: جـلال الدسـوقى، جـول جمـال «سـورى»، إسـماعيل عبـد الرحمـن، صبحـى نـصر، عـلى صالـح صالـح، عـادل مصطفـى، محمـد ياقـوت عطيـة، جمـال رزق الله، محمـد البيومـى زكـى، مصطفـى طبالـة.

كان لاستشـهاد البطـل «جـلال دسـوقى» دراما خاصـة، فهـو لم يكـن مقـررا لـه أن يكـون ضمـن طاقـم الـزوارق المصريـة التـى تحركـت مسـاء يـوم ٣ نوفمبر للاستكشـاف، وظلـت مرابطـة للقيـام بهـذا العمـل العظيـم، لكنـه حـين رأى الـزوارق تتحـرك قفـز فى إحداهـا ليقـود هـذه المعركـة بكفـاءة باسـلة.

كان الضابـط السـورى «جـول جمـال» ممـن استشـهدوا، فامتـزج الـدم العربـى فى الحـرب ضـد العـدو الغاصـب، هـو مـن مواليـد مدينـة اللاذقيـة السـورية ١ أبريـل ١٩٣٢ لأسرة مسـيحية أرثوذكسـية، وجـاء إلى مـصر مـع ١٣ سـوريًا فى بعثـة دراسـية بالكليـة البحريـة المصريـة، واحتـل الترتيـب الأول عـلى دفعتـه عـام ١٩٥٦، وأصبـح المـلازم ثانـى جـول جمـال، ولم يرحـل وزمـلاؤه بعـد نجاحهـم، حيـث تقـرر بقاؤهـم للتدريب علـى زوارق حـديثة استوردتهـا مصـر وأدخلتها الخدمـة فى سـياق تطويـر القـدرات العسـكرية للجيـش، ومـع قـرار جمـال عبـد النـاصر بتأميـم قنـاة السـويس، ثـم التطـورات اللاحقـة عليهـا مـن تهديـدات بريطانيـة وفرنسـية والتهديـدات بالعـدوان عـلى مـصر، بقـى «جـول جمـال» ضابطـا فى البحريـة المصريـة، ليشـترك فى معركـة «البرلـس» ويحظـى بـشرف الاستشـهاد، وتحظـى حـرب ٥٦، بكونهـا حربـا عربيـة بجـدارة.

لم يكـن «جـول جمـال» السـورى الوحيـد فى معركـة «البرلـس»، وإنـما كان هنـاك ضابـط آخـر هـو «نخلـة إسـكاف» الـذى تلقّفتـه ميـاه البحـر الهائـج بعـد غـرق زورقـه، وظـل ١١ سـاعة يصـارع الأمـواج العاتيـة ويقـاوم بـرودة الميـاه حتـى وصـل إلى شـاطئ البرلـس ليحكـى قصتـه الرائعـة فيضيـف روعـة أخـرى ليـس لمعركـة البرلـس وفقـط، وإنـما لحـرب ١٩٥٦.

٥ نوفمبر عام ١٩٥٦
القوات البريطانية تقبض على الفدائى محمد مهران فى بورسعيد وترحّله إلى قبرص لاقتلاع عينيه

«وجدت الجنود الإنجليز يحيطوننى من كل جانب، فطلبت من أحدهم شربة ماء، فرد قائلًا: «عبدالناصر مجبش لك مَيّه»، فقلت له: عبد الناصر لا يجب أن يحضر لى الماء، وأريد ماء بلدى الذى تشربه أنت، فسبنى وسب عبدالناصر ومصر، فرددت عليه بسباب أكثر، ولعنت بريطانيا ورئيس وزرائها «إيدن»، فضربنى فى ساقى، فضربته، ونهضت واقفًا وفى يدى بندقية، وقبل أن أضربه شعرت بأن قدمى طارت من أثر قنبلة ألقيت علىَّ فوقعت على الأرض، فضربونى وحملونى إلى المطار وجاءنى من يتكلم معى فلم أرد عليه».

هكذا يتحدث البطل المصرى «محمد مهران» ابن بورسعيد، أحد أبطال المقاومة الشعبية ضد العدوان الثلاثى «بريطانيا وفرنسا وإسرائيل» عام ١٩٥٦، فى سرد قصته للكاتب محمد الشافعى فى كتابه «شموس فى سماء الوطن»، الصادر عن الهيئة العامة لقصور الثقافة، والمتعلقة بدوره فى المقاومة الشعبية.

فى مثل هذا اليوم «٥ نوفمبر ١٩٥٦» اشتد القصف الإنجليزى على منطقة الجميل وأطراف بورسعيد، تمهيدًا لإنزال جوى لجنود المظلات، ولما تم الإنزال فوجئ الجنود بمقاومة عنيفة، وكان الذين يقومون بها ٦٤ فدائيًا من بينهم «مهران»، وأسفرت المعركة عن خسائر فادحة فى صفوف المظليين.

أُصيب «مهران» فى رأسه ليتم سحبه وتجريده من سلاحه، وبدأ استجوابه، ثم حمله على طائرة من مطار بورسعيد إلى قبرص، وفيها التف حوله مجموعة من الضباط الإنجليز بقيادة ضابط كبير، ليسألوه فى كل شىء بغية الوصول إلى معلومات عن زملائه الفدائيين، لكنهم فشلوا مرارًا رغم بشاعة تعذيبه، وأمام هذه الصلابة أبلغه الضابط الكبير: «لدينا ضابط أصيب بنيران مدفعك مما أفقده عينيه، وهو على قيد الحياة، وحكمنا عليك بنزع عينيك لنزرعهما له».

جاء الطبيب المكلف بالعملية إلى «مهران»، وساومه على قلع عين واحدة شرط أن يسجل بصوته حديثًا يقول فيه إن البورسعيديين يرحبون بالإنجليز، وتركه للتفكير مع مواصلة تعذيبه البشع.

عاد الطبيب ليبلغه مهران بالموافقة، كانت موافقة ظاهرية فقط، لجأ إليها ليتوقف التعذيب فترة، صدقوه وجاءوا بجهاز التسجيل ليبدأ المهمة، لكن «مهران» فاجأهم بقوله: «أطلب النصر لمصر وقادتها على أعدائها وأعداء العروبة».

أحدثت كلمات مهران زلزالا كبيرا، هل من المعقول أن يضحك عليهم هذا الرجل؟، لم يصدقوا فقرروا تنفيذ مخططهم الوحشى، نقلوه إلى غرفة العمليات ليقوم ثلاثة أطباء وممرضتان بالعملية البشعة، عملية قلع العين.

مهران لم يحسبها لحظة واحدة، كانت كرامة بلده فوق أى اعتبار، حتى لو كان الثمن ألا يرى أحدا بعد ذلك، أى يعيش محروما من نعمة البصر، تمت العملية ثم أعادوه إلى بورسعيد، ووضعوه فى مستشفى «ديلفراند».

فى المستشفى كانت الآلام المبرحة تطارد البطل ومع ذلك يتحمل، يثق فى أن شيئا ما سيحدث، يثق فى أن بلده لن يتركه، وحدث ما توقعه، فبعد يومين همست فى أذنه ممرضة مصرية: «الفدائيون سيأتون لأخذك»، كانت الممرضة واحدة من ملايين النساء فى مصر اللاتى لم يتخلفن عن أداء الواجب الوطني، لم يعلق مهران لكنه انتظر حتى جاء من يهمس فى أذنه: «حمد لله على السلامة».

كانت هذه هى الكلمة التى قالها من جاءه لتهريبه خارج المستشفى ملفوفًا بالبطاطين، خرج مهران ليصل إلى القاهرة عبر قطار المصابين، وفى مستشفى العجوزة تم وضعه تحت رعاية طبية رفيعة.

فى صباح أحد الأيام بينما هو فى المستشفى يتلقى العلاج، سمعت صوتًا مميزًا جدًا يقول: «أنا، أنا يا بطل».

فوجئ مهران بأن محدثه هو جمال عبد الناصر، يقول: شعرت بأن بصرى عاد.. عانقنى الرئيس وقبَّلته بشدة وفرح، وطلب منى أسلم على عبد الحكيم عامر وبعض قيادات الثورة، وجلس بجوارى على السرير، وطلب منى أن أحكى له كل ما حدث، فحكيت له القصة من أولها.

كان مهران يحكى، وعبد الناصر ينصت.

٦ نوفمبر عام ١٩٤٤
عصابة صهيونية تقتل وزير المستعمرات البريطانى
أمام مقر إقامته فى الزمالك

- المكان: شارع الجبلاية بحى الزمالك، فيلا رقم ٤.

- الزمان: مثل هذا اليوم «٦ نوفمبر ١٩٤٤».

- الجريمة: مقتل اللورد والتر موين، وزير المستعمرات البريطانية، فبينما كان سائقه «فولر» يتجه نحو باب السيارة لفتحه لـ«موين» سمع صوتا: «لا تتحرك»، ثم انطلقت الرصاصات فى صدره، وفى ثوانٍ أطلق شخص آخر الرصاص على «موين» لحظة خروجه من باب السيارة، ومات السائق، وفى المستشفى مات الوزير البريطانى الساعة الثامنة وأربعين دقيقة.

حاول القاتلان الهرب، طاردتهما الشرطة، لكن صيحة من نافذة نبهت شرطيًا «كونستبل» فى حرس الوزارات يُدعى «عبد الله»، فقطع الطريق عليهما بدرَّاجته البخارية، وتم القبض عليهما، لتظهر حقيقة الجريمة التى اهتزت لها القاهرة.

هى واحدة من جرائم العصابات الصهيونية فى مصر، وكانت ضد مسئول بريطانى، والقصة فى كتاب «القاهرة فى الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ - ١٩٤٥» للمؤلفة أرتيميس كوبر، ترجمة محمد الخولى، وكتاب «وعليكم السلام» للكاتب الصحفى محمود عوض.

خيط الجريمة بدأ منذ عام ١٩٤٠ بموافقة رئيس الوزراء البريطاني «تشرشل» على إنشاء جيش يهودي قوامه عشرة آلاف جندي، يؤخذون من صفوف الجيشين البولندي والتشيكي، وتتولى بريطانيا تمويلهم، لكن الإدارة البريطانية في فلسطين عارضت الفكرة، فكلف «تشرشل» صديقه المقرب «موين» بمهمة إبلاغ الصهيونيين، حاييم وايزمان، وبن جوريون، بعدم إمكانية تنفيذها حاليًا «فبراير ١٩٤١»، ومعاودة النظر في الفكرة في غضون ستة أشهر.

تواصل الرفض البريطاني بعد الأشهر الستة أيضًا، فأصبح «موين» عدوًّا في نظر الصهاينة، حتى بعد مجيئه إلى القاهرة، وأصبح له فيها مكتب «وزير الدولة البريطاني»، ولأنه أصبح عدوا قررت العصابات الصهيونية التخلص منه.

خططت للجريمة مجموعة تسمى «المحاربون من أجل حرية إسرائيل» أو «عصابة شتيرن» حسب التسمية البريطانية، وكانت لها خلية في مصر من ثمانية رجال وأربع نساء، لكن التنفيذ احتاج إلى عون، فتم إرسال إلياهو حكيم، ٢٠ عاما، من فلسطين إلى القاهرة عام ١٩٤٤، ثم إلياهو بيتزوى، ٢٣ عاما، واستأجر «حكيم» غرفة صغيرة في حي الموسكي، وتعرَّف إلى صديقة اسمها «يفا»، وارتادا المطاعم الصغيرة والمراقص، وظل «حكيم» يدرس التحركات اليومية لـ«موين» حتى تقرر تنفيذ الجريمة فقتله، بينما قتل «بيتزوى» السائق «فولر».

أُصيب «تشرشل» بالحزن حين تلقى الخبر، وغضب لدرجة أن أحدًا لم يجرؤ على فتح موضوع فلسطين أمامه لأسابيع، وفي القاهرة تم تنظيم جنازة رسمية للقتيلين، وقضت المحكمة بإعدام القاتلين، ونُفذ الحكم ٢٢ مارس ١٩٤٥، ودُفنت جثتاهما في مقبرة خاصة بمنطقة «هليوبوليس» وعليهما حراسة خاصة، وفي ١٩٧٥ سلمت مصر رفاتهما مقابل عشرين عربيًا كانوا في سجون إسرائيل بتهمة التجسس لصالح مصر، وفي القدس أُقيمت جنازات لهما حضرها الآلاف يتقدمهم إسحاق رابين، رئيس الوزراء.

٧ نوفمبر عام ١٩٥٦

دول العدوان الثلاثى تقرر وقف إطلاق النار .. وأمينة الغريب أيقونة للمرأة المصرية فى المقاومة

كانت الساعة الثانية من صباح الأربعاء، مثل هذا اليوم ٧ نوفمبر ١٩٥٦، حين أصدرت دول العدوان الثلاثى «بريطانيا، فرنسا، إسرائيل» على مصر، قرارها بوقف إطلاق النار، وذلك بعد يوم من إنذار الرئيس السوفيتى «بولجانين» إلى الدول الثلاثة.

شمل الإنذار عبارات حاسمة، ومما جاء فيه: «إن الحرب فى مصر يمكن أن تتطور إلى حرب عالمية ثالثة، وهناك اليوم دول لا تحتاج إلى أن ترسل الأساطيل أو القوات الجوية لتدمر الشواطئ البريطانية أو الفرنسية، وبدلا من ذلك فإنها تستطيع أن تسحقهم باستعمال وسائل أخرى كالصواريخ مثلا، وحكومة الاتحاد السوفيتى تتخذ الآن خطوات، تكفل وضع نهاية للحرب وردع المعتدى، وإعادة السلام إلى منطقة الشرق الأوسط، ونحن نأمل أن تُظْهروا الحكمة وتتخلصوا من هذا الكلام بالنتائج المناسبة قبل أن يفوت الأوان»، وعقب الإنذار الروسى قابل سفير فرنسا الرئيس الأمريكى إيزنهاور، الذى كرر لـ«السفير» قوله: «يجب أن تنسحبوا من مصر، لا سبيل أمامنا إلا أن نلتزم بميثاق الأمم المتحدة».

قبلت مصر بدورها وقف إطلاق النار، غير أن المقاومة الشعبية فى مدن القناة الثلاثة، كانت كلمة سر مصر داخليا وخارجيا، ويذكر إحداها المهندس

عبدالحميد أبوبكر مساعد المهندس محمود يونس فى عملية تنفيذ تأميم قناة السويس.

يروى «أبوبكر» فى مذكراته «قناة السويس والأيام التى هزت الدنيا»، كتاب أكتوبر ١٩٨٧، قصة جهاز اللاسلكى، مشيرا إلى رجال الصاعقة الذين دخلوا بورسعيد أثناء العدوان، ليشاركوا أبناء المدينة الأعمال الفدائية، وكان على رأس هؤلاء، بطل الفدائيين «كمال رفعت»، نائب رئيس الوزراء فيما بعد، و«محمد فايق» رئيس المجلس القومى لحقوق الإنسان، ووزير «الإرشاد الأسبق»، وعبدالفتاح أبوالفضل، (نائب رئيس المخابرات فيما بعد)، وسعد عفرة (السفير فيما بعد).

دخل هؤلاء بورسعيد بملابس الصيادين على مركب صيد كبيرة، يقودها الريس عبد المنعم، ومعهم جهاز لاسلكى، وكانوا يبحرون من «المعدية»، ويخترقون الأعشاب الطويلة فى بحيرة المنزلة حتى بورسعيد.

ويضيف «أبو بكر» أن مكتبة محمود العربى بـ«الحى الإفرنجى» كانت أحد مراكز القيادة الرئيسة، وقام الشاب البورسعيدى يحيى الشاعر ابن الـ١٧ عاما، ومعه ثلاثة شبان من بورسعيد بنقل أجزاء من اللاسلكى على دراجتهم من منزل قيادة المقاومة إلى منزل يحيى الشاعر، وفيه جرى تجميع أجزاء الجهاز، ووضعه فى دولاب ملابس السيدة أمينة الغريب والدة يحيى الشاعر.

كان هذا الجهاز هو الوحيد الذى كان ينقل أخبار بورسعيد بشفرات خاصة إلى مراكز القيادات، وكان يعمل عليه ضابط اللاسلكى فرج محمد فرج، الذى استمر ملازما لهذا المنزل، ولم يغادره إطلاقا حتى انسحبت القوات المعتدية من بورسعيد، ويؤكد أبوبكر: كانت السيدة أمينة الغريب مثالا للمرأة المصرية التى تظهر فى الأزمات الوطنية، بمواقفها الشجاعة هى وأبناؤها الثلاثة الذين شاركوا فى المقاومة.

٨ نوفمبر عام ١٩٠٢
وشاية من مصطفى كامل لدى الخديو «عباس الثانى» ضد الإمام محمد عبده

«شاءت العناية، أن ترسل لمصر باذر البذور المنتظر، مصطفى كامل، فهو الذى بدأ فى نشر الفكرة الوطنية فى شباب الدارسين المصريين فى أوروبا، وهو لدى عودته من فرنسا أحدث تغييرا وتحديثا ملموسين، لقد أيقظ المشاعر الوطنية المصرية الأصيلة. كان شابا يحمل كل رشاقة الشباب، بما فى ذلك الخيالات المقدسة، وفى المفاضلة بين الحياة المادية والروحية، اختار الثانية، كان وافداً جديدا على حلبة السياسة، ولم يكن يعرف شيئا عن أساليبها المعقدة الوضيعة، وفى بلاد عريقة كبلدنا لن تجد المؤهلين إلا على لوحات المقابر».

هكذا يتحدث الخديو عباس حلمى الثانى فى مذكراته «عهدى» الصادرة عن «دار الشروق ١٩٩٣م» عن مصطفى كامل الذى اقترن به لسنوات لأجل استقلال مصر من الاحتلال الإنجليزى، حتى افترقا لتقارب الخديو من الإنجليز، ورغم الدور الرائد لـ«مصطفى كامل» فى تاريخ الوطنية المصرية، فإن هناك من ينقب عن الجانب الآخر فى حياته، ولعل قول «الخديو»: «كان وافدا على حلبة السياسة» تفك ألغازا من هذا التنقيب.

فى كتابه «فرسان الأمل- تأمل فى الحركة الطلابية المصرية» الصادر عن «مركز البحوث العربية»، يتحدث «شكرى القاضى» عن أن الوشاية والغيرة

كانت من طباع «مصطفى كامل»، مشيرا إلى ما جاء فى مذكرات «أحمد شفيق باشا» رئيس ديوان «عباس الثانى»: كانت العلاقة بين الخديو والشيخ محمد عبده على أحسن حال، ولكن حدث يوم «٨ نوفمبر ١٩٠٢» مثل هذا اليوم، أن قابل مصطفى كامل بك، والشيخ على يوسف سمو الخديو ومكثا عنده مدة كبيرة، وبعد ذلك أبلغنى أن الخديو ينقِمُ على الشيخ محمد عبده بسبب ما قدماه فى حقه من الوشايات.

وشاية أخرى يذكرها الدكتور لويس عوض فى كتابه «تاريخ الفكر الحديث من عصر إسماعيل إلى ثورة ١٩١٩»، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٣، قائلًا: إنه حين امتدح الخديو عباس، لطفى بك السيد بأنه المخلص الوطنى الوحيد، قدم «مصطفى» إليه خطابا أرسله إليه لطفى السيد من جنيف يقول فيه: «إن المصريين لا ينبغى أن ينسوا أبدا أنهم يعملون فى سبيل مصر أولا، وقبل كل شىء، لذلك كان يجب ألا يقترنوا أبدا بالخديو لأن العرش إذا اعترض طريق الوطنيين فيجب على الوطنيين إزالة العرش».

يقود ما سبق «شكرى القاضى» إلى وصفه شعارات وخطب ومقالات مصطفى كامل بأنها: «تلهب المشاعر وتغلب عليها الرومانسية، لكنها لا توحى بعمل شىء محدد أو تدعو إلى القيام بتمرد معين يشمل ثورة»، لكن «لويس عوض» يرى أن التاريخ سيذكر مصطفى كامل بوصفه مجدد أمل المصريين فى الكفاح الوطنى لإجلاء الإنجليز بعد ظلام اليأس الذى ران على نفوسهم بين ١٨٨٢ و١٨٩٥، وأنه كان واضحا أن له سلطانا عظيما على أفندية المدن والشباب بصفة خاصة، لقد أشعل فيهم بشخصيته المغناطيسية قاذفة اللهب نارا لم تُخمدها يد أحد.

ويصفه الخديو عباس الثانى: «كان بسيطا صريحا، وتحت شكله اللطيف تختبئ نفس متفتحة لكل الأحاسيس، وقلب يتأثر بكل الحنان، وكانت هبة الله قد أظهرت تفكيره، وكانت فصاحته واضحة، وساخنة، وكان أسلوبه رشيقا، ومليئا بالصور، ويتحرك من البساطة الملائكية، إلى الفصاحة العارمة لشيوخ روما فى الماضى، وكان موهوبا بالقدرة على الإقناع، كما كان له ذلك

الإشـعاع الـذى كان للرسـل والأنبيـاء، وكان الحـب الـذى يكنُّـه لبـلاده يبـدأ مـن حمـاس مُتَّقـد، لم يكـن للعقـل أن يفقـد السـيطرة عليـه».

يضيـف الخديـو عبـاس: كان الإنجـاز الكبـير لمصطفـى كامـل هـو أنـه قـام بتحديـد المثـل الأعـلى للأمـة، وأنـه شـجع الجماهـير عـلى الاسـتمرار للوصـول إلى المثَـل الأعـلى.

٩ نوفمبر عام ١٩٧٧
السادات يعلن استعداده للذهاب إلى الكنيست..
وعرفات: «وضع العمامة فوق رأسى»

«إننى مستعد للذهاب إلى آخر العالم، وإن إسرائيل ستندهش عندما أقول إننى مستعد أن أذهب إلى بيتهم، إلى الكنيست ذاته، ومناقشتهم».

أطلق الرئيس الراحل أنور السادات هذه العبارة فى مثل هذا اليوم «٩ نوفمبر ١٩٧٧» فى مجلس الشعب، لتكون مُفتتَحًا لأوضاع المنطقة حتى الآن، وفى القلب منها وضع القضية الفلسطينية.

صفق الحاضرون بحماسة ظنا أنها مبالغة، وحسب محمود رياض أمين عام الجامعة العربية الذى كان حاضرا: «لم يدر فى خلدنا مطلقا اعتبارها شيئا جادا»، ويضيف فى الجزء الأول من مذكراته «البحث عن السلام والصراع فى الشرق الأوسط»: «أقصى ما كانت تحلم به إسرائيل طوال السنوات السابقة هو أن تتفاوض مع أى ممثل لأية دولة عربية فى إحدى العواصم الأجنبية».

كان ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية وقتها حاضرا، ولأن الجميع لم يذهبوا بهذه العبارة أكثر من كونها «مبالغة حماسية»، لم يخطر ببال «عرفات» أن يستفهم من السادات مغزاها عندما صافحه بعد انتهاء الخطاب.

ويروى إسماعيل فهمى وزير الخارجية فى مذكراته «التفاوض من أجل السلام فى الشرق الأوسط»، أن الفريق أول عبد الغنى الجمسى وزير الدفاع

همس فى أذنه: «لقد أعادها مرتين»، ويضيف فهمى: «ذهب السادات والوزراء إلى ردهة الاستراحة فى مجلس الشعب بعد الخطاب، وناداني هناك أمام الجميع صارخا: هذه زلة لسان، أرجو يا إسماعيل أن تمنعها الرقابة منعا باتا».

وبناء على ما ذكره السادات لـ«فهمى» يقول: «أمرت فورا بحذف الجملة الخاصة برحلة القدس، وبناء على ذلك لم يظهر فى صحف اليوم التالى أى إشارة إليها، غير أن المراسلين الأجانب الذين حضروا أبرزوا هذه الفقرة بالذات».

وحول هذه النقطة يروى محمد حسنين هيكل كلاما مختلفا فى كتابه «خريف الغضب»، حيث يؤكد أن ممدوح سالم رئيس الوزراء ظن أن «عبارة السادات مبالغة حماسية»، فأصدر تعليمات إلى مكتب الرقابة على الصحف بعدم إبراز عبارة «استعداد السادات الذهاب إلى القدس» فى عناوين الصحف أو المقدمات التى توضع لخطاب الرئيس، وكذلك فعل إسماعيل فهمى، لكن السادات كان متنبها، فلم ينَمْ إلا بعد أن اطلّع على الطبعات الأولى للصحف، وأصدر تعليمات غاضبة معاكسة لتعليمات رئيس وزرائه ووزير خارجيته: «على الصحف أن تبرز إبرازا كاملا ما يعتبره هو أهم جزء فى خطابه».

حسب هيكل، فإن السادات حرص على حضور «عرفات»، الذى كان موجودا فى «طرابلس» للتوسط بين مصر وليبيا لإزالة الخلاف بين البلدين، وظن عرفات أنه توصل إلى حل ممتاز، حيث تلقّى وعدا من القذافى بأنه سيقدم إلى مصر ٥٠٠ دبابة جديدة تعوضها عما كانت تشكوه من نقص فى إمدادات السلاح، وبينما كان عرفات مشغولا بمفاوضاته فى طرابلس تلقى رسالة من السادات تلحّ عليه فى الحضور إلى القاهرة فورا، وأكثر من ذلك، بعث إليه السادات بطائرة خاصة لنقله، لكنه فى نفس الليلة وبعد أن حضر الخطاب واستمع إليه غادر القاهرة وهو يقول لمودعيه: «لقد وضع العمامة فوق رأسى».

١٠ نوفمبر عام ١٨٤٨
وفاة إبراهيم باشا.. ووالده محمد على: «حبسنى.. كان قاسيًا معى وعاقبه الله »

تلقَّى محمد على خبر وفاة ابنه «إبراهيم» فقال: «حبسنى، كان قاسيا معى، كما كان مع الجميع، لقد عاقبه الله وأماته، لكننى أجد نفسى لكونى أباه من الواجب علىَّ أن أترحم عليه، وأدعو له».

هكذا عبر محمد على عن شعوره لحظة تلقِّيه خبر وفاة ابنه إبراهيم القائد العسكرى الفذ، والحاكم فى حياة والده لشهور قليلة.

تعبر الكلمات عن دراما علاقة «الأب» بـ«الابن» فى أواخر عمريهما، يمكن أن نفهم شفرتها من قول «نوبار باشا» أقوى وزراء الاثنين فى مذكراته: «كان يسكن إبراهيم رعبه من أبيه منذ طفولته».

يحكى «نوبار» قصة لافتة وهى، أن الباب العالى العثمانى، تردد فى منح إبراهيم الولاية التى طالب بها فى حياة أبيه، وطرح عليه منصب الحاكم العام لمصر، دون ولاية فرفض، لكن «عرَّاف القصر» أخرج الجميع من هذا المأزق، حيث أعلن أنه بعد استشارة الكواكب، كان الرد أن إبراهيم سيموت قبل مرور ستة أشهر.

اتفقت نبوءة «عراف القصر» مع ما أعلنه أيضا طبيب القصر النمساوى المكلف برعايته، فبعد فحصه تبين أن إبراهيم يتقيأ الدم من فمه نتيجة إصابة

خطيرة فى الرئة، ولهذا تقرر منحه الولاية «١٣ يونيه ١٨٤٨» وأُعفى من المرور بالمراسم التقليدية، وفى اليوم التالى شق طريقه عائدا من القسطنطينية إلى القاهرة، وفى المركب التى تقله ومن معه، كان «حسن باشا» متفرغا للتنجيم وقراءة الطالع، يسأل القدر عن مصير «إبراهيم»، وذلك بطريقة يقوم فيها بإلقاء بعض الأحجار الصغيرة على الورق بشكل عشوائى، ثم يقوم بجمعها متبعا بعض القواعد المركبة للكشف عن المستقبل، فأخبره الطالع أن إبراهيم سيموت وهو ينزف دما، وأنه لن يحكم سوى اثنين وسبعين يوما.

يروى «نوبار» دراما مرض إبراهيم من واقع المعايشة معه حتى اليوم الذى أخبره فيه الطبيب بأن النهاية قد أوشكت، وقبلها بأيام أقام إبراهيم فى القلعة وشغل سراى الحرملك، ومكث نوبار إلى جواره يخدمه كممرض وحاجب وأمين سر وكل شىء، ولاحظ قلق كبار الشخصيات وهم يستفسرون عن حقيقة حالة الوالى الصحية، يقول: «ارتسمت على الوجوه علامات السرور وبشكل واضح كلما ذاع خبر عن تردِّى صحته، فقد كان إبراهيم مهيبا يخشاه الجميع وذاعت شهرة قسوته، بيد أننى وأخى شعرنا بالاشمئزاز لهذا الموقف، والوحيد الذى لم يتركه للحظة هو قبطان بك مملوكه».

أثناء المرض لم يتوقف النيل منه دون هوادة، فـ«عباس» ابن شقيقه استغل بعض لحظات الهدنة مع المرض وطلب منه الإذن بالسفر إلى الحجاز، كان يخشى بوصفه خليفة عمه المنتظر أى مفاجآت غير سارة، وكان الحذر يحتِّم على أن يظل بعيدا عن متناول يد عمه المريض.

اضطر إبراهيم أن ينسحب إلى جناح الحريم فى القلعة، ويروى نوبار: عندما كنا ندخل إلى الحرملك، كانت تسبقنا تحذيرات الأغاوات: بس، بس أى «البسبسة»، لتهرول النساء الموجودات فى الطرقات إلى مقارِّهن، كانت شقيقته نازلى هانم المعروفة بتاريخها الدامى والشهوانى، تجلس دائما إلى جواره على حافة الفراش، بينما إبراهيم كعادته نائم فوق مرتبة على الأرض.

عنـد دخـول نـازلى إليـه، كانـت تختفـى فى منتهـى العنايـة وراء سـتارة سـوداء كبـيرة يحملهـا اثنـان مـن الأغـاوات لتحـول بينهـا وبـين الموجوديـن، لكـن نوبـار يعلـق: «نسـوا أن المرايـا التـى تكسـو كل حوائـط الحجـرة، كانـت تعكـس صـورة وجههـا ذى الأنـف المحـدب الـذى يشـبه منقـار الصقـر، وعندمـا كانـت ترغـب فى الخـروج أثنـاء وجودنـا كنـا ننبطـح عـلى الأرض وأعيننـا تنظـر إليهـا، بينـما تمـر هـى وراء السـتارة السـوداء التـى كان الأغـاوات يحملونهـا مفـرودة دائـما يتحركـون معهـا كلـما تقدمـت خطـوة إلى الخـارج».

جـاء اليـوم الـذى أخـبر فيـه الطبيـب أن النهايـة قـد أوشـكت، اسـتمرت سـكرات المـوت ثـلاث سـاعات، كانـت هـى الـصراع الرهيـب بـين الحيـاة والمـوت، لم يكـن إبراهيـم قـادرا عـلى أن ينطـق بكلمـة واحـدة، أو حتـى حـرف واحـد، كانـت فقـط شـفتاه تتحـركان.

تحدثـت «نـازلى» مـع «نوبـار» مـن فتحـة كالـون بـاب الحريـم، كلفتـه بسـؤال إبراهيـم، مـا إذا كان يريـد إحضـار ابنـه مصطفـى، وبعـد رفـض الأب فى البدايـة وافـق فى سـاعاته الأخـيرة، وحـين جـاءت سـكرات المـوت، كان يوجـد أربعـة مسـيحيين واثنـان مـن المسـلمين، وتنقـل بنظراتـه ببـطء بـين الحاضريـن، وعندمـا وصـل إلى ابنـه أغمـض عينيـه وكأن الألم يعتـصر قلبـه لأنـه سـيترك ابنـه لمصـير مجهـول، حـدث ذلـك فى مثـل هـذا اليـوم (١٠ نوفمـبر ١٨٤٨).

انسـحب الجميـع، تركـوه لعنايـة الحريـم وشـقيقته، عـرف مـن فى الخـارج خـبر المـوت فاكتـظ القـصر بكثـير مـن النـاس، كانـت علامـات الرضـا تكسـو الوجـوه، انطلقـت الأحاديـث مـرة واحـدة بصـوتٍ عـالٍ، كـما لـو كان الجميـع فى ميـدان عـام حتـى إن كامـل باشـا قـال لنوبار: إنـك الوحيـد الـذى أرى عينيـه قـد احمرتـا، أنـت الوحيـد الـذى بكيـت.

وقـف النعـش عنـد مدخـل القـصر، كان هنـاك زحـام رهيـب، هـرج ومـرج صاخـب، أنـاس يهبطـون وغيرهـم يصعـدون الدرجـات فى فـوضى تشـبه مـن يصطحـب موكـب عـروس سـعيد، لا أنـاس يسـتعدون للسـير وراء جنـازة.

نـزل النـاس مـن القلعـة كمـن يتسـابقون للوصـول إلى خـط النهايـة بخطـوات سريعـة، وعنـد المنعطـف الأول المـؤدى إلى شـارع الموسـكى ركـب العديـد مـن رجـال الدولـة خيولهـم تاركـين الموكـب، حتـى إنهـم لم يحاولـوا أن يفعلـوا ذلـك فى الخفـاء، وتبعهـم مسـاعدوهم، وانـصرف الموظفـون عنـد المنعطـف الثانـى المـؤدى إلى مسـجد السـلطان حسـن، وبقـى الفلاحـون حاملـين النعـش عـلى أكتافهـم، تتبعهـم النادبـات ووراءهـم عربـة بداخلهـا نسـاء أسرة الـوالى: «كان مشـهدا قاتمـا وحزينـا، تغلفـه الوقاحـة والانحطـاط، لأن هـذه كانـت نهايـة الرجـل الـذى أضـاء اسـمه الـشرق، وهـز عـرش السـلطان العثمانـى محمـود، ولم ينقـذه سـوى تحالـف القـوى العظمـى الأوروبيـة ضـده، فأوقفتـه عـلى مشـارف القسـطنطينية التـى كان شـعبها المبهـور بـه يدعـو لـه بخالـص الأمنيـات».

هكـذا عـاش «إبراهيـم باشـا» أيامـه الأخـيرة، بعـد عمـر قـال عنـه- حسـب الدكتـورة لطيفـة سـالم فى كتابهـا «الحكـم المـصرى فى الشـام ١٨٣١ - ١٨٤١»: «أنـا لسـت تركيًـا، فإنـى جئـت إلى مـصر صبيـا، ومنـذ ذلـك الحـين مَصَّرتنـى شمسـها، وغـيَّرت مـن دمـى وجعلتـه دمـا عربيـا».

١١ نوفمبر عام ٢٠٠٠
وفاة السفير على خشبة.. الذى عاد من عمان إلى السعودية مربوطًا على «جمل».

«اتصل بنا طالب بن على أخو الإمام فى بلاد عُمَان «بضم العين»، وشرح لنا طرفا من قضية تعدى الإنجليز على بلاده، عليك أن تتوجه إلى عمان ولا تسألنا عن الوسيلة، قابل الإمام وابحث القضية وابعث لنا بالتفاصيل».

كان هذا نص رسالة مقتضبة من عبد الناصر إلى ملحقنا العسكرى فى جدة «على خشبة»، الذى أصبح سفيرًا فيما بعد، وتُوفى فى مثل هذا اليوم «١١ نوفمبر ٢٠٠٠»، تاركًا وراءه سيرة وطنية عظيمة.

فى كتاب «عبدالناصر وتحرير المشرق العربى» لـ«فتحى الديب» ضابط المخابرات المصرية، ومسئول الشئون العربية برئاسة الجمهورية، يروى قصة الرسالة كاملة، وتبدأ بمجيء الشيخ «طالب» للقاهرة فى نوفمبر ١٩٥٤، والتقى«الديب» شارحًا تعاون بريطانيا مع سلطان مسقط سعيد بن تيمور، استعدادًا للسيطرة على كل «عمان» التى يحكمها الإمام «غالب بن على» بعد احتلالهم المفاجئ لمدينة «عبرى» الغنية بالبترول، وأنه جاء إلى مصر بتكليف من شقيقه، ليطلب المساعدة.

رفع «الديب» تقريرًا إلى عبد الناصر، ليتقرر استطلاع الوضع على الطبيعة فى رحلة سرية وتكليف «خشبة» بها، فتلقى رسالة عبدالناصر ليبدأ بعدها

رحلة البحث والتحرى عن كيفية تنفيذ مهمته الصعبة، حتى قاده البحث والسؤال إلى الشيخ إبراهيم السليمان مدير مكتب الأمير فيصل بن عبد العزيز ولى العهد، وهو رجل من خبراء شبه الجزيرة العربية وعلى معرفة بأسرارها، فزوده باسم رجل للمملكة فى دبى يعد حلقة وصل بين السعودية وعمان.

بعد فترة قليلة، بدأ أنور السادات زيارة إلى اليمن وإمارات المنطقة والسعودية، فى أول اتصال بين مصر وهذا الجزء من العالم العربى، وانضم «خشبة» إلى الوفد المصاحب لـ«السادات»، وفى قطر سجل اسمه فى الفندق ثم غير ملابسه بأخرى عمانية وتسرب فى سيارة تابعة للفندق متوجهة إلى دبى، وهناك ذهب إلى الرجل الذى دله عليه «السليمان» وسلمه رسالة منه، وبعد أيام ركب على ظهر لنش يحمل خشبًا إلى عمان مارًّا بمضيق هرمز، ليدخلها بعد «٦٠ ساعة».

التقى «خشبة» بـ«الإمام» وشيوخ القبائل، لف ودار، سأل، وحصل على الإجابات، أصبح لديه خريطة جاهزة بما يريده، عرف كل شىء عن قرب، لكن كانت هناك عيون تراقبه، فأخبرت الإنجليز بأمره، وكان لابديل عن خروجه حتى لا يتم القبض عليه فدبر له «الإمام» رحلة للعودة، أغرب من الخيال.

لم يكن بأى حال من الأحوال أن يتم الخروج بوسائل المواصلات العادية، فالرجل أصبح معروفا، وأى طريقة تقليدية سيكون من السهل الكشف عنه بواسطتها، فكان اللجوء للطريقة الأخرى، طريقة السفر عبر الصحراء، والصحراء لا يسير فى دروبها الصعبة غير «الجمال»، وتحتاج إلى «دليل»، وهو ما كان.

بدأت رحلة العودة، أو بالتدقيق «رحلة العذاب» عن طريق واحة «البريمى»، وكانت عبارة عن قافلة من الجمال ودليل عمانى موثوق به، و«خشبة» يرتدى زيا عمانيا على أنه واحد من القافلة التى ستقطع الصحراء فى ١٥ يومًا.

لم يكـن هنـاك حسـاب للمـرض الـذى قـد يهـل فجـأة وهـو مـا حـدث، فأثنـاء الرحلـة ارتفعـت سـخونة جسـد «خشـبة» تدريجيـا حتـى بلغـت حـدا لا يُطـاق، تحولـت إلى «ملاريـا»، لم يكـن لـدى «الدليـل العمانـى» أكثـر مـن وصفـات شـعبية لمثـل هـذه الظـروف، ويومـا بعـد يـوم كان وزن «خشـبة» يتناقـص.

توقـع «الدليـل» موتـه بـين لحظـة وأخـرى، خاصـة أنـه لم يعـد لديـه قـدرة عـلى أن يركـب الجمـل ويضبـط نفسـه فوقـه، فكـر «الدليـل» مـاذا يفعـل، فاهتـدى إلى فكـرة أن يربطـه بـ«حبـل» عـلى «جمـل»، ليمنـع سـقوطه، ونفـذ الفكرة، وظـل هكذا حتـى وصـل إلى «البريمـى» ليدخـل إلى المستشـفى فـورا.

فى «الواحـة» عـرف حاكمهـا السـعودى، ثـم أبـرق رسـالة إلى الملـك «سـعود» لينقلـه بطائـرة إلى جـدة للعـلاج، وبعـد شـفائه طلـب مقابلتـه ليعـرف سر وجـوده فى «البريمـى» قادمًـا مـن عـمان، فوافـق عبـد النـاصر عـلى اللقـاء وشرح مـا حـدث لطمأنـة الملـك سـعود بصـدق نوايـا مـصر، اسـتمع الملـك سـعود إلى القصـة، كان خشـبة يرويهـا بخفـة دم كبـيرة، والملـك لا يتمالـك نفسـه مـن الضحـك، وظـل يطلـب منـه تكـرار روايتهـا طـوال سـهرات شـهر رمضـان معـه.

١٢ نوفمبر عام ١٩٧٧
اجتماع وزراء الخارجية العرب فى تونس.. والسادات يتصل بإسماعيل فهمى غاضبًا بعصبية من مناحم بيجن

طلب الرئيس السادات وزير خارجيته إسماعيل فهمى مرتين فى تونس.. كان «فهمى» يبذل جهده لعبور مؤتمر وزراء الخارجية العرب المنعقد فى تونس فى مثل هذا اليوم «١٢ نوفمبر ١٩٧٧» إلى بر الأمان، وذلك بعد قنبلة السادات التى ألقاها يوم ٩ نوفمبر فى مجلس الشعب باستعداده للسفر إلى إسرائيل.

سأل «السادات» فى الاتصال الأول «فهمى» عن جو الاجتماع والقرارات التى يُحتمل أن يتخذها، وعن موعد عودته، فرد: «لن أستطيع العودة قبل انتهاء الاجتماع»، أما فى الاتصال الثانى، وحسب مذكرات «فهمى» «التفاوض من أجل السلام فى الشرق الأوسط»: «كان السادات مضطربًا وعصبيًا، وتكلم عن مناحم بيجن، رئيس وزراء إسرائيل، بهلوسة ولغة شديدة، وكانت ثورته متجهة نحو الالتماس الذى خاطب به بيجن المصريين يوم ١١ نوفمبر ردًا على استعداد «السادات» للذهاب إلى القدس، وحاول بيجن إقناع المصريين بأنه راغب فى السلام، لكن بشروطه هو، كإعلانه صراحة أن «جوديا وسامرا» أو الضفة الغربية هى أرض إسرائيلية.

طلب «السادات» من «فهمى» إعداد رد قوى على هذا الادعاء، ففعل مسرورا، وظهر فى الصحف المصرية على أنه مذاع من وزارة الإعلام، أما فى دهاليز مؤتمر وزراء الخارجية فكثر الحديث حول نوايا «السادات» بحسب

تعبير «فهمي»، لكن «فهمي»- وكما يؤكد في مذكراته- لم يدخر جهدًا في التأكيد لزملائه المقربين في الاجتماعات الرسمية بأن مصر ملتزمة التزامًا شاملا بأنه ما لم يكن سلامًا شاملا؛ فإن مصر سترفض عودة سيناء حتى لو قدمتها إسرائيل على طبق من ذهب، ويزيد «فهمي»: «أكدت على هذا الموقف طوال اجتماع تونس».

يحاول «فهمي» في مذكراته البحث عمَّن زرع في رأس «السادات» مسألة ذهابه إلى القدس، وكان هو معارضًا لها على خط مستقيم، ويشير إلى مناوراته لصرفه عنها، وكان آخرها بعد عودته من تونس يوم ١٥ نوفمبر حين اتصل به ليطمئن على ما حدث في المؤتمر: «ما إن انتهيت من حديثي حتى انتقل السادات فجأة، وأعاد عليّ فكرته بالذهاب إلى القدس وإلقاء خطاب في الكنيست، وكان رد فعلي حادًا وتبعته مناقشات عنيفة».

استمرت المجادلة التليفونية بين الاثنين أكثر من ساعة، لجأ فيها «فهمي» إلى حيلة جديدة يذكرها في مذكراته: «سيدي الرئيس، أهذه دكتاتورية أم ديمقراطية؟»، فسألني بدهشة: ماذا تعني؟، أعدت سؤالي فقط: «أهذه دكتاتورية أو ديمقراطية؟»، فأجابني: لا شك أنها ديمقراطية، قلت: إذن أقترح أن تعقد اجتماعًا صغيرًا مع كبار المسئولين، وتحدثهم عن خطتك سعيًا لمعرفة رد فعلهم، ومضيت أقول: «وأعدك ألا أتفوه بأي قول، فلو اتفق الجميع أو حتى النصف معك في الرأي فسأذهب معك على الرغم من اعتراضي الشخصي، وإذا كان الاعتراض ضخمًا فعليك أن تعيد النظر»، فقال: مَن من الناس تريدني أن أستشير؟، فأجبت: «الرؤوس فقط، أعضاء مجلس الأمن القومي»، فكاد يفقد وعيه وصرخ: لن أتناقش مطلقًا مع أي فرد، لا أهتم برأي أي شخص، لن أفعل هذا.

١٣ نوفمبر عام ١٩٦٧
أم كلثوم تغنى فى باريس للمجهود الحربى بمصر
وتهدد بإلغاء الحفل بسبب إسرائيل.

«تمنح هذه العملاقة المقدسة التى جاوزت الستين شعورا بقوة الإرادة بالصلابة والشموخ بالنظرة المتسلطة، كل سحرها فى صوتها العذب وإلقائها البِلَّورى الشفاف».

هكذا وصفت جريدة لوموند الفرنسية كوكب الشرق أم كلثوم، بعد حفلتها الأولى فى العاصمة الفرنسية باريس فى مثل هذا اليوم «١٣ نوفمبر ١٩٦٧»، فى سلسلة حفلاتها بمحافظات مصر والدول العربية لصالح المجهود الحربى بعد نكسة ٥ يونيه ١٩٦٧، وكانت باريس هى العاصمة الأوروبية الوحيدة التى غنت فيها، وتم إلغاء أربع حفلات فى الاتحاد السوفيتى، بسبب وفاة جمال عبد الناصر ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠، وعادت من موسكو قبل حفلتها الأولى.

فى الشهادات التى جمعتها لكتابى «أم كلثوم وحكام مصر»، قال لى الموسيقار كمال الطويل، وصديقها الكاتب سعد الدين وهبة: «كان لها طقوس خاصة حين تقع كارثة، تنزل إلى البدروم، لا تتحدث إلى أحد، لا تقابل أحدا، تعيش مع نفسها وتفكيرها فقط».

ويقول ابن شقيقها محمد الدسوقى: «فى نكسة ٥ يونيه ١٩٦٧، حبست نفسها فى حجرة بالبدروم، أطفأت النور، ربطت رأسها بمنديل لعله يخفف الآلام، لا تتحدث مع أحد، لا تأكل، لكنها بعد فترة خرجت وسمعتها تقول: «لازم نلِمّ البلاد العربية حوالين مصر».

غنت فى المغرب، تونس، أبو ظبى، ليبيا، الكويت، السودان، لبنان، باريس، القاهرة، المنصورة، دمنهور، الإسكندرية، طنطا، وكانت الحصيلة للمجهود الحربى «مليون ومائة ألف جنيه مصرى» بحسابات وقتئذ، حسب كتاب «صوت مصر أم كلثوم» للكاتبة الفرنسية «فرچينيا ديلسون».

تقاضت «٢١٢ ألف إسترلينى» عن غنائها بحفلتين على مسرح «أوليمبيا» أكبر مسارح باريس، وهو أعلى أجر لمطرب غنى عليه حتى وقت الحفل، وكان كل شيئا متألقا، فأمراء وأميرات السعودية والمغرب فى مقدمة الحضور، بالإضافة إلى ١٣ سفيرا عربيا ومندوب الجامعة العربية و٢٢٠٠ مستمع هم سعة المسرح، وحضر اليهود الشرقيون بكثافة، ويروى «كوكاتديس» مدير المسرح أنه شاهد صديقا منهم، فاستغرب لكن اليهودى علق: «إنها أم كلثوم»، وفى وصف للوكالة الفرنسية بعد الحفل: «سماعها ورؤية الصالة مرتعشة دليل على تأثيرها الغريب»، وفى رسالة الرئيس الفرنسى ديجول لها: «لمستِ بصوتكِ سيدتى أحاسيسى وقلبى وقلوب الفرنسيين جميعا».

فى كواليس حفل ١٣ نوفمبر دار حدث أهم يؤكد على عظمة أم كلثوم، يرويه الكاتب محمد سلماوى الذى حضر اتفاقها وتعاقدها مع مدير المسرح فى القاهرة، يقول سلماوى فى مقال بصحيفة «الأهرام» ٧ مارس ١٩٩٧، إن «كوكاتديس» وهو يهودى اندفع إليها فى استراحة الفاصل يطلب منها توقف المذيع «جلال معوض» عن كلامه أثناء تقديمها، ويتحدث فيه عن حتمية الانتصار على إسرائيل وتحرير القدس وكل الأراضى العربية المحتلة، لأن الحفل فنى وليس سياسيا.

ردت: أنا الذى طلبت أن يقول ما قاله، وذلك مرتبط بقضية بلادى، وإذا كان هذا لا يروق لك فأنت غير مجبر على قبوله، وبإمكاننا إلغاء الحفل، وأحلك من أى التزامات، وأشارت إلى الفرقة: لموا الآلات يا ولاد فرد عليها «كوكاتديس» راجيا صرف غضبها: «سيدتى، ليكن لكE ما تريدين».

١٤ نوفمبر عام ١٩٥٤
إعفاء محمد نجيب من منصبه رئيسًا للجمهورية.. ومعركة رهيبة بين الإخوان والشرطة فى شبرا

كانت الساعة الحادية عشرة صباحا فى مثل هذا اليوم «١٤ نوفمبر ١٩٥٤»، حين توجه اللواء عبد الحكيم عامر وزير الحربية، وحسن إبراهيم وزير القصر إلى الرئيس محمد نجيب لإبلاغه بقرار إعفائه من منصبه رئيسًا للجمهورية، ومن عضوية مجلس قيادة الثورة.

جاء القرار- حسب صحيفة «الأخبار» الصادرة صباح يوم «١٥ نوفمبر»- حصيلة اجتماع مجلس قيادة الثورة، ومجلس الوزراء صباح يوم الأحد «١٤»، ووفقا لـ«الأخبار» فإن نجيب تلقى القرار وهو فى قصر عابدين، وغادره إلى قصر السيدة «زينب الوكيل» زوجة مصطفى النحاس فى منطقة المرج للإقامة فيه مع أسرته.

ويروى «محمد نجيب» ما حدث فى مذكراته «كنت رئيسا لمصر»، أنه توجه فى صباح اليوم «١٤ نوفمبر» إلى مكتبه بالقصر الجمهورى، فوجد بعض ضباط البوليس الحربى على باب القصر، وتبعه اثنان منهم إلى المكتب فنهرهما، فردا عليه بأن عندهما تصريحا من كبير الياوران بالنيابة بالدخول، وهو الأميرال حسن كامل الذى أصبح سفيرا فيما بعد، فبحث عنه لكنه لم يجده، ويضيف نجيب: «نهرتهما بشدة، فخرجا، واتصلت بعبدالناصر»، فقال: سوف أرسل

لـك عبـد الحكيـم عامـر وحسـن إبراهيـم، وعندمـا جـاء عامـر وحسـن إبراهيـم، قـالا لى فى خجـل، إن مجلس الثورة قـرر إعفاءكـم مـن منصـب رئيـس الجمهوريـة، وهنـا قلـت: «أنـا لـن أسـتقيل الآن لأنـى بذلـك سـأصبح مسئولا أمـام التاريـخ عـن ضيـاع صلـة السـودان بمـصر، أمـا إذا كان الأمـر إقالـة فمرحبـا، لأنكـم تعفوننـى مـن مسئولية لم يعـد ضمـيرى يحتملهـا».

يسـتكمل نجيـب: «خرجـت معهـما حامـلا المصحـف وحـده مـن المكتـب، وركبـت مـع حسـن إبراهيـم عربـة اتجهـت بـى إلى المـرج، إلى منـزل كان اسـتراحة ريفيـة لـ«زينـب الوكيـل» ثـم تـم وضعـى تحـت الحراسـة، وقـال لى عامـر: إقامتـك فى المـرج لـن تزيـد عـلى بضعـة أيـام، لكـن إقامتـى اسـتمرت مـن نوفمـبر ١٩٥٤ إلى أكتوبـر ١٩٨٣».

كانــت أحــداث هــذا اليــوم فارقــة فى تاريــخ مــصر، كونهـا صراعـا بـين مشروعين يمكـن القـول إنهـما ممتـدان حتـى الآن، ليـس مـن زاويـة التخلـص مـن نجيـب الـذى وصلـت الخلافـات بينـه وبـين ضبـاط الثـورة إلى طريـق مسـدود، وإنـما حضـور جماعـة الإخـوان فى المشـهد بتصميمهـا عـلى جـر ثـورة ٢٣ يوليـو إلى مـا تريـده، ثـم إقدامهـا عـلى محاولتهـا الفاشـلة باغتيـال جمـال عبـد النـاصر فى ميـدان المنشـية أكتوبـر ١٩٥٤ أثنـاء إلقائـه خطابـه أمـام الآلاف، ووجَّـه مجلـس قيـادة الثـورة أصابـع الاتهـام إلى نجيـب بتعاونـه مـع «الجماعـة»، واللافـت فى هـذا الأمـر أنـه فى نفـس اليـوم الـذى تـم تنحيـة «نجيـب»، كانـت هنـاك معركـة وصفتها الصحـف بـ«الرهيبـة» بـين الشرطـة والإخـوان فى شـبرا، ودارت وقائعهـا بإلقـاء عـشرات القنابـل عـلى البوليـس، وكتبـت جريـدة «الأخبـار» تغطيتهـا للحـدث فى الصفحـة الأولى بعنـوان: «معركـة دمويـة خطـيرة بـين الإخـوان والبوليـس فى شـبرا»، وقالـت: «اسـتعمل الإخـوان المدافـع والرشاشـات والمسدسـات، وقتـل اثنـان مـن الإرهابيـين موظفـين فى السـكك الحديديـة، وثالثـا طالـب فى كليـة الهندسـة، وقتـل عـدد مـن الأهـالى وجـرح عـشرات آخـرون».

١٥ نوفمبر عام ١٨٥٤
ديليسبس يقنع «سعيد» بشق القناة..
ويكتب إلى حماته فى فرنسا

حاد الذكاء، عبقرى، ساحر، شديد الغرور، كثير الخداع، نصاب، بطل السُّخْرة، حسن المظهر والهندام، يعرف آداب الصالونات، استغل هذه الصفات فى الإيقاع ببعض نساء الطبقة الراقية فى فرنسا. تعرَّف إلى «أوچينى» امبراطورة فرنسا وخطبها لنفسه قبل أن تقترن بالإمبراطور «نابليون الثالث»، ويسَّر لها سبل الزواج الملكى، وظل محتفظا بصلته الغرامية معها.

هو «فرديناند ديليسبس» الفاشل دراسيا، لكن اسمه اقترن بشق قناة السويس، وفى مذكراته «قناة السويس والأيام التى هزت الدنيا»، ينقل «عبدالحميد أبوبكر» مساعد المهندس محمود يونس فى قيادة عملية تأميم القناة، صفاته الشخصية من واقع ما ذكره الإعلام الغربى.

هو لم يأتِ إلى مصر فجأة للحصول على موافقة «سعيد باشا» والى مصر على حفر القناة، فوالده «ماتيو ديليسبس» خدم نابليون بونابرت فى مصر حين جاء على رأس الحملة الفرنسية، وبقى فيها أيام محمد على، وفى عام ١٨٣٠ انتقل إلى «مراكش»، وكان هو وابنه فرديناند من الجواسيس الذين عجلوا بسقوط الجزائر تحت الاحتلال الفرنسى.

على الرغم من كل هذه الصفات لـ«ديليسبس» فإنه استطاع أن يحصل على موافقة «سعيد باشا» على مشروعه، مستثمرا فى ذلك سابق معرفته به حين كان موجودا فى مصر، ويشير «نوبار باشا» وزير محمد على فى مذكراته، إلى أن «ديليسبس» وصل لمصر بعد أيام فقط من عودة سعيد من القسطنطينية الذى كان فيها لحصوله على فرمان الولاية، واستقبله سعيد أحسن استقبال، واصطحبه معه لمشاهدة مناورات الخريف فى الصحراء الغربية فى مثل هذا اليوم «١٥ نوفمبر ١٨٥٤» بعد ثمانية أيام من وصوله إلى الإسكندرية، وأثناء المناورة استطاع أن يصل إلى هدفه ويتحدث عن ذلك بالتفصيل فى خطاب أرسله إلى حماته مدام «دى لامال» ويأتى به أبوبكر فى مذكراته:

تناول الوالى وجبة الإفطار قبل المسير، وتناولت وجبتى مع «ذو الفقار باشا»، وحينما انصرف من حضرة الوالى، قررت له أن جواده كان فى أول أيام رحلتى سبَّاقًا من الطراز الأول، وفى الساعة الخامسة مساء امتطيت صهوة الفرس، وعدت إلى مخيم الوالى متخطيا الحاجز، والوالى باسم الثغر منشرح الصدر، فيأخذنى من يدى، ويظل ممسكا بها بعض الوقت، ويجلسنى إلى جواره، كنا وحدنا، وفى الخيمة نافذة صغيرة سمحت لى بأن أمتع نظرى برؤية الشمس وهى تغرب، ورأيتها تشرق فى الصباح فشعرت بالطمأنينة والهدوء، وأنا أتحدث عن مشروع حاسم فى مستقبل حياتى، وتتمثل فى ذهنى دراساتى وخواطرى عن القناة التى تصل بين البحرين، ونقلت إيمانى ويقينى إلى قلب الموضوع، وعرضت مشروعى دون أن أدخل فى التفاصيل، مبينا النقط والأسانيد التى تضمنتها مذكرتى التى تلوتها على الوالى من أولها إلى آخرها، وكان سعيد يصغى إلىَّ بانتباه زائد، وقال لى إنه مشروع مفهوم وفى وسعك أن تعتمد علىَّ، وكان الفرمان الأول بشق القناة يوم ٣٠ نوفمبر.

١٦ نوفمبر عام ١٨٣٩
انطلاق الحملة الأولى لاكتشاف منابع «النيل الأبيض»

قال إبراهيم باشا ابن محمد على للمهندس الفرنسى «فرديريك كايو» الذى اصطحب حملة الجيش المصرى لفتح السودان فى يوليو ١٨٢٠، وكانت مهمته اكتشاف الذهب والبحث عن مناجمه: «سنكتشف النيل الأبيض فى حملة من مراكب مسلحة وعدد كبير من القوارب الخفيفة التى تستطيع أن تمضى فى النهر بسهولة، دون أن تعترضها الشلالات، وستكون وجهة هذه العمارة النيلية أن تنحدر فى النهر وروافده حتى تصل إلى منابعه».

وقال إسماعيل باشا ابن محمد على لـ«كايو» حينما استأذنه فى العودة إلى مصر يوم «٨ فبراير ١٨٢٢»: «إذا ذهبت إلى فرنسا فانشر ما وصلت إليه من المعلومات، ثم عُدْ إلى مصر فإنك ستجد أبى لا يقتنع بالاكتشافات الضئيلة التى وصلنا إليها، بل سنبذل جهودا أخرى، وسأصحبك بنفسى إلى منابع النيل الأبيض».

فى الجزء الأول من مذكراته «السودان بين يدَىْ غوردن وكتشنر» دار الكتب والوثائق القومية، يحكى «إبراهيم فوزى باشا»: «علمت من شيخ ذى منصب معاصر لمحمد على باشا أن دولة أوروبية كانت تسعى لمعارضته باحتلال منابع النيل، فاهتم لهذا الخبر أكبر اهتمام واستشار كثيرا من المهندسين الأوروبيين الذين جاء بهم من بلادهم إلى هذا القطر، فأقروا بالإجماع على أن وقوع

منابـع النيـل تحـت براثـن هـذه الدولـة ممـا لا تُحمـد مغبتـه، حيـث تصـير حيـاة مـصر فى يدهـا، فصمـم عـلى إنفـاذ حملـة إلى السـودان».

الدولـة التـى يقصدهـا فـوزى باشـا هـى بريطانيـا، ونفهـم مـن الحكايـات الثـلاث السـابقة، كيـف كان يفكـر محمـد عـلى وولـداه فى نهـر النيـل بحـدوده، ونعـرف أهـم أسـباب ضمـه السـودان وفتوحاتـه الأفريقيـة الأخـرى، وسر اصطحـاب الجيـش للمهندسـين والعلـماء والشـيوخ الذيـن كانـت مهمتهـم إقنـاع النـاس بالحكـم الجديـد، ونعـرف فى تاريخنـا القريـب لمـاذا اهتـم جمـال عبـد النـاصر بأفريقيـا وفى القلـب منهـا دول حـوض النيـل.

أسّـس المصريـون مدينـة «الخرطـوم» لتصبـح «مركـزا لتسـيير الرحـلات الجغـرافية لاكتشـاف منابـع النيـل»، وحسـب كتـاب «عصـر محمـد عـلى» لـ«عبـد الرحمن الرافعـى»: محمـد عـلى ذاتـه رحـل إلى السـودان «١٥ أكتوبـر ١٨٣٨ إلى ١٥ مـارس ١٨٣٩» يجـوب أنحـاءه ويتفقّـه معادنـه، ولمـا عـاد مـن رحلتـه تـولى بنفسـه تنظيـم البعثـات والحمـلات الجغرافيـة بعيـدة المـدى للكشـف عـن منابـع النيـل.

نظـم محمـد عـلى، ثلاث حمـلات لاكتشـاف منابـع النيـل الأبيـض، كانـت أولاها فى مثـل هـذا اليـوم «١٦ نوفمـبر ١٨٣٩» برئاسـة البكباشـى المـصرى سـليم بـك قبطـان، الضابـط بالبحريـة المصريـة، وجعـل تحـت تصرفـه ٤٠٠ جنـدى، والضابـط «سـليمان كاشـف»، وفرنسـى اسـمه «تيبـو» كان يتسـمى بـ«إبراهيـم أفنـدى»، واعتـمادا عـلى رسـالة كتبهـا «سـليم بـك»، ونشرتهـا المجلـة الجغرافيـة الفرنسـية «يوليـو ١٨٤٢»، يقـول الرافعـى: تـزودت الحملـة بذخائـر ومؤونـة تكفى ٨ أشـهر، ووصلـت إلى بلـدة «الغبـس» جنوبـى الخرطـوم، ثـم حالـت الموانـع فى النهـر دون تقدمهـا، فعـادت إلى الخرطـوم يـوم ٣٠ مـارس ١٨٤٠، وفى عودتهـا عرّجـت بـ«نهـر سـوباط» أحـد روافـد النيـل لاكتشـافه، ودامـت الرحلـة ١٣٥ يومـا.

١٧ نوفمبر عام ١٩٣٥
تشييع جثمان الطالب الشهيد «على طه عفيفى» بعد سرقة جثمانه

كانت الساعة الخامسة مساءً فى مثل هذا اليوم «١٧ نوفمبر ١٩٣٥»، حين بدأت جنازة طالب كلية دار العلوم الشهيد «على طه عفيفى»، الذى سقط مصابا يوم ١٦ نوفمبر برصاص قوات الأمن والإنجليز فى المظاهرة التى خرجت من جامعة فؤاد الأول «القاهرة»، احتجاجا على تصريحات وزير الخارجية البريطانى «صمويل هور» بأن الحكومة البريطانية لا توافق على عودة العمل بدستور ١٩٢٣، وبدأت هذه المظاهرات يوم ١٣ نوفمبر.

فى قصة استشهاده ودفنه دراما كبيرة، فحسب كتاب «الطلبة والحركات الوطنية فى مصر ١٩٢٢- ١٩٥٢» للدكتور عاصم محروس عبد المطلب، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، طلب طلبة الطب من مصطفى فهمى بك وكيل المستشفى العام تسلُّم الجثمان، فقال إن الأمر فى يد النيابة والبوليس، وسرى إلى علم الطلبة أن هناك نية لدفنه ليلا، كما حدث مع الشهيدين الطالبين عبد المجيد مرسى وإسماعيل الخالع، فسرق طالب الجثمان ونقله إلى مكان لا يعرفه أحد، ورفض الطلاب تسليم الجثة إلى اللواء «رسل باشا» حكمدار القاهرة إلا بعد التصريح لهم بتشييعها، فكان لهم ما أرادوا.

فى وصف مؤثر للجنازة قالت الأهرام فى عددها الصادر يوم ١٨ نوفمبر: «اشترك فى تشييع الجنازة جميع الطلبة والمصابون الذين كانوا يرقدون فى المستشفى، وظهر بعضهم وقد عُصبت رءُوسهم، والبعض الآخر وقد عُلقت

أيديهم فوق رقابهم، واشتركت الممرضات والمرضى والأهالى فى المظاهرة بين العويل والبكاء، وكان النبأ قد ذاع فى الأوساط والدوائر السياسية، فحضر للمستشفى جمهور كبير وكبار الساسة، وحمل الطلبة النعش ورفعوا علمهم، وسارت الجنازة يتقدمها الطلاب الذين يحملون العلم ثم نعش الفقيد، يتبعه عميد كلية الطب والأطباء وأساتذة الجامعة ومكرم عبيد وأحمد ماهر والنقراشى والنحاس وغيرهم».

سارت الجنازة صامتة فى شارع القصر العينى، تحيِّيها الجماهير من نوافذ البيوت، ووقف الناس على جانبى الطريق خاضعين وبلغت جماهير المشيعين عددا لا يحده بصر، وعندما بلغ المشيعون «دار العلوم» وهى مدرسة الفقيد، وقف النعش قليلا، وحيت المدرسة «الكلية» فقيدها فأضاءت الأنوار له.

فى صحيفتَى «الجهاد» و«كوكب الشرق» إضافات أخرى على المشهد، فالموكب تقدمه أربع طالبات يمثلن مدارس البنات، وسار وسط هتافات «الله أكبر»، «فى سبيل الوطن»، «لتحى ذكرى الشهداء، لتحيا ذكرى الشهيد على طه»، ونظم طالب قصيدة رثاء فى الشهيد قال فى مطلعها:

فى ذمة الله بل فى ذمة الوطن ... هذا الشباب الذى لف فى الكفن
مضى وأبقى لنا ذكرى نرددها ... لا تحسبوا أنه أودى بلا ثمن

بعد الصلاة على الجثمان فى مسجد السيدة زينب، نُقل الشهيد إلى المدافن بسيارة، وحدث خلاف أيهما يكون معه إلى المقبرة؟ فبينما أراد طلبة دار العلوم حمله بمفردهم، صمم الباقون على المشاركة، فاستقر الأمر على أن يشارك طالب من كل كلية ومدرسة، ولم تسمح حكومة نسيم باشا بإقامة سرادق للعزاء، وسمحت بوضع مقاعد فى مساحة لا تزيد على عشرة أمتار، لكن الطلبة وضعوا مئات المقاعد، وحضر مصطفى النحاس، وألقى الطالبان «محمد برهام» و«محمود حسن إسماعيل» شعرًا.

١٨ نوفمبر عام ١٩٧٧
استقالة «محمد رياض» بعد ست دقائق من تعيينه وزيرًا للخارجية

اتصل مبارك «نائب السادات» بوزير الخارجية إسماعيل فهمى يسأله عن وسيلة المواصلات التى يريدها، كى يذهب إلى الإسماعيلية لاستقبال «الرئيس» فى المطار عائدًا من العاصمة السورية «دمشق».

كانت المكالمة بين «نائب الرئيس» و«الوزير» يوم ١٧ نوفمبر، وهو اليوم الذى طار فيه السادات إلى سوريا للاجتماع بالرئيس السورى حافظ الأسد، لإقناعه بما أعلنه عن مبادرته بالسفر إلى إسرائيل. عرض «مبارك» على «فهمى» إمكانية توفير هليكوبتر تطير من أقرب مطار لمنزله فى «حى الزمالك»، لكن فهمى طبقا لمذكراته «التفاوض من أجل السلام فى الشرق الأوسط»، أبلغ مبارك: «لن أذهب»، ولما ضغط مبارك لمعرفة السبب، قال له: «سأرسل لك مظروفا أرجو تسليمه له شخصيا».

فتح السادات الظرف ليجد ورقة بنص استقالة فهمى من منصبه، فأخبر «مبارك» وغيره من كبار المسئولين الموجودين فى استقباله والسفير الأمريكى «هرمان إيلتس» بالاستقالة، مما دفع الفريق أول عبد الغنى الجمسى وزير الدفاع إلى طلبه من السادات بالسماح له بالعودة إلى القاهرة كى يأتى بـ«فهمى»، لكن الرئيس رد: «أنت لا تعرف فهمى، كان طوال الوقت ضد

فكرة رحلة القدس، ولن يقبل تغيير قراره»، وهنا أمر السادات بإذاعة خبر الاستقالة، الذى تصدَّر وسائل الإعلام العالمية مستمدا أهميته من مفاجأة خطوة زيارة رئيس أكبر دولة عربية إلى إسرائيل بعد أربع حروب بينهما.

أذاع التليفزيون المصرى الخبر باختصار شديد، ثم أغفله نهائيا فى اليوم نفسه، وبقيت مشكلة البحث عن وزير جديد للخارجية فى غضون ساعات قليلة، ليكون ضمن الوفد الذى سيصاحب السادات إلى «تل أبيب» يوم ١٩ نوفمبر، فاستقر الرأى على السفير محمد رياض، وكان يشغل منصب وزير الدولة للشئون الخارجية، وقبله كان مديرا لمكتب وزير الخارجية «محمود رياض» (التشابه فى الاسم فقط)، وفى مثل هذا اليوم «١٨ نوفمبر ١٩٧٧» دعاه مبارك إلى مكتبه فى القصر الجمهورى، وأخبره أنه وقع الاختيار عليه ليكون وزيرا للخارجية مؤقتا، والمفارقة أن الخبر كان قد أُذيع فى التليفزيون.

تخلل اللقاء مناقشة قصيرة بين مبارك ورياض، وبعدها بست دقائق تقدم «رياض» أيضًا باستقالته، وذهب إلى منزل «فهمى» ليخبره بقراره، واللافت أن من قاموا بالتأريخ لحدث المبادرة بمجمله ومنهم المسئولون الذين كتبوا شهاداتهم لم يركزوا على استقالة «رياض» بما شملته من المقابلة القصيرة التى حدثت بينه ومبارك.

فى مجمل هذه القصة، نحن أمام وزيرين للخارجية تقدما باستقالتهما فى ٢٤ ساعة بإرادتهما وبرؤية لهما على النقيض من رؤية السادات للسلام، وتلك كانت مفاجأة لـ«السادات» الذى كان سيسافر إلى «تل أبيب» يوم ١٩ نوفمبر، وحسب فهمى: «أراد أن يذهب معه إلى القدس أكبر عدد من الشخصيات المصرية، ولم تكن هذه هى العادة لأنه لم يكن ليصطحب وفدا كبير العدد إذا ما سافرنا معه للخارج فى زيارات رسمية، وذهب إلى مدًى أبعد بإرسال طائرة خاصة لإحضار بعض الرسميين وبعض من رجال الصحافة الذين كانوا فى الخارج لاصطحابهم معه».

١٩ نوفمبر عام ١٩٣٥
الطالب «محمد عبد الحكيم الجراحى» يكتب قبل استشهاده:
«الموت أمر صغير من أجل مصيرنا»

«إلى رئيس وزراء إنجلترا روح الشر، سيدى.. أحد رجالكم الأغبياء أصابنى برصاصة، وأنا أموت الآن شيئا فشيئا، ولكننى سعيد للغاية أن ضحيت بنفسى، إن الموت أمر صغير وآلام الموت عذبة المذاق من أجل مصيرنا، فلتحى مصر، ليسقط الاستعمار ولتسقط إنجلترا، وسيتولى الله عقابكم قريبا أنتم وإنجلترا روح الشر، فلتحى التضحية.. أحد الشهداء المصريين محمد عبدالحكيم الجراحى».

كتب هذه الكلمات المؤثرة، طالب كلية الآداب جامعة فؤاد الأول «القاهرة» محمد عبد الحكيم الجراحى وهو يصارع الموت شهيدا فى مثل هذا اليوم «١٩ نوفمبر ١٩٣٥» فى مستشفى «قصر العينى»، بعد إصابته أثناء مشاركته فى مظاهرات الطلاب التى بدأت يوم ١٣ نوفمبر طلبا للاستقلال التام لمصر من الاحتلال الإنجليزى.

فى تفاصيل الحدث، وكما يأتى فى كتاب «نضال شعب مصر ١٧٩٨ - ١٩٥٦» لمؤلفه «محمد عبد الرحمن حسين»، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، كان طلاب الجامعة فى مظاهرة سلمية وما كادوا يعبرون كوبرى عباس حتى واجهتهم قوة من الكونستبلات الإنجليز بالمدافع الرشاشة، وأطلق الضابط الإنجليزى «ليز» أربع رصاصات على طالب كلية الزراعة «محمد عبد المجيد مرسى»، وما كاد الدم ينزف منه حتى أخرج من جيبه منديلا وبلّله بدمه ثم

سلمه إلى أحد زملائه قائلا: «تذكروا هذه الدماء»، فحمله زملاؤه على عربة كارُّو إلى مستشفى قصر العينى، وحين التف الأطباء والممرضات حول الجثة لفحصها، وفور كشف الغطاء عن الوجه، دوت صرخة مدوية من ممرضة هزت أرجاء المستشفى، كانت من الآنسة «إحسان عبد المجيد مرسى» شقيقة الشهيد.

كانت روح الشهيد محمد عبد المجيد ترفرف على باقى الطلاب المتظاهرين، مصممين على حمل أرواحهم على أكُفِّهم.

تقدم «الجراحى» ليواجه الضابط القاتل «ليز»: «أمِن الشجاعة أن تضرب شابا أعزل فتقتله، هو أقوى منك ومن سلاحك؟».

رد ليز مهددا: «أتود أن تلحق به؟»، ففتح الجراحى صدره: «لسنا جبناء مثلكم»، فأطلق الضابط الرصاص عليه، ليسقط على بعد خطوات ودقائق من مكان زميله «عبد المجيد».

فى مستشفى قصر العينى وبينما هو يصارع الموت كتب رسالته إلى رئيس الوزراء البريطانى ليتركها وصية للأجيال اللاحقة، وشهادة على الدماء التى تسيل من أجل مصر.

لم يفارق الطلبة الجثة خوفا من تهريبها، وفى كتاب «الطلبة والحركة الوطنية فى مصر»، يقول مؤلفه الدكتور عاصم محروس عبد المطلب، إن جنازة «الجراحى» بدأت فى الساعة الثالثة يوم ١٩ نوفمبر وحضرها نحو ٥ آلاف يتقدمهم رؤساء الأحزاب، النحاس وصدقى ومحمد محمود وغيرهم والهيئات المختلفة والطلبة بأعلامهم بهتافات: «يسقط الاستعمار»، «مصر فوق الجميع».

كانت النوافذ مفتوحة يطل منها الناس على الجنازة والبكاء يسيل، والهتافات تعلو: «إلى جنة الخلد يا عبدالحيكم»، «احْكِ الظلم إلى سعد العظيم»، وأثناء مرور الجنازة أمام المدرسة السَّنية كانت الطالبات فى انتظارها يهتفن أيضا، وفى المساء شارك «النحاس باشا» و«مكرم عبيد» فى المأتم، وخطب النحاس فى الحاضرين ليتوجه الطلاب بعدها إلى «بيت الأمة».

٢٠ نوفمبر عام ١٩٧٧
السادات يخطب فى الكنيست..
والملك خالد يدعو عليه أثناء غسل الكعبة

«سنفعل كل ما فى وسعنا ليخرج السادات مبسوطا من إسرائيل، حاكم دولة تجاربنا يأتى إلينا أمر جيد، هذا الأمر نادر، ويجب أن نقلب فى الصفحات القديمة لنبحث عن الأمر»، هكذا تحدث مناحم بيجن رئيس وزراء إسرائيل أمام لجنة الخارجية والأمن فى الكنيست الإسرائيلى قبل ساعات من زيارة الرئيس أنور السادات إلى إسرائيل «١٩ نوفمبر ١٩٧٧».

طبقا للوثائق الإسرائيلية التى أزيحت السرية عنها، وتم نشرها فى الصحف الإسرائيلية والمصرية فى نوفمبر ٢٠١٢، فإن جلسة الحكومة الإسرائيلية المنعقدة قبل ساعات معدودة من خطاب السادات فى الكنيست، فى مثل هذا اليوم «٢٠ نوفمبر ١٩٧٧» شهدت سؤالاً لـ«بيجن»:

هل أحضرت هدية للرئيس السادات؟.

أجاب: «لدىَّ هديتان، الأولى من فترة الآباء فى إسرائيل، وكتبت عليها: إلى الرئيس المصرى، ضيفنا العظيم من فترة الآباء، آباتنا المشتركين، أما الهدية الثانية فهى من عصر آباتنا المكابيين، وبالطبع فإن الإشارة واضحة».

كانت ردود الفعل العربية عنيفة على الزيارة التى وافقت يوم «وقفة عرفات»، لكن الأكثر إثارة ما يذكره محمد حسنين هيكل فى كتابه «خريف

الغضب»، نقلا عن العاهل السعودى الملك خالد بن عبد العزيز، الذى عبر عن أساه قائلا: «يومها كنت ذاهبا لأغسل الكعبة الشريفة فى وقفة عرفات، ودخلت البيت العتيق، ولم أتعود فى بيت الله أن أدعو على أحد، وإنما تعودت أن أدعو لكثيرين، وعلى الرغم منى فى ذلك، فقد وجدتنى أبتهل إلى الله بأن تسقط الطائرة التى تقل السادات إلى القدس وتتحطم قبل أن يصل إليها، حتى لا يفضح المسلمين والعرب بذهابه هناك، ولقد راعنى أن أدعو على مسلم داخل الكعبة، لكن الرجل لم يترك لى خيارا».

حضر خطاب السادات نواب الكنيست، والسفراء الأجانب، وطاقم الحكومة الإسرائيلية، وقيادات الأحزاب، تحدث السادات فى الخطاب عن الصراع العربى الإسرائيلى، وصك فيه ما رآه بأن «الحاجز النفسى» هو الذى يقف عائقا بين العرب وإسرائيل، وأشار إلى أنه لم يقُم بالزيارة كى يعقد صلحا منفردا، غير أنه ذكر معلومة فى الخطاب تمثل نقطة بالغة الأهمية فى رصد نهجه المبكر للسلام مع إسرائيل، حيث قال: «أعلنت من قبل ومنذ أعوام وبالتحديد فى ٤ فبراير ١٩٧١، أننى مستعد لتوقيع اتفاق سلام مع إسرائيل، وكان هذا أول إعلان يصدر عن مسئول عربى منذ أن بدأ الصراع العربى الإسرائيلى».

فى شهادته على العصر لقناة «الجزيرة» يذكر الدكتور بطرس غالى وزير الدولة للشئون الخارجية الذى كان ضمن الوفد المصاحب للسادات، أنه كتب خطاب السادات، لكنه فوجئ بخطاب آخر يلقيه، ويؤكد إسماعيل فهمى وزير الخارجية فى مذكراته، أنه قبل أن يقدم استقالته احتجاجا على الزيارة، طلب منه السادات أن يكتب الخطاب لكنه رفض، وقيل إن الصحفى موسى صبرى هو الذى كتب الخطاب.

وضمن ما تذكره الوثائق الإسرائيلية، أن «إيجال آيادين» نائب رئيس الوزراء الإسرائيلى التقى رئيس الوزراء مصطفى خليل، حيث قال له «خليل»: «إذا كان لديك الوقت فلتحضر معك وزير الدفاع، واصعد معه إلى غرفتى لنحتسى الويسكى»، وفى الغرفة استمرت المحادثات ثلاث ساعات ونصف الساعة.

٢١ نوفمبر عام ١٩١٩
كاتدرائية الأقباط الأرثوذكس تزدحم بألفَيْ مسيحى
لرفض ترشيح المسيحى «يوسف وهبة» رئيسًا للوزراء

الوقت صباحا، وكاتدرائية الأقباط الأرثوذكس مزدحمة بنحو ألفين من نخبة الأقباط فى مثل هذا اليوم «٢١ نوفمبر ١٩١٩».

كان الحدث كبيرا فلا مقعد خالٍ، والمماشى مكتظة وذلك قبل إصدار مرسوم سلطانى بتشكيل وزارة «يوسف وهبة باشا»، التجمهر كان «قبطيا» رفضا لرئيس وزراء قبطى سيتم تعيينه خَلفًا لرئيس وزراء مسلم هو «محمد سعيد باشا»، وبالطبع فإن مصر هى الفائزة بتوحُّدها.

لم يقف رفض وقبول «يوسف وهبة باشا» على أرضية طائفية، وإنما على أرضية وطنية جامعة يتشارك فيها المسلم والمسيحى، وفى مذكرات «عبد الرحمن فهمى-يوميات فى السياسة المصرية- الجزء الثانى» دار الكتب والوثائق القومية، يتحدث عن وقائع هذا اليوم التى جاءت على خلفية استعداد الحكومة الإنجليزية لإرسال لجنة برئاسة «اللورد ملنر» إلى مصر لدراسة الحالة وأسباب ثورة الشعب المصرى (ثورة ١٩١٩)، واقتراح النظام الذى تراه ملائما لمصر فى ظل الحماية البريطانية، ورأت القوى الوطنية مقاطعة اللجنة، ولما قامت «دار الحماية» يوم ١٥ نوفمبر بالإعلان عن قدوم اللجنة، تقدم محمد سعيد باشا باستقالة حكومته، فقرر السلطان فؤاد إسناد تشكيل الوزارة إلى يوسف وهبة، ليكون الغضب عظيما بين المصريين، وحسب فهمى: «كان الأشد استياء الأقباط أنفسهم».

فى وصف المشهد بالكاتدرائية، يقول «فهمى» المشهور تاريخيا بأنه «القائد التنظيمى السرى لثورة ١٩»: رأس الاحتفال حضرة القُمُّص باسليوس وكيل البطريركية، وافتتحه الآباء القسوس بصلاة شكر وكان شمامسة الكنيسة واقفين بملابسهم الرسمية يحملون الشموع فشاركوا الآباء القسوس بترنيم بعض الأناشيد الدينية، ثم نهض حضرة القمص سلامة منصور رئيس المجلس المِلِّى بالقاهرة وبارك الحاضرين ودعا لهم بالنجاح فى مقاصدهم الوطنية، ثم دعا الخطباء فتقدمهم حضرة توفيق أفندى حبيب، محرر جريدة الأخبار وألقى كلمته، ومما جاء فيها: «ليعلن هذا الجمع براءته ممن سلم مفتاح الحصن وليعلن بلسان خطبائه أن المصريين كلهم يد واحدة ينشدون الحق وللحق قوة لا تصرع مهما بُذل فى إخماد نوره».

توالى الخطباء حتى كانت الخطبة الأخيرة لـ«القمص مرقس سرجيوس» وقوبلت بعاصفة قوية من التصفيق، وكان اكتسب شهرة واسعة نتيجة خطبه الثورية التى كانت تلقى فى الأزهر.

ويقول فهمى: «كان فى الكنيسة منضدتان أُعدت عليهما أدوات الكتابة وصورة بيان احتجاج عنوانه: (إلى الأمة المصرية)، فوقَّع عليه الحاضرون وهم خارجون كلٌ بإمضائه، واتفق الحاضرون على إرسال تلغراف بتوقيع رئيس الاجتماع حضرة القمص باسيلوس وكيل الدار البطريركية»، ونص على:

«حضرة صاحب المعالى يوسف وهبة باشا.. الطائفة القبطية المجتمع منها ما يربو على الألفين فى الكنيسة الكبرى تحتج بشدة على إشاعة قبولكم الوزارة، إذ هو قبول للحماية ولمناقشة لجنة ملنر، وهذا يخالف ما أجمعت عليه الأمة المصرية من طلب الاستقلال التام، ومقاطعة اللجنة»، وكان هناك نص آخر وقع عليه بعض البارزين والمفكرين من الأقباط موجها إلى الأمة المصرية، ومما جاء فيه: «لا فرق بين مسلم وقبطى، بل المصريون كلهم شخص واحد، ولكن الأقباط يرون أنفسهم مضطرين إلى أن يتقدموا بصفتهم أقباطا لإظهار شعورهم حيال هذا الحادث».

٢٢ نوفمبر عام ١٢٤٩
«شجر الدر» تدير شئون الحكم طمعًا فى «السلطنة» والمظاهرات تندلع اعتراضًا

«امرأة صعبة الخلق، شديدة الغيرة، ذات شهامة زائدة، وحرمة وافرة، سكرانة من خمر التِّيه والعجب»، هكذا يصف «المقريزى» شخصية «شجر الدر» وكان معاصرا لها.

هى إمرأة تحفظ كتب التاريخ سيرتها بوصفها الملكة التى حكمت ٨٠ يوما، وكان طموحها «سباحة ضد التيار» بحسب تعبير المؤرخ الدكتور قاسم عبده قاسم فى كتابه «عصر سلاطين المماليك- التاريخ السياسى والاجتماعى- دار العين، القاهرة».

هى جارية تركية، وقيل إنها أرمنية، اشتراها السلطان الأيوبى «الصالح نجم الدين أيوب» ثم أعتقها وتزوجها، وبدأت طريقها إلى السلطة من وفاة زوجها فى مثل هذا اليوم «٢٢ نوفمبر ١٢٤٩» أثناء مواجهة الحملة الصليبية السابعة، ويقول قاسم: يبدو أن السلطان كان قد رتب أمور الحكم مع زوجته قبل وفاته، فتولت ترتيب أمور الدولة، وإدارة شئون الجيش فى ميدان القتال ضد الصليبيين، وأخفت نبأ موت السلطان، وأعلنت أن الأطباء منعوا زيارته، وفى الوقت نفسه أرسلت إلى ابنه «توران شاه» تحثُّه على مغادرة حصن كيفا بالقرب من حدود العراق، وسرعة القدوم إلى مصر كى يعتلى عرش السلطنة.

أعـد «بيـبرس» خطـة مواجهـة الصليبيـين ووافقـت «شـجر الـدر» عليهـا وقـاد تنفيذهـا، وانتهـت بهزيمـة قويـة لـ«الفرنـج»، وأسْر الملـك «لويـس التاسـع» الـذى كان عـلى رأس حملـة الصليبيـين، وتـم نقلـه سـجينا فى «دار ابـن لقـمان»، وأسـفرت المفاوضـات النهائيـة عـن الإفـراج عنـه مقابـل فديـة ماليـة كبـيرة وجـلاء الفرنـج عـن مـصر.

بينـما كانـت الحـرب فى الطريـق إلى قـول كلمتهـا الأخـيرة، بـدأت قصـة الـصراع عـلى الحكـم، فاتفقـت «شـجر الـدر» مـع زعـماء المماليك عـلى التخلـص مـن «توران شـاه» الـذى كان موجـودا فى الخيمـة السـلطانية فى فارسـكور، وتلقـى ضربـة سـيف مـن «بيـبرس»، فجـرى ليحتمـى بـبرج خشـبى، فـأضرم المتآمـرون النـار فيـه، فنـزل يجـرى صـوب النهـر لكـن السـهام لاحقتـه مـن كل جانـب فرمـى نفسـه فى النيـل، ولخـص المقريـزى طريقـة موتـه بقولـه: «مـات جريحـا غريقـا محترقـا».

التخلـص مـن «تـوران شـاه» قـاد إلى اختيـار المماليـك «شـجر الـدر» للجلـوس عـلى عـرش السـلطنة كخطـوة انتقاليـة تمهـد لتأسـيس دولتهـم، وأخـذت تتقـرب إلى الخاصـة والعامـة مـن أهـل الحكـم والرعيـة، لكـن هـل نفـع كل ذلـك؟ هـل كان مـن المعقـول أن تحكـم مـصر امـرأة فى هـذا التوقيـت؟

«جلـوس امـرأة عـلى العـرش كان يناقـض الثقافـة السـائدة»، هكـذا يجـزم الدكتـور قاسـم عبـده قاسـم: «خرجـت المظاهـرات، واسـتشرت الاضطرابـات فى العاصمـة، ممـا اضطـر السـلطات إلى إغـلاق بوابـات القاهـرة منعـا لامتـداد الحالـة إلى الريـف، وتألفـت رسـائل حـول الكـوارث والمصائـب التـى يمكـن أن تحـل بالمسـلمين إذا حكمتهـم امـرأة».

عاصفـة الغضـب امتـدت إلى الخليفـة العباسـى «المسـتعصم بـالله» الـذى كان شرعيـا هـو الـذى يقـرر شـخصية الحاكـم، لأنـه «خليفـة المسـلمين»، كان هنـاك طلـب أمامـه عليـه أن يـرد عليـه وهـو تفويـض سيوقِّع عليـه كـى يعطـى المسـاندة الشرعيـة لـ«سـيدة الحكـم» الجديـدة لكنـه قـال: «إن كانـت الرجـال قـد عدمـت عندكـم فأعلمونـا حتـى نسـيِّر إليكـم رجـلا»، وأمـام هـذا الحصـار الـذى اسـتمر ٨٠ يومـا تنازلـت «شـجر الـدر» عـن الحكـم لواحـد مـن أمـراء المماليـك هـو «عـز الديـن أيبـك».

٢٣ نوفمبر عام ١٩٦٧
عبدالناصر فى أكبر عملية نقد ذاتى: فيه مراكز قوى اتكونت وكنا بنقبل الحلول الوسط

«أنا شفت الجوابات فى الفترة اللى فاتت، وأنا باستمرار فى كلامى يمكن كنت باستشهد بالجوابات، فيه ملاحظة لاحظتها فى الشهور اللى فاتت، أنا ما لاحظتش اليأس، يمكن فيه نقمة، فيه غضب، ناس زعلانة، وفيه أيضا مستوى عالى من نقد الغير فى المصانع والمؤسسات، والمصالح والمواقع المختلفة، طبعا عدد كبير من هذه الجوابات، ولو أن باقراها، ولكنها جوابات بدون إمضاء، كل واحد مش عاجبه حاجة أو زعلان مع واحد أو متضايق من واحد كتب فيه، طبعا أنا لا أستطيع أن أتصرف فى هذه المواضيع على أنها قضية مطلقة، ولكن أنا فى هذا باقول إن أنا بحاول أتحرى».

الكلمات السابقة من خطاب جمال عبدالناصر أمام مجلس الأمة «البرلمان» فى افتتاحه مثل هذا اليوم «٢٣ نوفمبر ١٩٦٧»، وتكمن أهميته فى أنه جاء بعد نكسة ٥ يونيه ١٩٦٧ وتوابعها الهائلة على كل المستويات، ونوَّه فى بدايته إلى أنه لن يتحدث من نص مكتوب بالكامل قائلا: «نوع الحديث الذى نحتاج إليه اليوم هو حديث القلب للقلب، وهو حديث لا بد له أن يكون مفتوحا وطليقا، لا تحده قيود النصوص الرسمية، ولا تحبسه الألفاظ المقررة سلفا، والعبارة المكتوبة من قبل مناسبتها».

جـاء الخطـاب خليطـا بـين الفصحـى والعاميـة، لكنـه كان نموذجـا فى النقـد الذاتـى الـذى يقدمـه الرئيـس، ومـن اللافـت فى الخطـاب إشـارة «عبـد النـاصر» فى أكثـر مـن موضـع إلى أنـه يتحـدث اعتـمادا عـلى الخطابـات التـى تصلـه مـن المصريـين.

اعـترف مثـلا بوجـود «مراكـز قُـوى»، مشـيرا إلى أنـه حـاول التغلـب عليهـا منـذ ١٩٦٢ بتكويـن «مجلـس رئاسـى» لكـن لم يحـدث، واعـترف بأنـه فى هـذا الأمـر لجـأ إلى الحلـول الوسـط: «كنـا فى كثـير مـن الأمـور بتكـون الحلـول الوسـط هـى الحلـول التـى تمكّـن مـن السـير بسـلام، وتجنـب اصطدامـات قـد تكـون لهـا أضرار بليغـة، أمـا بعـد عودتـى يـوم ١٠ يونيـه (١٩٦٧) مـش حاقبـل حلـول وسـط».

فى الإجـراءات التـى تحـدث عنهـا مـن أجـل الإصـلاح قـال: «بـدلات كثـيرة أُلغيـت أو خفضـت، وفيـه امتيـازات ألغيـت، وفيـه ضرايـب زيـدت بالنسـبة للشرائـح الكبـيرة»، وأضـاف: «أنـا باقـول قانـون «مـن أيـن لـك هـذا؟» لابـد أن يطبـق، ونعـرف بالنسـبة إلى كل النـاس الـلى خدمـوا مـن سـنة ٥٢ لغايـة النهـارده عندهـم إيـه، مـن أول رئيـس الجمهوريـة».

تحـدث «عبدالنـاصر» عـن ملـف المعتقلـين مـن جماعـة الإخـوان فقـال: «مـش هيفضـل مـن المعتقلـين إلا النـاس الـلى كانـوا أعضـاء فى الجهـاز السـرى والتنظيمات السريـة المسـلحة، وهـؤلاء النـاس كان عليهـم أحـكام، وأنـا فى سـنة ١٩٦٤ إدينهـم عفـو وشـلت عنهـم هـذه الأحـكام، إمـا عفـو صحـى إمـا عفـو كامـل، وعملنـا لهم قانـون بأنهـم يرجعـوا إلى وظائفهـم، ونتـج بعـد كـده بسـتين مـن ١٩٦٤ عمليـات إرهابيـة، وده خلانـا نمسـك كل النـاس الـلى مشـتركين فى تنظيـمات إرهابية مسـلحة أو حكـم عليهـم فى السـابق وأفرجنـا عنهـم فى السـابق، هـؤلاء النـاس بنفـرج عنهم بالتدريـج، وعددهـم مـش بالعـدد الكبـير، عددهـم أقـل مـن ألـف».

٢٤ نوفمبر عام ١٩٢٥
احتلال جمرك إسكندرية واستقالة حكومة سعد زغلول

كانوا ستة أشخاص، ثلاثة لإطلاق النار، اثنان للمراقبة، واحد لقيادة سيارة تكون مهمته التقاط زملائه والهرب بهم، بعد تنفيذ اغتيال السردار الإنجليزى، لسير لى استاك، سردار الجيش المصرى وحاكم السودان، كان الهدف ثمينا بحسب ما رأى المنفذون، ردا على سياسة الاحتلال الإنجليزى لمصر، ومنها ازدياد عدد المعتقلين الوطنيين والإفراط فى تعذيبهم، وأدى ذلك إلى تكوين الجمعيات السرية الوطنية التى طاردت الاستعمار ورجاله، ومن أبرزها الجمعية التى كونها شباب الحزب الوطنى عام ١٩٠٦، وكان من أعضائها «إبراهيم ناصف الوردانى، محمود عنايت، خليل مدكور سكرتير الزعيم محمد فريد».

اتخذت هذه الجمعية الاغتيالات نهجا، ونفذت أولى عملياتها باغتيال بطرس غالى رئيس الحكومة عام ١٩٢٠، وحاولت اغتيال الخديو عباس حلمى الثانى أثناء زيارته الأستانة عام ١٩٢١، واعتدت على السلطان حسين كامل مرتين فى القاهرة بميدان عابدين والإسكندرية، واغتالت المستر براون المراقب العام لوزارة المعارف، والمستر كيف وكيل حكمدار القاهرة الذى اشتهر بتعذيب المعتقلين، لحد إجباره لهم بأكل روث الخيول كما يأتى فى كتاب «نضال شعب مصر ١٧٩٨ - ١٩٥٦» تأليف محمد عبد الرحمن حسين، واغتيال المستر بيجوت مدير مالية الجيش الإنجليزى، والمستر بسون

الإنجليـزى المتعصـب، وكان مدرسـا فى مدرسـة الحقـوق، هـذا بخـلاف اغتيـالات لضبـاط وجنـود إنجليـز آخريـن.

اكتنــف الغمــوض هــذه الحــوادث، حتــى جــاء السـير «لى سـتاك» مـن السـودان إلى القاهـرة، فتمـت مراقبتـه لعـدة أيـام مـن منزلـه بالزمالـك إلى مكتبـه بـوزارة الحربيـة، وفى تمـام السـاعة الثانيـة بعـد الظهـر يـوم ١٩ نوفمـبر ١٩٢٤ نـزل الرصـــاص كالمطـــر عـلى سيارته ليقـع قتيـلا، وضمـت المجموعـة المنفـذة، عبـد الفتـاح عنايـت الطالـب بالحقـوق، وأخـاه عبـد الحميـد الطالـب بـ«المعلمـين العليـا»، وإبراهيـم موسـى، وراغـب حسـين الموظـف بالأوقـاف، ومحمـود راشـد مهنـدس التنظيـم، ومحمـود إسـماعيل.

تفرقـت المجموعـة، لكـن الاحتـلال انتهـز الفرصـة فتوجـه اللـورد أللنبـى المنـدوب السـامى صبـاح ٢٢ نوفمـبر فى مظاهـرة عسـكرية ضخمـة إلى مجلـس الـوزراء، ووجَّـه إلى رئيسـه سـعد باشـا زغلـول إنذاريـن باللغـة الإنجليزيـة تلاهـا المنـدوب السـامى وهـو واقـف ثـم عـاد إلى مكتبـه دون أن ينتظـر أى رد، وحسـب ما يذكـره كتـاب «نضـال شـعب مصـر»: «انتهـى الإنـذاران بتهديـد الحكومـة بأنهـا إذا لم تُلـبِّ هـذه المطالـب فى الحـال، فـإن إنجلـترا سـتتخذ عـلى الفـور التدابـير اللازمـة لمناسـبة صيانـة مصالحهـا فى مـصر والسـودان، ورفضـت الحكومـة الإنذاريـن إلا فيـما يختـص بالتعويـض والقبـض عـلى الجنـاة، وترتـب عـلى هـذا الرفـض احتـلال الإنجليـز لجمـرك إسـكندرية فى مثـل هـذا اليـوم ٢٤ نوفمـبر ١٩٢٤، ممـا أدى إلى اسـتقالة الحكومـة فى اليـوم نفسـه.

أعلـن الاحتـلال مكافـأة عـشرة آلاف جنيـه لمـن يـدل بمعلومـات عـن «المتهمـين»، فتقـدم «نجيـب الهلبـاوى» صديـق الأخويـن «عنايـت» كشـاهد مالـك مما أكسـبه وصـف «الخائـن»، ويقـول عنـه فتحـى رضـوان فى كتابـه «نصـف قـرن بـين السياسـة والأدب»: «كان متهـما مـن قبـل، متهـما فى جنايـة الـشروع فى قتـل السـلطان حسـين كامـل»، وتـم القبـض عـلى المجموعـة، وتعرضـوا لتعذيـب بشـع، ثـم قُدمـوا إلى المحاكمـة لتقـضى فى اليـوم السـابع مـن شـهر يوليـو ١٩٢٥ بإعـدام خمسـة مـن المجموعـة، والأشـغال الشـاقة المؤبـدة عـلى عبـد الفتـاح عنايـت.

٢٥ نوفمبر عام ١٨٦٦
جدل حول قول النواب للخديو إسماعيل : «نحن عبيد أفندينا»

مما يُروى أن الخديو إسماعيل أراد أن يضع نظاما لجلوس نواب مجلس شورى النواب الذى أسَّسه، فقال إن العادة جرت فى البرلمانات الأوروبية بأن يجلس مؤيدو الحكومة فى مقاعد اليمين، ومعارضوها فى مقاعد الشمال، فما كان من الأعضاء جميعا إلا أن انتقلوا فى مقاعد اليمين وقالوا: «نحن عبيد أفندينا».

شاعت هذه القصة عن مجلس شورى النواب الذى بدأت أعماله فى مثل هذا اليوم «٢٥ نوفمبر ١٨٦٦» نقلاً عن كُتَّاب أوروبيين، ونسبها بعضهم إلى «شريف باشا» رئيس الحكومة، لكن «عبد القادر حمزة» ينفى هذه القصة فى مقدمته التمهيدية لكتاب «التاريخ السرى لاحتلال إنجلترا مصر»، تأليف «بلنت» ومراجعة «الشيخ محمد عبده»، قائلا:

«هذه الرواية مكذوبة لأنها لا تستند إلا إلى دعاوى أولئك الأجانب، وكان للمصريين فى هذا العالم أعداء طبيعيون، هم المرابون والأفاقون الذين يسرهم أن تذاع عن الأمة المصرية كل النقائص، ليعاونوا إسماعيل على ضغطها بيديه فيبقى لهم الخير الذى تدرُّه عليهم أصابعه».

وضع «إسماعيل» لائحتين للمجلس نشرهما «بلنت» فى كتابه كاملتين، ويضع «عبد الرحمن الرافعى» فى كتابه «عصر إسماعيل» تقييما لهما يقودنا إلى فهم شامل لدور «شورى النواب»؛ قائلا: «المجلس لم تكن له سلطة قطعية

فى أى أمـر مـن الأمـور، وهـو وإن كان يُصْـدر قـرارات فيـها يعـرض عليـه مـن الشـئون، إلا أن هـذه القـرارات لا تعـدو أن تكـون «رغبـات» ترفـع إلى الخديـو، ولـه فيهـا القـول الفصـل».

لم يحـق لجمـوع المصريـين انتخـاب نـواب هـذا المجلـس البالـغ أعضـاؤه ٧٥، فالتصويـت اقتـصر عـلى عُمُـد البـلاد ومشـايخهم فى المديريـات، وجماعـة الأعيـان فى القاهـرة والإسـكندرية ودميـاط، ويتقـرر عـدد نـواب كل مديريـة حسـب التعـداد، فيُنتخَـب واحـد أو اثنـان عـن كل قسـم مـن أقسـام المديريـة بحسـب كـبر القسـم وصغـره، وينتخـب ثلاثـة نـواب عـن القاهـرة واثنـان عـن الإسـكندرية، وواحـد عن دميـاط، وشـملت الشروط ألا يقـل عمـر «النائـب» عـن ٢٥ عامـا، وأن يكـون ملـما بالقـراءة والكتابـة فى «الانتخـاب السـابع» أى بعـد ١٨ عامـا مـن تاريـخ الانتخـاب الأول، فيـما يعنـى إعفـاء المرشـحين مـن شرط القـراءة والكتابـة سـتة انتخابـات متاليـة، والتـى تتـم كل ثـلاث سـنوات، ويشـير «الرافعـى» إلى أن هـذا الـشرط كان يعنـى اعتـزام القضـاء عـلى الأميـة وقـت حلـول موعـد «الانتخـاب السـابع».

تحـدث الخديـو إسـماعيل فى افتتـاح المجلـس طالبـا أن «تتذاكـر فيـه المنافـع الداخليـة وتبـدى بـه الآراء السـديدة»، ووافـق يـوم الافتتـاح عيـد مـيلاد «الخديـو»، فأعلـن رئيـس المجلـس «إسـماعيل راغـب باشـا»: «هـذا يـوم عيـد يجـب عـدم الاشـتغال فيـه»، فوافـق الأعضـاء، ثـم انتخبـوا مـن بينهـم لجنـة تتـولى تقديـم الجـواب عـلى خطبـة العـرش، وفى اليـوم التـالى ذهـب أعضـاء اللجنـة بملابسـهم الرسـمية إلى السـراى الخديويـة وقدمـوا «الجـواب».

فى كتابـه «تاريـخ الفكـر المـصرى الحديـث الجـزء الثانـى، ١٩٨٣» يذكـر الدكتـور لويـس عـوض، أن اللجنـة التـى وضعـت الـرد عـلى خطـاب العـرش، كانـت مكونـة مـن عـشرة أعضـاء، هـم: أتربـى أبوالعـز، مـن محافظـة الغربيـة، هـلال بـك مـن الدقهليـة، محمـد أفنـدى عفيفـى مـن الشرقيـة، محمـد أفنـدى شـعير مـن المنوفيـة، الشـيخ محمـد الصـيرفى مـن البحـيرة، سـليمان أفنـدى عبـد العـال مـن أسـيوط، إبراهيـم الشريعـى مـن المنيـا، عمـر أفنـدى أبـو يحيـى مـن قنـا، حسـن أفنـدى شـعراوى مـن المنيـا، الشـيخ عـلى سـيد أحمـد مـن الفيـوم.

٢٦ نوفمبر عام ١٩٩٠

الجندى أيمن حسن يقتل ٢١ ضابطًا وجنديًا إسرائيليًا فى ٢٠ دقيقة

«أتمنى تنشروا الرسومات دى، هى يعنى محاولة منى، الرسم والكاريكاتير من هواياتى، بس ممكن يبقى الموضوع على قدى شوية».

كان الجندى «أيمن حسن» يحدثنى بهذه الكلمات، وهو يمدنى بقصاصات من الورق أنا وصديقى الكاتب والناقد والمحافظ الراحل الدكتور عزازى على عزازى، كانت تحتوى على رسوم، وكتابات تلقائية عن نفسه وبلده والجندى سليمان خاطر وأحمد عرابى أبناء محافظته، محافظة الشرقية، وحدث ذلك أثناء متابعتنا محاكمته فى المنطقة العسكرية بالسويس، لاتهامه بقتل ٢١ ضابطا وجنديا إسرائيليا وإصابة ٢١ آخرين فى عملية نوعية كبيرة، وتظل هى الأكبر منذ توقيع اتفاقية السلام بين مصر وإسرائيل عام ١٩٧٩.

كان أيمن يبلغ من العمر ٢٣ عاما (مواليد ١٣ نوفمبر ١٩٦٧) حين أقدم فى مثل هذا اليوم «٢٦ نوفمبر ١٩٩٠»، على عمليته التى أذهلت الجميع فى مستوى تنفيذها، ودقة أهدافها، وقدرته الفردية دون مساعدة أحد.

كان يفصل «أيمن» عن انتهاء خدمته العسكرية شهران فقط، لكن لم يكن يفصله شىء عن مخزون كراهيته لإسرائيل، ولم يُطِقْ أن يرى جنودها أمامه أثناء جنديته على الحدود مع الأرض الفلسطينية التى تحتلها، وبلغ غضبه مبلغه حين شاهد أثناء تأدية «نوبتجية» جنديا إسرائيليا يمسح حذاءه بعلم

مـصر، وفى مـرة ثانيـة رأى نفـس الجنـدى يفـترش العلـم، ويـمارس عليـه أفعـالا غـير أخلاقيـة مـع مجنـدة إسرائيليـة.

قـرر أيمـن الانتقـام بقتـل هـذا الجنـدى، لكـن حدثـت مذبحـة الأقـصى التـى قتلـت فيهـا إسرائيـل عـشرات الفلسـطينيين، فصمـم عـلى أن يوسـع عمليتـه، لتكـون ثأريـة بحـق، فتـدرب ٤٦ يومـا دون أن يعـرف أحـد مـا ينتـوى فعلـه، وفى يـوم العمليـة جمـع أكـبر عـدد مـن الأسـلحة والذخـيرة مـن داخـل الوحـدة، يقـول أيمـن: «عـبرت الحـدود، توغلـت خمسـة كيلومـترات، وهاجمـت سـيارة إسرائيليـة محملـة بالإمـداد والغـذاء ثـم سـيارة جيـب تابعـة للمخابـرات الإسرائيليـة، وبعدها أتوبيسـا بـه عـمال وعميـد مـن مفاعـل ديمونـة النـووى، واسـتمرت العمليـة لمـدة ثلـث سـاعة تقريبـا، وكان ضمـن القتـلى الجنـدى الـذى دنـس العلـم المـصرى مـن قبـل».

يتذكـر «أيمـن» أن رئيـس المنطقـة العسـكرية «ج» واسـمه اللـواء عبـد الحميـد رفـض تسـليمه لقـوات حفـظ السـلام، وكان رئيسـها ينـوى تسـليمه إلى إسرائيـل، أمـا وزيـر الدفـاع الفريـق يوسـف صـبرى أبوطالـب فأعطـى أوامـره المشـددة بعـدم اتخـاذ أى إجـراءات إلا بعلمـه، وعندمـا طلبـت المحكمـة تقريـرا طبيـا عـن حالتـه، احتـوى التقريـر عـلى أن هنـاك قصـورا فى خلايـا المـخ، فيـما يعنـى مرضـه نفسـيا، ويؤكـد أيمـن أن هـذا هـو الـذى أنقـذه مـن حبـل المشـنقة.

بـدأت المحاكمـة العسـكرية مـن منتصـف ديسـمبر ١٩٩٠، واسـتمرت نحـو ٥ أشـهر، وكنـت أشـاهد والديـه يواظبـان عـلى حضـور الجلسـات، وحسـن المعاملـة مـن الضبـاط لـه وللحاضريـن، وفى إحـدى الجلسـات قلـت لـه: «صدفـة غريبـة، أن تكـون أنـت وسـليمان خاطـر مـن محافظـة واحـدة»، والمعـروف أن سـليمان نفـذ عمليـة مماثلـة وإن كان عـدد القتـلى أقـل وذلـك أثنـاء تأديـة خدمتـه الليليـة، فـرد أيمـن: «سـليمان لم يغـب عنـى لحظـة واحـدة وأنـا أنفـذ عمليتـى» وفى يـوم ٦ أبريـل ١٩٩١، قضـت المحكمـة بسـجن أيمـن ١٢ عامـا، وخـرج مـن السـجن عـام ٢٠٠٠.

٢٧ نوفمبر عام ١٠٩٥
الآلاف يستمعون تحت البرد إلى دعوة البابا
«أوربان الثانى» للحملة الصليبية الأولى

كان البرد شديدا، لكن الآلاف من أنحاء أوروبا زحفوا، أقاموا خيامهم فى العراء، امتلأت قلوبهم بالحماسة، وفى وسط هذا الحشد اعتلى البابا «أوربان الثانى» منصة، وخطب فيهم خطابا، يصفه دكتور محمد سعيد عمران فى كتابه «تاريخ الحروب الصليبية ١٠٩٥ - ١٢٩١» بـ«أقوى الخطب شهرة فى تاريخ العصور الوسطى»، ويقول الدكتور قاسم عبده قاسم فى كتابه «الخلفية الأيديولوجية للحروب الصليبية»: «محور الخطبة كان هو تحرير القدس» وبها انطلقت الحملة الصليبية الأولى، وفى التفاصيل نحن أمام حالة تصل إلى حد التطابق مع الحالة الصهيونية التى اغتصبت فلسطين وشردت شعبها.

خطب البابا: «يا شعب الفرنجة، يا شعب الله المحبوب المختار، لقد جاءت من بلاد فلسطين، ومن مدينة القسطنطينية، أنباء محزنة، تعلن أن جنسا لعينا أبعد ما يكون عن الله، قد طغى وبغى فى تلك البلاد، بلاد المسيحيين، وخربها بما نشره فيها من أعمال السلب والحرائق، وساقوا بعض الأسرى إلى بلادهم، وقتلوا بعضهم الآخر، بعد أن عذبوهم، وهم يهدمون المذابح فى الكنائس بعد أن يدنسوها برجسهم».

أضاف: «هذه الأرض التى تسكنونها الآن، والتى تحيط البحار وقمم الجبال بجميع جوانبها، ضيقة لا تتسع لسكانها الكثيرين، ومن أجل هذا يذبح بعضكم بعضا، وتتحاربون، ويهلك الكثيرون منكم فى الحروب الأهلية، طهروا قلوبكم من الحقد، واقضوا على ما بينكم من خصام، واتخذوا طريقكم إلى الضريح المقدس، وانتزعوا هذه الأرض من ذلك الجنس الخبيث، وتملَّكوها أنتم، إن القدس أرض لا نظير لها فى ثمارها، هى فردوس المباهج، إن المدينة العظمى القائمة فى وسط العالم تستغيث بكم فهبوا لإنقاذها».

جاءت خطبة «البابا» فى مدينة «كليرمونت» بفرنسا فى مثل هذا اليوم «٢٧ نوفمبر ١٠٩٥»، أثناء اجتماع المجلس الدينى لمناقشة فكرة الحركة الصليبية التى دعا البابا إليها، لتنفيذ مزاعمه بـ«إنقاذ بيت المقدس وتحرير قبر المسيح من نير الإسلام»، وفيما كان يفعل ذلك كان ملك فرنسا «فيليب الثانى» يعيش حياة الخطيئة مع امرأة رجل آخر على الرغم من تحريم الكنيسة، فى فضيحة عُدت من أكبر فضائح العالم المسيحى وقتئذ، وفقا لما يذكره المؤرخ الصهيونى «يوشع براور» فى كتابه «عالم الصليبيين»، ترجمة وتعليق الدكتور قاسم عبده قاسم، والدكتور محمد خليفة حسن.

ألهب البابا حماس المحتشدين، وانطلقت أصواتهم: «تلك إرادة الله»، فدعاهم لأن يجعلوه نداءهم فى الحرب، وأمر الذاهبين إلى الحرب الصليبية بوضع علامة الصليب على جباههم أو صدورهم، وخرج بعض النبلاء راكعين بين يديه، ووهبوا أموالهم وأنفسهم لله، وحذا حذوهم الآلاف من العامة، وخرج الرهبان والنساك من صوامعهم ليكونوا جنود السيد المسيح بـ«المعنى الحرفى لهذا اللفظ».

بعد خطبة «البابا»، وحسب قول «عمران»: «تجمعت أعداد لا حصر لها تحت لواء الحرب تدفعها مغريات كثيرة، منها أن كل من يقتل فى الحرب تغفر له جميع ذنوبه، وأطلق البابا سراح المسجونين وخفف أحكام الإعدام عن المحكوم عليهم إذا خدموا طوال حياتهم فى فلسطين».

٢٨ نوفمبر عام ١٩٥٥
السادات يكتب عن قصته مع التمثيل
وتقدُّمه إلى مسابقة دعت إليها «عزيزة أمير»

«قوامى نحيل، وجسمى ممشوق، وتقاطيعى متناسقة، إننى لست أبيض، ولكننى أيضا لست أسود، إن وجهى أسمر ولكنها سُمْرة مشرَّبة بالحمرة»، توقيع «أنور السادات».

هذه الكلمات قصة مع الرئيس الراحل أنور السادات كتبها فى مقال له بجريدة «الجمهورية» فى عددها الصادر فى مثل هذا اليوم «٢٨ نوفمبر ١٩٥٥»، وكان وقتها رئيس تحريرها، وتعود القصة إلى منتصف الثلاثينيات من القرن الماضى، حين نشرت المنتجة السينمائية «عزيزة الأمير» إعلانا تعلن فيه عن حاجتها إلى وجوه جديدة تمثل فى فيلم جديد، وطلبت أن يبعث المتقدمون صورة فوتوغرافية لهم، ثم يذهبوا إلى مقر الشركة لمعاينة أوصافهم، فكان «السادات» واحدا من المتقدمين إلى المسابقة، أما الخطاب فنشر فى مجلة «الفصول» عدد أول مايو عام ١٩٣٥.

فى روايته للقصة بمقاله بجريدة الجمهورية، كتب السادات: «منذ فجر شبابى وأنا أحس بميل شديد للفن والفنانين، ولى فى هذا المجال قصص كثيرة، ففى يوم من الأيام قرأت إعلانا تطلب فيه الفنانة عزيزة أمير وجوها جديدة لفيلمها الذى كانت تزمع عمله، وهو فيلم «تيتا ونج»، وأذكر أننى توجهت إلى مقر الشركة فى عمارة بشارع «إبراهيم باشا»، حيث جاءت الفنانة

عزيزة أمير واستعرضتنا جيئة وذهابا، وكنا أكثر من عشرين شابا انتقت منا اثنين، وطلبت من الباقين أن يرسلوا لها بصورتين إحداهما «فاس» بالمواجهة، الأخرى بالبروفيل «لقطة جانبية»، ولم يكن هذا المطلب إلا زَحْوَلة، وبعد ذلك أقلعت عن هذه الهواية، فقد دخلت الكلية الحربية وكنت دائما أحس فى نفسى بالفخر والزهو بالجندية إلى أن شاءت المقادير أن أطرد من الجيش، ولم أكن خدمت سوى أربع سنوات، واعتُقلت عقب طردى مباشرة، حيث أمضيت أكثر من سنتين ثم هربت من المعتقل».

ترك السادات حلمه فى أن يكون ممثلا فى السينما، لكنه وبنص ما كتبه فى مقاله: «كان على أن أمثل فعلا أدوارا حقيقية على مسرح الحياة، وأنا هارب حتى لا يقبض على البوليس»، ويضيف: «كان على أن أمثل كل شىء، وكل دور إلا الحقيقة، مثلت مثلا دور سائق لورى، وجلست مع السواقين فى ندواتهم، ضحكت معهم كما يضحكون، وتحدثت إليهم بما يحبون، حتى التدخين فقد كنت أدخن نفس ما يدخنون حتى السيجارة «الهوليوود»، ومثلت دور الشيال، وفى كل هذه الأدوار كنت أكيِّف نفسى حسب الدور وأعمل الماكياج اللازم، فكنت وأنا سائق أرتدى «عفريتة» والأفرول وعليه حزام، ومثلت دور مقاول من مزغونة والحوامدية، وكنت ما إن ينتهِ عملنا عند غروب الشمس حتى أعود إلى الشقة التى كنت أستأجرها فى مزغونة، فأغتسل وأصلى ثم أنزل إلى القهوة مرتديا جلبابا بلديا فوق قفطان ومعمما بشال فوق الطاقية، حيث أحتسى الشاى والحلبة، وأدخن السجائر الهوليوود، وحيث أحلف أيضا بين فترة وأخرى أن يكون الطلب الفلانى للشلة الفلانية على حسابى».

يضيف السادات فى المقال: «إننى لا أجد نفسى حقيقة إلا فى صحبة الممثلين».

٢٩ نوفمبر عام ١٨٦٩
أول عرض فى دار الأوبرا بحضور الخديو إسماعيل
وإمبراطورة فرنسا «أوجنى»

طروبا، محبا للتمتع بالملاهى والمسرات، أما المجتمع فى عصره فكان ميالا للمرح والحبور، هكذا يصف «عبدالرحمن الرافعى» فى كتابه «عصر إسماعيل- الجزء الأول» جانبا من شخصية الخديو إسماعيل، وجانبا من حال مصر فى عهده.

ومن خلال الوصفين يمكن معرفة لماذا كان «إسماعيل» مقداما على تشجيع الفن، ولماذا بنى المسرح الكوميدى بالأزبكية فى نوفمبر ١٨٦٧، واحتفل بافتتاحه يوم ٤ يناير ١٨٦٨، وكذلك بناء دار الأوبرا عام ١٨٦٩ لمناسبة الاحتفال بافتتاح قناة السويس، وتم بناؤها فى ٥ أشهر بتكلفة بلغت ١٦٠ ألف جنيه..

فى مثل هذا اليوم «٢٩ نوفمبر ١٨٦٩»، وكما يؤكد الرافعى، تم تمثيل أول أوبرا واسمها «ريجوليتو» فى دار الأوبرا بعد تشييدها، وكانت الإمبراطورة «أوجنى» عقيلة «نابليون الثالث» إمبراطور فرنسا فى مقدمة من شاهدوها، وفيما بعد عَهِد إسماعيل إلى الموسيقىّ الإيطالى «ڤردى» أن يضع أول أوبرا مصرية تمثل بـ«الدار»، ووضع العلامة الفرنسى «ماريت باشا» موضوع الرواية، ليتم عرضها يوم ٢٤ ديسمبر ١٨٧١، وتقاضى ڤردى نظير ذلك ١٥٠ ألف فرنك.

كانت الإسكندرية أيضا على موعد مع اهتمام «إسماعيل» بالفن، فأنشأ فيها مسرح «زيزينيا» ومسرحا آخر، ويروى «الرافعي» واقعة طريفة حدثت عام ١٨٧٦، بقدوم جماعة من الأدباء والممثلين السوريين منهم «يوسف الخياط» ليستقروا في مصر ويمارسوا نشاطهم فيها، فقدموا عروضا على مسرح «زيزينيا»، وإلى القاهرة جاء يوسف خياط وفرقته عام ١٨٧٨، فلقى تعضيدا من الخديو، وأذن له أن يمثل رواياته في دار الأوبرا، وعلى أثر ذلك قدم رواية «الظلوم» على مسرح «الأوبرا» وكان «إسماعيل» في مقدمة الحاضرين، لكنه لم يَرُق له أسلوبها، لتخللها ذكر الظالم، والتعريض بالظالمين، فظن أنه المقصود بهذا التعريض، ولذلك أمر بإخراج «الخياط» وفرقته من مصر ليغادروها إلى سوريا، ويؤكد «الرافعي» أن النهضة التمثيلية وقفت في عهد إسماعيل عند هذا الحد.

ويكتب «إلياس الأيوبي» في كتابه «تاريخ مصر في عهد الخديو إسماعيل- الجزء الأول»، تفصيلات كثيرة ومثيرة في مسألة اهتمام «إسماعيل» بالفن والأدب، ويقدمها في فصل كامل يرصد مجمل التحولات الاجتماعية في هذا العصر، مشيرا إلى أنه منذ العرض الأول في دار الأوبرا، أصبح الجمهور القاهري، وعلى رأسه الخديو وأمراء بيته وأميراته والباشوات والأغنياء، أصبحوا يحضرون التمثيل والمعروف بـ«الميلودرام»، أي المقترن التشخيص فيه بالغناء، وأنهم أصبحوا يستقدمون سنويا جوقة أوروبية خصيصا لهذا الغرض، وينفقون عليه مبالغ طائلة تتجاوز حد المعقول، وقَدَّر بعضهم ما تم صرفه على أفراد إحدى تلك الجوقات مبلغ ١٢٠ ألف جنيه، كما أن إحدى الممثلات كانت تتقاضى أحيانا ألفًا ومائة جنيه في الشهر خلاف الجواهر والهدايا المقدمة إليها، وكانت كل جوقة من تلك الجوقات تشمل عادة على ٨٠ راقصة معظمهن من أجمل نجوم المسارح.

٣٠ نوفمبر عام ١٩٦٥
وفاة كامل الشناوى جليس الأمراء والباشوات والصعاليك .. وصانع النجوم

«لا تزال كما أنت، لست صغيرا ولا تريد أن تكون كبيرا» هكذا يلخص المفكر عباس محمود العقاد حياة وشخص كامل الشناوى، الشاعر، الكاتب، الضاحك، الساخر، عاشق الحياة، الخائف من الموت، نموذج الحب الأفلاطونى، جليس الأمراء، والباشوات والصعاليك، وكبار القوم، والفقراء، والأثرياء، الذى ولد يوم ٧ ديسمبر ١٩١٠، فى قرية «نَوسَا البحر» محافظة الدقهلية، ورحل فى مثل هذا اليوم «٣٠ نوفمبر ١٩٦٥» بالقاهرة.

٥٥ عاما عاشها «كامل الشناوى»، باحثا عن حياة يريدها لكنه لا يجدها، وخائفا من الموت حتى جاءه، وكما يقول أحد تلاميذه «يوسف الشريف» فى كتابه «صعاليك الزمن الجميل»: «رحلت شقيقته عائشة فى ريعان شبابها، وكانت- على حد قوله- على جمال ورقة وعاطفة تأسر القلوب، وهى التى أورثته الخوف من لقاء مَلَك الموت على مدى عمره كله».

عاش النهار ليلا، والليل نهارا، وهو ما يذكره الكاتب الصحفى مصطفى أمين عنه فى كتابه «شخصيات لا تنسى»: «أول من رأيت ينام فى النهار ويسهر فى الليل»، وضمن الحكايات التى رواها لى الأستاذ يوسف الشريف مؤلف كتاب «كامل الشناوى آخر ظرفاء ذلك الزمان»: كان يعود آخر الليل وحيدا إلى شقته، وكنت أصطحبه كثيرا بهدف توصيله إلى باب العمارة، وكلما كان فى

الليـل بقيـة، إمـا أن أصعـد معـه إلى شـقته، إمـا يبحـث عـن مـكان نظـل فيـه حتـى يطلـع النهـار».

لم يكـن لديـه زوجـة ولا طفـل، لكنـه كان صانعـا للنجـوم وكشـافا لهـم وهـو مـا يؤكـده الكاتـب الصحفـي صـلاح حافـظ: «لا أكاد أعـرف أديبـا أو فنانـا مـن جيلنـا غـير مَدِيـن لكامـل الشـناوى»، والجيـل المقصـود هنـا هـو الـذى انطلقـت نجوميتـه فى خمسـينيات وسـتينيات القـرن الماضى.

كان فى شـبابه يرتـدى العمامـة والجبـة والقفطـان، بعـد أن ألحقـه والـده «نائـب المحكمـة الشرعيـة» بالدراسـة فى الأزهـر، وشـغل عمـه الشـيخ محمـد مأمـون الشـناوى منصـب شـيخ الأزهـر، وهـو مـا يعنـى أنـه تربـى فى بيئـة دينيـة، غـير أنـه هجـر كل ذلـك لينتقـل إلى لبـس الطربـوش وملابـس الأفنديـات، والالتحـاق بالدراسـة فى الحقـوق، وحسـبما يذكـر مصطفـى أمـين: «كان يهـرب بجسـده الكبـير وقفطانـه ويجلـس عـلى قهـوة الفـن بـين كبـار الممثـلات والنقـاد والصحفيـين، ثـم هجـر كل شـىء وقـرر أن يكـون شـاعرا، ثـم قسَّـم نفسـه بـين الشـعر والصحافـة».

فى هـذه المسـيرة كانـت النكتـة والمقالـب بمثابـة البوابـة التـى يخـرج منهـا ويدخـل إليهـا الآخـرون، وفى هـذا المجـال هنـاك مئـات الحكايـات المتناثـرة هنـا وهنـاك، نجـد القليـل منهـا مدونـا فى صفحـات معـدودات فى كتـب لأصدقائـه وتلاميـذه، والكثـير عبـارة عـن حكايـات شـفهية يرويهـا الذيـن عرفـوه وتعاملـوا معـه عـن قـرب.

كتـب أغنيـات أشـهرها قصيـدة «لا تكذبـى» بصـوت نجـاة وعبـد الحليـم حافـظ ومحمـد عبـد الوهـاب، وقصيـدة «لسـت قلبـى» وغناهـا عبـد الحليـم، و«عـدت يـا يـوم مولـدى» وغناهـا فريـد الأطـرش، وحملـت قصيـدة «لا تكذبـى» درامـا قصـة حبـه مـن طرفـه فقـط للفنانـة نجـاة التـى احتفـل بعيـد ميلادهـا، ثـم شـاهدها مـع يوسـف إدريـس، ومـن أثـر صدمتـه كتـب القصيـدة.

١ ديسمبر عام ١٨٣٧
القنصل الإنجليزى يكتب عن اصطياد جنود محمد على للعبيد فى أفريقيا

«لى الشرف أن أبلغ فخامتكم أننى لم أكد أعلم بأن جنود الباشا فى قلب أفريقيا، أى فى بلاد النوبة ودنقلة وما إليها، يُستخدمون فى جمع العبيد، وأن أجورهم تدفع من الإيراد الناتج عن بيعهم، حتى رأيت الواجب أن أسارع إلى عرض الأمر على الجانب العالى بصفة جدية».

كانت هذه الكلمات ضمن رسالة طويلة كتبها القنصل الإنجليزى العام فى مصر «باتريك كامبل» إلى وزير خارجيته «بلمرستون»، فى مثل هذا اليوم «١ ديسمبر ١٨٣٧»، وتدور حول تجارة العبيد بمصر فى عهد محمد على باشا، الذين يتم جلبهم من أفريقيا، وفى كتاب «بناء دولة مصر - محمد على» للدكتور محمد فؤاد شكرى وآخرين (دار الكتب والوثائق القومية)، نقرأ وقائع تفصيلية مدهشة عن هذه التجارة المأساة، مما يعطينا ضوءا كاشفا عن الجانب الآخر فى بناء هذه الدولة.

تتحدث رسالة «كامبل» أن شهود عيان، رأوا ضباط الباشا وجنوده يقومون بعمليات قنص الرقيق، وأن كثيرا من الزنوج يُقبض عليهم، ويوزعون بين الجنود، استيفاء لما قد يتأخر من رواتبهم، وأن الغزوة أسفرت فى بعض المرات عن جمع ٢٧٠٠ عبد، أُرغم عدد منهم على الانخراط فى

سلك الجيش، أما الباقون فقُسِّموا بين الضباط والجنود بأثمان محددة تبعا لمقدار المتأخر من مرتباتهم».

تشرح الرسالة حالة «محمد على» حين استمع إلى الموضوع من «كامبل»: «قال إنه يعلم أن ضباطه يمارسون تجارة الرقيق لحسابهم الخاص، وأنه لا يقر هذا التصرف»، ويؤكد كامبل، إن الباشا لم يسمع ولم يصدق أن جيشه يقنص الرقيق لتسديد المتأخر من المرتبات، ولا يدرى كيف يمكن تقسيم العبيد بين الجنود، فى حين أنه لم يكن متأخرا لأى من الجنود مبلغ يوازى ثمن عبد واحد.

ثمن «العبد» الذى أثاره «الباشا»، هو جانب من المأساة التى تشمل أيضا كيفية اصطياد العبيد، وشحنهم عبر النيل، وأسواقهم فى قنا وأسوان وفرشوط والقاهرة، أما أسيوط فكانت السوق العظمى التى تمد أسواق سوريا وتركيا، ويصف كتاب «بناء دولة محمد على» حالة هذه الأسواق: «فى كبريات المدن المصرية أسواق للرقيق، وفى الساحة الوسطى تجلس جماعات كبيرة من الرقيق الأسود، أغلبها من الأطفال، وتحيط بالساحة مساكن عادية يقيم بها الشباب وأغلبهم من النساء، أما اللواتى يصلحن للحريم من الرقيق الأبيض، فيأوين إلى مساكن خير منها، وفى الإسكندرية لا يقام السوق بصفة دائمة، وعندما يكون مغلقا يساق العبيد فى الشوارع، فيستوقفهم من يريد الشراء، ليختبرهم كما تُختبر الدواب، ويطلب إليهم أن يديروا أجسامهم مرة بعد أخرى، ويتم فحص ألسنتهم وعيونهم فحصا دقيقا، ويجذب أطرافهم فى أوضاع شتى، ويؤمرون بالسير أو الجرى».

أما أسعار العبيد فكانت، «الغلام المراهق سليم البنية من ٤ إلى ٥ جنيهات»، الغلام العادى من جنيه ونصف الجنيه إلى ثلاثة، والذكر من الدنكا، من ٧٠ قرشا إلى جنيه واحد، والولد الحبشى من ٦ إلى ١٠ جنيهات، والفتاة المراهقة من ٢ إلى ٤ جنيهات، والمرأة من الدنكا من جنيه إلى اثنين، والبنت الحبشية من ٦ إلى ١٥ جنيها.

٢ ديسمبر عام ١٩٥٦
استشهاد جواد حسنى طالب الحقوق بعد أن كتب بدمائه: «المهم أن تنتصر مصر»

«اسمى جواد طالب فى كلية الحقوق، فوجئت بالغرباء يقذفون وطنى بالقنابل، فنهضت لنصرته وتلبية ندائه، والحمد لله، لقد شفيت غليلى فى أعداء البشرية، وأنا الآن سجين وجرحى ينزف بالدماء، أنا هنا فى معسكر الأعداء أتحمل أقسى أنواع التعذيب، ولكن يا تُرى هل سأعيش؟ هل سأرى مصر حرة مستقلة؟، ليس المهم أن أعيش، المهم أن تنتصر مصر ويُهزم الأعداء».

فى كتاب «نضال شعب- ١٧٩٨- ١٩٥٦» تأليف «محمد عبد الرحمن حسين»، تأتى قصة هذا البطل كاملة: «قاد كتيبة الحرس الوطنى بكليته، واتجه بها إلى سيناء لمقابلة اليهود، وعندما صدر أمر الانسحاب عادت الكتيبة لتحارب الفرنسيين فى بورفؤاد»، وسجلت الكتيبة مقاومة عنيفة، وخلال معاركها أصيب «جواد» برصاصة فى كتفه، وعندما أحدق الفرنسيون بالكتيبة، ورأى جواد أن زملاءه سيقعون فى الأسر، طالب منهم الانسحاب، وظل يقاوم الفرنسيين بمفرده، حتى يعطى الفرصة لزملائه فى الانسحاب سالمين.

نجحت خطته، لكنه وقع فى الأسر وكانت الدماء تنزف منه بغزارة، واستعملوا معه وسائل تعذيب قاسية لكى يمدهم بالمعلومات التى تفيدهم عن عدد القوات ومواقعهم، لكنه رفض فى إباء، فعادوا إلى تعذيبه.

تـم أسر «جـواد» يـوم «١٦ نوفمـبر ١٩٥٦»، وتصاعـد التعذيـب ضـده بقسـوة كبـيرة، وكان هـو يقـاوم بنبـل وروعـة، دون نطـق كلمـة واحـدة عـن التجمعـات التـى يعرفهـا، وأماكـن زملائـه الذيـن يقاومـون ببسـالة، وسـجنوه فى حجـرة جـرداء، لا يوجـد فيهـا أى شـىء، لا غطـاء يحميـه مـن بـرد الليـل، وكان الشـتاء عـلى الأبـواب، ولا مـاء يـروى ظمـأه، أو طعـام يسـد بـه رمقـه، ورغـم كل ذلـك لم تهتـز عزيمتـه.

وفيـما هـو عـلى هـذه الحـال، وحسـب قـول «محمـد عبـد الرحمـن حسـين» فى سرده لقصتـه: «لم يجـد جـواد أمامـه سـوى الدمـاء التى كانـت تسـيل غزيـرة عـلى أرض الحجـرة، فاسـتعملها كمِـدَاد يسـطِّر بـه عـلى جدرانهـا مـا قامـت بـه كتيبتـه مـن بطـولات، وعـبر عـن بعـض مـا كان يعتمـل فى صـدره وهـو يلاقـى المـوت مـن شـعور وطنـى كان يضطـرم بـه قلبـه مـن حـب كبـير لبلـده، ودخـل عليـه الفرنسـيون بعـد ذلـك يسـتجوبونه للمـرة الأخـيرة، لكنـه كان يصـارع سـكرات المـوت، فأطلقـوا عليـه الرصـاص فى مثـل هـذا اليـوم «٢ ديسـمبر ١٩٥٦»؛ ليسـقط فى وسـط الحجـرة عـلى دمائـه الطاهـرة التـى تغطـى أرضهـا.. كان وجهـه باسـما كعـادة الشـهداء الذيـن يذهبـون إلى حتفهـم باسـمين».

٣ ديسمبر عام ١٨٨٢
«عرابى» يعترف للمحكمة بأنه مذنب بنصيحة محاميه..
و «توفيق» يخفف حكم إعدامه إلى النفى

«يا أحمد عرابى باشا، أنت متهم أمام هذه المحكمة العسكرية بناء على تقرير لجنة التحقيق بجريمة العصيان على صاحب السمو الخديو توفيق، قل يا أحمد عرابى باشا: هل أنت مجرم أو غير مجرم؟».

هكذا وجّه رئيس المحكمة العسكرية محمد رءُوف باشا كلامه إلى أحمد عرابى فى جلسة النطق بالحكم عليه، بسبب قيادته لأحداث «الثورة العرابية» نسبة إلى اسمه، كانت الجلسة فى مثل هذا اليوم «٣ ديسمبر ١٨٨٢»، ويسجل أحداثها والظروف التى سبقتها كتاب «التاريخ السرى لاحتلال إنجلترا لمصر» تأليف الإنجليزى «بلنت» الذى ربطته علاقة وثيقة بـ«عرابى»، كما يعطى كتاب «الثورة العرابية بعد خمسين عاما- رؤية صحيفة الأهرام» بقلم سامى داود «دار الكتب والوثائق القومية» وصفا للمحكمة وعرابى والجمهور؛ قائلًا:

«امتلأت قاعة المحكمة بالحاضرين، حتى النساء المحجبات كُنَّ من بين الصفوف، وكان الشارع الذى تقع فيه المحكمة (مبنى الدائرة السنية) مكتظا بالناس، كما احتشد الطريق بالذين يكون ويصيحون من أجل عرابى الذى جلس فى مكانه بالقاعة يلف عنقه بشال أبيض ويلبس بنطلونا عسكريا».

أنهى رئيس المحكمة كلماته الموجهة إلى عرابى، فترقب الجميع رده، وحسب كتاب «أحمد عرابى- الزعيم المفترى عليه» تأليف محمود الخفيف: «أجاب عرابى أن محاميه سوف يرد عليه»، فتلا «برودلى»، وهو المحامى الإنجليزى الذى تطوع للدفاع عنه الوثيقة التى وقَّعها عرابى فى الصباح، ويعترف فيها باقترافه الذنب، وكانت باللغة الفرنسية، وبعد تلاوتها ترجمها سكرتير المحكمة إلى العربية، ثم أعلن رءُوف باشا إخلاء المحكمة للمداولة وتأجيل الجلسة إلى الساعة الثالثة.

فى الساعة الثالثة مساء اكتظت القاعة بالناس بعد أن انتشر خبر المحاكمة، وتلا «كاتب المحكمة» الحكم بقتل «عرابى»، وفور النطق به ناوله ورقة أخرى ليقرأها وتنص: «الحكم الصادر على أحمد عرابى المقتضى جزاؤه القصاص وقع تبديله بالنفى المؤبد من الأقطار المصرية وملحقاتها، وهذا العفو يبطل ويقع إجراء الحكم بالقتل إذا رجع إلى الأقطار المصرية وملحقاتها».

استغرق الحكم ثلاث دقائق، ليزدحم الإنجليز بعده حول عرابى يصافحونه ويهنئونه، ويذكر «الخفيف» أن بعض السيدات الأوروبيات قدمن طاقات من الأزهار له فتقبلها شاكرا، وقامت زوجة المحامى الثانى لعرابى «نابيه» بإعداد طاقة ورد صغيرة لترسلها إلى عرابى بعد المحاكمة، فأخذها أحد الجالسين من غير شعور ووضعها فى يد عرابى، مما أثار كثيرا من اللغط وبخاصة من جانب أعوان الخديو.

كان الحكم بقتل «عرابى» ثم تخفيفه إلى النفى سابق التجهيز بتخطيط الاحتلال الإنجليزى، حيث دارت مفاوضات بين عرابى ومحامييه الاثنين من جانب والحكومة البريطانية من جانب آخر، وانتهت المفاوضات إلى محاكمة عرابى وكبار رفاقه أمام المحكمة العسكرية بتهمة العصيان، ويقرون بصحة الاتهام فتصدر المحكمة حكمها بالإعدام، ثم يخففه الخديو إلى النفى.

يقول «بلنت»: إن عرابى أظهر عدم ميل للاتفاق فى البداية، إلا أن محاميه برودلى أخافه من مصير «نابليون»، فرد عرابى: «أضحى بمجدى فى سبيل إنقاذ رفاقى من العذاب»، وهكذا تم تنفيذ الاتفاق.

٤ ديسمبر عام ١٩٤٨
مقتل اللواء سليم زكى حكمدار القاهرة
بقنبلة من سطح «طب قصر العينى» واتهامات للإخوان

كانت قوة البوليس ترابط أمام كلية الطب بقصر العينى، وكان اللواء سليم زكى حكمدار القاهرة على رأسها، وفى الوقت نفسه كان بعض طلاب الكلية ومن انضم إليهم من خارجها يعتصمون فوق سطوح مبانى الكلية، وأشعلوا النار فى أماكن متفرقة وأخذوا يقذفون قوات الأمن بالحجارة وقطع الأخشاب، وألقوا قنابل لتنفجر إحداها فى اللواء «سليم» ليسقط قتيلا فى مثل هذا اليوم «٤ ديسمبر ١٩٤٨»، واضطربت الدراسة فى جامعة فؤاد الأول «القاهرة»، وتلك هى رواية عبد الرحمن الرافعى فى كتابه «فى أعقاب ثورة ١٩١٩ - الجزء الثالث».

غير أن هناك رواية موجزة للحادث تحمل بعض الاختلاف يرويها الدكتور محمود جامع للدكتور ناجح إبراهيم، ونشرت على صفحات «اليوم السابع» يوم «١٠ أبريل ٢٠١٤» تحت عنوان «د. جامع شاهد على ثلاثة عصور»، يقول «ناجح»: عاش جامع بنفسه لحظة اغتيال اللواء سليم زكى فى جامعة القاهرة، فحكى لى أنه رأى بعينَىْ رأسه مشهد مقتله، «كان جامع طالبا فى الكلية»، فقد قام البوليس باقتحام كلية الطب، وضربوا المتظاهرين داخلها ضربا شديدا، وكان اللواء سليم يركب عربة مدرعة نزل منها وهو

يأمر الجنود بضرب المتظاهرين، وكانت هناك مجموعة من الطلبة فوق مبنى الفسيولوجي بالكلية، وأحدهم يحمل شنطة أخرج منها قنابل وديناميت وألقاها على القوات، وأخرى سقطت بين أقدام اللواء سليم، وخرجت منها شظية أصابت عنقه مباشرة، والعملية لم تكن مدبرة بل كانت وليدة اللحظة، ولكن دخول القنابل والمتفجرات للجامعة كان معدا وجاهزا.

وفيما لم يحدد «جامع» ما إذا كانت جماعة الإخوان ارتكبت الجريمة، كما لم يحددها أيضا «الرافعي» مكتفيا بوضعها تحت بند «موجة القتل والإرهاب ١٩٤٥ - ١٩٤٩»؛ فإن الكاتب والمؤرخ «حلمي النمنم» يعدّدها في كتابه «حسن البنا الذي لا يعرفه أحد» ضمن مسلسل الجرائم التي ارتكبتها الجماعة قبل ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢، وشملت اغتيال اثنين من رؤساء الوزراء هما أحمد ماهر باشا والنقراشي باشا، بالإضافة إلى المستشار أحمد الخازندار.

وإذا كان محمود الصباغ أحد قيادات التنظيم الخاص للجماعة المسئول يعدّ: «إلقاء القنابل في المظاهرات من جانب المتظاهرين في هذه الأيام أمرا عاديا»، فإن الحكومة أذاعت أن قاتل اللواء «سليم» ينتمي إلى «الجماعة»، وأُغلقت صحيفة الإخوان بعد يومين من الحادث. وفي كتابه «سقوط نظام» للكاتب الصحفي محمد حسنين هيكل، يضع مقتل «سليم زكي» ضمن سبع رصاصات انطلقت في قلب القاهرة من نوفمبر ١٩٤٤ حتى اغتيال حسن البنا في فبراير ١٩٤٩، مشيرا إلى أن نشاط الجماعة زاد في تلك الظروف، وكان شديد الالتباس بسبب خيارات متعارضة داخل الجماعة، دفع كل منها إلى اتجاه رغم وجود مركز سيطرة وهو حسن البنا المرشد المؤسس للجماعة، وأن الفراغ الكبير الذي أحدثه غياب الوفد أعطى للإخوان ميدانا فسيحا خاليا، كما أنه سمح بوجود عناصر أخرى غيرهم تستطيع أن تثير وتحرض مثل «مصر الفتاة»، وفي هذا السياق تم قتل اللواء سليم زكي.

٥ ديسمبر عام ١٨٢٢
محمد على يتلقى خبر موت ابنه «إسماعيل» بحريق الملك «نمر» فى السودان

حزن محمد على باشا بشدة حين تلقَّى فى مثل هذا اليوم «٥ ديسمبر ١٨٢٢» خبر موت ابنه إسماعيل باشا، بعد أن فقد ابنه طوسون قبل ذلك بأعوام، ودُفن إلى جانبه فى مقبرة الإمام الشافعى.

كانت المصيبة على «الوالد» كبيرة، لكنه تلقاها كما يقول عبد الرحمن الرافعى فى كتابه «عصر محمد على» بـ«الجَلَد والصبر والعزم واعتزام المضى فى سبيله»، وهذا السبيل هو إتمام فتح السودان وإخضاعه لحكمه.

كان إسماعيل هو قائد الجيش الذى أعده محمد على لفتح السودان، وتحرك ومعه حاشيته فى ٢٠ يوليو عام ١٨٢٠ ليلحق بالجيش، ومضى من انتصار إلى آخر، حتى جاءت لحظة موته، و«فيها من الفظاعة بقدر ما فيها من المأساة» حسب وصف «جيلبرت سينويه» فى كتابه «الفرعون الأخير- محمد على».

تبدأ دراما الموت من اللحظة التى تلقى فيها «إسماعيل» خبر احتشاد أهل «حلفاية» و«شندى» فى السودان ضد السلطة المصرية، وهجموا على قوافل الأرقاء السودانيين الذين كانوا فى أيدى الجنود المصريين فى طريقهم إلى مصر لتجنيدهم فى الجيش، وكان إسماعيل يواظب على إرسال هذه القوافل إلى أسوان بغرض إتمام عملية تكوين الجيش النظامى الذى بدأ فيه والده،

وحين علم بما حدث توجه على الفور إلى «شندى»، وحسب «سينويه»: «كانت مدينة مهمة يقطنها نحو ١٥ ألفا»، وأمر بإحضار ملكها «نمر» إليه بعد أن علم بأنه مدبر «الثورة» ضد السلطة المصرية.

امتثل «نمر» أمام «إسماعيل» ابن الـ«٢٧ عاما»، وحسب «الرافعى»: «أخذ يقرِّعه ويسرف فى تأنيبه، ثم تمادى فلطمه على وجهه بالشبك، فلم يُجِب الملك على هذه الإهانة البالغة وأسرَّها فى نفسه وعزم على أن يغسلها بانتقام ذريع»، ويقول «سينويه»: «أصدر إسماعيل أمره بأن يجلب له فى غضون خمسة أيام ألف عبد وعشرين ألف قرش إسبانى، أى ما يقارب عشرة آلاف فرنك ذهبى».

اعترض نمر، وقال إنه من المستحيل جمع هذا المبلغ فى هذه الفترة الوجيزة، فضربه إسماعيل وشتمه وهدده بالخازوق إذا لم ينفذ، وهنا جاءت حيلة «نمر» التى ستقود إلى موت إسماعيل، حيث أظهر إذعانه، ودعاه إلى قصره الموجود فى قرية معزولة، وكان القصر من القش، وحسب رواية «الرافعى»: رحب الملك بإسماعيل وبطانته ترحيبا عظيما، وأمر أعوانه بجمع ما استطاعوا من الحطب والقش والتبن حول القصر بحجة العلف لخيل الباشا، ولما فرغ الضيوف من طعامهم وأكثروا من شرب «المريسة»، تأهبوا للعودة إلى معسكرهم، فإذا النار تطير فى أكوام الحطب المحيطة بالقصر، فجعلته شعلة من الجحيم.

حصرت النيران إسماعيل باشا وحاشيته، فلم يستطيعوا الإفلات لهول النار المشتعلة ولإحاطة جنود الملك بهم يرمونهم بالنبل والسهام من كل ناحية، فسُدت المسالك فى وجوههم حتى ماتوا عن آخرهم، ولم يستطع الجند نجدتهم إذ كانوا فى معسكرهم بعيدين عن المأساة، ولما وقعت الكارثة انقض عليهم رجال الملك نمر ففتكوا بهم، ولم ينْجُ منهم إلا من هرب.

٦ ديسمبر عام ١٩٩٦
وفاة الشيخ عبد الحميد كِشْك «عدو الغناء» وعاشق صوت محمد عبد الوهاب وأم كلثوم

كان الهجوم على الفن والفنانين ضمن «الخلطة» الخطابية التى يقدمها الداعية الإسلامى الشهير الشيخ «عبد الحميد كِشْك» الذى رحل فى مثل هذا اليوم «٦ ديسمبر ١٩٩٦»، بقناعة قالها: «ليس اعتراضى على الكلمة المغنَّاة وحدها، إنما هو الاعتراض على الغناء من حيث المبدأ، فإذا ما أُضيف إلى هذا خلاعة الكلمة أيضًا كان الأمر شرًا ووبالاً».

بهذه القناعة لم يسلَم مطرب من لسانه طوال فترة خطابته، وكانت خطبته للجمعة بمسجد «عين الحياة» بحدائق القبة منذ منتصف سبعينيات القرن الماضى تشهد زحامًا كبيرًا من مريديه، وتظهر فيها بعد فى شرائط كاسيت.

ولد فى شبراخيت بمحافظة البحيرة يوم ١٠ مارس ١٩٣٣، ودرس فى كلية أصول الدين بجامعة الأزهر، واعتُقل عام ١٩٦٥ و١٩٨١، وامتزج تعبيره عن رفضه للغناء بخفة دم، فعن أغنية «أنت عمرى» لأم كلثوم مثلا، قال: «امرأة فى الثمانين من عمرها تقول: خدنى فى حنانك خدنى.. يا شيخة ربنا ياخدك»، وعن أغنية شادية: «غاب القمر يا بن عمى يلا روحنى» قال: «إيه اللى خلاكى يا مضروبة تتأخرى معاه لهذا الوقت بعيدا عن أعين الرقباء»، وقال عن عبد الحليم حافظ: هذا العندليب الأسود عندنا ظهرت

لـه معجزتـان، الأولى يمسـك الهـوا بإيديـه، فى إشـارة إلى أغنيـة زى الهـوا، أمـا المعجـزة الأخـرى فيتنفـس تحـت المـاء، فى إشـارة إلى أغنيتـه رسـالة مـن تحـت المـاء قصيـدة الشـاعر نـزار قبانـى.

غـير أن مفاجـأة لى اكتشـفتها مـن أحـد الذيـن اقتربـوا منـه لسـنوات طويلـة وهـو الشـاعر الغنائـى «أحمـد شـفيق كامـل» مؤلـف أغنيـة «أنـت عمـرى»، والـذى اقتربـت منـه فى السـنوات العشرة الأخـيرة مـن عمـره (رحـل عـام ٢٠٠٨).

حـين زرت «كامـل» لأول مـرة فى منزلـه المواجـه لـ«قـصر العينـى» لاحظـت عـلى الجـدران ثـلاث صـور للشـيوخ «كشـك» و«الشـعراوى» و«ياسـين رشـدى» ورابعـة لجـمال عبـد النـاصر، فسـألته مسـتغربا: «كيـف؟»، فهـم «كامـل» قصـدى، كيـف يؤلـف محبتـه بـين ثلاثـة شـيوخ يكرهـون عبـد النـاصر وهـو شـخصيا يحبـه ولم يتأثـر بـأى هجـوم عليـه بـما فيـه هجـوم هـؤلاء الشـيوخ، أجـاب: «كلهـم عنـد ربنـا وهـو العـالم بالنوايـا»، وبعـد عـدة لقـاءات كشـف لى سر علاقتـه المثـيرة بـ«كشـك»، وفيهـا أسرار كثـيرة ومدهشـة، وأهمهـا علاقتـه بالغنـاء.

كشـف لى «أحمـد شـفيق كامـل» فى شـهادة طويلـة احتفـظ بهـا، كيـف تعـرف إلى الشـيوخ الثلاثـة وبصفـة خاصـة الشـيخ كشـك، قـال لى: «كان الشـيخ كشـك يعشـق الغنـاء لكـن ليـس أى غنـاء، كان سـمّيعًا بدرجـة تفـوق الامتيـاز، يتـذوق النغـمات الموسـيقية والكلمـة الحلـوة، ويعشـق صـوت عبدالوهـاب فى أغانيـه القديمـة مثـل: «يـا جـارة الـوادى» و«فى الليـل لمـا خـلى» و«جبـل التوبـاد» و«الجنـدول» و«كليوباتـرا» و«لـك يـوم يـا ظـالم» و«النهـر الخالـد»، وأغـانٍ أخـرى، وكان لـه صـوت جميـل يـؤدى بـه بينـه وبـين نفسـه تلـك الأغنيـات، ولمـا عـرف أننـى مـن هـواة جمـع الأغانـى القديمـة النـادرة، كان يسـألنى بـين الحـين والآخـر: «إيـه يـا أحمـد أخبـار أغانـى عبدالوهـاب القديمـة عنـدك؟»، فـأرد فى الغالـب بحمـل شريـط كاسـيت فيـه أغنيـات يحبهـا، فيطـير فرحًـا».

وممـا يؤيـد مـا ذكـره «أحمـد شـفيق كامـل»، شـهادة قالهـا «عـمار الشريعـى» فى جريدتَـى «القاهـرة» و«الشروق»، كشـف فيهـا أن «كشـك» اتصـل بـه معـبرًا لـه عـن سـماعه لبرنامجـه «غـواص فى بحـر النغـم»، فـرد عـمار: «أنـت تهاجـم المطربـين

خصوصًا أم كلثوم»، فرد: «شتمت من أحب لأنها قالت ما لم أحبه، لم أتصور أن الصوت الذي غنى «نهج البردة» و«إلى عرفات» تقول: «هات إيديك ترتاح بلمستهم إيديَّه».

٧ ديسمبر عام ١٩٥١
الاحتلال البريطانى يحتشد بالطائرات
و١١ ألف جندى لهدم «كفر أحمد عبده»

«نعتزم هدم الكفر، لا يمكن الإبقاء على المنازل بين وابور المياه المملوك لنا وباقى المعسكرات، عدد المنازل ١٥٦ لا يمكن أن تبقى فاصلا بين منشآتنا»، تلك هى خلاصة الأوامر التى أصدرتها قيادة الاحتلال البريطانى فى مصر فى مثل هذا اليوم «٧ ديسمبر ١٩٥١»، وتتعلق بعملية هدم منازل حى «كفر أحمد عبده».

هى واحدة من مآسى الاحتلال الإنجليزى لمصر فى جانب، وفى جانبها الآخر عبرت عن غيظ الاحتلال من المقاومة الشعبية والفدائية ضده فى مدن القناة، والواقعة يأتى بها كتابا «نضال شعب مصر ١٧٩٨- ١٩٥٦» لمؤلفه «محمد عبد الرحمن حسين»، و«حرب التحرير الوطنية- بين إلغاء معاهدة ١٩٣٦ وإلغاء اتفاقية ١٩٥٤» وهو مذكرات كتبها «كمال الدين رفعت» أحد قيادات ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢، وقائد المقاومة الشعبية فى مدن القناة حتى العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦.

بدأت قصة هدم «كفر أحمد عبده» بتوجيه إنذار إلى إبراهيم زكى محافظ السويس، قالت فيه قيادة الاحتلال، إنها عزمت على هدم «الكفر»؛ لأنه يقع بين وابور المياه المملوك للقوات البريطانية، وبين باقى المعسكرات، واجتمع

«المحافظ» مع كتيبة أحمد عبد العزيز ونائب الدائرة وبعض الوطنيين، واتصلوا بوزير الداخلية «فؤاد سراج الدين» الذى رفض الإنذار وحثهم على المقاومة.

عزز البريطانيون إنذارهم الأول بإنذارٍ ثانٍ يحدد بدء العملية فى السادسة من صباح يوم ٨ ديسمبر، ومنذ الساعة الرابعة من مساء يوم الجمعة مثل هذا اليوم «٧ ديسمبر ١٩٥١» تدفقت قوات الاحتلال من الميناء، وحلقت الطائرات طوال الليل فى سماء المدينة، فعاود المحافظ والوطنيون المقاومون الاتصال بوزير الداخلية، فأجابهم بأن مجلس الوزراء اجتمع فى منزل رئيسه مصطفى النحاس، وقرر رفض الإنذار ومقاومة الإنجليز، وطبقا لما يذكره «حسين» و«رفعت»، فإن رجال المقاومة شعروا بأن مجلس الوزراء يهزل، وأن أهالى مدينة السويس هم وحدهم الذين يقدرون الموقف، والمقاومة تعنى إبادة سكان «الكفر» بالكامل، فضلا عن الخسائر الأخرى التى تصيب أهل المدينة فقرروا عدم تنفيذ قرار مجلس الوزراء وأمروا سكان الكفر بمغادرته.

فى صباح «٨ ديسمبر» زحف ١١ ألف جندى بريطانى تتقدمهم الدبابات والسيارات المصفحة والمدافع، وترفرف فوقهم على ارتفاع بسيط ٦٠ طائرة حتى وصلوا إلى «الحى» ووضعوا المواد المتفجرة والديناميت فى البيوت فنسفتها، وقامت الدبابات بتسوية الأنقاض المتخلفة من النسف والحريق حتى أتوا على الحى بأكمله.

ردت المقاومة بعنف، وحسب ما يذكره «كمال الدين رفعت»: «لم يستسلم الشعب بل كانت المقاومة كالبترول الذى يلقى على النار فيزيدها اشتعالا»، ففى ١٢ ديسمبر هاجم الفدائيون معسكر القرش الخاص بلواء المدرعات، ودمروا أكثر من خمس دبابات وأربع مصفحات و١٢ سيارة، وفى ١٣ ديسمبر نسفوا الخط الحديدى بين المعسكرات البريطانية، وهاجموا معسكر الإرشادات بالقنابل وزجاجات المولوتوف وهجموا على معسكرات المثلث، وفى آخر ديسمبر قاد الضابط «لطفى واكد» أحد قيادات ثورة يوليو ١٩٥٢ عملية فدائية نسفت معسكر الطيران البحرى عن آخره، والتهمت النيران طائرة مرابطة فيه.

٨ ديسمبر عام ١٩٤٨
«النقراشى» يحلّ جماعة الإخوان..
و«البنا»: هل يظن أننا لعبة فى يده ؟

«أعرف ديتها، إنها رصاصة أو رصاصتان فى صدرى».

هـى عبـارة قالهـا ضـاحـكا «النقراشـى باشـا» رئيـس الـوزراء أثنـاء مناقشـة لـه مـع «مرتـضى المراغـى» آخـر وزيـر داخليـة قبـل «ثـورة ٢٣ يوليـو ١٩٥٢».

كان «المراغـى» وقتئـذ يشـغل منصـب مديـر الأمـن العـام، وجـاءت العبـارة فى سـياق نقلـه لـ«النقراشـى» مقابلتـه لـ«حسـن البنـا» المرشـد العـام لجماعـة الإخـوان، التـى دارت حـول اعتـزام رئيـس الـوزراء حـل الجماعـة عـلى خلفيـة العمليـات الإرهابيـة التـى ارتكبتهـا، وكان آخرهـا مقتـل اللـواء سـليم زكـى حكمـدار أمـن القاهـرة.

يأتـى «المراغـى» بنـص مقابلتـه مـع «البنـا» فى مذكراتـه «شـاهد عـلى حكـم فـاروق»، التـى طلـب فيهـا «مرشـد الجماعـة» مـن «مديـر الأمـن العـام» أن ينقـل رسـالة منـه إلى القـصر الملكـى، وتنـص عـلى:

«رئيـس الحكومـة يريـد أن يحـل الجماعـة، وهـذا القـرار بالـغ الخطـورة، وقـد تكـون لـه مغبـة وعواقـب وخيمـة أخشـى منهـا كثيرا، إذ إنـه لا بـد أنـه يقـع بيننـا وبـين الحكومـة اصطـدام عنيـف»، وواصـل «البنـا» لغـة تهديـده: «نسـتطيع أن نصـبر عـلى رئيـس الحكومـة لأنـه قـد يـترك منصبـه فى أى وقـت، أمـا الملـك فهـو

باقي، أرجوك أن تحمل إليه هذه الرسالة، إن الإخوان المسلمين لا يريدون به شرا، قل له إننا لا ننبذ تصرفاته، إنه يذهب إلى نادى السيارات للعب الورق، فليذهب، وإلى النوادى الليلية ليسهر، فليسهر، فلسنا قوامين عليه، وعلى كل حال نأمل أن يهديه الله».

يصف «المراغى» حالة «البنا» حين بلغ تهديده ذروته قائلا: «قدحت عيناه شرا، وقال: نعم إنها جريمة نكراء يريد النقراشى ارتكابها، هل يظن أننا لعبة فى يده يستطيع تحطيمها بسهولة؟»، ويضيف: انقلب الشيخ الوديع نمرا هائجا، لكنه عاد إلى طبيعته الهادئة حينما رآنى أنظر إليه، وضحك قائلا: «لا تؤاخذنى إذ نسيت نفسى».

فى كتابه «حسن البنا الذى لا يعرفه أحد» للكاتب حلمى النمنم، يقدم تفاصيل قرار «النقراشى باشا» بحل الجماعة فى مثل هذا اليوم «٨ ديسمبر ١٩٤٨»، منها الوساطات التى لجأ إليها «البنا» وأبرزها وساطة «حامد جودة» رئيس مجلس النواب، واشترط فيها «النقراشى» أنه لكى لا يُصْدر قرار الحل فعلى «البنا» أن ينفذ ثلاثة أشياء، وهى الكشف عن أسماء مرتكبى العمليات الإجرامية التى روعت الآمنين فى القاهرة، والكشف عن مخازن الأسلحة لدى الجماعة، والكشف عن مكان الإذاعة السرية التى أقامتها الجماعة، ويؤكد النمنم: «هذه الإذاعة كانت تبث من شقة فى باب اللوق، وتقدم برامج موازية لما تقدمه الإذاعة المصرية، وحاولت وزارة الداخلية الوصول إلى مقرها دون جدوى».

رد «البنا» على هذه المطالب بقوله: «كل هذه الأمور التى يتحدث عنها دولة الباشا أنا لا أعرف عنها شيئا»، ولم تخرج باقى المساعى التى لجأ إليها «البنا» عن هذا، مما زاد «النقراشى باشا» تصميما على قراره بحل الجماعة.

٩ ديسمبر عام ١٩٧٦
رياض غالى يقتل طليقته الأميرة فتحية
شقيقة الملك فاروق بخمس رصاصات

استعدت الأميرة فتحية، شقيقة الملك فاروق، للخروج من مسكنها بـ«الفيلا» رقم ٢٤٤ فى شارع ١٦ بضاحية سانت مونيكا بأمريكا، وقبل أن تصل إلى الباب دق جرس التليفون، كان محدثها «رياض غالى» طليقها ووالد أبنائها الثلاثة، طلب منها أن تزوره.

وحسبما يأتى فى كتاب «البرنسيسة والأفندى» للكاتب الصحفى صلاح عيسى، فإن «فتحية» ذهبت تحت إلحاح «رياض»، وبعد نحو ثلاث ساعات سمع مدير المبنى طلقات مكتومة ظن أنه مسلسل تليفزيونى، كانت من مسدس أفرغ منه «رياض» خمس طلقات فى جسد «فتحية» فى مثل هذا اليوم «٩ ديسمبر ١٩٧٦»، وبقيت رصاصة واحدة سيكون لها سطر آخر فى هذه القصة الدرامية التى كانت واحدة من غرائب ومحن الملك فاروق.

بحث الأبناء عن أمهم الغائبة دون معرفة السبب، ومعهم جدتهم «الملكة نازلى» القلقة على مصير ابنتها، بينما كانت «الأميرة» تعوم فى بركة من الدماء، ذهب ابنها الأكبر «رفيق» إلى والده يسأله عنها، فقال له إنها مرت عليه، وتركته لتذهب إلى صديقاتها، وفى صباح يوم ١١ ديسمبر، أطلق «رياض» الرصاصة السادسة على نفسه، وبعدها مر ابنه رفيق ليعاود السؤال

عـن أمـه، فـدق عـلى البـاب دون أن يـرد أحـد رغـم صـوت التليفزيـون، ممـا اضطـره إلى كـسر البـاب، وكانـت المفاجـأة أمامـه، والـده فى غيبوبـة وينـزف دمـا، وأمـه فى غرفـة أخـرى مُضرَّجـة فى دمائهـا وفارقـت الحيـاة، أمـا الوالـد فتـم نقلـه إلى المستشـفى، وتعـرض لمحاكمـة قضـت بسـجنه ١٥ عامـا، ونتيجـة إطـلاق النـار عـلى رأسـه عـاش مشـلولا وأعمـى بالسـجن ثـم مـات بعـد ثـلاث سـنوات.

اختتـم الحـدث قصـة بـدأت عواصفهـا حـين سـافرت «فتحيـة» وشـقيقتها الأمـيرة «فائـزة» مـع والدتهـا الملكـة «نـازلى» فى صيـف ١٩٤٦ إلى الخـارج بغـرض العـلاج، وفى فرنسـا تـولى ريـاض غـالى (مسـيحى الديانـة) الموظـف فى القنصليـة المصريـة بـ«مرسـيليا» مسـئولية خدمـة الملكـة، وتسـهيل سـفرها مـع الأميرتـين إلى سـويسرا، لكنـه اقـترب مـن «نـازلى» أكثـر ممـا ينبغـى.

وحسـب كتـاب «سـنوات مـع الملـك فـاروق» لسـكرتير الملـك الخـاص الدكتور حسـين حسـنى: «وجـدت الملكـة نـازلى فى لباقتـه ونشـاطه مـا جعلهـا تطلـب السـماح لـه بمرافقتهـن إلى سـويسرا، فأُجيبـت إلى مـا طلبـت، ثـم ألحقتـه نهائيًـا إلى حاشـيتها كسـكرتير خـاص لهـا، وانتقلـت بعدهـا إلى أمريـكا وهـو معهـا».

كانـت «فتحيـة»، ابنـة ١٦ عامًـا، وبـلا تجربـة، ووقعـت فى غـرام «ريـاض» بتشـجيع أمهـا رغـم اختـلاف الديانـة، وتطـورت العلاقـة إلى إعـلان الـزواج بعـد أن أشـهر ريـاض إسـلامه، وفشـلت كل محـاولات الملـك فـاروق فى وقـف هـذا الـزواج.

فى عـام ١٩٥٦، حصـل ريـاض غـالى عـلى توكيـل عام مـن حماتـه الملكـة وزوجته الأمـيرة للتـصرف باسـميهما فى كل مـا يتصـل بشـئونهما الماليـة، وكانـت هـذه الخطـة بمثابـة فصـل إضـافى فى هـذه الدرامـا، حيـث اندفـع ريـاض إلى المضاربـة فى البورصـات بالأمـوال التـى يديرهـا بمقتـضى التوكيـل، ولمـا تعرضـت هـذه الأمـوال إلى خسـائر فادحـة، ألغـت الأسرة التوكيـل ولكـن بعـد سـبع سـنوات، كان نصيـب نـازلى وفتحيـة خلالهـا العديـد مـن الـضرب والإهانـات مـن ريـاض.

طلبت فتحية الطلاق، ورفعت دعوى قضائية أمام المحاكم تطالب بالانفصال الجسدى تمهيدا لطلب الطلاق، وقالت فى دعواها إن زوجها يقسو عليها بدنيا وعقليا، وطلبت نفقة شهرية لها ولأولادها قدرها ٢١٤٠ دولارا.

قادت فتحية تربية أبنائها، «رفيق» تخرج فى جامعة كاليفورنيا بعد دراسة الأدب الإنجليزى، وكان يعمل أثناء دراسته، و«راشد» درس العلوم وكان يعمل أثناء الدراسة فى محل تجارى، و«رانيا» عملت أثناء دراستها الجامعية كممرضة مسائية فى أحد المستشفيات.

كان عام ١٩٥٨ هو عام التحول الجماعى من نازلى وفتحية ورياض إلى الديانة المسيحية على المذهب الكاثوليكى.

١٠ ديسمبر عام ١٨١٩
إبراهيم باشا يشق طريقه فى شوارع القاهرة عائدًا بانتصاره على الوهَّابيين فى «الدرعية»

جاءت البشائر إلى محمد على باشا بأن ابنه «إبراهيم باشا» استولى على «الدرعية» فى شبه الجزيرة العربية، وهزم الوهابيين يوم ١٥ سبتمبر ١٨١٨، فأطلق مدافع كثيرة من القلعة والجيزة وبولاق والأزبكية، ويقول الجبرتى: «انتشر المبشرون على بيوت الأعيان لأخذ البقشيش»، ويسهب الجبرتى فى وصف تلك الحفلات فى موسوعته التاريخية «عجائب الآثار فى التراجم والأخبار»:

«نودى بزينة المدينة سبعة أيام، ونُصبت السرادقات خارج باب النصر، ومن بينها سرادقات محمد على باشا، وباقى الأمراء لمشاهدة الحفلات، وهى مناورة حربية تتخللها حركات فروسية قام بها الخيالة والمشاة، وفى الليل كانت توقد المصابيح والمشاعل، وتطلق الحراقات والمدافع، وبعد انقضاء الأيام السبعة، أعدت حفلات أخرى فى جهة بولاق تختلف فى نطاقها وأوضاعها عن حفلة باب النصر، كانت حفلات بولاق على النيل وشاطئه، حيث استؤجرت الأماكن المطلة على البحر بأجور مرتفعة لتزاحم الناس على مشاهدتها، واستجلاء مناظرها، وكان قوام الحفل مناورات بحرية تقوم بها السفن والمراكب تمثل فيها المعارك البحرية، فالدرعية هى عاصمة الوهابيين وبفتحها تُوِّجت حرب شاقة دامت سبع سنين وكُلِّلت بالنصر».

بقى إبراهيم باشا فى «الدرعية» بعد سقوطها فى يديه يوطد نفوذه فيها، وكان قد أرسل حاكمها «عبد الله بن سعود» إلى مصر أسيرًا، كما أرسل إخوته، وتلقاه محمد على فى قصره بشبرا، وأرسلهم إلى إسطنبول، وعلى الرغم من أن محمد على طلب العفو من السلطان العثمانى لـ«عبد الله بن سعود»، فإنه وحسب كتاب «الفرعون الأخير» لـ«جيلبرت سينويه»: «بدا السلطان غير مرن، وهاج الشعب المتأثر بخطب أئمة المساجد يطالب بإنزال العقوبة عليه، فيُعرض ابن سعود فى شوارع إسطنبول لثلاثة أيام وفى اليوم الرابع يُفصل رأسه عن جسده».

وفى تقرير خاص بالسفارة الروسية فى إسطنبول عن هذا الحدث، قالت: «أمر السلطان فى هذا اليوم بعقد المجلس فى القصر وأحضروا الأسرى الثلاثة مقيدين بالسلاسل الثقيلة، ومحاطين بجمهور من المتفرجين، وبعد المراسم أمر السلطان بإعدامهم، فقُطعت رقبة الزعيم «عبد الله» أمام البوابة الرئيسة للقديسة صوفيا، وقطعت رقبة الوزير أمام المدخل، وقطعت رقبة الثالث فى إحدى الأسواق الرئيسة فى العاصمة، وعرضت جثثهم ورءُوسها تحت الإبط، وبعد ثلاثة أيام ألقوا بها فى البحر».

عاد إبراهيم باشا يوم ٩ ديسمبر ١٨١٩، وقابل والده فى قصره بشبرا، فضمه إلى صدره مفتخرًا بابنه العظيم، حسب ما يذكره عبد الرحمن الرافعى فى كتابه «عصر محمد على»، وفى مثل هذا اليوم «١٠ ديسمبر ١٨١٩» دخل القاهرة من باب النصر دخول الظافر، وشق المدينة إلى القلعة فى موكب مهيب، واحتشدت الجماهير لمشاهدته وتحيته، وجاء محمد على إلى المسجد الغورى، وشاهد موكب ابنه أثناء مسيره، ولما بلغ القلعة استأنف سيره فى موكبه إلى مصر القديمة، وقصد من هناك إلى قصره بـ«جزيرة الروضة»، وزُينت المدينة ابتهاجًا برجوع القائد الكبير، كما يقول الجبرتى: «استمرت الزينة والوقود والسهر بالليل، وعمل الحراقات وضرب المدافع فى كل وقت من القلعة، والمغانى والملاعيب فى مجامع الناس سبعة أيام بلياليها».

١١ ديسمبر عام ١٩٥٦
الفدائيون يختطفون ابن عم ملكة بريطانيا الضابط «أنتونى مورهاوس» فى بورسعيد

ابن عم ملكة بريطانيا، يكره المصريين بشدة، تزداد كراهيته لجمال عبدالناصر، يستمتع يوميا برفع صور «عبدالناصر» من فوق جدران ومنازل مدينة بورسعيد، هو يرفعها وأهالى المدينة يضعون بدلا منها، وهكذا كانت تمضى عملية الكر والفر بينه وبين أبناء بورسعيد الباسلة أثناء العدوان الثلاثى على مصر، الذى بدأت شرارته يوم ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦.

هو الضابط «أنتونى مورهاوس» الذى تم اختطافه فى عملية بطولية للمقاومة الشعبية، وقت أن كانت القوات البريطانية تمارس عدوانها البربرى على بورسعيد، لم يكن الاختطاف وليد تخطيط مسبق، ولكنه تم بالمصادفة، وحسب قول «محمد حمد الله» أحد أبطال المجموعة الفدائية التى نفذت العملية: «خططنا لخطف أى ضابط ووضعنا خطتنا على أن يمثل أحدنا دور بائع العاديات، ويحاول المرور بين الضباط الإنجليز، فإذا أقبل أحدهم للشراء استدرجه إلى مكانٍ خالٍ ثم نخطفه».

يضيف «حمد الله» فى كتاب «شموس فى سماء الوطن» للكاتب الصحفى محمد الشافعى، الذى يتحدث عن أبطال المقاومة الشعبية فى حرب ١٩٥٦: «فى صباح يوم ١١ ديسمبر» مثل هذا اليوم، كنا نمر فى الشوارع بالسيارة

الأجـرة «٥٧ قنـال»، فوجدنـا «مورهـاوس» يمـر بسـيارته الچيـب خلـف طفـل يركـب دراجـة فأسرعنـا خلفـه، وكان الإنجليـز قـد منعـوا ركـوب الدراجـات بعـد أن اسـتخدمها الفدائيـون فى رمـى القنابـل عليهـم، وقـع الطفـل مـن فـوق دراجتـه فنـزل إليـه «مورهـاوس»، لحقنـا بـه، تجمـع حولنـا عـدد كبـير مـن النـاس رغـم أن السـاعة كانـت السـابعة إلا الربـع صباحـا، قدمـت نفسـى لـه عـلى أننـى مـن الشرطـة وكنـت أرتـدى بذلـة الشرطـة وهـى واحـدة ضمـن بذلتـين قدمهـا ضابـط المخابـرات سـامى خضـير لنـا، ووعـدت مورهـاوس بـأن أحـضر لـه الطفـل.

هَـمَّ «مورهـاوس» بالانـصراف وقـذف بطبنجتـه الخاصـة إلى تابلـوه السـيارة ليختطفهـا أحمـد هـلال وهـى مازالـت فى الهـواء، وقـام «حمـد الله» بـلَىّ ذراعـه ليقوده إلى السـيارة بدفعـة قويـة، ووسـط هتافـات: «الله أكـبر، الله أكـبر» انطلقـت السـيارة بعـد تكميمـه وتقييـد رجليـه وقدميـه، ومـع مطـاردات لدوريـة إنجليزيـة بحثـا عن المخطـوف، أحـضر الفدائيـون صندوقـا حديديـا كبـيرا مـن قلـم المـرور ووضعـوه بداخلـه، ونُقـل بسـيارة بوليـس عـلى أنـه مهـمات أحـد الضبـاط، ووصلـوا بـه إلى منـزل الدكتـور أحمـد الهـلالى تمهيـدا لإرسـاله إلى القاهـرة.

وحسـب مـا يذكـره الدكتـور يحيـى الشـاعر أحـد أبطـال المقاومـة الشـعبية فى كتابـه «حـرب السـويس ١٩٥٦ - أسرار المقاومـة السريـة فى بوْرسـعيد»: «بعـد ثلاثـة أيـام ونظـرا للحصـار المـضروب عـلى المنطقـة الـذى منـع مـن دخـول الفدائيـين لمخبـأ مورهـاوس، تـم فتـح الصنـدوق فوجـدوه مختنقـا»، ويقـول الشـاعر: «قمـت بدفنـه أسـفل المنـزل حتـى لا تنتـج عنـه رائحـة كريهـة، وحتـى لا يتمكـن الإنجليـز مـن التعـرف عـلى مكانـه»، وتمـت عمليـة الدفـن بمسـاعدة «السـيد البـوص» و«السـيد صبحـى الكومـى».

تكـون «فريـق العمليـة» مـن: محمـد حمـد الله، عـز الديـن الأمـير، أحمـد هـلال، حسـين عثـمان، وطاهـر مسـعد، وأخـذت شـهرة عالميـة بعـد أن أثارتهـا المعارضـة فى مجلـس العمـوم البريطانـى.

١٢ ديسمبر عام ١٩٦٦
مصـر تعلـن رسميًا إقامة الملك سعود على أرضها لاجئًا..
وعبد الناصر يشترط عليه «التصرف بحكمة وصبر»

«فخامـة الأخ جمـال عبدالنـاصر، رئيـس الجمهوريـة العربيـة المتحـدة، حفظـه الله.. بعـد السـلام عليكـم ورحمـة الله وبركاتـه، أرجـو أن يكـون سيادة الأخ فى أتـم الصحـة والعافيـة.. وبعـد.

يعلـم الأخ الرئيـس أنـه منـذ خروجنـا مـن وطننا العزيـز، كنا نـود الاستيطان فى بلـد مسـلم عربـى، ليتسـنى لنـا أداء فرائضنـا المقدسـة وتربيـة أبنائنـا تربيـة إسـلامية عربيـة صحيحـة، وبما أن الظـروف لم تسـمح لنـا بذلـك لأسـباب يعلمهـا الجميـع، لذلـك اسـتخرنا الله عـز وجـل، ونوينـا الإقامـة بوطننـا الثانـى بـين إخواننـا فى الإسـلام والعروبـة فى الجمهوريـة العربيـة المتحـدة لنـؤدى فريضـة الإسـلام معهـم التـى هـى فـرض علينـا.. أخوكـم سـعود بـن عبدالعزيـز».

كتـب العاهـل السـعودى هـذا الخطـاب إلى الرئيـس جمـال عبدالنـاصر يـوم ٥ نوفمـبر ١٩٦٦، طالبـا منه حق الإقامـة فى مـصر بعـد عزلـه مـن العـرش، وطَوّفانه فى دول أوروبيـة حتـى اسـتقر منفيـا فى اليونـان، وحسـب محمـد حسـنين هيكل فى كتابـه «الانفجـار»، فـإن القاهـرة أعلنـت رسـميا فى مثـل هـذا اليـوم «١٢ ديسـمبر ١٩٦٦» أن الملـك سـعود يطلـب الإقامـة فى مـصر، وأنـه كتـب خطابـا إلى الرئيـس جمـال عبدالنـاصر الـذى اسـتجاب للطلـب قائـلًا، حسـب هيـكل: «إن مـصر وطـن لـكل العـرب والمسـلمين».

وصـل «سـعود» إلى القاهـرة، فثـارت ثائـرة الملـك فيصـل، وأسـقط جـوازات سـفر شـقيقه وأبنائـه وحاشـيته الذيـن جـاءوا معـه، ويقـول هيـكل: كانـت لـدى «سـعود» حسـابات طويلـة يصفيهـا مـع الملـك فيصـل، ومـع ذلـك طالبتـه القاهـرة فى الأسـابيع الأولى مـن التجائـه إلى مـصر أن يتـصرف بحكمـة وصـبر، لكـن نجاحـه لم يكـن كبـيرا، فتفاصيـل خلافاتـه مـع «فيصـل» كان يرويهـا لـكل مـن يقابلـه، ومنهـا أنـه فى معركـة العـدوان الثلاثـى عـلى مـصر عـام ١٩٥٦ اعـترض «فيصـل» عـلى ذهـاب الطائـرات المصريـة إلى السـعودية وقـت العـدوان لكـى تبقـى فى أمـان، بحجـة أن وجودهـا فى المطـارات السـعودية يعـرض المملكـة نفسـها لخطـر الغـارات، وعـلى النقيـض كان رأى الملـك سـعود: «هـؤلاء الطيـارون وطائراتهـم ضيـوف عندنـا لهـم واجـب الإكـرام».

وروى سـعود أن فيصـل حصـل منـه بالضغـط والإكـراه مسـتغلا مرضـه، عـلى تفويـض بصلاحيـات الحكـم فى غيابـه عـن المملكـة وفى حضـوره، ثـم إنـه بعـد أن شُـفى مـن مرضـه استشـار اثنـين مـن الخـبراء القانونيـين، أحدهمـا مـصرى هـو الدكتـور نـاصر الشـعيبى حـول حقـه فى اسـتعادة صلاحياتـه، وأفتيـا بحقـه فى ذلـك باعتبـاره ملـكا، فلـما كتـب خطابـا إلى «فيصـل» يسـحب منـه صلاحيـات الحكـم، جـاءه بعـض الأمـراء بالخطـاب قائلـين لـه إن فيصـل لـن ينفـذ مـا جـاء فى هـذا الخطـاب، وإن أسرة «عبدالعزيـز» تؤيـده، ولم يكـن ذلـك صحيحـا.

بعـد ذلـك قـدم «سـعود» إلى عبدالنـاصر مذكـرة كتبهـا بمعونـة مستشـارين تجمعـوا حولـه قـال فيهـا، إنـه يسـتطيع إنهـاء حـرب اليمـن بـأسرع مما يسـتطيع الجيـش المـصرى الـذى يقاتـل فيهـا، وذلـك عـبر علاقتـه بزعـماء القبائـل المؤثريـن فيهـا، وإنـه عـلى اسـتعداد أن يضحـى بآخـر جنيـه ذهـب يملكـه لضـمان ولاء القبائـل، لكـن عبدالنـاصر أشَّر عـلى هـذه المذكـرة بكلمـة: «يُؤجَّـل».

بعـد أربعـة شـهور نفـذ خطتـه بالسـفر إلى اليمـن، وقـضى فيهـا أسـبوعًا وزع خلالـه نحـو ثلاثـة أربـاع مليـون جنيـه ذهـب إلى زعـماء القبائـل والمشـايخ.

١٣ ديسمبر عام ٢٠٠٣
الإعلان عن اعتقال صَدَّام حسين بعد ٨ أشهر من اختفائه وقراءته للشعر والنثر وقيادته للمقاومة

هو فى غرفة تحت الأرض، ضعيف، رَثّ الثياب، لا يقوَى على الحركة، يحركونه كيفما شاءوا، يفتح فمه بالأمر، يضربون كشاف إضاءة داخل فمه، ينظر شخص فى الفم وكأن مواد متفجرة بداخله، كان المظهر مؤلما.

هكذا صنعت أمريكا الصورة الإعلامية التى تريدها لـ«صدام حسين» حتى تكون على النقيض من صورة ذهنية أخرى صنعتها المخيلة الشعبية العربية عنه، بوصفه قائدا عنيدا رفض كل الضغوط الدولية للتنحى عن حكم العراق منذ غزو الجيش العراقى للكويت عام ١٩٩٠، وحتى حرب ١٩ مارس عام ٢٠٠٣ التى انتهت باحتلال أمريكى يوم ٨ أبريل، ثم قيادته للمقاومة العراقية بعد الاحتلال.

كانت الشعوب العربية من المحيط إلى الخليج، تترقب يوميا بعد سقوط بغداد ما سوف تذيعه القنوات الفضائية ووسائل الإعلام من أخبار عن عدد القتلى من جنود الجيش الأمريكى فى العراق الذين يتساقطون يوميا، ومع تصاعد هذه العمليات وازدياد القتلى الأمريكيين يوميا، تأكد الجميع أن هناك مقاومة رائعة ومنظمة جرى ترتيبها قبل الاحتلال الأمريكى كسبيل للمواجهة الطويلة بديلا عن الحرب النظامية، وبلغت ذروتها فى شهر يوليو أى بعد نحو ثلاثة أشهر من سقوط بغداد، حيث نجا «ولفوتيز» نائب وزير

الدفاع الأمريكي من محاولة اغتيال أثناء زيارته إلى بغداد بعد تعرض الفندق الذى ينزل فيه إلى إطلاق صواريخ كادت تطاله، مما اضطره إلى إنهاء الزيارة والعودة ذليلا إلى واشنطن، وفى ليلة واحدة خلال هذا الشهر سقط ١٩ قتيلا و٤٠ جريحا أمريكيا بالقاعدة الأمريكية فى النخيلة بكربلاء.

تعاظمت العمليات البطولية للمقاومة العراقية، وكان قائدها هو صدام حسين الذى خرج من «قصر الرئاسة» بأضوائه، إلى «ديار المقاومة» بسريتها، فأنزلت المخيلة الشعبية العربية عليه صفات إضافية لصورة «البطل المغوار».

من هذه الخلفية يمكن فهم طبيعة الصورة التى حرصت أمريكا أن تبثها عنه وهو فى قبضة القوات الأمريكية فى مثل هذا اليوم «١٣ ديسمبر ٢٠٠٣»، أى بعد الاحتلال بنحو ثمانية أشهر، فرضت فيها المقاومة العراقية كلمتها.

جرت عملية الاعتقال قبل الإعلان عنها رسميا بأيام، وتم إعطاء «صدام» أدوية تُفْقده أى قدرة على الرفض أثناء إجراء عملية تصويره بالطريقة التى تم بثها، والشاهد على ذلك موقفه الثابت والصلب أثناء تنفيذ عملية إعدامه، فهى على النقيض تماما من صورة اعتقاله.

أرادت الإدارة الأمريكية بقيادة «جورج بوش» الابن، أن تصدر مشهد «صدام» البالغ من العمر نحو ٧٠ عاما والمشهور بانتصاب قامته بطول يبلغ ١٨٧ سم، منكسرا، ذليلا، لفئتين، فئة الحكام العرب بما يعنى ذلك لهم، أنه هكذا سيكون مصير من يخرج عن الطاعة الأمريكية، وفئة الشعوب بما يعنى أن هكذا سيكون مصير أى مقاوم.

وبين المقصدين تواصلت التسريبات حول كيف تم القبض على صدام، وحياته خلال فترة اختفائه بعد الاحتلال، ووفقا لما نقلته صحيفة «واشنطن بوست» الأمريكية عن «علاء نامق» الذى خبأ صدام فى مزرعته وكان سائقا له أثناء رئاسته: «كان صدام يكتب ويقرأ كثيرا، وكان نهما على النثر والشعر، إلا أن الجنود صادروا كل ما كتبه، كان يراسل زوجته وابنته لكنه لم يقابلهما، بل اقتصر زواره فى المزرعة على ولديه «قصَىّ وعَدىّ»، وكنت أنا من يرتب لقاءهم فى المزرعة».

١٤ ديسمبر عام ١٩٦٣
وفاة شيخ الأزهر محمود شلتوت رائد التقريب بين المذاهب

حين صدر القرار الجمهورى بتعيين الشيخ محمود شلتوت شيخا للأزهر يوم ١٣ أكتوبر ١٩٥٨، أصبح الأزهر على موعد مع واحد من دعاة الإصلاح والتجديد، جاء فى زمن أعطى مساحة واسعة للتطوير والتحديث وإعمال العقل.

كان شلتوت أهلا لهذه المهمة، فقضية التجديد الدينى وإصلاح الأزهر لم تكن وافدة عليه بحكم أن السلطة التى عينته فى موقعه تطلب ذلك، وإنما كان من المؤمنين بها، ففوق أنه من المحسوبين على اتجاه الشيخ مصطفى المراغى فى التجديد والإصلاح، كان، كما يقول الكاتب «حلمى النمنم» فى كتابه «الأزهر .. الشيخ والمشيخة»: «له آراؤه الإصلاحية بالنسبة إلى الأزهر، ومنذ أن تقلَّد وكالة الأزهر عمل على تأسيس مجمع البحوث الإسلامية ليحل محل هيئة كبار العلماء، ونال الموافقة بإنشائه، وتم ذلك مع صدور قانون تنظيم الأزهر».

لم يكن الشيخ شلتوت بعيدا عن الحياة العامة، وضمن ما يرصده النمنم فى ذلك: «منذ سنة ١٩٥٧ اختاره أنور السادات سكرتير عام المؤتمر الإسلامى مستشارا للمؤتمر، وكان عضوا فى المجلس الأعلى للإذاعة المصرية ورئيسا للجنة العادات والتقاليد بوزارة الشئون الاجتماعية، وعضوا فى اللجنة العليا لمعونة الشتاء، وفضلا عن ذلك كان يتحدث للإذاعة كثيرا فى أحاديث

الصباح قبل بدء الإرسال التليفزيونى، ويكتب للصحف والمجلات، وهو من المؤسسين لدار التقريب بين المذاهب الإسلامية، وكان هدفها الرئيس هو التقريب بين الشيعة والسنة».

يقترن باسم الشيخ شلتوت الذى رحل فى مثل هذا اليوم «١٤ ديسمبر ١٩٦٣» عملان رئيسان وتاريخيان، الأول، إعادته لهيكلة الأزهر، واستحدث مجمع البحوث الإسلامية فيه، كما وسع من جامعة الأزهر بأن أضاف إليها الكليات العملية مثل الطب والهندسة وغيرهما ليكون كما يقول «النمنم»: «هناك الطبيب المسلم والمهندس المسلم للدفع بهما نحو أفريقيا»، وجاء ذلك عملا بقانون تنظيم الأزهر رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١، والذى أخذ جدلا كبيرا مازال يتواصل حتى الآن، حيث تهاجمه بشدة تيارات اليمين الدينى من باب الهجوم على جمال عبدالناصر، وذهب إلى نفس الاعتقاد الشيخ محمد متولى الشعراوى، غير أنه وقبل رحيله بفترة فاجأ المصريين بذهابه إلى ضريح جمال عبدالناصر ليقرأ الفاتحة عليه، قائلا، إنه جاءه فى المنام طالب يحمل أدوات هندسية، وآخر يحمل سماعة طبيب فتأكد من ذلك أن قانون تطوير الأزهر كان صحيحا، ويقود هذا القول من «الشعراوى» إلى تأكيد أنه بقدر ما يحسب «تطوير الأزهر» سياسيا لجمال عبدالناصر، فإنه يحسب للشيخ شلتوت، فلو لم يكن مؤمنا بالتجديد والإصلاح لما وافق عليه أثناء مشيخته.

العمل الثانى فى سيرة «شلتوت» يتمثل فى مسألة التقريب بين المذاهب، والقصد منها «الشيعة» و«السُّنة» وبلغ ذروته عند فتواه بجواز التعبُّد على المذاهب الإسلامية الثابتة والمعروفة والمتبعة، ومنها مذهب الشيعة الإمامية الجعفرية، وقال نصا فى مجلة «رسالة الإسلام» الصادرة عن دار التقريب بين المذاهب الإسلامية بالقاهرة: «إن مذهب الجعفرية المعروف بمذهب الشيعة الإمامية الاثنى عشرية مذهب يجوز التعبد به شرعا كسائر مذاهب أهل السنة، فينبغى للمسلمين أن يعرفوا ذلك، وأن يتخلصوا من العصبية بغير الحق لمذاهب معينة».

١٥ ديسمبر عام ١٩٣٣
طرح «الطربوش المصرى»
فى السوق بعد بناء مصنع له بمشروع القرش

عاد أحمد حسين زعيم «مصر الفتاة» من باريس بعد رحلة صيفية عام ١٩٣٠، فنادى بإنشاء صناعة جديدة يسهم فيها المصريون بمبالغ ضئيلة، ووضع الحد الأدنى قرشًا واحدًا فسُمى مشروعه بـ«مشروع القرش».

فى كتابه «مصر الفتاة ودورها فى السياسة المصرية ١٩٣٣-١٩٤١» الصادر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، يتحدث الدكتور على شلبى عن قصة هذا المشروع، وكان واحدًا من أهم المشروعات التى ألهبت الحماس الوطنى قبل ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢: «عرض الفكرة على زميليه فتحى رضوان وكمال الدين صلاح، فأبديا استحسانها، وكيف أنها ستساعد على إقامة ركائز وطنية للصناعة تحل محل الركائز الأجنبية المسيطرة على الاقتصادى المصرى».

بدأ «أحمد حسين» نشر فكرته فى الأوساط الطلابية والشعبية، حتى لاقت رواجًا كبيرًا، وأصبح لها هيئة تشرف على تنفيذها، وفى العام الأول للمشروع بلغت حصيلة التبرعات «١٧٣٣٢ جنيهًا»، وحسب الدكتور على شلبى: «كان هذا المبلغ مخيبًا لآمال أحمد حسين، واتضح أن الريف كان أعجز عن دفع قروش معدودة، وهو ما يوضح مدى حدة الأزمة الاقتصادية فى عام ١٩٣١ نتيجة انخفاض أسعار القطن بشكل رهيب».

جرى التفكير فى الخطوة التالية، فتشكلت «جمعية القرش» وتولى رئاستها «على إبراهيم باشا» الجراح الشهير وعميد كلية طب قصر العينى، وبدأ التفكير فى تحديد المنشأة الصناعية التى ستنشئ الجمعية، فاستقر الرأى على مصنع للطرابيش، وقامت هذه الصناعة من قبل بإنشاء «إسماعيل باشا عاصم» مصنعًا فى قرية «قها» محافظة القليوبية، لكن الشركة النمساوية التى تورد الطرابيش لمصر حاربته بتخفيض الأسعار إلى أقصى درجة ممكنة، مما اضطر «عاصم» إلى إغلاق مصنعه، فى ضربة فادحة للصناعة الوطنية.

قدمت حكومة «إسماعيل صدقى» قطعة الأرض اللازمة لإقامة المصنع بناحية «العباسية» دون مقابل، وكلفت مهندسى وخبراء مصلحة المبانى، ومصلحة الصناعة والتجارة، ومصلحة الكهرباء بتقديم كل مساعدة ممكنة، وتكاملت للمشروع كل أسباب النجاح، فاتصلت الجمعية بـ«محمد بك حسن العبد» المقاول ليتولى عملية البناء، وتنازل عن مبلغ ألف جنيه من قيمة المبانى تبرعًا منه للمشروع.

فى العام الثانى انتهز «أحمد حسين» فرصة وضع حجر أساس المصنع، وألقى خطابًا طالب فيه بالمزيد من الجهود لجمع الاكتتابات، ولكن موجة الحماسة للمشروع كانت قد فترت بعض الشىء فلم يسفر الاكتتاب فى ذلك العام، إلا عن مبلغ ١٣ ألف جنيه، وأُقيم مهرجان القرش الثانى فى حديقة الأزبكية، وفى نهاية عام ١٩٣٣ تم إنشاء المصنع وتركيب الآلات، وبدأ الطربوش المصرى يطرح فى السوق ابتداءً من مثل هذا اليوم «١٥ ديسمبر ١٩٣٣»، وبلغت الطاقة الإنتاجية للمصنع «٣٠٠ ألف» طربوش فى العام، وضم المصنع فيما بعد إلى جانب إنتاج الطربوش، غزل الصوف، وشارك أثناء الحرب العالمية الثانية فى توريد غزل الصوف إلى وزارة الحربية، وتوريد القَلَنْسُوات إلى سلاح الفرسان الملكى، والطرابيش لجنود حرس الحدود، ويقول «على شلبى»: «هكذا كانت إقامة المصنع وطرح إنتاجه من الطرابيش المصرية يعد تتويجًا لجهود أحمد حسين وزملائه».

١٦ ديسمبر عام ١٩٦٣
عبد الناصر يستدعى اللواء عبد المنعم رياض

«إننا وضعناهم فى حلقة مفرغة»، ثم استطرد: «إن العسكرية تابعة للسياسة»، ثم وصل إلى قوله: «لقد جاء الوقت لكى نتكلم جيدا، فنحن لا نستطيع أن نقول فى العلن إننا على استعداد لاستخدام القوة لمنع تنفيذ المشروعات الإسرائيلية، ثم نقول فى الحجرات المغلقة إننا عاجزون عن استخدامها، لقد آن الآوان أن نكف عن المزايدات، فإذا كنا نستطيع الحرب نحارب، وإذا كنا لا نستطيع فعلينا أن نستعد، وأنا لا أستحى من أن أقف أمامكم لأقول إننى لا أستطيع أن أحارب الآن، ولا أرضى لنفسى أن أقامر بالبلد فى مزايدة لا أعرف أولها ولا آخرها».

جاءت تلك الكلمات الصريحة من الرئيس جمال عبد الناصر فى خطابه بمدينة بورسعيد يوم ٢٣ ديسمبر ١٩٦٣ فى الذكرى السابعة لـ«عيد النصر»، وأسفرت هذه المصارحة عن اقتراح من عبدالناصر بالدعوة لاجتماع للملوك والرؤساء العرب على مستوى القمة لبحث كل قضايا المصير سياسيا؛ حتى يكون رؤساء أركان حرب الجيوش على نور وثقة فيما يُكلفون به، حسب تعبير محمد حسنين هيكل فى كتابه «سنوات الغليان».

بقدر ما عبرت كلمات «عبدالناصر» عن مصارحة كبيرة فى خطاب عام أمام ألوف محتشدة، عبرت عن قدرة مصر على الإمساك بزمام أمور المنطقة وقيادتها، وتجسد ذلك فى تلبية القيادات العربية لدعوته لمؤتمر القمة العربية،

غير أن القصة كلها كانت تقف وراءها قصة مهمة يشرحها هيكل فى كتاب «الغليان»، وتبدأ من مساء يوم ١٥ ديسمبر حين عاد «عبدالناصر» إلى منزله بعد منتصف الليل بعد مباحثات استغرقت أكثر من ثلاث ساعات مع «شوين لاى» رئيس وزراء الصين أثناء زيارته إلى القاهرة، ومر على مكتبه فى الدور الأرضى قبل أن يأوى إلى فراشه، كى يحمل معه ملف التقارير اليومية الذى كان يحرص على الاطلاع عليه قبل نومه.

سحب «عبدالناصر» أول مجموعة من الأوراق، واستغرقه ما قرأ وكان بعنوان: «توصيات الهيئة الاستشارية العسكرية لمجلس رؤساء أركان حرب الجيوش العربية فى الدورة السابعة غير العادية المنعقدة فى المدة من ٧ إلى ٩ ديسمبر ١٩٦٣»، وكان برفقة التوصيات تقرير عما دار فى الاجتماعات، ويقول هيكل: «وضح أمامه أن رؤساء الأركان يقفون أمام مأزق لا يستطيعون تجاوزه، وهو أن الحكومات العربية عهدت إلى مجلس الدفاع المشترك منذ أكثر من سنة دراسة الوسائل الكفيلة بمنع إسرائيل من إتمام مشروعها لتحويل مياه الأردن، ثم نسيت الحكومات الموضوع وانشغلت فى خلافاتها الداخلية والعربية، وأحس عبدالناصر بأن رؤساء الأركان يوجهون نداء استغاثة إلى السياسيين الذين وضعوهم أمام مهمة مستحيلة ثم تركوهم لينصرفوا إلى شواغلهم الصغيرة».

فى فجر مثل هذا اليوم «١٦ ديسمبر ١٩٦٣» طلب عبدالناصر تليفونيا اللواء «عبدالمنعم رياض» عضو الهيئة الاستشارية لمجلس رؤساء الأركان، وطلب منه الحضور فى الثامنة صباحا ليسمع منه ما دار فى الاجتماع وهو ما حدث، وبعد اللقاء تفرغ للموضوع الذى «أصبح شاغله مستوليا على كل اهتمامه وفكره»، وتحرك تفكيره على خطوط انتهت إلى دعوته للقمة التى عُقدت يوم ١٣ يناير ١٩٦٤.

١٧ ديسمبر عام ١٢٦٧
الظاهر بيبرس يعيد الصلاة إلى الجامع الأزهر
بعد توقفها ٩٨ عامًا

كان يومًا مشهودًا، اشترك فى الصلاة الأمراء والأكابر، وبعد الفراغ من أدائها أقيم داخل الجامع حفل دينى، تلا فيه القُراء ما تيسر من القرآن الكريم، ثم صحب الأمير «عز الدين» كبار المصلين إلى داره ليقيم لهم وليمة غداء فاخرة، ابتهاجًا بعودة الحياة الطبيعية إلى الجامع الأزهر، وقدم لهم كل ما تشتهى الأنفس والأعين.

هكذا كان حال القاهرة والجامع الأزهر فى مثل هذا اليوم «١٧ ديسمبر ١٢٦٧»، كما يصف الدكتور عبدالعزيز محمد الشناوى فى كتابه «الأزهر جامع وجامعة-الجزء الأول»، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، حيث عادت صلاة الجمعة إليه بعد انقطاع وإغلاق ٩٨ عامًا، بدأت عام ١١٧١ ميلادية، ولإغلاقه قصة، ولعودته قصة.

تعود قصة الإغلاق إلى صلاح الدين الأيوبى وتأسيسه للدولة الأيوبية «السُّنية» المذهب، التى قامت على أنقاض الدولة الفاطمية «الشيعية» المذهب، وحسب «الشناوى» فإن القضاء على المذهب الشيعى، واستئصال شعائره، ومعالمه، ومعاقله، كان فى مقدمة برنامج «صلاح الدين» الداخلى، فأبطل من أذان الصلاة عبارة: «حى على خير العمل»، ويقول حلمى النمنم فى كتابه «الأزهر.. الشيخ والمشيخة»: «أراد صلاح الدين أن يحدَّ من الثقافة الشيعية

فى مصر، وكان أمامه دار الحكمة وهى المكتبة الأكاديمية الكبرى، والجامع الأزهر وهو أقدم مساجد مصر، فأمر بإحراق دار الحكمة، ليتم حمل الكتب منها إلى «مستوقدات الفول»، واختلف المؤرخون حول استمرار اشتعال النار، أربعة شهور أو عامين».

أما الجامع الأزهر فتولى أمره قاضي القضاة «صدر الدين عبد الله بن درباس»، وكان شافعى المذهب مثل صلاح الدين، وأفتى بأنه لا تجوز إقامة خطبتين للجمعة فى بلدة واحدة وكذلك الحال بالنسبة إلى خطبة عيد الفطر وخطبة عيد الأضحى، ولأن الأزهر وجامع الحاكم بأمر الله يقعان فى مدينة القاهرة، فتقرر منع إقامة الصلاة الجامعة فى الأزهر، وعلى الرغم من عدم منع الفتوى إقامة كل الصلوات، فإن المصلين هجروا الجامع تدريجيًا حتى لم يعد يتردد عليه أحد.

أما قصة عودة الصلاة إليه بعد ٩٨ عامًا فحدثت مع الدولة المملوكية، بقيام الأمير «عز الدين أيدمر» نائب السلطان «الظاهر ركن الدين بيبرس»، وكان يسكن بجوار الجامع الأزهر، بإعادة إعماره بعد أن وجده خرابًا وتبرع من ماله الخاص لذلك، وفاتح بيبرس بأهمية عودة الصلاة فيه، لكن الأمر كان يحتاج إلى فتوى جديدة تنقض الفتوى السابقة، فتوجه إلى قاضي القضاة «تاج الدين ابن بنت الأعز» وكان شافعيًا، غير أنه أعلن تمسكه بما أفتى به سلفه قبل ٩٨ عامًا، وسانده فى ذلك كل فقهاء الشافعية وقضاتها فى مصر.

وطبقا لـ«النمنم»، فإن السلطان اضطر إلى عزل «ابن بنت الأعز» وجاء بقاضي قضاة آخر يعتنق مذهب الإمام الأعظم أبى حنيفة النعمان، وكان معروفا سلفًا بأن الأحناف لا يمانعون صلاة الجمعة فى أكثر من جامع فى المدينة الواحدة، وقرر قاضي القضاة الجديد إعادة الصلاة فى الجامع الأزهر، لكن هناك رواية أخرى تقول إن بيبرس لم يعزل قاضي القضاة «الشافعى»، وإنما اكتفى باستطلاع رأى فقهاء أفتوا له بعودة الصلاة إلى الجامع.

١٨ ديسمبر عام ١٩٥٧
مستشار الملك سعود ينقل شكوى لعبد الناصر من عدم تدخله فى طلاق «ناريمان»

قال مستشار العاهل السعودى الملك سعود، الشيخ يوسف ياسين، للرئيس جمال عبدالناصر: «الملك سعود هو الذى له الحق أن يغضب لما يشعر به من جفاء مصر نحوه».

طالبه عبدالناصر بدليل، فرد الشيخ يوسف بقصص مستغربة، يذكرها الكاتب الصحفى محمد حسنين هيكل فى كتابه «سنوات الغليان»، نقلا عن وثيقة محفوظة فى «أرشيف منشية البكرى» (منزل الرئيس) فى جزء شئون عربية رقم ٤١٢ سعودية.

تمت المقابلة فى مثل هذا اليوم «١٨ ديسمبر ١٩٥٧»، وجاءت فى مناخ سياسى ملتهب بسبب ما عُرف تاريخيا بـ«مشروع إيزنهاور» نسبة إلى الرئيس الأمريكى، واستهدف احتواء المنطقة أمريكيًا ورفضته مصر بقوة، فى مقابل تأييده بقوة من السعودية، وسافر عاهلها «سعود» إلى الأردن لإقناعها بالانضمام إلى «المشروع» وقال فيها حسب هيكل: «الجماعة فى مصر مصبحين أو ممسين»، ومعناها أن النظام فى مصر قد لا يرى شروق الشمس أو غروبها فى أى يوم.

جرت واقعة أخرى يرويها هيكل، وهى أن ضابطا مصريا سابقا من أنسباء الأسرة المالكة المصرية السابقة حاول تجنيد صديق له هو العقيد «عصام

خليل»، للقيام بانقلاب عسكرى فى مصر، وسلمه ١٦٢ ألف جنيه إسترلينى دفعتها السعودية، فأبلغ «الضابط» اللواء عبدالحكيم عامر وزير الحربية بالتفاصيل وسلمه المبلغ، وعلم من يعنيهم الأمر فى السعودية بانكشاف السر، فأوفدوا الشيخ يوسف ياسين مستشار الملك، ليجتمع بـ«عبدالناصر».

قدم «عبدالناصر» وثائق مسألة الانقلاب للشيخ يوسف، فرد بأنها محاولة مدبرة بعناية للوقيعة بين الصديقين «ناصر وسعود»، ثم فاجأ عبدالناصر بقوله إن الملك عاتب عليه؛ لأنه يرفض وساطة الملك فى موضوع طلاق الملكة «ناريمان صادق» (زوجة الملك فاروق الثانية) من زوجها الحالى «أدهم النقيب»، وأن الملك كتب خطابا إلى الرئيس يطالبه بتدخل الحكومة لإقناع «النقيب» بالطلاق، لكن الرئيس رد بأنه لا يستطيع فعل ذلك لأن القضية منظورة أمام القضاء.

نقل الشيخ يوسف لعبدالناصر، ضيق الملك من رد الرئيس قائلا: «لو أراد أن يكرمنى لفعلها»، فعلق عبدالناصر لـ«يوسف»: «هل سمعت عن حكومة متمدينة فى العالم تملك حق التدخل فى قضية أحوال شخصية أمام المحاكم تمس علاقة رجل بزوجته؟».

وانتقل «الشيخ يوسف» إلى نشر الصحف المصرية لخبر يقول إن «الملك أعطى للسيدة ناريمان ١٠٠ ألف جنيه إسترلينى»، فرد عبدالناصر بأن النشر جاء نقلا عن صحف بيروت وقت زيارة الملك لـ«لبنان».

أضاف الشيخ يوسف أن الملك غاضب من نشر الصحف تفاصيل قصة زواجه من فتاة لبنانية عمرها ١٧ عاما، وتقديمه هدايا لها تزيد قيمتها على نصف مليون جنيه إسترلينى، فرد عبدالناصر بأن الصحف المصرية نشرتها نقلا عن وكالات أنباء وصحف أمريكية، وتساءل: «لماذا يغضب الملك من مصر، ولا يغضب من أمريكا؟».

تضايق عبدالناصر من مسار المناقشة على هذا النحو، فأوقفها بحزم قائلا: «أرجوك أن تذهب إلى الملك وتنقل له أننى لا أعمل بسياستين ولا بوجهين».

١٩ ديسمبر عام ١٩١٤
عزل الخديو عباس حلمى الثانى
والتهديد بتعيين زعيم الطائفة الإسماعيلية فى الهند حاكمًا لمصر

انتشرت الإعلانات على الجدران فى القاهرة والإسكندرية، وفى الجرائد الرسمية، صباح مثل هذا اليوم «١٩ ديسمبر ١٩١٤»، جاء فيها: «يعلن ناظر الخارجية لدى حكومة ملك بريطانيا العظمى، أنه بالنظر لإقدام سمو عباس حلمى باشا خديو مصر السابق على الانضمام لأعداء الملك قد رأت حكومة جلالته خلعه من منصب الخديوية، وقد عُرض هذا المنصب السامى مع لقب سلطان مصر على سمو الأمير حسين كامل باشا أكبر الأمراء الموجودين من سلالة محمد على فقبله».

كان الآمر الناهى فى العزل والتعيين هو الاحتلال الإنجليزى، لم يكن للشعب المصرى يد فى القصة كلها، ولم تفعل الطبقة السياسية الموجودة شيئًا، وهو ما دفع الزعيم الوطنى محمد فريد الذى كان موجودا فى أوروبا وقتها إلى التعبير عن غضبه، قائلًا فى مذكراته: «من المحزن أنه لم يَسْتقلِ مصرى من منصبه احتجاجًا على هذا العمل، بل قبله الجميع صاغرين».

فى سيرة الخديو عباس حلمى الثانى، أنه بدأ حكمه وطنيا اقترب من شباب الحركة الوطنية وعلى رأسهم مصطفى كامل من أجل استقلال مصر عن الاحتلال، وفى سيرته أيضًا، فراق معهم فيما بعد لمهادنته الاحتلال،

وبـين الحالتـين استمر فى حكـم مـصر ٢٣ عامًـا يلخصهـا هـو فى مذكراتـه التـى حملـت عنـوان «عهـدى» الصـادرة عـن درا الـشروق، القاهـرة بقولـه: «طـوال فـترة حكمـى، كان عـلىَّ أن أكافـح، قدمـا بقـدم، وبـدون هـوادة، مـن أجـل المحافظـة عـلى الشـخصية الدوليـة لمـصر، ولكـن صـدام الحـرب العالميـة العظمـى الأولى جـاء لكـى يقـضى فجـأة عـلى التـوازن بـين القـوى، ووجـد خصومـى العنيـدون، لـورد كرومـر، لـورد سيسـل، لـورد ملنـر، وأتباعهـم، وعـن طريـق اللـورد كتشـنر، فرصـة لممارسـة انتقامهـم الخسـيس بإبعـادى عـن عـرش أجـدادى».

فى موسـوعة «حوليـات مـصر السياسـية- الجـزء الأول»، الصـادرة عـن الهيئـة العامـة للكتـاب، القاهـرة، تأليـف أحمـد شـفيق باشـا رئيـس ديـوان «الخديـو المعـزول»، نقـرأ القصـة كاملـة، ويسـتوقفنا فيهـا جانـب مثـير يبـدأ مـن لحظـة تفكـير الإنجليـز فى الأمـر، حيـث كان لابـد لهـم مـن تعيـين حاكـم جديـد، فألمحـوا بغرضهـم إلى الأمـير محمـد عـلى شـقيق الخديـو المعـزول لكنـه رفـض، وعرضـوه عـلى الأمـير حسـين كامـل الـذى قَبِـل.

تصـور الإنجليـز أن أمـراء بيـت محمـد عـلى قـد لا يقبلـون شـغل مـكان «عبـاس حلمـى» فنـاوروا بحيلـة طريفـة يرويهـا «شـفيق باشـا» قائـلًا: إن الإنجليـز اسـتقدموا مـن الهنـد «أغاخـان» زعيـم طائفـة الإسـماعيلية هنـاك، فوصـل إلى الإسـكندرية يـوم ١٩ ديسـمبر «يـوم قبـول السـلطان حسـين تسـلم عـرش مـصر»، وأوعـزوا إلى أحمـد يحيـى باشـا مـن عظـماء الثغـر أن يجمـع فى داره لفيفـا مـن أهـل العلـم والوجهـاء فى حفلـة يتـم فيـه مـدح الزعيـم المذكـور، وتبجيلـه، وتقديسـه، بهـدف تخويـف أسرة محمـد عـلى مـن إفـلات العـرش منهـم، وذهابـه إلى «زعيـم الطائفـة الإسـماعيلية»، إذا لم يقبلـوا مخططهـم.

كان «عبـاس حلمـى الثانـى» فى العاصمـة النمسـاوية «ڤيينـا» أثنـاء صـدور قـرار عزلـه، ويـروى «شـفيق» باشـا: لمـا وصـل النبـأ إلى حاشـيته تهيَّبـوا إبلاغـه لسـموه، ولمـا رأيـت ترددهـم، وجـدت مـن الواجـب أن أوقفـه عـلى الحقيقـة، تقدمـت إلى سـموه، وتلطفـت فى القـول، فلـما علـم بالنبـأ لم يَـزِدْ عـلى قولـه: «فى محلـه».

٢٠ ديسمبر عام ١٩٨٠
اجتماع جامعة الشعوب الإسلامية فى القاهرة.. والسادات يستضيف قادة «الجهاد الأفغانى» على الغداء فى «مِيت أبو الكوم»

أدى ما يُسمى بـ«قادة الجهاد الأفغانى» صلاة الجمعة فى مسجد قرية ميت أبو الكوم، مسقط رأس الرئيس السادات بمحافظة المنوفية، واستضافهم الرئيس على الغداء، ضم الوفد «أحمد چيلانى» و«صيغة الله مجددى» وقيادات أفغانية، جاءوا إلى القاهرة للمشاركة فى مؤتمر «جامعة الشعوب الإسلامية»، الذى بدأ فى القاهرة مثل هذا اليوم «٢٠ ديسمبر ١٩٨٠».

فى أثناء الزيارة بث «الضيوف» رسالة إذاعية من راديو القاهرة إلى الشعب الأفغانى، وزاروا الهيئة العربية للتصنيع، فأهدتهم صواريخ وقنابل مضادة للدبابات، وجاءت الزيارة فى سياق المشروع الأمريكى لمقاومة الاحتلال السوفيتى لأفغانستان الذى بدأ يوم ٢٧ ديسمبر ١٩٧٩، وطبقا للدراسة المهمة «دفاتر أزمة» للكاتب الصحفى محمد حسنين هيكل فى مجلة «وجهات نظر - يناير وفبراير ٢٠٠٢»، فإن تدافع الرئيس السادات فى مساندة «الجهاد الأفغانى»، كان بتخطيط أمريكى خالص تم الاتفاق عليه فى اجتماع مجلس الأمن القومى الأمريكى فور وقوع الاحتلال، ووضع رؤيته مستشار الأمن القومى الأمريكى «زبجنيو بريجينسكى».

أسفرت قصة «الجهاد الأفغاني» ضد الاحتلال السوفيتي ومساندته أمريكيًا ومصريًا وسعوديًا عن تعاظم إرهاب التكفيريين فى المنطقة والعالم، وبفضلها تأسس تنظيم القاعدة، وذلك بعد أن وجد هؤلاء ساحة حرب حقيقية يجربون فيها، وبانتهائها تدافعوا بإرهابهم فى المنطقة، ومنها مصر، بغرور أنهم وحدهم هزموا ثانى أكبر قوة فى العالم وقتئذ.

حين حضر «جيلانى» و«مجددى» وغيرهم إلى القاهرة، كانت هناك شهور سابقة من الشحن الإعلامى والسياسى فى مصر لدعم «الجهاد الأفغانى»، شملت إجراءات عديدة، منها، انسحاب مصر من دورة الألعاب الأولمبية المقرر عقدها فى موسكو، ودعوة السادات إلى عقد مؤتمر قمة إسلامى لبحث الغزو السوفيتى، وقرار المكتب السياسى للحزب الوطنى بقطع العلاقات مع سوريا واليمن الجنوبية لإعلان تأييدهما للغزو، وخفض التمثيل الدبلوماسى مع موسكو، ودراسة اقتراح لإقامة جامعة للشعوب العربية والإسلامية، وتقديم تسهيلات للتدريب العسكرى للأفغان، وإقامة أسبوع للتضامن مع الشعب الأفغانى افتتحه كمال حسن على نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية، وألقى كلمة الافتتاح للرئيس السادات.

عقب الافتتاح انعقدت جلسة خاصة للجمعية التأسيسية لجامعة الشعوب العربية والإسلامية لبحث مشروعات بقرارات خاصة بتدعيم النضال الأفغانى تتضمن اقتراحا بخصم ٢٪ من رواتب ومعاشات جميع موظفى الدولة، وفرض ضريبة جهاد لصالح أفغانستان، ودعوة الجمعيات الخيرية إلى جمع تبرعات لصالح الشعب الأفغانى، وفتح المساجد لتلقّى تبرعات المواطنين، وتخصيص صندوق فى «مكتب أفغانستان» بالأمانة العامة لـ«جامعة الشعوب» لجمع التبرعات الشعبية غير الحكومية، ووضع فيه السادات مليون جنيه تبرعا كنواة ليمارس بها أعماله.

كما شهدت الجامعات المصرية مؤتمرات ومعارض تنظمها الجامعات الإسلامية عن «الجهاد فى أفغانستان»، ولم يعد هناك ذكر نهائى للقضية

الفلسطينية، وأثناء ذلك التقى السادات «عمرَ التلمسانى» المرشد العام لجماعة الإخوان، وأسفر اللقاء عن السماح للإخوان بالسفر إلى أفغانستان، على أن يقتصر نشاطهم فيها على أعمال الإغاثة فقط، غير أن فتح باب التطوع للجهاد تم فى مرحلة لاحقة، وعلى أثره سافر الكثير من أعضاء التنظيمات الإسلامية المتشددة.

٢١ ديسمبر عام ١٩٠٨
الخديو عباس حلمى الثانى
يفتتح الجامعة المصرية فى التاسعة صباحًا

«باسم الفتاح العليم، أعلن افتتاح الجامعة المصرية، وأسأله تعالى أن يجعلها منهلا عذبا لطلاب العلم والعرفان على اختلاف الأجناس والأديان».

جاءت هذه الكلمات فى خطاب الخديو عباس حلمى الثانى حاكم مصر الذى ألقاه فى افتتاح الجامعة المصرية فى مثل هذا اليوم «٢١ ديسمبر ١٩٠٨»، وقال فيه: «لقد حاز مشروع الجامعة المصرية لدىَّ ارتياحا عظيما منذ توجهت إليه الأفكار، وكذلك فإننى أرحب اليوم بظهوره وأراه مكملا ومتوجا لنظام التعليم الذى وضع أساسه جدى محمد على وقوَّى أركانه أسلافى العظام».

تصف هدى شعراوى رائدة المرأة العربية الحديثة فى مذكراتها، هذا اليوم، قائلة: «كان يوما مشهودا فى تاريخ مصر لأن افتتاح الجامعة تحقق بعد حرب لا هوادة فيها بين اللورد كرومر من ناحية، والمفكرين وأولى الأمر من ناحية أخرى، ويُعد ذلك انتصارا لإرادة الأمة على إرادة المستعمر الذى كان يحاول بكل الوسائل وضع العراقيل أمام تقدم العلم فى بلادنا، ويعمل على تخلف أولادنا عن ركب العلم والمعرفة».

كانت الساعة التاسعة صباحا حين بدأت مراسم احتفال الافتتاح الذى أُقيم فى نظارة الأشغال (قاعة مجلس شورى القوانين)، وحسب مجلة «أيام

مصريـة- الجـزء الثالـث مـن الأعـداد الخاصـة بمئويـة الجامعـة المصريـة»: «حـضر الضيـوف الأجانـب، وكبـار رجـال الدولـة، والشـخصيات العامـة، يتقدمهـم الخديـو عبـاس حلمـى الثانـى والأمـير أحمـد فـؤاد، واختـير طـلاب مـدارس، خليـل أغاخـان، والحسـينية، وأم عبـاس» ليكونـوا فى شرف اسـتقبال الضيـوف، واصطـف الطـلاب أمـام مبنـى «نظـارة الأشـغال» وهـم يحملـون أعلام مدارسـهم، وكان مدخـل النظـارة مزينًـا بالأزهـار والرياحـين عـلى جانبيـه، وفُرشـت أرضيتـه بالسـجاجيد الفاخـرة، وعـلى الأبـواب وفى الطريـق لقاعـة الاحتفـال حركـة لا تهـدأ لحفـظ الأمـن والنظـام مـن بوليـس السـراى وسـعادة محافـظ القاهـرة وسـعادة الحكمـدار.

كان أعضـاء مجلـس إدارة الجامعـة فى اسـتقبال الضيـوف الذيـن خُصصـت لـكل مجموعـة منهـم أماكـن محـددة للجلـوس، وتـم تخصيـص أماكـن للسـيدات اللاتـى حـضرن الحفـل، وكان فى الحضـور أيضـا أمـراء الأسرة الحاكمـة والـوزراء القدامـى ورجـال القضـاء ورجـال مجلـس الشـورى وشـيخ الجامـع الأزهـر ومفتـى الديـار المصريـة وبعـض رجـال الديـن المسـيحى وكبـار موظفـى الدولـة.

كان الأمـير أحمـد فـؤاد، رئيـس مجلـس إدارة الجامعـة، فى اسـتقبال الخديـو عبـاس حلمـى الثانـى لتبـدأ بعدهـا مراسـم الحفـل بكلمـة مـن الأمـير فـؤاد قـال فيهـا: «أتقـدم إليـك بلسـان الجامعـة رافعـا لأعتابـك آيـات الشـكر لأنـك مصـدر حياتهـا ووجودهـا، ونحـن لا نجهـل أن هـذا العمـل الكبـير سـتطرأ عليـه تغـيرات كثـيرة قبـل أن يأخـذ شـكله النهائـى، ولكننـا لم ندخـر وسـعا فى تثبيـت قواعـده ليكـون البنـاء الآتـى قائـما عـلى أسـاس مكـين وافيـا تدعـو إليـه الحاجـة فى مسـتقبل الأيـام».

وطلـب الأمـير فـؤاد مـن الخديـو عبـاس أن يتقـدم لافتتـاح الجامعـة وألقـى كلمتـه، كـما ألقـى كلمتَـىْ عضـوَىْ مجلـس الإدارة، عبدالخالـق باشـا ثـروت، وأحمـد زكـى بـك، وبعـد أن فـرغ «زكـى» مـن كلمتـه هتـف: «لِيَحْيَـى الخديـو، لِيَحْيـَى الخديـو» فهتـف الحـاضرون وراءه ثـلاث مـرات.

كان عـدد الطـلاب فيهـا ٤٠٤ يدرسـون الحضـارة الإسـلامية، و٣٦٠ حضـارة مـصر القديمـة، و٣٢٦ يدرسـون أدبيـات الجغرافيـا والتاريـخ عنـد العـرب، و٢٧٥ يدرسـون الأدب الإنجليـزى، و٢٨٨ يدرسـون الأدب الفرنسـى.

٢٢ ديسمبر عام ١٩٢١

إعدام عصابة ريَّا وسكينة.. وحراس السجن

يستعينون بالفتوة «النجر» لحمل «عبد الرازق» إلى حبل المشنقة

ريَّ، سكينة، عبدالعال، حسبو، شكير، عرابى، عبد الرازق، هى أسماء العصابة التى اشتهرت تاريخيا باسم «عصابة ريا وسكينة»، وبإضافة الصائغ الذى كان يشترى حلى ضحاياهم من القتيلات، وسيدة أخرى اسمها أمينة بنت منصور يكون عدد العصابة تسعة قتلوا «١٧» فتاة وزوجة، وبلغت فترة النشاط أكثر من عام بدأ من يناير ١٩٢٠، وكانت مدينة الإسكندرية مسرحا للجريمة.

هى قصة يمكن قراءتها بأكثر من وجه، قتل، دعارة، بلطجة، اختطاف، سرقة، ترويع، لكن الكاتب والمؤرخ صلاح عيسى يضعها فى كتابه الممتع «كل رجال ريا وسكينة» فى عمقها السياسى والاجتماعى والاقتصادى، فهو يتتبع سيرة ريا بنت على همَّام، وأختها سكينة منذ طفولتها فى مسقط رأسها بأقصى الجنوب فى «الكلح، أسوان»، وهما: «بلا ملامح، سوى ملامح الفقر والعوز والجوع»، حتى شبَّتا وغادرتا مسقط رأسيهما متنقلتين فى خط سير طويل بين القرى والعِزَب والكفور باحثتين عن اللقمة لتنتهى بهما الإقامة فى الإسكندرية، وسياسيا، فإن وقائع الجرائم المخزية كانت تُستغل للتدليل على عدم كفاءة المصريين المطالبين بإلغاء الحماية البريطانية».

تركـز نشـاط العصابـة فى اسـتدراج السـيدات اللاتـى يتزيّـنّ بالمصوغـات، ثـم يتـم قتلهـن ودفنهـن فى حجرتَـىْ «ريـا وسـكينة»، ورغـم تعـدد البلاغـات فشـلت أجهـزة الأمـن فى التوصـل إلى الحقيقـة، حتـى قـادت صدفـة بـلاغ تقـدم بـه رجـل ضعيـف البـصر اسـمه «أحمـد موسـى عبـده»، قـال فيـه، إنـه أثنـاء حفـره داخـل حجرتـه لإدخـال الميـاه فوجـئ ببقايـا عظـام آدميـة، فأكمـل الحفـر حتـى عثـر عـلى بقيـة الجثـة، وتحمـس مـلازم شـاب بقسـم اللبـان الـذى لم يكـن يبعـد عـن الحجـرة أكثـر مـن ٥٠ مـترا، فانتقـل للتحقيـق، وتبـين أن الحجـرة اسـتأجرتها «سـكينة» مـن الباطـن، وطُـردت منهـا بحكـم قضائـى، وبـدأت القصـة فى إزاحـة أسـرارهـا.

اعـترف المتهمـون بجرائمهـم، ويكتشـف صـلاح عيسـى، أن كل رجـال العصابـة ممـن شـاركوا فى الحـرب العالميـة الأولى، ودعمـوا جهـود الحلفـاء بالخدمـة فى الخطـوط الخلفيـة لميادين القتـال، والثانيـة، أن الدعـارة السريـة كانـت هـى المجـال الاقتصـادى للعصابـة، ومعظـم الضحايـا كانـوا مـن الداعـرات اللاتـى يبعـن أجسـادهن.

بـدأت جلسـات المحاكمـة يـوم ١٠ مايـو ١٩٢١، وكان حضورهـا بتذاكـر خاصـة، وقضـت المحكمـة بإعـدام المتهمـين: سـبعة فيهـم «ريـا» و«سـكينة»، واثنـين بالأشـغال الشـاقة المؤبـدة، و«الصائـغ» بالحبـس سـت سنوات، وفى يوم ٢١ ديسـمبر ١٩٢١ تـم تنفيـذ الإعـدام فى ريـا وسـكينة، وفى اليـوم الثانـى، مثـل هـذا اليـوم «٢٢ ديسـمبر»، كان تنفيـذ الحكـم فى الباقـين، ويتذكـر «الضابـط المسـئول» عـن حراسـتهم فى عـدد مجلـة الكـواكب «٩ فبرايـر ١٩٥٣»، أنـه حـين دخـل عبـد الـرازق إلى الغرفـة السـوداء لتنفيـذ الحكـم تملّكتـه ثـورة عنيفـة، وانطلـق هائجا مـن الغرفـة، وفشـل كل الحـراس فى إعادتـه إليهـا لقوتـه البدنيـة، وكان فى سـجن «الحـدرة» فتـوة اسـمه «النجـر» فاسـتنجد بـه الحـراس لينطلـق كالوحـش نحـو عبـد الـرازق وصارعـه حتـى تغلـب عليـه، وحملـه إلى الغرفـة وسـاعد عشـماوى فى تجهيـزه عـلى حبـل المشـنقة.

٢٣ ديسمبر عام ١٩٥٦
القوات المصرية تتسلم بورسعيد بعد خروج العدوان الثلاثى

«أنا فى كابوس مرعب أتمنى أن أستيقظ منه، وأتأكد أنه مجرد كابوس»، هكذا وصف «بن جوريون» رئيس وزراء إسرائيل حاله أمام اجتماع حكومته يوم ٢٢ ديسمبر ١٩٥٦، كانت العبارة تعبيرا عن إحباطه من المحصلة النهائية للعدوان الثلاثى «بريطانيا، فرنسا، إسرائيل» على مصر، الذى انتهى إلى هزيمة تُوِّجت بخروج القوات المعتدية من بورسعيد فى نفس اليوم الذى قال فيه «بن جوريون» عبارته اللافتة، ودخول القوات المصرية إلى المدينة فى اليوم التالى، فى مثل هذا اليوم «٢٣ ديسمبر ١٩٥٦» الذى صار عيدا للنصر تحتفل به مصر كل عام، حتى تحول فى عصر السادات إلى عيد من الدرجة الثانية.

هناك مئات الحكايات التى يمكن قولها عن يومَىْ «٢٢ و٢٣ ديسمبر»، عن المقاومة الشعبية، عن إدارة المعركة السياسية: «أحس أهل بورسعيد بالحرية التى اكتسبناها لأنفسنا بأيادينا وبفضل الله ورجالنا جميعا» هكذا يلخص الدكتور يحيى الشاعر أحد أبطال المقاومة الشعبية فى بورسعيد الحالة، بينما ينقل «محمد عبد الرحمن حسين» فى كتاب «نضال شعب مصر» قول كمال الدين رفعت قائد المقاومة الشعبية له: «إذا سألتنى اليوم عن أحلى الأيام الحلوة التى عشناها منذ قامت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ فسأجيبك على الفور بأنها أيامنا فى فترة العدوان».

كان الجنود البريطانيون يحملون عِصِيَّهم ويرحلون، بينما كانت، وحسب ما يذكر «الشاعر» فى كتابه «الوجه الآخر للميدالية، حرب السويس١٩٥٦»: «الأوامر العسكرية تصدر لجميع أفراد المجموعات الشعبية المقاتلة وعددها عشرة بحمل أسلحتهم، والانتشار فى مدينة بورسعيد على نقاط «تكتيكية مهمة»، وتقديم المساعدة لأفراد البوليس فى حفظ الأمن، ومنع أى تَعدٍّ على ممتلكات وأماكن إقامة من تبقى فى بورسعيد من الأجانب أو «مكاتب شركاتهم» وبنوكهم، التى قام البريطانيون والفرنسيون بتفريغها من كل محتويات خزائنها من أموال وممتلكات ووثائق بل وأثاث وأجهزة».

لم تكن المقاومة المسلحة هى الأداة الوحيدة فى فرض كلمة المصريين، وإنما تنوعت الأساليب، وفى كتاب «نضال شعب مصر» لمؤلفه محمد عبد الرحمن حسين، نقرأ مثلا قصة الرسوم الكاريكاتيرية التى نُشرت فى بورسعيد، ومن بينها صورة تجمع «إيدن» رئيس وزراء بريطانيا، و«موليه» رئيس وزراء فرنسا، و«بن جوريون» رئيس وزراء إسرائيل، كان «موليه» فى الصورة على هيئة «ماعز» و«بن جوريون» فى شكل كلب، و«إيدن» فى هيئة حاوٍ يداعبهما، وصورة أخرى لـ«إيدن» فى هيئة حمار يمتطيه جمال عبدالناصر، وذاع هذان الرسمان ذيوعا كبيرا، ولم يترك رجال المقاومة كلبا فى المدينة إلا ورسموا عليه وجه إيدن، أو حمارا إلا وطبعوا عليه صورة موليه، ولم تجد قوات العدوان وسيلة سوى ضرب هذه الحيوانات بالنار كلما وقع نظرها عليها.

ومن المنشورات الطريفة التى تداولتها بورسعيد: «قولوا لإيدن فين أعصابك/ ياللى جيت ع الدولة الدايخة/ قولوا لإيدن إيه كان صابك/ تعمل فيها العملة البايخة/ جيت تتحدى وتتعدى/ وبالعاهرة الفاجرة فرنسا/ جاتكم خيبة، جاتكم نايبة/ جاتكم حوسة، جاتكم وكسة».

٢٤ ديسمبر عام ١٩٥٦
نسف تمثال «ديلسيبس» فى مدخل القناة ببورسعيد
والمخابرات تختار «يحيى الشاعر» للمَهمَّة

«على بركة الله يا يحيى.. إلى تمثال ديلسيبس، انسفه»، هكذا بدأت الشرارة الأولى لنسف التمثال الواقف على قاعدة خرسانية مرتفعة على مدخل قناة السويس فى بورسعيد.

كان التكليف للدكتور «يحيى الشاعر»، ووجَّهه اليوزباشى «سمير غانم» ضابط المخابرات وأحد قيادات المقاومة السرية المسلحة فى بورسعيد أثناء العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦، وحسب قول «الشاعر» فى كتابه «الوجه الآخر للميدالية - من أسرار المقاومة الشعبية فى بورسعيد»: «لم ينتظر منى جوابا فقد كان ذلك أمرا عسكريا».

لماذا كان قرار النسف، واختيار «الشاعر» ابن الـ١٨ عامًا فقط لتنفيذه؟ وكيف تمت العملية؟ هى أسئلة يطرحها «الشاعر» فى كتابه، ويجيب عنها، وفى تلخيص معبر، يقول عن سبب نسف التمثال: «كان آخر شعار للسيطرة الأجنبية فى مصر»، وعلينا أن نعى قوة هذا المعنى الذى قاد مصر قيادة وشعبًا إلى مقاومة العدوان الثلاثى: «بريطانيا، فرنسا، إسرائيل».

قال سمير غانم لـ«يحيى»: إن اختياره لهذه المهمة هو اعتراف له ولعائلته بدورهم خلال تحرير أرض مصر وبورسعيد، ويتذكر «يحيى»: «انتفخ صدرى

انبهارًا وافتخارًا، لم أكن تجاوزت الثامنة عشرة عامًا بمدى طويل، وما زلت مراهقًا، وبدأت أتحقق ما أديناه للوطن وقبلنا كلنا والدتى، ودون تعليق نظرت إلى اليوزباشى سمير، ثم شكرته على ثقته فى شخصى، وقلت له، سأفعل ما يمكننى لتحقيق هذا الطلب».

كان لـ«يحيى» طلب واحد، وهو أن يشاركه شقيقه عبد المنعم فى العملية، فرد اليوزباشى سمير: «زى ما أنت عايز دى عمليتك وأنت حر تتصرف فيها زى ما تشوف»، وفى السيارة التى كان يقودها «سمير» سلمه الأخير حقيبة مكتب جلدية سوداء ثقيلة، كان فيها مواد التفجير، وبدأت العملية فى مثل هذا اليوم «٢٤ ديسمبر ١٩٥٦»، ويرويها الشاعر قائلًا: «ما كاد الشعب يفتح عيونه فى الصباح المبكر، ويتوجه إلى منطقة رصيف ديلسيبس ليتأكد من مغادرة آخر السفن حتى صدمته رؤية علمين لبريطانيا وفرنسا ربطهما جنديان من الدولتين على اليد اليمنى لـ«ديلسيبس»، بالإضافة إلى وضع «غطاء رأس» لوحدة مظلات فرنسية على رأس التمثال، ودهان التمثال وقاعدته بشحم كثيف يعوق أى تسلق عليه.

استفز المشهد البورسعيديين الذين طالبوا المطافئ بإمدادهم بسلم طويل للتسلق عليه وانتزاع العلمين وهو ما حدث، وهتفوا وهم يدوسون على العلمين: «الله أكبر، تحيا مصر، يعيش جمال عبدالناصر».

يشرح «الشاعر» تفصيلًا عملية التفجير بزراعته وشقيقه للمتفجرات «تى إن تى» الموجودة فى الحقيبة السوداء التى تسلمها من «اليوزباشى سمير»: «انتظرت ثوانى بشعة كرهتها، مضت علىَّ كسنوات طويلة جدًا، كنت أسمع خلالها نبضات قلبى، وساد على الحاضرين صمت وانتظار، وأخيرًا جاء صوت وصدى الانفجار، وارتفعت سحابة دخان سميكة أحاطت بالتمثال، وأعقب ذلك انضمام جندى المظلات «حسنى عوض» بأوامر من اليوزباشى سمير فى تفجيرين متتاليين فى أحد المشاهد المهمة فى تاريخ مقاومة المصريين ضد التدخل الأجنبى.

٢٥ ديسمبر عاعم ١٩٥٦

السفارة الإيطالية فى القاهرة

تضغط على ٢٠٠ طالب صومالى لترك دراستهم فى القاهرة

«أنا والد الطالب الصومالى عبد الحميد محمد حسن، أقدم لسيادتكم طلبى هذا راجيا أن يكون موضع عنايتكم واهتمامكم كما عهدنا بكم دائما، سيدى الوزير سمعت أن ابنى الذى كان يدرس فى مصر بكلية الحقوق جامعة القاهرة سافر إلى إيطاليا، وأصبح فريسة لإغراءات بعض أصحاب النفوس الشريرة الذين لا يريدون له خيرا، وبعد تقديم اعتذارى لهذا التصرف الصبيانى من ابنى، ألتمس من سيادتكم أن تسعى لدى المسئولين فى الحكومة المصرية، ألا تسمح له بسحب أوراقه قطعيا، وأن يبقى اسمه فى كشوف الطلبة، ويكون طالبا نظاميا حتى يتمكن من أداء الامتحان، وأن يكون اعتذارى مقبولا، وذلك لرغبتى الشديدة فى أن يكمل تعليمه فى مصر».

لم يكن هذا الخطاب المكتوب فى مثل هذا اليوم «٢٥ ديسمبر ١٩٥٦» من أب صومالى إلى السفير المصرى فى الصومال «كمال الدين صلاح» يتعلق بمشكلة شخصية، وإنما حمل وراءه قضية سياسية عميقة وخطيرة تكشف ضغوطا هائلة من السفارة الإيطالية فى مصر على الطلاب الصوماليين الدارسين فى جامعات ومدارس مصر، بإغرائهم لترك الدراسة والالتحاق بجامعات الغرب.

القضيـة تأتـى فى كتـاب «مؤامـرة فى أفريقيـا» للكاتـب أحمـد بهـاء الديـن، وتأتـى فى سـياق قصـة اغتيـال «كـمال الديـن صـلاح» قبـل أن يدخـل إلى منزله فى مقديشيو يـوم ١٧ مـارس ١٩٥٧ طعنـا بالسـكين، وجـاء الاغتيـال الـذى هـز مـصر وأفريقيـا وقتهـا بعـد ثلاثـة أعـوام قضاهـا فى مَهمَّتـه، ممثـلا لمـصر فى مجلـس الوصايـة الـذى شـكلته الأمـم المتحـدة على الصومـال، وتكـوَّن مـن «مـصر، كولومبيـا، الفليبيـن»، وكانـت مهمـة «المجلـس» مراقبـة عمليـة نقـل الصومـال مـن مرحلـة الوصايـة إلى مرحلـة الاسـتقلال، وكانـت إيطاليـا هـى الدولـة الوصيـة لفـترة ١٠ سـنوات، تبـدأ مـن عـام ١٩٥٠.

فـور أن ذهـب «كـمال الديـن صـلاح» إلى الصومـال، «وقـع فى حـب هـذا الشـعب الفقـير، كـما وقـع هـذا الشـعب الصغـير فى حبـه»، حسـب تعبـير «بهـاء الديـن»، ووضـع خطـة طموحـة للصوماليـين فى الزراعـة والتنميـة والتعليـم بمسـاندة كبـيرة مـن جمـال عبدالنـاصر، مما فتـح النـار عـلى «كـمال» مـن «إنجلـترا وإيطاليـا» باعتبارهمـا الاسـتعمار التقليـدى للصومـال، ومعهـما أمريـكا التـى بـدأت العمـل لوجودهـا فى منطقـة القـرن الأفريقـى.

كانـت مسـألة تعليـم الصوماليـين والحفـاظ عـلى اللغـة العربيـة كلغـة للبـلاد، مـن القضايـا العميقـة التـى عملـت مـصر مـن أجلهـا للحفـاظ عـلى هويـة الصومـال الإسـلامية والعربيـة، ولذلـك اسـتضافت مائتَـىْ طالـب وطالبـة بـين المـدارس الفنيـة والثانويـة والأزهـر والجامعـة، فحاربـت إيطاليـا هـذا التوجـه باتصـال سـفارتها فى القاهـرة بالطـلاب الصوماليـين وإغرائهـم بالسـفر إلى إيطاليـا وفرنسـا للدراسـة، حتـى الطالبتـان الوحيدتـان فى مدرسـة حلـوان الثانويـة لم تفلتـا مـن ضغـط السـفارة وإغرائهـا.

وعلـم «كـمال الديـن» مـن آبـاء هـؤلاء الطلبـة الذيـن جـاءوا إليـه فزعـين، وطالبـوه بالوقـوف ضـد ذلـك، وإعـادة أى طالـب إلى الصومـال يحـاول تـرك مـصر لأوروبـا، ويقـول «بهـاء الديـن»، إن المسـألة لم تكـن مسـألة مـصر وإنـما الثقافـة العربية واللغـة العربيـة والـروح العربيـة الاسـتقلالية، والدليـل مطـاردة القنصليـة الإيطاليـة فى دمشـق ١٦ طالبـا كانـوا يدرسـون فى سـوريا، وأرسـلت بعضهـم إلى أوروبـا».

٢٦ ديسمبر عام ١٩٥٣
الطالبان محمود سليمان وأحمد فهمى
يتسابقان فى تنفيذ عملية فدائية ضد معسكر أبو صوير

«أهنئك وأهنئ نفسى والأخ غاندى العزيز، لقد كانت ليلة أمس أول حركة يقوم بها فى حياته معى، ويثبت لى على الرغم من أنها أول تجربة عملية له أنه شاب آمن ببلده ودينه فامتزجا بدمه، لقد كنت أود أن تكون معى، لقد تحايل على غاندى كثيرا للاشتراك وإلا فلن يعرفنى، فتصور مبلغ وطنية هذا الثائر».

بطل هذه الرسالة طالب جامعة الإسكندرية، أحمد فهمى عبد القادر، وشهرته «غاندى» الذى تطوع ضمن المجموعات الفدائية لقتال الاحتلال الإنجليزى فى مدن القناة، وكاتبها هو غريب تومى أحد قيادات هذه المقاومة فى مدينة الإسماعيلية، وأرسلها إلى متطوع آخر هو محمود عبد الرحيم سليمان الطالب فى جامعة الإسكندرية، والقصة كلها فى كتاب «حرب التحرير الوطنية بين إلغاء معاهدة ١٩٣٦ وإلغاء اتفاقية ١٩٥٤» لكمال الدين رفعت قائد هذه المقاومة التابعة لتنظيم الضباط الأحرار بقيادة جمال عبد الناصر.

القصة أبطالها سبعة رجال، هم ضابط المخابرات اليوزباشى عبد الفتاح أبو الفضل، غريب تومى من الإسماعيلية، والطالبان محمود سليمان عبد الرحيم، وأحمد فهمى وشهرته غاندى، وهما من أبناء الإسماعيلية، واثنان

آخـران مــن القاهــرة، أحدهمــا كان طالبــا والآخــر كان عامــلا، وجميعهــم كانــوا ضمــن مجموعــة فدائيــة يقودهــا أبــو الفضــل.

فى يـوم ٢٥ ديســمبر ١٩٥٣، وصــل إلى الإســماعيلية الطالبــان ســليمان وفهمــى لتلقّــى أوامــر أبو الفضــل للقيــام بأعمالهــم الفدائيــة المعتــادة كل أســبوع، لكــن التعليــمات المنتظــرة التــى تصــل فى موعــد لا يتعــدى التاســعة مســاء لم تصــل، فاســتنتج غريــب تومــى، وهــو حلقــة الوصــل بــين أبو الفضــل والمجموعــة، أنــه لــن تكــون هنــاك عمليــات فى هــذه الليلــة، وقــال ذلــك للطالــب محمــود ســليمان فعــاد بــدوره إلى الإســكندرية وتــرك فهمــى، لكــن فى الســاعة الحاديــة عشرة مســاء اتصــل أبو الفضــل بتومــى ليبلغــه بعمليــة فدائيــة فى معســكر «أبوصويــر».

يـروى كــمال رفعــت، أن تومــى تــردد فى تنفيــذ العمليــة، لأنــه كان مجهــدا مــن عمليــة قــام بهــا أمــس، واتصــل بمحمــود ســليمان فلــم يجــده، ولم يكــن أحمــد فهمــى عــلى خــبرة كبــيرة تكفيــه للمشــاركة فيهــا، لكنــه أصر بشــدة فضمــه تومــى وتمــت العمليــة ضــد المعســكر بنجــاح، ويــروى تومــى أنــه أراد أن يُدْخــل المتفجــرات، فاســتعان بــأولاد عــم مرســى، وكانــوا تلاميــذ صغــار فى الإعداديــة والبكالوريــا ارتــدوا ملابــس «عــمال الرايــش» ووزعــوا القنابــل واشــتركوا فى العمليــة التــى أحدثــت تفجــيرات هائلــة وكبــدت الاحتلال خســائر فادحــة فى المعــدات والأرواح.

القصــة وحســب رفعــت: «تبــدو عاديــة حتــى تنفيذهــا، لكــن مــا حــدث بعدهــا هــو جوهرهــا»؛ ففــى الثالثــة صباحــا مــن مثــل هــذا اليــوم «٢٦ ديســمبر ١٩٥٣» كتــب تومــى خطابــا إلى ســليمان حملــه فهمــى وهــو عائــد إلى الإســكندرية فى اليــوم نفســه، ومــا كاد يتســلم الرســالة حتــى رد برســالة إلى تومــى يحتــجُّ فيهــا عــلى عــدم اشــتراكه وتفضيــل أحمــد فهمــى عليــه، ويدلــل كــمال رفعــت بغضــب ســليمان، عــلى الــروح المعنويــة العاليــة التــى كان الفدائيــون يتمتعــون بهــا، فالــكل كان يتســابق لتقديــم روحــه فــداء مــصر، فـ«فهمــى» توســل إلى «تومــى»، و«ســليمان» غضــب مــن عــدم اشــتراكه، و«تومــى» المريــض لم يتأخــر.

٢٧ ديسمبر عام ١٨٨٢
سفينة المنفى تُقْلِع بزعماء الثورة العرابية..
وعرابى مودعا مصر: «يا كنانة الله صبرًا على الأذى»

«ولينا وجوهنا شطر مصر ننظر إلى جمالها وحسن منظرها ونودعها بقولنا: (يا كنانة الله صبرًا على الأذى، حتى يأتى الله لك بالنصر).

هكذا يتحدث أحمد عرابى، زعيم الثورة العرابية، بحزن فى مذكراته، عن تلك اللحظة التى أقلعت فيها السفينة من السويس به ورفاقه إلى المنفى فى «سيلان»، فى مثل هذا اليوم (٢٧ ديسمبر ١٨٨٢).

كان المشهد حزينا، وحسب قول صلاح عيسى فى كتابه «الثورة العرابية»: «هو آخر ما شهدته مصر من الملحمة العرابية المجيدة، والرجال السبعة الذين حملتهم السفينة «مريوتس» إلى منفاهم فى «سيلان» مع ثمانية وأربعين من رفاقهم وأبنائهم، هم الذين عبر بهم القلب المصرى عن أنقى نبضاته وأطهر عواطفه، وصنع بهم ومعهم أروع انتفاضات القرن الماضى وأكثرها أصالة».

كان المنفيون سبعة: أحمد عرابى، طلبة عصمت، عبد العال حلمى، محمود سامى البارودى، على فهمى، محمود فهمى، يعقوب سامى، واستأجرت الحكومة الإنجليزية السفينة وحمولتها ١٥٠٠ طن، وتقدم المنفيون بقائمة ١٣٠ شخصا يسافرون معهم، لكن الحكومة المصرية اعترضت للتكلفة العالية،

فتدخـل «بـرودلى» المحامـى الإنجليـزى لعرابـى، وحسـب كتـاب «الثـورة العرابيـة بعـد ٥٠ عامًـا رؤيـة صحيفـة الأهـرام»، بقلـم داود بـركات، تعليـق لطيفـة سـالم: «تـم الاتفـاق عـلى أن يكـون مـع كل واحـد منهـم ماعـدا أفـراد عائلتـه خـصِىّ للحريـم «أغـا» وخادمـة وداد للأطفـال، ولكـن بعـض النسـاء وجـدن أن الحاشـية قليلـة والخـدم قليـل فرفضـن السـفر».

وتقـول لطيفـة سـالم: «صحـب معظمهـم أولاده وزوجاتـه مـا عـدا البـارودى الـذى لم يرافقـه سـوى ثلاثـة مـن خدمـه، حيـث رفضـت زوجتـه السـفر معـه، كـما أن الظـروف المرضيـة حالـت دون سـفر زوجـة عرابـى وأذن لهـا باللحـاق بـه، وسـجلت وزارة الخارجيـة البريطانيـة أن عـدد المرافقـين ٥٨ شـخصا، وذكـرت وزارة المسـتعمرات أنهـم ٥٢ شـخصا، وأشـارت محافـظ الثـورة العرابيـة إلى أنهـم ٨٤ شـخصا».

كان القطـار الـذى يقـلُّ المنفيـين مـن قـصر النيـل إلى السـويس عظيـم الطـول، يـكاد يمتـد مـن أول الفنـاء إلى آخـره، وكان فى مقدمتـه السـيدات ومعهـن أطفالهـن، وفى مؤخرتـه الخـدم والمتـاع الثقيـل وفرقـة مـن الحـراس الإنجليـز، وبعـض الجنـد والضبـاط المصريـين الذيـن يرافقـون المنفيـين إلى السـويس.

وفى وسـط القطـار، كانـت هنـاك عربـة مـن عربـات الدرجـة الأولى مخصصـة لـ«عرابـى» وأصحابـه، الذيـن أخـذوا أماكنهـم عندمـا بلـغ القطـار قـصر النيـل، ويصفهـم «بـردلى»: «بـدا عليهـم مـن البشاشـة أكثـر ممـا كان يبـدو عـلى مثلهـم مـن الإنجليـز لوكانـوا فى مثـل موقفهـم، وأسرعـت إلى النوافـذ لأسـمعهم بعـض كلـمات التوديـع، وأعـاد عرابـى عـلىَّ كلـمات ثنائـه وشـكره والطيبـات».

فى دراما الرحيـل يذكـر محمـود الخفيـف فى كتابـه «أحمـد عرابـى الزعيـم المفـترَى عليـه»: «لم يكـن مـع عرابـى ولا أحـد مـن أصحابـه مـال، وبعـد تدخـل بـرودلى تـم صرف ثلاثـين جنيهـا مقدمـا لـكل منهـم ممـا قـرر صرفـه لهـم فى المنفـى»، وينقـل الخفيـف مـا قالـه «بيـمان» المحامـى الإنجليـزى الثانـى لعرابـى فى إحـدى الصحـف الإنجليزيـة: «عرابـى الـذى كان يسـتطيع أن يجمـع لنفسـه مليونـا مـن الجنيهـات لم يجـد مـا يشـترى بـه ملابـس لـه عنـد سـفره، وأرسـل لـه بعـض أصدقائـه حقيبـة

مـلأى بالملابـس والقطـار عـلى أهبـة السـفر، وكانـت أسرتـه تعيـش وهـو فى السـجن عـلى صدقـات يدفعهـا بعـض محبيـه سرا، وكنـت أنـا الـذى أحملهـا بيـدى، ولسـت أكتـب هـذا بدافـع عبـادة البطولـة، وإنـما لأبـين لمـاذا اختـار الشـعب المـصرى رجـلا نشـأ مـن طبقـة الفلاحـين وتعلـق بـه، لأنـه يعـرف مـا يشـكو منـه».

وينقـل «الخفيـف» عـن «بـرودلى» قولـه، إن بعـض السـيدات الفُضْلَيـات أعطينه يـوم ٢٦ ديسـمبر كثـيرا مـن الهدايـا لعرابـى حـين تأهـب للسـفر، وذلـك فى حـذر خوفـا مـن «توفيـق»، فأرسـلت إحداهـن حقيبتـين إنجليزيتـين كبيرتـين، وأخـرى مصحفـا فخـما وثالثـة سـجادة للصـلاة، ورابعـة حقيبـة مـلأى بالملابـس، وخامسـة سـلة جميلـة.

٢٨ ديسمبر عام ١٩٤٨
جماعة الإخوان تقتل «النقراشى باشا»
والقاتل: « العلمية تمت بتعليمات حسن البنا»

كانت الساعة العاشرة صباحا فى مثل هذا اليوم «٢٨ ديسمبر ١٩٤٨»، عندما وصل «النقراشى باشا» رئيس الوزراء إلى وزارة الداخلية، نزل من سيارته أمام المبنى الرئيسى للوزارة، وصعد فى درجات المدخل يحيط به كالمعتاد حرس الوزارة، وقُبيل وصوله إلى المصعد انطلقت الرصاصات فى ظهره، كان المجرم يرتدى زى ضابط شرطة، وعم الحزن أرجاء البلاد، حسب قول عبد الرحمن الرافعى فى كتابه «فى أعقاب الثورة المصرية ثورة ١٩١٩ - الجزء الثالث».

كان القاتل طالبا بمدرسة «الطب البيطري» يدعى «عبد المجيد أحمد حسن»، وارتدى زى الشرطة واندس فى فناء الوزارة لارتكاب جريمته، وحسب «الرافعي» كان القاتل مطلوبا اعتقاله قبل أيام، لكن النقراشى رفض قائلا: «لا أحب التوسع فى اعتقال الطلاب فأنا والد، وأقدِّر أثر هذه الاعتقالات فى نفوس الآباء والأمهات، وكان ابنًا لموظف فى وزارة الداخلية ومات، فقرر النقراشى تعليم الابن بالمجان».

كانت الجريمة استمرارا لمسلسل الجرائم التى ترتكبها «جماعة الإخوان» والتى أوصلت «النقراشي» إلى قراره بحل الجماعة يوم ٨ ديسمبر ١٩٤٨، ولم

يتراجع عن قراره رغم الوساطات الهائلة التى قام بها حسن البنا مؤسس الجماعة ومرشدها، ورغم نصيحة مرتضى المراغى مدير الأمن العام بالتريث فى قرار الحل، ويذكر فى مذكراته قوله للنقراشى ، أن هناك بعض خلايا التنظيم ومخازن أسلحة ومفرقعات لم يتمكن الأمن من التوصل إليها ، وحسب حلمى النمنم فى كتابه : «حسن البنا الذى لا يعرفه أحد»: «عدد من الوزراء حذروا النقراشى لأن الجماعة اخترقت الجيش».

لم يقتصر «البنا» على الوساطات وإنما نقلت «الجماعة» الأمر إلى التهديد، وحسب النمنم: وصل إلى مكتب النقراشى أربعة خطابات مليئة بالشتائم والكلمات البذيئة والتهديد بالقتل وعَدَّها من باب «اللغو»، ووصلت خطابات أخرى إلى بيت «النقراشي» تهدد زوجته باختطاف ابنهما وابنتهما، وعلى الرغم من كل هذا الحصار أقدم «النقراشى باشا» على قراره، فوقعت عملية الاغتيال .

ظل القاتل «عبد المجيد حسن» ملتزما الصمت فى التحقيقات، وكما يقول «النمنم»، اتجه التركيز على تحميل «البنا» المسئولية المباشرة، فأراد أن يبرئ نفسه ببيانه: «ليسوا إخوانا وليسوا مسلمين»، وحمل المحققون «البيان» إلى عبد المجيد ففُكت عقدة لسانه، وقال: إن العملية تمت بتعليمات من المرشد، وإنه الذى أقنعه بتنفيذها، وأفتاه بمشروعيتها رجل المرشد فى التنظيم الخاص سيد سابق، حيث تلا على عبد المجيد حسن الآية القرآنية الكريمة: { يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } (سورة الأنفال، الآية: ٤٥)، واستدعت النيابة سيد سابق للتحقيق فيما نسبه إليه «عبد المجيد»، فأنكر وأدان وتلا قول الله تعالي: { وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا } (سورة النساء، الآية: ٩٣).

سعى «البنا» إلى مقابلة إبراهيم عبد الهادى الذى أصبح رئيسا للوزراء بعد «النقراشي»، لكن «عبد الهادي» رفض مصمما على أن يعترف أولا بأسماء التنظيم ومخازن السلاح فرد البنا: «لا أعرف».

٢٩ ديسمبر عام ١٩٤٨
إسرائيل تعرض على الدكتور محمد حسين هيكل رئيس مجلس الشيوخ مشروع سلام مع مصر

سافر الدكتور محمد حسين هيكل باشا، رئيس مجلس الشيوخ، إلى باريس لحضور اجتماع اللجنة التنفيذية لاتحاد البرلمان الدولى فى ٢٨ ديسمبر ١٩٤٨، وفى اليوم التالى (مثل هذا اليوم ٢٩ ديسمبر) تلقّى مكالمة تليفونية فى غرفته بالفندق من مسئول إسرائيلى سابق.

تولت الدهشة «هيكل»، كان المتصل «إلياس ساسون» والد أول سفير لإسرائيل فى القاهرة «موشى ساسون» بعد توقيع السادات اتفاقية السلام معها، وكان قصد الاتصال مشروعا للسلام من إسرائيل إلى مصر بعد ثمانية أشهر من قيام إسرائيل، والسبب، كما يذكره الكاتب الصحفى محمود عوض فى كتابه «وعليكم السلام»: قرر الإسرائيليون وقتها أننا لا نعنى من الدول العربية غير مصر، ويضيف عوض: «أعدت إسرائيل مشروعا بمعاهدة كاملة للصلح المنفرد، وقامت بإبلاغه إلى الملك فاروق، واختارت اثنين من السياسيين لنقله إلى الملك، هما إبراهيم عبد الهادى رئيس الديوان الملكى، والدكتور محمد حسين هيكل رئيس مجلس الشيوخ وقطب حزب الأحرار الدستوريين».

فى الجزء الثالث من مذكرات الدكتور محمد حسين هيكل الصادرة عن «دار المعارف» يتحدث عن القصة كلها، مشيرا إلى أنها بدأت فى الأسبوع

الأول من شهر سبتمبر ١٩٤٨ حين كان فى روما على رأس وفد مصر لحضور المؤتمر البرلمانى الدولى.

فى أثناء المؤتمر جرى ترتيب للقاء بينه وبين ساسون فى چنيف بسويسرا بعد المؤتمر، وخلال اللقاء تحدث ساسون: «أصارحك بأننا لا نعنى من الدول العربية غير مصر».

رد هيكل: «أنا لا أعرف الخطة التى قررتها الحكومة المصرية، وأود أن أذكر لك رأيا شخصيا لم أفاتح به أحدا من المسئولين المصريين، ذلك أن تتنازلوا أنتم صراحة عن منطقة النَّقَب لمصر وأن تعلنوا استعدادكم لذلك قبل كل حديث».

أجاب «ساسون» فى لهجة لم يرضها هيكل: «وما حاجتكم إلى النقب ولديكم أنقاب كثيرة لم تصلحوا منها شيئا؟»، يعلق هيكل: «يريد أن صحارى مصر الواسعة لم تَنَلْ منا عناية أو إصلاحا، وكفتنى هذه العبارة لأكف عن المضى فى الحديث».

يصف «عوض» عرض «صحراء النقب» من «هيكل» بأنه يدل على سذاجة الصورة السياسية لديه، واستحق بالتالى تهكم ساسون عليه، فالصراع فى فلسطين لم يتعلق بضم، أو عدم ضم.

عاد هيكل إلى مصر فى منتصف أكتوبر وليس فى نيته أن يذكر شيئا لأحد عما دار، وذلك حسب تأكيده فى مذكراته، ثم تجدد الاتصال به فى باريس وأسفر عن لقاء ٢٩ ديسمبر بالمسئول الإسرائيلى ومعه زميل آخر بغرفة هيكل، وفى اليوم التالى ٣٠ ديسمبر تلقى مشروع السلام بعنوان «معاهدة المودة والصداقة مع مصر»، ويسجل: «تلوت مقدمة المشروع ومواده فتولانى أشد العجب، إسرائيل تُمِلِى فيه على مصر أقسى مما ورد فى معاهدة ١٩٣٦»، ويكفى أن من بنودها: «تحتفظ إسرائيل بحق الڤيتو على السياسة الخارجية المصرية إذا انتهجت مصر سياسة تراها إسرائيل متناقضة مع سياستها»، ويكشف هيكل أن المسئولين الإسرائيليين أبلغاه أن المشروع سُلم بالفعل إلى إبراهيم عبد الهادى ولابد أنه أطلع الملك فاروق عليه.

٣٠ ديسمبر عام ١٩٥٧
زواج الزعيم الغانىّ «نكروما» من المصرية «فتحية حليم».. وإسرائيل تعبر عن تشاؤمها

هى طالبة فى جامعة القاهرة، عمرها ٢٦ عاما، تعلمت فى إحدى المدارس الفرنسية بالقاهرة، هو زعيم أفريقى كبير، قاد النضال فى بلاده ضد الاستعمار البريطانى، عمره ٤٨ عاما، هى اسمها «فتحية حليم رزق»، هو اسمه «كوامى نكروما» رئيس وزراء غانا، والاثنان بطلا حدث كبير شغل أمريكا، بريطانيا، فرنسا، وإسرائيل، وكانت «غانا» وقتئذ تحت السيطرة البريطانية، ولها حاكم عام بريطانى، وكان «نكروما» يقود الحركة الوطنية لتحرير بلاده عبر برنامج سياسى حزبى.

القضية شخصية، خطوبة تمت فى القاهرة، والزفاف فى العاصمة الغانيَّة (أكرا)، لكن حكومات الدول الكبرى تساءلت: «لماذا ؟»، وأمرت سفاراتها فى (أكرا) بالبحث عن الإجابة، والقصة كلها تأتى فى كتاب «العلاقات بين مصر وغانا ٩٥٧ - ١٩٦٦» تأليف أسامة عبد التواب عن دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة.

فى مساء مثل هذا اليوم (٣٠ ديسمبر ١٩٥٧)، أذاعت وكالة رويترز خبرا عن الزواج وقالت إن فتحية وصلت إلى أكرا فى صباح يوم (٣٠ ديسمبر) قبل الزفاف بساعات قليلة، برفقة خالها عدلى مرقس صادق، واستقبلها فى مطار أكرا «بايدو أنساه» صديق الطفولة لـ«نكروما»، وتم تسجيل الزواج مدنيا،

وحضر الحفل عدد قليل من المدعوين من أقارب نكروما وأصدقائه وبعض الوزراء، ولم يتم الإعلان عن الزواج إلا بعد انتهاء الحفل بأربع ساعات.

للزواج فى مصر تقاليد، وأصول، فى التقاليد والأصول أن يتعارف العروسان بطريقة ما، إما بالصورة، وإما باللقاء الشخصى، وبين الاثنين وأسرتيهما يلعب الوسيط دورًا رئيسًا فى تقريب وجهات النظر، وتذليل العقبات، وفى حالة «نكروما» و«فتحية»، كان الوسيط هو الحاج «صالح السنارى»، مصرى درس فى الأزهر، وكان مقيما فى غانا ويرتبط بصداقة مع نكروما.

زار السنارى بيت «العروس» عدة مرات، وتبادل الصور بينها وبين «العريس»، ونقل المعلومات الخاصة بكل طرف إلى الطرف الآخر. نقل السنارى لنكروما، أن فتحية فقدت والدها وعمرها ١٣ عاما، وكان والدها يعمل موظفا فى مصلحة التليفونات المصرية، وهى الثالثة بين إخوتها الخمسة، ولها أخ متزوج بإنجليزية ويعيش فى لندن.

المعلومات التى قدمها السنارى لفتحية عن نكروما كثيرة، أهمها بالطبع تلك التى تحتاجها أى عروس، الأمان، الاستقرار، الحب، لكن كيف سيتحقق كل ذلك مع رجل يناضل من أجل حرية بلده، ويسير على طريق من الأشواك لتحقيق ذلك؟ تلك كانت مهمة السنارى الذى قدم لها صورة وافية عن قيمة نكروما فى بلده وأفريقيا، وقيمته عند جمال عبد الناصر شخصيا.

لم يكن السنارى وحده يقوم بمهمة إقناع فتحية، كان معه صديقه وابن خالتها فى الوقت نفسه الدكتور «نجيب» الأستاذ بهندسة القاهرة، وأخيرا أعطت العروس الموافقة، فحضر ابن عم نكروما من غانا إلى مصر ليسمعها شخصيا، وقدم هدية العريس ٥٠٠ جنيه إنجليزى وخاتمَ الماسِ بـ١٠٠ جنيه إنجليزى.

دارت العجلة استعدادا لحفل الزفاف الذى سيتم فى أكرا، واستعدت له فتحية بشراء ١٢ فستانًا من القاهرة قبل مغادرتها، وسافرت فتحية من دون والدتها التى خافت من السفر بالطائرة.

هل كان للقيادة المصرية يد فى هذا الزواج؟ هذا السؤال يتبادر إلى الأذهان، ويطرحه الباحث أسامة عبد التواب فى كتابه «مصر وغانا»، ويجيب بأنه ربما عندما علمت القيادة المصرية برغبة نكروما فى الزواج، أومأت إلى السنارى بأن يقترح عليه مصرية مسيحية، وبالفعل منحت له القيادة السياسية خمس صور كى يختار نكروما من بينها، فاختار «فتحية حليم رزق».

ومما يعزز ذلك أن «عبد الناصر» عرف موعد حفل الزواج فى حين أن الغانيين بكل المستويات لم يعرفوه إلا بعد انتهائه بساعات، وكلما كان عبد الناصر يحضر إلى مطار القاهرة لاستقبال نكروما كان يحضر معه أهل فتحية؛ حتى يظهر أن عبدالناصر هو «صهر» نكروما كما أن فتحية أصبحت صديقة لأسرة عبد الناصر، وكانت تخبره بنشاط الإسرائيليين فى غانا فى زيارتها للقاهرة.

الصحف العالمية تناولت الزواج من زاوية أن مصر قصدت منه ضم غانا إلى كتلة عبد الناصر، وحين حملت فتحية أعلن نكروما أن مولوده لو جاء ذَكَرًا فسيطلق عليه اسم عزيز يجلُّه ويحترمه، واحتفظ بسرية الاسم حتى أطلق عليه اسم «جمال» يوم (٣ أبريل عام ١٩٥٩).

كان السفير الإسرائيلى فى غانا هو الأكثر تشاؤما، وذلك طبقا لتقرير تم رفعه إلى الحكومة البريطانية شمل ردود فعل البعثات الدبلوماسية، وسألت الإدارة الأمريكية: هل سيسير نكروما وفق سياسة متوازنة بين مصر وإسرائيل؟

٣١ ديسمبر عام ١٩٦٨
أم كلثوم «تُسَوْدِن» أغانيها
«الأطلال وهذه ليلتى وفات الميعاد» فى «الخرطوم» و«أُمّ درمان»

«أهل السودان لا يحبون الهجر والصد والفراق، ولا يطيقون الاستسلام طويلا للأحزان والنكد والخصام، لأنهم يعشقون المرح والغناء والرقص وأفراح الحب ونشوة اللقاء، أهلنا فى السودان يتشون طربا للغناء، وغالبا ما يمارسون أسلوب «الشيل» أى ترديد الغناء والتصفيق وراء المطرب، ووجدانهم مزيج بين العربية والأفريقية».

هكذا قدم الكاتب الصحفى يوسف الشريف نصيحته الذهبية إلى كوكب الشرق أم كلثوم، وهما على الطائرة فى الطريق إلى السودان يوم ٢٥ ديسمبر ١٩٦٨ للغناء، ضمن حفلاتها فى العواصم العربية وباريس ومحافظات مصر لصالح المجهود الحربى بعد نكسة ٥ يونيه ١٩٦٧.

فى الزيارة تفاصيل سياسية وفنية، تبدأ من حرص أم كلثوم على معرفة السودان من قرب قبل سفرها، فسألت الكاتب الصحفى أحمد بهاء الدين، وكما قال لى يوسف الشريف فى شهادته ضمن شهادات أخرى فى كتابى «أم كلثوم وحكام مصر» رد بهاء عليها: «هبعت لك ولد فاهم السودان كويس قوى، وكنت أنا المقصود، وقابلتها فى ڤيلتها، وأصرت على أن أسافر معها».

توافد جمهور من بلاد عربية وأوروبية إلى السودان للاستماع إلى «أم كلثوم»، وعوملت فيها معاملة الرؤساء والملوك، فأمضت أيامها فى قصر الضيافة

الرسـمى، واسـتقبلها إسـماعيل الأزهـرى، رئيـس مجلـس السـيادة فى القـصر الجمهـورى، وأقـام رئيـس الـوزراء محمـد أحمـد محجـوب حفلا كبـيرا لهـا، وحضروا جميعهـم أولى حفلاتهـا فى الخرطـوم، وكتـب الشـاعر محمـد المهـدى المجذوب شـعرا: «يـا أم كلثـوم هـذا النيـل يفيـض بصوتـك أعطـارا وألوانـا/ يـا نخلـة النيـل أثـمارا وعافيـة/ زودى العـرب الأحـرار بسـتانا»، وحـضرت حفـلا لعـرس رأت فيـه كيـف يحتفـل السـودانيون بالـزواج، وحاورهـا التليفزيـون السـودانى فقالـت إن زيارتهـا صنعـت فكـرة الغنـاء لشـاعر مـن كل بلـد عربـى، وسـتكون أول أغنيـة لهـا مـن قصائـد لشـعراء سـودانيين سـتحملها إلى القاهـرة لتختـار مـن بينهـا، وبالفعـل غنـت فيـها بعـد قصيـدة «أغـدا ألقـاك» كلـمات الشـاعر السـودانى الهـادى آدم.

قدمـت حفلهـا الثانـى عـلى مسـرح «أم درمـان» مسـاء يـوم ٣٠ ديسـمبر، وعـلى وقـع صيحـات الجمهـور: «للصبـح ياسـت» امتـدت سـهرتها حتـى صبـاح مثـل هـذا اليـوم (٣١ ديسـمبر ١٩٦٨)، وغنـت «الأطـلال، وهـذه ليلتـى، وفـات الميعـاد»، وتجـاوب معهـا الجمهـور بحـرارة كبـيرة ولافتـة.

يُرجـع «الشريـف»، فى كتابـه «السـودان وأهـل السـودان»، تجـاوب الجمهـور اللافـت، إلى اعتمادهـا أسـلوبا غـير مسـبوق فى غنائهـا، يضيـف: «رغـم أن أغنياتهـا طويلـة زمنيـا وبطيئـة الإيقـاع فإنهـا نجحـت بذكائهـا وحضورهـا الطاغـى، وحسـها المرهـف فى السـيطرة عـلى مشـاعر المسـتمعين، وجذبهـم إلى تـذوق أنغـام سُـلَّم الموسـيقى العربيـة البطـىء، وأعفـت السـودانيين مـن ممارسـة عـادة «الشـيل» عـبر ترديـد كوبليهـات أغانيهـا وراءهـا، وقنعـوا باسـتعادة إيقاعاتهـا السريعـة الراقصـة»، ويؤكـد الشريـف: «كانـت أغنياتهـا ولأول مـرة مزيجـا بـين السـلمين الخماسـى فى الموسـيقى السـودانية، والسداسـى فى الموسـيقى العربيـة، وكان غناؤهـا حدثـا ثقافيـا يفـوق كل إنجـازات أجهـزة الإعـلام والثقافـة والدبلوماسـية المصريـة منـذ اسـتقلال البلديـن فى الخمسـينيات مـن القـرن المـاضى».

الفهرس

منافذ بيع

الهيئة المصرية العامة للكتاب

مكتبة المعرض الدائم

١١٩٤ كورنيش النيل - رملة بولاق

مبنى الهيئة المصرية العامة للكتاب

القاهرة

ت: ٢٥٧٧٥٠٠٠ - ٢٥٧٧٥٢٢٨ داخلى ١٩٤ - ٢٥٧٧٥١٠٩

مكتبة مركز الكتاب الدولى

٣٠ ش ٢٦ يوليو - القاهرة

ت : ٢٥٧٨٧٥٤٨

مكتبة ٢٦ يوليو

١٩ ش ٢٦ يوليو - القاهرة

ت : ٢٥٧٨٨٤٣١

مكتبة شريف

٣٦ ش شريف - القاهرة

ت : ٢٣٩٣٩٦١٢

مكتبة عرابى

٥ ميدان عرابى - التوفيقية - القاهرة

ت : ٢٥٧٤٠٠٧٥

مكتبة الحسين

مدخل ٢ الباب الأخضر - الحسين - القاهرة

ت : ٢٥٩١٣٤٤٧

مكتبة المبتديان

١٣ش المبتديان - السيدة زينب

أمام دار الهلال - القاهرة

مكتبة ١٥ مايو

مدينة ١٥ مايو - حلوان خلف مبنى الجهاز

مكتبة الجيزة

١ ش مراد - ميدان الجيزة - الجيزة

ت : ٣٥٧٢١٣١١

مكتبة جامعة القاهرة

خلف كلية الإعلام - بالحرم الجامعى

بالجامعة - الجيزة

مكتبة رادوبيس

ش الهرم - محطة المساحة - الجيزة

مبنى سينما رادوبيس

مكتبة أكاديمية الفنون

ش جمال الدين الأفغانى من شارع

محطة المساحة - الهرم

مبنى أكاديمية الفنون - الجيزة

مكتبة الإسكندرية

٤٩ ش سعد زغلول – الإسكندرية

ت : ٠٣/٤٨٦٢٩٢٥

مكتبة الإسماعيلية

التمليك – المرحلة الخامسة – عمارة ٦

مدخل (١) – الإسماعيلية

ت : ٠٦٤/٣٢١٤٠٧٨

مكتبة جامعة قناة السويس

مبنى الملحق الإدارى – بكلية الزراعة –

الجامعة الجديدة – الإسماعيلية

مكتبة بورفؤاد

بجوار مدخل الجامعة

ناصية ش ١١، ١٤ – بورسعيد

مكتبة أسوان

السوق السياحى – أسوان

ت : ٠٩٧/٢٣٠٢٩٣٠

مكتبة أسيوط

٦٠ ش الجمهورية – اسيوط

ت : ٠٨٨/٢٣٢٢٠٣٢

مكتبة المنيا

١٦ ش بن خصيب – المنيا

ت : ٠٨٦/٢٣٦٤٤٥٤

مكتبة المنيا (فرع الجامعة)

مبنى كلية الآداب -جامعة المنيا – المنيا

مكتبة طنطا

ميدان الساعة – عمارة سينما أمير – طنطا

ت : ٠٤٠/٣٣٣٢٥٩٤

مكتبة المحلة الكبرى

ميدان محطة السكة الحديد

عمارة الضرائب سابقاً – المحلة

مكتبة دمنهور

ش عبدالسلام الشاذلى – دمنهور

مكتب بريد المجمع الحكومى – توزيع

دمنهور الجديدة

مكتبة المنصورة

٥ ش السكة الجديدة – المنصورة

ت : ٠٥٠/٢٢٤٦٧١٩

مكتبة منوف

مبنى كلية الهندسة الإلكترونية

جامعة منوف

توكيل الهيئة بمحافظة الشرقية

مكتبة طلعت سلامة للصحافة والإعلام

ميدان التحرير – الزقازيق.

ت : ٠٥٥٢٣٦٢٧١٠ – ٠١٠٦٥٣٣٧٣٣٢